المستطرف

في

كل فن مستظرف

تأليف

بهاء الدين أبي الفتح

محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي

المتوفى سنة ٨٥٤هـ

عني بتحقيقه

إبراهيم صالح

المجلد الأول

دار صادر

بيروت







المستطرف

في

كل فن مستظرف

تأليف

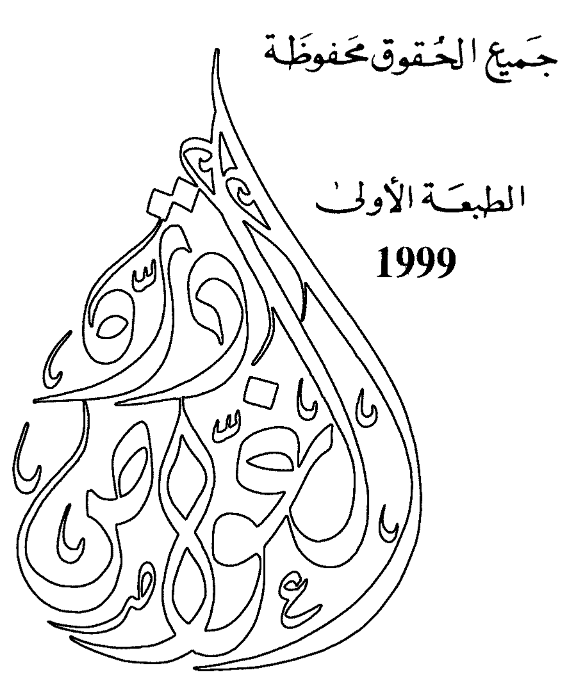
بهاء الدين أبي الفتح
محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي
المتوفى سنة ٨٥٤ هـ

عُني بتحقيقه

إبراهيم صالح

الجزء الأول

دار صادر
بيروت



الطبعـة الأولى
1999

تأسست سنة ١٨٦٣



COPYRIGHT © DAR SADER Publishers
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

دار صادر للطباعة والنشر
ص . ب ١٠ بيروت ، لبنان

هاتف وفاكس Tel & Fax (+961) 04.920978 / 04.922714 / 01.448827

مقدمة التَّحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الحيِّ القَيَّوم ، والصَّلاةُ والسَّلام علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ مَنبع الحِكَم والعُلوم ، وعلىٰ آله ذوي القَدْر والفُهوم ، وصَحْبه القُدوة النُّجوم .

وبعد :

المؤلف :

• لا بدّ لنا من الاعتماد علىٰ المصدر الوحيد الذي ترجم للأَبشيهي ، وهو معاصره السَّخاوي في « الضّوء اللاّمع [٧/ ١٠٩] فنقول :

هو بهاءُ الدِّين ، أَبو الفَتْح ، محمد بن شِهاب الدِّين أَبي العبّاس أَحمد بن منصور بن أَحمد بن عيسىٰ ، الأَبشيهي ، المَحَلِّي ، الشَّافعي .

وُلد في أَبْشُويَه ـ وهي قريةٌ من قُرىٰ مصر ، من الغَربيَّة[١] ـ سنة تسعين وسبعمئة للهجرة ؛ ويبدو أَنَّ والده انتقلَ به إِلىٰ المحلَّة ، فاستقرَّ بها .

كان والده[٢] يتولّىٰ الخطابة في بلده ، فعرف المؤلِّف لهذا بابن الخطيب ؛ قال من قصيدة طويلة في مدح رسول الله ﷺ :

أَنا طامعٌ في الجودِ منكَ ولم يكن   لابنِ الخطيبِ من الأَنامِ سواكا

وكذا ذكر السَّخاوي في ترجمة ابنه .

---

(١) معجم البلدان ١/ ٧٣ .

(٢) يغلب علىٰ الظنِّ أَن والده هو المترجم في الضّوء اللاّمع ٢/ ٢٥٥ رقم ٧٢٣ باسم : أَحمد الشِّهاب الأَبشيهي ، المقرىء بنواحي جامع الطَّبّاخ . ولم يذكر له تاريخ وفاة .

وبدهيّ أَن يبدأ رجلٌ عالمٌ كأَبيه تنشئة ابنه علىٰ حفظ كتاب الله العزيز ، فحفظه وهو ابن عشر سنين وصلّىٰ به ، ثم قرأَ « المختصر في الفقه الشّافعي » للمظفّر الواراني المعروف بالشّيخ أَمين الدِّين التّبريزي[1] ، و« مُلحة الإعراب » للحريري صاحب المقامات ، وعَرَضَهما علىٰ شيخه شهاب الدِّين أحمد بن عبد الله بن محمَّد الطّلياوي ، الأَزهري الشّافعيّ المقرىء[2] .

ولمّا بلغ الرّابعة والعشرين من عمره ـ أي في سنة أربع عشرة وثمانمئة ـ أَدّىٰ فريضة الحجّ ، ولعلّها هي المرَّة الوحيدة التي غادر فيها المؤلِّف ديار مصر ؛ ولكنه ارتحل إِلىٰ القاهرة فدخلها غير مرَّة ، وسمع بها دروس الإِمام عبد الرَّحمن بن عمر بن رسلان المعروف بالجلال البُلْقيني[3] ، وعاد إِلىٰ بلده ليتولّىٰ الخطابة بعد وفاةِ أَبيه .

وتفرّغ للنَّظم والتَّصنيف قبل أَن يستكمل أَدواته فيهما ، فكان يقعُ في كلامه اللّحن كثيراً لعدم إِلمامه بالنّحو .

ولكنَّه استطاعَ بجهده ودأْبِهِ أَن يُتحفَ المكتبة العربيَّة بعددٍ من الكتب النَّفيسة .

ومن تصانيفه :

١ ـ المستطرف من كلِّ فنٍّ مستظرف ؛ وهو كتابنا هذا ؛ وقد يقع اسمه : المستطرف في كلّ فنٍّ مستظرف ؛ والأَوّل أَدقُّ والثّاني أَشهر .

٢ ـ أَطواق الأَزهار علىٰ صدور الأَنهار ؛ في الوعظ ، في مجلَّدين .

٣ ـ وشرعَ في كتابٍ في صَنعةِ التَّرسُّل والكتابة ؛ ولا نعلم أَتَمَّهُ أَم لا .

---

(١) ترجمته في طبقات الشافعية الكبرىٰ للسبكي ٨/ ٣٧٣ .
(٢) ترجمته في الضوء اللامع ١/ ٣٧٠ .
(٣) ترجمته في الضوء اللامع ٤/ ١٠٦ .

٤ ـ تذكرة العارفين وتبصرة المستبصرين ؛ منه نسخة قديمة جيِّدة تحتفظ بها مكتبة الأَسد الوطنيّة بدمشق تحت رقم ٣١٩٥ أَدب ٢٤ وتقع في ١٨٣ ورقة ، وهي من كنوز المكتبة الظّاهريّة بدمشق . [فهرس الأَدب في الظّاهرية ١/ ١١٠] .

٥ ـ وله محاولاتٌ شِعريَّة ، أَوردَ بعضَها في المستطرف ، وكان يتطارح مع الأُدباء عندما يلتقي بهم .

ففي سنة ٨٣٨هـ التقىٰ بالإمامين ابن فهدٍ والبُقاعي في ميعادٍ للعَلَم البُلقيني بالنّحراريّة عندما كان قاضي سنهور نيابةً عن أَخيه ، فقال الأَبشيهي :

وعـظَ الأَنـام إمـامُنـا الحبـرُ الـذي ... سكـبَ العُلـومَ كبحـرِ فَضْـلٍ طـافِحِ
فشفـىٰ القُلـوبَ بعلمـه وبـوَعْظِـهِ ... والوعظُ لا يشفي سوىٰ من صالحِ

وواضحٌ ما في الشَّطر الأَخير من توريةٍ بين صالح ـ من الصّلاح ـ وصالح وهو اسم العَلَم البُلْقيني .

أولاده :

ذكر السَّخاوي(١) واحداً من أَولاده ، وهو :

شمسُ الدِّين ، أَبو النَّجا ، محمّد بن محمّد بن أحمد بن منصور بن أَحمد بن عيسىٰ ، الأَبشيهي ، المَحَلِّي ، الشّافعي ، المعروف بابن الخطيب .

ولد سنة ٨١٨هـ تقريباً بالمحلَّة ، وحفظ بها القُرآن وصلَّىٰ به ، والعمدة وأَربعي النَّووي والتّبريزي والمُلحة ، وعرضَ علىٰ جماعَةٍ ، واشتغل قليلاً ، ونابَ في القضاءِ عن أَوحد الدِّين العُجيمي ؛ وكان عفيفاً بارعاً في الصِّناعة .

مات قبيل الثمانين وثمانمئة بيسيرٍ .

---

(١) الضوء اللامع ٩/ ٤٧ رقم ١٢٣ .

ولشِدَّة بياضِه ، وحُسن شكالته ، كان يُلَقَّبُ خروفاً ، رحمه الله .

وفاته :

قال السَّخاوي : « مات بعد الخمسين [وثمانمئة] ، قريباً من قَتْلِ أَخي الأُستادار » . أَقول : لقد سلك السَّخاوي رحمه الله أُسلوباً مُلتوياً في تحديد سنة وفاة الأَبشيهي ، إِذ ربطَ وفاتَه بمقتلِ أَخي الأُستادار دون أَن يُحَدِّدَ اسم الشَّخص المقتول أَو تاريخ مقتله ! . ولعلَّ ذلك راجعٌ إِلىٰ اشتهار الحَدَثِ في زمانه ؛ فأَصبح في زماننا نوعاً من التَّعمية حارَ في استخراجها العُلماء والمفكِّرون .

فمن قائلٍ : إِنَّه كان حيّاً سنة ٨٠٠هـ[١] ؛ ومن قائل : إِنَّه توفي سنة ٨٥٢هـ[٢] ؛ ومن واقفٍ عند حدود السّخاوي[٣] ، دون أَن يُجَشِّم أَحدٌ منهم نفسه عناء البحثِ لمعرفة شخصيَّة المقتول وتاريخ مقتله ؛ وكم هو قريب المتناول ، إِنَّه في الضّوء اللاّمع نفسه وفي التِّبر المسبوك وفي الذَّيل التّام علىٰ دُوَل الإِسلام .

فمن هو الأُستادار ؟ ومَن هو أَخوه ؟ ومتىٰ قُتِل ؟

أَمَّا الأُستادار فهو : صدقة بن حسن بن محمّد ، الزَّين الإِسعردي ، المعروف بالأُستادار[٤] .

وأَما أَخوه المقتول فهو : أَحمد أَخو الزَّين الأُستادار ، قُتل لسوء سيرته بالمحلَّة ـ وتحديداً في سَنْدَفا[٥] كما في الذَّيل التّام ـ في رمضان سنة أَربعِ

---

(١) كشف الظنون ٢/ ١٦٧٤ .
(٢) الأَعلام ٥/ ٣٣٢ وفهرس الأَدب في الظاهرية ١/ ١١٠ و٢/ ٢٢٠ تبعاً لبروكلمن في الذّيل .
(٣) معجم المؤلفين ٣/ ١١٠ .
(٤) الضوء اللامع ٣/ ٣١٧ رقم ١٢١٢ .
(٥) نقل ياقوت عن المهلّبيِّ قوله : المحلَّة لها جانبان ، اسم أَحدهما المحلَّة ، والآخر سَنْدَفا . (معجم البلدان ٣/ ٢٦٨) .

وخمسين [وثمانمئة][1] . فإذا كانت وفاة الأَبشيهي بعد الخمسين قريباً من قتل الأُستادار ـ كما نصَّ السّخاوي ـ فإِنَّ ذلك سيكون خلال الأَشهر الثّلاثة المتبقيَّة من سنة ٨٥٤هـ .

ولو كانت وفاته سنة ٨٥٥ لنصَّ السّخاوي علىٰ ذلك بصريح العبارة .

وعليه فإِنَّ وفاة الأَبشيهي ـ دون أَيِّ شكٍّ ـ كانت في أَواخر سنة ٨٥٤هـ .

هذا الكتاب :

● لهذا الكتاب طبعات كثيرة لا تخرج واحدةٌ منها عن كونها طبعةً شعبيَّةً ، لما تضمَّنه من تصحيفاتٍ وتحريفاتٍ ونقصٍ وتشويهٍ ، في كلِّ صفحة من صفحات الكتاب ، بل ربَّما في كلِّ سطرٍ منه .

وليس للأَبشيهي في هذا الكتاب من فضيلةٍ سوىٰ الجمع وحُسن الترتيب ؛ فقد ذكر في مقدّمته أَنَّه اعتمد علىٰ كتابين لا ثالث لهما ، هما « ربيع الأَبرار » للزَّمخشري و« العقد الفريد » لابن عبد ربّه ؛ ولقد تبيَّن أَثناء التّحقيق أَنه اعتمد علىٰ ربيع الأَبرار اعتماداً شبه كُلِّيّ ، في الوقت الذي لم ينقل عن العقد الفريد إِلاّ صفحاتٍ قلائل معدودات ، وأَغفل عن عمدٍ ذكر « التّذكرة الحمدونيّة » ويأتي في الأَهمية عنده بعد ربيع الأَبرار مباشرةً ، وكذا تعمَّد إِغفال ذكر « المحبّ والمحبوب » للسّريّ الرّفّاء ؛ وكان في أَحيان قليلة ينصُّ علىٰ ذكر « سراج الملوك » للطّرطوشي في الوقت الذي كان ينقل منه بالحرف فصولاً كاملةً مُطَوَّلةً ؛ وكذا اختصر الباب المتعلّق بالحيوان عن « حياة الحيوان » للدَّميري دون أَن يُنَبِّه علىٰ ذلك ، وكذا « عجائب المخلوقات » للقزويني .

ويظهر لي أَنَّ الأَبشيهي كان علىٰ درجةٍ غير قليلةٍ من البساطة ؛ يتّضح ذلك من إِيرادهِ بعض الأَخبار المتناقضة في ذاتها ، منها خبر الحَجّاج وزواجه من هند

---

(١) الضوء اللامع ٢/ ٢٦٠ رقم ٧٦٧ والتبر المسبوك ٣٢٢ والذيل التام ٢/ ٦٣ .

بنت النُّعمان بن بشير ، ثم طلاقها منه ، وما تبع ذلك من خطبة الخليفة لها واشتراطها عليه أَن يكون الحجّاج قائد جملها من معرَّة النُّعمان إِلىٰ مقرِّ الخليفة .

ومنها خبر التقاءِ عَبيد بن الأَبرص الجاهليّ بهارون الرَّشيد العبّاسيّ ؛ ومنها قصَّة أَبي عبد الله الأَندلسيّ (؟) وارتداده عن الإِسلام ، ورعيه الخنازير مدَّة عام كاملٍ ، لمجرّد رؤيته فتاةً نصرانيَّةً في قريةٍ نائيةٍ خارج بغداد ، ثم عودته إِلىٰ ما كان عليه وعودة علومه ومعارفه إِلىٰ صدره ؛ ومنها تلك الأَخبار المكذوبة علىٰ أَهل حمص . . . . .

وكم كنتُ أَتمنَّىٰ أَن يخلوَ الكتاب من مثل هذه الأَخبار التي لا يصحُّ منها شيءٌ في محكّ النقد المنطقي .

أَضف إِلىٰ ذلك أَنه كان يُغيِّر بعض الأَسماء التي يجهلها ، فعندما أَوردَ بيتاً لأَبي نعامة الدَّنقعي ـ وهو ثابت النّسبة له في ربيع الأَبرار ـ لم يعرف صوابَ النسبة أَهو الدَّنقعيّ أَم الدَّيقعيّ أم . . . فتخلَّص من هذا الإِشكال بحذفِ الكلمة ، ثم نظر إِلىٰ أَبي نعامة فلم يعرفه فحرَّفَه إِلىٰ أَبي العتاهية ! .

وعندما نقل بيتاً لنهشل بن حَرِّي ـ وهو ثابت النسبة له أَيضاً في ربيع الأَبرار ـ لم يعرف صوابَ قراءة حَرِّي ، فحذفه وقال : قال نهشل الشاعر ! .

ومثل هذا كثيرٌ ، وأَستبعد أَن يكون ذلك من قبل النُّسّاخ .

فكان عليَّ والحالة هذه ، ليس فقط تحقيق الكتاب وضبطه ، بل مشاركته أَيضاً في الكتاب بإِحقاق الحقِّ وإِثبات الصَّواب ، طالما أَنَّ مصادره أَصبحت معروفةً ومكشوفةً لديّ .

ولقد كلَّفني هذا العمل جهداً شاقّاً لا يعرفه إِلاَّ مَن دُفع إِلىٰ مضايقه ؛ ولكنَّني ـ والحقُّ يقال ـ أَجدُ نفسي في نهاية المطاف سعيداً بما أَنجزه الله تعالىٰ علىٰ يديّ وتمَّ به انتشال الكتاب من الحضيض ليقف شامخاً إِلىٰ جانب المصادر التراثيَّة الأَصيلة ، وفي هوامشه تخريجات شبه كاملة لأَخباره وأَشعاره

وأَحاديثه ؛ ولو أَخذتُ نفسي بترجمة أَعلامه لتضاعف حجم الكتاب بما لا طائل تحته .

النُّسخ المعتمدة :

اعتمدت في هذه الطَّبعة علىٰ نسختين خطِّيتين احتفظت بهما دار الكتب الظّاهرية بدمشق ردحاً من الزّمن ، ثم انتقلتا إِلىٰ مكتبة الأَسد الوطنيَّة :

١ ـ **نسخة « أ »** : وهي نسخة تامّة ، كتبت بخطِّ النَّسخ سنة ١٠٩٢هـ وهي كثيرة التصحيف والتحريف والخطأ ؛ تحمل الرقم ٧٣٧٩ وتتكوّن من ٣٦٠ ورقة ، في كلِّ صفحة ٢٥ سطراً ؛ مقاسها ٥,١٩×٢٨سم .

٢ ـ **نسخة « ب »** : وهي نسخة تامّة أَيضاً ، سقطت من أَوَّلها ورقةٌ واحدةٌ أَو ورقتان ؛ تعاور علىٰ كتابتها شخصان بخطَّين مختلفين ، ووقع الفراغ من نسخها يوم الأَحد ثامن عشر جمادىٰ الآخرة سنة ١٠٢٥هـ في جامع منجك في حيِّ الميدان بدمشق ؛ وتتكوّن من ٤١٠ ورقة ، وفي كلِّ صفحة ٢٣ سطراً ؛ مقاسها ١٥×٢١سم ؛ وتحمل الرقم ٣٢٠٠ أدب ٢٩ ؛ وهي كثيرة التّصحيف والتّحْريف والخطأ كسابقتها .

٣ ـ **النسخة المطبوعة** ، ورمزها « ط » .

فكان عليّ ـ والحالة هذه ـ اختيار الصّواب حيث كان ، وإِثبات الزِّيادات بعد عرضها علىٰ المصادر في أَماكنها الصَّحيحة ، واستبعاد فروق النسخ التي لا تقدِّم فائدة والتي ما تكون غالباً من النُّسّاخ ؛ ولم أُثبت من فروق النُّسخ إِلاّ ما كان ذا فائدةٍ تفيد العلماء أَو الباحثين المهتمّين بهذا الشّأن .

هذه الطَّبعة :

أَستطيع القول جازماً : إِنَّ هذه الطَّبعة ـ بفضل الله عزَّ وجلَّ ـ هي أَوَّل طبعةٍ علميَّةٍ محقَّقةٍ تحقيقاً دقيقاً لهذا الكتاب الجليل ؛ ولستُ أَدَّعي الكمال ،

فالكمال لمن له الكمال سبحانه ، ولكنّني اجتهدتُ وأَخلصتُ ، فإن كنتُ أَحسنتُ فذلك فضلٌ من الله سبحانه ، وإن كانت الأُخرىٰ فلا يكلِّف الله نفساً إلاّ وسعها ؛ ومُبلغُ نَفْسٍ عُذرَها مثلُ مُنْجِحِ .

ربَّنا تقبَّل مِنّا إنَّك أَنت السَّميع العليم ، وتُب علينا إنَّك أَنت التَّوّاب الرَّحيم ، واغفر لنا إنّك أَنت الغفور الكريم ؛ والحمدُ لله في البدءِ والختام .

دمشق الشام

فجر الأَربعاء ١٢ ربيع الآخر ١٤١٩هـ

٥ آب ١٩٩٨م

وكتب

إبراهيم صالح



بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الملك العظيم العلي الكبير الغني الحميد اللطيف الخبير المتفرد
بالعز والبقا والارادة والتدبير [illegible] ليس كمثله شي وهو السميع البصير تبارك
عن التشبيه والتصوير [illegible] احمده حمد معترف بالعجز والتقصير واشكره على
ما اعان عليه من قصد وتيسير من عسير واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا
شبيه ولا نظير ولا وزير واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله البشير النذير السراج المنير المرسل
الى كافة الامم من غني وفقير ومامور وامير صلى الله عليه وعلى اله واصحابه صلاة يبلغنا
بها منزلة الاجر الكبير ويجيرنا بها من عذاب الاخرة والسعير وحسبنا الله ونعم الوكيل
نعم المولى ونعم النصير وبعد فقد رايت جماعة من ذوي الهمم جمعوا اشيا كثيرة من
الاداب والحكم وبسطوا مجلدات في النوادر والتواريخ والاخبار والحكايات واللطايف
ورقايق الاشعار والقوافي والفوا في ذلك كتبا كثيرة وتفرد كل منهم بفوايد لم تكن
في غيره من الكتب محصورة فاستخرت الله تعالى وجمعت من مجموعها هذا المجموع
اللطيف وجعلته مشتملا على كل فن ظريف وسميته المستطرف في كل فن
مستظرف واستدللت فيه بايات كثيرة من القران العظيم واحاديث صحيحة من احاديث
النبي الكريم وطرزته بحكايات حسنة عن الصالحين ونقلت فيه كثيرا مما اودعه
الزمخشري في كتابه ربيع الابرار وكثيرا مما نقله ابن عبد ربه في كتابه العقد
ورجوت ان يجد فيه مطالعه كل ما يقصد ويريد وجمعت فيه لطايف وظرايف
عديدة وعجايب من منتخبات الكتب الادبية المفيدة واودعته من الاحاديث
النبوية والامثال الشرعية والالفاظ اللغوية والحكايات الغريبة ومن الغرايب
والدقايق ما تتشنف بذكره الاسماع وتقر برؤيته العيون وينشرح له
القلب المحزون من كل معنى يكاد الميت يفهمه حسنا ويعشقه القرطاس
والقلم وجعلته يشتمل على اربعة وثمانين بابا من احسن الفنون مفتتحه
بالالفاظ التي هي كالدر المكنون شعر

ففي كل باب تلتقي درا مولفا ... كنظم عقود زينتها الجواهر

فان نظم المعنى الذي فيه جوهر ... على غيره تاليفه في الدر فاخر

وضمنته كل لطيفة ونظمته بكل ظريفة وقرنت الاصول بالفصول وجعلت كل
باب منها مقدمة وفصلتها في مواضعها مرتبة ليقصد الطالب الى كل باب منها
عند حاجته اليه ويعرف مكانه بالاستدلال عليه فيجد كل معنى في بابه ان شاء الله تعالى

والعم

بداية النسخة (أ)

مكذلك ولهذا كانت الدنيا قبل ولادته صلى الله عليه وسلم ظلام فلما ولد ظهر
سراج دينه بمكة فأتى الناس من كل فج عميق فاقتبسوا فكان اول من اقتبس من
الرجال ابو بكر ومن النسا خديجة ومن الشباب علي ومن الموالي زيد ومن
العبيد بلال وجا سلمان من ارض فارس فاقتبس وصهيب من الروم وموسى
ابن خديم من الحبشة ووفد الوفود فاقتبسوا وابو لهب الى جانب النبي لم
يقتبس ما اقتبس الناس من مشارق الارض الى مغاربها حتى امتلات الارض
من نور سراجه صلى الله عليه وسلم فهو صلى الله عليه وسلم اعظم الانبيا واكرم
المرسلين وسيد الخلق اجمعين لم يخلق الله عز وجل احسن ولا اجمل ولا
افضل ولا اكمل ولا افصح ولا ارجح ولا اسمح ولا اصبح ولا اجل ولا اعظم ولا اسخا
ولا اكرم ولا ابها ولا انصف ولا اعدل منه صلى الله عليه وسلم فوالله لو ان البحار
مدادا والنبات اقلاما وجميع الخلق كتابا لعجزوا عن وصف النور من معجزاته
صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلنا من امته واحشرنا في زمرته وامتنا على محبته
ولا تحل بيننا وبينه ولا تخالف بنا عن ملته ولا عن شريعته ولا عن اجابه
يا ارحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا سبحان ربك رب العزة
عما يصفون وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين وكان
الفراغ من كتابته
يوم الخميس
المبارك [illegible]
شهر [illegible]
سنة ١١٩٠

خاتمة النسخة (أ)

الاخلاق واصطناع الاحرار وذكر الامجاد واحاديث الاجواد الباب
الرابع والثلاثون في البخل والشح وذكر البخلا وذكر الطفيليين واخبارهم
وما جاء عنهم الباب الخامس والثلاثون في الطعام وادابه و
الضيافه واداب الضيف والمضيف واخبار الاكله وما اشبه ذلك الباب
السادس والثلاثون في العفو والصفح وكظم الغيظ والاعتذار وقبول
العذر والعتاب وما اشبه ذلك الباب السابع والثلاثون في الوفا
بالوعد وحسن العهد ورعاية الذمم الباب الثامن والثلاثون
في كتمان السر وتحصينه وذم افشايه الباب التاسع والثلاثون
في الغدر والخيانه والسرقه والعداوه والبغضا والحسد وفيه فصول
الباب الاربعون في الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها و
فضل الجهاد وشدة الباس والتحريض على القتال الباب الحادي
والاربعون في اسما الشجعان وذكر الابطال وطبقاتهم واخبارهم
وذكر الجبنا واخبارهم وذم الجبن وما اشبه ذلك الباب الثاني
والاربعون في المدح والشكر والثنا على النعم والمكافاه وفيه فصول
الباب الثالث والاربعون في الهجا ومقدماته الباب الرابع
والاربعون في الصدق والكذب وفيه فصلان الباب الخامس
والاربعون في بر الوالدين الباب السادس والاربعون في الحلي
والمصوغ وما جا في التختم الباب السابع والاربعون في الخلق وصفاته
واحوالها وذكر الحسن والقبح والطول والقصر والالوان والشباب والباكي
وما اشبه ذلك الباب الثامن والاربعون في الشباب والشيب والصحه
والعافيه في الاسما والكنا والالقاب وما استحسن الباب الخمسون والتاسع
في ما جا في الاسفار والاغترابات وما قيل في الوداع والفراق والحث على
ترك الاقامه بدار الهوان وحب الوطن والحنين الى الاوطان وما اشبه ذلك

عبد الله بن [illegible]

بداية النسخة (ب)

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تم ذلك
بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وقد وقع الفراغ
من نسخ الكتاب يوم الاثنين ثامن عشر شهر
جمادى الأولى من شهور سنة خمس وعشرين
وألف على يد الفقير مصطفى بن أحمد
الراجي رحمة الودود تلميذ
مولانا الشيخ خليل بن
الشيخ محمود الحنفي
في جامع منجك
[illegible]

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

دخل في ملك الفقير الراجي
عفو ربه ابراهيم ابن اسمعيل آغا

خاتمة النسخة (ب)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

● الحمد لله الملِك العظيم ، العليِّ الكبير ، الغنيِّ اللَّطيفِ الخبيرِ ، المُنفرِدِ بالعزِّ والبقاءِ ، والإرادة والتَّدبير ، الحيِّ العليم الَّذي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ٤٢/١١] ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك : ٦٧/١] أَحمدُه حمدَ عبدٍ مُعترفٍ بالعجزِ والتَّقصير ، وأَشكره على ما أعان عليه على قَصدٍ ويُسرٍ من عَسيرٍ ؛ وأَشهدُ أَن لا إِله إِلاَّ الله وحدَه لا شريك له ولا مشير ، ولا ظهيرَ له ولا وزير ، وأَشهد أَنَّ سيِّدنا محمَّداً عبدُه ورسولُه البشيرُ النَّذير ، السّراجُ المنيرُ ، المبعوثُ إِلى كافَّة الخلق من غنيٍّ وفقير ، ومأمورٍ وأَمير ؛ صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأَصحابه صلاةً يفوزُ قائلها من الله بمغفرةٍ وأَجر كبيرٍ ، وينجو بها في الآخرة من عذاب السَّعير ، وحسبُنا الله ونِعم الوكيل ، فنعم المولى ونِعم النَّصير .

أَمَّا بعد : فقد رأَيت جماعةً من ذوي الهِمم ، جمعوا أَشياء كثيرة من الآدابِ والمواعظِ والحِكَم ، وبسطوا مجلَّدات في التَّواريخ والنَّوادر ، والأَخبار ، والحكايات ، واللَّطائف ، ورقائق الأَشعار ، وأَلَّفوا في ذلك كُتباً كثيرةً ، وتفرَّد كُلٌّ منها بفرائد فوائد لم تكن في غيره من الكتب مَحصورةً ، فاستخَرتُ الله تعالى وجمعتُ من جُموعها هذا المجموعَ اللَّطيف ، وجعلتُه مُشتملاً على كلِّ فَنٍّ ظَريفٍ ، وسمَّيتُه (المُسْتَطْرَف ، في كُلِّ فَنٍّ مُسْتَظرف) واستدللتُ فيه بآياتٍ كثيرة من القرآن العظيم ، وأَحاديثَ صحيحةٍ من أَحاديث النَّبيِّ الكريم ، وطرَّزته بحكايات حَسَنَةٍ عن الصَّالحين الأَخيار ، ونقلت فيه كثيراً ممّا أَودعه الزَّمخشريُّ في كتابه « ربيع الأَبرار » وكثيراً ممّا نقله ابن عبد ربِّه في كتابه « العقد الفريد » ورجوت أَن يجدَ مُطالعُه فيه كلَّ ما يقصدُ ويريدُ ،

وجمعتُ فيه لطائفَ وظرائفَ عديدةً ، من مُنتخباتِ الكُتب النَّفيسة المفيدة ، وأَودعتُه من الأَحاديث النَّبويَّة ، والأَمثالِ الشِّعريَّة ، والأَلفاظِ اللُّغويَّة ، والحكايات الجِدِّيَّة ، والنَّوادرِ الهَزليَّة ، ومن الغرائبِ والدَّقائقِ ، والأَشعارِ والرَّقائق ، ما تُشَنَّفُ بِذكرهِ الأَسماعُ وتَقَرُّ برؤيتِه العُيون ، ويَنشرحُ بمطالعته كلُّ قلبٍ محزونٍ [من البسيط]

مِنْ كُلِّ مَعْنَىً يكادُ المَيْتُ يَفْهَمُهُ حُسْنَاً وَيَعْشَقُهُ القِرطاسُ والقَلَمُ

وجعلتُه يشتملُ على أَربعةٍ وثمانين باباً من أَحسن الفُنون ، مُتَوَّجة بأَلفاظٍ كأَنّها الدُّرُّ المكنونُ ، كما قال بعضُهم شِعراً في المعنى : [من الطويل]

ففي كُلِّ باب منه دُرٌّ مُؤَلَّفٌ كَنَظْمِ عُقُودٍ زَيَّنَتْهَا الجواهِرُ[1]

فإِنْ نُظِمَ العِقْدُ الَّذي فيه جَوْهَرٌ على غَيرِ تأْليفٍ فَما الدرُّ فاخِرُ

وضمَّنتهُ كلَّ لَطيفةٍ ، ونظمتُه بكلِّ ظَريفةٍ ، وقَرَنْتُ الأُصولَ فيه بالفُصول ، ورجوتُ أَن يتيسَّر لي ما رُمتُه من الوصول . وجَعلت أبوابه مقدّمةً ، وفصَّلتها في مواضعها مرتَّبةً منظَّمةً ، ليقصد الطّالب إلى كلِّ باب منها عند الاحتياج إليه ، ويعرفَ مكانه بالاستدلالِ عليه ، فيجدَ كلَّ معنىً في بابه إِن شاء الله تعالى ؛ والله المسؤول في تيسير المطلوب ، وأَن يُلهم النّاظر فيه سترَ ما يراه من خَللٍ وعُيوب ، إِنّه على ما يشاء قدير ، وبالإِجابة جدير .

وهذه فهرست الكتاب ، والله سبحانه المهوِّن للصِّعاب .

---

(١) في أ : ففي كل باب تلقى درّاً مؤلّفاً .

(الباب الرّابع) في العِلم والأَدب وفضل العالِم والمتعلّم .

(الباب الخامس) في الآداب والحكم وما أشبه ذلك .

(الباب السّادس) في الأَمثال السّائرة ، وفيه فصول .

(الباب السّابع) في البيان والبلاغة والفصاحة ، وذكر الفُصحاء من الرِّجال والنِّساء ، وفيه فصول .

(الباب الثّامن) في الأَجوبة المُسكتة والمستحسَنة ، ورشقات اللِّسان وما جرى مجرى ذلك .

(الباب التّاسع) في ذِكر الخُطَب والخطباء ، والشُّعراء ، وسَرقاتهم ، وكَبوات الجياد ، وهَفوات الأَمجاد .

(الباب العاشر) في التَّوكُّل على الله تعالى ، والرّضا بما قسم ، والقناعة ، وذمِّ الحِرص والطَّمع ، وما أَشبه ذلك ، وفيه فصول .

(الباب الحادي عشر) في المشورة والنَّصيحة ، والتَّجارب ، والنَّظر في العواقب .

(الباب الثّاني عشر) في الوصايا الحسنة ، والمواعظ المستحسنة ، وما أَشبه ذلك .

(الباب الثّالث عشر) في الصَّمت وصَون اللِّسان ، والنَّهي عن الغِيبة والسَّعي بالنَّميمة ، ومدح العُزلة وذمِّ الشُّهرة ، وفيه فصول .

(الباب الرَّابع عشر) في المُلك والسُّلطان ، وطاعة ولاة أُمور الإِسلام ، وما يجب للسُّلطان على الرَّعيَّة ، وما يجب لهم عليه .

(الباب الخامس عشر) فيما يجب على مَن صحب السُّلطان ، والتَّحذير من صُحبته .

(الباب السّادس عشر) في الوزراء وصفاتهم وأَحوالهم ، وما أَشبه ذلك .

(الباب السّابع عشر) في ذِكر الحِجاب والولاية ، وما فيها من الغرر والخطر .

(الباب الثامن عشر) فيما جاء في القضاء وذِكر القُضاة ، وقبول الرشوة والهديّة على الحُكم ، وما يتعلّق بالدُّيون ، وذِكر القُصّاص والمتصوِّفة ؛ وفيه فصول .

البابـ الأوَّل

في مباني الإِسلام
وفيه خمسة فصول

الفصل الأوَّل

في الإِخلاص لله تعالىٰ
والثَّناء عليه

• وهو أَن تعلم أن الله تعالى واحد لا شريك له ، فَرْدٌ لا مِثل له ، صَمَدٌ لا نِدَّ له ، أَزَليٌّ قائم ، أَبَدي دائمٌ ، لا أَوَّل لوجوده ، ولا آخر لأبديَّته ، قَيُّومٌ لا يفنيه الأَبد ، ولا يُغيِّره الأَمد ، بل هو الأَوَّل والآخر ، والظّاهر والباطن ، مُنَزَّهٌ عن الجِسميَّة ، ليس كمثله شيء ، وهو فوق كلِّ شيء ، فوقيَّته لا تزيده بُعداً عن عباده ، وهو أقرب إِلى العبيد من حبل الوريد ، وهو على كل شيء شهيد ، وهو معكم أينما كنتم ، لا يُشابه قربه قربَ الأجسام ، كما لا تُشابه ذاته ذوات الأَجرام ، مُنَزَّه عن أَن يحدَّه زمان ، مقدَّس عن أَن يحيط به مكان ، تراه أَبصار الأَبرار في دار القرار ، على ما دلَّت عليه الآيات والأَخبار ، حيٌّ قادر جبّار قاهر ، لا يعتريه عجز ولا قصور ، ولا تأخذه سِنَةٌ ولا نَوم ، له الملكوت والعزَّة والجبروت ، خلق الخلق وأَعمالهم ، وقدَّر أرزاقهم وآجالهم ، لا تُحصى مقدوراته ، ولا تتناهى معلوماته ، عالم بجميع المعلومات ،

لا يعزُب عنه مثقال ذَرَّة في الأَرض ولا في السَّموات ، يعلم السِّرَّ وأَخفى ، ويطَّلع على هواجس الضَّمائر وخفيّات السَّرائر ، مُدَبِّر للكائنات ، مدبِّر للحادثات ، لا يجري في ملكه قليل ولا كثير ، ولا جليل ولا حقير ، خير أَو شرٌّ ، نَفْعٌ أَو ضرّ ، إلاّ بقضائه وقَدَره وحُكمه ومشيئته ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فهو المبدىء المعيد الفاعل لما يريد ، لا معقِّب لحكمه ولا رادَّ لقضائه ، ولا مهرب لعبد عن معصيته إلاّ بتوفيقه ورحمته ، ولا قوَّة له على طاعته إلاّ بمحبَّته وإِرادته ؛ لو اجتمع الإِنس والجنُّ والملائكة والشياطين على أَن يُحرِّكوا في العالم ذَرَّةً أَو يسكنوها دون إِرادته لعجزوا ؛ سميعٌ بصيرٌ ، متكلِّمٌ بكلام لا يشبه كلام خلقه ، وكل ما سواه سبحانه وتعالى ، فهو حادث أَوجده بقدرته ، وما من حركة وسكون إلاّ وله في ذلك حِكمة دالَّة على وحدانيَّته ؛ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران : ٣/ ١٩٠] .

• وقال أَبو العتاهية[١] : [من المتقارب]

فيــا عجبــاً كيــف يُعصــى الإلــ ـــه أَم كيــف يَجحــدُه الجــاحِــدُ

وفــي كُــلِّ شــيءٍ لَــه آيَــةٌ تَــدُلُّ علــى أَنَّــه واحــدُ

وَللهِ فــي كُــلِّ تَحــريكَــةٍ وتَسكينــةٍ فــي الــورى شَــاهِــدُ

• وقال غيره : [من الخفيف]

كُــلُّ مــا تَــرتقــى إِليــه بِــوَهْــمٍ مِــن جَــلالٍ وقُــدرةٍ وَسَنــاءِ

فــالَّــذي أَبْــدَعَ البَــرِيَّــةَ أَعلــى منــه ، سُبحــانَ مُبْــدِعِ الأَشيــاءِ

• وقال[٢] عليٌّ رضي الله عنه في بعض وصاياه لولده : « أَعلم يا بُنيَّ ، أَنَّه لو كان لربِّك شريكٌ لأَتتك رُسُله ، ولرأَيت آثار مُلكه وسُلطانه ، ولَعرفت أَفعاله

(١) ديوانه (١٠٤) ، وانظر ديوان لبيد (٣٦٣) .
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٣٢٣) .

وصفاته ، ولكنَّه إِلٰه واحدٌ لا يضادُّه في مُلكه أَحد » .

- وعنه[1] عليه السَّلام : « كُلُّ ما يُتَصَوَّرُ في الأَذهان فاللهُ سبحانه بِخِلافه » .

- وقال لَبيد بن ربيعة[2] : [من الطويل]

أَلا كُـلُّ شـيءٍ مـا خـلا اللهَ بـاطِـلُ ... وكُـلُّ نَعيـمٍ لا مَحـالـةَ زائِـلُ

وكُـلُّ ٱبـنِ أُنثـى لـو تَطـاول عُمْـرُهُ ... إِلـى الغـايَـة القُصـوى فَللقبـرِ آيِـلُ

وكُـلُّ أُنـاسٍ سَـوف تَـدخُـلُ بَيْنهـم ... دُوَيْهيَـةٌ تَصْفَـرُّ مِنهـا الأَنـامِـلُ

وكُـلُّ ٱمـرىءٍ يـومـاً سَيَعْـرِفُ سَعْيَـهُ ... إِذا حُصِّلَـتْ عِنْـدَ الإِلٰـه الحصـائِـلُ

(الحصائلُ : هي كل ما يتحصَّل من الأعمال)[3] .

- وروي[4] أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال وهو على المنبر : « إِنَّ أَشعر كلمةٍ قالتها العربُ : « أَلا كُلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ بَاطلُ » .

- ثم بعد هذا الاعتقاد ، الإِقرار بالشَّهادة بأَن محمَّداً رسول الله ، بعثه برسالته إِلى الخلائق كافَّةً وجعله خاتم الأنبياء ، ونسخ بشريعته الشَّرائع ، وجعله سيِّد البشر ، والشَّفيع المشفَّع في المحشر ، وأوجب على الخلق تصديقه فيما أَخبر عنه من أُمور الدُّنيا والآخرة ، فلا يصحُّ إِيمانُ عبدٍ حتَّى يُؤمن بما أَخبرَ به بعد الموت ، من سُؤال مُنْكَرٍ ونَكير ـ وهما مَلَكان من ملائكة الله تعالى يَسأَلان العبد في قبره عن التَّوحيد والرِّسالة ، ويقولان له : مَن رَبُّك؟ وما دينك؟ ومَنْ نبيُّك؟ ـ ويُؤمن بعذاب القبر وأَنَّه حقٌّ ، وأَنَّ الميزان حقٌّ ، والصِّراط حقٌّ ، والحِساب حقٌّ ، وأَنَّ الجنَّة حقٌّ ، والنَّار حقٌّ ، وأَنَّ الله تعالى يُدخل الجنَّة من يَشاء بغير حساب وهم المُقَرَّبون ، وأَنَّه يُخرج عُصاة الموحدين من النّار بعد

---

(1) ربيع الأبرار (٢/ ٣٢٥) .
(2) ديوانه (٢٥٦) وليس فيه الثاني ، وربيع الأبرار (٢/ ٣٢٥) .
(3) من أ ،ب وربيع الأبرار .
(4) ربيع الأبرار (٢/ ٣٢٦) .

الانتقام ، حتى لا يبقى في جهنَّم مَن في قلبه مثقال ذرّةٍ من الإيمان ؛ ويُؤمن بشفاعة الأَنبياء ثم بشفاعة العلماء ثم بشفاعة الشُّهداء ؛ وأَن يعتقد فضل الصَّحابة رضي الله تعالى عنهم ، ويُحسن الظنَّ بجميعهم على ما وردت به الأَخبار وشهدت به الآثار .

● فمن اعتقد جميع ذلك مؤمناً به موقناً فهو من أَهل الحقِّ والسُّنَّة ، مفارقٌ لعصابة الضَّلال والبدعة ؛ رزقنا الله الثَّبات على هذه العقيدة ، وجعلنا من أَهلها ، ووفَّقنا للدَّوام إلى الممات على التَّمسُّك والاعتصام بحبلها ، إنَّه سميع مجيب .

● فهذه العقيدة قد اشتملت على أَحد أركان الإسلام الخمسة ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « بُني الإسلام على خمس ، شَهادة أَن لا إله إلاّ الله وأَنَّ محمَّداً رسول الله ، وإِقامة الصَّلاة ، وإِيتاء الزَّكاة ، وصوم رمضان ، وحجِّ البيت من استطاع إِليه سبيلاً » .

الفصل الثّاني

في الصَّلاة وفضلها

● قال الله تعالى : ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢/٢٣٨] .

● وقال تعالى : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة : ٢/٤٣] .

● وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ [النساء : ٤/١٠٣] .

● واختلفوا في اشتقاق اسم الصَّلاة ممَّ هو ؛ فقيل : هو من الدُّعاء ، وتسمية الصَّلاة دعاء ، معروفة في كلام العرب ، فسُمِّيت الصَّلاة صلاة لما فيها من الدُّعاء .

● وقيل : سُمِّيت بذلك من الرَّحمة ؛ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب : ٣٣/٥٦] فهي من الله رحمة ، ومن الملائكة استغفار ،

ومن النَّاس دعاء .

• قال ﷺ : « اللَّهم صلّ على آل أبي أَوفى » أَي ارحمهم .

• وقيل : سُمِّيت بذلك من الاستقامة ، من قولهم : صلَّيتُ العود على النّار ، إذا قَوَّمْتُه ؛ والصَّلاة تقيم العبد على طاعة الله وخدمته ، وتنهاه عن خلافه ؛ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت : ٢٩/ ٤٥] .

• وقيل : لأَنَّها صِلةٌ بين العبد وربّه . وعن رسول الله ﷺ قال : « عَلَمُ الإِيمان الصَّلاة ، فمن فَرَّغ لها قلبَه وحافظ عليها بحدودها فهو مؤمن » .

• وعن عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه أَنَّه قال وهو على المنبر : إِنَّ الرَّجل ليشيب عارضاه في الإِسلام وما أَكمل للهِ تعالى صلاةً ، قيل : وكيف ذلك؟ قال : لا يتم رُكوعَها وسُجودها وخُشوعها ، وتواضعه وإِقباله على الله فيها .

• وقالت[1] عائشة رضي الله تعالى عنها : كان رسول الله ﷺ يُحدِّثنا ونُحدِّثه ، فإِذا حضرت الصَّلاة فكأَنَّه لم يعرفنا ولم نعرفه .

• وقيل للحسن[1] : ما بال المُتَهَجِّدين من أَحسن النّاس وُجوهاً؟ فقال : لأَنَّهم خَلَوا بالرَّحمن ، فأَلبسهم نُوراً من نُوره .

• وقال[2] بعضهم : لا تفوتُ أَحداً صلاةٌ في جماعةٍ إِلاّ بذنبٍ .

• وكانت[3] رابعة العَدَوِيّة تُصَلّي في اليوم واللَّيلة أَلف ركعة ، وتقول : والله ما أُريد بها ثواباً ، ولكن لِيُسَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، ويقول للأَنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام : ٱنظروا إِلى امرأَة من أُمَّتي هذا عملها في اليوم واللَّيلة .

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٣٦١) .
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٣٦١) .
(٣) ربيع الأبرار (٢/ ٣٣٦) .

• وقال[1] بعضهم : صلَّيت خلف ذي النُّون المِصريّ ، فلمّا أَراد أَن يُكَبِّر رفع يديه وقال : « الله » ثم بُهت وبقي كأَنَّه جسد لا روح فيه ، إِعظاماً لربِّه جلَّ وعَلا ، ثم قال : « الله أَكبر » فظننت أَنَّ قلبي انخلع من هيبةِ تكبيره .

• وقيل[1] : أَوحى الله تعالى إِلى داود عليه السَّلام : « يا داود ، كذَب من ادَّعى محبَّتي ، وإِذا جنَّ عليه اللَّيل نام عنِّي ، أَليس كُلُّ محبٍّ يحبُّ الخلوةَ بحبيبه؟ » .

• ولعبد الله بن المبارك رَضِيَ اللهُ تعالى عنه[2] : [من الوافر]

إِذا مـا اللَّيـلُ أَظلَـمَ كـابَـدوهُ ... فَيُسْفِـرُ عَنْهُـم وَهُـمُ رُكُـوعُ

أَطـارَ الخَـوْفُ نَـوْمَهُـمُ فَقَـامُـوا ... وأَهْـلُ الأَمْـنِ فـي الـدُّنيا هُجـوعُ

• وكان سَيِّدي الشَّيخ الإمام العلاّمة فتح الدِّين بن أَمين الحُكْم النَّحريري رحمه الله[3] ، كثيراً ما يتمثَّل بهذه الأَبيات : [من السريع]

يـا أَيُّهـا الـرَّاقِـدُ كَـمْ تَـرْقُـدُ ... قُـمْ يـا حَبيبي قَـدْ دَنَـا المَـوْعِـدُ

وَخُـذْ مِـنَ اللَّيْـلِ وَلَـو سـاعَـةً ... تَحْـظَ إِذا مـا هَجَـعَ الـرّاقِـدُ[4]

مَـنْ نَـامَ حَتَّـى يَنْقَضِـي لَيْلُـهُ ... لَـمْ يَبْلُـغِ المَنْـزِلَ لَـوْ يَجْهَـدُ[5]

(قـلْ لـذوي الأَلبـابِ أَهـل التُّقـى ... قَنْطَـرَةُ العَـرْضِ لَكُـمْ مَـوْعِـدُ)[6]

• وكان[7] سيدي أُوَيْس القَرَنِي لا ينام ليلهُ ويقول : ما بالُ الملائكة لا يفترون ونحنُ نفتر .

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٣٦٢-٣٦٣) .

(٢) ديوانه (٥٤) .

(٣) هو محمد بن محمد بن محمد النحريري ، المعروف بابن أمين الحكم ، كان كثير المجاورة بالحرمين ؛ توفي بالقاهرة سنة ٨٢٢هـ . (إنباء الغمر (٧/ ٣٧١) ، وذيل الدرر الكامنة (٢٧٣) وشذرات الذهب (٩/ ٢٣٠) .

(٤) روايته في ب: وخذ من الليل وساعاته حظّاً . .

(٥) روايته في ب: . . . أو يجهد .

(٦) من أ .

(٧) ربيع الأبرار (٢/ ٣٦٥) .

• وقال[1] حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كان رَسُولُ اللهِ ﷺ إذا حَزَبَهُ أمرٌ فزع إلى الصَّلاة».

• وقال[1] هشام بن عُروة: كان أَبي يُطيلُ المكتوبةَ ويقول: هي رأسُ المال.

• وقالَ[2] أبو الطُّفيل: «سمعتُ أبا بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه يقول: «يا أيُّها الناس، قوموا إلى نيرانكم فأطفئوها؛ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «الصَّلاةُ إلى الصَّلاةِ كفّارةٌ لِما بينهما ما اجتُنبت الكبائر».

• وجزّأ[3] محمَّد بن المُنْكدر اللَّيل عليه وعلى أُمّه وعلى أُخته، أثلاثاً؛ فماتت أُخته، فجزَّأه عليه وعلى أُمّه، فماتت أُمُّه، فقام اللَّيل كُلَّه.

• وكان[4] مسلم بن يسار إذا أَراد أَن يُصلّي في بيته يقول لأَهله: تحدَّثوا، فلستُ أَسمع حديثكم؛ وكان إذا دخل البيتَ سكت أَهلُه، فلا يُسمع لهم كلامٌ، فإذا قام إلى الصَّلاة تكَلَّموا وضحكوا؛ ووقع حريق إلى جَنْبِهِ وهو في الصَّلاة فما شعر به حتَّى أُطفىءَ.

• وكان[5] الحَمام يقع على رأس ابن الزُّبير في المسجد الحرام، يحسبه جِذْعاً مَنصوباً، لِطُول انتصابه في الصَّلاة.

• وكانت[5] العصافير تقع على ظهر إبراهيم بن شَريك وهو ساجدٌ، كما تقع على الحائط.

• وختم[6] القرآن في ركعةٍ واحدة، أَربعةٌ من الأَئِمَّة: عثمان بن عفّان، وتميم الدّاريّ، وسعيد بن جُبير، وأَبو حنيفة، رضي الله عنهم.

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٣٦٥).
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٣٦٦ و٣٧٥).
(٣) ربيع الأبرار (٢/ ٣٦٧).
(٤) ربيع الأبرار (٢/ ٣٦٨).
(٥) ربيع الأبرار (٢/ ٣٦٩).
(٦) ربيع الأبرار (٢/ ٣٧٠).

• ورأى[1] الأَوزاعيُّ شاباً بين القبر والمنبر يتهجَّدُ ، فلما طلع الفجر استلقى ثم قال : عند الصَّباح يَحمدُ القومُ السُّرى ؛ فقال : يا بن أَخي لك ولأَصحابك لا للجمَّالين . [من مجزوء الكامل]

قد خابَ مَنْ ترك الصَّلا ... ة ولم يقُمْ وقت الدُّجى
(فهو المُضيِّع عُمره ... مِن كُلِّ شيءٍ يُرتَجى)[2]

• وكان[1] خلف بن أَيُّوب لا يطرد الذُّباب عن وجهه في الصَّلاة ، فقيل له : كيف تصبر؟ فقال : بلغني أَنَّ الفُسّاق يتصبَّرون تحت السِّياط ليقال : فلان صَبور ؛ وأَنا بين يدي ربِّي ، أَفلا أَصبر على ذباب يقع عليَّ؟

• وقال[3] أبو صفوان بن عوانة : ما من منظر أَحسن من رجل عليه ثيابٌ بيضٌ ، وهو قائمٌ في القمر يصلِّي كأَنَّه يشبه الملائكة .

• وقال[3] الحسن : ما كان في هذه الأمَّة أَعبد من فاطمة عليها السَّلام بنت رسول الله ﷺ ، كانت تقوم بالأَسحار حتَّى تورَّمت قدماها .

• وقام رسول الله ﷺ حتى تورَّمت قدماه ، وهو المغفور له ما تقدَّم من ذَنْبه وما تأَخَّر ؛ وكانت دُموعه تقع في مُصَلاه كَوَكْفِ المطر .

• وكان إِبراهيم الخليل عليه الصَّلاة والسَّلام يُسمع لقلبه خَفقانٌ وغليان .

• هذا خوف الحبيب والخليل مع ما أُعطيا من الإجلال والإِكرام وشرف المقام ؛ فالعجب كيف يطمئن قلب من أَزعجَتْه الآثام! .

• وقال[4] رسول الله ﷺ لرجل قال له : ادْعُ اللهَ أَن يجعلني رفيقَك في الجنَّة؟ فقال : « أَعِنِّي على نفسك بكثرة السُّجود » .

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٣٧١) .
(٢) من ب .
(٣) ربيع الأبرار (٢/ ٣٧٢) .
(٤) ربيع الأبرار (٢/ ٣٧٥-٣٧٦) .

• وقال[1] حاتم الأَصمُّ رحمه الله تعالى : « فاتتني صلاة الجماعة مرَّة فعزّاني أَبو إسحاق البُخاري وحدَه ، ولو مات لي ولد لعزّاني أكثر من عشرة آلاف ، لأن مُصيبة الدِّين عندهم أَهون من مُصيبة الدُّنيا » .

• وكان السَّلف رضي الله عنهم يعزُّون أَنفسهم ثلاثة أيّامٍ إذا فاتتهم التَّكبيرة الأُولى ، وسبعاً إذا فاتتهم الجماعة .

• وقال[1] ابن عبّاس رضي الله عنهما : ركعتان مقتصدتان في تَفَكُّرٍ ، خيرٌ من قيام ليلةٍ والقلبُ ساهٍ .

• ولبعضهم : [من الكامل]

خَسِرَ الَّذي تَرَكَ الصَّلاةَ وخابا	وأَبى مَعاداً صالِحاً ومَآبا
إن كانَ يَجْحَدُهَا فَحَسْبُكَ أَنَّه	أَضحى بِرَبِّك كافِراً مُرْتابا
أَو كان يتركُها لِنَوْعِ تكاسُلٍ	غَطَّى على وَجْهِ الصَّوابِ حِجابا
فالشَّافعيُّ ومالِكٌ رَأْيا لَهُ	إنْ لم يَتُبْ حَدَّ الحُسام عِقابا
والرَّأيُ عندي للإمام عَذابُه	بِجميعِ تأديبٍ يَراهُ صَوابا

• اللَّهمَّ أَعِنّا على الصّلاة ، وتقبّلها منا بكرمك ، ولا تجعلنا من الغافلين ، برحمتك يا أَرحم الرّاحمين ؛ وصلّى الله على سيّدنا محمَّد وآله وصحبه أَجمعين .

• وممَّا يُستحسن إلحاقه بهذا الفصل : **ذكرُ شيءٍ من فَضْلِ السِّواكِ والأَذان** .

• **أَمّا السِّواك :**

• فقد قال رسول الله ﷺ : « **لولا أَنْ أَشُقَّ على أُمَّتي لأَمرتُهم بالسِّواك عند كلِّ صلاة** » .

• وقال أيضاً[2] : « **صلاةٌ على أَثر سِواكٍ أَفضل من خَمسٍ وسبعين صلاةً على غير سِواك** » .

---

(1) ربيع الأبرار (٢/ ٣٧٥ـ٣٧٦) .
(2) ربيع الأبرار (٢/ ٣٨٠) .

• وقال[1] حذيفة بن اليَمان رضي الله عنه : « كان رسول الله ﷺ إذا قام ليتهجَّدَ شاصَ فاهُ[2] بالسِّواك » .

• وقال[3] ﷺ : « السِّواكُ مَطْهَرَةٌ لِلفَم مَرضاةٌ للرَّبِّ » .

• وعنهُ[4] ﷺ أَنَّه قال : « لو يعلمُ النّاسُ ما في السِّواك لباتَ مع الرَّجل في لِحافه » .

• وقال أيضاً : « أَفواهُكم طُرُقٌ لكلام ربِّكم فنَظِّفوها » .

• والاختيار[4] في السِّواك أَن يكون بِعُود الأَراك ، ويُجزِىءُ بغيره من العيدان ، وبالسَّعْدِ والأُشنان ، والخِرْقَة الخَشِنَة وغير ذلك ممّا يُنَظِّف .

• ويُستاك عَرْضاً مُبتدئاً بالجانب الأَيمن من فَمه ، وينوي به الإِتيان بالسُّنَّة ؛ والسِّواك بعود الزَّيتون يُزيل الحُفَر من الأَسنان .

• وقال الأَصحاب : يقول عند السِّواك : «اللَّهمَّ بارك لي فيه يا أَرحم الرّاحمين» .

• ويُستاك في ظاهر الأَسنان وباطنها ، ويُمِرُّ السِّواكَ على أطراف أَسنانه وأَضراسه وسَقْف حَلْقه إمراراً لطيفاً ، ويُستاك بعودٍ متوسِّطٍ لا شديدِ اليبُوسة ولا شديد اللِّين ، فإِن اشتدَّ يُبسه لَيَّنه بالماءِ .

• وقد قيل : إِنَّ من فضائل السِّواك ، أَنَّه يُذَكِّر الشَّهادة عند الموت ، ويُسهِّل خروجَ الرُّوح .

• وأَمّا الأَذان : فقد رُوي عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قالَ[5] : « يدُ الرَّحمن على رأس المؤَذِّن حتّى يفرغَ من أَذانه » .

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٣٨٠) .
(٢) زاد في ب: أي غسل ودلك .
(٣) ربيع الأبرار (٢/ ٣٨١) .
(٤) الأذكار للإمام النووي (١٦٠) .
(٥) ربيع الأبرار (٢/ ٣٨٢) .

• قيل[1] في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [فصلت : ٤١/٣٣] : نزلت في المُؤَذِّنين .

• وعن[1] أبي سَعيد الخُدْريّ[2] رضي الله عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ قال : « يَغْفِرُ الله للمؤذِّن مَدى صوته ، ويشهدُ له ما سَمعه من رطبٍ ويابس » .

• وعن معاوية رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « المؤذِّنون أَطولُ النّاس أَعناقاً يوم القيامة » . رواهُ مُسلم[3] .

• وعن أَبي هُريرة رضي الله عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ قال : « إذا نُودي للصَّلاة أَدبَر الشَّيطان وله ضُراطٌ ، حتّى لا يَسمع التّأذين » . رواه البُخاري ، ومسلم[4] .

• وعن أَبي سَعيد الخُدريّ رضي الله عنه ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لا يَسمعُ مَدى صوتِ المُؤذِّن جِنٌّ وَلا إِنْسٌ وَلا شيءٌ إلاّ شهدَ له يوم القيامة » . رواه البخاري[5] .

• والأحاديث في فضله كثيرةٌ مشهورةٌ ، والله سُبحانه وتعالى أَعلم .

الفصل الثالث

في الزَّكاة وفضلها

• قرن الله سبحانه وتعالى الزَّكاة بالصَّلاة في مواضع شتَّى من كتابه .

• قال الله تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة : ٢/٤٣] .

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٣٨٢) .
(٢) وزاد في ب: هو بالدّال المهملة .
(٣) صحيح مسلم (١/ ٢٩٠) رقم (٣٨٧) .
(٤) البخاري (١/ ١٥١) ومسلم (١/ ٢٩١) رقم (٣٨٩) .
(٥) البخاري (١/ ١٥١) (كتاب الأذان) .

• وقال تعالى : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾ [النور : ٢٤/ ٣٧] .

• وقال تعالى : ﴿ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة : ٩٨/ ٥] .

• وعن[1] بُريدَة رضي الله عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال : « ما حَبس قومٌ الزَّكاة إلاَّ حَبس الله عنهم القَطْرَ » .

• وعن[1] عائشة رضي الله عنها ، عن النَّبيِّ ﷺ قال : « ما خالَطَتِ الزَّكاة مالاً قطُّ إلاَّ أَهلكته » .

• وعن[1] ابن عبَّاس رضي الله تعالى عنهما ، عن النَّبيِّ ﷺ قال : « من كان عنده ما يزكَّى ولم يزكِّ ، ومن كان عنده ما يحجُّ ولم يحجَّ ، سأَل الرَّجعة » . يعني قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ [المؤمنون : ٢٣/ ٩٩-١٠٠] » .

ولْنلحق بهذا الفصل ذكرَ شيءٍ من **الصَّدَقة وفضلها** ، وما جاء فيها ، وما أَعد الله تعالى للمتصدِّقين من الأَجر والثواب ، ودفع البلاء .

• قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ [يوسف : ١٢/ ٨٨] .

• وقال تعالى : ﴿ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ ﴾ الآية [الأحزاب : ٣٣/ ٣٥] .

• والآيات الكريمة في ذلك كثيرة ، والأَحاديث الصحيحة فيه مشهورة .

• وروى التِّرمذيّ في « جامعه »[2] بسنده ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « خير الأَصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخيرُ الجيران عند الله خيرهم لجاره » .

• وفي « صحيح مسلم » ، و« مُوطَّأ مالك » ، و« جامع التِّرمذيّ »[3] ، عن

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٣٨٨) .
(٢) سنن الترمذي (٤/ ٢٩٤) رقم (١٩٤٤) .
(٣) مسلم (٤/ ٢٠٠١) رقم (٥٥٨٨) ومالك (٢/ ١٠٠٠) (كتاب الصدقة رقم ١٢) والترمذي (٤/ ٣٣٠) رقم (٢٠٢٩) .

أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما نقص مال من صدقة » . أو قال : « ما نقصت صدقةٌ من مال ، وما زاد الله عبداً بعَفْوٍ إلاَّ عِزّاً ، وما تَواضع عبدٌ لله إلاَّ رفعه الله تعالى » .

● ودخلت[1] امرأَةٌ شلاَّءُ على عائشة رضي الله عنها ، فقالت : « كان أَبي يحبُّ الصَّدقة وأُمي تُبغضها ، لم تتصدَّق في عُمرها إلاَّ بقطعة شَحْم وخَلَقَة ، فرأَيتُ في المنام كأَنَّ القيامة قد قامت ، وكأَنَّ أُمِّي قد غَطَّت عَورتها بالخَلَقَة ، وفي يدها الشَّحمةُ تلحسُها من العطش ، فذهبتُ إلى أَبي وهو على حافَّة حوض يسقي النَّاس ، فطلبتُ منه قَدَحَ ماء فسقيتُ أمِّي ، فَنُوديت من فوقي : أَلا مَن سقاها ، فَشَلَّ الله يَدها ؛ فانتبهتُ كما ترين » .

● ووقف[2] سائل على امرأَة وهي تتعشَّى ، فقامت فوضعت لُقمةً في فيه ، ثم بكرت إلى زوجها في مزرعته ، فوضعت ولدها عنده ، وقامت لحاجة تريد قضاءَها ، فاختلسه الذِّئبُ ، فوقفت وقالت : « يا ربِّ ، وَلدي » ، فأتاها آتٍ فأَخذ بعنق الذِّئب ، فاستخرجَت وَلدها من فيه بغير أذىً ولا ضَرر ، فقيل لها : « هذه اللُّقمة بتلك اللُّقمة التي وضعتِها في فم السَّائل » .

● وعشَّش[3] وَرِشانٌ[4] في شجرة في دار رجل ، فلمَّا هَمَّت فراخُه بالطَّيران ، زَيَّنَت امرأَة ذلك الرَّجُل له أَخذ فراخ ذلك الورشان ففعل ذلك مراراً ، وكلَّما فرَّخ الورشان أخذوا فراخَه ، فشكا الورشان ذلك إلى سليمان عليه السَّلام وقال : يا رسول الله ، أَردتُ أَن يكون لي أولاد يذكرون الله تعالى من بعدي ، فأَخذها الرَّجل بأَمر امرأَته ؛ ثم أعاد الورشان الشَّكوى ، فقال سُليمان

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٣٩٠) .
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٣٩١) والفرج بعد الشدة (٤/ ١٣٣) وحياة الحيوان ١/ ٥١٧ .
(٣) ربيع الأبرار ٢/ ٣٩١ . والفرج بعد الشدة (٤/ ١٣٣) .
(٤) الورشان: هو ذكر القماري ، وقيل: إنه طائر يتولد بين الفاختة والحمامة . (حياة الحيوان ٢/ ٤١٤) .

لشيطانَينِ : « إذا رأيتُماه يصعدُ الشَّجرة ، فشُقَّاه نِصْفَين » . فلمَّا أَراد الرجلِ أن يصعد الشَّجرة ، اعترضه سائل فأطعمه كِسْرَةً من خُبزِ شعيرٍ ، ثم صعد وأخذ الأَفراخ على عادته ، فشكا الورشان ذلك إلى سُليمان عليه السَّلام ، فقال للشَّيطانين : « أَلم تفعلا ما أمرتُكُما به »؟ فقالا : « اعترضنا مَلَكان فطرحانا في الخافِقَيْن » .

- وقال النَّخَعيّ[1] : كانوا يَرَون أنَّ الرَّجلَ المظلوم إذا تصدَّق بشيءٍ دُفع عنه البلاءُ .

- وكان[1] الرَّجل يضع الصَّدقة في يد الفقير ، ويتمثَّلُ قائماً بين يديه ، يسأَله قبولها حتى يكونَ هو في صُورة السَّائل .

- وقال[2] رسول الله ﷺ : « الصَّدقةُ تَسُدُّ سبعين باباً من الشَّرِّ » .

- وعنه[2] ﷺ قال : « رُدُّوا مَذَمَّةَ السَّائِلِ ولو بمثل راس الطَّائر من الطَّعام » .

- ورُوي عنه ﷺ أنَّه قال : « رُدُّوا مَذَمَّة السَّائِلِ ولو بِظِلْفٍ مُحْرَقٍ » .

- وعنه[2] أيضاً ﷺ : « اتَّقوا النَّار ولو بِشِقِّ تَمرَةٍ » .

- وقال[2] عيسى صلوات الله وسلامه عليه : « مَن ردَّ سائِلاً خائباً ، لم تَغْشَ الملائكةُ ذلك البيتَ سبعةَ أيَّام » .

- وكان[2] نبيُّنا محمَّد ﷺ يُناول المسكينَ بيده .

- وعنه[2] ﷺ : « ما من مُسلم يكسو مُسلماً ثوباً ، إلاَّ كان في حِفْظِ اللهِ ما كانت عليهِ منه رُقعةٌ .

- وقال[2] عبد العزيز بن عُمير : « الصَّلاة تُبلغك نصفَ الطَّريق ، والصَّوم يبلغك باب الملِك ، والصَّدقة تُدخلك عليه » .

- وعن[3] الرَّبيع بن خُثَيم ، أنَّه خرج في ليلةٍ شاتيةٍ وعليه بُرْنُس خَزّ ، فرأَى

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٣٩٢) .
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٣٩٣) .
(٣) ربيع الأبرار (٢/ ٣٩٤) .

سائلاً فأَعطاه إِيّاه ، وتلا قوله تعالى : ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران : ٣/ ٩٢] .

• ورُوي عن رسول الله ﷺ أَنّه قال : « لا يَرُدُّ القضاءَ إِلاَّ الدُّعاء ، ولا يزيد في العُمرِ إِلاَّ البِرُّ ، وإِنَّ سُوءَ الخُلُقِ شُؤْم ، وحُسْنُ المَلَكَةِ نَماءٌ ، والصَّدَقَةُ تدفعُ مِيْتَةَ السُّوءِ » .

• وقال(١) يحيى بن مُعاذ : ما أَعرفُ حبَّةً تزنُ جبال الدُّنيا إِلاَّ من الصَّدقة .

• وعن(١) عمر رضي الله عنه : إِنَّ الأَعمال تَباهَت ، فقالت الصَّدقة : أَنا أَفضلكنَّ .

• وعن أَبي هُريرة رضي الله عنه ، أَنَّ رسول الله ﷺ قال : « تداركوا الهُموم والغُموم بالصَّدقات ، يدفعِ الله ضُرَّكم وينصرْكم على عَدُوِّكم » .

• وعن(٢) عُبيد بن عُمير قال : يُحشر النَّاسُ يوم القيامة أَجْوَعَ ما كانوا قطّ ، وأَعطشَ ما كانوا قطّ ؛ فمن أَطعم لله أَشبعه الله ، ومن سَقى لله سقاه الله ، ومن كسا لله كساه الله .

• وقال(٢) الشعبي : مَن لم ير نفسه إِلى ثوابِ الصَّدقة أَحوجَ من الفقير إِلى صدقته ، فقد أَبطل صدقته ، وضُرب بها وَجهُهُ .

• وكان(٣) الحسن بن صالح إِذا جاءه سائل ، فإِن كان عنده ذَهَبٌ أَو فضَّة أَو طعام أَعطاه ، فإِن لم يكن عنده من ذلك شيءٌ أَعطاه دُهناً أَو غيره ممَّا يُنتفع به ، فإِن لم يكن عنده شيءٌ أَعطاه كُحْلاً ، أَو أَخرج إِبرةً وخيطاً فرقَّع بهما ثوبَ السَّائل .

• وَوَجَّه(٤) رجلٌ ابنَه في تجارةٍ ، فمضت عليه أَشهرٌ ولم يقع له على خبر ،

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٣٩٤) .
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٣٩٥) .
(٣) ربيع الأبرار (٢/ ٣٩٦) .
(٤) ربيع الأبرار (٢/ ٣٩٧) .

فتصدَّقَ برغِيفينِ وأرَّخ ذلك اليوم ، فلمَّا كان بعد سنة رجعِ ابنه سالماً رابحاً ، فسأله أبوه : هل أصابك في سفرك بلاء أو شدَّة؟ قال : نعم ، غَرِقَت السَّفينة بنا في وسط البحر ، وغرقتُ في جملة النَّاس ، وإذا بشابَّين أخذاني فطرحاني على الشَّطِّ ، وقالا لي : قل لوالدك : هذا برغيفين ، فكيف لو تصدقت بأكثر من ذلك؟ .

● وقال[1] عليٌّ رضي الله تعالى عنه وكرَّم الله وجهه : « إذا وجدت من أهل الفاقة مَن يحمل لك زادك ، فيوافيك به حيث تحتاج إليه ، فاغتنم حمله إيّاه » .

● ولله دَرُّ القائل حيث قال : [من السريع]

يَبكي على الذّاهب من مالِهِ وإنَّما يَبْقى الّذي يَذْهَبُ

● وحُكي[2] أنَّ رجلاً عَبَدَ الله سبعين سنة ، فبينما هو في مُتَعَبَّده ذات ليلة إذ وقفت به امرأة جميلة فسألته أن يفتح لها ، وكانت ليلة شاتية فلم يلتفت إليها ، وأقبل على عبادته ، فولَّت المرأة ، فنظر إليها ، فأعجبته فملكت قلبه وسلبت لُبَّه ، فترك العبادة وتبعها وقال : إلى أين؟ فقالت : إلى حيثُ أُريد ؛ فقال : هيهات ، صار المراد مُريداً ، والأحرار عبيداً ؛ ثم جذَبها فأدخلها مكانه ، فأقامت عنده سبعة أيام ، فعند ذلك تذكَّر ما كان فيه من العبادة ، وكيف باع عبادة سبعين سنة بمعصية سبعة أيّام ، فبكى حتَّى غُشي عليه ، فلمَّا أفاق قالت له : يا هذا ، والله أنت ما عصيت الله مع غيري ، وأنا ما عصيتُ الله مع غيرك ، وإنِّي أرى في وجهك أثر الصَّلاح ، فبالله عليك إذا صالحك مولاك فاذكرني .

قال : فخرج هائماً على وجهه ، فآواه اللَّيل إلى خَرِبَة فيها عشرةُ عُميان ، وكان بالقُرب منهم راهبٌ يبعث إليهم في كلِّ ليلة بعشرة أرغفةٍ ، فجاء غلامُ الرَّاهب على عادته بالخُبز ، فمدَّ ذلك الرَّجل العاصي يده ، فأخذ رغيفاً ، فبقي منهم رجلٌ لم يأخذ شيئاً ، فقال : أين رغيفي؟ فقال الغلام : قد فرَّقت عليكم

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٣٨٩) .

(٢) التوابين (٧٦) ، ومختصراً في ربيع الأبرار (٣٩٤) .

العشرة . فقال : أَبيتُ طاوياً[1] ، فبكى الرَّجل العاصي وناول الرَّغيف لصاحبه ، وقال لنفسه : أنا أَحقُّ أن أَبيت طاوياً ، لأنَّني عاص ، وهذا مُطيع ؛ فنام واشتدَّ به الجوع حتَّى أَشرف على الهلاك ؛ فأَمر الله تعالى مَلَكَ الموت بقبض روحه ، فاختصمت فيه ملائكة الرَّحمة وملائكة العذاب ؛ فقالت ملائكة الرَّحمة : هذا رجل فَرَّ من ذَنْبه ، وجاء طائعاً ؛ وقالت ملائكة العذاب : بل هو رجلٌ عاصٍ ؛ فأوحى الله تعالى إِليهم : أَن زِنُوا عبادة السَّبعين سنة ، بمعصية السَّبع ليالٍ ، فوزنوها فرجحت المعصية على عبادة السَّبعين سنة ، فأَوحى الله إِليهم : أَن زِنوا معصية السَّبع ليالٍ بالرَّغيف الَّذي آثر به على نفسه ؛ فوزنوا ذلك ، فرجح الرَّغيف ، فتوفَّتْهُ ملائكة الرحمة ، وقَبِلَ الله توبته .

● وحُكي[2] أَنَّ رجلاً جلس يوماً يأكل هو وزوجته ، وبين أَيديهما دَجاجة مشويَّة ، فوقف سائل ببابه ، فخرج إليه وانتهره ، فذهب ، فاتَّفق بعد ذلك أَنَّ الرَّجل افتقر وزالت نعمته ، وطلَّق زوجته ، وتزوَّجت بعده برجل آخر ، فجلس يأكل معها في بعض الأيَّام ، وبين أَيديهما دجاجة مشويّة ، وإذا بسائل يطرق الباب ، فقال الرَّجل لزوجته : ادفعي إليه هذه الدَّجاجة ، فخرجت بها إليه فإذا هو زوجها الأوَّل ، فدفعت إليه الدَّجاجة ورجعت وهي باكية ، فسأَلها زوجها عن بُكائها ، فأَخبرته أَنَّ السائل كان زوجَها ، وذكرت له قصَّتها مع ذلك السَّائل الَّذي انتهره زوجها الأوَّل ، فقال لها زوجها : أنا والله ذلك السَّائل .

● وذُكر عن مَكحول ، أَنَّ رجلاً أَتى إلى أَبي هُريرة رضي الله عنه فقال : ادعُ الله لابني ، فقد وقع في نفسي الخوف من هلاكه ؛ فقال له : ألا أَدُلُّك على ما هو أَنفعُ من دُعائي وأَنجع وأسرع إِجابةً؟ قال : بلى ؛ قال : تصدَّق عنه بصدقة

---

(١) طاوياً : جائعاً .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٣٤٠) . وانظر نثر الدر (٧/ ٤١٠) وحياة الحيوان ١/ ٤٧١ ووفيات الأعيان ١٠٨/٦ .

تنوي بها نجاة ولدك وسلامة ما معه ؛ فخرج الرَّجل من عنده ، وتصدَّق على سائلٍ بدرهمٍ ، وقال : هذا خلاص ولدي وسلامته وما معه ؛ فنادى في تِلك السّاعة مُنادٍ في البحر : أَلا إِن الفداءَ مقبولٌ وزيدٌ مُغاث ؛ فلمَّا قدم سأله أبوه عن حاله فقال : يا أَبت ، لقد رأَيت في البحر عَجَباً ، يوم كذا وكذا في وقت كذا وكذا ـ وهو اليوم الذي تصدَّق فيه والده عنه بالدرهم ـ وذلك أَنَّا أَشرفنا على الهلاك والتَّلف ، فسمعنا صوتاً من الهواء : أَلا إِن الفداء مقبولٌ وزيدٌ مُغاث ، وجاءنا رجالٌ عليهم ثيابٌ بيض ، فقدَّموا السَّفينة إِلى جزيرةٍ كانت بالقرب منّا وسَلمنا وصِرنا بخير أَجمعين .

• والآثار والحكايات في ذلك كثيرة ، وفيما أَشرت إِليه كفاية لمن وعى ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم : ٥٣/٣٩] والله أَعلم .

الفصل الرَّابع

في الصَّوم وفضله ، وما أَعَدَّ الله للصَّائِم من الأَجر والثَّواب

• قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ٢/١٨٣] .

• قيل : الصَّوم عمومٌ وخصوصٌ ، وخصوصُ الخصوص ؛ فصوم العُموم : هو كفُّ البطن والفَرْج وسائر الجوارح عن قصد الشَّهوة ؛ وصوم الخصوص : هو كفُّ السَّمع والبَصَر واللِّسان واليد والرِّجلِ وسائر الجوارح عن الآثام ؛ وصوم خصوص الخصوص : هو صوم القلب عن الهِمَم الدَّنِيَّة ، وكفُّه عمّا سوى الله بالكُلِّيَّة .

• قال[1] رسول الله ﷺ : « زكاةُ الجَسَد الصِّيام » .

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٣٨٤) .

• وعنه[1] ﷺ أنه قال : « للصَّائم فرحتان : فرحة عند إِفطاره ، وفرحة عند لقاء ربه » .

• وقال وكيع في قوله تعالى : ﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة : ٦٩/٢٤] : إنها أَيَّام الصَّوم ، تركوا فيها الأَكل والشُّرب .

• (وسمع بعضُهم رجلاً يقول : ماذا خبّأنا للصّائم؟ فانتبه لنفسه ولزم الصَّوم)[2] .

• وعن[3] أَبي هُريرة رضي الله عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال : « من أَفطر يوماً في رمضان من غير رُخصة رخَّصها الله له ، لم يقضِ عنه صيامُ الدَّهر » .

• ورُوي في « صحيح النَّسائي »[4] عنه أَيضاً ﷺ أَنَّه قال : « إِذا جاء رمضان ، فُتحت أَبواب الجنَّة ، وغُلِّقَت أَبوابُ جهنم ، وسُلْسِلَتِ الشَّياطين » .

• وروى الزُّهريُّ أَنَّ تسبيحةً واحدة في شهر رمضان أَفضلُ من أَلفِ تسبيحةٍ في غيره .

• ورُوي عن قتادة ، أَنَّه كان يقول : من لم يُغفر له في شهر رمضان فلن يُغفر له في غيره .

• وقال رسول الله ﷺ : « لو يعلم النَّاس ما في شهر رمضان من الخير لَتَمَنَّت أُمَّتي أَن يكون رمضان السَّنة كلَّها ، ولو أَذِنَ الله للسَّموات والأَرض أن تتكلما لشَهدتا لمن صام رمضان بالجنَّة » .

• وقال ﷺ : « ليس مِن عبد يصلِّي في ليلة من شهر رمضان إلاَّ كتب الله له بكلِّ ركعة أَلفاً وخمسمئة حسنة ، وبَنى له بيتاً في الجنَّة من ياقوتة حمراء لها سبعون أَلف باب ، لِكلِّ باب منها مِصراعان من ذهب ، وله بكلِّ سَجدةٍ

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٣٨٤) .
(٢) من أ .
(٣) ربيع الأبرار (٢/ ٣٨٦) .
(٤) النسائي (٤/ ١٢٧) رقم (٢٠٩٩ـ٢١٠٣) .

يسجُدُها شجرةٌ يسير الرَّاكب في ظِلِّها مِئة عام » .

- وقال ﷺ : « إنَّ لكلِّ صائمٍ دعوةً ، فإذا أراد أن تُقبل ، فَلْيقُل في كلِّ ليلة عند فِطره : يا واسع المغفرة اغفرْ لي » .

- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « من صام يوماً من رمضان خرج من ذنوبه كيوم وَلَدَته أُمُّه ، فإذا انسلخ عنه الشَّهر وهو حيٌّ لم يكتب عليه خطيئة حتَّى الحول ، ومن عطَّش نفسَه لله في يومٍ شديد الحرِّ من أيَّام الدُّنيا كان حقّاً على الله أن يَرويه يوم القيامة » .

- وقال بعضُهم : الصِّيام زكاة البدن ، ومن صام الدَّهر فقد وهب نفسه لله تعالى .

- ورُوي في « صحيح مُسلم »[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال : « الصَّلوات الخمسُ ، والجمعةُ إلى الجمعةِ ، ورمضانُ إلى رمضان ، مُكَفِّرات لِما بينهنَّ ما اجتُنبت الكبائرُ » .

- وعنه ﷺ أَنَّه قال : « صِيام ثلاثةِ أَيَّام من كلِّ شهر كصيام الدَّهر » وهي الأَيام البِيضُ ، وهي الثَّالث عشر والرَّابع عشر والخامس عشر من كلِّ شهر .

- وفي « صحيح البخاري »[2] عن أبي سَلَمَة ، عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال : « مَن صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تَقَدَّم من ذَنْبِهِ » .

- وفضل الصَّوم غزير ، لأَنَّه خصَّه الله تعالى بالإضافة إليه ، كما ثبت في الصَّحيح من الحديث عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال مُخبراً عن ربِّه عزَّ وجلَّ : « كُلُّ عَمَلِ ابنِ آدمَ له إلاَّ الصَّوم فإنَّه لي وأَنا أَجزي به » .

- وقد يُكتفى في فضله بهذا الحديث الجليل ، وحسبنا الله ونِعم الوكيل .

---

(١) مسلم (١/٢٠٩) رقم (٢٣٣) .

(٢) البخاري (٢/٢٨٨) (كتاب الصوم) .

الفصل الخامس

في الحجِّ وفضله

- قال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران : ٣/ ٩٧] .

- وقال رسول الله ﷺ : « مَن خرج من بيته حاجّاً أو مُعتمراً فمات ، أجرى الله له أَجر الحاجِّ والمعتمر إِلى يوم القيامة » .

- وقال ﷺ : « مَن استطاع الحجَّ ولم يحجَّ ، فَلْيَمُتْ إِن شاء يهوديّاً وإِن شاء نَصرانيّاً » .

- وفي الحديث : « إِنَّ من الذُّنوب ذُنوباً لا يُكَفِّرها إِلاَّ الوقوفُ بعَرَفَة » .

- وفيه : « أَعظمُ النَّاس ذُنوباً مَن وقف بعرفة فظنَّ أَن اللهَ لم يغفرْ له ، وهو أَفضلُ يومٍ في الدُّنيا » .

- وفي الخبر : إِنَّ الحَجَرَ الأَسود ياقوتَةٌ من يواقيت الجنَّة ، وإِنَّه يَبعثه الله يوم القيامة وله عينان ولسان ينطقُ به ، يشهد لمن استلمه بحقٍّ وصدقٍ .

- وجاء[1] في الحديث الصَّحيح : « إِنَّ آدم عليه الصَّلاة والسَّلام لمَّا قَضى مناسكه لقيته الملائكة، فقالوا: بَرَّ حَجُّكَ يا آدمُ، لقد حَجَجنا هذا البيتَ قَبْلك بِأَلفي عام».

- وقال مجاهد[1] : إِنَّ الحُجّاج إِذا قدموا مكَّة لحقتهم الملائكة فسلَّموا على رُكبان الإِبل ، وصافَحوا رُكبان الحُمُر ، واعتنقوا المشاة اعتناقاً .

- وكان[2] من سُنَّة السَّلف رضي الله عنهم أَن يُشَيِّعوا الغُزاة ، ويَستقبلوا

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٣٩٧) .
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٣٩٨) .

الحُجَّاج ويُقَبِّلوهم بين أَعينهم ، ويسألوهم الدُّعاء لهم ، ويُبادروا ذلك قبل أَن يتدنَّسوا بالآثام .

• وعن[1] النَّبيِّ ﷺ : « إِن الله قد وعد هذا البيت أَن يَحُجَّه كلَّ سنةٍ ستُّمئة أَلفٍ ، فإِن نقصوا كمَّلهم الله تعالى من الملائكة ؛ وإِنَّ الكعبة تُحشر يوم القيامة كالعروس المزفوفة ، فكلُّ مَن حجَّها يتعلَّق بأَستارها ويسعى حولها حتَّى تدخل الجنَّة فيدخلُ معها » .

• وحُكي[2] أَنَّ جميلة المَوْصِليّة بنت ناصر الدَّولة أَبي محمّد بن حمدان ، حجَّت سنة ستٍّ وثمانين وثلاثمئة[3] فصارت تاريخاً مذكوراً ؛ قيل : إِنَّها سَقَت أَهل الموسم كلَّهم السَّويق بالطَّبرْزَد[4] والثَّلج ، واستصحبت البُقول المزروعة في المراكن[5] على الجِمال ، وأَعدَّت خمسمئة راحلة للمنقطعين ، ونثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار ، ولم تَسْتَصْبِحْ فيها وعندها إِلاّ بِشُموع العنبر ، وأَعتقت ثلاثمئة عبد ومِئتي جارية ؛ وأَغنت الفقراء والمجاورين .

• ولما[6] بنى آدم عليه الصَّلاة والسَّلام البيت وقال : يا ربِّ ، إِنَّ لكلِّ عامل أَجراً ، فما أَجرُ عملي؟ قال : إِذا طُفْتَ به غَفَرْتُ لك ذُنوبك ؛ قال : زدني . قال : جعلته قِبْلَةً لك ولأَولادك ؛ قال : يا ربِّ زدني ؛ قال : أَغفر لكلِّ من استغفرني من الطَّائفين به من أَهل التوحيد من أَولادك ؛ قال : يا ربِّ حَسْبِي .

• وفي الحديث : « الحجُّ المبرور ليس له جزاء إِلاَّ الجنَّة » .

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٣٩٨) .

(٢) ثمار القلوب (١/ ٣٣٧) ، ربيع الأبرار (٢/ ٤٠٢) ، التذكرة الحمدونية (٢/ ١٠٨) ، لطائف المعارف (٨٢) ثمرات الأوراق (٤٦٨) .

(٣) هذا التاريخ غير صحيح ، وصوابه : سنة ٣٦٦ كما في الثمار ، لأن وفاة جميلة سنة ٣٧١ . (العبر ٢/ ٣٤٦) .

(٤) السَّويق : طعام يتخذ من الحنطة والشعير . والطبرزد : السكر ، معرَّب . (اللسان) .

(٥) جمع مِرْكن : الإجّانة التي تغسل فيها الثياب ، ونحوها . (اللسان) .

(٦) ربيع الأبرار (٢/ ٤٠٣) .

• وقيل[1] للحسن : ما الحجُّ المبرور؟ قال : أَن ترجع زاهداً في الدُّنيا ، راغباً في الآخرة .

• وأَوَّل[2] من كسا الكعبة الدِّيباج : عبد الله بن الزُّبير ؛ وكانت كسوتُها المُسُوحَ والأَنطاع[3] ، وكان يُطَيِّبها حتَّى يوجَد ريحُها من خارج الحرم .

• وكان[4] حكيمُ بن حِزام يُقيم عشيَّة عَرَفَة مِئة بَدَنَةٍ ومِئةَ رَقَبَةٍ ، فيُعْتق الرِّقاب عشيَّة عَرفة ، وينحر البُدْنَ يومَ النَّحر ؛ وكان يطوف بالبيت فيقول : لا إله إلاَّ الله ، وحده لا شريك له ، نِعْمَ الرَّبُّ ونِعْمَ الإِله ، أُحِبُّهُ وأَخشاه .

• ورُؤي[4] الحسنُ بن عليّ رضي الله عنهما يطوف بالبيت ، ثم صار إلى المَقام فصلَّى ركعتين ، ثم وضع خدَّه على المقام فجعل يبكي ويقول : عُبَيْدك ببابِك ، خُوَيْدِمُك ببابِك ، سائِلُك ببابك ، مُسَيْكِيْنُكَ بِبابك ، يردِّد ذلك مِراراً ، ثم انصرف رضي الله عنه ، فمرَّ بمساكينَ معهم فِلَقُ خبزٍ يأكلون ، فسلَّم عليهم فدعوه إلى الطَّعام ، فجلس معهم ، وقال : لولا أنَّه صدقةٌ لأَكلتُ معكم ؛ ثم قال : قوموا بنا إلى منزلي ؛ فتوجَّهوا معه ، فأَطعمهم وكساهم وأَمر لهم بدراهم .

• وحجَّ[5] عبد الله بن جعفر رضي الله عنه ، ومعه ثلاثون راحلةً ، وهو يمشي على رجليه ، حتَّى وقف بعرفات ، فأَعتق ثلاثين مملوكاً ، وحملهم على ثلاثين راحلة ، وأَمر لهم بثلاثين ألفاً ، وقال : أُعتقهم لله تعالى ، لعلَّه يعتقني من النار .

• وقال[6] الحسن بن عليّ رضي الله عنهما : إِنِّي لأَستحيي من ربِّي أَن أَلقاه ولم أَمشِ إلى بيته ؛ فمشى من المدينة إلى مكَّة عشرين مرَّةً .

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٤٠٣) .
(٢) الأوائل (١/ ٦٧) وربيع الأبرار (٢/ ٤١١) .
(٣) المسوح : كساء من شعر . والأنطاع : الجلود .
(٤) ربيع الأبرار (٢/ ٤١٢) وثمرات الأوراق (٤٦٩) .
(٥) ربيع الأبرار (٢/ ٤١٧) وثمرات الأوراق (٤٦٨) .
(٦) ربيع الأبرار (٢/ ٤١٩) .

• ومن لطيف ما أنشد عمرو بن حَيَّان الضَّرير ، حين لم يهد إليه الحُجَّاج شيئاً[1] : [من الطويل]

كأَنَّ الحجيجَ الآنَ لم يَقْرَبوا مِنىٰ ... ولم يَحملوا منها سِواكاً ولا نَعْلا

أَتَـوْنـا فَمـا جـادوا بِعُـودِ أَراكَـةٍ ... ولا وَضَعوا في كَفِّ طِفْلٍ لنا نُقْلا

• وقال غيره : [من الطويل]

يَحُجُّونَ بـالمـالِ الَّـذي يَجْمَعُـونَـهُ ... حَراماً إِلى البيـتِ العَتيـقِ المُحَرَّمِ

وَيَـزْعُـمُ كُـلٌّ مِنْهُـمُ أَنَّ وِزْرَهُ ... يُحَـطُّ وَلكـنْ فَـوْقَـهُ فـي جَهَنَّمِ

• وقال آخر : [من مجزوء الخفيف]

حَـجَّ فـي الـدَّهْـرِ حِجَّـةً ... حَـجَّ فيهـا وأَحْـرَمـا

وأَتـانـا مِـنَ الحِجـا ... زِ كَمـا رَاحَ مُحْـرِمـا

فَهْـو ذو الحِجَّـة الَّـذيمـا ... تَـوَقَّـى مُحَـرَّمـا

• وتخاصم[2] بدويٌّ مع حاجٍّ عند مُنْصَرَفِ النَّاس ، فقيل له : أَتُخاصِم رجلاً من الحُجَّاجِ ؟ فقال : [من الطويل]

يَحُـجُّ لِكَيْمـا يَغْفِـرَ اللهُ ذَنْبَـهُ ... وَيَـرْجِـعَ قَـد حُطَّـتْ عليـهِ ذُنُـوبُ

• وقال أبو الشَّمَقْمَق[3] : [من البسيط]

إِذا حَجَجْـتَ بمـالٍ أَصْلُـهُ دَنَـسٌ ... فَما حَجَجْتَ وَلكـنْ حَجَّتِ العِيْرُ

مَـا يَقْبَـلُ اللهُ إِلاَّ كُـلَّ طَيِّبَـةٍ ... ما كُلُّ مَن حَجَّ بَيْتَ اللهِ مَبْرورُ

والله سبحانه وتعالى أعلم .

* * *

---

(١) البيتان له في ربيع الأبرار (٢/ ٤٠٢) وسيكرر الثاني مع بيتين قبلهما في الباب (٤٣) من هذا الكتاب .
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٣٩٨) .
(٣) ديوانه (١٣٧) (ضمن شعراء عباسيّون) وربيع الأبرار (٢/ ٤٠٣) .

الباب الثاني

في العقل والذَّكاء ، والحُمْق وذَمِّه ، وغير ذلك

● نصَّ الله سُبحانه وتعالى في مُحْكَم كتابه العزيز ومُنْزَل خطابه الوجيز ، على شرف العقل ، وقد ضرب الله سبحانه وتعالى الأَمثال وأَوضحها ، وبيّن بدائع مصنوعاته وشرحها ، فقال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [النحل : ١٦/ ١٢]

● وروي[١] عن النَّبي ﷺ أنَّه قال : « أَوَّلُ ما خلق الله تعالى العقل ، فقال له : أَقْبِل ، فأَقْبَل ، ثم قال له : أَدبِرْ ، فأَدبرَ ، فقال عَزَّ مِن قائل : « وعِزَّتي وجَلالي ، ما خلقتُ خَلْقاً أَعزَّ عليَّ منكَ ، بكَ آخذُ وبك أُعطي ، وبكَ أُحاسبُ وبكَ أُعاقبُ » .

● وقال أَهل المعرفة والعلم : العقل جوهر مضيء ، خلقه الله عزَّ وجلَّ في الدِّماغ ، وجعل نورَه في القلب ، يُدرك به المعلومات بالوسائط ، والمحسوسات بالمشاهدة .

● وأعلم[٢] أنَّ العقل ينقسم إلى قسمين : قسم لا يقبل الزِّيادة والنُّقصان ،

---

(١) العقد الفريد (٢/ ٢٤٤) .

(٢) انظر أدب الدنيا والدين (١٣) وما بعد .

وقسم يقبلهما ؛ **فأمّا الأوّلُ** ، فهو العقل الغريزيُّ المشترَك بين العُقلاء ؛ **وأمّا** الثّاني ، فهو العقل التَّجريبيُّ ، وهو مُكْتَسَبٌ ، وتحصُل زيادته بكثرة التَّجارب والوقائع ؛ وباعتبار هذه الحالة يقال : إنَّ الشَّيخَ أكملُ عقلاً وأتمُّ درايةً ، وإنَّ صاحبَ التَّجارب أكثرُ فَهْماً وأرجحُ معرفةً .

• ولهذا قيل : مَن بيَّضت الحوادث سَواد لِمَّتِهِ ، وأَخْلَقَتِ التَّجاربُ لِباس جِدَّتِهِ ، وأراه الله تعالى لكثرة مُمارسته ، تصاريفَ أقداره وأقضيته ، كان جديراً برَزانة العقل ورَجاحة الدِّراية .

• وقد يخصُّ الله تعالى بألطافه الخفيَّة مَن يشاء مِن عباده ، فَيُفيض عليه من خزائن مواهبه رزانَة عقل وزيادةَ معرفةٍ ، تُخرجه عن حد الاكتساب ، ويصير بها راجحاً على ذوي التَّجارب والآداب ؛ ويدلُّ على ذلك قصة يحيى بن زكريّا عليهما السَّلام ، فيما أخبر الله تعالى به في مُحكم كتابه العزيز حيث يقول : ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم : ١٩/ ١٢] .

• فَمَن سَبقت له سابقةٌ من الله تعالى في قسم السَّعادة ، وأدركته عنايةٌ أزليَّة ، أَشرقت على باطنه أنوارٌ مَلكوتيَّةٌ وهدايةٌ ربَّانيةٌ ، فاتَّصف بالذَّكاء والفطنة قَلْبُهُ ، وأَسفرَ عن وجهِ الإصابة ظَنُّهُ ، وإن كان حَدَثَ السِّنِّ قليلَ التَّجربة ؛ كما نُقل في قصَّة سُليمان بن داود عليهما السَّلام وهو صبيٌّ ، حيث ردَّ حُكم أبيه داود عليه السَّلام في أمر الغنَم والحَرْث .

• وشَرْحُ ذلك فيما نقله المفسِّرون[1] ، أنَّ رجلين دخلا على داود عليه السَّلام ، أحدهما صاحبُ غنَمٍ ، والآخر صاحبُ حَرْثٍ . فقال أحدهما : إنَّ هذا دخلت غنمه باللّيل إلى حَرْثي فأهلكَتْهُ وأكلته ولم تُبق لي فيه شيئاً ؛ فقال داود عليه السَّلام : الغَنَمُ لصاحبِ الحَرْثِ عوضاً عن حَرْثِهِ ؛ فلمّا خرجا من عنده مرّا على سُليمان عليه السَّلام ، وكان عُمره إذ ذاك ـ على ما نقله أئمَّة

---

(١) حياة الحيوان ٢/ ١٢٧ وتفسير ابن كثير (٣/ ١٨٦) ، والكشاف (٢/ ٥٧٩) .

التَّفسير - إِحدى عشرةَ سنةً ، فقال لهما : ما حَكَمَ بينكما المَلِكُ؟ فذكرا له ذلك . فقال : غيرُ هذا أرفقُ بالفريقين ؛ فعادا إلى داود عليه السَّلام وقالا له ما قاله ولده سُليمان عليه السَّلام ، فدعاه داود عليه السَّلام وقال له : ما هو الأرفق بالفريقين؟ فقال سُليمان : تُسَلِّم الغنم إلى صاحب الحَرْثِ - وكان الحَرْثُ كَرْماً قد تَدَلَّت عناقيدُه في قول أكثر المفسّرين - فيأْخذُ صاحبُ الكرم الأغنام ، يأكلُ لَبَنَها وينتفعُ بِدَرِّها ونَسْلها ، وتُسَلِّم الكَرْمَ إلى صاحبِ الأَغنام ليقومَ بهِ ، فإِذا عاد الكَرْمُ إِلى هيئَته وصُورَته الَّتي كان عليها ليلة دخَلتِ الغنم إِليه ، سَلَّمَ صاحبُ الكَرْمِ الغَنَمَ إِلى صاحبها وتَسلَّم كَرْمَهُ كما كان بعناقيده وصُورته ؛ فقال له داود : القضاءُ كما قلتَ ؛ وحكَم به كما قال سُليمان عليه السَّلام .

• وفي هذه القِصَّة نزل قولُه تَعالى : ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ [الأنبياء : ٢١/٧٨-٧٩] .

• فهذه المعرفة والدِّراية لم تحصل لسُليمان بكثرة التَّجربة وطول المُدَّة ، بل حصلت بعنايةٍ ربّانيَّةٍ وأَلطافٍ إِلهيَّة ، وإِذا قذَف الله تعالى شيئاً من أَنوار مَواهبه في قلب مَن يشاءُ مِن خلقه ، اهتدى إِلى مواقع الصَّواب ، ورَجح على ذوي التَّجارب والاكتساب في كثير من الأَسباب .

• ويُستدلُّ على حصولِ كمالِ العقلِ في الرَّجل بما يُؤخذ منه وما يَصدُر عنه ؛ فإِنَّ العقلَ معنىً لا يُمكن مُشاهدتُهُ ؛ فإِنَّ المشاهدةَ من خصائص الأَجسام .

• فأَقول : يُستدلُّ على عقل الرَّجل بأُمورٍ متعدِّدةٍ ، منها : ميلُه إِلى محاسنِ الأَخلاقِ ، وإِعراضُهُ عن رَذائل الأَعمال ، ورغبتُه في إِسداءِ صنائعِ المعروفِ ، وتجنُّبُه ما يُكسبُهُ عاراً ويُورثُهُ سُوءَ السُّمْعَةِ .

• وقد قيل لبعض الحكماء[1] : بمَ يُعرف عقلُ الرَّجل؟ فقال : بِقِلَّةِ سَقطِهِ في

---

(١) العقد الفريد (٢/ ٢٥١) والقول فيه ليحيى بن خالد .

الكلامِ ، وكثرةِ إصابته فيه ؛ فقيل له : فإنْ كان غائباً ، فقال : بإحدى ثلاثٍ ؛ إمّا برسوله ، وإمّا بكتابه ، وإمّا بهَدِيَّته ؛ فإنَّ رسولَه قائمٌ مقامَ نَفْسِهِ ، وكتابَهُ يَصِفُ نُطقَ لِسانه ، وهديَّتَهُ عُنوانُ هِمَّتِهِ ؛ فبقدر ما يكون فيها من نقص يحكم به على صاحبها .

• وقيل : مِن أكبر الأشياء شهادةً على عقلِ الرَّجل حُسْنُ مُداراتِهِ للنَّاس ، ويكفي أنَّ حُسْنَ المداراة يشهدُ لصاحبه بتوفيق الله تعالى إيّاه ؛ فإنَّه رُوي عن النَّبي ﷺ أنَّه قال : « مَنْ حُرِمَ مُداراةَ النّاسِ فقد حُرِمَ التَّوفيقَ » فمُقتضاه أنَّ مَن رُزِقَ مداراة الناس لم يُحْرَم التَّوفيق .

• وقالوا : العاقل الَّذي يُحسنُ المداراةَ مع أهل زمانه .

• وقال رَسُولُ الله ﷺ : « الجنَّة مِئةُ درجة ، تسعةٌ وتسعون منها لأهل العقل ، وواحدة لسائر النّاس » .

• وقال[1] علي بن عَبيدة : العقل مَلِكٌ ، والخِصالُ رعيَّةٌ ؛ فإذا ضعفَ عن القيامِ عليها وَصَلَ الخَللُ إليها ؛ فسمعه أعرابيٌّ فقال : هذا كلامٌ يقطرُ عَسَلُهُ .

• وقيل : بأيدي العقول تُمسَكُ أَعِنَّةُ النُّفوس ؛ وكُلُّ شيءٍ إذا كثرَ رَخصَ إلاّ العقل ، فإنَّه كلَّما كثر غَلا .

• وقيل : لكل شيء غايةٌ وحَدٌّ ، والعقل لا غايةَ له ولا حَدَّ ، ولكنَّ النَّاسَ يتفاوتون فيه تفاوتَ الأزهار في المروج .

• واختلف الحكماء في ماهِيَّتِهِ ، فقال قومٌ : هو نُورٌ وَضَعَهُ الله طَبْعاً وغريزةً في القلب كالنُّور في العين ، وهو يزيد وينقص ويذهب ويعود ، وكما يُدرَك بالبصر شواهدُ الأُمور كذلك يُدركُ بنُور القلبِ المحجوبُ والمستورُ ، وعَمى القلب كعَمى البصر ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٢٢/٤٦] .

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٣٤) .

● وقيل : مَحَلُّ العقلِ الدِّماغ ، وهو قول أبي حنيفة رحمه الله تعالى ؛ وذهب جماعة إلى أنه في القلب ، كما يُروى عن الشافعي رحمه الله تعالى ، واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾ [الحج : ٢٢/ ٤٦] وبقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ [ق : ٥٠/ ٣٧] أي عَقْل .

● وقالوا[1] : التَّجربة مِرآةُ العقل ، ولذلك حُمِدَت آراءُ المشايخ حتى قالوا : المشايخُ أَشجارُ الوَقار ، لا يَطيشُ لهم سهمٌ ولا يسقطُ لهم وَهْمٌ ، وعليكم بآراء الشيوخ ؛ فإنَّهم إن عَدموا ذكاءَ الطَّبع فقد أفادتهم الأَيّام حيلةً وتجربةً .

● قال الشَّاعر[2] : [من الطويل]

أَلـم تـَرَ أَنَّ العَقْـل زَيْـنٌ لأَهْلِـهِ ... ولكـنْ تمـامُ العَقْلِ طُوْلُ التَّجارِبِ

● وقال آخر[3] : [من الطويل]

إِذا طـالَ عُمْـرُ المَـرْءِ فـي غَيْـرِ آفـةٍ ... أَفـادَتْ لَـهُ الأَيّـامُ فـي كَـرِّهـا عَقْـلا

● وقال عامر بن عبد قيس : إذا عَقَلَكَ عَقْلُكَ عمّا لا يَعنيك فأَنت عاقل .

● ويقال : لا شَرف إلاّ شرف العقل ، ولا غِنى إلاّ غنى النَّفس .

● وقيل : يعيش العاقل بعقله حيث كان ، كما يعيش الأَسد بقُوَّته حيث كان .

● قال الشّاعر[4] : [من الطويل]

إِذا لَـمْ يَكُـنْ لِلْمَـرْءِ عَقْـلٌ فـإِنَّـهُ ... وإِنْ كانَ ذا بَيْتٍ على النَّاس هَيِّنُ

وَمَـنْ كـانَ ذا عَقْـلٍ أُجِـلَّ لِعَقْلِـهِ ... وأَفْضَـلُ عَقْـلٍ عَقـلُ مَـنْ يَتَـدَيَّـنُ

---

(١) سراج الملوك (١/ ٢٧٨) وأدب الدنيا والدين (١٦) .
(٢) البيت بلا نسبة في أدب الدنيا والدين (١٦) وسراج الملوك (١/ ٢٧٨) وروضة العقلاء (٩) والعقد الفريد (٢/ ٢٤٦) .
(٣) البيت بلا نسبة في أدب الدنيا والدين (١٦) وسراج الملوك (١/ ٢٧٨) .
(٤) البيتان بلا نسبة في العقد الفريد (٢/ ٢٥٠) وربيع الأبرار (٤/ ٣٦) .

● وقالوا[1] : العاقل لا تُبطره المنزلة السَّنِيَّة ، كالجبل لا يتزعزعُ وإن اشتدَّت عليه الرِّيح ؛ والجاهل تُبطرهُ أَدنى منزلةٍ ، كالحشيش يحرِّكه أَدنى ريح .

● وقيل[2] لعليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : صف لنا العاقل؟ قال : هو الذي يضع الشيء مواضعه ؛ قيل : فصف لنا الجاهل؟ قال : قد فعلت . يعني : الذي لا يضع الشيء في مواضعه .

● وقال المنصور لولده : خُذْ عَنِّي ثِنْتَين ؛ لا تَقُلْ من غير تفكيرٍ ، ولا تعملْ بغير تدبيرٍ .

● وقال أَزْدَشير : أَربعةٌ تحتاج إِلى أَربعةٍ ، الحَسَبُ إِلى الأَدَب ، والسُّرورُ إِلى الأَمْنِ ، والقَرابةُ إِلى المَوَدَّة ، والعقلُ إِلى التَّجربة .

● وقال كسرى أَنوشروان : أَربعةٌ تُؤَدِّي إِلى أَربعة ؛ العقلُ إِلى الرِّئاسة ، والرَّأيُ إِلى السِّياسة ، والعِلم إِلى التَّصدير ، والحِلْمُ إِلى التَّوقير .

● وقال القاسم بن محمَّد : مَن لم يكن عَقْلُهُ أَغلبَ الخصالِ عليه ، كان حَتْفُهُ في أَغلبِ الخِصال عليه .

● وقيل : أَفضلُ العقل معرفَةُ العاقل بنفسه .

● وقيل : ثلاثةٌ هُنَّ رأسُ العقل ؛ مداراةُ النّاس ، والاقتصادُ في المعيشة ، والتَّحبُّبُ إِلى النَّاس .

● وقيل : مَن أُعجب برأي نفسه بطلَ رأيُهُ ، ومَن ترك الاستماعَ من ذوي العقول مات عقلُهُ .

● وعن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهُ ، أَنَّه قال : أَهلُ مِصر أَعقلُ النّاسِ صغاراً ، وأَرحمُهم كباراً .

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٣٨) .
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٣٨) .

• وقيل : العاقل المحروم خيرٌ من الأَحمق المرزوق .

• وقيل : لا ينبغي للعاقل أَن يمدحَ امرأَةً حَتَّى تموتَ ، ولا طعاماً حتَّى يَسْتَمْرِئَهُ ، ولا يثقَ بخليلٍ حتّى يستقرضَه .

• وقيل : طولُ اللِّحيةِ أَمانٌ من العقل .

• وسُئل بعضهم : ايُّما أَحمدُ في الصِّبا الحياءُ أَم الخوف؟ قال : الحياء ، لأَنَّ الحياءَ يدلُّ على العقل ، والخوفُ يدل على الجُبن .

• وقيل : غَضَبُ العاقل في فِعله ، وغَضَبُ الجاهل في قوله .

• وقال[1] أبو الدَّرداء رَضِيَ اللهُ عَنهُ : قال لي رَسُولُ اللهِ ﷺ : يا عُوَيْمِر ، اَزْدَدْ عَقْلاً تَزْدَدْ من الله تعالى قُرْباً » قُلتُ : بأَبي وأُمِّي ، ومَن لي بالعقل؟ قال : « اَجتنبْ محارمَ الله تعالى ، وأَدِّ فرائضَ الله تعالى تكنْ عاقلاً ، ثم تَنَفَّل بصالحِ الأَعمال تزددْ في الدُّنيا عَقْلاً ، وتزدد من اللهِ قُرْباً وعليه عزّاً » .

• وحكى بعضُ أَهل المعرفة قال : حياةُ النَّفسِ بالرُّوح ، وحياة الرُّوح بالذِّكر ، وحياةُ القلبِ بالعقل ، وحياةُ العقل بالعلم .

• ويُروى عن عليّ بن أَبي طالبٍ كرَّم الله وجهه ، أَنَّه كان يُنشد هذه الأَبيات ويترنَّمُ بها[2] : [من البسيط]

إِنَّ المَكَـــارِمَ أَخــلاقٌ مُطهَّــرَةٌ ... فــالعَقْـلُ أَوَّلُهَـا والـدِّيْـنُ ثـانيهـا

والعِلْـمُ ثـالِثُهـا والحِلْـمُ رابِعُهـا ... والجُودُ خامِسُها والعُرْفُ ساديها

والبِـرُّ سـابِعُهـا والصَّبْـرُ ثـامِنُهـا ... والشُّكْـرُ تـاسِعُهـا واللِّيـنُ عـاشِيهـا

---

(١) أدب الدنيا والدين (٢٧) .

(٢) الأبيات للإمام علي في أدب الدنيا والدين (٢٩) وسراج الملوك (١/ ٢٨٣) وبلا نسبة في روضة العقلاء ١٢ و٨٩ ولأبي العتاهية في المناقب والمثالب لريحان الخوارزمي رقم ١١٨ وليست في ديوانه .

والعَيـنُ تَعْلَـمُ مِـنْ عَيْنَـيْ مُحَـدِّثِهـا إِنْ كانَ مِن حِزْبِها أَو مِنْ أَعاديها
والنَّفْـسُ تَعْلَـمُ أَنِّـي لا أُصَـدِّقُهـا وَلَسْـتُ أَرْشُـدُ إِلا حيـنَ أَعْصيهـا

• وقال[1] بعضُ الحُكماء : العاقلُ مِن عقله في إرشاد ، ومن رأيه في إمداد ؛ فقولُه سديدٌ ، وفِعْلُهُ حَميدٌ ؛ والجاهلُ مِن جَهله في إغرارٍ ، فقولُه سقيمٌ ، وفِعله ذَميمٌ .

• ولا يُكتفى في الدِّلالة على عقل الرَّجل ، والاغترار بحُسن مَلبسه ، ومَلاحة سَمْتِهِ ، وتَسريح لِحْيَته ، وكثرةِ صَلفته ، ونَظافة بِزَّته ، إِذْ كَمْ من كَنيفٍ مُبَيَّضٍ ، وجِلْدٍ مُفَضَّضٍ .

• وقد قال الأَصمعيُّ : رأيتُ بالبصرةِ شيخاً لهُ منظرٌ حَسَنٌ وعليه ثيابٌ فاخرةٌ ، وحولَه حاشيةٌ وهَرَجٌ ، وعنده دَخْلٌ وخَرْجٌ ، فأَردتُ أَن أَختبرَ عقله فسلَّمْتُ عليه وقلتُ : ما كُنية سيِّدنا؟ فقال : أَبو عبد الرَّحمِن الرَّحيم مالِكِ يوم الدِّين ؛ قال الأَصمعيُّ : فضحكتُ منه ، وعلمتُ قلَّة عقله وكثرة جهله ، ولم يدفع ذلك عنه غزارةُ خَرْجِهِ وَدَخْلِهِ .

• وقد يكون الرجل موسوماً بالعقل ، مرموقاً بعين الفضل ، فيصدر منه حالة تكشف عن حقيقة حاله ، وتشهد عليه بقلة عقله واختلاله .

• وقيل[2] : إنَّ إِياس بن معاوية القاضي كان من أكابر العقلاء ، وكان عقله يهديه إِلى سلوك طُرقٍ لا يكاد يسلكها مَن لم يهتدِ إِليها ، فكان من جُملة الوقائع الَّتي صَدَرت منه وشهدَت له بالعقل الرّاجحِ والفكر القادِح ، أَنَّه كان في زمانه رجل مشهور بين النّاس بالأَمانة ، فاتَّفق أَنَّ رجلاً أَراد أَن يَحُجَّ ، فأَودع عند ذلك الرَّجل الأَمين كيساً فيه جملة من الذَّهب ، ثم حجَّ ، فلمّا عاد من حَجِّه جاء إِلى

---

(١) الخبر في أخبار الأذكياء (٦٨) والمحاسن والمساوىء (١/ ٢٢١) ومحاضرات الأدباء (١/ ١٩٥) وثمرات الأوراق (١٦٦) .
(٢) سراج الملوك (١/ ٢٨٣) .

ذلك الرَّجل وطلب كيسه منه ، فأنكره وجَحَده ، فجاء إلى القاضي إياس وقصَّ عليه القصَّة ، فقال له القاضي : هل أخبرتَ بذلك أحداً غيري؟ قال : لا ؛ قال : فهل علم الرَّجل أنَّك أتيتَ إليَّ؟ قال : لا ؛ قال : انصرفِ واكتم أمرك ، ثم عد إليَّ بعد غد ؛ فانصرفَ ؛ ثم إنَّ القاضي دعا ذلك الرَّجل المستودَع فقال : قد حصل عندي أموال كثيرة ، ورأيتُ أنْ أُودعَها عندك ، فاذهب وهيِّىء لها موضعاً حصيناً ؛ فمضى ذلك الرَّجل ، وحضر صاحب الوديعة بعد ذهاب الرَّجل ، فقال له القاضي إياس : امض إلى خصمك واطلب منه وديعتك ، فإن جحدك فقل له : امضِ معي إلى القاضي إياس أتحاكم أنا وأنت عنده ؛ فلمّا جاء إليه دفع إليه كيسه ، فجاء إلى القاضي وأعلمه بذلك ؛ ثم إنَّ ذلك الرَّجل المستودَع جاء إلى القاضي طامعاً في تسليم المال ، فسبَّه القاضي وطرده ، وكانت هذه الواقعة ممّا تدلُّ على عقله وصحَّة فِكره .

● ولما[1] مات بعض الخلفاء اختلفت الرّومُ واجتمعت مُلوكها ، فقالوا : الآن يشتغل المسلمون بعضهم ببعض ، فتمكننا الغِرَّة منهم والوثبة عليهم ؛ وعقدوا لذلك المشاورات ، وتراجعوا فيه بالمناظرات ، وأجمعوا على أنَّه فُرصة الدَّهر ؛ وكان رجلٌ منهم من ذوي العقل والمعرفة والرَّأي غائباً عنهم ، فقالوا : من الحزم عرض الرَّأي عليه ؛ فلمّا أخبروه بما أجمعوا عليه قال : لا أرى ذلك صواباً ؛ فسألوه عن عِلَّة ذلك فقال : في غدٍ أُخبركم إن شاء الله تعالى ؛ فلمّا أصبحوا أتَوا إليه وقالوا : قد وعدتنا أن تُخبرنا في هذا اليوم بما عوَّلنا عليه ؛ فقال : سَمْعاً وطاعة ؛ وأمر بإحضار كلبين عظيمين كان قد أعدَّهما ، ثم حرَّش بينهما وحرَّض كلَّ واحد منهما على الآخر ، فتواثبا وتهارشا حتّى سالت دماؤهما ، فلمّا بلغا الغاية فتح بابَ بيتٍ عنده وأرسل على الكلبين ذئباً كان قد أعدَّه لذلك ، فلمّا أبصراه تركا ما كانا عليه ، وتألَّفَتْ

---

(١) سراج الملوك (١/ ٢٨٠) .

قُلوبهما ووثبا جميعاً على الذِّئب فقتلاه ؛ فأَقبل الرَّجل على أَهلِ الجَمْعَ فقال : مَثَلُكُمْ مع المسلمين مَثَلُ هذا الذِّئب مع الكلاب ، ولا يزال الهَرْج بين المسلمين ما لم يظهر لهم عَدُوٌّ من غيرهم ، فإِذا ظهر تركوا العداوة بينهم وتألفوا على العدو ، فاستحسنوا قوله واستصوبوا رأيه ، فهذه صفة العقلاء .

• وأَمَّا ذمّ الحُمْق : فقد قال ابن الأَعرابيّ : الحماقة مأخوذةٌ من : حَمُقَت السُّوق ، إِذا كَسَدَت ، فكأَنَّه كاسِدُ العقل والرَّأي ، فلا يُشاوَرُ ولا يُلتفتُ إِليه في أَمر من الأُمور ؛ والحُمْقُ غريزةٌ لا تنفعُ فيها الحيلة ، وهو داءٌ دواؤُه الموتُ ؛ قال الشّاعر[1] : [من البسيط]

لكــلِّ داءٍ دواءٌ يُسْتَطَــبُّ بِــهِ ... إِلاَّ الحمـاقَـةَ أَعْيَـتْ مَـنْ يُـداويهـا

• والحمقُ مذمومٌ ؛ قال رَسُولُ اللهِ ﷺ : « الأَحمقُ أَبغضُ الخَلْقِ إِلى الله تعالى ، إِذ حَرَمَهُ أَعزَّ الأَشياء عليه وهو العقل » .

• ويُستدلُّ على صفة الأَحمق من حيثُ الصُّورةُ بِطُول اللِّحية ، لأَنَّ مَخرجها من الدِّماغ ، فَمَنْ أَفرطَ طولُ لِحْيَتِهِ قلَّ دماغُه ، ومَن قلَّ دماغه قلَّ عقلُه ، ومن قلَّ عقلُه فهو أَحمق .

• وأَمَّا صِفَتُهُ من حيث الأَفعال : فتركُ نَظَرِهِ في العواقب ، وَثِقَتُهُ بمن لا يعرفه ، والعُجْبُ ، وكثرةُ الكلام ، وسُرعةُ الجَواب ، وكثرةُ الالتفات ، والخُلُوُّ من العِلم ، والعَجَلَةُ ، والخِفَّة ، والسَّفَهُ ، والظُّلْمُ ، والغَفْلَةُ ، والسَّهْوُ ، والخُيَلاء ؛ إن استغنى بَطَر ، وإِن افتقر قَنَط ، وإِن قال أَفحش ، وإِن سُئل بَخل ، وإِن سأَل أَلحَّ ، وإِن قال لم يُحسن ، وإِن قيل له لم يفقه ، وإِن ضحك قهقه ، وإِن بكى صَرَخ ؛ وإِن اعتبرنا هذه الخِلالَ وجدناها في كثير من النّاس ، فلا يكادُ يُعرف العاقل من الأَحمق .

---

(١) البيت بلا نسبة في العقد الفريد (٢/ ٣٥٧) وربيع الأبرار (٢/ ٦١) .

• قال عيسى عليه السَّلام[1] : « عالجتُ الأَبرص والأَكْمَهَ فأَبرأتُهما ، وعالجتُ الأَحمق فأَعياني » .

• والسُّكوت عند الأَحمق جوابُه .

• ونظرَ بعضُ الحكماء إِلى أَحمق على حَجَرٍ ، فقال : حَجَرٌ على حَجَرٍ .

• وحُكيَ[2] : أَنَّ أَحمقين اصطحبا في طريق ، فقال أَحدُهما للآخر : تعالَ نتَمَنَّ على الله ، فإِنَّ الطَّريق تُقطعُ بالحديث ؛ فقال أَحدهما : أَنا أَتمنَّى قطائعَ غنمٍ أَنتفعُ بلبَنِهَا وَلَحْمها وصُوفها ، وقال الآخر : أَنا أَتمنَّى قطائع ذئاب أُرسلها على غنمك حتَّى لا تَترك منها شيئاً ؛ قال : ويحك! أَهذا من حقِّ الصُّحبة وحُرمة العِشْرَة؟ فتصايحا وتخاصما ، واشتدَّت الخصومة بينهما حتَّى تماسكا بالأَطواق ، ثم تراضيا من أَنَّ أَوَّلَ مَن يطلعُ عليهما يكون حَكَماً بينهما ؛ فطلع عليهما شيخٌ بحمارٍ عليه زِقّان من عَسَل ، فحدَّثاه بحديثهما ، فنزل بالزِّقَّين وفتحهما حتَّى سالَ العسل على التُّراب ، ثُمَّ قال : صبَّ الله دَمي مثل هذا العسل إِن لم تكونا أَحمقين .

• وعن[3] جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : كان رجلٌ يتعبَّد في صَومعة ، فأَمطرت السَّماء ، وأَعشبت الأَرض ، فرأَى حماره يرعى في ذلك العشب فقال : يا ربِّ ، لو كان لك حمار لرعيتُه مع حماري هذا ؛ فبلغ ذلك بعضَ الأَنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام ، فهَمَّ أَن يدعوَ عليه ، فأَوحى الله إِليه : لا تَدْعُ عليه ، فإِنِّي أُجازي العباد على قدر عقولهم .

• ويُقال[4] : فلان ذو حُمقٍ وافرٍ ، وعقلٍ نافر ، ليس معه من العقل إِلا ما يوجب حُجَّة الله عليه .

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٦١) .
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٦٣) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٢٩٢) .
(٣) ربيع الأبرار (٢/ ٦٥) وأدب الدنيا والدين (٣١) وحياة الحيوان ١/ ٣٥٨ .
(٤) ربيع الأبرار (٢/ ٦٥) وأدب الدنيا والدين (٣١) .

• وخطب(١) سهيلُ [بن عمرو] هنداً بنتَ عُتبة ، فَحَمَّقَتْهُ ، فقال : [من الطويل]

وما هَـوَجـي يـا هِنـدُ إلاّ سَجِيَّـةٌ   أَجُـرُّ لهـا ذَيْلـي بِحُسـن الخـلائـقِ
وَلو شِئْتُ خادَعْتُ الفَتى عن قَلوصِهِ   ولا طَمْتُ في البَطحاءِ في كلِّ شارِقِ(٢)

• ويقال(٣) للأَبلهِ السَّليم القلب : هو من بَقَرِ الجَنَّةِ ، لا ينطحُ ولا يَرْمَح . وللأَحمق المُؤْذي : هو من بَقَرِ سَقَر .

• والله سبحانه وتعالى أعلم ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم .

* * *



(١) الخبر والبيتان في ربيع الأبرار (٢/ ٦٦) .
(٢) في ط : . . . من كل طارق! .
(٣) ربيع الأبرار (٢/ ٦٥) وأدب الدنيا والدين (٣١) .

الباب الثالث

في القُرآن وفضله وحُرمته ، وما أَعدَّ الله تعالى لقارئه من الثَّواب العظيم والأجر الجسيم

● قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠] .

● وسمَّى الله تعالى القُرآن كريماً ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾ [الواقعة : ٥٦/٧٧-٧٨] ، وسماه حكيماً ، فقال تعالى : ﴿ يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [يس : ٣٦/١-٢] ، وسمّاه مَجيداً ، فقال تعالى : ﴿ قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴾ [ق : ٥٠/١] . أَنزله الله تعالى على سيِّد الأَنام وخاتم الأنبياء الكرام ، وعليه وعليهم أَفضل الصَّلاة والسَّلام ، فكان من أَعظم مُعجزاته ؛ أَعجز الله الفُصحاء عن مُعارضته ، وعن الإِتيان بآية من مثله ، قال تعالى : ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ [يونس : ١٠/٣٨] ، وقال تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء : ١٧/٨٨] فهو النُّور المبين والحقُّ المستبين ، لا شيءَ أَسطعُ من أعلامه ، ولا أَصدعُ من أَحكامه ، ولا أَفصحُ من بلاغته ، ولا أَرجحُ من فصاحته ، ولا أَكثرُ من إِفادته ، ولا أَلذُّ من تِلاوته .

● قال رَسُولُ الله ﷺ : « القُرآن فيه خَبَرُ مَن قَبلكم ، ونَبأُ مَن بَعدكُم ، وحُكم ما بَينكم » .

● وقال أَيضاً ﷺ : « أَصفرُ البيوت جَوفٌ صِفْرٌ مِن كتابِ الله تعالى » .

• وقال الشَّعبيّ : الَّذي يَقرأُ القُرآن إنَّما يُحدِّثُ عن ربِّه عزَّ وجلَّ .

• ووَفَدَ[1] غالب بن صَعصعة على عليّ بن أَبي طالب كرَّم الله وجهه ، ومعه ابنه الفرزدق فقال له : مَن أَنت؟ قال : غالبُ بن صَعصعة ؛ قال : ذو الإِبل الكثيرة؟ قال : نعم ؛ قال : فما فَعَلْتَ بإِبلك؟ قال : أَذْهَبَتْها النَّوائبُ وذَعذَعتها الحقوقُ[2] ؛ قال : ذلك خيرُ سُبلها ؛ ثم قال له : يا أَبا الأَخطل ، مَن هذا الَّذي معك؟ قال : ابني ، وهو شاعر ؛ قال : علِّمه القرآن ، فهو خيرٌ له من الشِّعر ؛ فكان ذلك في نَفسِ الفرزدق حتى قَيَّدَ نفسه وآلى على نفسه أَن لا يَحُلَّ قَيْدَهُ حَتَّى يحفظَ القرآن ، فحفظه في سنة ؛ وفي ذلك قال : [من الطويل]

وما صَبَّ رِجْلي في حَديد مُجاشعٍ ... مـع القَيْـدِ إلا حـاجـةٌ لـي أُريـدُهـا

• وقال أَنس رضي الله عنه : قَالَ لي رَسُولُ الله ﷺ : « يا بُنَيَّ ، لا تغفلْ عن قراءة القُرآن إذا أَصبحت وإِذا أَمسيت ، فإِنَّ القُرآن يُحيي القلبَ الميِّت ، ويَنهى عن الفَحشاء والمُنكر » .

• وحَكى الزمخشريُّ في كتابه « ربيع الأَبرار » قال[3] :

• ومن حكايات الحَشَوِيّة ؛ ما قيل : إِنَّ إبراهيم الخوّاص مرَّ بمصروع ، فأَذَّن في أُذنه ، فناداه الشَّيطان من جَوفه : دعني أَقتله ، فإِنَّه يقول : القرآنُ مخلوقٌ .

• وكان[4] سفيان الثَّوري رحمه الله تعالى إِذا دخل رمضان ترك جميع العبادة ، وأَقبل على قراءة القُرآن .

• وكان[4] الإِمام مالك بن أَنس رحمه الله تعالى ، إِذا دخل شهر رمضان يفرُّ من

---

(1) التذكرة الحمدونية (٢/ ٢٦٤) وشرح نهج البلاغة (٢٠/ ٩٦) ، وربيع الأبرار (٢/ ٢٤٦) .
(2) ذعذعتها الحقوق : أي فرّقتها . (القاموس) .
(3) ربيع الأبرار (٢/ ٣٤٧) .
(4) ربيع الأبرار (٢/ ٣٤٨) .

مُذاكرة الحديث ومُجالسة أَهل العلم ، ويُقبل على القُرآن في المصحف .

• وكان[1] أَبو حنيفة والشَّعبي رحمهما الله تعالى ، يختمان في رمضان ستِّين ختمةً .

• وقال علي رَضِيَ اللهُ تعالى عنه[1] : مَن قرأَ القُرآن فمات ، فدخل النَّار ، فهو ممَّن كان يتَّخذ آياتِ الله هُزُواً .

• وقال الشَّعبي[2] : اللِّسان عَدْلٌ على الأُذُن والقَلب ، فاقرأ قِراءةً تَسمعُها أُذُنك ويَفهمُها قلبُك .

• وقال[2] رسول الله ﷺ : « مَن قرأَ القُرآن ثم رأَى أَنَّ أَحداً أُوتي أَفضلَ ممَّا أُوتي فقد استصغرَ ما عظَّم اللهُ » .

• وعنه ﷺ أَنَّه قال : « إِنَّ القُلوبَ لَتَصْدَأُ كما يَصْدَأُ الحديد » قيل : يا رسول الله ، وما جلاؤُها؟ قال : « قراءةُ القُرآن وذِكرُ الموت » .

• وقال[3] عمرو بن ميمون : مَن نَشَرَ مُصحفاً حين يُصلِّي الصُّبح ، فقرأ مئة آية ، رفع الله له مثلَ عمل جميع أَهل الدُّنيا .

• وقال[4] عليٌّ كرَّم الله وَجهه : مَن قرأ القُرآن وهو قائمٌ في الصَّلاة كان له بكلِّ حرفٍ مئة حسنة ، ومن قرأَه وهو جالسٌ في الصَّلاة فله بكلِّ حرف خمسون حسنةً ، ومن قرأَه في غير صلاة وهو على وُضوءٍ فخمسة وعشرون حسنةً ، ومَن قرأَه على غير وضوءٍ فعشرُ حسناتٍ .

• وقال[4] ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُما : لأَن أَقرأ البقرة وآل عمران أرتلهما

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٣٤٨) .
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٣٥٢-٣٥٣) .
(٣) ربيع الأبرار (٢/ ٣٥٤) .
(٤) ربيع الأبرار (٢/ ٣٥٦) .

وأتدبرهما ، أحبُّ إِليَّ من أن أَقرأ القرآن كله هَذْرَمَةً[1] .

• وقال[2] رسول الله ﷺ : « اقرؤوا القُرآن وابكوا ، فإن لم تبكوا فَتَبَاكَوا » .

• وعن[1] صالح المُرِّيّ قال : قرأتُ القُرآن على رسول الله ﷺ في المنام ، فقال لي : « يا صالحُ ، هذه القراءة فأين البُكاء؟ » .

• وكان[3] عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَفتتحُ ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة ، وليلة السَّبت بالأَنعام إلى هُود ، وليلة الأَحد بيوسف إلى مريم ، وليلة الإثنين بطَه إلى طَسَمَ نبأ موسى وفرعون ، وليلة الثّلاثاء بالعنكبوت إلى صَ ، وليلة الأَربعاء بتنزيل إلى الرَّحمن ، ويختم ليلة الخميس .

• وعن[4] علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : لا خيرَ في عبادة لا فِقْهَ فيها ، ولا خيرَ في قراءة لا تَدَبُّرَ فيها .

• وكان[5] عِكْرِمَة بن أَبي جهلٍ - رَضِيَ اللهُ تعالىٰ عَنْهُ ولعن أَباه - إذا نشر المصحف أُغمي عليه ويقول : هو كلام ربِّي .

• وأَبطأت[6] عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا على رَسُولُ الله ﷺ ليلَةً ، فقال : « ما حَبَسَكِ؟ » قالت : قراءةُ رجلٍ ما سمعتُ أَحسنَ صوتاً منه ؛ فقام فاستمع إليه طويلاً ثم قال : « هذا سالمٌ مولى أَبي حُذَيْفَة ، الحمد لله الَّذي جعلَ في أُمَّتي مثله » .

• وقال[4] ابن عُيينة : رأَيتُ رَسُولَ الله ﷺ في المنام ، فقلت : يا رسول الله ، قد اختَلَفَتْ عليَّ القراءاتُ ، فعلى قراءةِ مَن تأمُرُني؟ فقال : «على قراءة أَبي عمرو» .

---

(١) الهذرمة : القراءة المسرعة .
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٣٥٦) .
(٣) ربيع الأبرار (٢/ ٣٥٧) .
(٤) ربيع الأبرار (٢/ ٣٦٠) .
(٥) ربيع الأبرار (٢/ ٣٥٩) .
(٦) ربيع الأبرار (٢/ ٣٥٨) .

• وعن[1] أَبي عمرو : إِني لم أَزلْ أَطلبُ أَن أَقرأَه كما قرأَه رسول الله ﷺ وكما أُنزله عليه ، فقدِمتُ مكَّة فلقيتُ بها عدَّة من التّابعين ممَّن قرأ على الصّحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أَجمعين ، فقرأتُ عليهم ؛ فاشددْ بها يَدَك .

• فينبغي للإِنسان أن يُحافظ على تلاوة القُرآن ليلاً ونهاراً ، سَفَراً وحَضَراً .

• وقال الشَّيخ محيي الدّين النّووي رحمه الله تعالى في كتابه « الأَذكار »[2] : قد كانت للسَّلَف رضي الله عنهم عادات مختلفة في القَدْر الذي يَختمون فيه ، فكانت جماعة منهم يختمون في كلِّ شهرٍ ختمةً ، وآخرون في كلِّ عشر ليالٍ ختمةً ، وآخرون في كلِّ ثلاثِ ليالٍ ختمةً ، وكان كثيرون يختمون في كلِّ يومٍ وليلةٍ ختمةً ، وختم جماعة في كلِّ يومٍ وليلةٍ ختمتين ، وختم بعضُهم في اليوم واللَّيلةِ ثماني ختمات ، أَربعاً في اللَّيل ، وأَربعاً في النَّهار .

• ورُوي[3] أَنَّ مُجاهداً رحمه الله تعالى كان يختم القرآن في شهر رمضان فيما بين المغرب والعشاء .

• وأَمّا[3] الَّذين ختموا القرآن في ركعةٍ فلا يُحصَون لكثرتهم ؛ فمنهم عُثمان ابن عفّان ، وتميم الدّاريّ ، وسعيد بن جُبير رضي الله تعالىٰ عنهم .

• وروينا[4] في « مسند » الإِمام المجمَع على حِفظه وجلالته وإِتقانه وبراعته ، أَبي محمد الدَّارميّ رحمه الله ، عن سعد بن أَبي وقَّاص رضي الله عنه ، قال : إِذا وافق ختمُ القرآن أَوّل اللَّيل ، صلَّت عليه الملائكة حتَّى يُصبح ، وإِذا وافق ختمه أَوَّل النَّهار ، صلَّت عليه الملائكة حتى يمسي ؛ قال الدَّارمي : هذا حديث حسن عن سعد .

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٣٦١) .
(٢) الأذكار (١٥٣) والتبيان في آداب حَمَلَةِ القرآن (٦٠) بتصرف .
(٣) الأذكار (١٥٤) .
(٤) الأذكار (١٥٥) .

• وأفضل[1] القراءة ما كان في الصَّلاة ، وأَمَّا في غير الصَّلاة فأَفضلها قراءةُ اللَّيل ، والنِّصف الأَخير منه أَفضل من الأَوَّل ، والقراءة بين المغرب والعشاء محبوبةٌ ، وأَمّا قراءة النَّهار فأَفضلها بعد الصُّبح ، ولا كراهة في وقت من الأَوقات ، ولا في أَوقات النَّهي عن الصَّلاة ، ويُستحبُّ الاجتماعُ عند الختم لحصول البركة ، وقيل : إِنَّ الدُّعاء يُستجاب عند ختم القرآن ، وإِنَّ الرَّحمة تنزل عند خَتمه ، ويُستحبُّ الدُّعاء عقب الختم استحباباً مؤَكَّداً تأكيداً شديداً .

• ويجب على القارىء الإخلاص في قراءته ، وأَن يريد بها وجه الله تعالى ، وأَن لا يقصد بها توصُّلاً إِلى شيء سوى ذلك ، وأَن يتأَدَّب مع القرآن ويستحضر في ذهنه أَنَّه يُناجي ربَّه سبحانه وتعالى ، ويتلو كتابه فيقرأ على حالة من يرى الله تعالى ، فإِنَّه إِن لم يكن يراه فإِنَّ الله يراه .

• وينبغي للقارىء إِذا أَراد القراءة أَن يُنظِّف فَمَه بالسِّواك ، وأَن يكون شأنه الخشوعُ والتَّدبُّر والخضوع ، فهذا هو المقصود والمطلوب ، وبه تنشرح الصُّدور ويتيسَّر المرغوب ، ودلائله أَكثر من أَن تُحصر وأَشهر من أَن تُذكر .

• وقد[2] بات جماعةٌ من السَّلف رضي الله عنهم يتلو الواحدُ منهم آيةً واحدة ليلةً كاملة يتدبَّرها .

• ويُستحبُّ البكاء والتَّباكي لمن لا يقدر على البكاء ، فإِن البكاء عند القراءة صفة العارفين ، وشعار عباد الله الصَّالحين ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴾ [الإسراء : ١٧/١٠٩] .

• وقال[3] السيِّد الجليل صاحب الكرامات والمعارف ، والمواهب واللَّطائف ،

---

(١) الأذكار (١٥٦ـ١٦١) بتصرف .
(٢) الأذكار (١٦١) .
(٣) الأذكار (١٦١ـ١٦٢) .

إبراهيم الخوّاص رضي الله عنه : دواء القلب خمسة أشياء ، قراءة القرآن بالتَّدبُّر ، وخلاء البطن ، وقيام اللَّيل ، والتَّضرُّع عند السُّجود ، ومُجالسة الصَّالحين .

• وقد[١] جاءت آثار بفضيلة رفع الصَّوت بالقراءة ، وآثار بفضيلة الإسرار .

• قال العلماء : إن أراد القارئُ بالإسرار بُعْدَ الرِّياء ، فهو أفضل في حقِّ مَن يخافُ ذلك ، فإن لم يَخَف الرِّياءَ فالجهرُ أفضلُ ، بشرط أن لا يُؤذيَ غيره ، من مُصَلٍّ أو نائمٍ أو غيرهما .

• والأحاديث في فضل القراءة وآداب حملة القرآن كثيرة غير محصورة ، وَمن أراد الزِّيادة فلينظر في كتاب « التِّبيان في آداب حَمَلَة القرآن »[٢] لشيخ مشايخ الإسلام مُحيي الدِّين النَّووي ، قدَّس الله رُوحه ونوَّر ضريحه .

• وقد[٣] جاء في فضل القرآن أحاديث كثيرة ، ورُوي في فضل قراءة سور من القرآن في اليوم واللَّيلة فضل كبير ، منها يَس ، وتبارك المُلك ، والواقِعة ، والدُّخان .

• فعن أبي هُريرة رضي الله تعالى عنه ، عن رسول الله ﷺ أنَّه قال : « مَن قرأ سورةَ ﴿يسٓ﴾ في يومٍ وليلةٍ ابتغاءَ وجهِ الله تعالى غُفر له » .

• وفي رواية له : « مَن قرأ سورة ﴿الدُّخان﴾ في ليلةٍ أصبح مغفوراً له » .

• وفي رواية عن ابن عبّاس وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَن قرأ سورة ﴿ٱلْوَاقِعَةُ﴾ كلَّ ليلةٍ لم تُصبه فاقةٌ » .

• وعن جابر رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ لا ينام كلَّ ليلةٍ حتَّى يقرأ ﴿الٓمٓ ① تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ و﴿تَبَٰرَكَ﴾ المُلْك » .

---

(١) الأذكار (١٦١-١٦٢) .

(٢) مطبوع بتحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط .

(٣) الأذكار (١٦٥-١٦٦) .

• وعن أَبي هُريرة رضي الله تعالى عنه أَنَّه قال : مَن قرأَ في ليلة ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ كانت له كعدلِ نِصفِ القرآن ، ومَن قرأ ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ كانت له كعدلِ رُبْعِ القرآن ، ومن قرأ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ كانت له كعدل الثُّلُثِ .

• والأَحاديث بنحو ما ذكرناه كثيرة ، وقد أشرنا إِلى المقاصد منها ، والله تعالى أعلم بالصواب ؛ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

الباب الرابع

في العِلم والأَدب ، وفضل العالِم والمُتَعلِّم

● قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [فاطر : ٣٥/٢٨] وقال تعالى : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة : ٥٨/ ١١]

● وعن[١] معاذ بن جبل رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « تَعَلَّموا العِلم فإِنَّ تعلُّمَه لله خَشْيَة ، ودراستَهُ تَسبيحٌ ، والبَحثَ عنه جهادٌ ، وطلبَهُ عبادةٌ ، وتعليمَه صدقةٌ ، وبذلَه لأَهلِه قُرْبَةٌ ؛ لأَنَّه معالمُ الحلالِ والحرام ، وبيانُ سبيلِ الجنَّة ، والمُؤْنسُ في الوَحْشَة ، والمُحَدِّثُ في الخَلْوَة ، والجليسُ في الوَحدة ، والصَّاحب في الغُربة ، والدَّليل على السَّرَّاء ، والمُعين على الضَّرَّاء ، والزَّيْنُ عند الأَخِلاَّء ، والسِّلاحُ على الأَعداء ؛ وبالعِلم يبلغُ العبدُ منازل الأخيار في الدَّرجات العُلى ، ومُجالسةَ الملوكِ في الدُّنيا ، ومرافقةَ الأَبرارِ في الآخرة ؛ والفِكْرُ في العِلم يعدلُ الصِّيام ، ومُذاكرتُهُ تعدلُ القيام ؛ وبالعلِم تُوصَلُ الأَرحام ، وتُفْصَلُ الأَحكام ، وبه يُعرفُ الحلالُ والحرامُ ، وبالعلم يُعرفُ اللهُ ويُوَحَّدُ ، وبالعِلم يُطاع الله ويُعبدُ » .

● قيل : العِلمُ دَرْكُ حقائق الأَشياء مَسموعاً ومَعقولاً .

● وقال النبيُّ ﷺ : «خيرُ الدُّنيا والآخرة مع العِلم ، وشَرُّ الدُّنيا والآخرة مع الجهل» .

● وعنه[٢] عليه الصَّلاة والسَّلام : « يُوزَنُ مِدادُ العُلماءِ ودماءُ الشُّهداء يوم

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٨٧) ، وباختصار في العقد الفريد (٢/ ٢١٥) .
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٨٨) .

القيامة ، فلا يفضُلُ أَحدُهما على الآخر ؛ ولَغَدْوَةٌ في طلب العلم أَحَبُّ إلى الله من مِئةِ غزوةٍ ، ولا يخرجُ أَحدٌ في طلبِ العلمِ إلاَّ ومَلَكٌ مُوَكَّلٌ به يبشِّرُهُ بالجنَّة ، ومَن مات وميراثُه المحابرُ والأقلام دخل الجنَّة » .

• وقال عليٌّ كرَّم الله وجهه : أَقلُّ النَّاس قيمةً أَقلُّهم عِلماً .

• وقال أيضاً رضي الله عنه : العِلم نهرٌ ، والحِكمة بَحر ، والعلماءُ حول النَّهر يطوفون ، والحكماءُ وسَط البحر يغوصون ، والعارفون في سُفُن النَّجاة يَسيرون .

• وقال موسى عليه السَّلام في مُناجاتِه : إلهي ، مَن أَحبُّ النَّاس إليك؟ قال : عالِم يطلبُ عِلماً .

• وقال[1] بعضُ السَّلف رضي الله عنهم : العلوم أَربعةٌ : الفِقه للأَديان ، والطِّبُّ للأَبدان ، والنُّجوم للأَزمان ، والنَّحو للِّسان .

• وقيل : العالم طبيبُ هذه الأُمَّة ، والدُّنيا داؤها ؛ فإذا كان الطَّبيب يطلب الدَّاء فمتى يُبرىءُ غيرَه .

• وسُئل[2] الشَّعبيُّ عن مسأَلة فقال : لا عِلم لي بها ، فقيل له : أَلا تستَحْيي ، فقال : ولِمَ أَستحْيِي ممّا لم تستحي الملائكةُ منه حين قالت : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ [البقرة : ٢/ ٣٢] .

• وعن النَّبي ﷺ : « فَضْلُ العالم على العابد كفَضْلي على أدناكم رجلاً » .

وروي : « كفضل القَمر ليلة البدرِ على سائر الكواكب » .

• وقال[3] عليٌّ كرَّم الله وجهه : مَن نَصَب نفسَه للنَّاس إماماً ، فعليه أَن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكُن تأديبُه بسيرته قبل تأديبه بلسانه .

=(١) ربيع الأبرار (٤/ ٨٩) .
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٩٢) .
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٩٦) .

• وقيل : مُؤَدِّبُ نفسه ومعلِّمُها أَحقُّ بالإجلال من مُؤَدِّب النَّاس ومعلِّمِهم .

• وأَنشدوا[1] : [من الكامل]

يـا أَيُّهـا الـرَّجُـلُ المُعَلِّـمُ غَيْـرَهُ ... هَـلاَّ لِنَفْسِـكَ كـانَ ذا التَّعْليـمُ

تَصِفُ الدَّواءَ لِذي السَّقام وذِي الضَّنَى ... كَيْمـا يَصِـحُّ بِـهِ وأَنْـتَ سَقيـمُ

ونَـراكَ تُصْلِـحُ بـالـرَّشـادِ عُقُـولَنـا ... أَبداً وأَنْتَ مِـن الـرَّشـادِ عَـديـمُ[2]

فـابْـدَأ بنَفْسِـكَ فـانهَـهَـا عـن غِيِّهـا ... فـإِذا انْتَهَـتْ عَنْـهُ فَـأَنْـتَ حَكيـمُ

فَهُنـاكَ يُقْبَـلُ مـا تَقُـولُ ويُهْتَـدى ... بـالقَـوْلِ مِنْـكَ وَيَنْفَـعُ التَّعليـم[3]

لا تَنْـهَ عـن خُلُـقٍ وَتـأْتـي مِثْلَـهُ ... عـارٌ عليـكَ إذا فَعَلْـتَ عَظيـم

• وقال بعضُهم[4] : [من السريع]

إِنِّـي رَأَيْـتُ النَّـاسَ فـي عَصْـرِنـا ... لا يَطْلُبُـونَ العِلْـم للْعِلْـمِ

إِلاَّ مُبـاهـاةً لأَصحـابِـهِ ... وَعُـدَّةً لِلْغِـشِّ والظُّلْـمِ

• نظر[5] مُزَبِّدٌ إلى امرأته وهي صاعدةٌ في السُّلَّم ، فقال لها : أَنتِ طالقٌ إن صَعَدْتِ ، وطالقٌ إن نَزَلْتِ ، وطالقٌ إن وَقَفْتِ ؛ فَرَمَت نَفْسَها إلى الأرض ، فقال لها : فَداكِ أَبي وأُمِّي ، إن مات الإمام مالكٌ احتاجَ إليكِ أَهل المدينة في أَحكامهم .

• وقال النبيُّ ﷺ : « هلاكُ أُمَّتي في شَيئين : تَرْكِ العِلمِ وجَمْعِ المالِ » .

• وسئل[6] رسول الله ﷺ عن أفضل الأَعمال فقال : « العلم بالله ، والفقه في

---

(١) الأبيات من المتنازع ، فهي تنسب إلى أبي الأسود الدؤلي في ديوانه (١٣٠) وإلى المتوكل الليثي في ديوانه (٢٨٣) وانظر تخريجها ثمة .
(٢) روايته في ب: ونراك ترشد للصواب × .
(٣) روايته في ب: فهناك نقبل ما تقول ونهتدي × .
(٤) البيتان بلا نسبة في ربيع الأبرار (٤/ ٩٧) .
(٥) ربيع الأبرار (٤/ ٩٧) ، نثر الدر (٣/ ٢٣٥) ، فوات الوفيات (٤/ ١٣٢) .
(٦) ربيع الأبرار (٤/ ١٠٣) .

دينه » وكرَّرها عليه ، فقال : يا رسول الله : أَسأَلُك عن العَمل ، فَتُخبرني عن العِلمِ ، فقال : « إِنَّ العِلم ينفعُك معه قليلُ العمل ، وإِنَّ الجهل لا ينفعك معه كثير العمل » .

● وقال[1] عيسى عليه السَّلام : مَن عَلِمَ وعَمِلَ عُدَّ في الملَكُوت الأعظمِ عَظيماً .

● وقال[2] الخليل : العُلوم أقفالٌ ، والأَسئلةُ مفاتيحُها .

● وعنه[2] زَلَّةُ العالِمِ مَضروبٌ بها الطَّبْلُ ، وزَلَّةُ الجاهل يُخفيها الجَهْل .

● وقال[3] الحسنُ : رأَيت أَقواماً من أَصحاب رسول الله ﷺ يقولون : مَن عَمِلَ بغيرِ عِلْمٍ كان ما يُفسده أَكثرَ ممَّا يُصلحُه ، والعاملُ بغيرِ عِلْمٍ كالسَّائر على غير طريقٍ ، فاطلُبوا العلمَ طَلَباً لا يَضُرُّ بالعبادة ، واطلبُوا العبادة طلباً لا يضرُّ بالعِلم .

● وقال[4] بُدَيل بن مَيْسَرَة : مَن أَراد بعلمه وَجْهَ الله تعالى أَقبلَ الله بوجهه ووُجوهِ العبادِ إليه ، ومَن أَراد بعلمه غيرَ وَجه الله صَرَفَ اللهُ وجهَهُ ووجوهَ العبادِ عنه .

● وعن[5] أنس رضي الله عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال : « أَلا أُخبرُكم بأَجودِ الأَجوادِ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ؛ قال : « الله أَجودُ الأَجوادِ ، وأَنا أَجودُ ولد آدم ، وأَجودُ مَن بَعدي رجلٌ عَلِمَ عِلْماً فنَشَرَه ، يُبعثُ يوم القيامة أُمَّةً وَحْدَهُ ، ورجلٌ جادَ بنفسه في سبيل الله حتَّى قُتِلَ » .

● وقال[5] الثَّوريّ : كان يُقال : العالِم الفاجرُ فتنةٌ لكلِّ مَفتون .

● وعن[5] الفُضيل رحمه الله تعالى أَنَّه قال : لو أَنَّ أَهل العلم أَكرموا أَنفسهم وأَعزُّوا هذا العِلم ، وصانُوه وأَنْزَلوه حيثُ أَنزله الله ، إِذاً لخضِعَتْ لهم رقابُ

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ١٠٣) .
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ١٠٥) .
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ١١٠) .
(٤) ربيع الأبرار (٤/ ١٠٩) .
(٥) ربيع الأبرار (٤/ ١١٤) .

الجبابرة وانقادَ لهم النَّاسُ ، وكانوا لهم تَبَعاً ، ولكنَّهم أَذَلُّوا أنفُسَهُم ، وبذَلوا عِلمَهُم لأَبناءِ الدُّنيا ، فهانُوا وذَلُّوا ؛ فإنا لله وإِنَّا إِليه راجعون ، فأَعظمْ بها مصيبةً ، والله أَعلم .

● وللقاضي العلاَّمة أَبي الحسن عليّ بن عبد العزيز الجرجاني ، وقد أَحسنَ كُلَّ الإحسانِ ، كأَنَّما نُسِجَتْ في طِرازِ حَسّان[1][2] : [من الطويل]

وَلَمْ أَقْضِ حَقَّ العِلْمِ إِنْ كُنْتُ كُلَّما ... بَدا طَمَعٌ صَيَّرتُهُ لي سُلَّما
ولَمْ أَبْتَذِلْ في خِدْمَةِ العِلْمِ مُهْجَتي ... لأَخْدِمَ من لاقَيْتُ لكن لأُخْدَما
أَأَشقى به غَرْساً وأَجْنيهِ ذِلَّةً ... إذاً فاتِّباع الجَهْلِ قد كان أَسْلَما
فإنْ قلتُ : زَنْدُ العِلْمِ كابٍ فإنَّما ... كَبا حينَ لم يُحرسْ حِماهُ وأَظْلَما[3]
ولَوْ أَنَّ أَهْلَ العِلْمِ صَانُوه صانَهُمْ ... وَلَو عَظَّمُوهُ في النُّفُوسِ لَعُظِّما
ولكنْ أهانُوهُ فَهانُوا وَدَنَّسوا ... مُحَيَّاه بالأَطماعِ حتى تجهَّما

● وقيل[4] : مَن لم يتعلَّم في صِغره لم يتقدَّم في كِبَره .

● وقال الفُضَيْل[4] : شَرُّ العُلماء مَن يُجالسُ الأُمراء ، وخيرُ الأُمراء مَن يُجالسُ العُلماء .

● وقال[5] لُقمان لابنه : جالِسِ العُلماءَ وزاحِمْهُم برُكْبَتَيْك ، فإِنَّ الله يُحيي القلوبَ بنُور الحِكمة ، كما يُحيي الأَرض بوابِلِ السَّماء .

● وقيل[6] : مَن عُرِفَ بالحِكمة لاحظته العيونُ بالوَقار .

---

(١) في ب ، ط : كأنما طرزت في خلع حسان ؛ والمثبت من أ فهو نص ربيع الأبرار .
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ١١٥) ، وانظر مزيد تخريج في مجموع شعر القاضي الجرجاني رقم ٦٣ .
(٣) في ربيع الأبرار : × وأسلما .
(٤) ربيع الأبرار (٤/ ١١٥) .
(٥) ربيع الأبرار (٤/ ١١٦) .
(٦) ربيع الأبرار (٤/ ١١٧) .

• وكان[1] ابنُ مسعود رضي الله عنه إذا رأى طالبي العلم قال : مَرحباً بكم ، ينابيعُ الحكمة ومصابيحُ الظُّلمة ، خُلْقانُ الثِّياب ، جددُ القلوب ، رياحينُ كلِّ قبيلة .

• وقال[2] عليٌّ رضي الله عنه : كَفى بالعِلم شَرفاً أن يدَّعيه من لا يُحسنه ، ويفرحَ به إذا نُسب إليه ؛ وكفى بالجهل ضَعَةً أَن يتبرَّأَ منه مَن هو فيه ، ويغضبَ إذا نُسب إليه .

• وعن[2] النَّبيِّ ﷺ : « ما آتى اللهُ أَحداً عِلْماً إلاَّ أَخذ عليه الميثاق أَن لا يكتمَه أحداً » .

• ودعا[2] بعضُهم لآخر فقال : جعلَك اللهُ ممَّن يطلبُ العلم رعايةً لا رِوايةً ، وممَّن يُظهرُ حقيقة ما يعلَمُه بما يعملُهُ .

• وعن[3] عمر رضي الله عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ قال : « على باب الجنَّة شجرةٌ تحملُ ثماراً كَثُديِّ النساء ، يخرجُ من تحتها عينُ ماء يشربُ منها العلماءُ والمتعلِّمون ، مثل اللَّبن الحليب ، والنَّاسُ عطاشٌ » .

• وعن[3] ابن مسعودٍ رضي الله عنه : مَن تعلَّم باباً من العِلم ، ليعلِّمَه للنَّاسِ ابتغاءَ وجهِ الله ، أعطاه الله أَجْرَ سبعين نبيّاً .

• وعن[3] أَنسٍ رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ ، « وَيْلٌ لأُمَّتي من عُلماءِ السُّوء ، يتَّخذون العلم تجارةً يبيعونها ، لا أَربحَ الله تجارتهم » .

• شعر[4] : [من البسيط]

العِلْـمُ أَنْفَـسُ شَـيْءٍ أَنْـتَ ذاخِـرُهُ ... مَنْ يَدْرُسِ العِلْمَ لَمْ تَدْرُسْ مَفاخِرُهُ

أَقْبِلْ على العِلْمِ واسْتَقْبِلْ مَقاصِدَهُ ... فـأَوَّلُ العِلْـمِ إِقْبـالٌ وآخِـرُهُ

---

(1) ربيع الأبرار (٤/ ١١٧) .
(2) ربيع الأبرار (٤/ ١١٨) .
(3) ربيع الأبرار (٤/ ١١٩) .
(4) البيتان بلا نسبة في ربيع الأبرار (٤/ ١٢٢) .

• قال [١] الشَّعبيُّ : دخلتُ على الحَجَّاج حين قدم العراق ، فسألني عن اسمي ، فأخبرتُه ، ثم قال : يا شعبيُّ : كيفَ علمُك بكتابِ الله؟ قلتُ : عَنِّي يُؤْخَذُ ؛ قال : كيف عِلمُك بالفَرائض؟ قلتُ : إليَّ فيها المنتهى ؛ قال : كيفَ علمُك بأَنساب النَّاس؟ قلت : أَنا الفَيْصَل فيها ؛ قال : كيف علمُك بالشِّعر؟ قلت : أَنا ديوانه ؛ قال : لله أَبوك ؛ وفرضَ لي أموالاً ، وسوَّدني على قومي ؛ فدخلتُ عليه وأَنا صعلوكٌ من صعاليك هَمْدان ، وخرجتُ وأَنا سيِّدُهم .

• قال البُسْتيُّ [٢] : [من الطويل]

إذا لم يَزِدْ عِلْمُ الفَتى قَلْبَهُ هُدىً   وَسِيرَتَهُ عَدْلاً وأَخلاقَهُ حُسْنا
فَبَشِّرْهُ أَنَّ الله أَوْلاهُ فِتْنَةً   تُغَشِّيهِ حِرْماناً وتُوسِعُهُ حُزْنا

• وقال [٣] الهيثم بن جَميل : شهدتُ مالِك بن أَنسٍ رضي الله عنه ، سُئِلَ عن ثمانٍ وأربعين مسألةً ، فقال في اثنتين وثلاثين منها : لا أدري .

• وقال [٤] الأَوزاعيُّ : شكت النَّواويسُ إِلى الله تعالى ما تجدُ من نَتْنِ ريح الكفَّار ، فأَوحى الله إِليها : بُطونُ عُلماءِ السُّوءِ أَنْتنُ ممَّا أَنتم فيه .

• وقال عليٌّ رضي الله عنه [٥] : مَن أَفتى الناس بغير علمٍ ، لَعَنَتْهُ السَّماءُ والأرض .

• ولصالح بن جناح اللَّخميّ [٦] : [من الطويل]

تَعَلَّمْ إِذا ما كُنْتَ لَسْتَ بِعالِمٍ   فَما العِلْمُ إِلاَّ عِنْدَ أَهْلِ التَّعَلُّمِ

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ١٣٨) .
(٢) ديوانه ٣٠٠ وربيع الأبرار (٤/ ١٤١) .
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ١٦٨) .
(٤) ربيع الأبرار (٤/ ١٧٠) .
(٥) ربيع الأبرار (٤/ ١٧٤) .
(٦) ربيع الأبرار (٤/ ١٧٩) وديوان صالح بن عبد القدوس (١٥٧) ؛ والثالث من آ فقط .

تَعَلَّمْ فـإِنَّ العِلْـمَ أَزْيَـنُ لِلْفَتَـى مـنَ الحُلَّـةِ الحسنـاء عِنْـدَ التَّكَلُّـمِ
(فلا خيرَ فيمَن عاشَ ليسَ بعالِمٍ ولـو نـالَ أَبـوابَ السَّمـاءِ بِسُلَّـمِ)

• ودخل[1] عبد الله بن مُسلم الهُذَلي على المهديّ في القُرّاء فأَخذَ عشرة آلاف درهم ، ثم دخل في الرُّماة ، فأخذ عشرة آلاف درهم ، ثم دخل في المغنِّين فأخذ كذلك ، ثم دخل في القُصَّاص فأخذ كذلك ؛ فقال المهديُّ : لم أَرَ كاليوم أَجمعَ لِما لم يجمعِ الله في أَحدٍ منك .

• وَمَلَّ[2] جماعةٌ من الحكماء مُجالسَة رجلٍ فَتَوارَوا عنه في بيتٍ ، فَرَقي السَّطح ، وجعل يستمعُ من كُوَّةٍ ، حتَّى وقع عليه الثَّلج ، فَصَبَرَ ، فشكرَ الله ذلك ، فجعله إمام الحكماء لا يختلفون في شيءٍ إلاَّ صَدَروا عن رأيه .

• وشكا رجلٌ إلى وكيع بن الجَرّاح سوءَ الحفظِ ، فقال له : استعِنْ على الحفظِ بتركِ المعاصي ، فأنشأَ يقولُ[3] : [من الوافر]

شكـوتُ إلـى وَكيـعٍ سُـوءَ حِفْظـي فـأَرْشَـدَنـي إلـى تَـرْكِ المعـاصـي
وذَلـك أَنَّ حِفْـظَ العِلْـمِ فَضْـلٌ وفَضْـلُ اللهِ لا يُـؤْتَـى لِعـاصـي

• وَوُجد في بعضِ الآثار ، عن بعضِهم أَنَّه قال : إذا أَردتَ أَن تكونَ أَحفظَ النَّاس فقُلْ عند رَفع الكِتاب أَو المصحف أَو ابتداء القراءة في كلِّ شيءٍ أَردت : بسم الله وسُبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أَكبر ، ولا حولَ ولا قوَّة إلاَّ بالله العليِّ العظيم ، عددَ كلِّ حرفٍ كُتبَ ويُكتب إلى أَبد الآبدين ، ودَهر الدَّاهرين ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم .

• قيل : وإذا أَردتَ أَن لا تنسى حرفاً ، فقُل قبل القراءة : أَللَّهمَّ افتح علينا حِكمتك ، وانشرْ علينا رَحمتك يا ذا الجلال والإكرام .

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ١٧٩) .
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ١٨١) .
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ١٨٤) ، والرجل هو الإمام الشافعي ، والبيتان في ديوانه (٤٤) .

• وإذا أَردت أن تُرزقَ الحفظ فقُلْ خلفَ كلِّ صلاةٍ مكتوبة : آمنتُ بالله الواحدِ الأَحد الحقِّ لا شريك له ، وكفرتُ بما سواه .

• ومن فوائد سيِّدي الشَّيخ الصَّالح الفقيه شهاب الدِّين أَحمد بن موسى بن عُجَيْل[1] رحمه الله تعالى في الحِفظ : يقرأ في كلِّ يوم عشرَ مرَّات ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء : ٢١/٧٨-٧٩] يا حيُّ يا قيُّوم ، يا ربَّ موسى وهارون ، ويا ربَّ إبراهيم ، ويا ربَّ محمَّد عليه وعليهم الصَّلاة والسَّلام ، أكْرِمْني بالفَهم ، وارزُقني العِلمَ ، والحِكمةَ والعَقل ، بِرَحمتك يا أرحمَ الرَّاحمين .

• وعن أَبي يوسف قال[2] : مات لي ولد ، فأَمرتُ مَن يتولَّى دَفنه ، ولم أَدَعْ مَجلسَ أَبي حنيفة خوفاً أَن يوفتني منه يوم .

• وقال محمد بن إسحاق بن خُزَيْمَة[3] : ما رأَيْتُ تحت أَديم السَّماء أَعلم بالحديث ، ولا أَحفظَ له من محمَّد بن إسماعيل البُخاري ، حتَّى كان يقال : إِنَّ حديثاً لا يعرفه محمَّد بن إسماعيل ليس بحديث .

• وقال البخاري رحمه الله تعالى[4] : أَحفظُ مِئة أَلف حديثٍ صحيحٍ ، ومِئتي أَلف حديثٍ غير صحيحٍ .

• وقال : ما وضعتُ في كتابي الصَّحيح حديثاً إِلاَّ اغتسلتُ قبل ذلك وصلَّيْتُ ركعتين .

• وقال : أَخرجتُه من سِتِّمئة أَلف حديثٍ ، وصنَّفتُه في ستَّ عشرةَ سنةً ، وجعلتُهُ حُجَّةً فيما بيني وبين الله تعالى .

---

(١) أحمد بن موسى بن أحمد بن علي بن عجيل ، الشهاب اليمني ، ويعرف بالمشرع ، كان ذا مكارم وأخلاق مرضية ، توفي سنة ٨٩٧هـ . (الضوء اللامع ٢/ ٢٢٨) .

(٢) ربيع الأبرار (٤/ ١٨٤) .

(٣) ربيع الأبرار (٤/ ١٨٧) .

● وقال مجاهد[1] : أَتينا عمر بن عبد العزيز لِنُعَلِّمَه ، فما برحْنا حتَّى تعلَّمنا منه .

● وكان يُقال : اللَّيْثُ بن سَعد رحمه الله تعالى ، ذهبَ عِلمه كلُّه بموته ؛ ولهذا قال الشَّافعيّ لمَّا قدم مصر بعد موته : والله لأَنت أَعلمُ من مالك ، وإِنَّما أَصحابُك ضيَّعوك .

● وقال اللَّيثُ بن سعد : ما هلك عالِمٌ قط إِلاَّ ذهبَ ثُلُثا علمه ، ولو حرص النَّاس .

● ويقال[2] : إِذا سُئل العالم فلا تُجب أَنت ، فإِن ذلك استخفاف بالسَّائل والمسؤول .

● وقالوا[3] : من خدم المحابر خدمته المنابر .

● شعر : [من مجزوء الكامل]

لا تَــدَّخِــرْ غَيْــرَ العِلْــو ... م فــإِنَّهــا نِعْــمَ الــذَّخــائِــرْ

فــالمَــرْءُ لَــوْ رَبِــحَ البَقــا ... ءَ مَعَ الجَهــالَــةِ كــانَ خــاسِــرْ

● وللشَّافعيّ رضي الله تعالىٰ عنه[4] : [من الطويل]

أَخــي لَــنْ تَنــالَ العِلْــمَ إِلاَّ بِستَّــةٍ ... سَــأُنْبيــكَ عــن تَفْصيلهــا بِبَيــان[5]

ذَكــاءٌ وَحِــرصٌ واجْتِهــادٌ وَبُلْغَــةٌ ... وَصُحْبَــةُ أُستــاذٍ وَطُــولُ زَمــانِ[6]

● وقال الزُّهري[7] : العلماءُ أَربعةٌ ؛ سعيدُ بن المُسَيِّب بالمدينة ، وعامر الشَّعبيُّ بالكوفة ، والحسنُ البَصري بالبصرة ، ومَكحول بالشَّام .

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ١٨٨) .
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ١٩٢) .
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ١٩٤) .
(٤) ديوانه (٧٢) .
(٥) في أ : × . . . عن أسمائها ببيان .
وفي ب : × . . . عن مضمونها ببيان .
(٦) في أ ، ب : × وهمَّة أستاذ . . .
(٧) مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٢٢٦) .

• وقال بعضُهم : العلماءُ سُرُجُ الأَزمنة ، كلُّ عالِمٍ سِراجُ زَمانه ، يَستضيءُ به أَهلُ عَصره .

• وقيل لإبراهيم بن عيينة : أَيُّ النَّاسِ أَطولُ ندامةً؟ قال : أَمَّا في الدُّنيا فصانعُ المعروفِ إلى مَن لا يشكرُه ، وأَمَّا في الآخرة فعالِم مُفرِّطٌ .

• شعر : [من السريع]

كُنْ عالِماً وارْضَ بِصَفِّ النِّعالْ ولا تكُنْ صَدْراً بِغَيْرِ الكَمالْ
فإنْ تَصَدَّرْتَ بِلا آلَةٍ صَيَّرْتَ ذاكَ الصَّدْرَ صَفَّ النِّعالْ

• وقيل : لمّا اجتمع موسى بالخضر عليهما السَّلام ، جاء عصفورٌ فأَخذ بمنقاره من البحر قطرةً ثم حطَّ على وَرِكِ الخَضِرِ ، ثم طار ؛ فنظرَ الخضرُ إلى موسى عليه السلام وقال : يا نَبيَّ الله ، إنَّ هذا العصفور يقول : يا موسى أَنت على عِلْمٍ من علم الله علَّمَكَهُ الله ، لا يعلمه الخضرُ ، والخضرُ على علمٍ من علمِ الله علَّمه إيَّاه ، لا تَعلمُه أَنت ، وأَنا على علمٍ من علمِ الله علَّمنيه الله ، لا تعلمه أَنت ولا الخضر ؛ وما عِلْمي وعِلْمك وعِلْم الخضر في علمِ الله إلاَّ كهذه القطرة من هذا البحر .

• قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقرة : ٢/ ٢٥٥] وقال تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر : ٤٧/ ٣١] .

• قال عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما : خلَق الله تعالى أَربعين أَلف عالَمٍ ، الإنسُ والجنُّ عالَمان ، والبواقي لا يعلمها إلاَّ هو .

• وقال موسى عليه السَّلام : يا ربِّ ، قد قُلْتَ للسَّموات والأرضِ : ﴿ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت : ٤١/ ١١] فلو لم تُطِعْكَ السَّمواتُ والأَرضُ ماذا كنت فاعلاً بهما؟ قال : يا موسى ، كنتُ آمر دابَّةً من دوابِّي أَن تبتلعهما ؛ قال موسى : يا ربِّ وأَين تلك الدَّابَّة؟ قال : في مَرج من مُروجي ؛ قال موسى : يا ربِّ وأَين ذلك المرج؟ قال : في عِلم من علمي ، لا يعلمه إلاَّ أَنا .

• وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في فكرة ، فقال : « فيمَ تفكّرون؟ تفكَّروا في خَلْق الله ولا تفكَّروا في الله ، فإنَّ الله خَلَقَ من جانب العرب أَرضاً يقال لها البيضاء ، تقطعها الشَّمس في أربعين يوماً ، فيها خَلْقٌ ما عَصَوا الله طَرْفَةَ عَيْنٍ » فقال ابن عمر : يا رسول الله أَين إبليس منهم؟ قال : « ما عَلِموا بإبليس خُلِقَ أَم لا » قال : أَمن بني آدم؟ قال : « ما عَلِموا بآدم خُلِقَ أم لا » . فهذه كلُّها ممَّا أَعدَّها الله في علم غيبه ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس : ٣٦/ ٨٢ـ٨٣] .

• وقال قتادة : لو كان أَحدٌ مِنَّا مُكتفياً من العِلم لاكتفى نبيُّ الله موسى عليه السَّلام ، إذ قال : ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف : ١٨/ ٦٦] .

• قال الحكماء : أَفضلُ العلم وقوفُ العالم عند عِلْمِهِ .

• وقال بعضُهم : ليس العلم ما خَزَنَتْهُ الدَّفاتر ، وإنَّما العلمُ ما خَزَنَتْهُ الصُّدور .

• وقيل : العِلمُ يُؤَدِّي إلى التَّصدير .

• وقيل : من تواضَع للعلم ناله ، ومن لم يتواضَعْ له لم ينله .

• وقيل : مَن بَرَقَ عِلمه بَرَقَ وَجهه ، ومن لم يستفدْ بالعلمِ مالاً اكتسبَ به جمالاً ؛ العلمُ نورٌ وهدى ، والجهلُ غِيٌّ ورَدى .

• وقال بعضهم : العالم يعرفُ الجاهلَ ، والجاهلُ لا يعرفُ العالم ؛ لأنَّ العالم كان جاهلاً ، والجاهلُ لم يكن عالماً .

• وقيل : أَربعة يُسَوِّدون العبدَ : العلمُ والأَدب والصِّدق والأَمانة .

• وقيل : أَهلُ العراق أَطلبُ النَّاس للعلم .

• وقال حمَّاد بن سَلَمَة[1] : مَثَلُ الَّذي يطلبُ الحديثَ ولا يعرفُ النَّحو ،

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ١٦١) .

كمثل الحمار عليه مِخْلاةٌ لا شعيرَ فيها .

● ولإبراهيم بن خلف البَهْرانيّ[1] : [من الكامل]

النَّحْوُ يَبْسُطُ من لِسانِ الألْكَنِ ... والمرءُ تُعْظِمُهُ إذا لم يَلْحَنِ[2]

وإذا طَلَبْتَ من العُلومِ أَجَلَّها ... فأَجَلُّها مِنْها مُقِيمُ الأَلْسُنِ

● وقال عليّ بن بسَّام[3] : [من الطويل]

رَأَيْتُ لِسانَ المَرْءِ آيةَ عَقْلِهِ ... وَعُنْوانَهُ فانْظُرْ بماذا تُعَنْوِنُ

وَلا تَعْدُ إصْلاحَ اللِّسانِ فإِنَّهُ ... يُخَبِّرُ عَمَّا عِنْدَهُ وَيُبَيِّنُ

ويُعْجِبُني زِيُّ الفَتى وَجَمالُهُ ... فَيَسْقُطُ من عَيْنَيَّ ساعَةَ يَلْحَنُ

● دخل أعرابيٌّ السُّوقَ فوجدهم يَلْحَنون ، فقال : سُبحانَ الله ، يلحنون ويربَحون .

● وكلَّم أَبو موسى بعضَ قوّاده ، فلحن ، فقال : لِمَ لا تنظرُ في العربيَّة؟ فقال : بلغَني أَنَّ مَن نظر فيها قلَّ كلامه ؛ فقال : ويحك ، لأَن يقلَّ كلامُك بالصَّواب خيرٌ لك من أَن يكثرَ كلامُك بالخطأ .

● (وجلس بعض الزُّهَّاد إلى تاجر يشتري منه شيئاً ، فمر به رجلٌ يعرفه ، فقال للتَّاجر : هذا فلانٌ الزّاهد ، فأرخص له ما تبيعه ؛ فغضب الزَّاهد وقام وقال : إنَّما جئنا نشتري بدراهمنا لا بمذاهبنا .

● وقيل لزاهد : ما بالكم حِسانَ الوجوه؟ قال : لأنَّا خَلَونا مع الله ، فكسانا من نوره .

● قيل لزاهد : كيف أَصبحت؟ قال : بنعمة من الله ، وثناء من النَّاس ، لم يبلغه عقلٌ ؛ نأكل وننتظر آجالنا)[4] .

---

(١) البيتان له في ربيع الأبرار (٤/ ١٦١) وهما بلا نسبة في العقد الفريد (٢/ ٤٧٩) .

(٢) في ط : النحو يصلح . . . × والمرء تكرمه . . . والمثبت من آ ، ب وربيع الأبرار .

(٣) الأبيات له في ربيع الأبرار (٤/ ١٦٢) وبعدها فيه بيتان .

(٤) ما بين القوسين من آ .

• وكان يقال : مُجالسة الجاهلِ مرض للعاقل .

• وقال أبو الأَسود الدُّؤَليّ : إذا أردت أن تعذِّب عالماً فاقرنْ به جاهلاً .

• وقال الشَّاعر[1] : [من الطويل]

جَهِلْتَ ولا تَدْرِي بِأَنَّكَ جاهِلٌ وَمَنْ لي بِأَنْ تَدْرِي بِأَنَّكَ لا تَدْري

• وقال رجلٌ للحسن : أنا أفصحُ النَّاس ؛ قال : لا تَقُلْ هذا ؛ قال : فَخُذْ عليَّ كلمةً واحدةً ؛ قال : هذه واحدة .

• أبو جهل : كنَّاه المسلمون بذلك ، وكانت قريش تُكَنِّيه أبا الحَكَم ؛ فقال حسان رضي الله تعالىٰ عنه[2] : [من السريع]

النَّــاسُ كَنَّــوه أَبــا حَكَــمٍ والله كَنَّــاه أَبــا جَهْــلِ

•وأمَّا ما جاء في الأدب :

• فقد قال بعض الحكماء : العقل يحتاج إلى مادَّة من الأدب ، كما تحتاجُ الأَبدان إلى قُوتها من الطَّعام .

• وقال عليٌّ كرَّم الله وجهه : الأَدب كنزٌ عند الحاجة ، عونٌ على المروءة ، صاحبٌ في المجلس ، أَنيسٌ في الوَحدة ، تعمُر به القلوب الواهية ، وتحيا به الأَلباب الميِّتة ، ويَنالُ به الطَّالبون ما حاولوا .

• وقيل : عقلٌ بلا أدب كشُجاعٍ بلا سلاحٍ .

• وحُكي : أَنَّ رجلاً تكلَّم بين يدي المأمون فأحسن ، فقال : ابنُ مَن أنت؟

---

(١) البيت للخليل بن أحمد الفراهيدي في ديوانه ٣٤٤ (ضمن شعراء مقلون) وبلا نسبة في أدب الدنيا والدين ١٢١ ، وتاريخ دنيسر (٣٣) ، وانظر تضمين الناشىء له في تاريخ بغداد (٨/ ٣٧٥) .

(٢) بهذه الرواية في كامل المبرد (١/ ٢٣٢) والاشتقاق (١٤٨) وفي ديوانه (حنفي) ص١٠٦ : سمَّاه معشره أبا حكم × .

قال : ابن الأَدب يا أمير المؤمنين ؛ قال : نِعْمَ النَّسبُ انتسبتَ إِليه .

• ولهذا قيل : المرءُ من حيثُ يثبتُ لا من حيث ينبتُ ، ومن حيث يوجَدُ لا من حيثُ يُولَد .

• قال الشاعر[1] : [من المنسرح]

كُنْ ابنَ مَنْ شِئْتَ واكتسِب أَدَباً يُغنيكَ مَحمودُهُ عن النَّسَبِ[2]
إنَّ الفَتى من يقولُ ها أَنا ذا ليسَ الفَتى من يقولُ كان أَبي

• وقال بعضُ الحكماء : مَن كَثُرَ أَدَبُهُ كَثُرَ شَرَفُهُ وإن كان وضيعاً ، وبَعُدَ صِيتُهُ وإن كان خامِلاً ، وسادَ وإن كان غَريباً ، وكثرت حوائجُ النَّاس إليه وإن كان فقيراً .

• قال بعضُ الشُّعراء : [من السريع]

لِكُلِّ شَيْءٍ زِينَةٌ في الوَرى وزينَةُ المَرْءِ تَمام الأَدَبْ
قَد يَشْرُفُ المَرْءُ بآدابِهِ فِينا وإن كانَ وَضيعَ النَّسَبْ

• وقال بعضُ الأَعاجمِ مُفتخراً[3] : [من المنسرح]

ما لِيَ عَقْلي وَهِمَّتي حَسَبي ما أَنا مَوْلى وَمَا أَنا عَرَبي
إذا انْتَمى مُنْتمٍ إلى أَحَدٍ فإنَّني مُنْتَمٍ إلى أدبي

• وقيل : الفَضْلُ بالعَقل والأَدب ، لا بالأَصل والحَسَب .

• وقيل: المَرْءُ بفضيلته لا بفصيلته، وبكماله لا بجماله، وبآدابه لا بانتسابه .

---

(١) البيتان لممويه الأصبهاني النحوي في معجم الأدباء (٦/ ٢٧١٦) وبغية الوعاة (٢/ ٣٠٠) ، والأول بلا نسبة في محاضرات الراغب (١/ ٣٢) .

(٢) في أ: واتخذ أدبا × .
وفي ب: × يغنيك مضمونه . . .

(٣) بلا نسبة في العقد الفريد (٢/ ٢٩١) .

• وقيل لرجلٍ : مَن أدَّبَك؟ قال : رأيتُ جهلَ الجُهَّال قبيحاً ، فاجتنبته فتأدَّبْتُ .

• ومن أدَّبَ ولده صغيراً سُرَّ به كبيراً ؛ من عَرف الأَدب اكتسبَ به المالَ والجاهَ ؛ خيرُ الخِلالِ الأدبُ ، وشرُّ المقالِ الكذبُ .

• وقيل لِبُقراط : ما الفرقُ بين مَن له أدبٌ ومن لا أدبَ له؟ قال : كالفرقِ بين الحيوان النَّاطق والحيوان الَّذي ليس بناطقٍ .

• ودخل[1] أبوالعالية على ابن عبَّاس رضي الله عنهما ، فأقعده معه على السَّرير ، وأقعد رجالاً من قريش تحته ، فرأى سوءَ نَظَرهم إليه وحُموضَة وجُوههم ، فقال : ما لكم تنظرونَ إليَّ نَظَرَ الشَّحيح إلى الغريم المُفلِسِ ؟ هكذا الأدب ، يُشَرِّفُ الصَّغير على الكبير ، ويرفع المملوك على المولى ، ويُقعد العبيد على الأَسِرَّة .

• وقال جالينوس[2] : إنَّ ابنَ الوضيع إذا كان أديباً ، كان نَقْصُ أَبيه زائداً في منزلته ؛ وابنُ الشَّريف إذا كان غيرَ أديب ، كان شَرَفُ أَبيه زائداً في سقوطه .

• وقيل : أَحسن الأدب أَن لا يفتخر المرءُ بأَدبه .

• وسمع[3] معاويةُ رجلاً يقول : أَنا غريبٌ ؛ فقال : كلاّ ، الغريبُ مَن لا أَدبَ له .

• ويقال[4] : إذا فاتَكَ الأَدبُ فالزَمِ الصَّمت ، فهو من أَعظم الآداب .

• ولعبد الملك بن صالح[5] : [من البسيط]

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ١٥٠) .
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ١٥٢) .
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ١٥٧) .
(٤) ربيع الأبرار (٤/ ١٥٨) .
(٥) البيتان له في ربيع الأبرار (٤/ ١٦٧) .

في الناس قومٌ أضاعوا مجد أوَّلهم ما في المكارم والتقوى لهم أربُ
ســوء التــأدّبِ أرداهــمْ وأرذلهــمْ وقد يزينُ صحيحَ المنصبِ الأدبُ

- وقيل : أربعةٌ تُسَوِّدُ العبدَ : الأدب ، والعِلم ، والصِّدق ، والأمانة .

- وقال بعض الحكماء : خمسة لا تتمّ إلا بخمسة ؛ لا يتم الحسب إلا بالأدب ، ولا يتمُّ الجمال إلاَّ بالحلاوة ، ولا يتم الغِنى إلا بالجود ، ولا يتمُّ البطش إلاَّ بالجرأة ، ولا يتمُّ الجهاد إلاَّ بالتَّوفيق . والله تعالى أعلم .

* * *

الباب الخامس

في الآداب والحِكَم ، وما أَشبه ذلك

- قال اللهُ تعالى : ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[1] [البقرة: ٢/٢٦٩] .

- وقال الحكماءُ : إذا أَراد اللهُ بعبدٍ خيراً أَلهمه الطَّاعة ، وأَلزمه القَناعة ، وفقَّههُ في الدِّين ، وعضَدَه باليقين ، فاكتفَى بالكفاف ، واكتسى بالعفاف ؛ وإذا أَراد به شرّاً حبَّب إليه المالَ ، وبَسط منه الآمالَ ، وشغلَه بدُنياه ووَكَلَه إلى هواه ؛ فركبَ الفسادَ وظَلم العبادَ .

- الثِّقة بالله أَزكى أَملٍ ، والتَّوكُّلُ عليه أوفى عَمَلٍ .

- مَن لم يكن له من دِينه واعظٌ لم تنفعه المواعظ .

- من سرَّه الفساد ساءَه المعادُ .

- كلٌّ يحصدُ ما زرعَ ، ويُجزى بما صَنَعَ .

- لا يَغُرَّنَّك صِحَّةُ نفسك ، وسلامةُ أَمْسِك ؛ فَمُدَّةُ العمر قليلةٌ ، وصِحَّةُ النَّفسِ مُستحيلة .

- مَن أَطاع هواه باعَ دينه بدُنياه .

- ثمرةُ العُلوم العملُ بالمعلوم .

- مَن رضيَ بقضاء الله لم يُسخِطْهُ أَحدٌ ، ومَن قنعَ بعطائه لم يَدخلْه حَسَدٌ .

- أَفضلُ النَّاس مَن لم تُفسدِ الشَّهوةُ دِينه .

---

(١) من أ .

- خيرُ النّاس مَن أخرجَ الحرصَ من قلبه ، وعصى هواه في طاعة ربِّه .
- نُصْرَةُ الحقِّ شرفٌ ، ونُصرةُ الباطل سَرَفٌ .
- البخيلُ حارسُ نِعمته وخازنٌ لِوَرَثَتِهِ .
- من لزمَ الطّمعَ عدمَ الورعَ .
- إذا ذهب الحياءُ حلَّ البلاءُ .
- عِلْمٌ لا ينفعُ كدواءٍ لا ينجَعُ .
- مِن جَهْلِ المرءِ أن يعصيَ ربَّه في طاعة هواه ، ويهينَ نفسَهُ في إكرامِ دُنياه .
- أيّام الدهر ثلاثة : يومٌ مضى لا يعود إليك ، ويومٌ أنت فيه لا يدومُ عليك ، ويومٌ مستقبلٌ لا تدري ما حاله ولا تعرفُ مَن أهله .
- مَن كثرَ ابتهاجُه بالمواهب اشتدَّ انزعاجُه للمصائب .
- لا تَبت على غير وَصيَّةٍ ، وإن كنتَ من جسمك في صِحَّةٍ ، ومن عُمرك في فُسحةٍ .
- عِظِ المسيءَ بحسن أفعالك ، ودُلَّ على الجميل بجميل خِلالِك .
- إيّاك وفضولَ الكلامِ ، فإنَّه يُظهر من عُيوبك ما بَطَن ، ويُحَرِّك من عدوّك ما سَكَن .
- لا يجدُ العَجول فَرَحاً ، ولا الغَضُوبُ سُروراً ، ولا المَلُول صَديقاً .
- حُسنُ النِّيَّة من العبادة .
- حُسْنُ الجلوس من السِّياسة .
- مَن زاد في خُلُقِهِ نَقَصَ من حظِّهِ .
- مَن ائتَمن الزَّمانَ خانَه .
- أظهرُ النَّاس محبَّةً أحسنُهم لقاءً .
- لا يَكملُ للإنسان دِينُهُ حتّى يكونَ فيه أربع خِصالٍ ؛ يقطعُ رجاءَه ممّا في أيدي النّاس ، ويسمعُ شَتْمَ نَفْسِهِ ويصبرُ ، ويحبُّ للنّاس ما يحبُّ لنفسه ، ويثقُ

بمواعيد الله .

- إيّاك والحسدَ ؛ فإنَّه يُفسدُ الدّين ، ويُضعف اليقين ، ويُذهب المروءَة .
- قيل لأَفلاطون : ما الشَّيءُ الَّذي لا يَحْسُنُ أَن يقال وإِن كان حقّاً؟ قال : مَدْحُ الإِنسانِ نَفْسَهُ .
- أَربعةٌ تُؤَدِّي إِلى أَربعة ؛ الصَّمْتُ إِلى السَّلامة ، والبِرُّ إِلى الكرامة ، والجودُ إِلى السِّيادة ، والشُّكْرُ إِلى الزيادة .
- من ساء تدبيرُه أَهلكَه جَدُّهُ .
- الغِرَّة ثمرةُ الجهل .
- آفةُ القوَّة استضعافُ الخَصْمِ .
- آفةُ النِّعَمِ قبيح المَنِّ .
- آفةُ الذَّنْبِ حُسْنُ الظَّنِّ .
- الحزمُ أَسدُّ الآراءِ ، والغفلةُ أَضرُّ الأَعداء .
- مَن قعد عن حيلتهِ أَقامته الشَّدائد ، ومَن نام عن عدوِّه أيقظته المكايدُ .
- مَن قرَّب السَّفلَةَ واطَّرَحَ ذوي الأَحساب والمروءات ، استحقَّ الخِذلان .
- مَن عفا تَفَضَّل .
- من كظَمَ غيظَه فقد حَلُمَ .
- مَن حَلُمَ فقد صَبَرَ ، ومن صَبر فقد ظَفر .
- مَن مَلَكَ نَفسَهُ عند أَربعٍ حرَّمَه الله على النَّار ، حين يغضَبُ وحين يرغَبُ وحين يرهَبُ وحين يشتهي .
- من طلبَ الدُّنيا بعمل الآخرة فقد خَسرهما ، ومَن طلب الآخرة بعمل الدُّنيا فقد رَبحهما .
- كلامُ المرء بيان فضله وترجمان عَقله ، فاقصرْهُ على الجميل ، واقتصرْ منه على القليل .
- كُلُّ امرىءٍ يُعْرَفُ بقوله ، ويُوصف بفعله ؛ فَقُلْ سَديداً وافْعَل حَميداً .

- مَن عَرَفَ شأنه ، وحفظ لسانه ، وأَعرض عمّا لا يعنيه ، وكفَّ عن عِرْضِ أَخيه ، دامت سلامته ، وقلَّت نَدامته .
- كُن صَموتاً وَصَدوقاً ؛ فالصَّمْتُ حِرْزٌ ، والصِّدْقُ عِزٌّ .
- مَن أكثر مقالَهُ سُئِمَ ، ومن أَكثَرَ سُؤاله حُرِمَ .
- من استخفَّ بإِخوانه خُذِل ، ومن اجترأَ على سُلطانه قُتل .
- ما عزَّ من أَذلَّ جيرانَه ، ولا سَعد من حَرَمَ إِخوانه .
- خيرُ النَّوال ما وصَل قبلَ السُّؤال .
- أَوْلى النَّاسِ بالنَّوال أَزهدُهم في السُّؤال .
- مَن حَسُنَ صفاؤُه وَجب اصطفاؤُه .
- مَن غاظَك بقبيح الشَّتْمِ منه فَغِظْهُ بِحُسْنِ الحِلْمِ عنه .
- مَن يَبخلْ بماله على نفسه ، جادَ به على زَوج عِرْسِه .
- إِذا اصطنعتَ المعروف فاسترْهُ ، وإِذا اصطُنِع إِليك فانشُرْهُ .
- من جاور الكرامَ أَمن من الإِعدام .
- من طاب أَصلُه زكا فَرْعُهُ .
- مَن أنكر حسن الصَّنيعة استوجب حسن القطيعة .
- مَن مَنَّ بمعروفه سقطَ شُكره ، ومَن أُعجبَ بعمله حَبِطَ أَجرُه .
- مَن رضي من نفسه بالإِساءة ، شهدَ على أَصله بالرَّداءة .
- مَن رجع في هِبته بالغ في خِسَّته .
- مَن رقي في درجات الهِمم ، عَظُم في عيون الأُمم .
- مَن كبُرت هِمَّته كثُرت قيمته .
- من ساءَ خُلُقُه ضاقَ رِزْقُهُ .
- مَن صَدَق في مقاله زاد في جَمَاله .
- مَن هان عليه المال ، توجَّهت إِليه الآمال .
- مَن جاد بماله جَلَّ ، ومن جاد بعرضه ذَلَّ .

- خيرُ المالِ ما أُخذ من الحلال ، وصُرف في النَّوال ؛ وشَرُّ المال ما أُخذ من الحرامِ ، وصُرف في الآثام .
- أَفضل المعروفِ إِغاثة الملهوف .
- من تمام المروءة أَن تنسى الحقَّ لك ، وتذكرَ الحقَّ عليك ؛ وتستكبر الإِساءة منك ، وتستصغرها من غيرك .
- من أَحسن المكارم عفوُ المقتدر .
- جودُ الرَّجل يُحبِّبه إِلى أَصدقائه ، وبُخله يُبغِّضُهُ إِلى أَودّائه .
- لا تُسيءْ إِلى مَن أَحسن إِليك ، ولا تُعِنْ عَلى من أَنعم عليك .
- مَن كثُر ظُلمه واعتداؤه ، قَرُبَ هلاكه وفَناؤه .
- مَن طال تَعَدِّيه كثُرت أَعاديه .
- شرُّ النَّاس مَن ينصرُ الظَّلوم ، ويخذُل المظلوم .
- مَن حَفر حفيراً لأَخيه ، كان حتفُه فيه .
- مَن سلَّ سيف العُدوان ، أُغمد في رأسه .
- مَن لم يرحم العَبْرَة ، سُلب النِّعْمَة ، ومَن لم يَقِلِ العَثْرَة سُلب القُدرة .
- لا تحاجّ مَن يُذهلك خوفُه ، ويَملكك سيفُه .
- صَمْتٌ تسلمُ به ، خيرٌ من نطقٍ تندمُ عليه .
- مَن قال ما لا ينبغي سمعَ ما لا يَشتهي .
- جُرْحُ الكلام أَصعبُ من جُرْحِ الحسام .
- مَن سَكت عن جاهل ، فقد أَوسعه جواباً ، وأَوجعه عِتاباً .
- مَن أَمات شهوته أَحيا مُروءته .
- مَن كثُرت عوارفُه كثرت معارفه .
- مَن لم تُقبل توبتُه عظُمت خطيئتُه .
- إِيَّاكَ والبغيَ فإِنَّه يصرعُ الرِّجال ، ويقطعُ الآجال .
- النّاسُ في الخير أَربعةُ أَقسام ؛ منهم من يفعلُه ابتداءً ، ومنهم مَن يفعله

اقتداءً ، ومنهم مَن يتركه حِرماناً ، ومنهم مَن يتركه استحساناً ؛ فَمَن فَعَلَه ابتداءً فهو كريم ، ومن فعله اقتداءً فهو حكيم ، ومَن تركه حرماناً فهو شَقيٌّ ، ومَن تركه استحساناً فهو دَنيٌّ .

- مَن سالَمَ سَلِمَ ، ومن قَدَّمَ الخيرَ غَنِمَ ، وَمَن لزمَ الرُّقاد عَدِمَ المُراد ، ومَن دام كسلُه خابَ أَمله .
- العَجولُ مُخطىءٌ وإن مَلَكَ ، والمُتَأَنِّي مُصيبٌ وإِن هَلَك .
- مِن أَمارات الخذلان مُعاداة الإِخوان .
- استِفساد الصَّديق من عَدم التَّوفيق .
- الرِّفقُ مفتاحُ الرِّزق .
- مَن نظرَ في العواقب سَلِمَ من النَّوائب ، ومَن أَسرع في الجواب أَخطأَ في الصَّواب .
- مَن ركب العجلَ أدركه الزَّلل .
- مَن ضعُفَت آراؤُه قَويت أَعداؤُه .
- مَن قَلَّت فضائلُه ضَعفت وسائله .
- مَن فعل ما شاءَ لقي ما ساءَ .
- مَن كثُر اعتباره قلَّ عِثاره .
- مَن ركب جِدَّه غلبَ ضِدَّه .
- القَليلُ مع التَّدبير أَبقىٰ من الكثير مع التبذير .
- ظَنُّ العاقل أَصحُّ من يقين الجاهل .
- قليلٌ تَحمَدُ آخرته خيرٌ من كثيرٍ تُذَمُّ عاقبته .
- مَن خاف سطوتَك تمنَّى مَوْتَك .
- إِذا استشرت الجاهلَ اختارَ لك الباطل .
- مَن أَعجبته آراؤُه غَلبته أَعداؤُه .
- مَن قصَّر عن السِّياسة صغُر عن الرِّياسة .

- لا تَشْتَكِ ضَعفَكَ إلى عدوِّك ، فإنَّك تُشْمِتُهُ بكَ ، وتُطمِعُه فيك .
- مَن لم يعملْ لنفسه عَمِلَ للنَّاس ، ومَن لم يصبر على كَدِّه صبرَ على الإفلاس .
- مَن أفشى سِرَّه أفسد أمره .
- الحازم مَن حفظ ما في يده ، ولم يُؤَخِّر شُغْل يومه لِغَدِهِ .
- من طَلب ما لا يكون طالَ تعبُه .
- لا تَفتحْ باباً يُعييك سَدُّهُ ، ولا تَرْم سهماً يُعجزُك ردُّه .
- سوءُ التَّدبير سببُ التَّدمير .
- أَغمد سيفك ما ناب عنك لسانُك .
- ليس العَجَبُ من جاهلٍ يصحبُ جاهلاً ، ولكنَّ العَجَبَ مِن عاقلٍ يصحبُه ؛ لأَنَّ كلَّ شيءٍ يَفرُّ من ضِدِّه ، ويميلُ إلى جنسه .
- إذا نزل القَدَرُ بطلَ الحَذَرُ .
- ربَّ عَطَب تَحتَ طَلَبٍ ، وَمَنِيَّة تحت أُمْنِيَّةٍ .
- لا يَخلو المرءُ مِن ودود يَمدحُ ، وعدوٍّ يقدحُ .
- الجوعُ خير من الخضوع .
- الكذوبُ مُتَّهمٌ وإن صَدَقَت لهجتُه ، ووضحَت حُجَّتُهُ .
- مَن طاوعه طَرْفُهُ اشتدَّ حَتفُهُ .
- مَن لم تَسُرَّ حياتُه لم تَغُمَّ وفاتُه .
- مِن أعظم الذُّنوب تحسينُ العيوب .
- الشَّرفُ بالهِمَم العالية لا بالرِّمم البالية .
- إذا مَلَكَ الأَراذِل هَلَكَ الأَفاضل .
- من ساءَت أخلاقُه طابَ فِراقه .
- مَن حَسُنَت خِصالُه طابَ وِصالُه .
- بُعْدٌ يُورثُ الصَّفاءَ ، خيرٌ مِن قُرْبٍ يُوجب الجَفاءَ .

- اللِّسانُ سيفٌ قاطعٌ لا يُؤْمَنُ حَدُّهُ ، والكلامُ سهمٌ نافِذٌ لا يُمكنُ رَدُّه .
- مَن اطَّلع على جارِه انهتكَت حُجُبُ أستاره .
- أَجهلُ النّاس مَن قَلَّ صَوابُه ، وكَثُر إِعجابُه .
- أَظهرُ النّاس نِفاقاً مَن أَمر بالطَّاعة ، وَلم يأْتَمرْ بها ، ونَهى عن المعصية ، ولم يَنْتَهِ عنها .
- من سلا عن المسلوبِ كَمَن لَمْ يُسْلَبْ ، ومَن صَبَرَ على النَّكبةِ كمن لم يُنْكَبْ .
- الفَضيلة بكثرَة الآدابِ لا بفراهَةِ الدَّوابِّ .
- مَن زادت شَهوتُه نَقصَت مُروءتُه .
- من عُرفِ بشيءٍ نُسب إِليه ، ومَن اعتادَ شيئاً حَرصَ عليه .
- عِند الجدال يَظهرُ فضلُ الرِّجالِ .
- مَن أَخَّرَ الأَكلَ لَذَّطعامُهُ ، ومَن أَخّر النَّوم طابَ مَنامُهُ .
- موتٌ في دولةٍ وعِزٍّ خيرٌ مِن حياةٍ في ذِلَّةٍ وَعَجْزٍ .
- مُقاساةُ الفقرِ هي الموتُ الأَحمر ، ومسأَلَةُ النَّاس هي العارُ الأَكبر .
- حقٌّ يضرُّ خيرٌ من باطل يَسُرُّ .
- كَم من مرغوبٍ فيه يَسوءُ ولا يَسرُّ ، ومَرهوبٌ منه ينفعُ ولا يَضُرُّ .
- عَثرَةُ الرِّجْلِ تَزلُّ القَدَم ، وعثرةُ اللِّسان تُزيل النِّعم .
- المزاحُ يورثُ الضَّغائن .
- مَن حلمَ سادَ ومن تَفَهَّمَ ازدادَ .
- مُعاشرةُ ذوي الأَلبابِ عمارةُ القُلوب .
- شرُّ ما صحبَ المرءَ الحسدُ .
- رُبَّما أَصابَ الأَعمى رُشْدَهُ ، وأَخطأَ البصيرُ قَصْدَهُ .
- اليأسُ خيرٌ من التَّضرُّع إِلى النّاس .
- لا تكنْ ضاحكاً في غير عَجَبٍ ولا ماشياً في غير أَرَبٍ .

- مَن سعى بالنَّميمة حَذِرَهُ القريبُ ومَقَتَهُ الغريبُ .
- الاستشارةُ عينُ الهداية ، وقد خاطَرَ مَن استبدَّ برأيه .
- أَشرفُ الغنى تركُ المُنى .
- مَن ضاق خُلُقُهُ مَلَّهُ أَهله .
- الحسدُ للصَّديق من سُقم المودَّة .
- كلُّ النّاس راضٍ عن عَقله .
- دُنياك كلُّها وَقْتُكَ الَّذي أَنت فيه .
- استرْ سَوْأَةَ أَخيك ، لِما يَعْلَمُ ما فيك .
- خُمول الذِّكر أَسنى من الذِّكر الذَّميم .
- العَجَلَةُ أُختُ النَّدامة .
- مَن كَرُمَ أَصلُه لانَ قَلْبُهُ ، ومَن قَلَّ لُبُّه زادَ عُجْبُه .
- رُبَّما أُدرك بالظَّن الصَّواب .
- لَيس لمعجَبٍ رَأيٌ ، ولا لمتكَبِّر صَديقٌ .
- سلْ عن الرَّفيق قبلَ الطَّريق ، وعن الجار قَبل الدَّار .
- لا تُعادِيَنَّ أَحداً ، فإِنَّك لا تخلو من عَداوة جاهل أَو عاقلٍ ، فالحَذَرَ من حِكمةِ العاقلِ وجَهْلِ الجاهلِ .
- ضاحِكٌ مُعْترفٌ بذَنْبه خيرٌ من باكٍ مُدِلٌ على ربِّه .
- مَن قلَّ سُروره كان الموتُ راحَتَهُ .
- لا تَرُدَّنَّ على ذي خطإٍ خَطأَهُ ، فيستفيدَ منكَ عِلْمَاً ، ويتَّخذكَ عَدوّاً .
- استحيِ مِن ذمِّ مَن لو كان حاضِراً لبالَغْتَ في مدحِهِ ، أَو مَدْحِ مَن لو كان غائباً ، لسارَعْتَ إِلى ذَمِّه .
- **وقيل** : المنفعةُ تُوجبُ المحبَّة ، والمَضَرَّةُ تُوجب البِغْضَة .
- والمخالفة تُوجب العداوة ، والمتابعةُ تُوجب الأُلْفة .
- والعدلُ يوجبُ اجتماعَ القلوب ، والجَوْرُ يوجبُ الفُرْقَة .

- وحُسْنُ الخُلُقِ يوجبُ المودَّة ، وسُوء الخُلُق يوجبُ المباعدة .
- والانبساطُ يوجبُ المُؤانسة ، والانقباضُ يوجبُ الوَحْشَة .
- والكِبْرُ يوجبُ المَقْتَ ، والتَّواضعُ يوجبُ الرِّفعة .
- والجودُ يوجبُ المدح ، والبخلُ يوجبُ الذَّمَّ .
- والتَّواني يوجبُ التَّضييع ، والحزمُ يوجبُ السُّرور .
- والحذَرُ يوجبُ السَّلامة ، وإِصابة التَّدبير توجبُ بقاءَ النِّعمة .
- وبالتَّأَنِّي تسهلُ المطالب ، وبحسنِ المعاشرة تدومُ المحبَّة .
- وبخفضِ الجانب تأنسُ النُّفوس ، وبسعة خُلُق المرءِ يطيبُ عَيْشُهُ ، والاستهانةُ تُوجب التَّباعدَ .
- وبكثرةِ الصَّمت تكون الهيبةُ ، وبِعَدْلِ المنطق تُجْلَبُ الجلالةُ ، وبالنَّصَفَةِ تكثرُ المواصلة .
- وبالإِفضال يَعْظُمُ القَدْرُ ، وبصالحِ الأَخلاق تَزكو الأَعمال ، وباحتمالِ المُؤَنِ يجبُ السُّؤْدَدُ .
- وبالحِلْمِ على السَّفيه تكثر أَنصارُك عليه .
- وبالرِّفقِ والتَّوَدُّدِ تستحقُّ اسم الكرامة ، وبتركِ ما لا يعنيكَ يَتِمُّ لَكَ الفَضْلُ .
- واعلم : أَنَّ السِّياسة تكسو أَهلهَا المحبَّة .
- ومِن صِغَرِ الهِمَّة حسدُ الصَّديق على النِّعمة .
- والنَّظر في العواقب نجاةٌ .
- ومَن لم يحلم نَدِمَ .
- ومَن صَبَرَ غَنِمَ ، ومَن سكتَ سَلِمَ .
- ومَن اعتبرَ أَبصرَ ، ومَن أَبصر فَهِم ، ومَن فَهمَ عَلِمَ ، ومَن أَطاع هواه ضَلَّ .
- ومع العجلة النَّدامة ، ومع التَّأَنِّي السَّلامة .
- وزارع البِرِّ يحصدُ السُّرور ، وصاحبُ العقل مغبوطٌ .
- وصداقةُ الجاهلِ تعبٌ .

• إذا جهلتَ فاسأَل ، وإذا زَلَلْتَ فارجعْ ، وإذا أَسَأْتَ فاندمْ ، وإذا ندِمْتَ فأَقلعْ .

• المروءاتُ كلُّها تبعٌ للعقلِ ، والرَّأيُ تبعٌ للتَّجربة ، والعقلُ أَصله التَّثبُّتُ وثمرتُهُ السَّلامة ، والأعمال كلُّها تَبَعٌ للقَدَر .

• واختارَ العلماءُ أَربعَ كلماتٍ من أَربعة كتب ؛ فَمن التَّوراة : مَن قَنِعَ شَبعَ ؛ ومِن الإنجيل : مَن اعتزل نَجا ؛ ومن الزَّبُور : مَن سكتَ سَلِمَ ؛ ومن القرآن ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران : ٣/١٠١] .

• واجتمعتْ حُكماء العرب والعَجَم على أَربعِ كلمات : لا تُحَمِّل بطنَك ما لا يُطيق ، ولا تعملْ عَملاً لا ينفعُك ، ولا تَثِقْ بامرأَةٍ ، ولا تغترَّ بمالٍ ولو كثرَ .

• والله تعالى أَعلم . (وصلَّى اللهُ على سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم .)

* * *

الباب السادس

في الأَمثال السَّائرة

وفيه فصول

الفصل الأوَّل

فيما جاء من ذلك في القُرآن العظيم وأَحاديث النَّبيِّ الكريم

• اعلم أَنَّ الأَمثال من أَشرف ماوصلَ به اللَّبيبُ خِطابه ، وحلَّى بجواهره كِتابه ؛ وقد نطقَ كتابُ الله تعالى ، وهو أَشرفُ الكتب المُنْزَلة بكثيرٍ منها ، ولم يخلُ كلامُ سيِّدنا رسول الله ﷺ عنها ؛ وهو أَفصحُ العربِ لِساناً ، وأَكملُهم بَياناً ، فكم في إِيراده وإِصداره مِن مثَلٍ يعجزُ عن مُباراته في البلاغة كُلُّ بَطَلٍ .

• وسنذكرُ إِن شاء الله تعالى بعد ذلك نُبْذَةً من أَمثال العربِ والمولَّدين والعامَّة .

• فمن أَمثال كتاب الله تعالى ، قولُه تعالى : ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران : ٣/ ٩٢] .

• ﴿ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ [يوسف : ١٢/ ٥١] .

• ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف : ١٢/ ٤١] .

• ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود : ١١/ ٨١] .

﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ ﴾ [الأعراف : ٧/ ٩٥] .

﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ [النجم : ٥٣/ ٥٨] .

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة : ٢/ ٤٤] .

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ [سبأ : ٣٤/ ٥٤] .

﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ [الأنعام : ٦/ ٦٧] .

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ﴾ [الإسراء : ١٧/ ٨] .

﴿ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ٤/ ١٩] .

﴿ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾ [آل عمران : ٣/ ١٢٠] .

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر : ٧٤/ ٣٨] .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً ﴾ [الأنعام : ٦/ ٤٤] .

﴿ مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ [المائدة : ٥/ ٩٩] .

﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢/ ٢٤٩] .

﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾ [التوبة : ٩/ ٩١] .

﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ [الحشر : ٥٩/ ١٤] .

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن : ٥٥/ ٦٠] .

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر : ٣٥/ ١٤] .

﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾ [الأنفال : ٨/ ٢٣] .

﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم : ٣٠/ ٣٢] .

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة : ٢/ ٢٨٦] .

﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ﴾ [المائدة : ٥/ ١٠٠] .

﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴾ [الشعراء : ٢٦/ ٢١] .

﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [ص : ٣٨/ ٢٤] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف : ٦١/ ٢] .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ﴾ [النساء : ٤/ ٤٩] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾ [المائدة : ٥/١٠١] .

﴿ وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴾ [الأنعام : ٦/٤] .

﴿ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الأنعام : ٦/٢٨] .

﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [المائدة : ٥/٩٨] .

﴿ ۞ وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾ [المؤمنون: ٢٣/ ٧٥] .

﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴾ [الغاشية : ٨٨/ ٢١ ـ ٢٢] .

﴿ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٣/ ٢٣] .

﴿ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ﴾ [الزخرف : ٤٣/ ٣٨] .

﴿ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [الذاريات : ٥١/ ٣٦] .

﴿ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ﴾ [الأعراف : ١٨٧] .

﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم : ٥٣/ ٣٢] .

﴿ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ﴾ [الرحمن : ٥٥/ ٢٩] .

﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ٧/ ١٨٥] .

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [هود : ١١/ ١٢٣ ، والنمل : ١٢٧/ ٩٣] .

﴿ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾ [المزمل : ٧٣/ ١٠] .

﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۖ ﴾ [الجاثية : ٤٥/ ١٥] .

﴿ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ ﴾ [الأعراف : ٧/ ١٥٥] .

﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [الحشر : ٥٩/ ٢] .

﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ [الواقعة : ٥٦/ ٧٦] .

﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ ﴾ [الملك : ٧٦/ ٣] .

﴿ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴾ [ص : ٣٨/ ٨٨] .

﴿ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾ [الفرقان : ٢٥/ ٦٧] .

﴿ لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ﴾ [الصافات : ٣٧/ ٦١] .

﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴾ [الرحمن : ٢٥/ ٢٦] .

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [آل عمران : ٣/ ١٨٥] .

﴿ أَفَسِحْرٌ هَـٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الطور : ٥٢/ ١٥] .

- **ومن الأَمثال من الحديث النَّبويِّ :**

« إِنَّما الأَعمالُ بالنِّيَّات ، وإِنَّما لكلِّ امرىءٍ ما نَوى » .

« نيَّةُ المرءِ خيرٌ مِن عَمَلِهِ » .

« آفَةُ العِلْمِ النِّسيانُ » .

« مِن حُسْنِ إِسلامِ المرءِ تَرْكُهُ ما لا يَعنيه » .

« إِذا أَتاكم كريمُ قومٍ فأَكرمُوه » .

« أَنزلوا النّاس مَنازِلَهم » .

« اليَدُ العُليا خيرٌ من اليَد السُّفلى » .

« مَن ماتَ غريباً ماتَ شهيداً » .

« مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ » .

« يدُ الله مع الجماعة » .

« الجارُ قبل الدّار ، والرَّفيق قبل الطَّريق » .

« مَن غَشَّنا فليسَ مِنّا » .

« سَيِّدُ القومِ خادِمُهُم » .

« الحياءُ شُعْبَةٌ من الإِيمان » .

« تَخَيَّروا لِنُطَفِكُم » .

« ابدأ بِنَفْسِكَ ثم بِمَن تَعُول » .

« حَدِّثْ عن البحرِ ولا حَرَج » .

« المجالسُ بالأَمانات » .

« كلٌّ مُيَسَّرٌ لِما خُلِقَ له » .

« اُطلبوا الخيرَ من حِسانِ الوُجوه » .

« إِيَّاكَ وما يُعْتَذَرُ منه » .

« الوَحدةُ خيرٌ من الجليسِ السُّوء » .
« استعينوا على الحوائجِ بالكِتْمان » .
« النَّدَمُ توبةٌ » .
« لا يَكونُ المؤمن طعّاناً ولا لعّاناً » .
« دَعْ ما يُريبك إلى ما لا يُريبك » .
« مَن كَثَّرَ سَوادَ قومٍ فهو مِنهم » .
« اُنصرْ أَخاك ظالِماً أَو مَظْلُوماً » .
« انتظارُ الفَرَجِ عِبادةٌ » .
« كادَ الفَقْرُ أَنْ يكونَ كُفْراً » .
« نِعمَ صَومعة [الرَّجل] بيتُه »
« الأَعمالُ بِخَواتيمها » .

الفصل الثّاني

في أَمثال العرب

- إِنَّ من البيان لَسِحْراً .
- إِنَّ الجوادَ قد يعثُرُ .
- إِنَّ البلاءَ مُوَكَّلٌ بالمنطقِ .
- إِنَّ أَخا الهيجاءِ مَن يَسْعَى مَعَكْ   وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكْ
- أَنفٌ في السَّماء واَسْتٌ في الماءِ .
- إِنَّ الذَّليلَ الَّذي لَيْسَتْ لَهُ عَضُدُ .
- أَيُّ الرِّجال المُهَذَّب .
- إِنَّما هو كَبَرْقِ خُلَّبٍ .
- إِذا أَدبر الدَّهرُ عن قومٍ كفَى عَدُوَّهم أَمْرَهُمْ .

- إِيَّاكِ أَعني فاسْمَعي يا جارة .
- إنْ لم يكن وِفاق ففِراقٌ .
- إنَّك لا تَجنِي من الشَّوك العنَب .
- إذا حانَ القَضاءُ ضاقَ الفَضاء .
- إنَّ المناكحَ خيرُها الأَبْكارُ .
- إذا كنتَ مُناطحاً فناطحْ بذَوات القُرون .
- أَوى إلى رُكْنٍ بلا قواعِد .
- إيَّاكَ أَن يَضربَ لِسانُك عنقَك .
- أَكْلٌ وحَمْدٌ خيرٌ مِن أَكْلٍ وذَمٍّ .
- آفَةُ المروءَةُ خُلْفُ الوَعْدِ .
- إذا قلتَ له : زِنْ ، طأطأَ رأسَهُ وحَزِن .
- إذا أَتاكَ أَحدُ الخَصمين وقد فُقئَت عَيْنُه ، فلا تَقضِ له حتّى يأتيَك خَصْمُه ، فلعلَّه فُقئت عيناه .
- تَرْكُ الذَّنبِ أَيْسَرُ من طَلبِ التَّوبَة .
- اتّقِ شرَّ مَن أَحسنتَ إِليه .
- النَّاسُ إِخوانٌ ، وشتَّى في الشِّيَم .
- بلغَ السَّيْلُ الزُّبى .
- أَجِعْ كلبَك يَتْبَعْك .
- حافِظ على الصَّديق ، ولو في الحريق .
- اشتَدِّي أَزْمَةُ تَنْفَرجي .
- أَتبعِ السَّيئةَ الحسنةَ تَمْحُها .
- الخيلُ أَعرفُ بفُرسانها .
- رَمَتْني بدائِها وانْسَلَّت .
- رُبَّ رَمْيَةٍ مِن غيرِ رامٍ .

- الرَّباحُ مع السَّماح .
- ربَّ أَكْلَةٍ تمنعُ أَكلاتٍ .
- استراحَ مَن لا عقلَ له .
- رُبَّ أَخٍ لم تَلِدْهُ أُمُّك .
- رُبَّ طَمَعٍ أَدَّى إلى عَطَبٍ .
- رُبَّما كانَ السُّكوتُ جَواباً .
- رُبَّ مَلوم لا ذَنْبَ له .
- رُبَّ عَيْنٍ أَنَمُّ مِن لِسانٍ .
- رَحِمَ اللهُ مَن أَهدى إليَّ عيوبي .
- رُكوبُ الخنافِسِ ولا المَشْيُ على الطّنافِسِ .
- سَبَقَ السَّيْفُ العَذَلَ .
- زَوجٌ مِن عودٍ خيرٌ من قُعودٍ .
- سَبَّك مَن بَلَّغك السَّبَّ .
- سَحابةُ صَيفٍ عن قليلٍ تَقَشَّعُ .
- شرُّ أيّام الدِّيك يومَ تُغسلُ رجلاه .
- طاعةُ النِّساءِ نَدامةٌ .
- اُطلبْ تظفرْ .
- طَرْفُ الفتى يُخبرُ عن لِسانه .
- ظاهرُ العِتابِ خيرٌ من باطنِ الحِقْدِ .
- عِنْدَ الصَّباح يَحمَدِ القوْمُ السُّرى .
- الظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخيمٌ .
- (عَيْنٌ عَرَفَتْ فَذَرَفَتْ[1]) .

---

(١) من أ .

- عِنْد النِّطاح يَغلبُ الكَبْشُ الأَجَمُّ .
- العَبْـدُ يُقْـرَعُ بـالعَصـا والحُـرُّ تكفيـهِ المـلامَـةْ
- اْعْقِل وَتوَكَّلْ .
- العِتَابُ قَبلَ العِقاب .
- عِندَ الرِّهانِ تُعرفُ السَّوابقُ .
- عِند الامتحانِ يُكرمُ المرءُ أَو يُهان .
- عندَ النَّازلة تَعرفُ أَخاكَ .
- في القَمر ضياءٌ ، والشَّمْسُ أَضوأُ منه .
- القولُ ما قالَتْ حَذامِ .
- لقد أَسْمَعْتَ لو ناديتَ حيّاً .
- أَقللْ طعامَك تَحْمَدْ مَنامَك .
- كُلُّ فتاةٍ بأَبيها مُعْجَبَةٌ .
- كُلُّ كلبٍ ببابِه نَبّاحٌ .
- كادَ العروسُ أَن يكونَ مَلِكاً .
- كثرةُ العِتاب تُوجبُ البَغضاءَ .
- أَكثرُ مصارعِ الرِّجال تحتَ بُروقِ المطامع .
- الكلامُ أُنثى والجوابُ ذَكَرٌ .
- كُلُّ إِناءٍ يرشَحُ بما فيه .
- كما تَزرعُ تَحصدُ .
- كُلُّ امرىءٍ في بيتِه صَبِيٌّ .
- كلبٌ جوّالٌ خيرٌ مِن أَسدٍ رابضٍ .
- لقد ذلَّ من بَالت عليه الثَّعالبُ .
- لَيسَ الخَبرُ كالمعايَنَةِ .
- لكلِّ صارمٍ نَبْوَةٌ ، ولكلِّ جوادٍ كَبْوَةٌ .

- لكلِّ قادمٍ دهشَةٌ .
- لعلَّ لها عُذراً وأَنت تلوم .
- لكلِّ ساقطةٍ لاقِطةٌ .
- لكلِّ مقامٍ مقالٌ .
- لك لسانٌ من رُطب ، ويدان من خَشَبٍ .
- للباطلِ جَوْلَةٌ ثم يَضمَحِلُّ .
- لَيسَت النّائحةُ الثَّكْلى مثْلَ المستأجَرَة .
- لكلِّ غدٍ طعامٌ .
- لكلِّ دهرٍ دولةٌ ورجالُ .
- لا عِطْرَ بعدَ عَروسٍ .
- لا يُلدغُ المؤمنُ من جُحْرٍ مرَّتين .
- لا يَضُرُّ السَّحابَ نباحُ الكلابِ .
- لا تَقْتَنِ من كلبِ سَوْءٍ جُرواً .
- مَقتلُ الرَّجلِ بينَ فَكَّيْه .
- ما حَكَّ جلدَك مثلُ ظُفْرِكَ .
- مَن عتبَ على الدَّهر طالَ عتبُه .
- مُعاتبةُ الإِخوان خيرٌ مِن فَقْدِهِم .
- النَّفْسُ مُولعةٌ بحبِّ العاجل .
- هذه بتلكَ ، والبادي أَظلمُ .
- يا حبَّذا الإِمارة ولو على الحِجارة .
- يَكسو النَّاس واَسْتُهُ عاريةٌ .
- يَدُك منكَ وإِن كانت شَلاّءَ .

الفصل الثالث

في أَمثال العامَّة والمولَّدين

- التَّسلُّطُ على المماليك دَناءَةٌ .
- (اجلسْ حيثُ يُؤخذُ بيدكَ وتُبَرُّ)[1] ، ولا تَجلس حيثُ يُؤخذُ بِرِجْلك وَتُجَرُّ .
- أَجرأُ النّاسِ على الأَسد أَكثرُهم له رُؤْيَةً .
- الحاجةُ تَفتقُ الحيلةَ .
- الحاوي لا ينجو من الحيّاتِ .
- الحبَّةُ تدورُ وإلى الرَّحى ترجعُ .
- المُؤْذي رَدي كلّما جَلَوْتَهُ صَدِي .
- الأَسواقُ موائدُ الله في أَرضه .
- السَّلامةُ إِحدى الغنيمتين .
- الشَّاةُ المذبوحةُ لا يُؤْلِمها السَّلخُ .
- الطَّير بالطَّيرِ يُصاد .
- اطَّلعَ القردُ في الكنيفِ فقال : هذه المرآةُ لهذا الوجهِ الظَّريفِ .
- العادةُ طبيعةٌ خامسةٌ .
- الغائبُ حُجَّتُهُ معه .
- الخضوعُ عند الحاجة رُجُولِيَّة .
- الناسُ أَتباعٌ لمن غَلَبَ .
- النِّكاحُ يُفسدُ الحُبَّ .
- النُّصْحُ بين الملأ تقريعٌ .

---

(١) من أ ، ب .

- (الحولاءُ مع العُور ملَوَّزةُ العينين)[1] .
- الحُرُّ حُرٌّ وإن مَسَّهُ الضُّرُّ ، والعبد عبدٌ وإن مَلَكَ الدُّرَّ .
- الثَّقيلُ إذا تخفَّف صارَ طاعوناً .
- أَضيعُ من حُليٍّ على زِنْجيَّة .
- العملُ للزَّرنيخ والاسمُ للنُّورَة .
- أَنشط من أَيْرٍ دخل نِصْفُهُ .
- البغلُ الهرِمُ لا يُفزعُه صوتُ الجُلْجَل .
- بدنٌ وافرٌ ، وقلبٌ كافرٌ .
- تزاوروا ولا تَجاوروا .
- تعاشروا كالإخوان ، وتَعاملوا كالأَجانب .
- ثمرةُ العَجَلَةِ النَّدامةُ .
- جواهرُ الأَخلاق تَفضحُها المعاشَرة .
- حَيثما سقطَ لَقَطَ .
- خُذِ اللِّصَّ قبل أَن يأخذك .
- خذِ القليلَ من اللَّئيم وذُمَّه .
- ذَلَّ من لا سَفيهَ له .
- رِيقُ العدوِّ سُمٌّ قاتلٌ .
- رُبَّ ساعٍ لِقاعدٍ .
- زكاةُ البدَنِ العملُ .
- زلقَ الحمارُ وكان من شَهوةِ المكاري .
- زلَّةُ الرَّجل عَظْمٌ يُجبَر ، وزلَّة اللسان لا تُبقي ولا تَذَر .
- سُلطان غَشومٌ خيرٌ من فِتنةٍ تدومُ .

---

(١) من أ ، ب .

- سواءٌ قولُهُ وبَولُهُ .
- سَفيرُ السُّوءِ يُفسدُ ذاتَ البَين .
- شَهْرٌ ليسَ لك فيه رزقٌ لا تَعُدَّ أيّامَهُ .
- صديق الوالدِ عمُّ الوَلَدِ .
- ضَرَبَ الطَّبلَ تحت الكِساء .
- طاعةُ الولاةِ بقاءُ العزِّ .
- طفيليٌّ ويقترحُ .
- عِنايةُ القاضي خيرٌ من شاهِدَيْ عَدْلٍ .
- دلَّت على أَهلها براقشُ ـ وهو اسمُ كَلْبَةٍ نَبَحَتْ فَدَلَّت الجيشَ على قومِها فَقَتَلُوهُم ـ .
- غشُّ القُلوبِ يظهرُ في فَلَتاتِ الأَلْسُنِ وَصَفحات الوُجوه .
- غِنَى المرءِ في الغُرْبَةِ وطَنٌ .
- فَرَّ من الموتِ وفي الموت وَقَع .
- فمٌ يُسَبِّحُ وقَلْبٌ يُذبِّحُ .
- فلان كالكعبةِ يُزار ولا يَزورُ .
- قيلَ للزَّمّار : تهيّأ للزَّمر ؛ قال : المزمارُ في كُمِّي والرِّيح في فَمي .
- كُلْ قليلاً تعشْ كثيراً .
- كلامُه ريحٌ في قَفَصٍ .
- كالإبرة تكسُو النّاس وهي عاريةٌ .
- كلمةُ حكمةٍ من جَوْفٍ خَربٍ .
- كاد المريبُ يقولُ : خُذوني .
- كنتَ سِنْدالاً فَصِرْتَ مِطْرَقَةً .
- كلُّ ما فاتَكَ من الدنيا فهو غَنيمةٌ .
- لو كان المزاحُ فَحْلاً لم ينتج إلا شَرّاً .

- كلّما طار قصُّوا جناحَه .
- لسانُ الجاهلِ مِفتاحُ حَتْفِهِ .
- لِكُلِّ جديدٍ لذَّةٌ .
- لو ضاعَت صفعةٌ ما وُجدت إلاّ في قَفاه .
- لو كان في البومِ خيرٌ ما فات الصَّيّاد .
- من اعتمدَ على شرفِ آبائه فقد عَقَّهُم .
- مِن سعادةِ المرءِ أَن يكونَ خصمُه عاقلاً . وبالله التَّوفيقُ .

الفصل الرّابع

في الأَمثالِ من الشِّعر المنظومِ مرتبة على حُروف المعجم

حرف الألف

أَلا كُلُّ شَيْءٍ ما خَلا اللهَ باطِلُ وكُلُّ نَعيمٍ لا مَحالةَ زائِلُ

إِذا جاءَ مُوسى وأَلقى العَصا فقد بَطَلَ السِّحْرُ والسّاحِرُ

إِذا لم يَكُنْ فيكُنَّ ظِلٌّ ولا جَنى فأَبْعَدَكُنَّ اللهُ مِن شَجَراتِ

إِذا كنتَ في فِكري وقَلبي ومُقلتي فأَيُّ مكانٍ من مَكانِكَ أَلْطَفُ

إِذا أَرادَ كريمٌ نَفْعَ صاحِبِهِ فليسَ يَخفى عليهِ كَيفَ يَنْفَعُهُ

إِذا ما أَتيتَ الأَمرَ من غيرِ بابِهِ ضَلَلْتَ وإِنْ تَقْصِدْ إِلى البابِ تَهْتَدِ

إذا أَنتَ لم تُنصفْ أَخاك وَجَدْتَهُ على طَرَفِ الهِجْرانِ إِن كانَ يَعْقِلُ

إذا لَم يَكنْ عِندي نَوالٌ هَجَرتَني وإِن كانَ لي مالٌ فأَنْتَ صَديقي

النَّاسُ في طلبِ المَعاشِ وإِنَّما بالجِدِّ يُرْزَقُ مِنْهُم مَن يُرزَقُ

أَيُّها السّائِلُ عَمّا قَد مَضى هَلْ جَديدٌ مِثْلُ مَلْبوسٍ خَلَقْ

إِنَّما أَنفُسُنا عاريَّةٌ والعَواري حُكْمُها أَنْ تُسْتَرَدْ

إِنَّ العَدُوَّ وإِنْ أَبْدَى مَسالَمَةً إِذا رَأَى مِنْكَ يَوماً غِرَّةً وَثَبا

أَتَمَنّى على الزَّمانِ مُحالاً أَن تَرى مُقْلَتايَ طَلْعَةَ حُرِّ

إذا مَلِكٌ لَم يَكُنْ ذاهِبَهْ فَدَعْهُ فَدَوْلَتُهُ ذاهِبَه

إذا ثارَتْ خُطوبُ الدَّهْرِ يَوماً عَليكَ فَكُنْ لَها ثَبْتَ الجِنانِ

إنْ كُنْتَ لا تَرْضى بِمَا قَد ترى فَدُونَكَ الحَبْلَ بهِ فاخْتَنِقْ

إنَّ الأُمورَ إذا بَدَتْ لِزَوالِهَا فَعَلامَةُ الإِدبارِ فيها تَظْهَرُ

إذا ضـاعَ شَـيْءٌ بيـنَ أُمٍّ وبِنْتِهـا فـإحـداهُمـا لا شَـكَّ ذَلِـكَ آخِـذُهْ

إذا كانَ رَبُّ البَيْتِ بالطَّبْلِ ضارِباً فَلا تَلُمِ الصِّبيانَ فيهِ على الرَّقْصِ

إذا مــا أَرادَ اللهُ إِهْــلاكَ نَمْلَــةٍ سَمَتْ بِجَناحَيْها إِلى الجَوِّ تَصْعَدُ

إذا أَنْتَ لم تَعْرِضْ عَنِ الجَهْلِ والخَنا أَصَبْتَ حَليماً أَو أَصابَكَ جاهِلُ

إذا لــم تَسْتَطِـعْ أَمْـراً فَـدَعْـهُ وجـاوِزْهُ إِلــى مــا تَسْتَطيــعُ

إذا صَـوَّتَ العُصفـورُ طـارَ فُـؤادُهُ وليثٌ حَديدُ النّابِ عِنْدَ الثَّرائِدِ(١)

أَهِـنْ عـامِـراً تُكْـرَمْ عليـهِ فـإِنَّمـا أَخُـو عـامِـرٍ مَـن مَسَّـهُ بِهَـوَانِ

إذا مَحاسِنِيَ اللّاتي أَتَيْتُ بها عُدَّتْ ذُنوباً فَقُلْ لي كَيْفَ أَعْتَذِرُ(٢)

إِخْـوانُ صِـدْقٍ مـا رَأَوْكَ بِغِبْطَـةٍ فإذا افْتَقَرْتَ فَقَد هَوى بِكَ مَنْ هَوى

إذا اعْتـادَ الفَتـى خَـوْضَ المنـايـا فـأَيْسَـرُ مـا يَمُـرُّ بـهِ الـوُحُـولُ

---

(١) في ط: × ولكن حديد . . . .
(٢) في ب: × غدت . . .

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ المَـرْءَ تَـذوى يَمينُـهُ   فَيَقْطَعُهـا عَمْـداً لِيَسْلَـمَ سـائِـرُهْ

إذا أَنْـتَ لـم تُعْلِـمْ طَبيبَـكَ كُلَّمـا   يَسُوؤُكَ أَبْعَدْتَ الدَّواءَ عن السُّقْمِ[1]

إذا أَنْـتَ حَمَّلْـتَ الخَـؤونَ أَمـانَـةً   فـإِنَّـك قـد أَسْنَـدْتَهَـا شَـرَّ مُسْنَـدِ

أَكُـلُّ خليـلٍ هَكَـذا غَيْـرُ مُنْصِـفٍ   وَكُـلُّ زَمـانٍ لِلْكِـرامِ بَخيـلُ؟

إذا أَنْـتَ عِبْـتَ المَـرْءَ ثُـمَّ أَتَيْتَـهُ   فَـأَنْـتَ ومَـن تُـزْري عليـهِ سَـواءُ

أَسَـأْتُ إِذْ أَحْسَنْـتُ ظَنِّـي بِكُـمْ   والحَـزْمُ سُـوءُ الظَّـنِّ بـالنَّـاسِ

الحـادثـاتُ إِذا أَلَـمَّ خُطُـوبُهـا   فَلَهـا مَسـاوٍ مَـرَّةً ومَحـاسِـنُ

الخَيْـرُ لا يَـأْتِيـكَ مُتَّصِـلاً   والشَّـرُّ يَسْبِـقُ سَيْلُـهُ مَطَـرَهُ

العِلْمُ يَنْهَضُ بالخَسيسِ إِلى العُلا   والجَهْـلُ يَقْعُـدُ بـالفَتـى المَنسوبِ

الكُفْـرُ بـالنِّعْمَـةِ يَـدْعُـو إِلـى   زَوالِهـا والشُّكْـرُ أَبْقـى لَهـا

---

(١) في ب: × . . . أقصيت الدواء . . .

أيا دارَهُمْ ما كُنتَ أَنتَ بِدَارِهِمْ وَلا أَنا مُذْ سارَ الرَّكابُ بِهِمْ أَنا

أقَلِّبُ طَرْفي لا أرى غَيْرَ صاحبٍ يميلُ مع النَّعْماءِ حَيْثُ تَميلُ

إذا ما قَضَيْتَ الدَّيْنَ بالدَّيْنِ لَم يَكُنْ قضاءٌ ولكنْ ذاكَ غُرْمٌ على غُرْمِ

حرف الباء الموحَّدة

بِنا فَوْقَ ما تَشْكو فَصَبْراً لَعَلَّنا نَرى فَرَجاً يَشْفي السَّقامَ قَريبا

بالمِلْحِ نُصْلحُ ما نَخْشى تَغَيُّرَهُ فَكَيْفَ بالمِلْحِ إنْ حَلَّتْ بِهِ الغِيَرُ

بني عَمِّنا إنَّ العَداوَةَ شَأْنُها ضَغائِنُ تَبْقَى في نُفوسِ الأَقارب

حرف التّاء المثنّاة الفوقيّة

تَحِنُّ إِليهِ أَفْئِدَةُ البَرايا وتَهواهُ الخلائِقُ للسَّماعِ

تلُومُ على القَطِيعَةِ مَن أَتاها وأَنْتَ سَنَنْتَها للنّاسِ قَبْلي

تلْجي الضَّرُوراتُ في الأُمورِ إلى سُلوكِ ما لا يليقُ بالأَدَبِ

تفَرَّقَتِ الظِّباءُ على خِراشٍ وما يَدري خِراشٌ ما يَصيدُ

تجْتَلــي الأُذْنُ مِنْــهُ أَحْسَــنَ مِمّــا   تَجْتَلـي العَيْـنُ مِـن وُجُـودِ البُـدورِ

حرف الجيم

جُــنَّ لَــهُ الــدَّهْــرُ فَنــالَ الغِنَــى   آهِ لِمَــــنْ أَغْفَلَــــهُ الــــدَّهْــــرُ

جـرَّبْـتُ أَهلـي وَأَهْليـهِ فَمـا تَـرَكْـتْ   لِيَ التَّجارِبُ في وَدِّ ٱمْرِىءٍ غَرَضا

حرف الحاء المهملة

حيَّـاكَ مَـنْ لَـمْ تَكُـنْ تَـرْجُـو تَحِيَّتَـهُ   لَـوْلا الـدَّراهِـمُ مـا حَيّـاكَ إِنْسـانُ

حرف الخاء المعجمة

خَفِّـضِ الجَـأْشَ واصْبِـرَنَّ رُوَيْـداً   فـالـرَّزايـا إِذا تَـوالَـتْ تَـوَلَّـتْ

خلِيلـيَّ إِنَّ الحُـبَّ صَعْـبٌ مِـرَاسُـهُ   وإِنَّ عَــزيــزَ القَــوْمِ فيــهِ يُهــانُ

خـاطِـرْ بِنَفْسِـكَ كَـي تُصيـبَ غَنِيمَـةً   إِنَّ الجُلــوسَ مــع العِيــالِ قَبيــحُ

خيالُك في عَيْني وذِكْرُكَ في فَمي   ومَثْـوَاك فـي قَلْبـي فـأَيْـنَ تَغيـبُ

خنْ مَنْ أَمِنْتَ وَلا تَرْكَنْ إِلى أَحدٍ   فَمـا نَصَحْتُـكَ إِلاّ بَعْـدَ تَجـريـبِ

حرف الدّال المهملة

داودُ مَحمودٌ وأَنْتَ مُذَمَّمٌ عَجَباً لِذاكَ وَأَنْتُما مِنْ عُودِ

دعِيْنِي أُنهِبُ الأَموالَ حتّى أَعُفَّ الأَكرمينَ عَنِ اللِّئامِ

حرف الذّال المعجمة

ذُو العَقْلِ يَشْقى في النَّعيمِ بِعَقْلِهِ وأَخُو الجَهالَةِ في الشَّقاوةِ يَنْعَمُ

حرف الرّاء

رُبَّ مَهْزُولٍ سَمينٌ عِرْضُهُ وَسَمينِ الجِسمْ مَهْزُولُ الحَسَبْ

رُدُّوا عَلَيَّ صَحائِفاً سَوَّدْتُها فِيكُمْ بِلا حَقٍّ وَلا اسْتِحْقاقِ

رضِيْتُ وَلا أَرْضَى إِذا كانَ مُسْخِطِي مِنَ الأَمْرِ ما فيهِ رضا صاحِبِ الأَمْرِ

ربَّ يَومٍ بَكيتُ منهُ فَلَمّا صِرْتُ فِي غَيْرِهِ بكيتُ عليهِ

حرف الزّاي

زَنيمٌ ليسَ يُعْرَفُ مَنْ أَبوهُ بَغِيُّ الأُمِّ ذو حَسَبٍ لَئيم

حرف السّين المهملة

سُروريَ أَنْ نَبْقَى بِخَيْرٍ وَنِعْمَةٍ وإِنّي مِن الدُّنْيا بِذَلِكَ قانِعُ

سوءُ حَظِّي أنالَني مِنكَ هُجْراً   فعَلى الحَظِّ لا عَلَيكَ العِتابُ

سبكْنَاهُ ونَحسَبُهُ لُجَيْناً   فأَبدى الكِيرُ عَنْ خَبَثِ الحديدِ

ستَذكُرُني إذا جَرَّبتَ غَيري   وتَعلَمُ أنَّني نِعْمَ الصَّديقُ

حرف الشِّين المعجمة

شَفيعي إليكَ اللهُ لا رَبَّ غيرُهُ   ولَيسَ إلى رَدِّ الشَّفيعِ سَبيلُ

شكَرْتُكَ قبْلَ الخيْرِ إنْ كُنتَ واثِقاً   بِأنِّيَ بَعْدَ الخَيْرِ لا شَكَّ شاكِرُ

حرف الصّاد المهملة

صَحَّ لَنا والِدَهُ أوّلاً   وأنْتَ في حِلٍّ مِن الوالِدَه

حرف الضّاد المعجمة

ضاقَتْ ولَو لَمْ تَضِقْ لَما انْفَرَجَتْ   والعُسْرُ مِفتاحُ كُلِّ مَيسورِ

حرف الطّاء المهملة

طويلُ عُمْرِ المَعالي والنَّدى أبَداً   قَصيرُ عُمرِ الأعادي والمواعيدِ

طوبى لأعْيُنِ قَومٍ أنتَ بَيْنَهُمُ   القَوْمُ في نُزْهَةٍ مِن وَجْهِكَ الحَسَنِ

حرف الظّاء المُشالة

ظَهَرَتْ خِيانـاتُ الثِّقـاتِ وَغَيْـرِهِـمْ حَتَّـى اتَّهَمْنَـا رُؤْيَـةَ الأَبْصـار

ظَلَمْـتَ امْـرأً كَلَّفْتَـهُ غيـر خُلقِـهِ وَهَـلْ كـانَـتِ الأَخـلاقُ إلا غَـرائِـزا

حرف العين المهملة

عَلِـمَ الله كيـفَ أَنْـتَ فَـأَعْطـا كَ المَحَـلَّ الجَليـلَ مِـن سُلْطـانِـهِ

على المَرْءِ أَنْ يَسْعَى لِما فيه نَفْعُهُ وَلَيْـسَ عليـهِ أَنْ يُسـاعِـدَهُ الـدَّهْـرُ

عسَـى فَـرَجٌ يَـأْتـي بِـهِ اللهُ إِنَّـهُ لَـهُ كُـلَّ يَـوْمٍ فـي خَلِيقَتِـهِ أَمْـرُ

عتَبْـتُ علـى عَمْـروٍ فَلَمّـا تَـرَكْتُـهُ وَجَرَّبْتُ أَقواماً بكيتُ على عَمْرِو

حرف الغين المعجمة

غَنِـيٌّ بِـلا دَيْـن عـنِ الخَلْـقِ كُلِّهِـمْ وَإِنَّ الغِنَـى إِلاَّ عَـن الشَّـيْءِ لا بِـهِ

غـلامٌ أَتـاهُ اللُّـؤْمُ مِـنْ شَطْـرِ نَفْسِـهِ وَلَـمْ يَـأْتِـهِ مـنْ شَطْـرِ أُمٍّ وَلا أَب

حرف الفاء

فَلَـمْ أَرَ كـالأَيّـامِ لِلْمَـرْءِ واعِظـاً وَلا كَصُرُوفِ الـدَّهْـرِ لِلْمَـرءِ هَـاديـا

فنفسَـكَ أَكْـرِمْهَـا فـإِنَّـك إِنْ تَهُـن   عَلَيْكَ فَلَنْ تَلْقى لَهَا الدَّهْرَ مُكْرِما

فصَبْرٌ جَميـلٌ إِنَّ فـي اليَـأْسِ راحـةً   إِذا الغَيْثُ لَمْ يُمْطِرْ بِلادَكَ ماطِرُهْ

فمَا أَكْثَرَ الأَصحابَ حينَ تَعُدُّهُمْ   وَلكِنَّهُــمْ فــي النّــائِبــاتِ قليــلُ

فـإِنْ كـانَـتِ الأَجسامُ مِنّـا تَبـاعَـدَتْ   فَـإِنّ المَـدى بيـنَ القُلـوبِ قَـريـبُ

فلَوْ كانَ حمدٌ يُخلِدُ المَرْءَ لَمْ يَمُتْ   وَلكـنَّ حَمْـدَ المَـرْءِ غَيْـرُ مُخَلَّـدِ

فــإِنْ تَفُــقِ الأَنــامَ وَأَنْــتَ مِنْهُــمْ   فَــإِنَّ المِســكَ بَعْــضُ دَمِ الغَــزالِ

حرف القاف

قَــدْ يَجْمَــعُ المــالَ غَيْــرُ آكِلِــهِ   وَيَـأْكُـلُ المـالَ غَيْـرُ مَـنْ جَمَعَـهْ

قـد زالَ مُلْـكُ سُلَيْمَـانٍ فَعـاوَدَهُ   وَالشَّمْسُ تَنْحَطُّ في المَجْرى وتَرْتَفِعُ

قـدْ يُـدْرِكُ المُتَـأَنّي نُجْـحَ حـاجَتِـهِ   وَقَـدْ يَكـونُ مـعَ المُسْتَعْجِـلِ الزَّلَـلُ

قــدْ يُـدْرِكُ الشَّـرَفَ الفَتـى وَرِداؤُهُ   خَلَـقٌ وَجَيْـبُ قَميصِـهِ مَـرْقُـوعُ

حرف الكاف

كُلوا اليَوْمَ مِن رِزْقِ الإِلَهِ وأَبْشِروا ... فإِنَّ على الخَلاّقِ رِزْقُكُمُ غدا

كفى زاجِراً لِلْمَرْءِ أَيّامُ دَهْرِهِ ... تَروحُ لَهُ بالواعِظاتِ وَتَغتدي

كنتُ مِنْ كُرْبَتِي أَفِرُّ إِلَيْهِمْ ... فَهُمُ كُرْبَتِي فَأَيْنَ الفَرَارُ

كانُوا بَني أُمٍّ فَفَرَّقَ شَمْلَهُمْ ... عَدَمُ العُقولِ وَخِفَّةُ الأَحْلامِ

كلُّ المصائِبِ قَدْ تَمُرُّ على الفَتى ... فَتَهُونُ غَيْرَ شَماتَةِ الأَعداءِ

كأَنَّكَ مِن كُلِّ النُّفوسِ مُرَكَّبٌ ... فَأَنْتَ إِلى كُلِّ الأَنامِ حَبيبُ

كالكَلْبِ إِنْ جاعَ لَمْ يَمْنَحْكَ بَصْبَصَةً ... وإِنْ يَنَلْ شِبْعاً يَنْبَحْ مِنَ الأَشَرِ

حرف اللاّم

لَعَمْرُكَ ما يَدري الفَتى كَيْفَ يَتَّقي ... إِذا هُوَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ اللهُ واقِيا

لعَمْريَ ما ضاقَتْ بِلادٌ بأَهْلِها ... ولكنَّ أَخلاقَ الرِّجالِ تَضيقُ

للْمَوْتِ فينا سِهامٌ وَهيَ صائِبَةٌ ... مَنْ فاتَهُ اليَوْمَ سَهْمٌ لَمْ يَفُتْهُ غدا

لــوْ أَنَّ خِفَّــةَ عَقْلِــهِ فــي رِجْلِــهِ سَبَــقَ الغَــزالَ وَلَــمْ يَفُتْــهُ الأَرْنَــبُ

لوْ كـانَ مـا بـيَ فـي صَخْـرٍ لأَنْحلهُ فكيــفَ يَحْمِلُــهُ خَلْــقٌ مِــنَ الطِّيْــنِ

لعَمْــرُكَ مــا الأَيّــام إلاّ مُعــارَةٌ فَمـا اسْطَعْـتَ مِـنْ مَعْـروفِهـا فتَـزَوَّدِ

لِكُـلِّ امْـرئٍ حـالانِ بُـؤْسٌ وَنِعْمَـةٌ وأَعْطَفُهُــمْ فــي النّـائِبـاتِ أَقـارِبُـهْ

حرف الميم

مَــنْ يَحْمَــد النّــاسَ يَحْمَــدُوهُ والنّــاسُ مَــنْ عــابَهُــمْ يُعــابُ

مــنْ لَــمْ يَعُــدْنــا إذا مَــرِضْنــا إن مــاتَ لَــمْ نَشْهَــدِ الجَنَــازَهْ

متـى يَبْلُـغُ البُنْيـانُ يَـومـاً تَمـامَـهُ إذا كُنْــتَ تَبْنيــهِ وَغَيْــرُكَ يَهْــدِمُ

مِنْ كانَ فَوْقَ مَحَلِّ الشَّمْسِ رُتْبَتُهُ فَلَيْــسَ يَــرْفَعُــهُ شَــيْءٌ وَلا يَضَـعُ

مِنَ النّاسِ مَنْ يَغْشَى الأَباعِدَ نَفْعُهُ وَيَشْقَـى بِـهِ حتَّـى المَمـات أَقـارِبُـهْ

مـا كـانَ فـي المَخْـدَعِ مِـنْ أَمْـرِكُـمْ فــإِنَّــهُ فــي المَسْجِـد الجَـامِـعِ

مــاقــامَ عَمْــرٌو فــي الــولا يَــةِ قــائمــاً حتَّــى قَعَــدْ

حرف النُّون

نُسَــوِّدُ أَعــلاهــا وتَــأْبَــى أُصُــولُهــا   وَلَيْــسَ إِلــى رَدِّ الشَّبــاب سَبيــلُ

نحْــنُ بَنُــو المَــوْتَــى فَمــا بــالُنــا   نَعــافُ مــا لا بُــدَّ مِــن شُــرْبِــهِ

نــدِمْــتُ نَــدامَــةَ الكُسَعِــيِّ لَمّــا   رَأَتْ عَيْنَــاهُ مــا صَنَعَــتْ يَــدَاهُ

حرف الهاء

هَنَّــاكُــمُ الله بــالــدُّنْيــا وَمَتَّعَكُــمْ   بِمــا نُحِــبُّ لَكُــمْ مِنْهَــا وَنَــرْضَــاهُ

هلْ بالحَوادِثِ والأَيّامِ مِنْ عَجَبِ   أَمْ هَل إِلى رَدٍّ ما قَدْ فاتَ مِن طَلَبِ

هــبِ الــدُّنْيــا تُقَــادُ إِليــكَ عَفْــواً   أَلَيْــسَ مَصِيْــرُ ذاكَ إِلــى الــزَّوالِ

هنيئــاً لِمَــنْ لا ذاقَ للــدَّهْــرِ لَــوْعَــةً   وَلَــمْ تــأْخُــذِ الأَيّــامُ مِنْــهُ نَصيبــا

همْ يَحْسُدوني على مَوتي فَوا حَزَني   حتَّى على المَوْتِ لا أَخْلو من الحَسَدِ

حرف الواو

وَلَــمْ أَرَ كــالمَعْــرُوفِ أَمّــا مَــذاقُــهُ   فَحُلْــوٌ وَأَمّــا وَجْهُــهُ فَجَمِيــلُ

وإِذا خشيْــتَ مِــنَ الأُمــورِ مُقَــدَّراً   وَهَــرَبْــتَ مِنْــهُ فَنَحْــوَهُ تَتَــوَجَّــهُ

والرِّزْقُ يُخْطِىءُ بابَ عاقِلِ قَوْمِهِ وَيَبِيتُ بَوّاباً بِبابِ الأَحْمَقِ

ولا يَغْرُرْكَ طُولُ الحِلْمِ مِنِّي فَمَا أَبَداً تُصادِفُني حَليما

ولا خَيْرَ فيمَن لا يُوَطِّنُ نَفْسَهُ على نائِباتِ الدَّهْرِ حينَ تَنُوبُ

وإِذا أَتَتْكَ مَذَمَّتي من ناقِصٍ فَهِيَ الشَّهادَةُ لي بِأَنِّي كامِلُ

وما لِلْمَرْءِ خَيْرٌ في حَياةٍ إذا ما عُدَّ من سَقَطِ المَتاعِ

وما المَرْءُ إلا كالهِلالِ وَضَوْئِهِ يُوافي تَمامَ الشَّهْرِ ثُمَّ يَغيبُ

وقَدْ تَسْلُبُ الأَيّامُ حالاتِ أَهْلِهَا وَتَغْدو على أُسْدِ الرِّجال الثَّعالِبُ

ومَنْ يَأْمَن الدَّهْرَ الخَؤونَ فإِنَّني بِرَأْيِ الَّذي لا يَأْمَنُ الدَّهْرَ أَقْتَدي

وإِذا افْتَقَرْتَ إِلى الذَّخائِرِ لَمْ تَجِدْ ذُخْراً يَكونُ كصالحِ الأَعْمالِ

ومَنْ يَكُنْ الغُرابُ لَهُ دَليلاً يَمُرُّ به على جِيَفِ الكِلابِ

ومَنْ يَكُ مِثْلي ذا عِيالٍ وَمُقْتِراً مِنَ الزّادِ يَطْرَحْ نَفْسَهُ أَيَّ مَطْرَحِ

وَلَـرُبَّمـا مَنَـعَ الكَـريـمُ وَمـا بـه   بُخْـلٌ وَلكِـنْ سُـوءُ حَـظِّ الطَّـالِـبِ

ولا باتَ يَسْقينا سوى الماء وَحْدَهُ   وَهذا جَزا مَنْ باتَ ضَيْفَ الضَّفادِعِ

ومَنْ عاشَ في الدُّنيا فَلا بُدَّ أَنْ يَرى   مِـنَ العَيـشِ ما يَصْفُـو ومَـا يَتَكَـدَّرُ

ولَو دامَتِ الدَّوْلاتُ دامَتْ لِغَيْرِنَا   رَعَـايـا وَلكِـنْ مـا لَهُـنَّ دَوامُ

وأَحْسِـنْ فَـإِنَّ المَـرْءَ لا بُـدَّ مَيِّـتٌ   وَإِنَّـكَ مَجْـزِيٌّ بِمـا كُنْـتَ ساعِيـا

ولا تُـرِيَـنَّ النّـاسَ إِلاَّ تَجَمُّـلاً   وَإِنْ كُنْتَ صِفْرَ الكَفِّ والبَطْنَ طاويا

ومـا لا مْـرِىءٍ طُولُ الخلودِ وإِنَّما   يُخَلِّـدُهُ طُـولُ الثَّنـاءِ فَيَخْلُـدُ

ولَـرُبَّ نـازِلَـةٍ يَضيـقُ بهـا الفتـى   ذَرْعـاً وَعِنْـدَ اللهِ مِنْهـا المَخْـرَجُ

وكـانَ رَجـائـي أَنْ أَعُـودَ مُمَتَّعـاً   فَصـارَ رَجـائـي أَنْ أَعُـودَ مُسَلَّمـا

وتَجلُّـدي للشَّـامِتِيـنَ أُرِيهِـمُ   أَنّـي لِـرَيْـبِ الـدَّهْـرِ لا أَتَضَعْضَـعُ

ولا بُدَّ من شَكْوى إِلى ذي مُرُوءَةٍ   يُـواسيـكَ أَوْ يُسْليـكَ أَو يَتَـوَجَّـعُ

وهَـوَّن حـزنـي عَـنْ خَليلـيَ أَنَّني إِذا شِئْتُ لاقَيْتُ الَّذي ماتَ صاحِبُهْ

ويَـــومٌ عَلَيْنَـــا وَيَـــومٌ لَنـــا وَيَـــومٌ نُســـاءُ وَيَـــومٌ نُســـرُّ

حرف اللّام ألف

لا تَنْظُـرَنَّ إِلـى الجَهـالَـةِ والحِجى وانْظـر إِلــى الإِقْبـالِ والإِدْبـارِ

لا تَسْـأَلِ المَـرْءَ عَـن خَـلائِقِـهِ فـي وَجْهِـهِ شـاهِـدٌ مِـنَ الخَبَـرِ

لا يَصْبِـرُ الحُـرُّ تَحْـتَ ضَيْـمٍ وَإِنَّمـــا يَصْبِـــرُ الحِمَـــارُ

لا تَنْـهَ عـن خُلُـقٍ وَتَـأْتِـي مِثْلَـهُ عَـارٌ عَلَيْـكَ إِذا فَعَلْـتَ عَظِيْـمُ

لا يُبـالــي الشَّتْـمَ عِـرضٌ كُلُّــــهُ شَتْـــــمٌ وَذَمُّ

لا تَنْظُـرَنَّ إِلـى امـرىءٍ مـا أَصْلَـهُ وانْظُـر إِلـى أَفعـالِـهِ ثـمّ احْكُـمِ

لا يَسْكُنُ المَرْءُ في أَرضٍ يُهانُ بها إِلا مِـنَ العَجْـزِ أَوْ مِـنْ قِلَّـةِ الحِيَـلِ

لا يَقْبَلُـونَ الشُّكْـرَ مـا لَـمْ يُنْعِمـوا نِعَمـاً يَكـونُ لهـا الثَّنـاءُ تَبيعـا

لا أَسْأَلُ النّاسَ عَمّا في ضَمائِرِهِمْ ما في ضَميري لَهُمْ مِن ذَاك يَكفيني

حرف الياء المثنّاة التّحتيَّة

يَفِــرُّ مِــنَ المَنِيَّــةِ كُــلُّ حَــيٍّ   وَلا يُنْجــي مِــن القَــدَرِ الحِــذارُ

يريكَ الرِّضا والغِلُّ حَشْوُ جُفونِهِ   وَقَـدْ تَنْطِـقُ العَيْنـانِ والفَـمُ سـاكِتُ

يهَمْهِـــــــمُ للشَّعيـــــــرِ إِذا رَآهُ   وَيَعْبِــسُ إِنْ رَأَى وَجْــهَ اللِّجــامِ

يفــارِقُنــي مَــنْ لا أُطيــقُ فِــراقَــهُ   وَيَصْحَبُني في النَّاسِ مَن لا أُريدُهُ

يــزيــدُ تَفَضُّــلاً وأَزيــدُ شُكْــراً   وذَلـــك دَأْبُـــهُ أَبَـــداً وَدأْبـــي

يواسي الغُرابُ الذِّئْبَ في كُلِّ صَيْدِهِ   وَما صَادتِ الغِرْبانُ في سَعَفِ النَّخْلِ

يهــونُ عَلينــا أَن تُصــاب جُســومُنــا   وتَسْلَــمَ أَغْــراضٌ لَنــا وَعُقــولُ

يغُــرُّ الفَتــى مَــرُّ اللَّيــالــي سَليمَــةً   وَهُــنَّ بــهِ عَمّــا قَليــلٍ غــرائِــرُ

يغِيظُنــي وَهْــوَ عَلــى رِسْلِــهِ   والْمَــرْءُ فــي غَيْــظِ سِــواهُ حَليــمُ

(يــداكَ يَــدٌ تَطــول إِلــى المخــازي   وَعَن طَلَبِ العُلا خُلِقَتْ قَصِيْرَه)[1]

يــريــك البشــاشَــةَ عِنْــدَ اللِّقــا   وَيَبْــريــكَ فــي السِّــرِّ بَــرْيَ القَلَــمْ

---

(١) من أ.

الفصل الخامس

في الأَمثال السّائرة بين الرِّجال والنِّساء مرتَّبَةً على حروف المعجم

حرف الألف

- إن كُنت ما تعملْ جَميل اعملْ كما يعملْ معك .
- إذا أَبغضَك جارَك ، حوِّل باب دارَك .
- إذا كان صاحبك عَسَل ، لا تلحَسُه كُلُّه .
- المستعجل والبطيء عند المعدِّية تلتقي .
- ألف دُقدق ولا سلام عليكم .
- أَلف ذقن ولا ذقني .
- إذا غاب عنك أَصلُه ، كانت دلائل نسبته فعلُه .
- إذا وصلت وسلَّم الله بغ بما قَسَمَ الله .
- إذا كنت أَعمى وأُطروش شُمّ رائحة النُّقوش .
- إذا كان النَّبيذ دُزْدي ، والعَشيق كُردي ، والنُّقل فول حارّ ، والعشاء بَيْسار ، إيش يكون الحال؟ .
- إذا كان القطن أَحمر ، والمُغَسِّل أَعور ، والدِّكة مخلَّعة ، والنَّعش مكسَّر ، اعلم أَنّ الميِّت من أَهل سَقَر ، والوادي الأَحمر .
- إيش ينفع الضّراط عند طُلوع الرُّوح؟ . قال : تَقريف للحاضرين ، وتَفريق للملائكة .
- (وإن كنت مليح ربَّك خلقك ، وإن كنت سعيد ربَّك رزقك ، وإن كنت رقيع دَم فلقك)[1] .

---

(١) كل ما وضع بين قوسين فهو من أ .

- القشر والنّشر والعشا خُبّيزة .
- أَكْل الدّقّة ، والنوم في الأَزِقّة ، ولا دَجاجة محمَّرة يعقبها مشقَّة .
- إيش أنت يا صحارة ، يا مُنخل بلا طارة؟ .
- الرّجم بالطُّوب ولا الهروب .
- إذا وَقَعت يا فصيح لا تصيح .
- أَقرع يقول لأَقرع : امش بنا نزرعْ في بركة القُرعان ، إيش ما يطلع يطلع ، النِّصف لي والرُّبع لي والثُّمن لي والثُّمن الآخر لك .
- والله العدوُّ ما يبقى حبيب حتى يصير الحمار طبيب .
- اْقعدْ يا حمار حتّى ينبت لك الشَّعير .
- أَي موضع راح الحزين يلقى جنازة .
- قال الشاعر : [من الرجز]

إِنْ دامَ هـذا السَّيْـرُ يـا مَسْعُـودُ ... لا جَمَـلٌ يَبْقـى ولا قَعُـودُ

(إذا كـانَ هـذا فِعْلُـهُ فـي مُحبِّـهِ ... فيا ليتَ شعري بالعدا كيفَ يفعل؟)

(إِنْ لم تكن ترضى بما قدر ترى ... فـدونـك الحبـلَ بـه فـاختنـقْ)

(إِذا لـم تكـنْ لـي والبـلاد مُخيفَـةٌ ... فـلا حـاجـة لـي والبـلادُ أمـان)

- غيره : [من الطويل]

إِذا لم تكن لي والزمان شُرُمْ بُرُمْ ... فـلا خيـر فيـك والـزمـان تـرللّـي

(إِذا كان في الحاجات مَهْلٌ إِلى غدٍ ... فـذلـك تطـرد لكـل عـارف؟)

- غيره : [من الطويل]

إِذا أَقْبَلَـتْ كـادَتْ تُقـادُ بِشَعْـرَةٍ ... وإِن أَدْبَـرَتْ كـادَتْ تَقُـدُّ السَّلاسِـلا

(إِذا الحِمْـلُ الثَّقيـلُ تَـوازَعَتْـهُ ... أَكـفُّ القـومِ هـانَ علـى الـرِّجـال)

حرف الباء الموحدة

- بينما يتروَّى البَخيل قضَى الكريمُ حاجته .
- بينما يسعَد المعتَّر فرغ عُمره .
- بينما أَصِل قبره نسيتُ هَمّه .
- بينما يعدّل المعَتَّر حاله جاءَ الموت شالُه .
- بينما يخلِّص ربّنا حقّى اتفرقعت جُوزة حَلْقي .
- بينما يقطع الجريد يفعل الله ما يريد .
- بينما يجيء الدِّرياق من العراق يكون الملسُوع مات .
- بين حانًا ومانا حلّقت لحانا .
- بدويّ مَقروح لقي التَّمر مطروح ، قال أين أخلي وأين روح؟ .
- بدال لَحمتك وقِلقاسك هات لك شي على راسك .
- بَدال اللّحمة والباذنجان ، هات لك قَميص يا عريان .
- بدال لحمتك التّلاتة ، هات لك شي يا شَماتة .
- بقىٰ لِلكلب سَرْج وغاشِية وغِلمان وحاشِية .
- بقىٰ لِلخَرا مَرا ويحلف بالطّلاق .
- بَعد الجوع والقِلَّة بقىٰ لك حمار وبَغلة .

حرف التّاء المثنّاة من فوق

- تموت الحدادي وعينها في الصّيد .
- تعالوا بنا نقتبح ونرجع غداً نصطلح .
- تدحرجِ البَعر لعند الخرا قال له : إِيش أَنت؟ قال له : بِزِمْ قَرْدَش[1] .
- تَرْك الفُضول مِن حَزْم العقول .
- تُراب العمل ولا زَعفران البَطالة .

---

(١) عبارة تركية تعني: نحن إخوة .

- تسكَر وتخانق ما هو شي مُوافق .
- تجارة الأَحمق على أَهل بيته .
- تضارب الرّيح مع الموج جاء الهمّ على النّواتيّة[1] .
- تزاوروا ولا تجاوروا .
- تبات نار تُصبحْ رَماد ، لها ربّ يدبِّرها .

حرف الثَّاء المثلَّثة

- ثوب العِيرة ما يْدَفِّي .
- ثقيل واسمه صَخر بن جَبَل .
- ثور عَلَّقوه أُغمي عليه قال : حتّى يطلع شيء يرشُّوه عليه .
- ثور عاجز ما يدوِّر ساقيه .
- ثقيل من أولاد الزنا مُرّ العَنا .
- ثوب عليه وثوب على الوتد ، قال : أَنا اليوم أحسن من كلٍّ مَن في البلد .

حرف الجيم

- (جور التُّرك ولا عَدْل أَولاد العرب) .
- جور القِطّ ولا عدل الفار .
- جمل موضِع جَمل يبرك .
- جُهد المقلّ دمُوعه .
- جَمَل بِحَبَّةٍ قال : وأَين المَحَبَّة .
- جيت أَصطاد صادوني .
- جار له حقّ ، وجار ما له حق ، وجار لا صَحِبَتْهُ عافية .
- جارك مرآتك ، إِن لم ينظر وجهك نَظر قفاك .
- جا كتاب من عند خالُه ، قال : كل من هو ملهي في حاله .

---

(١) المثل في أ: تضارب الرّيح والمطر ، قال: دي نوبة جاءت على النّواتيّة .

- جا كتاب من عند عمّه ، قال : كلّ من هو ملهى بهمّه .
- جاؤوا ينعلوا خيل الباشا مَدَّت أُمُّ قُويق رِجلها .
- جَوِّزوها له وما لها إلا له .
- جَوِّزوا مِشْكاح لِريْمَة ما على الاثنين قيمة .

حرف الحاء المهملة

- حاجة لا تهمّك وصِّي عليها زَوج أُمَّك .
- حَوَّل حبيبي ماعونُه ، وقدرتُه مع كانونُه .
- حمار حَنَّكوه بالتُّوت على باب الغيط يموت .
- حلَّينا القُلوع وأَرسينا وأَصبحنا على ما أَمسينا .
- حبّ وواري ، واكْرَهْ وداري .
- حدثتني ونصحتني عايرتني وفرَّحتني .
- حطّ فليساتك في كُمَّك واسْتُر أَبوك وأُمَّك .
- حبّة قَرض تخرب أَرض .

حرف الخاء المعجمة

- خُديني وارغبي فِيَّه ، أَنا حصّاد مُلُوخيّه ، وعند الخبز آكل مِيَّه ، وعند الشُّغل ما لي نِيَّه .
- خبثت لي وصلحت لك .
- خذ ذا الصَّبي فوق صِبيانك تمام لأَحزانك .
- خزينة في جرَّة ومِلحة في صرة .
- خبزُهُ بلا إِدام ويعزم على الجيران .

حرف الدّال المهملة

- دار الظّالم خراب ولو بعد حين .
- درهم لك ودِرهم عليك ودرهم لا لك ولا عليك .

- دواءُ ما لا تَشتهي النُّفوس تَعجيل الفراق .

حرف الذّال المعجمة

- ذا درب ما يسدّ ريح .
- ذي ما هي رُمّانة إِلا قلوب ملانة .
- ذا لي وذا إِيدي عليه .
- ذي مائدة ما يقعد عليها طُفيلي .
- ذا الخبز ماهو من ذاك العجين، ذا الولد خرا من ظَرفه، شال رجليه حكّ أنفه .
- ذكروا مصر القاهرة ، قامت باب اللُّوق بحشايشها .
- ذكروا المدن جاءت القُرى تحجل .

حرف الرّاء المهملة

- راح ذاك الزَّمان بناسه ، وجا هذا الزَّمان بفاسه ، وكلّ مَن تكلَّم بالحقّ كسروا راسه .
- رأَوا حجّار راكب حِيط قالوا : إِلى أَين حَجّار؟ قال : مُسافر ؛ قالوا : مَن كانت هذه المطيَّة مطيّته لا يشرِّق ولا يغرِّب .
- رأَو سكران يقرأ قالوا : غَنِّ تشاكل روحك .
- رأَوا شيخاً يتهَجَّى قالوا : يختم على الصِّراط .
- رأَوا وَردانة على سِنداس قالوا : ما لذي الفسيقة إِلا ذي البليطة .
- رأوا على قبره مكتوب : يا سعادة ساكنه ؛ قالوا : أَبصر مَن يُزاحمه .
- راكب بَلاش ويُناغش مِراةِ الرَّيِّس .
- ركَّبتك وَراي حَطِّيت يدك في الخُرْج .
- راح الجندي وخلَّى خلقه عندي .
- رزق الكلاب على المجانين .
- رأسين في عمامة ما يكون ،

• (رَوّ العُوَيِّد يَبقى جُوَيِّد) .

• راحَت على جَمل ، وجاءت على قِطّة ، قال : ما لذي الشِّيلة إلا ذي الحطة .

• قال الشّاعر : [من مجزوء الكامل]

راحَ الَّـذي كُنّـا نَعيـ ـشُ بِفَضْلِـهِ بيـنَ الـوَرى
وَبقـي الَّـذيـن حَيـاتُهُـمْ وَوُجُـودُهُـم مِثْـلُ الخَـرا

حرف الزّاي المعجمة

• زقزوق على بركة ، يضحك وهو ضُحكة .

• زاوية بلا عيش بُنيت ليش .

• زَوْج القَصيرة يَحسبها صَغيرة .

• زوّجت بنتي أقعد في دارها ، جاتني وأربعة وراها .

• قال الشّاعر :

زَوَّجـتْ بِنْتـي تِنْسِتِـرْ ويمْتِلـي بِيتـي قِمـاشْ
جـا غَـزلهـا فـي أَكِلْهـا ونِيْكهـا طِلِـعْ بَـلاشْ

• زَنبور زَنّ على حَجَر مسَنّ ، قال له : إِيش تريد؟ قال : أَلْحَسَك ؛ قال : أنا أَلحس البُولاد .

• زنبور زنّ على فلس جَحش ، قال له : إِيش تطلب؟ قال له : عسل ؛ قال له : قَصدت مَعدن يا دَندن .

حرف السّين المهملة

• سَل المُجَرِّب ولا تَسَلِ الطَّبيب .

• سَمُّوك مسَحِّر ، قال : فَرِغ رمضان .

• سمُّوكَ حَبل ، قال : وطَوَّلْتَ .

• سَمُّوك راجِح ، قال : إن شاء الله تجي الحقّ .

- سبع وزر ولا استتر .
- قال الشّاعر : [من الوافر]

سَيُغْنِـــي اللهُ عَـــن بَقَـــراتِ زَيْـــدٍ   وَيـــأْتـــي اللهُ بـــاللَّبَـــنِ الحَليـــبِ

- وقال الآخر : [من الوافر]

سَيُغْنِـــي اللهُ عَـــن زَيْـــدٍ وَعَمْـــرٍو   وَيَـــأْتـــي اللهُ بـــالفَـــرَجِ القَـــريـــبِ

حرف الشِّين المعجمة

- شَرهٌ وَوَضيع ويَغضبُ سَريع .
- شيء ما نابه وتقطَّعت ثيابه .
- شَعر يحلق وشَعر ما يحلق .
- شُرب السُّموم القاتلة ولا الحاجة إِلى السَّفل .
- شُمَّني ولا تدعَكني .
- شيء ما يجيء على القلب عنايته صَعبة .
- شِرا العبد ولا تربيته .
- شَخَّت بغلة ، عامَت زبلة ، ركبت خُنفسة ، زَمّر زُنبور ، قال : ماذا الجوق الجليل إلاّ لمقطَّعات النِّيل .

حرف الصّاد المهملة

- صام سنة وفَطَرَ على بَصَلَة .
- صبري على الحبيب ولا فَقده .
- صاحب يضرُّ عدوٌّ مُبين .
- صباح الفَوّال ولا صباح العطّار .
- صباحك يا أَعور ، قال : ذي خناقة بايِتَه .
- صباح الخير يا جاري ، أنت في دارك وأَنا في داري .

حرف الضّاد المعجمة

- ضَرْب الحبيب كأَكل الزَّبيب .
- ضَربتين في الرأس تعمي .
- (ضَربوا سنان خري عنان ، قال : نوبة جاءت على الجيران) .
- ضربَ وبكي ، وسَبق يشتكي .
- ضربة على كيس غيري ، كأَنّها في عدل حنّا .
- ضمَّنوا حَداية لِغراب قال : الكلّ يطيروا .
- ضَربوا بيّاع الكُسْبَرة ، خِري بَيَّاع التُّوم ، قال : ذي داهية جات على الخُضَرِيَّة .

حرف الطّاء المهملة

- طارت الطُّيور بأَرزاقها .
- طفيلي ويجلس في الصَّدر .
- طفيلي ويقترح .
- طويل الكُمّ خطّار ، قليل الفرح في الدّار .
- طبق وجارية على صحن بِسارية .
- طبّلوا ، جاكم عُثمان يد من وَرا ويد من قدّام .
- طعامك ما جاني ودُخانك عَماني .
- طار طيرك وأَخذهُ غيرك .
- طُول ما أَعيش يكفيني رَعيْ الحشيش .
- طَوَّل الغيبة وجانا بالخيبة .

حرف الظّاء المعجمة

- ظهرك عندي نِصف الليل .

حرف العين المهملة

- عنقود مدَلَّى في الهوا من لا يَصل إليه يقول : حامِض ولا استوى .
- عشق بداله لا أَباله .
- عاشق ما يسمع بكا صغير .
- عاشق ما يسمع كلام مفارق .
- عاشق مقلّ شيء ما زَرع ، إِيش جا يستغلّ .
- عزومة حُسبت عليك ، كُلْ وبَحْلق عينيك .
- عند المخاضة يبان القيليط .
- (عمية تحفّف مجنونة وتقول : ما أحلا حواجب مقرونة) .
- عند الطِّعان يبان الفارس من الجبان .
- عريان التِّينة وفي حِزامه سكِّينة .
- عريان وفي كمه مِيزان .

حرف الغين المعجمة

- غابت السّباع ولعبت الضّباع .
- غربه وكُربه ما يحمل الحال .
- غطّاس وقِلقاس نحسين في قِدْرَه .
- غالي السّوق ولا رخيص البيت .

حرف الفاء

- فرجة بلا كسر تعمي البصر .
- فقير ونفير وكلامه كثير ويقول : هاتوا عَشا من يَخَنى .
- فوق الشَّراطة مَلَّخ أَودانه .
- فارس خرا ويسوق في الوحل .
- فارس خرا واسمه عنتر .

- فارس خرا ويسابق الخيل .
- فرد ضربة في الرّأس تكفي .
- فَصَدوا قِرد ضَرط،قالوا : به دم زايد .
- فرغت الرِّعانة يا جانِم .

حرف القاف

- قالوا للأعمى : زوِّق عَصاتك ؛ قال : هو أَنا محبّ فيها .
- قالوا للحمار : اجترّ ؛ قال : مَضْعُ المحال ما يَنطلي .
- قالوا للقِرد : شب ، قال : أَياديّ ملاح وتمسك الماصول .
- قالوا للقرد : اطلب من ربّك ؛ قال : هو أَنا عنده بوجه يبسط .
- قالوا للجمل : زَمِّرْ ، قال : لا شِفَف مَلمُومَة ولا أَيادي مَفرودة .
- قالوا للدُّبَّة : طرِّزي ؛ قالت : ذي خِفّة أَيادي .
- قالوا للكلاب : احرثوا ؛ قالوا : ما جرت بهذا عادة .
- قالوا للغراب : مالك تسرق الصّابون؟ قال : الأَذى طبعي .
- قالوا البقر الدِّيوان : إِذا متُّم يكفِّنوكم في حَرير ، قالوا : اشتهينا نروح بجلودنا .
- قالوا للغزالة : ارحلي ؛ حرَّكت ذنبها .
- قالوا للعرب : ارحلوا ؛ حَمَلوا المناسِف .

حرف الكاف

- كُلُّ مَن عوَّدته بأَكلك كلَّما نَظَرك جاعَ .
- كشكار دايم ولا علامة مقطوعة .
- كُلْ كُزهاً واشرَبْ كُزهاً ولا تعاشِرْ كُزهاً .
- كُلّ همّ كاوي ، عند همِّي ياوي .
- كلّ شيء لا يشبه قانيه حرام .
- كلّ مئة عصفور ما يجو حَداية .

- كُلّ أَلف مصَّة ما يجو بِغَصَّة .
- كُلّ أَلف بوسة ما يجو بعبوسة .
- كملَت يا لحمان بالشِّعرة والصُّنان .
- كمَّل حبيبي كلّ المعاني ، أعرج وقيليط ومعجباني .
- كمل حبيبي وأَكمل ، أعرج وقيليط وأَحول ، وفيه عادة أخرى ، لَمَّن يواصل يخرا .
- كأنه خان للغجر ، لا يوحشه من غاب ولا يؤانسه من حضر .
- كأَنَّه من طواحين الكِشْكار ، داير على رجل الفار .
- (كأنّه لبانة يجرِّد الكسّ) .
- كأنه عصفور ينيك بلاش ويأوي في الأعشاش .
- (كلب يجرُّوه للصَّيد ما يصطاد) .

حرف اللام

- لولاك يا كمِّي ما أَكلت يا فمي .
- لولاك يا لساني ما انسكِّيت يا قَفاي .
- لولا الغيرة والحسد كانت عَجُّورَة كفّت بَلَد .
- لولا أُختك ما صِرْت ابن عمّتك .
- لو قَليناها بِليَّة ما جاءت هكذا .
- لو كان فيها خير ما رماها طير .
- لك وعليك ما يصعب عليك .
- لك أُسوة بغيرك .
- لقمة بدقة ، ولا خروف بزَقّة .
- لقمة تحت حيطة ولا خروف بعيطة .
- لو سلمَ الكرم من حارسه طابت مغارسه .
- (لو سلم أبو الحصين من الفضولية لكان عبَرَ المدينة) .

- لو تقطع يده وتدلّيها ، من فيه صنعة ما يخليها .
- لو عمل لي من الذَّهب وَليمة ، وهو عندي بتلك العين القديمة .
- لو شال رأسه إلى السَّماء كأَنه عصيدة بماء .
- لو نظر الجمل لصَنَمه كان كَدَمَه .
- لولا الكشط والبراية ، ما كانت لأولاد الخرا كتاب .

حرف الميم

- محبَّة بلا حبَّة ما تساوي حبَّة .
- ما شلتك يا دمعتي إلاّ لشدَّتي .
- من عاشر غير جنسه دقَّ الهمّ صدره .
- من قدم النّحس تعب في تأخيره .
- من عاشر الحدّاد احترق بناره .
- من عاشر الزَّبداني فاحت عليه روايحه .
- مَن ركب في غير سَرجه وغرزه ، دخل الهوا إسته وهزّه .
- من لا يحطّ يده لزنده ، ما يعرف حرّه من برده .
- ما رأَيتك يا نور حتى ابيضت العيون .
- مالي على فراقكم جَلَد ، إلا هجاجي من البلد .
- ما كفانا همّ أَبونا ، قام أَبونا جاب أَبوه ، قال : خُذوا جدّكم رَبُّوه .
- من عدم نابه ونصابه وثيابه وشبابه ، كان الموت أَولى به .
- من يكلم القبح ، يروح عرضُه وينفضح .
- ما تنقدوهم كلُّهم زغليَّة ، ما فيهم من يعجب النقاد .

حرف النُّون

- نواية تسند الجرة ، قال : وتسند الزّير الكبير .
- نفسك أَتلفت ، أَي شيء أَخلفت .
- نصف البلا ولا البلا كلُّه .

- ناقص ونحّاس .
- ناموسه باتت على شَجرة ، أَصبحت تقول : خاطِرك ؛ قالت لها : وأَنت كنت على أي ورقة؟ .
- نيّتك مطيّتك .
- نسيت يا فلاّح ما كنت فيه ، كعبك المشقّق والوحل فيه .
- نِيك حتى تبقى ديك .

حرف الهاء

- هانت الزّلابية حتى أَكلها بنو وائل .
- هان المسك وانتثر .
- هدية تعرّ قومها تخلّيها ولا لومها .
- هدية الأحباب على ورق السّداب .
- قال هو أَعمى عن ورق الموز .
- هو عرس تأكل وتنسَلّ .
- هَدوا هديّه وأعينهم فيها وهم يقولوا : الله يردُّها .
- هاتوا ذا الغزل المخبل لذا القلب المدبّل .

حرف الواو

- واحد نتفه وآخر لقفه ، وقال آخر : يا قَريب الفرج .
- واحد بيخبطُوا له ، وهو قائم عليه ، قال : أَنا في حاجتك .
- واحد جايز ، رأى قرد يجرش ترمُس ؛ قال : ما لذي الفاكهة البدريّة إلا ذي الصُّورة القَمريّةَ .
- واحد سمُّوه عَنتر وصنعته سَرباتي .
- قال : الذي كسبه في الاسم خسره في الصَّنعة .
- وحِش ونِكِشّ ، ويقعد في الوِشّ ، ويَغنّي بُلينا بكم .

- وقت أَكل الدَّجاج ما يفتكروني ، وفي وقت شِيل التراب هات يدك .
- وإِيش قام على تُومه بفصل الحكومه .
- وقت الشوا واليخني ما قلت : يا أَخي الحقني ؛ ووقت ضرب الدرّة قلت : اصفعوا واصفعني .

حرف اللاّم أَلف

- لا تعيِّرني ولا أَعيِّرك ، الدهر حيَّرني وحيَّرك .
- لا أَصل شريف ، ولا وجه ظريف .
- لا أَخوك ولا ابن عمَّك ، تشقِّق ثوبك على إِيش .
- لا عاش بليق .
- لا حرّاس ولا درّاس .
- لا عاش العار ولا بَنى له دار .
- لا ربح ثوابه ولا خلاّه لأَصحابه .
- لا في الفراق نجد راحَه ولا في الوصل .
- لا تشكرن الفتى حتّى تجرِّبه .
- لا تفرح لمن يروح ، حتّى تنظر من يجي .
- لا يضرّ السَّحاب نبح الكلاب .
- لا يغرّك تظريفي ، الأَصل فيَّ ريفي .

حرف الياء

- يا شبّ مليح ما أَحسن وَصفك ، لا في يدك ولا في طَرفك .
- يا ويل من ذاق الغِنى بعد جُوعه ، يموت وفي قلبه من الهمّ واجس .
- يا طارق الباب بعد العِشي ، لا تطرق الباب ما تمّ شي .
- يا من مَلّنا ما كان حلنا ، لِسّا ما لنا في العشرة سنة .
- يهنيكم قدومه قد جاكم بشُومه .

- يا ليتنا انكسرنا ولا بك انتصرنا .
- يا ويل من كان عشيّه من بيت خيّه .
- يا طالب الشّرّ بلا أَصل ، تعال للصَّائم بعد العصر .

أمثال النّساء : حرف الألف

- أَحبك يا سواري مثل معصمي .
- الذي في قلب أُم حنين تحلم به في اللَّيل .
- إن كُنتي حُرَّة لا تضيِّعي نقابك برَّه .
- إن لم تعملي وتفتخري ، وإِلا اقعدي وانطري .
- إن كانت الدَّاية أَحنّ من الوالدة ، ذي داية عيّاره .
- الكلام لك يا جارة ، إلاّ أنت حمارة .
- إيش تعمل الماشطة في الوجه المشؤوم .
- إيش قام على الحزينة بالنَّقش والزِّينة .
- إيش ينفع النَّفخ في الوجه الأَصمّ .
- أرمله وعَدَس ومتزوِّجه عَدَس .
- اقعدي بعدسك ، اسم الزّوج ولا طعم التَّرَمّل .
- العاقلة فينا تزمّر بيقطينا .
- إذا كان زوجي راضي ، إِيش فضول القاضي .
- استعارت الرَّغْنة شي ، حسبته لها ، أخذت المقص ودارت لها .
- اقعدي في عشّك ، حتى يجي حَدّ ينِشّك .

حرف الباء الموحَّدة

- بعد أن كنتي لي وحدي ، بقيت أَسمع أَخبارك .
- بعد سنة وشهرين ، جابت بنت بشفرين .
- بعد أَن كان زوجها ، بقي طباخ في عُرسها .

- بعد مشيك في الحَلقة ، بقالك سَلالم وغُرفة ، واسمك ستيته .
- بعد أُمّي وأُختي ، الكُلُّ جيراني .
- بينما تنقب الحولة انصرف القاضي .
- بنت الخرا تُزَفّ ، لابن الخرا بدفّ .
- باتت ناموسة على جمِّيزه ، قالت : صبَّحك الله بالخير ؛ قالت : من دري بك قبله .
- (بحق ما تعتقده قوم نطّ خذْه) .
- بدال ما تمشي وتهزي كتفك ، رقعي فردة خفِّك .
- بخرا وتزاحم بالبُوس .
- بقي لأم سيسي برقع ، وللضِّفدعة زمّارة .
- بعد مشيك في الاخلافي لبستي الصّافي .
- بعيد على الحزينة تستعمل الزينة .

حرف التاء

- تابت القَحبه يوم وليلة ، قالت : ما بقي في البلد حُكّام .
- تضاربت المجنونة والحمقا ، حسبته الرَّعنة من حقا .
- تتضارب وتتعرّى ، وتصيح : يا قلة رجالي .
- (ترضي بكلِّي وإِلا ارتحلي) .
- تأخذوا أبونا وتكابرونا .
- ترتانة وبَيبانه ومفاتيح الخزانة .
- تباهت الرَّعنة بشَعر بنت أُختها .
- تخلُّوني وإِلا استحلّ بجارنا ، قالت : إِذا كان ذا في قلبك خُذيه بلا استحلال .
- تتغمّي بالخرج ولا تخلي الغنج .

- تقعد عيُّوشه في ديارتها ، ما لأَحد حاجة في زيارتها .

حرف الثّاء

- ثوب سيدي ، ثوب حبيبي ، ثوب ستّي ، ثوب قحبة .

حرف الجيم

- جارَه بجارَه والعداوة خَسارة .
- الجاني عَذولي ورتالي ، ما هي محبّة إِلا شماتة لي .
- جارية وزبديّه على باذنجانة مقليَّة .
- جاتنا العدوّة مكحّلة قطران لا غيره وقلبها فرحان .
- جاب ثيابه يغسلهم بلا صابونه معهم .

حرف الحاء المهملة

- حوله وتنتقَّب بنخ .
- حزانى ما عندهم دقيق ، اشتروا لهم منخل رقيق .
- حزانى ما عندهم خُبز ، اشتروا لهم بعشرة مُلُوخِيَّة .
- حزينة وواعية .
- حُبله ومُرضعة وعلى كتفها أَربعة ، وطلعت الجبل تجيب دوا لِلْحَبَل .
- حولة ونصرانيَّة ، لا مليحة ولا أَصل طَيِّب .
- حزينة ما لها مملوك ، سمّت زَنبورها خُوشكلدِم[1] .
- حزينة مالها مُلْك اكتَرت لها بوّاب .
- حزينة ما لها كامليّة طلبت لها خفّ وشعريّة .

حرف الخاء المعجمة

- خطبوها تعزّزت ، وكان زمان البوار .

---

(١) خوش كَلدم: عبارة تركية تعني: أَهلاً وسهلاً .

- خلّت زُوجها مَكروب ، وراحت تشوف المصلوب .
- (خذي كراك وانجرّي ، جاك الحرامي) .
- خذي قطيفة واكتمي سِرِّي ، قالت : ما يطاوعني قلبي .
- خلّت ما يعنيها واتبعت حكّ رجليها .

حرف الدّال المهملة

- دِري زوجك بكتبتك ، تمّي نهارك مع ليلتك .
- دقّ من أَسفل ولا تطلع ، ما أَنت على القلب .

حرف الذَّال المعجمة

- ذكرت العجوز أَطلالها .

حرف الرّاء

- رَقَصْتِي ما أَحْسَنْتي ، كان قعادك أَجمل .
- رَغْنا يضحكوا بها ، ومن تضحك تساعدهم .
- رأَوا جاموسة منقَّبة بحصير ، قالوا : ما لذا الشكل الوضيع إِلا ذا القماش الرَّفيع .
- راحت تبيع رُبعه غابت جُمعه .
- راحت رجال الهيبة ، وبقيت رجال الخيبة .
- راحت رجال اللّحم والقِلْقاس ، وبقيت رجال الخبز بالفسْفاس .
- رأَوا خُنفسة على مِكنسة ، قالوا : ما لدي الصِّيفة إِلا ذا الحمار الأَزعر .

حرف الزّاي

- زَمِّر بالزِّميمِرة ، تبان لك العاقلة من المجينينة .
- زوجي ما حَكم عليّ ، قام لي عَشيقي بشمعه .
- زَوَّجوا بنت نَشادري لسَرباتي ، قالوا : قليلات الخرا تتدحرج لبعضا .

حرف السِّين المهملة

- سُودا وتَتْنقَّش بسباخ سُودا .
- منقّبة ، قفل على خرابَه .
- سأَلوها عن أَبيها ، قالت : جدِّي شعيب .

حرب الشِّين المعجمة

- شدّي قرطاسك من عند موسى، قالوا: ذا شي ما فرحتي فيه وأنتي عروسة.
- شامتة ومعّزيّة .

حرف الصّاد المهملة

- صارت القَحبة واعظة .
- صارت القويقة شاعرة .

حرف الضّاد المعجمة

- ضحك ابن سِنِه غِمي على أُمّه ، قالت : ما أَخفّ دَمُّه .

حرف الطّاء المهملة

- طلعت تترحَّم ، نزلت تتوحَّم .

حرف الظّاء المعجمة

- ظريفة وعفيفة ولها نفس شريفة .

حرف العين المهملة

- عَميا تحفّف مَجنونة ، وتقول : حواجبك سُود مَقرونة .
- عقله وجابت طفله ، وجاتها خطّار ، واشتروا لها قِلقاس ذَكر ، وحطب أَخضر ، في نهار مَطر ، وقالوا لها : اطبخي .
- على قدر لمحة تقع الصُّلحة .
- عجوزة وجابت غلام إِذا جُنَّت لا تُلام .

- عجوزة وخَرْفانة ، دي داهية كمانة .

حرف الغين المعجمة

- غيرك يقوم مقامك ، عليش قلبي أَعذبه .

حرف الفاء

- فرحت حزينة خربت مَدينة .

حرف القاف

- قالوا للمغاني : اتزوَّقوا ؛ قلبوا عَصايبهم .
- قَحبة ما كنست بيتها ، كنست المسجد .
- قوادي قحبة تطلب الثَّواب .

حرف الكاف

- كلُّ من تبعت هواها صارت سراويلها رِداها .
- كبرتي يا برقوقة ، وبقي لك دَبُّوقة .
- كانوا مغاني صاروا ملاهي .
- لا راحت ولا جات كما هي .
- كلي قَلِيَّة وباتي هَنِيَّة .
- (كأنَّها قشَّة تتعلَّق في الطّرق) .
- كأنها من الباسطيّة قماش على جريدة .
- كأنها حزمة فِجل أَصفر وعِرقها أَخضر .
- كأَنّها من عَمايم اليهود ، صَفرا طويلة رَفيعة .
- كأَنّها من بيت الوالي ، ما يتحدَّث فيها سوى الحاشية .
- كأَنَّها ضَبّة جعيدي مخلوعة ولا تأخذ شي .

حرف اللاّم

- لو كان ما ينقش إِلاّ السّمان ، بارَت المواشِط من زَمان .
- للساعة ما حبلت جابت المرسين .
- لولا المعاير ما كانت الحراير .

حرف الميم

- ماشطة وتمشِّط بنتها .
- من افتكرنا بياسمينا ما نَسينا .

حرف النُّون

- نواية تسند الجَرَّة ، قال : وتسند الزِّير الكبير .

حرف الهاء

- هشّ يا دِبّانا ، اَنا حُبلى من مَولانا .

حرف الواو

- وَجه لا يُرى ، بالذَّهب يُشترى .

حرف اللام أَلف

- لا أَنتي مليحة ولا تغنيّ ، بإِيش تدِلّي .

حرف الياء

- يعيش المدلَّل بلا مكلَّل .
- يا غزالة الأَقمار ، أَين كُنتي بالنَّهار؟ .
- يا ما تحت النِّقاب والشّعريّة من كل بَليّة .
- يا من مَلنا ما كان حلنا ، للسّاعة مالنا في العِشرة سنة .
- (يحبس الميزر قطّته على السُّوس المقمَّلة) .

الباب السابع

في البيان والبلاغة والفصاحة
وذكر الفصحاء من الرِّجال والنِّساء
وفيه فصول

الفصل الأَوَّل

في البيان والبلاغة

- **أَمّا البيان :**
- فقد قال الله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ [الرحمن : ٥٥/ ١ـ٤] .
- وقال ﷺ : « إِنَّ من البيانِ لَسِحراً » .
- وقال ابن المُعتزِّ : البيان تَرجمانُ القُلوب وصَيْقَلُ العقول .
- وأَمَّا حَدُّه : فقد قال الجاحظ[1] : البَيان اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما كشفَ لك عن المعنى .
- **وأَمّا البلاغة :**
- فإِنَّها من حيثُ اللُّغةُ هي أَن يُقال : بَلَغْتَ المكانَ : إِذا أَشرفتَ عليه وإِن لم تدخله .

---

(١) البيان والتبيين (١/ ٧٦) ولفظه فيه : البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى .

- قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ [الطلاق : ٦٥/٢] .
- وقال بعض المفسِّرين في قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [القلم : ٣٩/٦٨] . أَي وثيقة ، كأَنَّها قد بَلَغَتِ النّهاية .
- وقال اليُوناني : البلاغةُ وضوحُ الدّلالة ، وانتهازُ الفُرصة ، وحُسن الإشارة .
- وقال الهِنديّ : البلاغة تَصحيح الأَقسام ، واختيار الكلام .
- وقال الكِنْدي : يجبُ للبليغِ أَن يكون قليلَ اللّفظ ، كثيرَ المعاني .
- وقيل : إنَّ معاوية سأَل عَمرو بن العاص : مَن أَبلغُ النّاس؟ فقال : أَقلُّهم لَفظاً ، وأَسْلسهم معنىً ، وأَحسنهم بديهةً .
- ولو لم يكن في ذلك الفخر الكامل لمَا خُصَّ به سيِّدُ العَرَبِ والعَجَم ﷺ ، وافتخر به حيث يَقُول : « نُصِرْتُ بالرُّعبِ ، وأُوتيتُ جَوامع الكَلِم » .
- وذلك أَنَّه كان عليه الصَّلاة والسَّلام يتلفَّظ باللَّفظ اليسير الدَّالِّ على المعاني الكثيرة .
- وقيل[(١)] : ثلاثةٌ تدلُّ على عقول أَصحابها ؛ الرَّسول : على عقل المرسِل ، والهديَّة : على عقل المُهدي ، والكتابُ : على عقل الكاتِب .
- وقال أَبو عبد الله وزير المَهديّ : البلاغةُ ما فَهمته العامَّة ورضِيَت به الخاصَّة .
- وقال البُحتريُّ : خيرُ الكلام ما قلَّ وجَلَّ ودَلَّ وَلم يُمِلّ .
- وقالوا : البلاغة مَيدان لا يُقطع إلاّ بسوابق الأَذهان ، ولا يُسْلَكُ إلاّ ببصائر البيان .

---

(١) فاضل الوشاء (٤١) . وفي العقد الفريد (٢/ ٢٥١) ليحيى بن خالد .

• وقال الشّاعر : [من البسيط]

لَـكَ البَـلاغَـةُ مَيْـدانٌ نَشَـأْتَ بِـهِ وَكُلُّنَـا بِقُصُـورٍ عَنْـكَ نَعْتَـرِفُ
مَهِّد لِيَ العُذْرَ في نَظْمٍ بَعَثْتُ بِهِ مَن عِنْدَهُ الدُّرُّ لا يُهْدَى له الصَّدَفُ

• ورُوي[1] أنَّ ليلى الأَخْيَلِيَّة مَدَحَت الحجّاج فقال : يا غُلام ، اذهبْ إِلى فلانٍ ، فقل له يَقطعْ لِسانها ؛ قال : فَطَلَب حجّاماً ، فقالت : ثَكِلَتْكَ أُمُّك ؛ إِنَّما أَمرك أَن تقطعَ لِساني بالصِّلَة .

• فلولا تَبصُّرها بأَنحاءِ الكلام ومذاهبِ العرب ، والتَّوسعة في اللَّفظ ومعاني الخِطاب ، لَتَمَّ عليها جهلُ هذا الرَّجل .

• وقال الثَّعالبي : البليغُ من يَحوكُ الكلام على حَسب المباني ، ويخيط الأَلفاظ على قُدود المعاني ؛ والكلامُ البليغُ ما كان لفظُه فَحْلاً ، ومعناه بِكْراً .

• وقال الإِمام فخر الدّين الرَّازي رحمة الله تعالى عليه ، في حدِّ البَلاغة : إِنَّها بلوغُ الرَّجل بعبارته كُنْهَ ما في قلبه ، مع الاحتراز عن الإِيجاز المُخِلِّ ، والتَّطويلِ المُمِلّ .

• ولهذه الأُصول شُعَبٌ وَفُصول لا يَحتملُ كَشفَها هذا المجموعُ ، ويحصل الغرضُ بهذا القدر ؛ وبالله التوفيق إِلى أقوم طريق .

الفصل الثّاني

في الفصاحة

• قال الإِمام فخر الدِّين الرَّازي رحمة الله تعالى عليه : اعلمْ أَنَّ الفصاحةَ خُلوصُ الكلام من التَّعقيد ؛ وأَصلها من قولهم : أَفصح اللَّبن ، إِذا أُخذت عنه الرَّغْوَة[2] .

---

(١) أمالي القالي (١/ ٨٧) والأغاني (١١/ ٢٤٢) .
(٢) في أ ، ب : وأَصلها من الفصيح ، وهو اللّبن أُخذت منه الرّغوة .

• وأَكثَرُ البُلغاء لا يكادون يفرِّقون بين البلاغَة والفَصاحة ، بل يستعملونَهما استعمالَ الشَّيئين المترادفَين على معنى واحد في تسوية الحُكم بينهما .

• ويزعُم بعضُهم أَنَّ البلاغة في المعاني ، والفَصاحة في الأَلفاظ ، ويستدلُّ بقولهم : معنىً بليغ ، ولفظٌ فصيح .

• وقال[1] يحيى بن خالد : ما رأَيتُ رجلاً قطُّ إلاّ هِبْتُهُ حتَّى يتكلَّم ، فإن كان فصيحاً عَظُم في صَدري ، وإن قَصَّر سقَط من عيني .

• وقد اختلف النّاسُ في الفَصاحة ؛ فمنهم من قال : إنَّها راجعةٌ إلى الأَلفاظ دون المعاني ؛ ومنهم من قال : إنَّها لا تَخصُّ الأَلفاظَ وحدها .

• واحتجَّ من خصَّ الفصاحة بالأَلفاظ بأَن قال : نرى النَّاس يقولون : هذا لفظٌ فصيحٌ ، وهذه الأَلفاظُ فصيحةٌ ، ولا نرى قائلاً يقول : هذا معنىً فصيح ، فدلَّ على أَنَّ الفصاحةَ من صِفات الأَلفاظ دون المعاني ؛ وإن قُلنا : إنَّها تشملُ اللَّفظ والمعنى لزمَ من ذلك تسميةُ المعنى بالفَصيح ، وذلك غيرُ مألوفٍ في كلامِ النّاس .

• والّذي أَراه في ذلك أَنَّ الفَصيحَ هو اللَّفظُ الحسنُ المألوفُ في الاستعمال ؛ بشرطِ أَن يكونَ معناه المفهوم منه صحيحاً حَسَناً .

• ومن المستحسنِ في الأَلفاظ تباعُدُ مخارِجِ الحروف ، فإذا كانت بعيدةَ المخارج جاءت الحروفُ متمكِّنةً في مَواضعها غيرَ قلقةً ولا مكدودةً .

• والمعيبُ من ذلك كقول القائِلِ : [من البسيط]

لَوْ كُنْتَ كُنْتَ كَتَمْتَ الحُبَّ كُنْتَ كَما ... كُنّا وَكُنْتَ وَلَكِنْ ذاكَ لَمْ يَكُنِ

• وكقول بعضِهم أَيضاً : [من الطويل]

ولا الضِّعْفُ حتَّى يَبْلُغَ الضِّعْفُ ضِعْفَهُ ... ولا ضِعْفَ ضِعْفِ الضِّعْفِ بَلْ مِثْلُهُ أَلْفُ

---

(١) فاضل الوشاء (٣٧) .

• وكقول الآخر[1] : [من الرجز]

وَقَبْــرُ حَــرْبٍ بِمكــانٍ قَفْــرِ   وَلَيْــسَ قُــرْبَ قَبْــرِ حَــرْبٍ قَبْـرُ

قيل : إنَّ هذا البيتَ لا يُمكن إنشادُه في الغالب عَشرَ مَرّاتٍ مُتواليةً إلاّ ويغلطُ المنشدُ فيه ، لأنَّ القُرب في المخارج يُحدِثُ ثِقْلاً في النُّطقِ به .

• وقيل : مَن عُرف بفصاحة اللِّسان لَحظَته العُيون بالوقار .

• وبالفصاحة والبيان استولى يُوسف الصِّدِّيق عليه الصَّلاة والسَّلام على مِصر ، ومَلَكَ زِمام الأُمور ، وأَطلعه مَلِكُها على الخَفِيِّ مِن أمره والمستور .

• قال الشّاعر[2] : [من الطويل]

لِسانُ الفَتى نِصْـفٌ وَنِصْـفٌ فُؤَادُهُ   فَلَم يَبْـقَ إلاَّ صُـورَةُ اللَّحْـمِ والـدَّمِ

• وسمعَ[3] النّبيُّ ﷺ من عَمِّه العبّاس كلاماً فَصيحاً فقال : « بارَكَ اللهُ لك يا عمّ في جَمالِكَ » . أي فَصاحَتِكَ .

• وعُرِضَ[4] على المُتَوكِّل جاريةٌ شاعِرَةٌ، فقال أبو العَيْناء يَستجيزها : [من مجزوء الرمل]

أَحْمَـــــدُ اللهَ كثيــــرا

فقالت :

حيــثُ أَنشــاكَ ضَــريــرا

فقال : يا أَميرَ المؤمنين ، قد أَحْسَنَتْ في إِساءتها ، فاشتَرِها .

---

(١) مروج الذهب (٢/ ٢٩٧) وإعجاز القرآن (٢٦٩) وبيان الجاحظ (١/ ٦٥) والحيوان (٦/ ٢٠٧) وثلاث رسائل في إعجاز القرآن (٨٧) وقيل : هو من شعر الجن في رثاء حرب بن أمية .

(٢) البيت للأعور الشَّنِّيّ في مختصر تاريخ دمشق (٢٧/ ١٦٨) والحماسة البصرية (٢/ ٨٢) ولزهير في آخر معلقته بشرح الزوزني (١٩٧) وليس في ديوانه وللهيثم بن الأسود النخعي في فصل المقال (٥٢) وانظره في ديوان عبد الله بن معاوية (٧٧) والديباج (١٠١) .

(٣) ربيع الأبرار (٥/ ٢٥١) .

(٤) ربيع الأبرار (٥/ ٢٢٤) ، والبصائر والذخائر (٥/ ٢١٢) .

• وقال فيلسوفٌ : كما أَنَّ الآنيةَ تُمتحَنُ بِأَطيانها ، فيُعرفُ صَحيحُها من مَكسورها ، فكذلك الإنسان يُعرف حالُه من مَنطقه .

• وقال[1] المُبَرِّد : قلتُ لِمجنونٍ : أَجزْ لي هذا البيت . : [من الطويل]

أرى اليَوْمَ يَوْماً قَد تكاثَفَ غَيْمُهُ وإِبْـراقُـهُ فـاليَـوْمَ لا شَـكَّ مـاطِـرُ

فقال : [من الطويل]

وقد حَجَبَتْ فيه السَّحائِبُ شَمْسَهُ كما حَجَبَتْ وَرْدَ الخُدودِ المحاجِرُ

• وقال[2] عبدُ المَلِك لِرجلٍ : حَدِّثني ، فقال : يا أَمير المؤمنين افتتحْ ، فإِنَّ الحديثَ يفتحُ بعضُه بعضاً .

• وقال[2] الهيثَم بن صالح لابنه : يا بُنَيَّ ، إِذا أَقللتَ من الكلام أكثرتَ من الصَّواب ؛ قال : يا أَبت ، فإِن أَنا أَكثرتُ وأَكثرتُ ؛ يعني كلاماً وَصَواباً ؛ قال : يا بُنَيَّ ، ما رأَيتُ مَوعوظاً أَحقَّ بأَن يكونَ واعِظاً منك .

• وقال الشَّعبيُّ[3] : كنتُ أُحَدِّث عبدَ المَلِك بن مَروان وهو يأكلُ ، فيحبسُ اللُّقْمةَ ، فأَقول : أَجِزْها أَصْلَحَكَ الله ، فإِن الحديثَ من وراء ذلك ؛ فيقول : واللهِ لَحديثُك أَحبُّ إِليَّ منها .

• وقـال ابـنُ عُيينـة[4] : الصَّمـتُ منـامُ العِلـم ، والنُّطـق يَقَظَتُـهُ ، ولا مَنـام إِلاَّ بتيقُّظٍ ، ولا يقظةَ إِلاّ بمنام .

• قال ابنُ المبارك[5] : [من المتقارب]

---

(١) الخبر والبيتان في ربيع الأبرار (٥/ ٢٥٦) .
(٢) ربيع الأبرار (٥/ ٢٥٥) .
(٣) ربيع الأبرار (٥/ ٢٦٠) .
(٤) ربيع الأبرار (٥/ ٢٦١) .
(٥) ديوانه (٥٩) وربيع الأبرار (٥/ ٢٦١) .

وهـــذا اللِّســـانُ بَـــريـــدُ الفُـــؤادِ يـــدلُّ الـــرِّجـــال علـــى عَقْلِـــهِ

• ومَرَّ[1] رجل بأبي بكر الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه ، ومعهُ ثَوبٌ ، فقال له أبو بكر رضي الله تعالى عنه : أَتبيعُهُ؟ قال : لا ، رَحِمَكَ الله ؛ فقال أبو بكر : لو تَستقيمون لَقَوَّمَت أَلسنتُكم ، هلاّ قُلتَ : لا ، وَرَحمكَ الله .

• ومنه[2] : ما حُكي أَنَّ المأمونَ سأَل يَحيى بن أكثم عن شيءٍ ، فقال : لا ، وأَيَّد الله أَميرَ المؤمنين ، فقال المأمونُ : ما أَظرف هذه الواو وأَحسن موقعها .

وكان الصاحب يقول : هذه الواو أحسن من واوات الأَصداغ .

• ويقال : اللسان سَبُعٌ صغيرُ الجِرْمِ عظيمُ الجُرْمِ .

• وقال بعضهم شعراً[3] : [من الكامل]

سَحبـانُ يَقْصُـرُ عـن بُحـورِ بَيـانِـهِ عَجْـزاً وَيَغْـرَقُ مِنْـهُ تَحـت عُبـاب
وكــذاك قُــسٌّ نــاطــقٌ بِعُكــاظِــهِ يَعيــا لَــديــه بِحُجَّــةٍ وجَــوابِ

• وقيل[4] : إِنَّه حَجَّ مع ابن المُنكدر شابّان ، فكانا إِذا رأَيا امرأَةً جميلةً قالا : قد أَبرِقْنا ؛ وهما يظنّان أَنَّ ابن المنكدر لا يفطنُ ، فرأَيا قُبَّةً فيها امرأَةٌ ، فقالا : بارقَةٌ ؛ وكانت قبيحةً ، فقال ابن المنكدر : بل صاعِقَةٌ .

• وكان[4] أَصحاب أَبي عليّ الثَّقفيّ إِذا رَأوا امرأَةً جميلة يقولون : حُجَّةٌ ؛ فعرضَت لهم قبيحةٌ ، فقالَ : داحِضَةٌ .

• وكتب[5] إبراهيم بنُ المهديّ : إِيَّاكَ والتَّتَبُّعَ لِوَحْشِيِّ الكلام طَمَعاً في نَيل

---

(١) ثمار القلوب وفيه تخريجه (٢/ ٨٧٣) وزد ربيع الأبرار (٥/ ٢٦٣) .
(٢) ثمار القلوب وفيه تخريجه (٢/ ٨٧٢) وزد ربيع الأبرار (٥/ ٢٦٣) وأخبار الأذكياء ٨٧ .
(٣) البيتان في ربيع الأبرار (٥/ ٢٦٥) لعيسى بن فرّ خانشاه .
(٤) ربيع الأبرار (٥/ ٢٦٤) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٣٣٢) والكناية والتعريض ٥٧ .
(٥) ربيع الأبرار (٥/ ٢٦٥) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٣٣٢) .

البلاغة ، فإنَّ ذلك العناءُ الأكبر ، وعليكَ بما سَهُلَ مع تجنُّبك لألفاظِ السَّفَل .

• ويُقال[1] : القولُ على حَسب هِمَّة القائل يقعُ ، والسَّيف بقدر عَضُدِ الضَّارب يقطعُ .

• وقال[2] الأحنفُ : سمعتُ كلامَ أبي بكرٍ حتَّى مَضَى ، وكلامَ عُمر حتَّى مضى ، وكلامَ عُثمان حتَّى مَضى ، وكلام عليٍّ حتّى مضَى رضي الله تعالى عنهم ، ولا واللهِ ما رأيتُ فيهم أبلغَ من عائشة .

• وقال مُعاوية رضي الله تعالى عنه[2] : ما رأيتُ أَبلغَ من عائشة ، رضي الله تعالى عنها ، ما أَغلقَتْ باباً فأَرادَتْ فَتْحَهُ إلا فتَحَتْهُ ، ولا فَتحَت باباً فأَرادَتْ إغلاقَهُ إلاّ أَغْلَقَتْهُ .

• ومن غريب الكنايات الواردة على سبيل الرَّمز ، وهو من الذَّكاء والفَصاحة ، ما حُكي[3] أَنَّ رجلاً كان أَسيراً في بني بكر بن وائِل وعزموا على غزو قومه ، فسأَلهم في رَسول يُرسله إلى قومه ، فقالوا : لا تُرسله إلاّ بِحَضْرتنا لِئَلا تُنذرَهُم وتُحذِّرَهُم ، فجاؤوا بعبد أسودَ ، فقال له : أتعقلُ ما أَقوله لك؟ قال : نعم إنِّي لعاقل ؛ فأَشار بيده إلى اللَّيل ، فقال : ما هذا؟ قال : اللَّيل ؛ قال : ما أَراك إلاّ عاقلاً ، ثم مَلأَ كفَّيه من الرَّمل وقال : كم هذا؟ قال : لا أَدري ، وإنَّه لكثير ؛ فقال : أَيُّما أَكثرُ النَّجومُ أَم النِّيرانُ؟ قال : كُلٌّ كثيرٌ ؛ فقال : أَبلغْ قومي التَّحيَّة ، وقلْ لهم يُكرموا فلاناً ـ يعني أَسيراً ـ كان في أَيديهم من بكر بن وائل ، فإنَّ قومَه لي مُكرمون ، وقُل لهم : إنَّ العرفجَ قد دنا وشَكَت النِّساء ، وأْمُرْهُم أَن يُعروا ناقتي الحمراءَ فقد أَطالوا رُكوبها ، وأَن يَركبوا جَملي الأَصهب ،

---

(1) ربيع الأبرار (٥/٢٦٦) .
(2) ربيع الأبرار (٥/٢٦٩) .
(3) عيون الأخبار (١/١٩٥) وأخبار الأذكياء (٩٣) وأخبار الظراف والمتماجنين (٧١) والملاحن (٦٥) وأمالي القالي (١/٦) وصبح الأعشى (٩/٢٤٩) .

بأَمارة ما أَكلتُ معكم حَيْساً ، واسأَلوا عن خبري أَخي الحارث ؛ فلمَّا أَدَّى العبدُ الرِّسالة إِليهم قالوا : لقد جُنَّ الأَعور ، والله ما نعرفُ له ناقةً حمراءَ ولا جملاً أَصهب ؛ ثم دَعوا بأَخيه الحارث فقَصُّوا عليه القِصَّة ، فقال : قد أَنذركم .

• أَمّا قوله : قد دنا العرفج ، يُريد أَنَّ الرِّجال قد اسْتَلأَموا ولبسوا السِّلاح ؛ وأَمّا قوله : شَكَت النِّساء ، أَي اتَّخذت الشِّكاء للسَّفر ؛ وأَمّا قوله : أَعروا ناقتي الحمراء ، أَي ارتحلوا عن الدَّهناء ؛ واركبوا الجملَ الأَصهب ، أَي الجَبَل ؛ وأَمّا قوله : أَكلتُ معكم حَيْساً ، أَي أَنَّ أَخلاطاً من النّاس قد عَزموا على غَزوكم ، لأَنَّ الحَيْسَ يجمعُ التَّمر والسَّمن والأَقِطَ .

• فامتثلوا أَمره وعرفوا لَحْنَ الكلامِ وعَملوا به فنَجوا .

• وأَسَرَت[1] طَيِّءٌ غُلاماً من العرب ، فقدم أَبوه ليفديَه ، فاشْتَطُّوا عليه ، فقال أَبوه : والَّذي جعلَ الفرقدين يُمسيان ويُصبحان على جَبَلَي طَيِّءٍ ما عندي غير ما بذلتُه ؛ ثم انصرف ، وقال : لقد أَعطيتُه كلاماً ، إِن كان فيه خيرٌ فَهمه ؛ فكأَنَّه قال له : الزم الفرقدين - يعني في هُروبك - على جَبَلَي طَيِّءٍ ، ففَهم الابن ما أَراده أَبوه ، وفَعل ذلك فنجا .

• وكانت[2] عُلَيَّة بنت المهديّ تهوى غُلاماً خادماً اسمُه طَلٌّ ، فحلفَ الرَّشيد أَن لا تُكَلِّمَه ولا تذكرَه في شِعرها ، فاطَّلع الرَّشيدُ يوماً عليها وهي تقرأُ في آخر سُورة البَقرة ﴿ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ ﴾ [البقرة : ٢/ ٢٦٥] فالَّذي نهى عنه أَمير المُؤمنين.

• ومن ذلك قولُهم : تركتُ فلاناً يَأمر ويَنهى وهو على شَرَفِ الموت ؛ أَي يأمرُ بالوصِيَّة وينهَى عن النَّوح .

---

(١) أخبار الأذكياء (٩٤) وأخبار الظراف (٧١) .

(٢) التنبيه على حدوث التصحيف (١٨٥) والأوراق للصولي (أشعار أولاد الخلفاء) (٥٧) والأغاني (١٠/ ١٦٣-١٦٤) .

• ويُقال[1] : ما رأيتُ فلاناً ، أي ما ضَرَبْتُهُ في رِئَتِهِ ؛ ولا كَلَّمته ، أي ما جَرَحته ، فإِن الكُلومَ : الجراح .

وما رأيتُ ربيعاً ، فالرَّبيع : حَظُّ الأَرض من الماء ، والرَّبيعُ : النَّهرُ .

ما رأيتُ كافِراً ولا فاسِقاً ؛ فالكافِرُ : السَّحاب ، والفاسِق : الَّذي تجرَّد من ثيابه .

وما رأيتُ فلاناً راكعاً ولا ساجداً ولا مُصَلِّياً ، فالرّاكع : العاثِرُ الَّذي كبا لوجهه ، والسَّاجد : المديم النَّظر ، والمُصَلِّي : الّذي يجيءُ بعد السَّابق .

وما أَخذتُ لفلان دَجاجةً ولا فَرُّوجاً ، فالدَّجاجة : الكُبَّةُ من الغَزْل ، والفَرُّوجة : الدُّرّاعَة .

وما أَخذتُ لفلان بقرةً ولا ثَوْراً ؛ فالبقرةُ : العِيالُ الكثيرة ؛ يقال : جاء فلان يسوقُ بقَرَه ، أَي عياله ، والثَّوْرُ : القطعةُ الكبيرةُ من الأَقط .

• وحُكي[2] : أَنَّ مُعاوية رضي الله تعالى عنه بينما هو جالسٌ في بعض مَجالسه ، وعنده وُجوهُ النّاس فيهم الأَحنف بن قيس ، إِذ دخل رجل من أَهل الشّام ، فقام خَطيباً ، وكان آخر كلامه أَنْ لَعَنَ عليّاً ـ رضي الله تعالى عنه ولعن لاعنَه ـ فقال الأَحنف : يا أَمير المؤمنين ، إِنَّ هذا القائلَ لو يعلم أَنَّ رضاكَ في لَعْن المُرسلين لَلَعَنَهُمْ ، فاتَّقِ اللهَ يا أَمير المؤمنين ودع عنك عليّاً رضي الله تعالى عنه ، فلقد لقي ربَّه ، وأُفردَ في قَبره ، وخلا بعمله ، وكان ـ والله ـ المبرور سيفُه ، الطّاهرَ ثوبُه ، العظيمةَ مُصيبتُه ؛ فقال معاوية : يا أَحنف ، لقد تكلَّمتَ بما تكلَّمتَ ، وآيْمُ اللهِ لَتصْعَدَنَّ على المنبر فتَلْعَنَنَّهُ طَوْعاً أَو كَرْهاً ؛ فقال له الأَحنف : يا أَمير المؤمنين ، إِن تُعفني فهو خيرٌ لك ، وإِن تُجبرني على ذلك ،

---

(١) الملاحن (٧٠ و٨٨ و٨٩ و١٠٠ و١٠٣) .

(٢) العقد الفريد (٤/ ٢٨ـ٢٩) وثمرات الأوراق (١٥٨) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٨٩ـ١٩٠) .

فوالله لا تَجري شفتاي به أبداً ؛ فقال : قم فاصعدْ ؛ قال : أَما والله لأُنصفنَّك في القول والفِعل ؛ قال : وما أَنت قائلٌ إن أَنصفتَني؟ قال : أَصعدُ المنبرَ ، فأَحمدُ الله وأُثني عليه بما هو أَهلُه ، وأُصَلِّي على نبيِّه محمَّد ﷺ ثم أَقولُ : أَيُّها النّاس ، إنَّ أَميرَ المؤمنين معاوية أَمرني أَن أَلعنَ عليّاً ، أَلا وإِنَّ معاوية وعليّاً اقتتلا فاختلفا ، فادَّعى كلٌّ واحدٍ منهما أَنَّه مَبْغِيٌّ عليه وعلى فِئته ، فإِذا دعوتُ فأَمِّنوا رحمكم الله ، ثم أَقولُ : اللَّهُمَّ الْعَنْ أَنت وملائكتُك وأَنبياؤك وجميعُ خلقِك الباغيَ منهما على صاحبه ، والْعَن الفئةَ الباغيةَ ، اللَّهُمَّ العنْهم لَعْناً كثيراً ؛ أَمِّنوا رحمكم الله ؛ يا معاوية لا أَزيد على هذا ولا أُنقص حَرْفاً ، ولو كان فيه ذهابُ روحي ؛ فقال معاوية : إِذاً نُعفيك يا أَبا بَحْر .

● وقال[1] معاويةُ لِعَقيلِ بن أَبي طالب : إِنَّ عليّاً قد قَطَعَك وأَنا وَصَلْتُك ، ولا يُرضيني منكَ إِلاّ أَن تلعنَه على المنبر ؛ قال : أَفعل ؛ فصعد المنبر ، ثم قال بعد أَن حمدَ الله وأَثنى عليه وصلَّى على نبيِّه ﷺ : أَيُّها النّاس ، إِنّ معاويةَ بن أَبي سُفيان قد أَمرني أَن أَلعنَ عليَّ بن أَبي طالب ، فالْعنوه فعليه لعنةُ الله ؛ ثم نزلَ ، فقال له معاوية : إِنَّك لم تُبَيِّن من لَعنت مِنِّي ومنه ؛ فقال : والله لا زِدْتُ حَرْفاً ولا نَقَصْتُ حَرفاً ، والكلامُ إِلى نيَّة المتكلِّم .

● ودخلت امرأَةٌ على هٰرون الرَّشيد وعنده جماعةٌ من وجوهِ أَصحابه ، فقالت : يا أَمير المؤمنين ، أَقرَّ اللهُ عَيْنَكَ ، وفرَّحَكَ بما آتاك ، وأَتَمَّ سعدَك ؛ لقد حكمتَ فَقَسَطْتَ ، فقال لها ؛ مَن تكونين أَيَّتُها المرأَة؟ فقالت : مِن آل بَرمك ، ممَّن قتلتَ رجالهم ، وأَخذتَ أَموالهم ، وسلبتَ نَوالهم ؛ فقال : أَمّا الرِّجال فقد مضى فيهم أَمرُ الله ، ونفذ فيهم قَدَرُهُ ؛ وأَمَّا المال فَمردودٌ إِليك .

ثُمَّ التفتَ إِلى الحاضرين من أَصحابه ، فقال : أَتدرون ما قالت هذه المرأَة؟ فقالوا : ما نَراها قالت إِلاّ خيراً ؛ قال : ما أَظنُّكم فهمتُم ذلك ؛ أَمّا قولها :

---

(١) العقد الفريد (٤/ ٢٩) وثمرات الأوراق (١٥٨ـ١٥٩) .

أَقَرَّ اللهُ عَينك ، أَي أَسْكَنَها عن الحركة ، وإِذا سكنت العينُ عن الحركة عَمِيَت .

وأَمَّا قولُها : وفَرَّحك بما آتاك ، فأَخَذته من قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ [الأنعام : ٤٤]

وأَمَّا قولُها : وأَتمَّ الله سَعْدَك ، فأَخذته من قول الشّاعر : [من المتقارب]

إِذا تَـمَّ أَمْـرٌ بَـدا نَقْصُـهُ ... تَـرَقَّـبْ زَوالاً إِذا قِيـل : تَـمّْ

وأَمّا قولُها : لقد حَكمت فَقَسطت ، فأَخذَته من قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن : ٧٢/ ١٥] فتعجَّبوا من ذلك .

• وحُكي[١] أَنَّ بعضَهم دخل على عدوِّه من النَّصارى ، فقال له : أَطال الله بقاءَك ، وأَقَرَّ عَيْنَك ، وجَعل يَومي قبلَ يومك ؛ واللهِ إِنَّه لَيَسُرُّني ما يَسُرُّك ؛ فأَحسنَ إِليه ، وأَجازه على دُعائه ، وأَمر له بِصِلَةٍ .

• وكان ذلك دعاءً عليه ؛ لأَنَّ معنى قوله : أَطال الله بقاءك ، حُصولُ منفعةِ المسلمين به في أَداء الجِزْيَة ؛ وأمَّا قوله : وأَقَرَّ عَيْنَك ، فَمعناه سكَّن الله حَرَكَتَها أَي أَعماها ؛ وأَمّا قولُه : وجعلَ يومي قبل يومك ، أَي جعل الله يومي الذي أَدخلُ فيه الجنَّة قبلَ يومك الَّذي تدخلُ فيه النّار ؛ وأَمّا قوله : إِنَّه لَيَسرُّني مايسرُّك ، فإِنَّ العافية تسرُّه كما تسرُّ الآخر .

• فانظر إِلى الاشتراك وفائدته ، ولولا الاشتراك ما تهيّأ لِمُتَستِّرٍ مُرادٌ وَلا سَلِمَ له في التَّخلُّصِ قِيادٌ .

• وكان[٢] حمَّاد الرَّاوية لا يقرأُ القُرآن ، فكلَّفه بعض الخلفاء[٣] القراءة في

---

(١) سراج الملوك (٢/ ٥٨٩ـ٥٩٠) .

(٢) أخبار المصحّفين (٧٢) ، التنبيه على حدوث التصحيف (٥) ، تصحيفات المحدِّثين (١/ ١٤٧) ، نثر الدر (٥/ ٢٤٧) ، محاضرات الراغب (١/ ١١٠) نتائج المذاكرة (١٠٨أ) ، التذكرة الحمدونية (٧/ ٢٧٥) .

(٣) كذا ، وصوابه : إن بشاراً سعى بحمّاد الرّاوية إلى عقبة بن سلْم أمير البصرة . . .

المصحف ، فصحَّف في نَيِّف وعشرين موضعاً من جُملتها قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [النحل : ١٦/ ٦٨] بالغين المعجمة والسِّين المهملة .

وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾ [التوبة : ٩/ ١١٤] بالباء الموحَّدة .

﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ [القصص : ٢٨/ ٨] بالباء الموحَّدة .

﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ ﴾ [لقمان : ٣١/ ٣٢] بالجيم والباء الموحَّدة .

﴿ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴾ [مريم : ١٩/ ٧٤] بالزاي ، وترك الهمزة .

﴿ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ﴾ [الأعراف : ٧/ ١٥٦] بالسِّين المهملة .

﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾ [البقرة : ٢/ ١٣٨] بالنُّون والعين المهملة .

﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [القصص : ٢٨/ ٥٥] بإسقاط التّاء .

﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ [ص : ٣٨/ ٢] بالغَين المعجمة والرَّاء المهملة ؛ قَرَن الشِّقاق بالغِرَّة ، وهذا لا يقعُ إِلاّ من الأذكياء .

• وحُكي أَنَّ المأمونَ وَلَّى عاملاً على بلادٍ ، وكان يَعرفُ منه الجورَ في حُكمه ، فأَرسل إِليه رجلاً من أَرباب دَولته ليمتحنَه ، فلمّا قدم عليه أَظهر له أَنه قدمَ في تجارةٍ لنفسه ، ولم يُعلمْه أَنَّ أَمير المؤمنين عنده عِلْمٌ منه ، فأَكرم نُزُلَه وأَحسن إِليه ، وسأَله أَن يكتبَ كتاباً إِلى أَمير المؤمنين المأمون يشكرُ سِيرتَه عنده ، ليزدادَ فيه أَميرُ المؤمنين رغبةً ؛ فكتبَ كتاباً فيه بعد الثَّناء على أَمير المؤمنين : أَمّا بعد ، فقد قَدِمنا على فلان ، فوجدناهُ آخِذاً بالعَزم ، عاملاً بالحزم ، قد عَدل بين رعيَّته ، وساوى في أَقضيته ، وأَغنى القاصدَ ، وأَرضى الواردَ ، وأَنزلَهم منه منازل الأَولاد ، وأَذهب ما بينهم من الضَّغائن والأَحقاد ،

وعَمَّر منهم المساجدَ الدّاثرة، وأفرغَهم من عَمل الدُّنيا، وشغلهم بعمل الآخرة، وهُم مع ذلك داعونَ لأَمير المؤمنين يُريدون النَّظر إلى وَجهه ؛ والسَّلام .

فكان معنى قوله: آخذاً بالعزم، أَي إذا عَزَم على ظُلمٍ أَو جورٍ، فعلَه في الحال .

وقوله : قد عَدل بين رعيَّته وساوى في أَقضيته ، أَي أَخذ كلَّ ما مَعهم حتَّى ساوى بين الغنيِّ والفَقير .

وقوله : عَمَّرَ منهم المساجِدَ الدَّاثرة ، وأَفرغهم من عمَل الدُّنيا ، وشَغلهم بعمل الآخرة ، يعني أَنَّ الكُلَّ صاروا فُقراءَ لا يملكون شيئاً من الدُّنيا .

ومعنى قوله : يُريدون النَّظر إلى وَجه أَمير المؤمنين ، أَي لِيَشْكُوا حالَهم وما نَزَلَ بهم .

فلمّا جاء الكتابُ إلى المأمون عَزَلَه عنهم لِوقته ، وولَّى عليهم غيره .

• ومن ذلك ما حُكي[1] أَنَّ القاضي الفاضِل كان [له] صديقٌ خصيصٌ به ، وكان صديقُه هذا قريباً من الملكِ النّاصِر صلاح الدِّين ، وكان فيه فَضيلةٌ تامّةٌ ، فوقع بينَه وبين الملِك أَمْرٌ ، فغضبَ عليه ، وهَمَّ بقَتْله ، فَتَسَحَّبَ إلى بلاد التَّتَر ، وتوصَّل إلى أَن صار وزيراً عندهم ، وصار يُعَرِّفُ التَّتَرَ كيف يتوصَّل إلى الملك النَّاصر بما يُؤْذيه ، فلمّا بَلَغَهُ ذلك نَفَرَ منه وقال للفاضل : اكتبْ إليه كتاباً عَرِّفْهُ فيه أَنَّني أَرضى عليه ، واستعطفْه غايةَ الاستعطاف إلى أَن يحضرَ ، فإذا حضر قتلتُه ، واسترحتُ منه ؛ فتحيَّر الفاضلُ بين الاثنين ، صديقُه يعزُّ عليه ، والملِك لا يمكنُه مخالفتُه ، فكتب إليه كتاباً واستعطفه غايةَ الاستعطافِ ، ووَعدَه بكلِّ خيرٍ من الملِك ؛ فلمّا انتهى الكتابُ ختمه بالحَمْدَلَةِ والصَّلاة والسَّلام على النَّبيِّ ﷺ وكتبَ : إن شاء الله تعالى ؛ كما جَرت به العادةُ في الكُتبِ ، فشدَّد « إنَّ » ثم أَوقفَ الملِك على الكتاب قبل ختمه ، فقرأَه في غاية

---

(١) صبح الأعشى (٩/ ٢٤٨) ونظيره في ثمرات الأوراق (٩٩ـ١٠٠) .

الكمال وما فَهم « إنَّ » ، وكان قَصْدُ الفاضِل ﴿ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ [القصص : ٢٨/٢٠] ، فلمَّا وصلَ الكتابُ إلى الرَّجل فَهمه ، وكتب جوابه بأنَّهُ سيحضُر عاجلاً ، فلمَّا أراد أن يُنهيَ الكتاب ، ويكتبَ إنْ شاء الله تعالى مدَّ النُّون وجعلَ في آخرها ألفاً ، وأراد بذلك ﴿ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ﴾ [المائدة : ٥/٢٤] فلمّا وصلَ الكتابُ إلى الفاضل فَهمَ الإشارة ، ثم أوقف الملِكَ على الجواب بخطِّه ، ففرحَ بذلك .

● وحُكي[1] : أنَّ بعض المُلوكِ طلَع يوماً إلى أعلى قصره يتفرَّجُ ، فلاحَت منه الْتِفاتَةٌ ، فرأى امرأةً على سطحِ دارٍ إلى جانبِ قصرِه لم يرَ الرّاؤونَ أَحسنَ منها ، فالتفتَ إلى بعض جَواريه ، فقال لها : لِمَن هذه؟ فقالت : يا مولايَ ، هذه زوجةُ غُلامِك فَيروز ؛ قال : فنزلَ الملكُ وقد خامَرَهُ حُبُّها ، وشُغِفَ بها ، فاستَدْعى بفَيروز ، وقال له : يا فَيروز ؛ قال : لبَّيك يا مولاي ، قال : خُذ هذا الكتاب ، وامضِ به إلى فلان في البلد الفلانيَّة ، وائتني بالجواب ؛ فأَخذ فيروز الكتابَ ، وتوجَّه إلى منزله ، فوضع الكتاب تحت رأسه ، وجهَّز أمره ، وبات ليلته ؛ فلمَّا أصبح ودَّع أهله وسار طالباً لحاجة الملك ، ولم يعلم بما قد دبَّره الملك .

وأمّا الملكُ فإنَّه لمّا توجَّه فيروز قام مسرعاً وتوجَّه مُتَخَفِّياً إلى دار فيروز ، فقرع الباب قرعاً خفيفاً ، فقالت امرأة فيروز : مَن بالباب؟ قال : أنا الملِك سيِّدُ زوجك ؛ ففتَحت له ، فدخل وجلس ، فقالت له : أرى مولانا اليوم عندنا ! فقال : زائرٌ . فقالت : أعوذ بالله من هذه الزِّيارةِ ، وما أَظنُّ فيها خيراً ؛ فقال لها : ويحك إنَّني أنا الملك سيِّد زوجك ، وما أظنُّك عرفتِني ؛ فقالت : بل عرفتُك يا مولاي ، ولقد علمتُ أنَّك الملك ، ولكن سَبَقَتْكَ الأَوائل في قولهم : [من الوافر]

---

(١) انظر حياة الحيوان ١/ ١٠ـ ١١ .

سَأَتْرُكُ ماءَكُمْ مِنْ غَيْرِ وِرْدٍ ... وَذاكَ لِكَثْرَةِ الوُرَّادِ فيهِ
إذا سَقَطَ الذُّبابُ على طَعامٍ ... رَفَعْتُ يَدي وَنَفْسي تَشْتَهيهِ
وَتَجْتَنِبُ الأُسودُ وُرودَ ماءٍ ... إذا كانَ الكِلابُ يَلَغْنَ فيهِ
وَيَرْتَجِعُ الكريمُ خَميصَ بَطْنٍ ... ولا يَرضى مُناهَمَةَ السَّفيهِ

وما أحسن يا مولايَ قولُ الشّاعر : [من المنسرح]

قُلْ لِلَّذي شَفَّهُ الغَرامُ بِنا ... وَصاحِبُ الغَدْرِ غَيْرُ مَصْحوبِ
واللهِ لا قالَ قائِلٌ أَبداً : ... قَدْ أَكَلَ اللَّيْثُ فُضْلَةَ الذِّيبِ

ثم قالت : أَيُّها الملك ، تأتي إِلى موضعِ شُرْبِ كَلْبِكَ تَشربُ منه! قال : فاستحيا الملك من كلامها وخرج وتركها ، فنسي نَعله في الدّار .

هذا ما كان من الملِك .

وأَمّا ما كان من فيروز ، فإِنَّه لمّا خرجَ وسار تفقَّد الكتابَ ، فلم يجده معه في رأسه ، فتذَكَّر أَنَّه نسيه تحت فراشه ، فرجع إِلى داره ، فوافق وصوله عقبَ خُروج الملك من داره ، فوجد نَعْلَ الملِك في الدّار ، فطاش عَقْلُهُ ، وعلمَ أَنّ الملكَ لم يُرسله في هذه السَّفرة إِلاّ لأَمرٍ يفعلُه ، فسكت ولم يُبد كلاماً ، وأَخذ الكتاب ، وسار إِلى حاجة الملك ، فقضاها ، ثم عاد إِليه ، فأَنعم عليه بمئة دينار ، فمضى فيروز إِلى السُّوق ، واشترى ما يليقُ بالنِّساء ، وهيَّأَ هديَّةً حسنةً وأَتى إِلى زوجته ، فسلَّم عليها ، وقال لها : قومي إِلى زيارة بيت أَبيك ؛ قالت : وما ذاك؟ قال : إِنَّ الملك أَنعم علينا ، وأُريد أَن تُظهري لأَهلك ذلك ؛ قالت : حُبّاً وكَرامة ؛ ثم قامت من ساعتها ، وتوجَّهت إِلى بيت أَبيها ، ففرحوا بها ، وبما جاءت به معها ، فأَقامت عند أَهلها مدَّةَ شهرٍ ، فلم يذكرها زوجها ولا أَلَمَّ بها ، فأَتى إِليه أَخوها ، وقال له : يا فيروز ، إِمّا أَن تُخبرَنا بسبب غضبك ، وإِمّا أَن تُحاكمنا إِلى الملك ؛ فقال : إِن شئتم الحكمَ فافعلوا ، فما تركتُ لها عليَّ حقّاً ؛ فطلبوه إِلى الحكمِ ، فأَتى معهم ، وكان

القاضي إذ ذاك عند الملك جالساً إلى جانبه ؛ فقال أخو الصَّبيَّة : أيَّد الله مولانا قاضي القُضاة ، إنِّي أجَرْتُ هذا الغُلام بُستاناً سالمَ الحيطان ، ببئرٍ ماءٍ مَعينٍ عامرة ، وأشجار مُثمرة ، فأكل ثمره ، وهدم حيطانه ، وأخرب بئره ؛ فالتفت القاضي إلى فيروز ، وقال له : حقٌّ ما يقول هذا الغلام؟ فقال فيروز : أيُّها القاضي ، قد تسلَّمتُ هذا البستان وسلَّمتُه إليه أحسن ما كان ؛ فقال القاضي : هل سلَّم إليك البستان كما كان؟ قال : نعم ، ولكن أُريد منه السَّبب لِرَدِّه ؛ قال القاضي : ما قولُك؟ قال : والله يا مولاي ما رددت البستان كراهةً فيه ، وإنَّما جئتُ يوماً من الأيّام ، فوجدتُ فيه أثر الأسد ، فخفتُ أن يغتالني ، فحرَّمتُ دخول البستان إكراماً للأسد .

قال : وكان الملِك متَّكئاً فاستوى جالساً ، وقال : يا فيروز ارجع إلى بستانك آمناً مطمئناً ، فوالله إنَّ الأسد دخل البستان ولم يؤثِّر فيه أثراً ، ولا التمس منه وَرَقاً ولا ثَمَراً ، ولم يلبث فيه غير لحظة يسيرة ، وخرج من غير بأس ، ووالله ما رأى مثلَ بستانك ، ولا أشَدَّ احترازاً من حيطانه على شجره .

قال : فرجع فيروز إلى داره ، وردَّ زوجته ، ولم يعلم القاضي ولا غيره بشيء من ذلك . والله أعلم .

• وهذا كلُّه ممّا يأتي به الإنسان من غرائب الكنايات الواردة على سبيل الرَّمز ، ومنه ما يجده المتستِّر في أمره من الرّاحة في كِتمان حاله مع لزوم الصّدق ، ورضا الخصم بما وافق مُراده ، لأنَّ في المعاريض مندوحة عن الكذب .

• كما روي[1] في غزوة بدرٍ أنَّ النَّبي ﷺ كان سائراً بأصحابه يقصدُ بدراً ، فلقيهم رجل من العرب فقال : مِمَّن القوم؟ فقال له النَّبيُّ ﷺ : « من ماء » أخذ ذلك الرَّجل يُفكِّرُ ويقول : مِن ماءٍ ، من ماءٍ ، يردِّدها لينظر أيُّ العرب يقال لهم ماء ، فسار النَّبيُّ ﷺ بأصحابه لِوِجْهَته ، وكان قصده أن يكتمَ أمره .

---

(١) السيرة النبوية ١/٦١٦ .

- وقد صدق رسول الله ﷺ في قوله ، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ قال : ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق : ٨٦/ ٥ـ٦] .

- وكما[١] روي عن أَبي بكر الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه ، أَنَّه قال للكافر الَّذي سأَله عن رسول الله ﷺ وقت ذهابهما إِلى الغار : هو رجلٌ يهديني السَّبيل ؛ وقد صدَق فيما قال رضي الله تعالى عنه ، فقد هداه الله وهدانا السبيل ، ولا سبيل أَوضحَ ولا أَقومَ من الإِسلام .

- وكما حُكي عن الإِمام الشَّافعيِّ رضي الله تعالى عنه ، أَنَّه لمّا سأَله بعضُ المعتزلة بحضرةِ الرَّشيد : ما تقولُ في القرآن؟ فقال الشَّافعي : إِيّاي تعني؟ قال : نعم . قال : مخلوق ؛ فرضي خصمُهُ منه بذلك ، ولم يُرِدِ الشَّافعيُّ إِلاّ نفسَه .

- وكما[٢] حُكي عن ابن الجوزي رحمه الله تعالى ، أَنَّه سُئل وهو على المنبر ، وتحته جماعة من مَماليك الخليفة وخاصَّته، وهم فريقان قومٌ سُنِّيَّة وقومٌ شيعة ، فقيل له : مَن أَفضل الخَلْقِ بعد رسول الله ﷺ ، أَبو بكرٍ ، أَم عليّ رضي الله عنهما؟ فقال : أَفضلُهما بعده مَن كانت ابنتُه تحته ؛ فأَرضى الفريقين ولم يُرد إِلاّ أَبا بكر رضي الله تعالى عنه ، لأَنَّ الضَّمير في ابنته يعودُ إِلى أَبي بكر رضي الله تعالى عنه ، وهي عائشة رضي الله تعالى عنها ، وكانت تحتَ رسول الله ﷺ ، والشِّيعة ظنُّوا أَنَّ الضَّمير في ابنته يعودُ إِلى رسول الله ﷺ وهي فاطمة رضي الله تعالى عنها ، وكانت تحت عليٍّ رضي الله تعالى عنه ، فهذه منه جَيِّدةٌ حَسَنَةٌ ، وكلمةٌ باتَت جفونُ الفريقينِ منها وَسِنَةٌ ؛ والله أَعلم .

---

(١) عيون الأخبار (٢/ ٢٠٢) وأخبار الأذكياء (٢٢) .

(٢) المنهج الأحمد (٤/ ٢٩ـ٣٠) .

الفصل الثّالث

في ذِكر الفُصحاء من الرِّجال

● دخل الحسنُ بن الفضل على بعضِ الخُلفاء وعنده كثيرٌ من أَهل العلم ، فأَحبَّ الحسنُ أَن يتكلَّم ، فزجره وقال : أَصَبِيٌّ يتكلَّمُ في هذا المقام؟ فقال : يا أَمير المؤمنين ، إِن كُنتُ صَبِيّاً ، فلستُ بأَصغر من هُدهد سُليمان ، ولا أَنت بأَكبرَ من سُليمان عليه السَّلام حين قال له : ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ [النمل : ٢٧/٢٢] ثم قال : أَلم تَرَ أَنَّ الله فَهَّم الحُكْمَ سُليمان؟ ولو كان الأَمرُ بالكِبرِ لكان داود أَوْلى .

● ولمّا[1] أَفْضَت الخلافةُ إِلى عمر بن عبد العزيز ، أَتتهُ الوفودُ ، فإِذا فيهم وفدُ الحِجاز ، فنظر إِلى صَبِيٍّ صغير السِّنِّ ، وقد أَراد أن يتكلَّم فقال : ليتكلَّمْ مَن هو أَسنُّ منك ، فإِنَّه أَحقُّ بالكلام منك ، فقال الصَّبيُّ : يا أَمير المؤمنين ، لو كان القول كما تقول لكان في مجلسك هذا مَن هو أَحقُّ به منك ؛ قال : صدقت ، فتكلَّم ؛ فقال : يا أَمير المؤمنين ، إِنّا قَدِمْنا عليك من بلدٍ نحمدُ الله الَّذي مَنَّ علينا بك ، ما قدِمنا عليك رغبةً منا ولا رهبةً منك ؛ أَمّا عدم الرَّغبة ، فقد أَمِنَّا بكَ في منازلنا ، وأَمَّا عدمُ الرَّهبة ، فقد أَمِنّا جورَكَ بِعَدْلِكَ ، فنحن وفدُ الشُّكر ، والسَّلام .

فقال له عمر رضي الله عنه : عِظْني يا غلام فقال : يا أَمير المؤمنين ، إِنَّ أُناساً غَرَّهُم حِلْمُ الله وثناءُ النّاس عليهم ، فلا تكن ممَّن يغرُّه حِلْمُ الله وثناءُ النّاس عليه ، فتَزِلَّ قَدَمُك وتكون من الَّذين قال الله فيهم ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال : ٨/٢١] . فنظر عمر في سِنِّ الغلام فإِذا له اثنتا

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٢٩/ ٢٨٢) ، التذكرة الحمدونية (٧/ ١٦٩) .

عشرة سنة ، فأنشدَهم عُمر رضي الله تعالى عنه[1] : [من الطويل]

تَعَلَّمْ فَلَيْسَ المَرْءُ يُولَدُ عالِماً ... وَلَيْسَ أخو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جاهِلُ[2]

فإنَّ كَبيرَ القَوْمِ لا عِلْمَ عِنْدَهُ ... صَغيرٌ إذا الْتَفَّتْ عليه المحافِلُ

• وحُكي[3] أَنَّ البادية قَحطَت في أيّام هشام ، فقَدِمَت عليه العربُ ، فهابوا أن يُكلِّموه ، وكان فيهم درواس بن حبيب ، وهو ابن ستَّ عشرةَ سنةً ، له ذُؤابةٌ ، وعليه شَمْلَتان ؛ فوقعت عليه عينُ هشام ، فقال لحاجبه : ما شاء أحد أن يدخلَ عليَّ إلاّ دخلَ حتَّى الصِّبيان ، فوثب درواس حتى وقف بين يديه مُطرقاً فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ للكلام نَشْراً وطَيّاً ، وإنَّه لا يُعرف ما في طَيِّه إلاَّ بنَشْره ، فإن أذِنَ لي أميرُ المؤمنين أن أنشرَه نَشَرْتُهُ ؛ فأعجبه كلامه ، وقال له : انشرهُ لله دَرُّك ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّه أصابتنا سِنون ثلاث ؛ سنةٌ أذابت الشَّحمَ ، وسنةٌ أكلَت اللَّحم ، وسنةٌ دَقَّت العظم ؛ وفي أيديكم فُضولُ مالٍ ، فإن كانت لله ففرِّقوها على عباده ، وإن كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم؟ وإن كانت لكم فتصدَّقوا بها عليهم ، فإنَّ الله يجزي المتصدِّقين ؛ فقال هشام : ما ترك الغلامُ لنا في واحدة من الثَّلاث عُذراً ؛ فأمر للبوادي بمئة ألف دينار ، وله بمئة ألفِ دِرهم ، ثم قال : أمالك حاجة؟ قال : ما لي حاجة في خاصَّة نفسي دون عامَّة المسلمين ؛ فخرج من عنده وهو من أَجَلِّ القوم .

• وقيل[4] : إنَّ شِقَّةَ بنَ ضُمْرَةَ الأَسَديّ لم يزل يُغيرُ على النُّعمان بن المنذر يستلب أَمواله حتى عِيل صبرُه ، فبعث إليه يقول : إن لك عندي ألفَ ناقةٍ على

---

(١) وينسب البيتان لعبد الله بن المبارك ، ديوانه (٨٧) وللشافعي ، ديوانه (٥٨) .

(٢) في ب : تعلَّم فإن العلم ينفع أهله .

(٣) ربيع الأبرار (٥/ ٢٧٣) ، عيون الأخبار (٢/ ٣٣٨) ، الموفقيات (١٤٧) ، مختصر تاريخ دمشق (٨/ ١٦٥) .

(٤) ربيع الأبرار (٢/ ٢٧٢) ، ومجمع الأمثال (١/ ١٢٩ و٢/ ٤٢٠) وجمهرة الأمثال (١/ ٢٦٦) ، وفصل المقال (١٣٦) وفي الأصول : سعد بن ضمرة . تصحيف .

أَن تدخلَ في طاعتي ؛ فوفد عليه وكان صغير الجُثَّة ، فاقتحمتهُ عينه وتَنَقَّصَهُ ، فقال : مهلاً أَيُّها الملِك ، إِنَّ الرِّجال ليسوا بِعِظَم أَجسامهم ، وإِنَّما المرءُ بأَصغريه قلبِهِ ولسانِهِ ، إِنْ نَطَقَ نطقَ ببيان ، وإِن صالَ صال بِجَنان ؛ ثم أَنشأَ يقول : [من البسيط]

يـا أَيُّهـا المَلِـكُ المَـرْجُـوُّ نـائِلُـهُ ... إِنِّـي لَمِـن مَعْشَـرٍ شُـمِّ الـذُّرَى زُهُـرِ

فَـلا تَغُـرَّنَّـكَ الأَجسـادُ إِنَّ لنـا ... أَحـلامَ عـادٍ وإِنْ كُنّـا إِلـى قِصَـرِ

فَكَـمْ طَـويـلٍ إِذا أَبْصَـرْتَ جُثَّتَـهُ ... تقـولُ هـذا غَـداةَ الـرَّوْعِ ذو ظَفَـرِ

فَـإِن أَلَـمَّ بِـهِ أَمْـرٌ فَـأَفْظَعَـهُ ... رَأَيْتَـهُ خـاذِلاً بـالأَهْـلِ والـزُّمَـرِ

فقال : صدقت ، فهل لك عِلْمٌ بالأُمور ، قال : إِنِّي لأَنقضُ منها المفتولَ ، وأُبرمُ منها المحلول ، وأُحيلها حتى تحول ، ثم أَنظُرُ فيها إِلى ماتؤول ، وليس للدَّهر بصاحبٍ مَن لا ينظر في العواقب .

قال : فتعجَّبَ النُّعمان من فَصاحته وعقلهٔ ثم أَمر له بأَلف ناقةٍ وقال له : يا شِقَّةُ إِن أَقمتَ واسيناك ، وإِن رحلتَ وَصلناك ؛ فقال : قُرْبُ الملِكِ أَحبُّ إِليَّ من الدُّنيا وما فيها ؛ فأَنعمَ عليه وأَدناه ، وجعله من أَخصِّ نُدمائه .

• وحُكي[1] أَنَّ هِرَقْلَ مِلِكَ الرُّوم كتب إِلى معاوية بن أَبي سُفيان رضي الله عنه يسأَله : عن الشَّيءِ ولا شيء ، وعن دينٍ لا يقبلُ الله غيرَه ، وعن مفتاح الصلاة ، وعن غَرس الجنَّة ، وعن صلاة كُلِّ شيءٍ ، وعن أَربعة فيهم الرُّوح ولم يَرتكضوا في أَصلاب الرِّجال وأَرحام النِّساء ، وعن رجلٍ لا أَب له ، وعن رجلٍ لا أُمَّ له ، وعن قبرٍ جَرى بصاحبه ، وعن قوسٍ قُزَح ما هو ، وعن بُقعةٍ طَلَعت عليها الشَّمسُ مرَّةً واحدةً ولم تطلع عليها قبلَها ولا بعدَها ، وعن ظاعنٍ ظعنَ مرَّةً واحدةً ، ولم يظعن قبلَها ولا بعدَها ، وعن شجرةٍ نَبَتت من غير ماءٍ ،

---

(١) بهجة المجالس (٢/ ١٥٤) ومختصراً في حلية الأولياء (١/ ٣٢٠) .

وعن شيءٍ يتنفَّسُ ولا روحَ له ، وعن اليومِ وأمسِ وغدٍ وبعدَ غدٍ ، وعن البرقِ والرَّعدِ وصَوته ، وعن المحو الَّذي في القَمر .

فقيل لمعاوية : لستَ هُناك ، ومتى أَخطأَت في شيءٍ من ذلك سقطتَ من عينه ، فاكتبْ إلى ابن عبَّاس يُخْبِرْكَ عن هذه المسائل .

فكتب إليه ، فأَجابه : أَمَّا الشَّيءُ : فالماءُ ، قالَ الله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء : ٢١/٣٠] . وأمَّا لا شيءَ : فإنَّها الدُّنيا تَبيد وتفنى ؛ وأَمَّا دِينٌ لا يقبلِ الله غيرَه : فلا إله إلاَّ الله ؛ وأَمَّا مفتاحُ الصَّلاة : فالله أكبر ؛ وأَمَّا غرسُ الجنَّة : فلا حولَ ولا قُوَّةَ إلاَّ بالله العليِّ العظيم ؛ وأَمَّا صلاةُ كلِّ شيء : فسبحانَ الله وبحمده ؛ وأَمَّا الأَربعة الَّذين فيهم الرُّوح ، ولم يركضوا في أَصلاب الرِّجال وأَرحام النِّساء : فآدمُ وحَوَّاء وناقة صالح وكبشُ إسماعيل[1] ؛ وأَمَّا الرَّجل الَّذي لا أَبَ له : فالمسيح ؛ وأَمَّا الرَّجل الَّذي لا أُمَّ له : فآدمُ عليه السَّلام ؛ وأَمَّا القبر الَّذي جرى بصاحبه : فحوتُ يونس عليه السَّلام ، سارَ به في البحر ؛ وأَمَّا قوس قُزَح : فأَمانٌ من الله لعباده من الغَرَق ؛ وأَمَّا البُقعة الَّتي طَلَعت عليها الشَّمس مرَّةً واحدةً . فبطنُ البحر حين انفلقَ لموسى وبني إسرائيل ؛ وأَمَّا الظَّاعن الَّذي ظَعَنَ مَرَّةً ولم يظعن قبلَها ولا بعدَها : فجبلُ طور سيناء ، كان بينَه وبين الأَرض المقدسة أَربع ليالٍ ، فلمَّا عَصَت بنو إسرائيل أَطارَهُ الله تعالى بجناحَين ، فنادى مُنادٍ : إن قبلتُم التَّوراةَ كَشفتُه عنكم ، وإلاَّ أَلقيتُه عليكم ؛ فأَخذوا التَّوراة معذَّرين ؛ فردَّه الله تعالى إلى موضعه ، فذلك قوله تعالى : ﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ [الأعراف : ٧/١٧١] الآية ؛ وأَمَّا الشَّجرة التي نبتت من غير ماء : فشجرةُ اليَقطين التي أَنبتها الله تعالى على يُونس عليه السَّلام ؛ وأَمَّا الشَّيءُ الَّذي يتنفس بلا روح : فالصُّبح ؛ قال الله تعالى : ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير : ١٨/١٨] ؛ وأَمَّا

---

(١) في أ ، ب: فآدم وحوَّاء وعصا موسى والكبش الذي فدي به إسحاق .

اليوم : فَعَمَلٌ ؛ وأمس : فَمَثَلٌ ؛ وغَدٌ : فَأجَلٌ ؛ وبَعْدَ غَدٍ : فَأَمَلٌ ؛ وأَما البرقُ : فَمخاريق بأَيدي الملائكة تَضرب بها السَّحاب ؛ وأَمّا الرَّعدُ : فاسمُ المَلَكِ الذي يسوقُ السَّحاب ؛ وصَوتُه : زَجْرُهُ ؛ وأَمَّا المَحْوُ الذي في القمر : فقولُ الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ [الإسراء : ١٧/١٢] . ولولا ذلك المحو لم يُعْرَفِ اللَّيل من النهار ، ولا النَّهار من اللَّيل .

• ودعا بعض البلغاء لَصديق له ، فقال : تَمَّمَ الله عليك ما أنت فيه ، وحقَّق ظنَّكَ فيما تَرجوه ، وتفضَّل عليك بما لم تَحتسبه .

• وحُكي[١] أَنَّ الحجَّاج سأَل يوماً الغضبانَ بن القَبَعْثَرِيّ عن مسائل يمتحنُه فيها ، من جُملتها أَن قال له : مَن أكرم النَّاس؟ قال : أفقههم في الدِّين وأصدقهم لليمين ، وأَبذلهُم للمسلمين ، وأكرمهم للمهانين ، وأطعمهُم للمساكين . قال : فمَن أَلأمُ النَّاس؟ قال : المعطي على الهوان ، المقتِّر على الإِخوان ، الكثير الألوان . قال : فمَن شرُّ النَّاس؟ قال : أطولهم جَفْوَةً ، وأَدْومُهم صَبْوَةً ، وأكثرهم خَلْوَةً ، وأَشدُّهم قَسْوَةً . قال : فمَن أَشجعُ النَّاس؟ قال : أَضربُهم بالسَّيف ، وأقراهم للضَّيف ، وأَتركُهم للحَيْف . قال : فمَن أجبنُ النَّاس؟ قال : المستأْخِرُ عن الصُّفوف ، المنقبضُ عن الزُّحوف ، المرتعشُ عند الوقوف ، المحبُّ ظلال السُّقوف ، الكاره لضرب السُّيوف . قال : فمَن أثقلُ النَّاس؟ قال : المُتَقَعِّرُ في الكلام ، الضَّنينُ بالسَّلام ، المهذارُ في الكلام ، المُبقبق[٢] على الطَّعام . قال : فمَن خيرُ النَّاس؟ قال : أكثرهم إحساناً ، وأَقْوَمُهم ميزاناً ، وأَدْوَمُهم غُفراناً ، وأَوسعُهم ميداناً . قال : لله أَبوك ، فكيفُ يُعرف الرَّجلُ الغريب ، أَحسيبٌ هو أم غير حسيب؟ قال : أَصلح

---

(١) مروج الذهب : (٣/ ٣٥٥) التذكرة الحمدونية (٩/ ٣٤٤) ، مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ٢٠١) الجليس والأنيس (١/ ٤٤٨) .

(٢) البقبقة : صوت حكاية الكوز في الماء . (القاموس) .

الله الأمير ، إِنَّ الرَّجلَ الحسيبَ يَدُلُّك أَدبه ، وعقلُه ، وشمائله ، وعزَّةُ نفسه ، وكثرةُ احتماله ، وبشاشته ، وحُسن مداورته على أَصله ، فالعاقل البصير بالأَحساب يعرف شمائله ، والنَّذل الجاهل يجهله ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الدُّرَّة إِذا وقعت عند من لا يعرفها ازدراها ، وإِذا نظر إِليها العُقلاء عَرَفوها وأَكرموها ، فهي عندهم لمعرفتهم بها حَسَنَةٌ نَفيسة ؛ فقال الحجَّاج : لله أَبوك ، فما العاقل والجاهل؟ قال : أصلح الله الأمير ، العاقلُ الذي لا يتكلَّم هذراً ، ولا ينظرُ شَزْراً ، ولا يُضمر غَدْراً ، ولا يطلبُ عُذْراً ؛ والجاهل هو المِهذار في كلامه ، المنَّان بطعامه ، الضَّنين بسلامه ، المتطاولُ على إِمامه ، الفاحشُ على غُلامه ؛ قال : لله أَبوك ، فما الحازم الكَيِّسُ؟ قال : المقبلُ على شأنه ، التَّارك لما لا يعنيه ؛ قال : فما العاجزُ؟ قال : المعجَب بآرائه ، الملتفتُ إِلى ورائه ؛ قال : هل عندك من النِّساء خبرٌ؟ قال : أَصلح الله الأمير ، إِنِّي بشأنهن خبيرٌ إِن شاء الله تعالى ؛ (قال : أَخبرني عن أُمَّهات الأولاد . قال : أصلح الله الأمير ،)[1] إِنَّ النِّساء بمنزلةِ الأَضلاع إِن عَدَلتها انكسرت ، ولهنَّ جوهرٌ لا يصلح إِلاَّ على المداراة ، فمَن داراهن انتفعَ بهنَّ وقرَّت عينُه ، ومَن شاورهُنَّ كدَّرن عيشَه ، وتكدَّرت عليه حياته ، وتنغَّصت لَذَّاته ، فأكرمُهُنَّ أَعَفُّهُنَّ ، وأَفخر أَحسابهنَّ العِفَّة ، فإِذا زِلْنَ عنها فهنَّ أَنتنُ من الجيفة ؛ فقال له الحجَّاج : يا غضبان ، إِنِّي مُوَجِّهك إِلى ابن الأَشعث وافداً ، فماذا أَنت قائلٌ له؟ قال : أَصلحَ الله الأمير ، أَقول ما يُرديه ويُؤْذيه ويُضْنيه ؛ فقال : إِنِّي أظنُّك لا تقولُ له ما قلتَ ، وكأَنِّي بصوتِ جلاجلك تجلجل في قصري هذا ؛ قال : كلاَّ أَصلح الله الأَمير ، سأُحَدِّدُ له لساني ، وأُجريه في مَيْداني .

قال : فعند ذلك أمره بالمسير إِلى كَرْمان[2] ، فلمَّا توجَّهَ إِلى ابن الأَشعث

---

(١) من ب .

(٢) كرمان: ناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان . (معجم البلدان ٤/ ٤٥٤) .

وهو على كَرْمان بعثَ الحجّاج عَيْناً عليه ، أَي جاسوساً ، وكان يفعل ذلك مع جميع رُسُله ، فلمّا قَدم الغضبانُ على ابن الأَشعث قال له : إِنَّ الحجَّاجَ قد همَّ بِخَلعك وعَزْلِكَ ، فخُذ حِذْرَك ، وتَغَدَّ به قبل أَن يتعشَّى بك ، فَأَخَذَ حِذْرَهُ عند ذلك ، ثم أَمر للغضبان بجائزةٍ سَنيَّة ، وخِلَعٍ فاخرة ، فأَخذها وانصرفَ راجعاً ، فأَتى إِلى رَمْلَةِ كَرْمان في شِدَّةِ الحَرِّ ، وهي رملةٌ شديدةُ الرَّمضاءِ ، فضربَ قُبَّتَهُ فيها ، وحطَّ عن رَواحله ؛ فبينما هو كذلك إِذا بأَعرابيٍّ من بني بكر ابن وائل ، قد أَقبل على بعيرٍ قاصداً نحوه ، وقد اشتدَّ الحَرُّ وحَميت الغَزالة[1] وقتَ الظَّهيرةِ ، وقد ظَميءَ ظمأً شديداً ، فقال : السَّلام عليكَ ورحمةُ الله وبركاته ؛ فقال الغضبانُ : هذه سُنَّةٌ ، وَرَدُّها فريضةٌ ، قد فازَ قائلُها وخسر تاركُها ، ما حاجتُك يا أَعرابيُّ؟ قال : أَصابتني الرَّمضاءُ وشِدَّةُ الحرِّ والظَّمأ ، فَيَمَّمْتُ قُبَّتك أَرجو بَركتها ؛ قال الغضبانُ : فهلاَّ تَيَمَّمْتَ قُبَّةً هي أَكبرُ من هذه وأَعظم؟ قال : أَيَّتهنَّ تعني؟ قال : قُبَّة الأَمير ابن الأَشعث . قال : تلك لا يُوصَل إِليها . قال : إِنَّ هذه أَمنعُ منها ؛ فقال الأَعرابيّ : ما اسمُك يا عبد الله؟ قال : آخِذ ؛ فقال : وما تعطي؟ قال : أكرهُ أَن يكونَ لي اسمان . قال : بالله من أَين أَنت؟ قال : من الأَرض . قال : فأَين تريد؟ قال : أَمشي في مَناكبها . فقال الأَعرابيُّ وهو يرفع رجلاً ويضعُ أُخرى من شِدَّة الحرِّ : أَتقرض الشِّعْرَ؟ قال : إِنَّما يقرضُ الفأر . فقال : أَفتسجعُ؟ قال : إِنَّما تَسجعُ الحمامةُ . فقال : يا هذا ائذنْ لي أَن أَدخلَ قُبَّتَك . قال : خَلْفَكَ أَوسعُ لك . فقال : قد أَحرقني حرُّ الشَّمس ، قال : ما لي عليها من سُلطان ؛ فقال : الرَّمضاء أَحرقت قدمي . قال : بُلْ عليها تبرُدُ ، فقال : إِنِّي لا أُريدُ طعامك ، ولا شرابك . قال : لا تتعرَّض لِما لا تَصلُ إِليه ، ولو تَلِفَتْ رُوحك . فقال الأَعرابيُّ : سُبحان الله . قال : نَعم ، من قَبل أن تطلع أَضراسُك ، فقال

---

(١) الغزالة : الشمس .

الأعرابيُّ : ما عندك غيرُ هذا؟ قال : بلى ، هراوَةٌ أَضرب بها رأسك ؛ فاستغاث الأَعرابيُّ : يا رجالَ بني كعب . قال الغضبان : بئس الشَّيخُ أَنت ، فوالله ما ظَلمك أَحدٌ فَتستغيث ؛ فقال الأَعرابيُّ : ما رأيتُ رجلاً أَقسى منك ، أَتيتُك مُستغيثاً فحَجبتني وطردتني ، هلاَّ أَدخلتني قُبَّتك وطارَحتني القريض؟ قال : ما لي بمحادثتك من حاجة . فقال الأعرابيُّ : بالله ما اسمك ، ومَن أَنت؟ فقال : الغَضبان بن القَبَعْثريّ ؛ فقال : اسمان مُنكران خُلقا من غَضَب . قال : قِف مُتَوكِّئاً على باب قُبَّتي بِرِجْلِك هذه العَرجاء . فقال : قَطعها الله إن لم تكن خيراً من رجلك هذه الشَّنعاء . قال الغَضبان : لو كنتَ حاكماً لَجُرتَ في حُكومتك ، لأَنَّ رجلي في الظِّلِّ قاعدةٌ ورِجْلَكَ في الرَّمضاء قائمة ؛ فقال الأَعرابيُّ : إِنِّي لأَظنُّك حَروريّاً . قال : اللَّهمَّ اجعلني مِمَّن يَتَحرَّى الخير ويُريده ؛ فقال : إِنِّي لأَظُنُّ عنصُرك فاسِداً . قال : ما أَقدرني على إِصلاحه ، فقال الأَعرابيُّ : لا أَرضاك الله ولا حيَّاك ؛ ثم ولَّى وهو يقول : [من البسيط]

لا بـارَك اللهُ فـي قَـومٍ تَسُـودُهُـمُ ... إِنِّـي أَظُنُّـكَ والـرَّحْمٰـنِ شَيْطـانـا

أَتَيْـتُ قُبَّتَـهُ أَرْجُـو ضِيـافَتَـهُ ... فَأَظْهَرَ الشَّيْخُ ذو القَرنينِ حِرْمانا

فلمَّا قدمَ الغَضبانُ على الحجَّاج وقد أَبلغه الجاسوسُ ما جرى بينه وبين ابن الأَشعث وبين الأَعرابيِّ ، قال له الحجَّاج : يا غَضبانُ ، كيفَ وجدتَ أَرض كَرمان؟ قال : أَصلح الله الأمير ، أَرضٌ يابسةٌ ، الجيشُ بها ضعاف هُزالى ، إِن كثُروا جاعوا ، وإِن قَلُّوا ضاعوا . فقال له الحجَّاج : أَلستَ صاحب الكلمة التي بَلَغَتْني أَنَّكَ قُلتَ لابن الأَشعث : تَغَدَّ بالحجَّاج قبل أَن يَتَعَشَّى بكَ؟ فوالله لأَحبسنَّك عن الوساد ، ولأنزلنَّك عن الجياد ، ولأُشهِّرنَّك في البلاد ؛ قال : الأَمانَ ، أَيُّها الأَمير ، فوالله ما ضَرَّت مَن قيلت فيه ، ولا نفعت مَن قيلت له ؛ فقال له : أَلم أَقل لك : كأَنِّي بصوتِ جَلاجلك تجلجلُ في قصري هذا؟ اذهبوا به إِلى السِّجن ؛ فذهبوا به ، فَقُيِّد وسُجن ، فمكث ما شاء الله .

ثمَّ إنَّ الحجَّاج ابتنى الخضراءَ بواسِط[1] فأُعجبَ بها ، فقال لمن حوله : كيف تَرون قُبَّتي هذه وبناءَها؟ فقالوا : أيُّها الأَمير ، إنَّها حصينةٌ مُباركة منيعةٌ ، نَضرةٌ بَهجةٌ ، قليلٌ عَيْبُها ، كثيرٌ خيرُها ؛ قال : لم تُخبروني بِنُصْحٍ . قالوا : لا يصفُها لك إلاَّ الغَضبان ؛ فبعث إلى الغضبان فأَحضره ، وقال له : كيف ترى قُبَّتي هذه وبناءَها؟ قال : أَصلح الله الأمير ، بَنَيْتَها في غير بلَدك لغيرِ ولَدك ، لا تدومُ لك ولا يسكنُها وارثُك ، ولا تبقى لك ، وما أنت لها بباقٍ ؛ فقال الحجَّاج : قد صدق الغضبانُ ، رُدُّوه إلى السِّجن ؛ فلمَّا حَملوه قال : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴾ [الزخرف : ٤٣/١٣] فقال : أنزلوه ، فلمَّا أَنزلوه قال : ﴿ رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ [المؤمنون : ٢٣/٢٩] فقال : اضربوا بِهِ الأَرضَ ؛ فلمَّا ضربوا به الأرض قال : ﴿ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه : ٢٠/٥٥] فقال : جُرُّوه ؛ فأَقبلوا يَجُرُّونَه وهو يقول : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [هود : ١١/٤١] فقال الحجَّاج : وَيلكم اتركوه ، فقد غَلَبني دهاءً وخُبثاً ؛ ثم عفا عنه ، وأَنعَم عليه ، وخلَّى سبيله .

● وحدَّث الزُّبير قال[2] : دخل محمَّد بن عبد الملك بن صالح على المأمون ، وقد كانت ضِياعهم أُخذت ، فقال : السَّلام عليك يا أمير المؤمنين ؛ محمَّد بن عبد الملك بين يديك ، سَليلُ نِعمتك وغُصنٌ من أَغصان دَوْحَتِك ، أَتأذنُ له في الكلام؟ فقال : تكلَّمْ ؛ فقال : الحمدُ لله ربِّ العالمين ، ولا إلٰه إلا الله ربُّ العرش العظيم ، وصلَّى الله والملائكة على محمَّد خاتم النَّبيِّين ، ونستمتعُ الله لحياطةِ ديننا ودنيانا ، ورعاية أَدنانا وأَقصانا ببقائك يا أمير المؤمنين ، ونسأَل الله أن يمدَّ في عُمرك من أعمارنا ، وأَن يَقيكَ الأَذى بأَسماعنا وأَبصارنا ؛ فإِنَّ

---

(١) واسط : مدينة بين البصرة والكوفة ، بناها الحجاج .

(٢) بداية الخبر في عيون الأخبار (١/ ١٠٥) والعقد الفريد (٢/ ١٦٢) .

الحقَّ لا تَعفو آثارُه ، ولا ينهدمُ منارُه ، ولا يَنْبَتُّ حَبْلُه ، ولا يزولُ ما دمتَ بين الله وبين عباده ، والأَمينَ على بلاده .

يا أمير المؤمنين ، هذا المقامُ مقامُ العائذِ بظلِّك ، الهاربِ إلى كَنَفك ، الفقير إلى رحمتك وعدْلِك ، مِن تَعاوُدِ النَّوائبِ وسِهام المصائب وكَلَبِ الدَّهر وذَهاب النعمة ؛ وفي نَظَر أَمير المؤمنين ما يُفرِّجُ كُربة المكروب ، ويُبرِّد غليلَ القلوب ، وقد نَفذ أَمر أَمير المؤمنين في الضِّياع الَّتي أَفادناها نِعَمُ آبائه الطَّيِّبين ، ونوافل أَسلافه الطَّاهرين الرَّاشدين ؛ وقد قمتُ مَقامي هذا مُتَوسِّلاً إِليك بآبائك الطَّيبين وبالرَّشيد خير الهُداة الرَّاشدين ، والمهديِّ ناصرِ المسلمين ، والمنصورِ مُنكِّلِ الظَّالمين ، ومحمَّد خير المحمَّدين بعد خاتم النَّبيِّين ، مُزدلفاً إليك بالطّاعة التي أَفرعَ عليها غُصني واحتنكت بها سِنِّي ، وريَّش بها جناحي ، متعوِّذاً من شماتة الأَعداء وحُلول البلاء ، ومقارفة الشِّدَّة بعد الرَّخاء .

يا أمير المؤمنين ، قد مضى جَدُّك المنصورُ وعَمُّك صالح بن عليّ جدّي ، وبينهما من الرَّضاع والنَّسب ما عَلِمَهُ أَمير المؤمنين ، وعَرفه ، وقد أَثبتَ الله الحقُّ في نِصابه ، وأَقرَّه في داره ، وأربابه .

يا أمير المؤمنين ، إِنَّ الدَّهر ذو اغتيالٍ ، وقد يقلبُ حالاً بعد حالٍ ، فارحم - يا أمير المؤمنين - الصِّبيَة الصِّغار ، والعجائز الكبار ، الَّذين سَقاهم الدَّهر كدراً بعد صفوٍ ، ومُرّاً بعد حلو ، وهَبْنا نِعَمَ آبائك اللاَّتي غَذَتنا صِغاراً وكباراً ، وشباباً وأَشياخاً ، وأَمشاجاً في الأَصلاب ، ونُطَفاً في الأَرحام ، وقدِّمنا في القَرابة حيثُ قدَّمَنا الله منكَ في الرَّحم ؛ فإنَّ رقابنا قد ذلَّت لِسَخطك ، ووجوهَنا قد عَنَت لطاعتك ، فأَقِلْنا عثرتَنا .

يا أمير المؤمنين ، إِنَّ الله قد سهَّل بك الوُعور ، وجلا بك الدَّيجور ، وملأَ من خوفك القلوب والصُّدور ، بك يُردعُ الفاسقُ ويُقمع بك المنافقُ ، فارتبطْ نِعَمَ الله عندك بالعفو والإِحسان ؛ فإنَّ كلَّ راعٍ مسؤول عن رعيَّته ، وإِنَّ النِّعَمَ

لا ينقطعُ المزيدُ فيها حتى ينقطعَ الشُّكر عليها .

يا أمير المؤمنين ، إنَّه لا عفوَ أعظمُ من عفو إمامٍ قادرٍ على مذنبٍ عاثرٍ ، وقد قال الله جلَّ ثناؤه ، وتعالَت قُدرته : ﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور : ٢٤/٢٢] أَحاط الله أَميرَ المؤمنين بِسِترهِ الوافي ومَنعه الكافي ؛ ثم أَنشدَ يقول : [من الوافر]

أَميـرَ المـؤمِنيـنَ أَتـاكَ رَكْـبٌ لَهُمْ قُربَى وَلَيْسَ لَهُـمْ تِلادُ[1]
هُـمُ الصَّـدْرُ المُقَـدَّمُ مِـن قُـرَيْشٍ وَأَنْـتَ الـرَّأْسُ يَتْبَعُـكَ العِبـادُ
لَقَـدْ طـابَـتْ بِـكَ الـدُّنْيـا وَلَـذَّتْ وَأَرْجُـو أَنْ يَطيـبَ بِـك المَعـادُ
فَكَيْـفَ تَنـالُكُـمْ لَحَظـاتُ عَيْـنٍ وَكَيْـفَ يَقِـلُّ سُـؤْدُدَكَ البِـلادُ

قال : فاستحسنَ المأمون كلامه ، وأَمر له بالخلع الفاخرة والجوائز السَّنيَّة ، وأَمر بردِّ ضياعه ، وقَرَّبَ منزلته وأَدناه ، ودفعَ إِليه من المال ما أَغناه .

● **ومن حكايات الفُصحاء ونوادر البُلغاء** : ما حُكي أَنَّ عبد الملك بن مروان جلس يوماً وعنده جماعة من خواصِّه وأَهل مُسامرته ، فقال : أَيُّكم يأتيني بحروفِ المعجم في بَدَنِهِ وله عليَّ ما يتمنَّاه؟ فقام إِليه سُوَيد بن غفلة فقال : أنا لها يا أمير المؤمنين ؛ قال : هات . فقال : نعم يا أمير المؤمنين : أَنف ، بطن ، ترقوة ، ثغر ، جمجمة ، حَلْق ، خَدّ ، دماغ ، ذَكر ، رقبة ، زند ، ساق ، شَفَة ، صدر ، ضلع ، طِحال ، ظهر ، عَين ، غَبَب[2] ، فم ، قفا ، كفٌّ ، لسان ، مِنخر ، نُغنوغ[3] ، هامة ، وجه ، يد ، وهذه آخر حروف المعجم ، والسَّلام على أمير المؤمنين ؛ فقام بعضُ أَصحاب عبد الملك ،

---

(١) التلاد : المال الموروث .
(٢) الغبب : اللحم المتدلي تحت الحنك . (القاموس) .
(٣) النغنوغ : اللحمة في الحلق عند اللهازم . (القاموس) .

وقال : يا أَمير المؤمنين ، أَنا أَقولُها من جسد الإنسان مرَّتين ، فضحك عبد الملك وقال لسُويد : أَسمعتَ ما قال؟ قال : أَصلح الله الأمير ، أَنا أَقولُها ثلاثاً ؛ فقال : هات ولك ما تتمنَّاه ؛ فابتدأ يقول : أَنْف أَسنان أُذن ، بَطن بِنْصَر بزّة ، تَرْقُوَة تَمرة تينة ، ثَغر ثَنايا ثَدي ، جُمْجُمَة جَنْب جَبْهة ، حَلْق حَنَك حاجِب ، خَدّ خِنْصَر خاصِرة ، دُبُر دِماغ دَرادير[1] ، ذَقن ذَكَر ذِراع ، رَقبة رَأس رُكبة ، زَند زَردمة[2] زُبّ ـ فهناك ضحك عبد الملك حتى استلقى على قفاه ـ ساق سُرَّة سَبَّابة ، شَفَة شَعْر[3] شارب ، صَدر صدع صَلعة[4] ، ضِلع ضَفيرة ضِرس، طُحال طُرَّة طَرف[5] ، ظَهر ظُفر ظَلْم[6] ، عَين عُنق عاتِق، غَبَب غلصَمَة غُنَّة ، فَم فَكّ فُؤاد ، قَلب قَفا قَدم ، كَفّ كَتِف كَعب ، لِسان لِحية لَوح ، مِنْخَر مِرْفَق مَنكب ، نُغنوغ ناب نَن[7] ، هامة هيئة هَيْف ، وَجه وَجنة وَرِك ، يمين يسار يافُوخ ؛ ثم نهض مسرعاً ، فقبَّل الأَرض بين يدي أَمير المؤمنين .

قال : فعندها ضَحك عبد الملك وقال : والله ما تزيدنا عليها شيئاً ، أَعطوه ما يتمنّاه ، ثم أَجازه وأنعم عليه ، وبالغ في الإحسان إليه .

● وكان[8] الحجَّاج بن يوسف الثَّقفي من الفُصحاء ، وكان على عُتُوِّهِ وإِسرافه جَواداً .

وكان إذا ضَحك واستغرق في الضَّحك أَتبعَ ذلك الاستغفارَ مرَّات .

وكان يُطعم على أَلف خوانٍ ، وكان يطوفُ على الموائد ويقول : يا أهل

(١) الدرادير : مغارز أسنان الصبي ، أو هي قبل نباتها وبعد سقوطها . (القاموس) .
(٢) الزردمة : الغلصمة أو موضع الابتلاع . (القاموس) .
(٣) في ط : شفر .
(٤) في أ : صلب .
(٥) في أ ، ب : طيز .
(٦) الظلم : ماء الأسنان وبريقها . (القاموس) .
(٧) النّن : النقرة في ذقن الصبي الصغير (القاموس) .
(٨) وفيات الأعيان (٢/ ٤٣-٤٤) ، العقد الفريد (٥/ ١٤-١٥) .

الشَّام ، مَزِّقوا الخُبز لِئَلاَّ يعود إِليكم ثانياً .

وكان يُجلس على كلِّ مائدةٍ عشرةَ رجالٍ ، وذلك في كلِّ يومٍ .

وكان يقول : أرى النَّاس يتخلَّفون عن طعامي! فقيل له : إِنَّهم يكرهون الحضور قبل أَن يُدْعَوا ؛ فقال : قد جعلتُ رَسولي إِليهم كلَّ يومِ الشَّمسَ إِذا طَلَعَت ، وعند المساء إِذا غَربت .

● وحكي[1] عن عبد الملك بن عُمير أَنَّه قال : لمَّا بلغ أَميرَ المؤمنين عبد الملك بن مروان اضطرابُ أَهل العراق جَمع أَهل بيته وأُولي النَّجدة من جُنده ، وقال : أَيُّها الناس ، إِنَّ العراق كدرَ ماؤها ، وكثرَ غوغاؤها ، واملوْلَح عَذْبُها ، وعَظُمَ خَطْبُها ، وظهر ضِرامها ، وعَسر إِخمادُ نيرانها ، فهل من مُمهِّدٍ لهم بسيفٍ قاطعٍ ، وذِهنٍ جامعٍ ، وقلبٍ ذكيٍّ ، وأنفٍ حَمِيٍّ ، فيخمدُ نيرانها ، ويردع غيلانها ، وينصفُ مظلومَها ، ويُداوي الجرحَ حتَّى يندمل ، فتصفو البلاد ، وتأمن العباد؟ فسكت القوم ، ولم يتكلَّم أحدٌ ، فقام الحجَّاج وقال : يا أمير المؤمنين ، أَنا للعراق ؛ قال : ومَن أَنت لله أَبوك؟ قال : أَنا اللَّيثُ الضَّمضام[2] ، والهِزَبْرُ الهَشَّام ، أَنا الحجَّاج بن يوسف . قال : ومِمَّن؟ قال : من ثَقيفٍ ، كهوفِ الحتوف ، ومُستعملي السُّيوف . قال : اجلس لا أُمَّ لك ، فلستَ هناكَ ؛ ثم قالَ : ما لي أرى الرُّؤوس[3] مطرقة والألسن مُعتقلَةً؟ فلم يُجبه أَحدٌ ؛ فقام إِليهِ الحجَّاج وقال : أَنا مجندل الفُسَّاق ، ومُطفىءُ نار النِّفاق ؛ قال : ومَن أَنت؟ قال : أَنا قاصِمُ الظَّلَمة ، ومَعدن الحِكمة ، الحجَّاج ابن يوسف ، مَعدنُ العفو والعقوبة ، وآفةُ الكفر والرِّيبة ؛ قال : إِليك عنِّي ،

---

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٢٠٢) مروج الذهب (٣/ ٣٣٠) ، كامل المبرد (٢/ ٤٩٣) ، بيان الجاحظ (٢/ ٣٠٧) ، العقد الفريد (٤/ ١١٩) ، وفيات الأعيان (٢/ ٣٠) و(٥/ ١٧ـ١٩) تاريخ دنيسر (٥٩)، مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٢٠٦) وما بعد ، وصبح الأعشى (١/ ٢١٩) .

(٢) الضمضام: الغضبان . (القاموس) .

(٣) في أ ، ب: الليوث .

[ما أَنت] وذاك ؟ فلستَ هناك ؛ ثم قال : مَن للعراق؟ فسكت القوم ، وقام الحجَّاج وقال : أَنا للعراق ؛ فقال : إِذن أظنُّك صاحبُها والظّافر بغنائمها ، وإِنَّ لكلِّ شيءٍ ـ يا ابن يوسف ـ آيةً وعلامةً ، فما آيتُك وما علامتُك؟ قال : العقوبةُ والعفو ، والاقتدارُ والبَسط ، والازورار والإدناء ، والإبعاد والجفاء ، والبِرّ والتَّأَهُّب ، والحَزْمُ وخَوض غَمرات الحروب بجَنان غير هَيوب ، فمن جادلني قطعته ، ومن نازعني قَصمته ، ومن خالفني نَزعته ، ومن دنا مني أَكرمتُه ، ومن طلب الأَمان أَعطيته ، ومن سارع إلى الطَّاعة بَجَّلْتُهُ ، فهذه آيتي وعلامتي ، وما عليك ـ يا أمير المؤمنين ـ أَن تبلوَني ، فإِن كنتُ للأَعناق قطَّاعاً ، وللأَموال جمَّاعاً ، وللأَرواح نزّاعاً ، ولك في الأَشياء نفَّاعاً ، وإِلاَّ فلْيستبدلْ بي أَميرُ المؤمنين ، فإِنَّ النّاس كثيرٌ ، ولكنَّ من يقومُ بهذا الأَمر قليلٌ ؛ فقال عبد الملك : أَنت لها ، فما الَّذي تحتاجُ إِليه؟ قال : قليلٌ من الجُند والمال ؛ فدعا عبد الملك صاحب جُنده فقال : هيِّىء له من الجند شهوَته ، وأَلزمهم طاعته ، وحذِّرهم مخالفته ؛ ثم دعا الخازن ، فأَمره بمثل ذلك ؛ فخرجَ الحجَّاج قاصداً نحو العراق .

قال عبد الملك بن عُمير : فبينما نحن في المسجد الجامع بالكوفة إِذ أَتانا آتٍ فقال : هذا الحجَّاج قدمَ أَميراً على العراق ، فتطاولت الأَعناق نحوه ، وأَفرجوا له عن صحن المسجد ، فإِذا نحن به يمشي وعليه عمامةٌ حَمراء مُتَلَثِّماً بها ، ثم صعد المنبر ، فلم يتكلَّم كلمةً واحدة ، ولا نطقَ بحرفٍ حتى غصَّ المسجد بأَهله ـ وأَهلُ الكوفة يومئذ ذوو حالة حسنة وهيئة جميلة ، فكان الواحد منهم يدخل المسجد ومعه العشرون والثَّلاثون من أَهل بيته ومواليه وأَتباعه ، عليهم الخزُّ والدِّيباج ـ قال : وكان في المسجد يومئذ عُمير بن ضابىء التَّميميّ ، فلما رأَى الحجّاج على المنبر قال لصاحبٍ له : أَسُبُّه لكم؟ قال : اكففْ حتَّى نسمعَ ما يقول ؛ فأَبى ابنُ ضابىءٍ وقال : لعن الله بني أُميَّة حيثُ يولُّون ويستعملون مثل هذا على العراق ، وضَيَّع الله العراق حيث يكون

هذا أميرها ، فوالله لو كان هذا كلاماً كما هو ما كان بشيءٍ ؛ والحجّاجُ ساكتٌ ينظرُ يميناً وشمالاً ، فلمَّا رأى المسجدَ قد غصَّ بأَهله قال : هل اجتمعتم؟ فلم يردَّ عليه أَحدٌ شيئاً ، فقال : إِنِّي لا أَعرفُ قدر اجتماعكم ، فهل اجتمعتم؟ فقال رجلٌ من القوم : قد اجتمعنا ، أَصلح الله الأمير ؛ فكشفَ عن لِثامه ، ونهض قائماً ، فكان أَوّلَ شيءٍ نطَق به أَن قال :

والله إِنِّي لأَرى رؤوساً أَيْنَعَتْ ، وقد حان قِطافها ، وإِنِّي لصاحبُها ، وإِنِّي لأَرى الدِّماء تَرَقْرَقُ بينَ العَمائم واللِّحى .

والله يا أَهل العراق ، إِنَّ أَمير المؤمنين نَثَرَ كِنانَتَهُ بين يديه فَعَجّم عِيْدانها ، فوجدني أَمَرَّها عُوداً ، وأَصْلَبَها مَكْسَراً ، فرماكم بي لأَنَّكم طالما آثرتم الفِتنة ، واضطجعتم في مراقِد الضَّلال ، والله لأُنَكِّلَنَّ بكم في البلاد ، ولأَجْعَلَنَّكم مثلاً في كل وادٍ ، ولأَضربنَّكم ضَرْبَ غرائبِ الإبل ، وإِنِّي يا أَهل العراق لا أَعِدُ إِلاَّ وَفَيْتُ، ولا أَعزمُ إِلاَّ أَمضيتُ ، فإِيَّايَ وهذه الزَّرافات والجماعات ، وقيل وقال ، وكانَ ويكون .

يا أهل العراق : إِنَّما أَنتم أَهلُ قرية ﴿ كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ ﴾ [النحل : ١٦/١١٢] فأتاها وعيد القرى من ربِّها ، فاستوثقوا واستَقيموا ، واعْمَلوا ، ولا تَميلوا ، وتابعوا ، وبايعوا ، واجتمعوا ، واستَمعوا ، فليس منِّي الإِهدارُ والإِكثار ، إِنَّما هو هذا السَّيف ، ثم لا ينسلخُ الشِّتاء من الصَّيف حتَّى يذلَّ الله لأَمير المؤمنين صَعْبَكُم ، ويُقيمَ له أَوَدَكُم ، ثم إِنِّي وَجدتُ الصِّدق مع البِرِّ ، ووجدتُ البِرَّ في الجنَّة ، ووجدتُ الكذبَ مع الفُجور ، ووجدتُ الفُجورَ في النَّار ؛ وقد وجَّهني أَميرُ المؤمنين إِليكم ، وأَمرني أَن أُنفقَ فيكم وأُوَجِّهَكم لمحاربة عَدُوِّكم مع المُهَلَّب بن أَبي صُفرَة ؛ وإِنِّي أُقسم بالله لا أَجدُ رجلاً يتخلَّف بعد أَخذِ عطائه بثلاثةِ أَيام إِلاَّ ضربتُ عُنقه ، يا غُلام : اقرأ كتابَ أَمير المؤمنين ؛ فقرأ :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عبد الملك بن مروان إلى مَن بالكوفة من المسلمين ، سلامٌ عليكم ؛ فلم يردَّ أحدٌ شيئاً ، فقال الحجَّاج : اكففْ يا غلام ؛ ثم أقبلَ على النَّاس فقال : يُسَلِّمُ عليكم أميرُ المؤمنين فلا تَرُدُّون عليه شيئاً؟ هذا أَدَبُكم الّذي تأَدَّبتم به؟ أما والله لأُؤَدِّبَنَّكُم أَدَباً غير هذا الأَدب ، اقرأْ يا غُلام ؛ فقرأَ حتَّى بلغ قوله : سلامٌ عليكم ، فلم يبقَ أَحدٌ إلاَّ قال : وعلى أَمير المؤمنين السَّلام ؛ ثم نزلَ بعدما فرغ من خُطبته وقراءته ، ووضَع للنَّاس عَطاياهم ، فجعلوا يأخُذونها ، حتَّى أتاه شيخٌ يرعشُ ، فقال : أَيُّها الأَمير ، إنِّي على الضَّعف كما ترى ، ولي ابن هو أقوى منِّي على الأَسفار ، أَفتقبله بديلاً منِّي؟ فقال : نَقبله أَيُّها الشَّيخ ؛ فلمَّا ولَّى قال له قائل[1] : أَتدري من هذا أَيُّها الأمير؟ قال : لا . قال : هذا عُمير بن ضابىء الَّذي يقول : [من الطويل]

هَمَمْتُ وَلَم أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَني ... تَرَكْتُ عَلى عُثْمانَ تَبْكي حَلائِلُه

ولقد دخلَ هذا الشَّيخُ على عُثمان رضي الله عنه وهو مقتولٌ ، فوطِىءَ في بَطنه ، فكسرَ ضِلعين من أَضلاعه ؛ فقال الحجَّاج : رُدُّوه ؛ فلمَّا رَدُّوه قال له الحجَّاج : أنت الفاعِل بأَمير المؤمنين عُثمان ما فعلتَ يوم الدَّار؟ إنَّ في قَتْلِكَ ـ أَيُّها الشَّيخ ـ إصلاحاً للمسلمين ؛ يا سَيَّافُ اضربْ عُنقه ؛ فضَرب عنقَه ، وكان من أَمره بعد ذلك ما عُرِفَ وسُطِّر .

● **ومن حكاياتِ الحجَّاج**[2] : ما حُكي أَنَّه لمَّا أَسرف في قَتْل أَسرى دَيْر الجماجِم[3] ، وأَعطى الأموال ، بلغ ذلك أَمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، فشقَّ عليه ، وكتبَ إليه : أَمّا بعد ، فقد بلغني عنك إسرافٌ في الدِّماء ، وتبذيرٌ في العطاء ، وقد حَكَمت عليك في الدِّماء في الخطأ بالدِّيَةِ ،

---

(١) القائل هو عنبسة بن سعيد ، كما في مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٢٠٧ والعقد الفريد (٥/ ١٩) .
(٢) مروج الذهب (٣/ ٣٤١) ، وفيات الأعيان (٢/ ٣٥) .
(٣) دير الجماجم : بظاهر الكوفة على طرف البر للسالك إلى البصرة . (معجم البلدان ٢/ ٥٠٣) .

وفي العَمْد بالقَوَدِ ، وفي الأَموال أَن تردَّها إلى مواضعها ، ثم تعمل فيها برأيي ، فإنَّما هو مال الله تعالى ، ونحن أُمناؤه ؛ فإن كنتَ أردتَ النَّاس لي فما أغناني عنهم ، وإن كنتَ أَردتَهم لنفسك فما أَغناك عنهم ؛ وسيأتيك عنِّي أمران : لينٌ وشدَّة ، فلا يُؤْمِنَنَّكَ إلاَّ الطاعة ، ولا يُوحشنَّك إلاَّ المعصية ، وإذا أعطاك الله عزَّ وجلَّ الظَّفَر ، فلا تقتلنَّ جانحاً ولا أَسيراً .

وكتب في أسفل الكتاب : [من الطويل]

إذا أَنْتَ لَمْ تَتْرُكْ أُموراً كَرِهْتَها ... وَتَطْلُبْ رِضائي بالَّذِي أَنا طالِبُهُ
فـإن تـرَ منِّـي غَفْلَـةً قُـرَشِيَّـةً ... فيا رُبَّما قَد غَصَّ بالماءِ شارِبُهْ
وإنْ تَـرَ مِنِّـي وَثْبَـةً أُمَـوِيَّـةً ... فَهـذا وَهـذا كُـلُّ ذا أَنـا صـاحِبُـهْ
فَـلا تَـأْمَنَنِّـي والحـوادِثُ جَمَّـةٌ ... فإنَّكَ تُجْزى بالَّذي أَنْتَ كاسِبُهْ
فَلا تَعْدُ ما يَأْتيكَ مِنِّي وإنْ تَعُدْ ... يَقُمْـنَ بِـهِ يَـومـاً عَلَيْـكَ نَـوادِبُـهْ
فَـلا تَمْنَعَـنَّ النَّـاسَ حقّـاً عَلِمْتَـهُ ... ولا تُعْطِيَنْ ما لَيْسَ لِلنَّاسِ واجِبُهْ
فَإنَّك إنْ تُعْطِ الحُقوقَ فَإنَّما النَّـ ... ـوافِلُ شَـيْءٌ لا يُثيبُـك واهِبُـهْ

فلمَّا وردَ الكتابُ على الحجَّاج كتبَ إلى أمير المؤمنين : أمَّا بعد : فقد وردَ كتابُ أَمير المؤمنين يذكرُ إسرافي في الدِّماء وتبذيري في الأموال ، ولَعَمري ما بلغتُ في عقوبةِ أهل المعصية ، ولا قضيتُ حقوقَ أَهل الطَّاعة ، فإن كان قتلي العُصاةَ إسرافاً وإعطائي المطيعين تبذيراً ، فَلْيُمْضِ لي أَميرُ المؤمنين ما سلفَ ؛ والله ما أَصبتُ القومَ خطأً فأَدِيَهُم ولا ظلمتُهم عَمْداً فأُقادَ بهم ، ولا قتلتُ إلاَّ لك ، ولا أَعطيتُ إلاَّ فيك ؛ والسَّلامُ عليك ورحمة الله وبركاته .

وكتب في أسفل الكتاب : [من الطويل]

إذا أنـا لا أَبْغـي رِضـاكَ وأَتَّقـي ... أَذاك فَلَيْلـي لا تَـوارَى كَـواكِبُـهْ
ومـا لامْـرِئٍ بَعْـدَ الخَليفَـةِ جُنَّـةٌ ... تَقيـهِ مـن الأَمْـرِ الـذي هُـوَ راكِبُـهْ

إذا قـارَفَ الحَجَّـاجُ فيـكَ خَطيئَـةً لَقـامَـتْ عليـه بـالصِّيـاحِ نَـوادِبُـهْ
إذا أنـا لـم أُدْنِ الشَّفِيـقَ لِنُصْحِـهِ وأُقْصِ الَّذي تَسْرِي إليَّ عَقارِبُهْ
وأُعْطِ المُواسي في البَلاءِ عَطيَّةً لِـرَدِّ الَّـذِي ضـاقَـتْ عَلَـيَّ مَذاهِبُـهْ
فَمَنْ يَتَّقي بُؤْسي وَيَرْجُو مَوَدَّتي وَيَخْشى غداً والدَّهْرُ جَمٌّ نَوائِبُه؟
وأمري إليكَ اليَوْمَ ما قُلْتَ قُلْتُهُ وما لَمْ تَقُلْهُ لَمْ أَقُل ما يُقارِبُهْ
وَمَهْمـا أَرَدْتَ اليـومَ منِّـي أَرَدْتُـهُ وَما لَم تُرِدْهُ اليَوْمَ إِنِّي مُجانِبُهْ[1]
فَقِفْ بي على حَدِّ الرِّضا لا أَجُوزُهُ مدى الدَّهْرِ حتَّى يَرْجِعَ الدَّرَّ حالِبُهْ
وإلاَّ فَـدَعْنـي والأُمُـورَ فـإِنَّنـي شَفيـقٌ رَفيـقٌ أَحْكَمَتْـهُ تَجـارِبُـهْ

فلمَّا انتهى الكتابُ إلى عبد الملك قال : خافَ أَبو محمد صَوْلَتي ، ولن يعودَ لأَمرٍ كرهتُه إن شاء الله تعالى ، فَمَن يلومُني على مَحَبَّته؟ يا غُلام ، اكتبْ إليه : الشَّاهدُ يَرى ما لا يرى الغائب ، وأنت أَعلى عَيْناً بما هناك .

● وفي « مروج الذَّهب » للمسعودي[2] : أَنَّ أُم الحجَّاجِ وهي الفارعة بنت همام ، ولدته مُشَوَّهاً لا دُبُرَ له ، فَثُقِبَ له دُبُر ، وأَبى أَن يَقبلَ الثّديَ وأَعياهم أَمرُه ، فَيُقال : إِنَّ الشَّيطانَ تصوَّر له في صُورة الحارث بن كَلَدَة حكيم العرب ، فسأَلهم عن ذلك ، فأخبره مُخبرٌ من أهله ، فقال لهم : اذبحوا له تَيْساً وأَلْعِقُوه من دَمِه ، وأَوْلِغُوهُ فيه ، ثم اطْلُوا به وَجهه ؛ ففعلوا ذلك ، فقبلَ الثَّدي ، فلأَجْلِ ذلك كان لا يصبرُ عن سَفك الدِّماء ، وكان يُخبر عن نفسه أَنَّ أكبرَ لَذَّاته سَفْكُ الدِّماء وارتكاب أُمورٍ لا يقدرُ غيره عليها .

وكانت أُمُّه متزوِّجةً قبل أَبيه الحارث بن كَلَدَة ، فدخل عليها يوماً في السَّحَر ، فوجدَها تُخَلِّلُ أَسنانها ، فطلَّقها ، فسألته لمَ فعلَ؟ فقال لها : إن

---

(١) في ب : ومهما أردت اليوم إني أريده .
(٢) مروج الذهب (٣/ ٣٢٩) ، العقد الفريد (٥/ ١٣ـ١٤) ، مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٢٠١) ، وفيات الأعيان (٢/ ١٢٩) .

كنتِ باكَرْتِ الغَداءِ فأنتِ شَرِهَةٌ ، وإن كان بقايا طعام بفيكِ ، فأَنت قذرةٌ ؛ فقالت : كلُّ ذلك لم يكن ، وإنَّما تخلَّلتُ من شَظايا السِّواك ؛ فقال : قُضي الأمر ؛ فتزوَّجها بعده يوسف بن عَقيل الثَّقفيّ ، فأَولدها الحجَّاج .

وقيل : إن الحجَّاج تقلَّد الإمارة وهو ابن عشرين سنة ، ومات وله ثلاثٌ وخمسون سنة ، وكان من عُنف السِّياسة ، وثقل الوطأة ، وظُلم الرَّعيَّة ، والإسراف في القتل ، على ما لا يبلغه وَصْفٌ ؛ أُحصي مَن قتَله الحجَّاج بأَمره ـ سوى مَن قتله في حُروبه ـ فكانوا مئةَ أَلفٍ وعشرين ألفاً ، وَوُجد في سجنه خَمسون أَلف رجل ، وثلاثون أَلف امرأَة ، لم يَجبْ على أَحدٍ منهم قَطْعٌ ولا قَتْلٌ .

وكان يحبسُ الرِّجالَ والنِّساءَ في موضعٍ واحدٍ ، ولم يكن لحبسهِ سَقْفٌ يسترُ النَّاس من الحَرِّ والبرد .

• وقيل للشَّعبيِّ[1] : أكان الحجاج مؤمناً؟ قال : نعم ، بالطَّاغوت .

وقال : لو جاءَت كلُّ أُمَّةٍ بخبيثها وفاسقها ، وجئنا بالحجَّاج وَحده ، لزدنا عليهم . والله أعلم .

وقد مضى القولُ في ذكر الفُصحاء من الرِّجال وحكاياتهم ، وما أعان الله تعالى عليه واستحضرتُه من أَخبارهم ، وأنا قائل ـ إن شاء الله تعالى ـ ما استحضرتُه من ذِكر فُصحاء النِّساء وأَخبارهنّ وحكاياتهنّ ، والله المستعان .

ذكر فصحاء النِّساء وحكاياتهنّ

• حُكي[2] عن أَبي عبد الله النُّميريّ أَنَّه قال : كنتُ يوماً مع المأمون وكان بالكوفة ، فركبَ للصَّيد ومعه سريَّةٌ من العسكر ، فبينما هو سائر إذ لاحَت له

---

(١) نثر الدر (٢/ ١٨٧) .

(٢) الروضة الفيحاء (٥٠٩) .

طريدةٌ ، فأَطلق عنانَ جَواده وكان على سابقٍ من الخيل ، فأَشرف على نهرِ ماءٍ من الفُرات ، فإِذا هو بجارية عربيَّةٍ خُماسيّةِ القَدِّ ، قاعدةِ النَّهدِ ، كأَنّها القمرُ ليلةَ تمامه ، وبيدها قِرْبَةٌ قد مَلأَتها وحَملتها على كَتفها ، وصَعدت من حافَّة النَّهر ، فانحلَّ وِكاؤها فصاحت برفيع صوتها : يا أَبتِ أَدركْ فاها ، قد غلبني فوها ، لا طاقة لي بفيها ؛ قال : فعجب المأمون من فَصاحتها ، ورمت الجاريةُ القِرْبَة من يَدها ، فقال لها المأمون : يا جاريةُ ، من أَيِّ العرب أَنتِ؟ قالت : أَنا من بني كِلاب ؛ قال : وما الذي حَمَلك أَن تكوني من الكِلاب؟ فقالت : والله لستُ من الكلاب ، وإِنما أَنا من قومٍ كرامٍ غيرِ لِئامٍ ، يُقْرون الضَّيفَ ، ويَضربون بالسَّيف ؛ ثم قالت : يا فتى من أَيِّ النَّاس أَنت؟ فقال : أَوَعندك عِلْمٌ بالأنساب؟ قالت : نعم . قال لها : أَنا من مُضَر الحمراء ؛ قالت : من أَيِّ مُضر؟ قال : من أَكرمها نَسَباً ، وأَعظمها حسباً ، وخَيرها أُمّاً وأَباً ، وممَّن تهابُهُ مُضَر كلُّها ؛ قالت : أَظُنُّك من كِنانة ، قال : أَنا من كِنانة ؛ قالت : فمن أَيِّ كِنانة؟ قال : من أَكرمها مَوْلداً ، وأَشرفها مَحْتِداً ، وأطولها في المكرمات يداً ، ممَّن تهابه كِنانة وتَخافه ؛ فقالت : إِذن أَنت من قُريش ، قال : أَنا من قُريش ؛ قالت : من أَيِّ قُريش؟ قال : من أجملها ذِكراً ، وأعظمها فَخْراً ، ممَّن تَهابه قُريش كلُّها وتخشاه ؛ قالت : أنت والله من بني هاشم ؛ قال : أَنا من بني هاشم ؛ قالت : من أَيِّ هاشم؟ قال : من أَعلاها منزلةً ، وأَشرفها قبيلةً ، ممَّن تهابه هاشم وتخافه ؛ فعند ذلك قبَّلَت الأَرض ، وقالت : السَّلامُ عليك يا أَمير المؤمنين ، وخليفةَ ربِّ العالمين .

قال : فعجبَ المأمون ، وطربَ طرباً عظيماً ، وقال : والله لأَتَزَوَّجنَّ بهذه الجارية ، لأَنّها من أكبر الغنائم ؛ ووقفَ حتَّى تلاحقته العساكر ، فنزل هناك ، وأَنفذَ خلف أَبيها ، وخَطبها منه ، فزوَّجه بها ، وأَخذها وعاد مسروراً ، وهي والدة ولده العبَّاس . والله أعلم .

• وحُكي[1] أن هنداً بنة النُّعمان كانت أحسن أَهل زمانها ، فوُصِف للحجَّاج حُسْنُها ، فأَنفذ إليها يخطبها ، وبذلَ لها مالاً جزيلاً ، وتزوَّج بها ، وشرطَ لها عليه بعد الصَّداق مِئتي ألف درهم ، ودخلَ بها ، ثم إنَّها انحدرت معه إلى بلد أَبيها المَعَرَّة[2] ، وكانت هندٌ فصيحةً أَديبةً ، فأَقام بها الحجَّاج بالمَعَرَّة مدَّةً طويلةً ، ثم إنَّ الحجَّاج رحلَ بها إلى العراق فأَقامت معه ما شاء الله ، ثم دخل عليها في بعض الأَيَّام وهي تنظرُ في المرآة وتقول : [من الطويل]

وَمــا هِنْــدُ إلاَّ مُهْــرَةٌ عَــرَبِيَّــةٌ ... سَليلــةُ أَفــراسٍ تَحَلَّلهــا بَغْــلُ
فــإنْ وَلَــدَت فَحْــلاً فلِلَّــهِ دَرُّهــا ... وإن وَلَـدَتْ بَغْـلاً فَجاءَ بِـهِ البَغْـلُ

فانصرفَ الحجَّاجُ راجعاً ولم يدخل عليها ، ولم تكن عَلِمت به ، فأَراد الحجَّاج طَلاقها ، فأَنفذ إليها عبد الله بن طاهر ، وأَنفذ لها معه مِئتي أَلف درهم ، وهي الَّتي كانت لها عليه ، وقال : يا ابنَ طاهر ، طلِّقها بكلمتين ، ولا تَزد عليهما ؛ فدخل عبد الله بن طاهر عليها ، فقال لها : يقولُ لك أَبو محمّد الحجَّاج : كُنْتِ فَبِنْتِ ، وهذه المِئتا أَلف درهم التي كانت لك قِبَلَهُ ؛

---

(١) خبرٌ يفتقر إلى الدِّقَّة العلميَّة ؛ فهو مضطربٌ ، ملفَّقٌ ، متداخلٌ!! فالحجَّاج لم يتزوَّج هنداً بنت النُّعمان بن بشير ، وإنَّما تزوَّج هنداً بنت أسماء بن خارجة الفزاري (الأغاني ٢٠/ ١٦٣) والتَّذكرة الحمدونية (٣/ ٣٣٩) و(٤/ ٢٦٣) وهنداً بنت المهلَّب (التذكرة الحمدونية (٤/ ٢٦٣) . والبيتان لحُميدة بنت النُّعمان في الأَغاني (٩/ ٢٣٠) و(١٦/ ٥٤) وبلاغات النِّساء (١٣٣) والتنبيه على أَبي علي القالي في أماليه (٣١) ؛ وهما لأُختها هند بنت النُّعمان تهجو زوجها رَوْح بن زِنباع الجُذامي أمير فلسطين في أخبار النساء (١١١) ووفيات الأعيان (٣/ ٩٥) وقال: ويُروى هذان البيتان لأختها حُميدة بنت النُّعمان . ولست أدري كيف يمكن الجمع بين الحجَّاج المتوفى سنة ٩٥هـ وعبد الله بن طاهر المتوفى سنة ٢٣٠هـ؟ .
أمَّا خبر الطَّلاق فقد روى ابن خلِّكان (٢/ ٤٤) وابن قتيبة في عيون الأخبار (٢/ ٢٠٩) أنَّ الحجَّاج أَمر ابنَ القِرِّيَّة أن يأتي هنداً بنت أسماء فيطلِّقها بكلمتين ويمتعها بعشرة آلاف درهم ، فأتاها فقال لها: إنَّ الحجاجَ يقولُ لكِ: كُنتِ فَبِنْتِ . . . الخ وهذه الرواية بمجملها أشبه بقصص ألف ليلة وليلة . والله أعلم .

(٢) معرَّة النعمان: مدينة كبيرة قديمة بين حلب وحماة . (معجم البلدان ٥/ ١٥٦) .

فقالت : أعلم يا ابنَ طاهر ، إنَّا والله كُنَّا فما حَمِدنا ، وبِنَّا فما نَدِمْنا ، وهذه المئتا ألف درهم الَّتي جئتَ بها بشارةٌ لكَ بخلاصي من كَلْب بني ثَقيف .

ثم بعد ذلك بَلَغ أَميرَ المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرُها ، وَوُصِفَ له جَمالُها ، فأَرسل إليها يخطبُها ، فأَرسلت إليه كتاباً تقول فيه بعد الثَّناء عليه : اعلمْ يا أَمير المؤمنين ، أَنَّ الإِناء ولغَ فيه الكلبُ . فلمَّا قرأ عبد الملك الكتابَ ضحك من قولها ، وكتب إليها يقول : إذا ولغَ الكلبُ في إناء أَحدكم فلْيغسلهُ سَبْعاً إِحداهُنَّ بالتُّراب[1] ، فاغسلي الإناء يحلُّ الاستعمال ؛ فلمَّا قرأت كتابَ أَمير المؤمنين لم يُمكنها المخالفةُ ، فكتبت إليه بعد الثَّناء عليه : يا أَمير المؤمنين ، والله لا أَحلُّ العقدَ إلاَّ بشرطٍ ، فإن قلتَ ما هو الشَّرطُ؟ قلتُ : أَن يقودُ الحجَّاج مَحملي من المعرَّة إلى بلدك الَّتي أَنت فيها ، ويكونَ ماشياً حافياً بحِلْيَتِهِ الَّتي كان فيها أَوَّلاً ؛ فلمَّا قرأ عبد الملك ذلك الكتاب ضحكَ ضَحكاً شديداً ، وأَنفذ إلى الحجّاج وأمره بذلك ؛ فلمَّا قرأ الحجّاجُ رسالة أَمير المؤمنين أَجابَ وامتثلَ الأَمر ولم يخالف ، وأَنفذ إلى هند يأمرُها بالتَّجهُّز ، فتجهَّزت ، وسار الحجَّاج في موكبه حتى وصلَ المعرَّة بلدَ هندٍ ، فركبت هندٌ في مَحمل الزِّفاف ، وركب حولها جواريها وخَدمها ، وأَخذ الحجَّاج بزمام البعير يقودُه ويسير بها ، فجعلت هندٌ تَتواغدُ عليه وتضحك مع الهيفاء دايتِها ، ثم إنَّها قالت للهيفاء : يا دايةُ ، اكشفي لي سَجَف المَحمل ؛ فكشفته ، فوقع وجهها في وجهِ الحجَّاج ، فضحكت عليه ، فأنشأ يقول :[2] [من الطويل]

فإنْ تَضْحَكي مِنِّي فَيا طُولَ لَيْلَةٍ تَـرَكْتُـكِ فيهـا كـالقِبـاء المُفَـرَّجِ

فأَجابته هندٌ تقول : [من البسيط]

وَمـا نُبـالـي إذا أَرْواحنـا سَلِمَـتْ بِما فَقَدْناهُ مِن مالٍ وَمِنْ نَشَبِ[3]

---

(١) في أ ، ب : فاغسلوه سبعاً وعفروه الثامنة بالتراب .
(٢) البيت لسحيم عبد بني الحسحاس في ديوانه (٥٩) .
(٣) النشب : المال الأصيل من الناطق والصامت . (القاموس) .

فالمالُ مُكتَسَبٌ والعِزُّ مُرتَجَعٌ ... إذا النُّفوسُ وَقاها اللهُ مِن عَطَبِ

ولم تزل كذلك تضحكُ وتلعبُ إلى أَن قَرُبَت من بلدِ الخليفة ، فرمَتْ بدينارٍ على الأَرض ، ونادت : يا جَمَّالُ ، إنَّه قد سقطَ مِنَّا درهمٌ ، فارفعه إلينا ؛ فنظر الحجَّاجُ إلى الأَرض ، فلم يجد إلاَّ ديناراً ، فقال : إنَّما هو دينارٌ ؛ فقالت : بل هو درهم ؛ قال : بل دينار ؛ فقالت : الحمد لله ، سقط مِنَّا درهمٌ ، فعوَّضَنا الله ديناراً ؛ فخجلَ الحجَّاجُ وسكت ، ولم يردَّ جواباً ، ثم دخل بها على عبد الملك بن مروان ، فتزوَّج بها ، وكان من أمرها ما كان .

وقد وجدت في بعض النسخ ما هو أوسع من هذا ، ولكن اقتصرت على القليل منه إذ فيه الغرض ، والله أعلم .

● وقيل[1] : إن جاريةً عُرِضَت على الرَّشيد ليشتريها ، فتأمَّلها وقال لمولاها : خُذ جاريتك ، فلولا كَلَفٌ بِوَجْهِها وخَنَسٌ بأَنْفِها لاشتريتُها ، فلمَّا سمعت الجاريةُ مقالةَ أَمير المؤمنين قالت مُبادرةً : يا أَمير المؤمنين ، اسمع منِّي ما أقول ؛ فقال : قولي ؛ فأَنشدت تقول : [من السريع]

مـا سَلِـمَ الظَّبْـيُ علـى حُسْنِـهِ ... كَـلاَّ وَلا البَـدْرُ الَّـذي يُـوصَـفُ

الظَّبْـيُ فيــهِ خَنَــسٌ بَيِّــنٌ ... والبَـدْرُ فيــهِ كَلَـفٌ يُعْـرَفُ[2]

قال : فعجب من فصاحتها ، وأَمر بشرائها .

● وقيل :[3] عُرِضت على المأمون جاريةٌ بارعةُ الجمال ، فائقةٌ في الكمال ، غير أَنَّها كانت تعرُجُ بِرِجلها ، فقال لمولاها : خُذ بيدِها وارجع ، فلولا عَرَجٌ بها لاشتريتُها ؛ فقالت الجارية : يا أَمير المؤمنين ، إنَّه في وقت حاجتك

---

(١) أخبار الأذكياء (٢٢٨) .

(٢) الخَنَس: تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة . (القاموس) . والكَلَف: شيء يعلو الوجه كالسمسم . (القاموس) .

(٣) أخبار الأذكياء (٢٣٠) .

لا يكون بحيث تراه ؛ فأَعجبه سُرعة جوابها وأَمر بشرائِها .

• ومن ذلك ما حُكي[1] أَنَّ كريمَ المُلْك كان من ظُرفاء الكُتَّاب ، فعبَر يوماً تحت جَوْسَقٍ ببستان ، فرأَى جاريةً ذات وجهٍ زاهرٍ ، وكمالٍ باهرٍ ، لا يستطيعُ أَحدٌ وَصْفَها ، فلمَّا نظرَ إِليها ذهلَ عقلُه ، وطار لُبُّه ، فعاد إِلى منزله وأَرسل إِليها هديَّةً نفيسةً مع عجوزٍ كانت تخدمه ـ وكانت الجارية عَزْباء ـ وكتبَ إِليها رقعةً يعرِّض إِليها بالزِّيارة في جَوْسَقها ؛ فلما قرأَت الرُّقعة قَبِلَتْ الهَديَّة ، ثم أَرسلت إِليه مع العجوز عَنْبَراً ، وجعلت فيه زِرَّ ذهبٍ ، ورَبطت ذلك على مِنديل ، وقالت للعجوز : هذا جوابُ رُقعته ؛ فلمَّا رأَى كريمُ المُلْكِ ذلك لم يفهمْ معناه ، وتحيَّر في أَمره ، وكانت له ابنةٌ صغيرةُ السِّنِّ ، فلمَّا رأَت أَباها مُتحيِّراً في ذلك قالت له : يا أَبتِ ، أَنا علمت مَعناه ؛ قال : وما هو لله دَرُّكِ؟ قالت : [من السريع]

أَهْـدَتْ لـكَ العَنْبَـرَ فـي جَـوْفِـهِ زِرٌّ مـن التِّبْـرِ خَفِـيُّ اللِّحـامْ
فـالـزِّرُّ والعَنْبَـرُ مَعنـاهُمـا زُرْ هكـذا مُخْتفيـاً فـي الظَّـلام

قال : فعجبَ من فِطنتها وفَصاحتها ، واستحسنَ ذلك منها .

• وحُكي[2] أَنَّ طائفةً من بني تَميم كانوا يَكسرون أَوَّلَ الفِعلِ ، فمرَّت فتاةٌ منهم جميلةُ الصورةِ على جماعة ، فناداها شخصٌ منهم وأَراد أَن يوقعها فيما يُنْسَبُ إِليهم من كَسْر الفِعل ، فقال : لأَيِّ شيءٍ يا بني تميم ما تكتنون؟ فقالت : ولِمَ لا نِكْتَني؟ وكَسَرت الفِعل ، فضحك عليها ، وقال : أَفعلُ إِن شاء الله ؛ فخجلت من قوله وتغيَّر وَجهها ، وأَرادت أَن توقعه كما أَوقعها ، فقالت له : هل تُحسن

---

(١) في وفيات الأعيان (٣/ ١٦١) والروضة الفيحاء (٥٠٧) أن الملك العزيز بن صلاح الدين هوي قينة فأمره والده بتركها فأرسلت له كرة عنبر فيها زرّ ذهب ، واتفق حضور القاضي الفاضل فقال البيتين ؛ والبيتان للقاضي الفاضل في ديوانه (١٠٥) .

(٢) الغيث المسجم (١/ ٥٦) والعقد الفريد (٦/ ٦٠) والروضة الفيحاء (٣٥٢و٥٠٧).

شيئاً من العَروض؟ قال : نعم . قالت قَطِّع لي : [من السريع]

حَــوِّلــوا عَنَّـــا كَنيسَتكُــم يـــا بَنـــي حَمَّـــالَـــةَ الحَطَـــبِ

فقطَّعه ، فوقفَ على عَنْ ، ثم ابتدأ بالنُّون والألف مع بقيَّة الحروف ، فضحكت عليه ، وأَضحكَتْ أصحابه ، فقال : ويحكِ ، لم تبرحي حتَّى أَخذتِ بثأْرك .

• وحُكي أَن شاعراً كان له عدوٌّ ، فبينما هو سائرٌ ذاتَ يوم في بعض الطُّرق إذا هو بعدوِّه ، فعلم الشاعر أَنَّ عدوَّه قاتلُه لا محالة ، فقال له : يا هذا ، أَنا أَعلمُ أَنَّ المنيَّة قد حضرت ، ولكن سأَلتُك الله إذا أَنت قتلتني امضِ إلى داري وقف بالباب وقُل : « أَلا أَيُّها البنتان إنَّ أَباكما » . فقال : سمعاً وطاعة ؛ ثم إنَّه قتله ، فلمَّا فرغ من قتله أَتى إلى داره ، ووقف بالباب وقال :

أَلا أَيُّها البنتان إنَّ أَباكما .

وكان للشاعر ابنتان ، فلمّا سمعتا قول الرَّجل : [من الطويل]

أَلا أَيُّهـــا البِنتَـــان إنَّ أَبـــاكمـــا

أَجابتا بفمٍ واحدٍ :

قتيلٌ خُذا بالثَّأْرِ مِمَّنْ أَتاكُما

ثم تعلَّقتا بالرَّجل ، ورَفعتاه إلى الحاكم فاستقرره ، فأَقرَّ بقتله ، فقتله ؛ والله أَعلم .

• وقيل[١] : بينما كُثَيِّرُ عَزَّة مارٌّ بالطَّريق يوماً إذا هو بعجوزٍ عمياءَ على قارعةِ الطَّريق تمشي ، فقال لها : تَنَحَّي عن الطَّريق ؛ فقالت له : ويحكَ ومَن تكونُ؟ قال : أَنا كُثَيِّر عَزَّة ؛ قالت : قَبَّحك الله ؛ وهل مثلُك يُتَنَحَّى له عن الطَّريق؟ قال : ولِمَ؟ قالت : أَلَسْتَ القائلَ[٢] : [من الطويل]

---

(١) الأغاني (١٥/ ٢٨٣ـ٢٨٤)، وفيات الأعيان (٤/ ١١٠)، العقد الفريد (٥/ ٣٧٣).
(٢) ديوانه (٤٢٩ـ٤٣٠).

وَمَا رَوْضَةٌ بالحُسْنِ طَيِّبَةُ الثَّرى يَمُجُّ النَّدى جَثْجاثُها وَعَرارُها[1]
بأَطْيَبَ مِن أَرْدانِ عَزَّةَ مَوْهِناً إذا أُوقِدَتْ بالمِجْمَرِ اللَّدْنِ نارُها[2]

وَيحكَ يا هذا! لو تبخَّر بالمِجمرِ اللَّدْنِ مِثلي ومثلُ أُمِّك لطابَ رِيحُها ، لمَ لا قلتَ مثل سيِّدك ٱمرئِ القيس[3] : [من الطويل]

وَكُنْتُ إذا ما جِئْتُ باللَّيْلِ طارِقاً وَجَدْتُ بِها طِيْباً وإنْ لَمْ تَطَيَّبِ

فقطعَتْه ولم يردَّ جواباً .

• وقيل[4] : أُتيَ الحجَّاجُ بامرأَةٍ من الخوارج ، فقال لأَصحابه : ما تقولون فيها؟ قالوا : عاجِلها بالقتل أَيُّها الأَمير ؛ فقالت الخارجيَّة : لقد كان وزراءُ صاحبك خيراً من وزرائك يا حجَّاج ؛ قال : ومن هو صاحبي؟ قالت : فِرعون ، استشارهم في موسى عليه السَّلام فقالوا : ﴿ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ [الأعراف : ٧/ ١١١ والشعراء : ٢٦/ ٣٦] .

• وأُتِي[5] بأُخرى من الخوارج ، فجعل يكلِّمها وهي لا تنظرُ إليه ، فقيل لها : الأَمير يكلِّمك ، وأَنتِ لا تنظرين إليه! فقالت : إِنِّي لأَسْتَحيي أَن أَنظرَ إِلى مَن لا ينظرُ الله إليه! .

• وحَكى[6] ابنُ الجوزيّ في كتابه « المنتظم » في مناقب عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال : لمَّا وَلي عُمر رضي الله عنه الخلافة بلغه أَنَّ أَصْدِقَةَ أزواج النَّبيِّ ﷺ خَمسمئة درهم ، وأَنَّ فاطمة رضي الله عنها كان صداقُها على عليّ

---

(١) الجثجاث : ريحانة بريَّة من أحرار البقل؛ والعرار : هو البهار البرّي .
(٢) المجمر : العود الذي يتبخر به ؛ واللَّدن : الطري .
(٣) ديوانه : (٤١) .
(٤) التذكرة الحمدونية (٧/ ٢١٧) ونثر الدر (٥/ ٢١٢) ، والعقد الفريد (٤/ ٢٦) .
(٥) نثر الدر (٥/ ٢٢٧ـ٢٢٨) وربيع الأبرار (٢/ ٧٤) ، والعقد الفريد (٤/ ٢٦) .
(٦) لم يرد هذا الخبر في المنتظم ، وانظره في نثر الدر (٢/ ٣٦) وأخبار الأذكياء (٢١٨) وأخبار الظراف والمتماجنين (٦٣) والأجوبة المسكتة (١٠٦) .

ابن أَبي طالب كرَّم الله وَجهه أَربعمئة درهم ، فأَدَّى اجتهادُ أَمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أَن لا يزيدَ أَحدٌ على صَداق البضعةِ النَّبويَّة فاطمة رضي الله عنها ، فصعدَ المنبر وحمد الله تعالى وأَثنى عليه وقال : أَيُّها النَّاس ، لا تَزيدوا في مُهور النِّساء على أَربعمئة درهم ، فمَن زاد أَلقيتُ زيادته في بيت مال المسلمين ؛ فهاب النَّاس أَن يُكَلِّموه ، فقامت امرأَةٌ في يَدها طَولٌ ، فقالت له : كيف يحلُّ لك هذا ، والله تعالى يقول : ﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾ [النساء : ٢٠] فقال عمر رضي الله عنه : امرأَةٌ أَصابت ورجلٌ أَخطأَ .

• وقيل[١] : جاءَت امرأَةٌ إلى أَمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ، فقالت : يا أَمير المؤمنين ، إِنَّ زوجي يصومُ النَّهار ، ويقومُ الليل ؛ فقال لها : نِعْمَ الرَّجل زوجك ؛ وكان في مجلسه رجل يُسَمَّى كعباً[٢] ، فقال : يا أَمير المؤمنين ، إِنَّ هذه المرأة تشكو زَوجها في أَمر مباعدته إِيَّاها عن فراشه ؛ فقال له : كما فهمت كلامها احكمْ بينهما ، فقال كعبٌ : عليَّ بزوجها ، فأُحضر ، فقال له : إِنَّ هذه المرأة تشكوك ؛ قال : أَفي أَمر طعامٍ أَم شرابٍ؟ قال : بل في أَمر مُباعدتك إِيَّاها عن فراشك ؛ فأَنشدت المرأة تقول : [من الرجز]

يـا أَيُّهـا القـاضـي الحَكيـم أَنْشـدُهْ ... أَلْهى خَليلي عن فِراشي مَسْجِدُهْ[٣]
نَهـــارُهُ وَلَيْلُـــهُ لا يَـــرْقُـــدُهْ ... فَلَسْـتُ فـي أَمْـرِ النِّسـاءِ أَحْمَـدُهْ

فأَنشأَ الزَّوجُ يقول : [من الرجز]

زَهَّـدنـي فـي فَـرْشِهـا وفـي الحُلَـلْ ... أَنِّـي ٱمْـرُؤٌ أَذْهَلَنـي مـا قَـدْ نَـزَلْ
في سُورَةِ النَّمْلِ وفي السَّبْعِ الطُّوَلْ ... وفـي كتـابِ الله تَخْـويـفٌ يجِـلّ[٤]

---

(١) أخبار القضاة (١/ ٢٧٧)، وأخبار الأذكياء (٦٦ و٢١٩) والأوائل (٢/ ١١٤) والمعارف (٤٣٠) والتعازي والمراثي (٦٤) وتاريخ الخلفاء (١٧١).

(٢) هو كعب بن سور (أخبار القضاة).

(٣) كذا في الأصول، وفي مصادر الخبر ـ رَشَدُه ×.

(٤) كذا في الأصول،ومصادر الخبر: × . . . جَلَلْ .

فقال له القاضي : [من الرجز]

إنَّ لَهـا عَلَيْـكَ حَقّـاً لَـمْ يَـزَلْ في أَرْبَـعٍ تُصيبها لمـن عَقَـلْ[1]
فَعَـاطِهـا ذاكَ وَدَعْ عَنْـكَ العِلَـلْ

ثم قال : إنَّ الله تعالى أحلَّ لك من النِّساء مَثنَى وثُلاث ورُباع ، فلك ثلاثة أيَّام بلياليهنَّ ولها يومٌ وليلةٌ ؛ فقال عمر رضي الله عنه : لا أدري من أيكم أعجبُ ؛ أمن كلامها أم من حُكمك بينهما ! اذهب فقد ولَّيتُكَ البَصرة .

حكايةُ المتكلِّمة بالقرآن

● قال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى[2] : خرجتُ حاجّاً إلى بيتِ الله الحرام وزيارة قبر نبيِّه عليه الصَّلاة والسَّلام ، فبينما أنا في بعض الطَّريق إذا أنا بسوادٍ على الطَّريق ، فتمَيَّزتُ ذاك ، فإذا هي عجوزٌ عليها دِرْعٌ من صُوفٍ وخِمارٌ من صوفٍ ، فقلت : السَّلام عليكِ ورحمةُ الله وبركاته ؛ فقالت : ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس : ٣٦/٥٨] قال : فقلتُ لها : يرحمُك الله ، ما تصنعينَ في هذا المكان؟ قالت : ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ﴾[3] [الأعراف : ٧/١٨٦] ، فعلمتُ أنَّها ضالَّةٌ عن الطَّريق ، فقلتُ لها : أين تُريدين؟ قالت : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ [الإسراء : ١٧/١] ، فعلمتُ أنَّها قد قَضَت حِجَّها ، وهي تُريدُ بيتَ المقدسِ ، فقلتُ لها : مُنذُ كَمْ أنتِ في هذا الموضع؟ قالت : ﴿ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ [مريم : ١٩/١٠] ، فقلتُ : ما أرى معك طعاماً تأكلين؟ قالت : ﴿ هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴾ [الشعراء : ٢٦/٧٩] فقلتُ : فبأي شيءٍ تَتَوَضَّئين؟ قالت : ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا

---

(١) كذا في الأصول ومصادر الخبر، وأرى الصواب: × . . . كمن عقل .
(٢) الفوائد والأخبار (٢٨)، روضة العقلاء (٣٥ـ٣٦)، حلية الأولياء (١٠/ ١٨٢) .
(٣) في أ، ب: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٣٣ والزمر ٢٣، و٣٦، وغافر٣٣] .

طَيِّبًا﴾ [النساء : ٤/٤٣] فقلتُ لها : إِنَّ معي طَعاماً ، فهلْ لَكِ في الأَكْل؟ قالت : ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى الَّيْلِ﴾ [البقرة : ٢/١٨٧] ، فقلتُ : ليسَ هذا شهر رمضان . قالت : ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة : ٢/١٥٨] ، فقلتُ : قد أُبيحَ لنا الإِفطارُ في السَّفَر . قالت : ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : ٢/١٨٤] ، فقلت : لِمَ لا تكلِّميني مثل ما أُكَلِّمُكِ؟ قالت : ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [القلم : ٥٠/١٨] فقلتُ : فَمِن أَيِّ النَّاسِ أَنْتِ؟ قالت : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء : ٣٦] فقلتُ : قد أَخطأتُ فاجعليني في حِلٍّ ؛ قالت : ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف : ١٢/٩٢] فقلتُ : فهل لكِ أَن أَحملَكِ على ناقَتي هذه فَتُدركي القافلَة؟ قالت : ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [البقرة : ٢/١٩٧] قال : فأَنَخْتُ ناقتي ، قالت : ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور : ٢٤/٣٠] فغضضت بَصري عنها وقلتُ لها : اركبي ، فلمَّا أَرادت أن تركبَ نَفَرَتْ النَّاقة فمزَّقت ثيابها ، فقالت : ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى : ٤٢/٣٠] فقلتُ لها : اصبري حتَّى أَعْقِلَها ، قالت : ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ [الأنبياء : ٢١/٧٩] فعقلتُ الناقة وقلتُ لها : اركبي ؛ فلمَّا ركبَتْ قالت : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف : ٤٣/١٣ـ١٤] قال : فأَخذتُ بزمامِ النَّاقةِ ، وجَعلتُ أَسعى وأَصيحُ ؛ فقالت : ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ [لقمان : ٣١/١٩] فجعلت أَمشي رُوَيداً رُوَيداً وأَترنَّمُ بالشِّعر ، فقالت : ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل : ٧٣/٢٠] فقلتُ لها : لقد أُوتيتِ خيراً كثيراً ، قالت : ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة : ٢/٢٦٩] فلمَّا مشيت بها قليلاً قلتُ : أَلكِ زوجٌ؟ قالت : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة : ٥/١٠١] فسكتُّ ، ولم أُكلِّمها حتَّى أَدركتُ بها القافلة ، فقلتُ لها : هذه القافلة ، فمَن لكِ فيها ؟ فقالت : ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف : ١٨/٤٦] فعلمتُ أَنَّ لها أَولاداً ، فقلتُ : وما شأنهم في الحَجِّ؟ قالت :

﴿ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ [النحل : ١٦/١٦] فعلمتُ أنَّهم أَدِلاَّءُ الرَّكْبِ ، فقصدتُ بها القِباب والعَمارات ، فقلت : هذه القبابُ فمَن لكِ فيها؟ قالت : ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴾ [النساء : ٤/١٢٥] ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ [النساء : ٤/١٦٤] ﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ ﴾ [مريم: ١٩/١٢] فناديتُ يا إبراهيم، يا موسى ، يا يَحيى ؛ فإذا أنا بشُبَّانٍ كأنَّهم الأَقمار قد أقبلوا ، فلمَّا استقرَّ بهم الجلوس قالت : ﴿ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ ﴾ [الكهف : ١٨/١٩] فمضى أَحدهم فاشترى طعاماً ، فقدَّموه بين يديَّ ، فقالت : ﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة : ٦٩/٢٤] فقلت : الآن طعامُكم عليَّ حرامٌ حتَّى تُخبروني بِأَمرها ؛ فقالوا : هذه أُمُّنا ، منذ أربعين سنة لم تَتكلَّم إلاَّ بالقُرآن مخافة أَن تَزلَّ فيسخطَ عليها الرَّحمن ؛ فسبحان القادر على ما يشاء ، فقلتُ : ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الحديد : ٥٧/٢٩] .

● والله أَعلم بالصَّواب ، وصلّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم .

* * *

الباب الثامن

في الأَجوبة المُسكتة والمُستحسنة ، ورَشَقات اللِّسان ، وما جرى مجرى ذلك

• قيل[1] : إنَّ مَعن بن زائدة دخل على المنصور ، فقال له : هِيه يا مَعْنُ ، تُعطي مروان بن أبي حَفْصَة مِئة أَلفٍ على قوله[2] : [من الكامل]

مَعْـنُ بْـنُ زائـدةَ الَّـذي زادَتْ بِـهِ   شَـرَفـاً عـلـى شَـرَفٍ بَنـو شَيْبـانِ

فقال : كلاّ يا أَمير المؤمنين ، إِنَّما أَعطيتُه على قوله :

مـا زِلْـتَ يَـوْمَ الهـاشِمِيَّـةِ مُعْلِنـاً   بـالسَّيْـفِ دُونَ خليفـةِ الـرَّحمـنِ

فَمَنَعْـتَ حَـوْزَتَـهُ وكُنْـتَ وِقـاءَهُ   مِـن وَقْـعِ كُـلِّ مُهَنَّـدٍ وسِنـانِ

• فقال : أَحسنت والله يا معنُ ؛ وأَمر له بالجوائز والخِلَع .

• ووفد[3] ابنُ أَبي مِحْجَنٍ على معاوية ، فقام خطيباً فأَحسنَ ، فحسدَه معاوية وأَراد أَن يُوقعه ، فقال له : أَنت الَّذي أَوصاك أَبوك بقوله[4] : [من الطويل]

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ١٢٠)، مروج الذهب (٤/ ١٣٤)، العقد الفريد (٢/ ١٦٦) .

(٢) ديوانه (١٠٦/ ١٠٨) .

(٣) ربيع الأبرار (٢/ ١٢٢)، الأغاني (١٩/ ١٠) .

(٤) ديوانه (٢٣ و٤٨) .

إذا مِتُّ فادْفِنِّي إلى جَنْبِ كَرْمَةٍ ... تُرَوِّي عِظامي بَعْدَ مَوتي عُروقُها
ولا تَدْفِنَنِّي في الفَلاةِ فإِنَّني ... أَخافُ إذا ما مِتُّ أن لا أذوقُها

قال : بل أنا الذي يقولُ أَبي[1] : [من البسيط]

لا تَسْأَلِ النَّاسَ ما مالي وَكَثْرَته ... وسائِلِ النّاسَ ما جُودي وما خُلُقي[2]
أُعْطي الحُسامَ غداةَ الرَّوْعِ حُصَّتَهُ ... وعامِلُ الرُّمْحِ أَرْويهِ من العَلَقِ[3]
وأَطْعَنُ الطَّعْنَةَ النَّجْلاءَ عن عُرُضٍ ... وأَكْتُمُ السِّرَّ فيهِ ضَرْبَةُ العُنُقِ
ويَعْلَمُ النّاسُ أنِّي مِن سَراتِهِمُ ... إذا سَما بَصَرُ الرِّعْدِيدَةِ الفَرِقِ[4]

• فقال له معاويةُ : أَحسنتَ - والله - يا ابنَ أَبي مِحْجَن ؛ وأَمر له بِصِلَةٍ وجائزةٍ .

• وقيل[5] : أَخذ عبدُ الملك بن مروان بعضَ أَصحاب شَبيبٍ الخارِجيّ ، فقال له : أَلستَ القائل[6] : [من الطويل]

ومِنَّا شَريدٌ والبَطينُ وقَعْنَبٌ ... وَمِنّا أميرُ المُؤمنينَ شَبيبُ

فقال : يا أَمير المؤمنين ، إنَّما قلتُ : ومِنّا أميرَ المؤمنينَ شبيبُ ؛ وأَردت بذلك مناداةً لك . فكان ذلك سَبباً لنَجاته .

• ودخل[7] شَريك بن الأعور على معاوية وكان دَميماً ، فقال له معاوية : إنَّك

---

(١) ديوانه ١٥ - ١٩ .
(٢) كذا في الأصول ، وفي الديوان : لا تسألي . . .× وسائلي . . .
وقال شارحه أبو هلال العسكري : إنه خاطب امرأته .
(٣) العلق : الدم .
(٤) الرعديدة: الجبان . والفَرِق: الفَزِع .
(٥) ربيع الأبرار (٢/٢٥٦)، المستجاد (٢٤٤)، التذكرة الحمدونية (٧/٢٠٤) البصائر والذخائر (٦/٦٦) .
(٦) البيت لعتبان بن أصيلة الشيباني في شعر الخوارج (٦٤) .
(٧) ربيع الأبرار (٢/١٠٧) .

لَدَميمٌ ، والجميلُ خيرٌ من الدَّميم ؛ وإِنَّك لَشَريك ، وما للهِ من شَريكٍ ؛ وإِنَّ أَباك لأَعورُ ، والصَّحيحُ خيرٌ من الأَعور ؛ فكيفَ سُدْتَ قَومك؟ فقال له : إِنَّك مُعاوية ، وما مُعاوية إِلاَّ كلبةٌ عَوَت فاسْتَعْوَت الكِلاب ، وإِنَّك لابنُ صَخْرٍ ، والسَّهْلُ خيرٌ من الصَّخر ، وإِنَّك لابنُ حربٍ ، والسِّلمُ خيرٌ من الحرب ، وإِنَّك لابنُ أُمَيَّة ، وما أُمَيَّةُ إِلاّ أَمَةٌ صُغِّرَت ؛ فكيف صِرْتَ أَمير المؤمنين؟ ثم خرج وهو يقول : [من الوافر]

أَيَشْتُمُني مُعاويةُ بنُ حَرْبٍ ... وَسَيْفي صارِمٌ وَمَعِي لِساني

وَحَوْلي مِن ذَوي يَزَنٍ لُيوثٌ ... ضَراغِمَةٌ تهشُّ إِلى الطِّعان

يُعَيِّرُ بالدَّمامَة من سَفاهٍ ... وَرَبّاتُ الحِجال من الغَواني

(فإِنَّك من أُمَيَّة في ذُراها ... وَإِني في ذُرى عبد المدان

وإِنَّك للشّقاء لنا أَميرٌ ... فَإِنّا لا نقِرُّ على الهوان)[1]

• ودخل[2] يزيد بن أَبي مُسلم صاحبُ شرطة الحجّاج على سُليمان بن عبد الملك بعد موت الحجّاج ، فقال له سُليمان : قَبَّحَ اللهُ رَجلاً أَجَرَّكَ رَسَنَهُ ، وأَوْلاك أَمانته ؛ فقال : يا أَمير المؤمنين ، رأَيتني والأَمرُ لكَ ، وهو عنِّي مُدْبِرٌ ، فلو رأَيتني وهو عليَّ مُقبلٌ لاستكبَرْتَ منِّي ما استصغرتَ ، واستعظمتَ منِّي ما استحقرت ؛ فقال سُليمان : أَترى الحجّاج استقرَّ في جهنَّم؟ فقال : يا أَمير المؤمنين ، لا تَقُل ذلك ، فإِنَّ الحجَّاج وطَّأَ لكم المنابر ، وأَذَلَّ لكم الجبابرة ، وهو يَجيءُ يوم القيامة عن يمين أَبيك وشمالِ أَخيك ، فحيثُما كانا كان .

• وقال[3] يهوديٌّ لعليّ بن أَبي طالب رضي الله عنه : ما لَكُم لم تَلبثوا بعد نبيِّكم إِلا خمسَ عشرةَ سنةً حتى تقاتلتم؟ فقال عليٌّ كرَّم الله وجهه : وَلِمَ أَنتم لم

---

(١) من أ .

(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٧٥)، نثر الدر (٢/ ١٩٢)، المستجاد (٢٤٦)، التذكرة الحمدونية (٧/ ١٦٢) .

(٣) ربيع الأبرار (٢/ ٧٠)، التذكرة الحمدونية (٧/ ١٦٣) نثر الدر (١/ ٢٨٠)، أخبار الظراف (١٩) .

تَجِفَّ أَقدامُكم من البَلَل حتَّى قُلتم ﴿ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ [الأعراف : ٧/١٣٨] .

● ووجد الحجَّاجُ على مِنبره مَكتوباً : ﴿ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾ [الزمر : ٣٩/٨] فكتب تحتَه : ﴿ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران : ٣/١١٩] .

● ودخل[1] عقيلٌ على مُعاوية وقد كُفَّ بَصَرُهُ ، فأَجلسَهُ معه على سَريره ، ثم قال له : أنتم ـ معشَرَ بني هاشم ـ تُصابونَ في أبصاركم! فقال له عَقيلٌ : وأَنتم ـ معشَر بني أُميَّة ـ تُصابون في بَصائِركم .

● وقيل : اجتمعت بنو هاشم يوماً عند مُعاوية ، فأَقبل عليهم وقال : يا بَني هاشم ، إِنَّ خَيْري لكم لَممنوحٌ ، وإِنَّ بابي لكم لمفتوحٌ ، فلا يُقطعُ خَيري عنكم ، ولا يُرَدُّ بابي دُونكم ، ولمّا نظرتُ في أَمري وأَمركم رأَيتُ أَمراً مُختلفاً ، إِنَّكم تَرون أَنَّكم أَحَقُّ بما في يَدي منِّي ، وإِذا أَعطيتُكم عطيَّةً فيها قضاءُ حقوقكم قُلتم : أَعطانا دون حقِّنا ، وقصَّر بنا عن قَدْرنا ؛ فَصِرْتُ كالمسلوبِ ، والمسلوبُ لا حَمْدَ له ، هذا مع إِنصافِ قائلكم وإِسعاف سائِلكم ؛ قال : فأَقبل عليه ابنُ عبّاس رضي الله تعالى عنهما فقال : واللهِ ما مَنحتَنا شيئاً حتَّى سأَلناه ، ولا فَتحتَ لنا باباً حتَّى قَرعناه ، ولَئِن قطعتَ عنا خَيْرَكَ فَخَيْرُ اللهِ أَوسَعُ منك ، ولئن أَغلقتَ دُوننا باباً لَنَكْفُفَنَّ أَنفسنا عنك ؛ وأَمَّا هذا المال فليسَ لكَ منه إِلا ما للرَّجل من المسلمين ، ولولا حقُّنا في هذا المال لم يأْتك منّا زائرٌ يحملُه خُفٌّ ولا حافِرٌ ، أَكفاك أَم أَزيدك؟ قال : كفاني يا ابنَ عبّاس .

● وقال[2] معاوية يَوماً : أَيُّها النّاس ، إِنَّ اللهَ حَبا قريشاً بثلاث ، فقال لنبيِّه ﷺ : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢٦/٢١٤] ، ونحنُ عشيرتُه الأَقربون ؛

---

(١) عيون الأخبار ٢/ ٢١٠ .
(٢) العقد الفريد ٤/ ٢٧ .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [الزخرف : ٤٣/ ٤٤] ونحن قَوْمُهُ ؛ وقال : ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ ﴾ [قريش : ١٠٦/ ١-٢] ونحنُ قريشٌ .

فأَجابه رجلٌ من الأَنصار فقال : على رِسْلِكَ يا مُعاوية ، فإِنَّ الله تعالى يقول : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ [الأنعام : ٦/ ٦٦] وأَنتم قومه ؛ وقال تعالى : ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ [الزخرف : ٤٣/ ٥٧] وأَنتم قومه ؛ وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان : ٢٥/ ٣٠] وأَنتم قومه ، ثلاثةٌ بثلاثةٍ ، ولو زِدْتَنا لَزِدْناك .

● وقال[١] معاوية أَيضاً لرجلٍ من اليَمن : ما كانَ أَجهلَ قومكَ حين مَلَّكوا عليهم امرأَةً! فقال : أَجهلُ من قَومي قَومُك الَّذين قالوا حين دَعاهم رسول الله ﷺ : ﴿ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأنفال : ٨/ ٣٢] ولم يقولوا : اللَّهُمّ إِن كان هذا هو الحقُّ من عِندك فاهْدنا إِليه .

● وقال[٢] يوماً لجارية بن قُدامة : ما كانَ أَهونَكَ على قَومك إِذ سمَّوك جارية! قال : ما كان أَهونَكَ على قَومك إِذْ سَمَّوك مُعاوية ، وهي الأُنثى من الكلاب! قال : اسكتْ لا أُمَّ لك . قال : أُمٌّ لي وَلدتني ، أَما والله إِنَّ القُلوب الَّتي أَبغضناك بها لَبَيْنَ جَوانحنا ، والسُّيوفَ التي قاتلناكَ بها لَفي أَيدينا ؛ وإِنَّك لم تُهلكنا قسوةً ، ولم تَملكنا عُنوةً ، ولكنَّك أَعطيتنا عَهْداً وميثاقاً ، وأَعطيناك سَمعاً وطاعةً ، فإِن وَفَيْتَ لَنا وَفَيْنَا لك ، وإِن نَزَعْتَ إِلى غير ذلك فإِنَّا تَرَكْنا وراءَنا رجالاً شداداً ، وأَسِنَّةً حداداً ؛ فقال معاوية : لا أَكثرَ اللهُ في النَّاس مِثلك يا جارية ؛ فقال له : قُل مَعروفاً ، فإِنَّ شَرَّ الدُّعاء لَمُحيطٌ بأَهله .

---

(١) العقد الفريد (٤/ ٢٧)، نثر الدر (٢/ ١٩١)، التذكرة الحمدونية (٧/ ١٨١) .

(٢) العقد الفريد (٤/ ٢٧)، وتاريخ الخلفاء (٢٣٥)، ومختصر تاريخ دمشق (٥/ ٣٦٥) .

• وخطب[1] معاويةُ يوماً فقال : إِنَّ اللهَ تعالى يقول : ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر : ١٥/٢١] فعلامَ تَلومونني إذا قصَّرتُ في عَطاياكم؟ فقال له الأَحنفُ : وإِنّا واللهِ لا نَلومُك على ما في خَزائن الله ، ولكنْ على ما أَنزله الله لنا من خَزائنه فجعَلتَهُ في خَزائنك ، وحُلْتَ بيننا وبينه .

• وقيل[2] : دخل مجنون الطاق[3] يوماً إِلى الحمّام وكان بغيرِ مِئْزَرٍ ، فرآه أَبو حَنيفة رضي الله تعالى عنه ، وكان في الحمَّام ، فغمَّضَ عينيه فقال المجنونُ : متى أَعماكَ الله؟ قال : حين هَتَكَ سِتْرَك .

• ومن ذلك ما حُكي[4] ، أَنَّ الحجّاجَ خرجَ يوماً مُتَنَزِّهاً ، فلمّا فرغَ من نُزهته صَرف عنه أَصحابه ، وانفردَ بنفسه ، فإذا هو بشيخٍ من بني عِجلٍ ، فقال له : مِن أَين أَيُّها الشَّيخ؟ قال : مِن هذه القرية ؛ قال : كيفَ تَرَوْنَ عُمَّالكم؟ قال : شَرَّ عُمّال ، يَظلمون النّاس ، ويستحلُّون أَموالهم ؛ قال : فكيف قولُك في الحجّاج؟ قال : ذاك ما وَلي العراقَ شَرٌّ منه ، قَبَّحه الله ، وقَبَّح من استعملَه ؛ قال : أَتعرفُ مَن أَنا ؟ قال : لا ؛ قال : أَنا الحجّاج ؛ قال : جُعلت فداك ، أَوَتعرف مَن أَنا ؟ قال : لا ؛ قال : فلان بن فلان ، مَجنون بني عِجْلٍ ، أُصْرَعُ في كلِّ يومٍ مرَّتين ؛ قال : فضحكَ الحجّاج منه ، وأَمر له بِصِلَةٍ .

• وقال[5] رجلٌ لصاحبِ مَنزلٍ : أَصلحْ خشبَ هذا السَّقف ، فإِنّه يُفرقعُ . قال : لا تَخَف ، فإِنَّه يُسَبِّح . قال : إِنّي أَخافُ أَن تُدركَه رِقَّة فيسجُدَ .

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٩١)، نثر الدر (٥/ ٥٦)، التذكرة الحمدونية (٧/ ١٨١) .

(٢) الخبر بين الشعبي ورجل، في: أخبار الأذكياء (٧٦) وأخبار الظراف (٢٧) ونثر الدر (٢/ ١٥٧) والتذكرة الحمدونية (٧/ ٢٤٣) .

(٣) هو شيطان الطاق، واسمه محمد بن علي بن النعمان الكوفي (الوافي بالوفيات ٤/ ١٠٤) .

(٤) أخبار الأذكياء (١٢٦-١٢٧)، وأخبار الظراف (٧٣-٧٤) .

(٥) ربيع الأبرار (٢/ ٧٨)، والتذكرة الحمدونية (٧/ ٢٥٦) .

● وقالت[1] عجوزٌ لزوجها : أَما تستحي أَن تَزنيَ ولكَ حلالٌ طَيِّبٌ؟ قال : أَمّا حلالٌ فنَعَم ، وأَمّا طَيِّبٌ فلا .

● وقال[2] مِلِكٌ لوزيره : ما خيرُ ما يُرزقه العبدُ؟ قال : عقلٌ يعيشُ به ؛ قال : فإِن عَدِمَه؟ قال : أَدبٌ يتحلّى به ؛ قال : فإِن عَدِمَه؟ قال : مالٌ يَستُرُه ؛ قال : فإِن عَدِمَه؟ قال : فَصاعِقَةٌ تَحرقُه وتريحُ منه العبادَ والبِلاد .

● وتنبأ[3] رجلٌ في زمن المنصور ، فقال له المنصور : أَنت نَبِيُّ سَفَلَة؟ فقال : جُعلت فِداك ؛ كُلُّ نبيٍّ يُبعث إِلى شَكلِهِ .

ومن الأَجوبة المُسكتة المستحسَنة :

● ما ذُكر[4] أَنَّ إِبراهيم مُغَنّي الرَّشيد غَنَّى يوماً بين يديه ، فقال له : أَحسنتَ ، أَحسنَ اللهُ إِليك ؛ فقال له : يا أَميرَ المؤمنين ، إِنّما يحسنُ الله إِليَّ بك ؛ فأَمر له بمئة أَلف درهم .

● وقال رجلٌ لبعضِ العَلَويّة : أَنتَ بُستانٌ ؛ فقال العَلَويُّ : وأَنت النَّهرُ الَّذي يُسقَى منه البُستَان .

● وذَبحت[5] عائشةُ رضي الله تعالى عنها شاةً وتصدَّقت بها ، وأَفضلت منها كَتفاً ؛ فقال لها النَّبيُّ ﷺ : « ما عندَك منها »؟ قالت : ما بقيَ منها إِلاّ كَتِفٌ ؛ فقال : « كُلّها إِلاّ كتفاً » .

● وقال[6] عبد الله بن يَحيى لأَبي العَيْناء : كيفَ الحالُ؟ قالت : أَنت الحال ؛

---

(1) ربيع الأبرار (٢/ ٧٨) .
(2) ربيع الأبرار (٢/ ٨٣)، التذكرة الحمدونية (١/ ٤٦٤) .
(3) ربيع الأبرار (٢/ ٣٢)، نثر الدر (٢/ ٢١٥)، التذكرة الحمدونية (٧/ ٢٤٢) و(٨/ ٣٣٤) .
(4) ربيع الأبرار (٢/ ٨٣) .
(5) المستجاد (٢٥٠) .
(6) ربيع الأبرار (٢/ ٨٦) .

فانظرْ كيف أنت لنا ؛ فأمر له بمالٍ جزيلٍ ، وأَحسن صِلَتَه .

● وكان[1] عمرو بن سَعيد بن سَلْم في حَرَسِ المأمون ليلةً ، فخرج المأمونُ يتفقَّد الحَرس ، فقال لعمرو : مَن أنت؟ قال : عَمرو ـ عَمَّرك الله ـ بن سَعيد ـ أَسعدك الله ـ بن سَلْمٍ ـ سلَّمك الله ـ قال : أَنت تَكْلَؤنا اللَّيلةَ؟ قال : الله يَكْلَؤُكَ يا أَمير المؤمنين وهو ﴿ خَيْرٌ حَـٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف : ١٢/ ٦٤] فقال المأمونُ : [من الرجز]

إنَّ أَخـا الهَيْجـاءِ مَـن يَسْعَـى مَعَـكْ ... وَمَـنْ يَضُـرُّ نَفْسَـهُ لِيَنْفَعَـكْ
وَمَـنْ إذا رَيْـبُ الـزَّمـانِ صَـدَعَـكْ ... شَتَّـتَ فِيـكَ شَمْلَـهُ لِيَجْمَعَـكْ

ادفعوا إِليه أَربعة آلاف دينار .

قال عمرو : وَددتُ لو أَنَّ الأَبيات طالَت .

● وقال[2] المعتصم للفَتح بن خاقان وهو صبيٌّ صغيرٌ : أرأَيتَ يا فتحُ أَحسنَ من هذا الفصِّ ـ لفصٍّ كان في يده ـ؟ قال : نعم يا أَمير المؤمنين ؛ اليدُ الَّتي هو فيها أَحسنُ منه ؛ فأَعجبه جوابُه ، وأَمر به بِصِلَةٍ وكُسوةٍ .

● وقيل[3] : إن رجلاً سأَل العبّاس رضي الله عنه : أَأَنتَ أَكبر أَم رسول الله ﷺ؟ فقال : رسول الله ﷺ أَكبرُ ، وأَنا وُلدتُ قَبله .

● وقال[4] معاويةُ لسعيد بن مُرَّة الكِنْدِي : أَأَنْت سعيدٌ؟ قال : أَميرُ المؤمنين السَّعيدُ ، وأَنا ابنُ مُرَّة .

● وقال[5] المأمون للسَّيِّد بن أَنس : أَأَنت السَّيِّد؟ قال : أَميرُ المؤمنين السَّيِّد ،

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (١٤/ ١١٥) وربيع الأبرار (٥/ ٢٤٥)، والصداقة والصديق (٢٩) .
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٨٧) .
(٣) أخبار الأذكياء (٢٦) و(٥٨) وأخبار الظراف (٢٠) والعقد الفريد (٢/ ٤٢٤)، ربيع الأبرار (٢/ ٥٨٧) .
(٤) ربيع الأبرار (٢/ ٥٨٧)، التذكرة الحمدونية (١/ ٤٤١) .
(٥) أسرار الحكماء (١٠٤)، ربيع الأبرار (٢/ ٥٨٧)، التذكرة الحمدونية (١/ ٤٣٢) .

وأَنا ابنُ أَنس .

• وقال[1] الحجَّاجُ للمهلَّب وهو يُماشيه : أَأَنا أَطول أَم أَنت؟ قال : الأَمير أَطولُ ، وأَنا أَبسطُ قامةً ؛ أَراد الطَّوْلَ وهو الفَضْل .

• والأَجوبة بهذا المعنى كثيرةٌ ، لو تتبَّعْتُها لعجزتُ عنها ، ولكنِّي اقتصرتُ على هذا وأَوجزتُ ، وفيما ذكرتُه من ذلك كفايةٌ ، وأَسْأَلُ الله تعالى العَوْنَ والعناية .

* * *



(١) ربيع الأبرار (٢/ ٥٨٧) والتذكرة الحمدونية (١/ ٤٤١)، نثر الدر (٢/ ١٨٣) .

الباب التاسع

في ذِكر الخُطَب والخُطباء ،
والشِّعر والشُّعراء وسَرقاتهم ،
وكَبَوات الجياد وَهَفوات الأَمجاد

• قيل[1] : خطبَ المأمونُ فقال : اتَّقوا الله ـ عبادَ الله ـ وأَنتم في مَهَل ، بادروا الأَجلَ ولا يَغُرَّنكم الأَمَل ، فكأَنِّي بالموت قد نَزَل ، فَشَغَلَتِ المرءَ شواغلُه ، وتولَّت عنه بَواطلُه ، وهُيِّئَت أَكفانُه ، وبَكاه جيرانه ، وصار إِلى التُّراب الخالي بجسدِه البالي ، فهو في التُّراب عَفيرٌ ، وإِلى ما قدَّم فقيرٌ .

• وقال الشَّعبيُّ[1] : ما سمعتُ أَحداً يخطبُ إِلا تمنَّيتُ أَن يسكتَ مخافةَ أَن يخطِىءَ ، ما خلا زياداً ، فإِنه لا يزدادُ إِكثاراً إِلا ٱزداد إِحساناً .

• وخطبَ عليٌّ رضي الله عنه فقال في خُطبته : عبادَ الله ، الموتَ الموتَ ، ليس منه فَوتٌ ؛ إِن أَقمتُم أَخذَكم ، وإِن فَررتُم منه أَدرككم ، الموتُ معقودٌ بنواصيكم ، فالنَّجا النَّجا ، والوَحا الوَحا ؛ فإِنَّ وراءَكم طالباً حثيثاً وهو القبرُ ، أَلا وإِنَّ القبرَ روضةٌ من رياضِ الجنَّة أَو حُفرةٌ من حُفَر النّار ، أَلا وإِنَّه يتكلَّم في كلِّ يومٍ ثلاثَ كلماتٍ فيقول : أَنا بيتُ الظُّلْمة ، أَنا بيتُ الوَحْشَة ، أَنا بيت الدِّيدان ؛ أَلا وإِنَّ وراءَ ذلك اليوم يوماً أَشَدَّ منه ، يوماً يشيبُ فيه الصَّغير ، ويَسكُر فيه الكبير ﴿ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٢٦٩) .

﴿حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج : ٢٢/٢] أَلا وإِنَّ وراءَ ذلك اليوم يوماً أَشَدَّ منه ، فيه نارٌ تَتَسَعَّرُ ، حَرُّها شديدٌ ، وقَعرها بعيدٌ ، وحَلْيُها حديدٌ ، وماؤُها صَديدٌ ، ليس لله فيها رحمةٌ .

قال : فبكى المسلمون بكاءً شديداً ؛ ثم قال : أَلا وإِنَّ وراء ذلك اليوم جنَّةً ﴿عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران : ٣/١٣٣] أَدْخلَنا الله وإِيَّاكم دارَ النَّعيم ، وأَجارنا وإِيّاكُم من العَذاب الأَليم .

● **وخطبَ** الحجَّاج بن يوسف فقال في بعض خُطَبه : إِنَّ إِبراهيمَ بن عبد الله بن الحسن رضي الله عنه خطبَ بالبصرة فقال : أَيُّها الناس ، كُلُّ كلامٍ في غيرِ ذِكْرٍ فهو لَغْوٌ ، وكُلُّ صَمتٍ في غيرِ فِكْرٍ فهو سَهْوٌ ؛ والدُّنيا حُلُمٌ والآخرة يَقَظَةٌ ، والموتُ مُتَوَسِّطٌ بينهما ، ونحن في أَضغاثِ أَحلامٍ .

● **قيل**[1] : اجتمع النّاسُ عند مُعاوية ، وقام الخطباءُ لبيعةِ يزيد ، وأَظهر قومٌ الكراهةَ ، فقام رجلٌ من الخطباء من عُذْرَة يقال له يَزيد بن المقنَّع ، فاخترطَ من سيفه شِبْراً ثم قال : أَميرُ المؤمنين هذا ، وأَشار إِلى معاوية ؛ ثم قال : فإِن يَهلك فهذا ، وأَشار إِلى يزيد ؛ ثم قال : فَمَن أَبى فهذا ، وأَشار إِلى سيفه ؛ فقال له معاوية : أَنت سيِّدُ الخُطباء .

فصل

في ذكر الشِّعر والشُّعراء وسَرقاتِهم

● قيل[2] : ما استُدعي شاردُ الشِّعر بمثلِ الماء الجاري والشَّرف العالي ، والمكان الخَضِرِ الخالي .

---

(١) عيون الأخبار (٢/ ٢١٠) .

(٢) ربيع الأبرار (٥/ ٢٥٨) .

• وقيل[١] : أُمْسِكَ على النَّابغة الجعدي أَربعين عاماً فلم ينطقْ بالشِّعر ، ثم إِنَّ بني جَعْدَة غَزَوا ، فظَفروا ، فاستخفَّه الطَّربُ والفَرح ، فرامَ الشِّعرَ ، فذَلَّ له ما استصعب عليه ، فقال له قومه : والله لَنَحْنُ بإِطلاق لسانِ شاعرنا أَسَرُّ مِنّا بالظَّفر بِعَدُوِّنا .

• وقال أَبو نُواس : ما قُلتُ الشِّعر حتّى رَوَيْتُ لِستِّينَ امرأَةً ، منهنَّ الخنساءُ وَليلى ، فما ظَنُّكَ بالرِّجال؟ .

• وقال الخليل[٢] : الشُّعراء أُمراءُ الكلام ، يتصرَّفون فيه كيف شاؤوا ، جائزٌ لهم فيه ما لا يجوزُ لغيرهم من إِطلاق المعنى وتَقييده ، ومن تَسهيل اللَّفظ وتَعقيده .

• وقيل[٣] : أَوفد زيادٌ ابنَه عُبيد الله على مُعاوية فقال له : أَقرأْتَ القُرآن؟ قال : نعم . قال : أَقرضتَ القَريض؟ قال : نعم . قال : أَرويت الشِّعر؟ قال : لا . فكتب إِلى زياد : باركَ الله لكَ في ابنك ، فأَروه الشِّعر ، فقد وجدتُه كاملاً ، وإِنِّي سمعتُ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه يقول : أَرووا الشِّعر ، فإِنَّه يدلُّ على مَحاسن الأخلاق ، ويَقي مساويها ، وتعلَّموا الأَنساب فَرُبَّ رَحِمٍ مَجهولةٍ قد وُصلت بعرفان النَّسب ، وتعلَّموا من النُّجوم ما يدلُّكم على سُبُلكُم في البَرِّ والبَحر .

ولقد هَمَمْتُ بالهَرَبِ يوم صِفِّين ، فما ثَبَّتني إِلاّ قولُ القائِل[٤] : [من الوافر]

أَقولُ لها إِذا جَشَأَتْ وجاشَتْ مَكانَكِ تُحْمَدي أَوْ تَسْتَريحي

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٢٥٨) .
(٢) ربيع الأبرار (٥/ ٢٥٩) .
(٣) ربيع الأبرار (٥/ ٢٦٧) وانظر تخريج البيت بعد قليل .
(٤) البيت لعمرو بن الإطنابة في أمالي القالي (١/ ٢٥٨) ومجالس ثعلب (٨٣) وديوان المعاني (١/ ١١٤)، ووقعة صفين (٣٩٥) و(٤٠٤) وعيون الأخبار (١/ ١٢٦) و(٢/ ١٩٣).

• وقيل[1] : لم يُرَ قَطُّ أعلمَ بالشِّعرِ والشُّعراءِ من خَلَف الأَحمر ، كان يعملُ الشِّعر على أَلسنةِ الفُحول من القُدماء ، فلا يتميَّزُ عن مَقولِهم ، ثم تَنَسَّك ، فكان يختمُ القُرآن كُلَّ يومٍ وليلة ؛ وبَذَلَ له بعضُ الملوك مالاً جَزيلاً على أَن يتكلَّم في بيت من الشعر شكُّوا فيه فأَبى .

• وكان[2] الحسن بن عليّ رضي الله عنه يُعطي الشُّعراء ، فقيل له في ذلك ، فقال : خيرُ مالِك ما وَقَيت به عِرْضَك .

• وقال[3] أَبو الزِّناد : ما رأَيتُ أَروى للشِّعر من عُروة ، قُلتُ له : ما أَرواك يا أَبا عبد الله؟ فقال : وما روايتي مع رواية عائشة رضي الله عنها ، ما كان ينزلُ بها شيءٌ إلاّ أَنشدتْ فيه شعراً .

• وكان[4] رسول الله ﷺ يتمثَّل بقولِ القائل : كفى الإِسلامُ والشَّيبُ للمرءِ ناهياً[5] . ولم ينطقْ به مَوزوناً ، فقال أَبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه : أَشهدُ أَنَّك رسولُ الله حقّاً ؛ وتلا قوله تعالى : ﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس : ٣٦/٦٩] .

ولْنذكر نبذةً من سَرقات الشُّعراء وسَقطاتهم

• **فمن ذلك** قولُ قَيْسِ بن الخَطيم، وهو شاعرُ الأَوس وشُجاعها[6] : [من الطويل]

وَمـا المـالُ والأَخـلاقُ إلاَّ مُعـارَةٌ ... فَمـا اسْطَعْـتَ مِـنْ مَعْـروفِهـا فَتَـزَوَّدِ

وكيف يَخفى ما أَخَذَه مع اشتهار قصيدة طَرَفَة بن العَبْد ، وهي مُعَلَّقةٌ على

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٢٧٠) .
(٢) ربيع الأبرار (٥/ ٢٧٤) وفيه : الحسين .
(٣) ربيع الأبرار (٥/ ٢٧٤) .
(٤) ربيع الأبرار (٥/ ٢٧٥) .
(٥) مطلع قصيدة رائعة لسحيم عبد بني الحسحاس في ديوانه ١٦ :
عُميرة ودّع إن تجهزت غاديا ... كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا
(٦) ديوانه (٧٤) .

الكعبة ، يقول فيها[1] : [من الطويل]

لَعَمْـرُكَ مـا الأَيّـامُ إلاَّ مُعـارَةٌ فَما اسْطَعْتَ مِن مَعروفِها فتَزَوَّدِ

● ومن ذلك قول عَبْدَة بن الطَّبيب[2] : [من الطويل]

فَما كان قَيسٌ هُلْكُهُ هُلْكُ واحدٍ وَلكنَّهُ بُنيانُ قومٍ تَهَدَّما

أَخذه من قول امرىء القَيْس[3] : [من الطويل]

فَلَو أَنَّها نَفْسٌ تَموتُ شَرَيْتُها وَلكنَّها نَفْسٌ تَساقَطُ أَنْفُسا

● ويُقال : مَن سَرَقَ شيئاً واسترقَّه ، فقد استحقَّه ؛ وهو أَن يسرقَ الشَّاعر المعنى دون اللَّفظ .

● فمن السَّرقة الفاحشة قولُ كُثَيِّر في عبد الملك بن مروان[4] : [من الطويل]

إذا ما أَرادَ الغَزْوَ لَمْ يَثْنِ هَمَّهُ حصَانٌ عَليها عِقْدُ دُرٍّ يَزينُها

أَخذه من قولِ الحُطيئة ولم يُغيِّر سوى الرَّويِّ[5] : [من الطويل]

إذا ما أَرادَ الغَزْوَ لم يَثْنِ هَمَّهُ حصانٌ عَليها لُؤْلُؤٌ وَشُنُوفُ

● وجَرير على سَعَةِ تَبَحُّرِه وقُدرته على غُرر الشِّعر وابتكار الكلام نَقَلَ قوله[6] :

[من الوافر]

فَلَوْ كان الخُلودُ بفَضْلِ قَوْمٍ على قَوْمٍ لكانَ لَنا الخُلُودُ

---

(١) ديوانه (١٥١) .
(٢) ديوانه (٨٨) .
(٣) ديوانه (١٠٧) .
(٤) ديوانه (٢٤٢) والنص بكامله عن التذكرة الحمدونية (٧/ ٢٩٥) .
(٥) ديوانه (٢٥٦) برواية :
إذا همّ بالأعداء لم تثنِ همَّهُ × كَعابٌ .
(٦) ديوانه (١/ ٣٣٠) .

من قول زُهير ، وهو شِعرٌ مَشهورٌ يَحفظه الصِّبيان وتَرويه النِّسوان ، وهو[1] : [من الطويل]

فَلَو كانَ حَمْدٌ يُخْلِدُ المَرْءَ لَمْ يَمُتْ وَلكنَّ حَمْدَ المَرْءِ غَيْرُ مُخَلِّدِ

● وقد قال الشَّمّاخ[2] : [من الطويل]

وأمْرٍ تُرَجِّي النَّفْسُ لَيسَ بِنَافِعٍ وَآخَرُ تَخْشى ضَيْرَهُ لا يَضِيْرُهَا

وهو مأخوذٌ من قول الآخر[3] : [من الطويل]

تَرَجَّى النُّفوسُ الشَّيءَ لا تَستطيعُهُ وَتَخْشى من الأَشياءِ ما لا يَضِيْرُها

● وأبو تمّام مع قُوَّته وقُدرته على الكلام يقول[4] : [من الطويل]

وأَحْسَنُ مِن نَوْرٍ تُفَتِّحُهُ الصَّبا بَياضُ العَطايا في سَوادِ المطالِبِ

أَخذَه من قَول الأَخطل[5] : [من الطويل]

رَأَيْتُ بَياضاً في سَوادٍ كأَنَّهُ بَياضُ العَطايا في سَوادِ المطالِبِ

ومن سَقَطات الشُّعراء :

● ما قيل[6] : إنَّ أَبا العتاهية كان مع تقدُّمه في الشِّعر كثيرَ السَّقط ؛ رُوي أَنَّه لَقي محمّد بن مُناذر بمكَّة ، فمازَحه وضاحَكه ، ثم إنَّه دخلَ على الرَّشيد فقال : يا أَمير المؤمنين ، هذا شاعرُ البَصرة يقولُ قصيدةً في كُلِّ سنةٍ ، وأَنا

---

(١) ديوانه (٢٣٦) .
(٢) ديوانه (٤٤٠) .
(٣) البيت لشبيب بن البرصاء في الأغاني (١٢/ ٢٧٥) ومجموعة المعاني (٣٧٧) .
(٤) ديوانه (١/ ٢١٢) .
(٥) ليس في ديوانه، وهو في هامش ديوان أبي تمام (١/ ٢١٢) نقلاً عن شرح ابن المستوفي، وقال ابن المستوفي عقبه: ولم أجد ما نسبوه إلى الأخطل في ديوانه، ولا يشبه نمطه لرقته، ولعله موضوع ليُدفع أبو تمّام عن محاسنه .
(٦) الأغاني (١٨/ ٢٠٨) والتذكرة الحمدونية (٧/ ٢٩٧) .

أَقولُ في كُلِّ سنةٍ مِئتي قصيدةً ، فأَدخَلَهُ الرَّشيد إِليه وقال : ما هذا الَّذي يقولُ أَبو العتاهية؟ فقال : يا أَمير المؤمنين ، لو كنتُ أَقولُ كما يقول[1] : [من الهزج]

أَلا يــا عُتْبَــةَ السَّــاعَــهْ أمــوتُ السَّــاعَــةَ السَّــاعَــهْ

لقلتُ كثيراً ، ولكنِّي أَقول : [من الخفيف]

إِنَّ عبــدَ المجيــد يَــوْمَ تَــوَلَّــى هــدَّ رُكْنــاً مــا كــانَ بــالمهــدود
مــا دَرَى نَعْشُــهُ ولا حــامِلُــوهُ ما عَلى النَّعْشِ من عَفافٍ وَجُودِ

فأَعجبَ الرَّشيدَ قولُه ، وأَمر له بعشرة آلاف درهم ، فكاد أَبو العتاهية يموتُ غَمّاً وأَسفاً .

• وكان[2] بشار بن بُردٍ يُسَمُّونه أَبا المُحْدَثين ، ويُسَلِّمون إِليه في الفضيلة والسَّبْقِ ، وبعضُ أَهل اللُّغة يستشهدُ بشعره ، ومع ذلك قال[3] : [من الرمل]

إِنَّمــا عَظْــمُ سُلَيْمَــى حِبَّتِــي قصَــبُ السُّكَّــر لا عَظْــمُ الجَمَــلْ
وإِذا أَدْنَيْــتَ مِنْهــا بَصَــلاً غلَـبَ المِسْـكُ عَلـى رِيْـحِ البَصَـلْ

هذا مع قوله[4] : [من الوافر]

إِذا قــامَــتْ لِمِشْيَتِهــا تَثَنَّــتْ كــأَنَّ عِظَــامَهــا مِــن خَيْــزُرانِ

ومع قوله في الفَخْر[5] : [من الطويل]

كــأَنَّ مُثــارَ النَّقْــعِ فَــوْقَ رُؤُوسِنــا وأَسْيــافَنــا لَيْــلٌ تَهــاوَى كَــواكِبُــهْ

---

(١) ديوان أبي العتاهية (٥٧٧) .
(٢) التذكرة الحمدونية (٧/ ٣٠١) .
(٣) ديوانه (٤/ ١٥٠ ـ ١٥١) .
(٤) ديوانه (٤/ ٢٢٠) .
(٥) ديوانه (١/ ٣٣٥) .

ومع قوله أَيضاً[1] : [من الطويل]

إِذا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِراراً على القَذَى ... ظمِئْتَ وأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُه

• وأبو الطَّيِّب المُتَنَبِّي في فضله المشهور ، وأَخْذِهِ بِزمام الكلام ، وقُوَّتِهِ على رقائِق المعاني، وعلى ما في شِعره من الحِكَم والأَمثال السَّائرة يقول[2] : [من البسيط]

وضَاقَتْ الأَرْضُ حتَّى صارَ هارِبُهُم ... إذا رأى غَيْـرَ شَـيءٍ ظَنَّـهُ رَجُـلا

وغيرُ شيءٍ معناه : المعدوم ، والمعدومُ لا يُرى ، فهذا سَقْطٌ فاحِشٌ .

• وممّا يُستهجَن من قَوله وتكادُ أَن تَمُجَّهُ الأَسماع قوله[3] : [من الطويل]

تَقَلْقَلْتُ بالهَمِّ الَّذي قَلْقَلَ الحَشا ... قَـلاقِـلُ عَيْـشٍ كُلُّهُـنَّ قَـلاقِـلُ

وقوله ـ وقد جَمَعَ بين قُبْحِ اللَّفْظِ وَبُرودةِ المعنى ـ[4] : [من الكامل]

إِنْ كـانَ مِثْلُـكَ كـانَ أَو هُـوَ كـائِنٌ ... فَبَـرِئْـتُ حِيْنَئِـذٍ مِـنَ الإِسْـلامِ

• ومن مَعانيه المسروقَة قولُه[5] : [من الوافر]

وَنَهْـبِ نُفُـوسِ أَهْـلِ النَّهْـبِ أَولـى ... بـأَهْـلِ المَجْـدِ مِـنْ نَهْـبِ القمـاشِ

أَخذه من قول أَبي تمّام[6] : [من البسيط]

إِنَّ الأُسُـودَ أُسُـودَ الغـابِ هِمَّتُهـا ... يومَ الكَريهَةِ في المَسْلوبِ لا السَّلَبِ

• قال أَبو عبد الله الزُّبَيْريّ[7] : اجتمعَ راويةُ جَرير ، وراويةُ كُثَيِّرٍ ، وراويةُ

---

(١) ديوانه (١/ ٣٢٦) .
(٢) ديوانه (٣/ ١٦٨) . والكلام منقول عن التذكرة الحمدونية (٧/ ٣١٠) وما بعد .
(٣) ديوانه (٣/ ١٧٥) .
(٤) ديوانه (٤/ ١١) .
(٥) ديوانه (٢/ ٢١٠) .
(٦) ديوانه (١/ ٧١) .
(٧) الأغاني (١٦/ ١٦٤)، والموشح (٢٥٢) والتذكرة الحمدونية (٧/ ٢٩٠) .

جَميلٍ ، وراويةُ الأَحوص ، وراويةُ نُصَيْبٍ ، فافتخَرَ كُلٌّ منهم وقال : صاحبي أَشعرُ ؛ فحكَّموا السَّيِّدة سُكَيْنَة بِنت الحسين رضي الله تعالى عنهما بينهم لِعَقلها وتَبَصُّرها بالشِّعر ، فخرجوا حتَّى استأذنوا عليها ، وذكروا لها أَمرهم ؛ فقالت لِراوية جرير : أَليس صاحبُك الَّذي يقول[1] : [من الكامل]

طَرَقَتْكَ صائِدةُ القُلوبِ وَلَيْسَ ذا وقْتَ الزِّيارَةِ فارْجِعي بِسَلامِ

وأَيُّ ساعةٍ أَحلى من الزِّيارة بالطُّروق! قَبَّح الله صاحبَك وقبَّح شِعره ؛ فهلاّ قال : فادْخُلي بِسَلام .

ثم قالت لِراوية كُثَيِّر : أَليس صاحبُك الَّذي يقولُ[2] : [من الطويل]

يَقَرُّ بِعَيْنِي ما يَقَرُّ بِعَيْنِهَا وأَحْسَنُ شَيْءٍ ما بِهِ العَيْنُ قَرَّتِ

وليس شيءٌ أَقَرَّ بعينها من النِّكاح ، أَيُحبُّ صاحبك أَن يُنْكَحَ؟ قَبَّح الله صاحبك وقبَّح شِعره .

ثم قالت لِراوية جَميل : أَليس صاحبُك الَّذي يقول[3] : [من الطويل]

فَلَو تَرَكْتَ عَقْلي مَعي ما طَلَبْتُها ولَكِنْ طِلابِيْها لِمَا فاتَ مِن عَقْلي

فما أَراه هَوى ، وإِنَّما طلبَ عَقْله ؛ قبَّح الله صاحبَك وقبَّح شِعره .

ثم قالت لراوية نُصَيْب : أَليس صاحبُك الَّذي يقول[4] : [من الطويل]

أَهيمُ بِدَعْدٍ ما حَييتُ فإِنْ أَمُتْ فوا حَزَني مَن ذا يَهيم بها بَعْدِي

فما له هِمَّة إلاَّ مَن يَتَعَشَّقُها بعده؟ قبَّحه الله وقبَّح شِعره ، هلاّ قال :

أَهيمُ بِدَعْدٍ ما حَيِيتُ فإِنْ أَمُتْ فلا صَلُحَتْ دَعْدٌ لذِي خُلَّةٍ بَعْدِي

---

(١) ديوانه (٢/ ٩٩٠) .
(٢) ديوانه (١٠٧) .
(٣) ديوانه (١٧٦) .
(٤) ديوانه (٨٤)، وانظر نقد عبد الملك بن مروان في عيون الأخبار (٤/ ١٤٦) .

ثم قالت لراوية الأَحْوَص: أَليس صاحبُك الَّذي يقول[1]: [من الكامل]

مِـن عـاشقَيْـن تَـواعَـدا وتَـراسَـلا ... لَيْـلاً إِذا نَجْـمُ الثُّـرَيَّـا حَلَّقـا
بـاتـا بـأَنْعَـمِ لَيْلَـةٍ وأَلَـذِّهـا ... حتَّـى إِذا وَضَـحَ الصَّبـاحُ تَفَـرَّقـا

قبَّحَه الله وقبَّحَ شِعره ؛ هلاَّ قال: تعانقا.

فلم تُثن على واحدٍ منهم، وأَحجم رُواتهم عن جوابها، رضي الله عنها.

● وروى ابن الكَلْبيِّ قال[2]: لمّا أَفْضَتِ الخلافةُ إِلى عُمر بن عبد العزيز، وَفَدَت إِليه الشُّعراء كما كانت تَفِدُ على الخُلفاءِ من قبله، فأَقاموا ببابه أَيّاماً لا يُؤْذَن لهم في الدُّخول، حتّى قدم عَدِيُّ بن أَرطاة[3] عليه، وكان منه بمكانة ؛ فتعرض له جرير وقال[4]: [من البسيط]

يـا أَيُّهـا الـرَّجُـلُ المُـزجـي مَطِيَّتَـهُ ... هـذا زَمـانُـكَ إِنِّـي قـد خَـلا زمَنـي[5]
أَبْلِـغْ خَليفَتَنـا إِنْ كُنْـتَ لاقِيَـهُ ... أَنِّي لَدى البابِ كالمَشْدودِ في قَرَنِ
لا تَنْـسَ حـاجَتَنـا لاقَيْـتَ مَغْفِـرَةً ... قد طالَ مُكْثِيَ عن أَهلي وَعَن وَطَني

فقال: نعم يا أَبا حَزْرَةَ[6] ؛ فلما دخلَ على عُمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال: يا أَمير المؤمنين، الشُّعراء ببابِكَ، وأَلْسِنَتُهُم مَسمومةٌ، وسهامُهم صائبةٌ ؛ فقال عمر رضي الله عنه: مالي وللشُّعراء؟ فقال: يا أَميرَ المؤمنين، إِنَّ رسول الله ﷺ مُدِحَ فأَعْطى، وفيه أُسوةٌ لِكُلِّ مُسلمٍ ؛ قال: صَدقت، فمَن بالباب منهم؟ قال: ابنُ عمِّك عمرُ بن أَبي ربيعة القرشي ؛ قال: لا قرَّبَ الله

---

(١) ديوانه (١٦٢).
(٢) مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٤٥ـ٤٨).
(٣) كذا في مختصر تاريخ دمشق، وفي الأغاني (٨/ ٤٧) وديوان جرير: حتى قدم عون بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود.
(٤) ديوانه (٢/ ٥٧٠) و(٧٣٨).
(٥) في الديوان: . . المرخي عمامته × .
(٦) في الأصول: يا أبا عبد الله!.

قَرابته ، ولا حَيّا وَجْهَه ، أَليس هو القائل[1] : [من الطويل]

أَلا لَيْتَنـي فـي يـومِ تَـدْنُـو مَنِيَّتـي ... شمَمْتُ الَّذي ما بَيْنَ عَيْنَيْكِ والفَمِ
وَلَيْـتَ طَهُـوري كـانَ رِيقَـكِ كُلَّـهُ ... ولَيْتَ حَنوطي من مُشاشِكِ والدَّمِ
ويا لَيْتَ سَلْمى في القُبورِ ضَجيعَتِي ... هنـالِـكَ أَو فـي جَنَّـةٍ أَو جَهَنَّـمِ

فليته ـ عدوَّ الله ـ تمنَّى لقاءَها في الدُّنيا ، ثم يعمل عَمَلاً صالحاً ؛ والله لا يدخلُ عليَّ أَبداً .

فمن بالباب غيره ممَّن ذكرت؟ قال : جَميل بن مَعْمَر العُذْرِيِّ ؛ قال : أَليس هو القائل[2] : [من الطويل]

أَلا لَيْتَنـا نَحْيـا جَميعـاً فـإِنْ نَمُـتْ ... يوافي لَدى المَوْتَى ضَريحي ضَريحُها
فَمـا أَنـا فـي طُـولِ الحيـاةِ بِـراغـبٍ ... إذا قيـلَ قـد سُـوِّي عليهـا صَفيحُهـا
أَظَـلُّ نَهـاري لا أَراهـا وتَلتقـي ... معَ اللَّيْلِ رُوحي في المنامِ وروحُها

والله لا يدخلُ عليَّ أَبداً ؛ فمَن بالباب غيره ممَّن ذكرتَ؟ قال : كُثَيِّر عَزَّة ؛ قال : أَليس هو القائل[3] : [من الكامل]

رُهْبـانُ مَـدْيَـنَ وا لَّـذيـنَ عَهِـدْتُهُـم ... يبْكُـون مِـن حَـذَرِ الفِـراقِ قُعـودا
لَـو يَسْمَعُـون كمـا سَمِعْـتُ حَديثَهـا ... خَـرُّوا لِعَـزَّةَ رُكَّعـاً وَسُجُـودا

أَبْعَدَهُ الله ، فوالله لايدخلُ عليَّ أَبداً؛ فمَن بالباب غيرُه ممَّن ذكرت؟ قال : الأَحوَصُ الأَنصاريّ ؛ قال : أَبعده اللهُ ، والله لايدخلُ عليَّ أَبداً : أَليس هو القائل ، وقد أَفسد على رجلٍ من أَهل المدينة جاريَتَه حتّى هرب بها منه[4] : [من المنسرح]

---

(١) ديوانه (٥٠١) .
(٢) ديوانه (٥١) .
(٣) ديوانه (٤٤١ـ٤٤٢) .
(٤) ديوانه (١٤٤) برواية :
اللهُ بينـي وبيـن قَيِّمهـا ... يَفِـرُّ عَنِّـي بهـا وأَتْبَـعُ

اللهُ بَينـــي وبَيْـــنَ سَيِّـــدِهـــا يفِـــرُّ مِنِّـــي بِهـــا وَأَتْبَعُـــهُ

فَمَن بالباب غيرُه ممَّن ذكرت؟ قال: هَمّام بن غالب، الفرزدق؛ قال: أَليس هو القائل يفتخرُ بالزِّنا في قوله[1]: [من الطويل]

هُمـا دَلَّتـانـي مـن ثَمـانيـنَ قـامـةً كما أنقضَّ بازٍ لَيِّنُ الرِّيشِ كاسِرُهُ

فَلَمَّا أسْتَوَتْ رِجْلايَ في الأَرْضِ قالتا أَحَـيٌّ فَيُـرْجـى أم قَتيـلٌ نحـاذِرُهْ

فَقُلْتُ: ارفَعوا الأَجراسَ لايَفْطَنوا بِنا ووَلَّيْـتُ فـي أَعقـابِ لَيْـلٍ أُبـادِرُهْ

والله لا دخلَ عليَّ أبداً؛ فمَن بالباب غيرُه ممّن ذكرتَ؟ قال: الأَخْطَلُ التَّغْلبيُّ؛ قال: أَليس هو القائل[2]: [من الوافر]

وَلَسْـتُ بِصـائِـمٍ رَمَضـان عُمْـري ولَسْـتُ بـآكِـلٍ لَحْـمَ الأَضـاحـي

وَلَسْـتُ بـزاجِـرٍ عَيْسـاً بُكُـوراً إلـى أَطـلالِ مكَّـةَ بـالنَّجـاحِ

وَلَسْتُ بِقـائِـمٍ كـالعَبْـدِ يَـدْعُـو قبَيْـلَ الصُّبْـح حَـيَّ علـى الفَـلاح[3]

ولكنِّـي سـأَشْـرَبُهـا شمـولاً وأَسْجُـدُ عِنْـدَ مُنْبَلَـجِ الصَّبـاح

أَبعده الله عنِّي، فوالله لا دخلَ عليَّ أبداً، ولا وطىء لي بِساطاً، وهو كافرٌ؛ فَمَن بالباب غيره من الشُّعراء ممَّن ذكرتَ؟ قال: جرير؛ قال: أَليس هو القائل[4]: [من الكامل]

طَرَقَتْكَ صائِدَةُ القُلوبِ وَلَيْسَ ذا وقْـتَ الـزِّيـارَةِ فـارْجِعـي بِسَـلامِ

فإن كان ولا بُدَّ فهذا؛ فأذن له.

قال عديّ بن أَرطاة: فخرجتُ، فقلت: أدخلْ يا جَرير؛ فدخل وهو يقول[5]: [من الكامل]

---

(١) ديوانه (١/ ٢١٢).
(٢) ديوانه (٢/ ٧٥٥).
(٣) في الديوان: ولست بقائمٍ كالعيرِ يدعو ×.
(٤) ديوانه (٢/ ٩٩٠).
(٥) ديوانه (٢/ ٧٣٧) وليس فيه الثاني، وهو في تاريخ الخلفاء (٢٨٤)

إِنَّ الَّـــذي بَعَـــثَ النَّبِـــيَّ مُحَمَّـــداً جعَـلَ الخِـلافَـةَ فِـي الإمـامِ العـادِلِ
وَسِـعَ الخَـلائِـقَ عَـدْلُـهُ وَوَقـارُهُ حتَّـى ٱرْعَـوَوا وأَقـامَ مَيْـلَ المـائِـلِ
إِنِّـي لأَرْجُـو مِنْـهُ نَفْعـاً عـاجِـلاً والنَّفْـسُ مُـولَعَـةٌ بِحُـبِّ العَـاجِـلِ
واللهُ أَنْـزَلَ فـي الكِتـابِ فَـريضَـةً لابْـنِ السَّبيـلِ وَللفَقيـرِ العـائِـلِ

فلمّا مَثَل بين يديه قال: يا جريرُ، ٱتَّقِ الله ولا تَقُلْ إلاَّ حقّاً؛ فأنشأ يقولُ[1]:

[من البسيط]

كَـمْ بـاليَمَـامَـةِ مِـنْ شَعْثـاءَ أَرْمَلَـةٍ ومِنْ يَتيمٍ ضعيفِ الصَّوْتِ والنَّظَرِ
مِمَّـن بِعَـدْلِـكَ يُكْفـىٰ فَقْـدَ والـدِهِ كالفَرْخِ في العُشِّ لم يَدْرُجْ وَلم يَطِرِ
أَأَذْكُرُ الجَهْدَ والبَلوى الَّتي نَزَلَتْ أَمْ قد كَفانِيَ ما بُلِّغْتَ مِنْ خَبَرِي
إِنَّـا لَنَـرجـو إِذا مـا الغَيْـثُ أَخْلَفَنـا مـن الخليفَـةِ مـا نَـرجـو مِـنَ المَطَـرِ
إِنَّ الخِـلافَـةَ جـاءَتْـهُ علـى قَـدَرٍ كمـا أَتَـى رَبَّـهُ مُـوسَـى علـى قَـدَرِ
هَذي الأَرامِلُ قد قَضَّيْتَ حاجَتَها فمَـن لِحـاجَـةِ هـذا الأَرْمَـلِ الـذَّكَـرِ
الخَيْـرُ مـا زِلْـتَ حَيّـاً لا يُفـارِقُنـا بورِكْتَ يا عُمَرَ الخيراتِ من عُمَرِ

فقال: واللهِ يا جريرُ، لقد وافيتُ الأَمر، ولا أَملك إلا ثلاثينَ ديناراً؛ فعشرة أَخذها عبد الله ابني، وعشرةٌ أَخَذَتْها أُمُّ عبد الله؛ ثم قال لخادمه: ادفع إليه العشرة الثّالثة؛ فقال: والله يا أَمير المؤمنين، إِنَّها لأَحبُّ مالٍ اكتسبتُه؛ ثم خرج فقال له الشُّعراء: ما وراءَك يا جرير؟ فقال: ورائي ما يَسوؤكم، خرجتُ من عند أَميرٍ يُعطي الفُقَراء ويمنعُ الشُّعراء، وإِنّني عنه لراضٍ؛ ثم أَنشأ يقول[2]: [من الطويل]

رَأَيْـتُ رُقـى الشَّيطـان لا تَسْتَفِـزُّه وَقد كان شَيطاني من الجِنِّ راقِيا[3]

---

(١) ديوانه (١/ ٤١٤_٤١٥) عدا الأخيرين، وهما ثابتان في رواية الأغاني (٨/ ٤٧).
(٢) ديوانه (٢/ ١٤٣).
(٣) في الأصول: رأيت رقى الجن . . . ×!.

ومِمّا جاء في كَبَوات الجياد وهفوات الأَمجاد

- قال الأَحنف[1]: الشَّريف مَن عُدَّت سَقَطاته ، وقَلَّت عَثَراته .
- وقالوا[1]: كُلُّ صارم يَنْبو ، وكُلُّ جَوادٍ يَكْبو .
- وكانَ[2] الأَحنفُ بنُ قيسٍ حليماً سيِّداً يُضربُ به المَثَل ، وقد عُدَّت له سَقْطةٌ ، وهو أَن عَمرو بن الأَهتم دسَّ إِليه رجلاً يُسَفِّهُهُ فقال: يا أَبا بَحْرٍ ، ما كان أَبوك في قَومه؟ قال: كان أَوسَطَهم وَسَيِّدَهم ، ولم يتخلَّف عنهم ؛ فرجع إِليه ثانياً ، فَفَطن أَنَّه من قِبَل عمرو بن الأَهتم ، فقال: ما كان أَبوك؟ قال: كانت له فُتُوَّةٌ وَمُروءَةٌ ، ومكارمُ أَخلاق ، ولم يكن أَهتم سَلّاحاً .
- وقال سعيد بن المُسيِّب[3]: ما فاتني الأَذان في مَسجد رسول الله ﷺ منذ أَربعين سنة ، ثم قام يُريد الصَّلاة فوجَد النَّاس قد خَرجوا من المسجد .
- وقال قتادة[3]: ما نَسيتُ شيئاً قطّ ؛ ثم قال: يا غُلام ناوِلْني نَعلي . قال: النَّعلُ في رجلك .
- وكان[4] هشام بن عبد الملك من رجال بني أُمَيَّة وَدُهاتِهم ، وقد عُدَّت له سَقَطات ، منها: أَن الحادي حَدا به يوماً فقال: [من الرجز]

إِنِّـي عَلَيْـكَ أَيُّهـا البَخْتِـيُّ ... أَكْـرَمُ مَـن يَمشـي بـه المَطِـيُّ

فقال هشام: صَدقت .

وذُكر[4] عنده سُليمان أَخوه ، فقال: والله لأَشكونَّه يوم القيامة إِلى أَمير المؤمنين عبد الملك .

---

(١) التذكرة الحمدونية (٧/ ٢٦٤) ونثر الدر (٥/ ٥٤) .
(٢) التذكرة الحمدونية (٧/ ٢٦٤) ونثر الدر (٥/ ٦١) .
(٣) التذكرة الحمدونية (٧/ ٢٦٧) .
(٤) التذكرة الحمدونية (٧/ ٢٦٩) .

ولما[1] ولي الخلافة قال: الحمدُ لله الذي أَنقذني من النّار بهذا المقامِ .

• قال النَّابغة[2]: أَيُّ الرِّجال المهذَّب .

وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد ، وعلى آله وصحبه وسلَّم .

* * *

(١) التذكرة الحمدونية (٧/ ٢٦٩) .

(٢) ديوانه (٧٨) وتمام البيت:

فلســتَ بمستبــقٍ أَخــاً لا تَلُمُّــهُ ... على شَعَثٍ، أَيُّ الرِّجال المُهَذَّبُ

الباب العاشر
في التَّوكُّل على الله تعالى
والرضا بما قَسم
والقَناعة وذمِّ الحِرص والطَّمع
وما أشبه ذلك
وفيه فصول

الفصل الأوَّل
في التَّوَكُّل على الله تعالى

- قال الله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٢٥/ ٥٨] .
- وقال تعالى: ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٨/ ٢] .
- وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق: ٦٥/ ٣] .
- وعن[١] أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: « يدخلُ الجنَّة أقوامٌ أَفئدتُهم مثل أَفئدة الطَّير » . رواه مسلم .

قيل: معناه مُتَوَكِّلون، وقيل: قُلوبهم رَقيقة .

- وعن[٢] البَراء بن عازب رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: « لَو توكَّلْتُم

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢١٨٣) رقم (٢٨٤٠) .
(٢) سنن ابن ماجة (٢/ ١٣٩٤) رقم (٤١٦٤) وربيع الأبرار (٥/ ٣٨٧) .

على الله حقَّ توكُّلِه لرَزَقَكُم كما يَرزقُ الطَّير تَغْدو خِماصاً وَتَعودُ بِطاناً » .

• وأَوحى الله إِلى داود عليه السَّلام: يا داودُ ، مَن دعاني أَجبتُه ، ومَنِ استغاثني أَغثته ، ومَن استنصرني نَصرتُه ، ومَن توكَّلَ عليَّ كفيتُه ، فأَنا كافي المتوكِّلين ، وناصرُ المستنصرين ، وغياثُ المستغيثين ، ومُجيب الدّاعين .

• وحُكِيَ أَنَّه كان في زمن هٰرون الرَّشيد قد حصل للنَّاس غلاءُ سعرٍ ، وضيقُ حالٍ ، حتَّى اشتدَّ الكَرْبُ على النّاس اشتداداً عظيماً ، فأَمر الخليفةُ هٰرون الرَّشيد النَّاس بكثرة الدُّعاء والبكاءِ ، وأَمَر بكسرِ آلاتِ الطَّرب ؛ ففي بعض الأَيَّام رُؤي عبدٌ يصفِّقُ ويَرقُص ويُغنِّي ، فحُمل إِلى الخليفة هٰرون الرَّشيد ، فسأَله عن فِعله ذلك من دون النَّاس ، فقال: إِنَّ سيِّدي عنده خِزانة بُرٍّ ، وأَنا متوكِّل عليه أن يُطعمني منها ، فلهذا أَنا إِذاً لا أُبالي ، فأَنا أَرقصُ وأَفرح ؛ فعند ذلك قال الخليفة: إِذا كان هذا قد توكَّل على مَخلوقٍ مثله ، فالتَّوكُّل على الله أَولى ؛ فسلَّم للنّاس أَحوالهم ، وأَمرهم بالتَّوكُّل على الله تعالى .

• وحُكي أَنَّ حاتماً الأَصَمَّ[1] كان رجلاً كثير العيال ، وكان له أَولادٌ ذكورٌ وإِناث ، ولم يكن يملك حبَّةً واحدةً ، وكان قَدَمُهُ التَّوكُّل ؛ فجلس ذاتَ ليلةٍ مع أَصحابه يتحدَّث معهم ، فتعرَّضوا لِذِكر الحجِّ ، فداخلَ الشَّوقُ قلبَه ، ثم دخلَ على أَولاده ، فجلسَ معهم يحدِّثهم ، ثم قال لهم: لو أَذنتم لأَبيكم أَن يذهبَ إِلى بيتِ ربِّه في هذا العام حاجّاً ، ويدعوَ لكم ، ماذا عليكم لو فعلتم؟ فقالت زوجته وأَولاده: أَنت على هذه الحالة لا تملكُ شيئاً ، ونحن على ما ترى من الفاقة ، فكيف تُريد ذلك ونحن بهذه الحالة؟ وكان له ابنةٌ صغيرةٌ فقالت: ماذا عليكم لو أَذنتم له ، ولا يهمُّكم ذلك؟ دَعوه يذهبْ حيثُ شاء ، فإِنَّهُ مناوَلٌ للرِّزق ، وليس برزّاق ، فذكَّرَتْهم ذلك ؛ فقالوا: صدقَتْ واللهِ هذهِ الصَّغيرةُ ، يا أَبانا انطلق حيثُ أَحببتَ ؛ فقام من وقته وساعته وأَحرم بالحجِّ ،

---

(١) ستأتي ترجمته في الباب الثلاثين من هذا الكتاب .

وخرج مُسافراً ، وأَصبح أَهلُ بيته يدخلُ عليهم جيرانهم يُوَبِّخونهم كيف أَذنوا له بالحجِّ ، وتأَسَّف على فراقه أَصحابُهُ وجيرانُهُ ، فجعل أَولادُهُ يلومون تلك الصَّغيرة ويقولون: لو سكتِّ ما تكلَّمْنا ، فرفعت الصَّغيرةُ طَرْفها إِلى السَّماء ، وقالت: إِلهي وسيِّدي ومَولاي ، عوَّدْتَ القومَ بفضلك وأَنَّك لا تُضَيِّعُهُم فلا تُخَيِّبْهم ، ولا تُخجلني معهم ؛ فبينما هم على هذه الحالة إِذ خرج أَمير البلدة مُتصيِّداً ، فانقطع عن عسكره وأَصحابه ، فحصل له عطشٌ شديدٌ ، فاجتاز ببيت الرَّجل الصَّالح حاتم الأَصمِّ ، فاستسقى منهم ماءً ، وقرعَ الباب فقالوا: مَن أَنت؟ قال: الأَميرُ ببابكم يستسقيكم ؛ فرفعت زوجةُ حاتم رأسها إِلى السَّماء وقالت: إِلهي وسيِّدي ، سُبحانك ، البارحةَ بِتْنا جِياعاً ، واليومَ يقفُ الأَميرُ على بابنا يستسقينا! ثم إِنَّها أَخذت كوزاً جديداً وملأَته ماءً ، وقالت للمتناوِل منها: اعذُرونا ؛ فأَخذ الأَمير الكوزَ وشرب منه ، فاستطابَ الشُّرب من ذلك الماء فقال: هذه الدَّار لأَميرٍ؟ فقالوا: لا والله بل لعبدٍ من عبادِ الله الصَّالحين ، يُعرف بحاتم الأَصمّ . فقال الأَمير: لقد سمعتُ به ؛ فقال الوزير: يا سيِّدي لقد سمعتُ أَنّه البارحةَ أَحرمَ بالحجِّ وسافر ولم يخلِّف لعياله شيئاً ، وأُخبرتُ أَنّهم البارحةَ باتوا جياعاً ؛ فقال الأَمير: ونحنُ أَيضاً قد ثَقَّلنا عليهم اليوم ، وليس من المروءة أَن يُثقلَ مثلنا على مثلهم ؛ ثم حلَّ الأَميرُ مِنْطَقَتَهُ من وَسَطه ورمى بها في الدَّار ، ثم قال لأَصحابه: مَن أَحبّني ، فَلْيُلْقِ مِنطقته ؛ فحلَّ جميع أَصحابه مَناطقهم ورَموا بها إِليهم ، ثم انصرفوا ؛ فقال الوزير: السَّلامُ عليكم أَهل البيت ، لآتينَّكم السَّاعة بثمن هذه المناطق ؛ فلمّا أَنزلَ الأَميرَ رجعَ إِليهم الوزير ، ودفعَ إِليهم ثمن المناطق مالاً جزيلاً واستردَّها منهم ، فلمّا رأَت الصَّبيَّة الصَّغيرة ذلك بكت بكاءً شديداً ، فقالوا لها: ما هذا البُكاء؟ إِنَّما يجب أَن تَفرحي ، فإِنَّ الله قد وسَّع علينا ، فقالت: يا أُمُّ ، والله إِنَّما بُكائي كيف بِتنا البارحة جياعاً ، فنظر إِلينا مخلوقٌ نَظْرَةً واحدةً ، فأَغنانا بعد فَقْرنا ، فالكريمُ الخالقُ إِذا نظر إِلينا لا يَكِلُنا إِلى أَحد طَرْفةَ عَيْنٍ ؛ اللهمَّ انظرْ إِلى أَبينا ، ودَبِّره

بأَحسن التَّدبير ؛ هذا ما كان من أَمرهم .

وأَمَّا ما كان من أَمر حاتم أَبيهم ، فإِنَّه لمّا خرج مُحرِماً ولحق بالقوم توجَّع أَميرُ الرَّكب ، فطلبوا له طبيباً ، فلم يجدوا ، فقال: هل من عبدٍ صالح؟ فَدُلَّ على حاتم ، فلمَّا دخل عليه وكلَّمه ، دعا له ، فَعُوفي الأَمير من وقته ، فأَمر له بما يَركب ، وما يأكلُ ، وما يشربُ ، فنام تلك اللَّيلة مُفكِّراً في أَمر عياله ، فقيل له في منامه: يا حاتم ، مَن أَصلح مُعاملته معنا أَصلحنا معاملتنا معه ؛ ثم أُخبر بما كان من أَمر عياله ، فأكثر الثَّناء على الله تعالى ؛ فلمّا قضى حِجَّه ورجَع تلقَّته أَولاده ، فعانق الصَّبيَّة الصَّغيرة وبكىٰ ثم قال: صِغارُ قومٍ كبارُ قومٍ آخرين ؛ إِنَّ الله لا ينظرُ إِلى أكبركم ولكن ينظرُ إِلى أَعرفِكم به ، فعليكم بمعرفته والاتّكال عليه ، فإِنَّه مَن توكَّل على الله فهو حَسْبُهُ .

- ومن كلام الحُكماء: مَن أَيقن أَنَّ الرِّزق الَّذي قُسِم له لا يفوتُه تعجَّل الرّاحة .

ومَن علمَ أَنّ الذي قُضيَ لم يكن لِيخْطئه فقد استراح من الجَزَع .

ومن علم أَنَّ مولاه خيرٌ له من العبادة ، فقصدَه ، كفاه همَّه وجمعَ شملَه .

- وفي الحديث[1] : عن ابن عباسٍ رضي الله تعالى عنهما قال : كنتُ عند النَّبيِّ ﷺ يوماً فقال : « يا غُلام ، إِنّي أُعَلِّمُكَ كلماتٍ : احفظِ الله يحفظْك ، احفظ الله تجدْه تجاهَك ، إِذا سأَلتَ فاسأل الله ، وإِذا استعنتَ فاستعنْ بالله ، واعلمْ أَنَّ الأُمَّة لو اجتمعت على أَن تنفعك بشيءٍ لم ينفعوك إِلاّ بشيءٍ قد كتبه الله لكَ ، ولو اجتمعت على أَن تضرَّك بشيءٍ لم يضرُّوك إِلاّ بشيءٍ قد كتبه الله عليك ؛ رُفِعَتِ الأَقلامُ وَجَفَّت الصُّحُفُ » .

- ورُفع[2] إِلى الرَّشيد أَنَّ بدمشق رجلاً من بني أُميَّة ، عظيمَ المالِ والجاهِ ،

---

(١) سنن الترمذي (٤/ ٥٧٦) رقم(٢٥١٦) .

(٢) الفرج بعد الشدة (٢/ ٣٤) وثمرات الأوراق (٤٥٤) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٥٥) وأنس المسجون (١٥٧) .

كثيرَ الخيلِ والجُند ، يُخشى على المملكة منه ، وكان الرشيدُ يومئذٍ بالكوفة ، قال منارةُ خادمُ الرَّشيد : فاستدعاني الرَّشيدُ وقال : اركب السَّاعة إلى دمشق وخُذ معك مِئة غلامٍ وائتني بفلان الأُمَوِيّ ، وهذا كتابي إلى العامل لا تُوصله له إلاّ إذا امتنعَ عليك ، فإذا أجابَ فقيِّدهُ وعادِله بعد أن تُحصيَ جميع ما تراه وما يتكلَّم به ، واذكر لي حالَه ومآلَه ، وقد أجَّلتُك لذهابِكَ سِتّاً ، ولِمَجيئك سِتّاً ، ولإقامتك يوماً ، أفهمتَ؟ قال : نعم . قال : فَسِرْ على بركة الله .

فخرجتُ أطوي المنازل ليلاً ونهاراً لا أنزلُ إلاّ لِلصَّلاة أو لقضاءِ حاجةٍ ، حتّى وصلتُ ليلة السّابع بابَ دمشق ، فلمّا فُتح البابُ دخلتُ قاصداً نحو دار الأُمَوِيِّ ، فإذا هي دارٌ عظيمةٌ هائلةٌ ، ونعمةٌ طائلةٌ ، وخدمٌ وحشمٌ ، وهيبةٌ ظاهرةٌ ، وحِشمةٌ وافرةٌ ، ومَصاطبُ مُتَّسعةٌ ، وغِلمانٌ فيها جلوسٌ ؛ فهجمتُ على الدّار بغير إذنٍ ، فبُهتوا وسألوا عنّي ، فقيل لهم : إنَّ هذا رسولُ أمير المؤمنين ؛ فلمّا صِرْتُ في وسطِ الدّار رأيتُ أقواماً مُحتشمين ، فظننتُ أنَّ المطلوبَ فيهم ، فسألتُ عنه ، فقيل لي : هو في الحمّام ، فأكرموني ، وأجلسوني ، وأمروا بمن معي ومَن صَحبني إلى مكان آخر ، وأنا أنتقدُ الدّار ، وأتأمَّل الأحوال ، حتّى أقبل الرَّجلُ من الحمّام ومعه جماعةٌ كثيرة من كهولٍ وشُبّانٍ وَحَفَدَةٍ وغِلمان ، فسلَّم عليَّ وسألني عن أمير المؤمنين ، فأخبرتُه وأنَّه بعافيةٍ ، فحمدَ الله تعالى ، ثم أُحضرت له أطباقُ الفاكهة ، فقال : تَقَدَّم يا منارة ، كُلْ مَعنا ، فتألَّمْتُ كثيراً إذ لم يُكَنِّني ؛ فقلت : ما آكلُ ، فلم يعاودني ؛ ورأيْتُ ما لم أره إلاّ في دار الخلافة ؛ ثم قُدِّمَ الطَّعام ، فوالله ما رأيتُ أحسن تَرتيباً ، ولا أعطر رائحةً ، ولا أكثر آنيةً منه ، فقال : تقدَّم يا منارة فكُلْ . قلت : ليس لي به حاجةٌ ، فلم يعاودني ، ونظرتُ إلى أصحابي فلم أجد أحداً منهم عندي ، فَجَزَعْتُ لكثرةِ حَفَدَته ، وعدم مَن عِندي ، فلمّا غسلَ يديه أُحضرَ له البخورُ فتبخَّر ، ثم قام فصلَّى الظُّهر ، فأتَمَّ الرُّكوعَ والسُّجودَ ، وأكثرَ من الرُّكوع بعدَها ، فلمّا فرغ استقبلني وقال : ما أقدمَك

يا منارةُ؟ فناولتُه كتابَ أَمير المؤمنين ، فقبَّله ووضعه على رأسه ، ثم فضَّه وقرأَه ، فلمّا فرغَ من قراءته استدعى جميع بَنيه وخواصَّ أَصحابه وغِلمانه وسائرَ عياله ، فضاقت الدَّار بهم على سَعَتِها ، فطارَ عقلي ، وما شككتُ أنه يريدُ القبضَ عليَّ ، فقال : الطَّلاقُ يلزمُهُ والحجُّ والعِتْقُ والصَّدَقَة ، وسائرُ أَيمانِ البَيْعَة ، لا يجتمعُ منكم اثنانِ في مكانٍ واحدٍ حتَّى ينكشفَ أَمره ، ثم أَوصاهم على الحريم ، ثم استقبلني وقدَّم رِجْلَيْهِ وقال : هاتِ يا مَنارة قُيودك ، فدعوتُ الحدّاد فقيَّده ، وحُمل حتَّى وُضع في المحمل وركبتُ معه في المحمل ، وسِرنا ، فلمّا صِرْنا في ظاهرِ دمشق ابتدأَ يحدِّثُني بانبساطٍ ويقول : هذه الضَّيعةُ لي تغلُّ في كلِّ سنةٍ بكذا وكذا ، وهذا البستان لي وفيه من غرائب الأَشجار وطيِّب الثمار كذا وكذا ، وهذه المزارعُ يحصلُ لي منها كلَّ سنةٍ كذا وكذا ، فقلتُ : يا هذا ، أَلست تعلمُ أَنَّ أَمير المؤمنين أَهمَّه أَمرُك حتى أَنفذني خَلفك وهو بالكوفةِ ينتظرك ، وأَنت ذاهبٌ إِليه ما تدري ما تقدمُ عليه ، وقد أَخرجتُك من مَنزلك ومن بين اَهلك ونِعمتك وَحيداً فريداً ، وأَنت تحدِّثني حديثاً غيرَ مفيدٍ ولا نافعٍ لك ولا سأَلتُك عنه ، وكان شُغلك بنفسك أَولى بك؟ فقال : إِنّا لله وإِنّا إِليه راجعون ، لقد أَخطأَت فراستي فيك يا مَنارة ، ما ظننتُ أَنَّك عند الخليفةِ بهذه المكانة إِلاّ لوفور عَقلك ، فإِذا أَنت جاهلٌ عامِّيٌّ لا تصلحُ لمخاطبةِ الخلفاءِ ؛ أَمّا خروجي على ما ذكرت فإِنِّي على ثِقَةٍ من ربِّي الَّذي بيده ناصِيَتي وناصيةُ أَمير المؤمنين ، فهو لا يضرُّ ولا ينفعُ إِلاّ بمشيئةِ الله تعالى ، فإِن كان قد قُضيَ عليَّ بأَمرٍ فلا حيلةَ لي بدفعه ولا قُدرة لي على مَنعه ، وإِن لم يكن قد قُدِّرَ عليَّ بشيءٍ فلو اجتمع أَميرُ المؤمنين وسائرُ مَن على وَجْهِ الأَرض على أَن يَضُرُّوني لم يستطيعوا ذلك إِلاّ بإِذن الله تعالى ، وما لي ذَنْبٌ فأَخاف ، وإِنَّما هذا واشٍ وَشى عند أَمير المؤمنين بِبُهتان ، وأَميرُ المؤمنين كاملُ العقل ، فإِذا اطَّلع على بَراءتي فهو لا يستحلُّ مَضَرَّتي ، وعليَّ عهدُ الله لا كلَّمتُك بعدَها إِلاّ جَواباً ؛ ثم أَعرضَ عنِّي وأَقبل على التِّلاوة ، وما زال كذلك حتى وافينا الكوفة

بُكْرَةَ اليومِ الثّالث عَشَر ، وإِذا النُّجُبُ قد استقبلتنا من عند أَمير المؤمنين تكشفُ عن أَخبارنا .

فلمّا دخلتُ على الرَّشيد قَبّلت الأَرض ، فقال : هاتِ يا مَنارة ، أَخبرني من يوم خُروجك عنّي إِلى يوم قُدومك عليَّ ؛ فابتدأتُ أُحَدِّثُه بأُموري كلِّها مُفَصَّلةً والغَضبُ يظهرُ في وجهه ، فلمّا انتهيتُ إِلى جَمعه لأَولاده وغِلمانه ، وخواصِّه وضِيق الدَّار بهم ، وتفقُّدي لأَصحابي ، فلم أَجد منهم أَحداً اسودَّ وَجهه ، فلمّا ذكرتُ يَمينه عليهم تِلك الأَيمان المُغْلَظَة تهلَّل وَجهه ، فلمَّا قلتُ : إِنَّه قَدَّمَ رِجليه ، أَسْفَر وَجهه واستبشر ؛ فلمَّا أَخبرته بحديثي معه في ضِياعه وبَساتينه ، وما قلتُ له وما قال لي ، قال : هذا رجلٌ محسودٌ على نِعمته ، ومَكذوبٌ عليه ، وقد أَزعجناه وأَرْعبناه ، وشَوَّشْنا عليه وعلى أَولاده وأَهله ؛ أَخرجْ إِليه ، وانزعْ قُيوده ، وفُكَّه وأَدخله عليَّ مُكرماً ؛ ففعلتُ ، فلمّا دخل قَبَّل الأَرض ، فرحَّب به أَميرُ المؤمنين وأجلسه ، واعتذر إِليه ، فتكلَّم بكلام صَحيح ، فقال له أَمير المؤمنين : سَلْ حوائجك ، فقال : سُرْعَةَ رجوعي إِلى بلدي ، وجمعَ شملي بأَهلي وولدي ؛ قال : هذا كائنٌ ؛ فَسَل غيره؟ قال : عَدْلُ امَيرِ المؤمنين في عُمّاله ما أَحوجني إِلى سُؤَالٍ .

قال : فخلع عليه أَميرُ المؤمنين ، ثم قال : يا منارة ، اركبِ السَّاعة معه حتَّى تردَّه إِلى المكان الذي أَخذته منه ؛ قُمْ في حفظ الله وودائعه ورِعايته ، ولا تقطعْ أَخبارك عنّا وحوائجك .

فانظر حُسنَ توكُّله على خالِقه ، فإِنَّه مَن توكَّل عليه كَفاه ، ومَن دعاه لبّاه ، ومَن سأَله أَعطاه ما تمنّاه .

●ورُويَ أَنَّ هذه الكلمات وَجدها كعبُ الأَحبار مكتوبةً في التَّوراة فكتبها ، وهي : يا ابنَ آدم ، لا تخافَنَّ من ذي سُلطان ما دام سُلطاني باقياً ، وسُلطاني لا ينفدُ أَبداً .

يا ابنَ آدم ، لا تخشَ من ضيقِ الرِّزْقِ ما دامت خَزائني ملآنة ، وخَزائني لا تنفد أَبداً .

يا ابنَ آدم ، لا تأنَسْ بغيري ، وأنا لك ، فإن طلَبْتني وَجدتني ، وإِنْ أَنِسْتَ بغَيري فُتُّكَ وفاتَك الخيرُ كُلُّه .

يا ابنَ آدم ، خلقتُك لعبادتي ، فلا تلعبْ ، وقَسمتُ رِزْقَك فلا تَتعبْ ، وفي أَكثرَ منه فلا تطمعْ ، ومِن أَقَلَّ منه فلا تَجْزَعْ ، فإِنْ أَنت رضيتَ بما قسمتُه لكَ أَرحتُ قلبَك وبَدَنَك ، وكنتَ عندي محموداً ، وإِن لم ترض بما قَسمتُهُ لكَ ، فوَعِزَّتي وجَلالي لأُسَلِّطَن عليكَ الدُّنيا ، تركضُ فيها ركضَ الوحوش في البَرِّ ولا ينالُك منها إِلاّ ما قد قَسمتُه لك ، وكنتَ عندي مَذْموماً .

يا ابنَ آدم ، خلقتُ السَّمواتِ السَّبعَ والأرضينَ السَّبعَ ، ولم أَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ ، أَيُعييني رغيفٌ أَسوقُه لكَ من غير تعب؟ .

يا ابنَ آدم ، أَنا لك مُحبٌّ ، فَبِحَقِّي عليك كُنْ لي مُحِبّاً .

يا ابنَ آدم ، لا تُطالبني برزقِ غَدٍ ، كما لا أُطالبك بعملِ غَدٍ ، فإِنِّي لم أَنْسَ مَن عَصاني ، فكيف مَن أَطاعني ، وأَنا على كل شيءٍ قديرٌ ، وبكلِّ شيءٍ مُحيطٌ؟ .

• قال الشّاعر : [من الطويل]

وَمــا ثَــمَّ إِلاَّ اللهُ فــي كُــلِّ حــالَــةٍ ... فَـلا تَتَّكِـلْ يَـومـاً عَلـى غَيْـرِ لُطْفِـه

فَكَـمْ حـالَـةٍ تَـأْتـي وَيَكْـرَهُهـا الفَتـى ... وَخِيْـرَتُــهُ فيهــا عَلــى رُغْــمِ أَنْفِــهِ

• ولمؤلِّفه رحمه الله تعالى : [من الطويل]

تَوَكَّلْ على الرَّحْمن في الأَمْرِ كُلِّهِ ... فَمـا خـابَ حَقّـاً مَـن عَلَيـهِ تَـوَكَّـلا

وَكُــنْ واثِقـاً بـاللهِ واَصْبِـرْ لِحُكْمِـهِ ... تَفُـزْ بـالَّـذي تَـرْجُـوهُ منـهُ تَفَضُّـلا

الفصل الثّاني

في القناعة والرِّضا بِما قَسَمَ اللهُ تَعالى

• جاء[1] في تَفسيرِ قوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل : ١٦/ ٩٧] . أَنَّ المراد بها القناعة .

• وقال[1] ﷺ : « القناعةُ مالٌ لا ينفَذ » .

• وقيل[2] : يا رسول الله ، ما القناعَةُ؟ قال : « اليأسُ ممَّا في أَيدي النّاس ، وإِيَّاكم ، والطَّمَعَ فإِنه الفقرُ الحاضرُ » .

• وكان[3] سيِّدنا عُمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه من القَناعة بالجانب الأَوفر ، وأَنَّه كان يَشتهي الشَّيءَ فَيُدافعه سنةً .

• قال الكِنديُّ[4] : [من الرجز]

العَبْــدُ حُــرٌّ مــاقَنِــعْ والحُــرُّ عَبْــدٌ مــا طَمِــعْ

• وقال[5] بِشر بن الحارث : خرج فتىً في طَلَبِ الرِّزق ، فبينما هو يَمشي فأَعيا ، فآوى إِلى خرابٍ يستريحُ فيه ، فبينما هو يُدير بَصَرَه إِذ وَقَعت عيناه على أَسطرٍ مكتوبةٍ على حائطٍ ، فتأَمَّلها فإِذا هي : [من الكامل]

إِنِّــي رَأَيْتُــكَ قــاعِــداً مُسْتَقْبِلــي فَعَلِمْــتُ أَنَّــكَ لِلْهُمُــومِ قَــريــنُ
هَــوِّنْ عليــكَ وَكُــنْ بِــرَبِّــكَ واثِقــاً فَــأَخُــو التَّــوَكُّــل شَــأْنُــهُ التَّهْــوِيــنُ

---

(١) التذكرة الحمدونية (٣/ ١١٦) .
(٢) التذكرة الحمدونية (٣/ ١١٨) .
(٣) التذكرة الحمدونية (٣/ ١٢٥) .
(٤) التذكرة الحمدونية (٣/ ١١٨) وربيع الأبرار (٣/ ٤٣٣) .
(٥) التذكرة الحمدونية (٣/ ١٢٧) والبصائر والذخائر (٣/ ١٥٧) .

طَرَحَ الأذى عن نَفْسِهِ في رِزْقِهِ ... لَمَّا تَيَقَّنَ أَنَّهُ مَضْمُونُ

قال : فرجعَ الفَتى إلى بيته ، ولزمَ التَّوكُّل وقال : اللَّهُمَّ أَدِّبْنَا أنت .

• قال[1] الجاحظُ : إنَّما خالف اللهُ تَعالى بين طبائع النَّاس ، لِيُوَفِّقَ بينهم في مَصالحهم ، ولولا ذلك لاختاروا كلُّهم المُلْكَ والسِّياسة والتِّجارة والفِلاحة ، وفي ذلك بُطلانُ المصالح ، وذهابُ المعايش ، فكلُّ صِنْفٍ من النّاس مُزَيَّنٌ لهم ما هُم فيه ، فالحائكُ إذا رأَى من صاحبه تَقصيراً أَو خَلْفاً قال : ويلك يا حجّام ؛ والحجّام إذا رأَى مثل ذلك من صاحبه قال : ويلَك يا حائك ؛ فجعل الله تعالى الاختلافَ سبباً للائْتلاف ، فسبحانَه مِن مُدَبِّرٍ قادرٍ حكيمٍ ؛ أَلا ترى إلى البَدويِّ في بيتٍ من قطعةِ خَيْشٍ مُعَمَّدٍ بِعظامِ الجِيَفِ ، كَلْبُهُ معه في بيته ، لباسُه شَمْلَةٌ من وَبَرٍ أَو شَعْر ، ودواؤه بَعْرُ الإبل ، وَطِيْبُهُ القَطِران وبَعْرُ الظِّباء ، وحَلْيُ زوجته الوَدَع ، وثِماره المُقْلُ ، وصَيْدُهُ اليربُوع ، وهو في مَفازةٍ لا يُسمع فيها إلاّ صوتُ بُومةٍ ، وعُواءُ ذئبٍ ، وهو قانعٌ بذلك مفتخرٌ به .

• وقال[2] سعد بن أبي وقّاصٍ رضي الله تعالى عنه : يا بُنَيَّ ، إذا طلبتَ الغِنَى ، فاطلبه في القَناعة ، فإنَّها مالٌ لا ينفذُ ؛ وإيَّاك والطَّمعَ ، فإنَّه فقرٌ حاضرٌ ، وعليك باليأس ، فإنَّك لم تيأسْ من شيءٍ إلا أَغناك الله عنه .

• وأَصاب[3] داودَ الطّائيَّ فاقةٌ كبيرةٌ ، فجاءَه حمّاد بن أَبي حنيفة رضي الله عنه بأَربعمئة درهمٍ من تَرِكَة أَبيه ، وقال : هيَ من مالِ رجلٍ ما أُقَدِّمُ عليه أَحداً في زُهده وَوَرَعه وطِيْبِ كَسْبِه ؛ فقال : لو كنتُ أَقبلُ من أَحدٍ شيئاً لَقَبِلْتُها تَعظيماً للميِّتِ ، وإِكراماً للحيِّ ، ولكنِّي أُحبُّ أَن أَعيشَ في عِزِّ القناعة .

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٣٨٢) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٣٢) .

(٢) التذكرة الحمدونية (٣/ ١٣٣) .

(٣) ربيع الأبرار (٥/ ٣٧٢) ، والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٣٥) .

• وقال[1] عيسى عليه الصَّلاة والسَّلام : اتَّخِذوا البيوتَ منازلَ ، والمساجدَ مساكنَ ، وكُلُوا من بَقْلِ البَرِّيَّة ، واشربوا من الماءِ القَراح ، واخرُجوا من الدُّنيا بِسَلامٍ .

• وأَنشدَ المُبَرِّد[2] : [من البسيط]

إن ضَنَّ زَيْدٌ بما في بَطْنِ راحَتِه ... فالأَرْضُ وَاسِعَةٌ والرِّزْقُ مَبْسُوطُ
إِنَّ الَّذي قَدَّرَ الأَشيا بِحِكْمَتِهِ ... لم يَنْسَني قاعِداً والرَّحْلُ مَحْطُوطُ

• قال[3] عبد الواحد بن زَيد : ما أَحسبُ أَنَّ شيئاً من الأَعمال يتقدَّمُ الصَّبر إلاّ الرِّضا ، ولا أَعلم درجةً أَرفعَ من الرِّضا ، وهو رأسُ المَحَبَّة ؛ قيل له : متى يكونُ العبدُ راضياً عن ربِّه؟ قال : إذا سَرَّتْهُ المُصيبةُ كما تَسُرُّهُ النِّعمة .

• وكان[4] عبدُ الله بن مَرزوق من نُدماء المهديّ ، فسكرَ يوماً ففاتَته الصَّلاة ، فجاءته جاريةٌ له بِجَمْرَةٍ ، فوضَعتها على رِجله ، فانتبهَ مذعوراً ؛ فقالت له : إذا لم تصبرْ على نار الدُّنيا ، فكيف تصبرُ على نار الآخرة؟ فقام فصلَّى الصَّلوات ، وتصدَّق بما يملكُه وذهبَ يبيعُ البَقْلَ ، فدخل عليه فُضَيْلٌ وابنُ عُيَيْنَة ، فإذا تحتَ رأسِهِ لَبِنَةٌ وما تحتَ جَنْبِهِ شيءٌ ، فقالا له : إنَّه لم يَدَع أَحَدٌ شيئاً لله إلاّ عوَّضه الله منه بديلاً ، فما عوَّضك عمّا تركتَ له؟ قال : الرِّضا بما أَنا فيه .

• وقال الثَّوري[4] : ما وَضَع أَحَدٌ يَدَه في قَصعةِ غيره إلاّ ذَلَّ له .

• وقال الفُضيل[5] : مَن رضيَ بما قَسم الله له ، بارَكَ الله له فيه .

• وكان[5] عيسى عليه الصَّلاة والسّلام يقول : الشَّمسُ في الشِّتاء جِلالي ، ونُور القَمر سِراجي ، وبَقْلُ البَرِّيَّة فاكِهتي ، وشَعْرُ الغنم لِباسي ، أَبيتُ حيثُ

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٣٦٩) .
(٢) ربيع الأبرار (٥/ ٣٧١) بلا نسبة .
(٣) ربيع الأبرار (٥/ ٣٧١) .
(٤) ربيع الأبرار (٥/ ٣٧٢) .
(٥) ربيع الأبرار (٥/ ٣٧٣) .

يُدركني اللَّيل ، ليس لي ولدٌ يموتُ ، ولا بيتٌ يخرب ؛ **أَنا الذي كَبَبْتُ الدُّنيا على وَجهها .**

● بيتٌ مفردٌ[1] : [من البسيط]

إِنَّ القَنـاعَـةَ مَـنْ يَحْلُـلْ بِسَـاحَتِهـا ... لَـمْ يَلْـقَ فـي ظِلِّهـا هَمّـاً يُـؤَرِّقُـهُ

● وقال[2] عيسى عليه الصّلاة والسَّلام : انظروا إِلى الطَّير تَغدو وتَروح ليس معها شيءٌ من أَرزاقها ، لا تحرثُ ، ولا تحصدُ ، واللهُ يرزقُها ، فإِن زَعمتم أَنَّكم أَكبرُ بُطوناً من الطَّير ، فهذه الوحوشُ والبقرُ والحُمُرُ لا تَحرثُ ولا تحصدُ والله يرزقُها .

● وقيل[3] : وَفَدَ عُروة بن أُذَيْنة على هِشام بن عبد الملك ، فشكا إِليه خَلَّتَه ، فقال له : أَلست القائل : [من البسيط]

لَقَدْ عَلِمْتُ وما الإِسْرافُ من خُلُقي ... أَنَّ الَّـذي هُـو رِزْقي سَـوْفَ يَـأْتيني

أَسْعَــى إِليــه فَيُعْييِنــي تَطَلُّبُــهُ ... وَلـو قَعَـدْتُ أَتـاني لَيْـسَ يُعْيِيني

وقد جئتَ من الحِجاز إِلى الشَّام في طلب الرِّزق؟ فقال : يا أَمير المؤمنين ، لقد وَعَظْتَ فأَبلغتَ ؛ وخرج ، فركبَ ناقته وكرَّ إِلى الحجاز راجعاً ، فلمّا كان من اللَّيل نامَ هِشام على فراشه ، فذكر عُروة ، فقال في نفسه : رجلٌ من قريش قال حكمةً ووفدَ عليَّ ، فَجَبَهْتُهُ وَرددته خائباً! .

فلمّا أَصبح وجَّه إِليه بأَلفي دينار ، فقرَع عليه الرَّسولُ باب داره بالمدينة ، وأَعطاه المالَ ، فقال : أَبلغ أَميرَ المؤمنين منِّي السَّلام وقل له : كيف رأَيت قولي ؛ سعيتُ ، فأَكديتُ ، فرجعتُ ، فأَتاني رزقي في مَنزلي .

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٣٧٥) بلا نسبة .
(٢) ربيع الأبرار (٥/ ٣٧٤) .
(٣) ربيع الأبرار (٥/ ٣٧٥) ، والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٢٣) ، وتاريخ دمشق (٤٧/ ٢٠٢-٢٠٦) ، ومجموعة المعاني (١٧٨) ، ومختصر تاريخ دمشق (١٦/ ٣٤٣) وديوانه (١١٦) .

• ولمَّا[1] وليَ عبدُ الله بن عامر العراق قَصَدَه صديقان له أَنصاريٌّ وَثقَفيٌّ ، فلمّا سارا تخلَّف الأَنصاريُّ ، وقال : الَّذي أَعطى ابن عامر العراق قادرٌ على أَن يُعطيني ؛ فوفد الثَّقفيُّ وقال : أَحوزُ الحُظْوَتين ؛ فلمّا دخل على عبد الله بن عامر قال له : ما فعلَ زَميلك الأَنصاري؟ قال : رجع إِلى أَهله ؛ فأَمر للثَّقفيِّ بأَربعة آلاف دينار ، وبعث إِلى الأَنصاري بثمانية آلاف دينار ، فخرج الثَّقفيُّ وهو يَقولُ : [من الطويل]

فَوالله ما حِرْصُ الحَريص بِنافِعٍ ... فيُغْني ولا زُهْدُ القَنُوعِ بِضائِرِ
خَرَجْنَا جَميعاً مِن مَساقِطَ رُوسِنا ... على ثِقَةٍ مِنَّا بِجُودِ ٱبنِ عامِرِ
فَلَمَّا اَنَخْنَا النَّاعِجاتِ بِبابِهِ ... تَخَلَّفَ عَنِّي اليَثْرِبيُّ ٱبنُ جابِرِ[2]
وقالَ : سَتَكْفيني عَطِيَّةُ قادِرٍ ... على ما يَشاءُ اليومَ لِلْخَلْقِ قاهِرِ
فإِنَّ الَّذي أَعْطى العِراقَ ٱبنَ عامِرٍ ... لَرَبِّي الَّذي أَرجو لِسَدِّ مَفاقِري
فقُلْتُ : خَلالي وَجْهُهُ وَلَعَلَّهُ ... سَيَجْعَلُ لِي حَظَّ الفَتى المُتَزاوِرِ
فَلَمّا رآني سالَ عنه صَبابَةً ... إِليهِ كَما حَنَّتْ ظُؤَارُ الأَباعِرِ
[فأَضْعَفَ عبدَ الله إِذْ غابَ حَظَّهُ ... على حَظِّ لَهْفانٍ من الجوعِ فاغِرِ[3]]
فَأُبْتُ وَقد أَيْقَنْتُ أَنْ لَيْسَ نافِعاً ... ولا ضائِراً شَيءٌ خِلافَ المقادِرِ

• قيل[4] : أَوحى الله تعالى إِلى موسى صلوات الله وسَلامه عليه : أَتدري لِمَ رَزَقْتُ الأَحمقَ؟ قال : لا يا رب . قال : ليعلمَ العاقلُ أَنَّ طَلَبَ الرزّق ليس بالاحتيال .

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٣٧٦) ومختصر تاريخ دمشق (١٢/ ٢٨٩) ، وتاريخ دمشق (٣٤/ ٢٥٣ـ٢٥٤) ، والمستجاد (١٨٨) .

(٢) في الأصول: الناجعات ، والصواب ما أثبت من تاريخ دمشق ، وتعني: النُّوق البيض السريعة . (القاموس) .

(٣) الزيادة من تاريخ دمشق ومختصره لإتمام المعنى .

(٤) ربيع الأبرار (٥/ ٣٧٨) .

• ولبعضِ العربِ[1] : [من الوافر]

ولا تَجْـزَعْ إذا أَعْسَـرْتَ يَـوْمـاً ... فقـد أَيْسَـرْتَ فـي الـزَّمَـنِ الطَّـويـلِ
ولا تَظْنُـنْ بِـرَبِّـكَ ظَـنَّ سـوءٍ ... فـإِنَّ اللهَ أَولـى بـالجَميـلِ
وإِنَّ العُسْـرَ يَتْبَعُـهُ يَسـارٌ ... وَقَـوْلُ اللهِ أَصـدقُ كُـلِّ قيـلِ
فَلَـو أَنَّ العُقـولَ تَسُـوقُ رِزْقـاً ... لَكـانَ المـالُ عِنْـدَ ذوي العُقُـولِ

• وأوحى[2] الله تعالى إِلى يُوسف عليه الصَّلاة والسَّلام : انظرْ إِلى الأَرض ؛ فنظرَ إِليها ، فانفجَرَت ، فرأَى دودةً على صخرةٍ ، ومعها الطَّعام ؛ فقال له : أَتراني لم أَغفل عنها ، وأَغفلُ عنك ، وأَنت نبيٌّ وابنُ نَبيٍّ! .

• ودخل[3] عليُّ بن أَبي طالبٍ رضي الله عنه المسجدَ ، وقال لرجلٍ كان واقفاً على باب المسجد : أَمسكْ عليَّ بَغْلَتي ؛ فأَخذ الرَّجلُ لجامَها ، ومَضى وتركَ البَغلة ، فخرج عليٌّ وفي يده دِرهمان لِيكافىءَ بهما الرَّجلَ على إِمساكه بغلَته ، فوجدَ البغلةَ واقفةً بغير لجام ، فركبَها ومضى ، ودفعَ لغلامه درهمين يشتري بهما لجاماً ، فوجدَ الغلامُ اللِّجامَ في السُّوق قد باعه السَّارقُ بدرهمين ؛ فقال عليٌّ رضي الله تعالى عنه : إِنَّ العبدَ لَيَحْرِمُ نفسَه الرِّزقَ الحلالَ بتَرْكِ الصَّبْرِ ، ولا يزدادُ على ما قُدِّرَ له .

• وقيل[4] لراهبٍ : من أَين تأكل؟ فأشار إِلى فيه وقال : الذي خلق الرحى يأتيها بالطحين .

• وقال[5] سُليم بن المهاجر البَجَليّ : [من الطويل]

---

(١) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٥/ ٣٧٨) والبصائر والذخائر (٥/ ٩) .
(٢) ربيع الأبرار (٥/ ٣٧٨) .
(٣) ربيع الأبرار (٥/ ٣٧٥) .
(٤) ربيع الأبرار (٥/ ٣٧٩) .
(٥) الأبيات له في ربيع الأبرار (٥/ ٣٧٩) ، وفي الأصول : الجيلي! .

كَسَوْتُ جَميلَ الصَّبْرِ وَجْهي فَصانَهُ ... بِـهِ اللهُ عـَـن غِشْيـانِ كُـلِّ بَخيـلِ
فَما عِشْتُ لَمْ آتِ البَخيلَ وَلَمْ أَقُمْ ... علـى بـابِـهِ يَـومـاً مَقـامَ ذَليـلِ
وإِنَّ قَليـلاً يَسْتُـرُ الـوَجْـهَ أَنْ يُـرى ... إِلـى النَّـاسِ مَبْـذولاً لَغَيْـرُ قَليـلِ

• وصلّى[1] مَعروف الكَرْخيّ خلفَ إمامٍ ، فلمّا فرغَ من صَلاته قال الإمام لمعروف : مِن أَين تأكلُ؟ قال : اُصْبِرْ حتَّى أُعيد صَلاتي الَّتي صلَّيْتُها خلفَك . قال : ولِمَ؟ قال : لأَنَّ من شكَّ في رزقه شكَّ في خالِقِه .

• وقال[1] أَبو حازم : ما لم يُكْتَبْ لي ، لو رَكبتُ الرِّيحَ ما أَدركتُهُ .

• وقال عُمر بن أَبي عُمر النُّوقاني[2] : [من الطويل]

غَلا السِّعْرُ في بغدادَ مِن بَعْدِ رُخْصِهِ ... وأَنِّـيَ فـي الحـاليـنِ بـالله واثِـقُ
فَلَسْـتُ أَخـافُ الضِّيـقَ واللهُ واسـعٌ ... غِنـاهُ ولا الحِـرْمـانَ ، واللهُ رازِقُ

• وقال القُهِسْتاني[3] : [من الطويل]

غَنِـيٌّ بِـلا دُنْيـا عـَن الخَلْـقِ كُلِّهِـمْ ... وأَنَّ الغِنَى الأَعلى عَن الشَّيْءِ لا بِهِ

• وقال مَنصور الفَقيه[4] : [من المجتث]

المَـوتُ أَسْهَـلُ عِنْـدي ... بيـنَ القَنـا والأَسِنَّـهْ
والخَيْـلُ تَجْـري سِـراعـاً ... مُقَطَّعـاتِ الأَعِنَّـهْ
مِـن أَن يَكـونَ لِنَـذْلٍ ... عَلَـيَّ فَضْـلٌ وَمِنَّـهْ

• وأَنشد [ابن] الأَعرابيُّ[5] : [من الطويل]

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٣٨١) .
(٢) البيتان له في ربيع الأبرار (٥/ ٣٨٣) ويتيمة الدهر (٤/ ٣٤٣)؛ وفي الأصول: اليوناني! .
(٣) البيت له في ربيع الأبرار (٥/ ٣٨٣) .
(٤) ديوانه (١٨٦) ، ضمن مجلة المجمع العلمي الهندي ، وربيع الأبرار (٥/ ٣٨٥) .
(٥) البيتان بلا نسبة في ربيع الأبرار (٥/ ٣٨٦) ، وعيون الأخبار (٣/ ١٨٨) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١٧٦)؛ وفي الأصول: أنشد أعرابي .

أَبا مالكٍ لا تَسْأَلِ النّاسَ والْتَمسْ بكَفَّيْكَ فَضْلَ اللهِ فاللهُ أَوْسَعُ
وَلَو تَسْأَلُ النَّاسَ التُّرابَ لأَوْشَكوا إِذا قيلَ : هاتُوا أَن يَمَلُّوا وَيَمْنَعوا

• وقال[1] رجلٌ لرسولِ الله ﷺ : أَوصني ، قال : « عليكَ باليأْسِ مِمّا في أَيدي النّاس ؛ وإِيَّاكَ والطَّمعَ ، فإِنَّه فقْرٌ حاضرٌ » .

• وقيل[1] : إِذا وجدتَ الشَّيءَ في السُّوق ، فلا تطلبْهُ من صَديقك .

• وقيل لأَعرابيّة[1] : من أَين معاشُكم؟ قالت : لو لم نَعِشْ إِلاّ من حيثُ نعلمُ لم نَعِشْ .

• وقال أَعرابيٌّ[1] : أَحسنُ الأَحوالِ حالٌ يغبطُكَ بها مَن دُونك ، ولا يحقركَ معها مَن فَوقك .

• وقال المَعَرِّي[2] : [من الطويل]

إِذا كُنْتَ تَبْغي العَيْشَ فابْغِ تَوَسُّطاً فعنـدَ التَّنـاهـي يَقْصُـرُ المُتَطـاوِلُ
تُـوَقَّـى البُـدُورُ النَّقْـصَ وَهْـيَ أَهِلَّـةٌ وَيُـدْرِكُهـا النُّقصـانُ وَهْـيَ كَـوامِـلُ

• وقال آخر : [من البسيط]

اَقْنَـعْ بِـأَيْسَـرِ رِزْقٍ أَنْـت نـائِلُـهُ واَحْـذَرْ ولا تَتَعَـرَّضْ لِـلإِراداتِ[3]
فَمـا صَفـا البَحْـرُ إِلاَّ وهْـوَ مُنْتَقِـصٌ وَلا تعكَّـرَ إِلاّ فـي الـزِّيـاداتِ

• وقال[4] أَعرابيٌّ : استظهرْ على الدَّهر بخفَّة الظَّهر .

• وقال[5] هشام بن إِبراهيم البَصْري : [من الطويل]

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٣٨٦) .
(٢) شروح سقط الزند (٢/ ٥٥٢) وربيع الأبرار (٥/ ٣٨٧) .
(٣) روايته في ب : أقنع برزقٍ يسيرٍ أنت طالبه × . والثاني : × ولا تكدَّر .
(٤) ربيع الأبرار (٥/ ٣٨٧) .
(٥) البيتان له في ربيع الأبرار (٥/ ٣٨٨) .

وَكَـمْ مَلِـكٍ جـانَبْتُـهُ عـن كَـراهَـةٍ لإغـلاقِ بـابٍ أَو لِتَشـديـدِ حـاجـبِ
وَلي في غنى نَفْسي مُرادٌ وَمَذْهَبٌ إِذا انْصَرَفَتْ عَنِّي وُجوهُ المذاهِبِ

• وقيل : ينبغي أَن يكون المرءُ في دُنياه كالمدعوِّ إِلى الوليمة ، إِن أَتته صَحْفَةٌ تناولها ، وإِن لم تأته لم يَرَ صَدَّها ولم يطلُبها .

• وقال[1] شقيق بن إِبراهيم البَلْخيّ : قال لي إِبراهيم بن أَدهم رحمه الله تعالى : أَخبرْني عمّا أَنت عليه ؛ قلتُ : إِن رُزِقْتُ أَكَلْتُ ، وإِن مُنِعْتُ صَبَرْتُ . قال : هكذا تعملُ كلابُ بَلْخٍ! فقلتُ : كيف تعملُ أَنت؟ قال : إِن رُزِقتُ آثرتُ ، وإِن مُنعتُ شكرْتُ .

• وقال بعضهم : [من البسيط]

هِيَ القَنـاعَـةُ فـالْزَمْهـا تَعِش مَلِكـاً لَـوْ لَـمْ يَكُـنْ مِنْـكَ إِلاَّ راحَـةُ البَـدَنِ
وانْظُرْ لِمَنْ مَلَكَ الدُّنْيا بِأَجْمَعِها هَلْ راحَ مِنها بِغَيْرِ القُطْنِ والكَفَنِ

• وقال آخر : [من المتقارب]

وإِنَّ القَنـــاعَـــةَ كَنْـــزُ الغِنَـــى فَصِـــرْتُ بِـــأَذْيـــالهـــا مُمْتَسِـــكْ
فـــلا ذا يَـــرانـــي علـــى بـــابِـــهِ ولا ذا يَـــرانـــي لَـــهُ مُنْهَمِـــكْ
فَصِـــرْتُ غَنِيّـــاً بِـــلا دِرْهَـــمٍ أَمُـــرُّ علـــى النّـــاسِ شِبْـــهَ المَلِـــكْ

• جاء[2] فتح المَوْصليّ إِلى أَهله بعد العَتَمة ، فلم يجد عندهم شيئاً للعَشاء ، ووجدَهم بغير سِراجٍ ، فجلسَ ليلَته يبكي من الفَرح ويقول : بأَيِّ يدٍ كانت منِّي ، تركتَ مِثلي على هذه الحالة؟ والله تعالى أَعلم .

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٤/ ٢٤) .
(٢) ربيع الأبرار (٥/ ٣٨٥) .

الفصل الثّالث

في ذَمِّ الحِرْصِ والطَّمع وطُولِ الأَمل

• قال الله تعالى : ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر : ١٠٢/١-٢] .

• ورُوي أَنَّ النَّبي ﷺ قرأ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ قال : « يقول ٱبنُ آدم : مالي مالي ، وهل لكَ من مالِك إلاّ ما أَكلت فأَفنيتَ ، ولبستَ فأَبليتَ ، وتَصَدَّقتَ فأَبْقَيْتَ » .

• وروى[١] عُروة بن الزُّبير ، عن عائشة رضي الله عنها ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال : « يا عائشة إِنْ أَردتِ اللُّحوق بي ، فلْيكفِك من الدُّنيا كزادِ الراكبِ ، وإِيّاكِ ومُجالسَةَ الأَغنياء ، ولا تَستخلفي ثوباً حتى تَرقعيه » .

• ورُوي عن رسول الله ﷺ أَنَّه قال : « صلاحُ أَوَّلِ هذه الأُمَّة بالزُّهد واليقين ، وهلاكُ آخرِ هذه الأُمَّة بالبُخل والأَمل » .

• وقيل : الحرصُ يُنْقِصُ من قَدْر الإِنسان ، ولا يزيدُ في رِزْقِهِ .

• وقيلَ لحكيم[٢] : ما بالُ الشَّيخِ أَحرصُ على الدُّنيا من الشَّابِّ؟ قال : لأَنَّه ذاقَ من طعمِ الدُّنيا ما لم يذقْهُ الشَّاب .

• وما أَحسنَ ما قال بعضُهم[٣] : [من الوافر]

إِذا طـاوَعْـتَ حِـرْصَـكَ كُنْتَ عَبْداً   لِكُـــلِّ دَنِيئَـــةٍ تُــدْعَــى إِلَيْهـــا

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٣٧٧) .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٤٣٨) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٣٦) والبصائر والذخائر (٨/ ١٣٠) .
(٣) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٣/ ٤٣٨) .

• وقال آخر وأَجاد[1] : [من البسيط]

قَد شابَ رَأْسي وَرَأْسُ الحِرْصِ لَمْ يَشِبِ إِنَّ الحَرِيصَ على الدُّنْيا لَفِي تَعَبِ[2]

• وقيل للإِسكندر[3] : ما سُرور الدُّنيا؟ قال : الرِّضا بما رُزقتَ منها ؛ قيل : فما غَمُّها؟ قال : الحِرصُ عليها .

• وقال الحسن[4] : لو رأيتَ الأَجلَ ومُرورَه لنسيت الأمل وغُرورَه .

• وقال[4] أَبو سعيد الخُدري رضي الله عنه : ٱشترى أُسامة بن زيد وليدةً بمئة دينارٍ إِلى شهرٍ ، فسمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « أَلا تعجبونَ من أُسامة ، اشترى إِلى شهرٍ ! إِنَّ أُسامةَ لطويلُ الأَمَل » .

• وقال[4] ابنُ عبّاس رضي الله عنهما : كان نَبيُّ الله ﷺ يخرجُ فيبول ثم يمسحُ بالتُّراب ، فأقولُ : إِنَّ الماءَ منكَ قريبٌ ؛ فيقول : ما يُدريني لَعلِّي ما أَبلُغه .

• وعن[5] أبي هُريرة رضي الله عنه يَرفعه : « لا يزالُ الكبيرُ شابّاً في اثنين ، حبُّ المالِ وطولُ الأَمل » .

• وقيل[6] لمحمَّد بن واسع : كيف تجدُك؟ قال : قصير الأَجل ، طويلَ الأمل ، مسيءَ العمل .

• وقيل[6] : مَن جرى في عنانِ أَمله كان عاثِراً بأَجَله ؛ لو ظَهَرَت الآجالُ لافتُضِحت الآمال .

---

(١) البيت لإبراهيم بن المهدي في ربيع الأبرار (٣/ ٤٣٨) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٣٦) وثمار القلوب (١/ ٤٩٤) .

(٢) في ط ، أ: . . . ورأس الدهر لم يشب × ، وسقط البيت من ب ؛ والمثبت رواية المصادر .

(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٤٣٩) .

(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٤٤٠) .

(٥) ربيع الأبرار (٣/ ٤٤١) .

(٦) ربيع الأبرار (٣/ ٤٤٢) .

• ولقد أَحسن أَبو العبّاس أَحمد بن مروان في قوله : [من الوافر]

وَذي حِـرْصٍ تَـراهُ يُلِـمُّ وَفْـراً ... لِـوَارِثِـهِ وَيَـدْفَـعُ عَـن حِمـاهُ
كَكَلْبِ الصَّيْدِ يُمْسِكُ وَهْوَ طاوٍ ... فَـريسَتَـهُ لِيَـأْكُلَهـا سِـواهُ

• ولقد أَحسن مَن قال في الجناس الحقيقي[1] : [من الوافر]

إِذا مـا نـازَعَتْـكَ النَّفْسُ حِـرْصـاً ... فَـأَمْسِكْهـا عـن الشَّهَـواتِ أَمْسِـكْ
ولا تَحْـرَصْ لِيَـوْمٍ أَنْـتَ فيـهِ ... وَعَـدِّ فَـرِزْقُ يَـوْمِـكَ رِزْقُ أَمْسِـكْ

• ومن كلام الحُكماء[2] : إِيَّاكم وطولَ الأَمل ، فإِنَّ مَن أَلهاه أَملُه أَخزاهُ عَمَلُه .

• قال عبد الصَّمد بن المُعذَّل[3] : [من الوافر]

وَلـي أَمَـلٌ قَطَعْـتُ بِـهِ اللَّيـالـي ... أَرانـي قَـد فَنَيْـتُ بِـهِ وَدامـا

• قال الحسنُ[4] : إِيَّاكم وهذه الأَماني ، فإِنَّه لم يُعْطَ أَحدٌ بالأُمنيةِ خيراً قطُّ في الدُّنيا ولا في الآخرة .

• وقال قُسُّ بن ساعدة[5] : [من الطويل]

وَما قَدْ تَوَلَّى فَهْوَ لا شَكَّ فَائِتٌ ... فَهَـلْ يَنْفَعَنِّـي لَيْتَنـي وَلَعَلِّـي

• وقال آخر[6] : [من الطويل]

ولا تَتَعَلَّـلْ بـالأَمـانـي فـإِنَّهـا ... عَطايا أَحاديثِ النُّفُوسِ الكَواذِبِ

• وقال آخر وأَجاد[7] : [من البسيط]

---

(١) هما لأبي الفتح البستي في ديوانه (١٣٩) .
(٢) التذكرة الحمدونية (٣/ ١٣٧) وربيع الأبرار (٣/ ٤٤٢) .
(٣) ديوانه (١٧١) .
(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٤٤٦) .
(٥) البيت له في ربيع الأبرار (٣/ ٤٤٧) .
(٦) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٣/ ٤٤٦) .
(٧) مما أنشده الجاحظ في ربيع الأبرار (٣/ ٤٤٦) .

اللهُ أَصْـــدَقُ والآمــالُ كــاذِبَــةٌ وَجُلُّ هَذي المُنى في الصَّدْرِ وَسْوَاسُ

• وقال آخر[1] : [من البسيط]

شَطَّ المزارُ بِسُعْدى وانْتَهى الأَمَلُ فَــلا خَيــالٌ ولا رَسْــمٌ ولا طَلَــلُ
إِلاَّ رَجــاءً فَمــا نَــدري أَنُــدْرِكُــهُ أَمْ يَسْتَمِــرُّ فَيــأْتــي دونَــهُ الأَجَــلُ

• وقال أبو العتاهية[2] : [من البسيط]

لَقَدْ لَعِبْتُ وَجَدَّ الموتُ في طَلَبي وإِنَّ في الموتِ لي شُغْلاً عن اللَّعِبِ
وَلَو سَمَتْ فِكْرتي فيما خُلِقْتُ لَهُ ما اشْتَدَّ حِرْصي على الدُّنْيا ولا طَلَبي

• وله أيضاً[3] : [من الوافر]

تَعــالــى اللهُ يــا سَلْــمَ بــنَ عَمْــرو أَذَلَّ الحِــرْصُ أَعنــاقَ الــرِّجــالِ
هَــبِ الــدُّنيــا تُقــادُ إِليــكَ عَفْــواً أَلَيْــسَ مَصيــرُ ذَلــكَ للــزَّوالِ

• وقد ضمَّنتُ البيتَ الأخير ، فقلت : [من الوافر]

أَيـا مَـن عـاشَ فـي الـدُّنيـا طـويـلاً وأَفنــى العُمْــرَ فــي قِيــلٍ وَقــالِ
وأَتْعَــبَ نَفْسَــهُ فيمــا سَيَفْنــى وَجَمَّــعَ مــن حَــرامٍ أَو حَــلالِ
« هَــبِ الــدُّنيـا تُقـادُ إِليـك عفـواً أَلَيْــسَ مَصيــرُ ذَلــكَ للــزَّوالِ »

وممّا جاء في الطَّمع وذَمِّه

• قال[4] عليُّ بن أَبي طالب كرَّم الله وجهه : أكثرُ مَصارعِ العقولِ تحتَ بُروق المطامعِ .
• وقال[5] رضي الله عنه : ما الخمرُ صِرفاً بأَذهبَ لعقولِ الرِّجال من الطَّمع .

---

(١) هما بلا نسبة في ربيع الأبرار (٣/ ٤٤٧) .
(٢) ديوانه (٣١) .
(٣) ديوانه (٢٩٦ـ٢٩٧) .
(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٤٣١) .
(٥) لعمر في ربيع الأبرار (٣/ ٤٣٢) .

• وفي الحديث[1] : « إيّاك والطَّمعَ فإنَّه الفقرُ الحاضرُ » .

• وقال فيلسوف : العبيدُ ثلاثةٌ : عبدُ رِقٍّ ، وعبدُ شَهوةٍ ، وعبدُ طمعٍ .

• وقال[2] بعضهم : مَن أَراد أَن يعيشَ حُرّاً أَيّامَ حياته فلا يُسْكِنْ قَلْبَهُ الطَّمعَ .

• وقيل[3]: اجتمع كعبٌ وعبدُ الله بن سلاّم، فقال له كعبٌ: يا ابنَ سلاّم، مَن أَرباب العِلم؟ قال: الَّذين يَعملون به؛ قال: فما أَذهب العِلمَ عن قلوب العلماءِ بعد أَن علموه؟ قال: الطَّمعُ، وشَرَهُ النَّفس، وطلبُ الحوائج إِلى النّاس.

• واجتمع[4] الفُضيل وسُفيان وابن كريمة اليربوعي ، فتواصَوا ثم افترقوا وهم مُجمعون على أَنَّ أَفضل الأَعمال الحِلْمُ عند الغضب ، والصَّبرُ عند الطَّمع .

• وقيل[5] : لمَّا خلق الله آدم عليه السَّلام عجَن بطينته ثلاثة أَشياء : الحِرصَ ، والطَّمعَ ، والحَسَدَ ؛ فهي تجري في أَولاده إِلى يوم القيامة ؛ فالعاقل يُخفيها ، والجاهل يُبديها ؛ ومعناه أَنَّ الله تعالى خلق شَهوتها فيه .

• قال إِسماعيل بن قطري القراطيسي[6] : [من الرجز]

حَسْبـي بِعِلْمـي إِنْ نَفَـعْ ... مـا الـذُّلُّ إِلاَّ فـي الطَّمَـعْ
مَـن راقَـبَ اللهَ نَـزَعْ ... عَـن سُـوءِ مـا كـانَ صَنَـعْ
مـا طـارَ طَيْـرٌ وارتَفَـعْ ... إِلاَّ كمـا طـارَ وَقَـعْ

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٤٣١) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٣٥) .
(٢) لابن خبيق الأنطاكي في ربيع الأبرار (٣/ ٤٣٢) .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٤٣٢) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٢٥ و١٣٦) .
(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٤٣٣) .
(٥) ربيع الأبرار (٣/ ٤٣٤) .
(٦) كذا في الأصول وربيع الأبرار (٣/ ٤٣٥) والمعروف أنه اسماعيل بن معمر القراطيسي (الوافي بالوفيات ٩/ ٢٢٦) والأبيات بلا نسبة في أخبار النحويين البصريين (٥٥) والثالث لأبي العتاهية في ديوانه (٥٧٩) .

● وقال سابِق البَربري[1] : [من الطويل]

يُخادِعُ رَيْبَ الدَّهْرِ عن نَفْسِهِ الفَتَى ... سَفاهاً وَرَيْبُ الدَّهْرِ عَنها يُخادِعُهْ
وَيَطْمَعُ في سَوْفَ وَيَهْلِكُ دُونَها ... وَكَمْ من حَريصٍ أَهْلَكَتْهُ مَطامِعُهْ

● وقيل لأَشعب[2]: ما بلغَ من طَمَعك؟ قال: أَرى دُخان جاري فأَفُتُّ خُبْزي .

● وقال أَيضاً : ما رأَيت رجلين يَتَسارّان في جنازَةٍ إلا قَدَّرتُ أَنَّ المَيِّتَ أَوصى لي بشيءٍ من مالِه ؛ وما زُفَّت عروسٌ إلا كَنَسْتُ بيتي رجاءَ أَن يغلطوا فَيَدخلوا بها إِليَّ .

● قال بعضهم[3] : [من مجزوء الكامل]

لا تَغْضَبَنَّ على امْرِئٍ ... لَكَ مانِعٍ ما في يَدَيْهِ
واغْضَبْ على الطَّمَعِ الَّذي اسْـ ... ـتدعاكَ تَطْلُبُ ما لَدَيْهِ

والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلَّى اللهُ على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم .

* * *

---

(١) ديوانه ١٩ وربيع الأبرار (٣/ ٤٣٥) .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٤٣٧) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٣٩ـ١٤٠) .
(٣) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٣/ ٤٣٧) .

الباب الحادي عشر

في المشورة ، والنَّصيحة ، والتَّجارب ، والنَّظر في العواقب

• قال[1] الله تعالى لِنبيِّه ﷺ : ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران : ٣/ ١٥٩] .

• واختلفَ أَهلُ التّأويلِ في أَمْرِهِ بالمشاورةِ مع ما أَمَدَّه الله تعالى من التَّوفيق ، على ثلاثة أَوْجُهٍ ؛ أَحدها : أَنّه أَمره بها في الحربِ لِيستقرَّ له الرّأْيُ الصَّحيح ، فيعملَ عليه ؛ وهذا قولُ الحسن ؛ ثانيها : أَنَّه أَمَره بالمشاورة لِما علمَ فيها من الفَضْل ؛ وهذا قول الضَّحّاك ؛ ثالثُها : أَنَّه أَمره بمشاورتهم لِيَسْتَنَّ به المسلمونَ ، وإِن كان في غُنْيَةٍ عن مَشورتهم ؛ وهذا قول سُفيان .

• وقال[2] ابن عُيينة : كان رسول الله ﷺ إذا أَراد أَمراً شاور فيه الرِّجال ؛ وكيف يحتاجُ إِلى مشاورةِ المخلوقين مَن الخالقُ مُدَبِّرُ أَمره؟ ولكنَّه تعليمٌ منه ليشاورَ الرَّجل النّاس ، وإِن كان عالماً .

• وقال[3] عليه الصَّلاة والسّلام : ما خابَ مَن استخار ، ولا نَدم مَن استشار ، ولا افتقر مَن اقتصدَ » .

• وقال[4] عليه الصلاة والسَّلام : «مَن أُعجبَ برأيِهِ ضَلَّ ، ومَن استغنى بعقله زَلَّ» .

---

(١) عن التذكرة الحمدونية (٣/ ٢٩٨) .

(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٤٤) .

(٣) التذكرة الحمدونية (٣/ ٢٩٨) .

(٤) لعليّ في التذكرة الحمدونية (٣/ ٢٩٩) .

- وكان يقال[1] : ما استُنْبِطَ الصَّواب بمثل المشاورة .
- وقال حكيمٌ[2] : المشورةُ مُوَكَّلٌ بها التَّوفيقُ لِصوابِ الرّأي .
- وقال[2] الحسن : النّاسُ ثلاثةٌ : فَرَجُلٌ رَجُلٌ ، ورَجُلٌ نِصْفُ رَجُلٍ ، وَرَجُلٌ لا رَجُل ؛ فأَمّا الرَّجُلُ الرَّجُلُ فذو الرّأيِ والمَشورة ؛ وأَمَّا الرَّجُلُ الَّذي هو نِصْفُ رَجُلٍ ، فالَّذي له رأيٌ ولا يُشاورُ ؛ وأَمّا الرَّجل الَّذي ليسَ برجلٍ ، فالَّذي ليس له رَأْيٌ ولا يشاورُ .
- وقال[3] المنصورُ لولده : خُذْ عَنِّي اثنتين : لا تَقُلْ في غيرِ تَفكيرٍ ، ولا تَعملْ بغيرِ تدبير .
- وقال الفُضيل[4] : المشورةُ فيها بَرَكَةٌ ، وإِنِّي لأَستشيرُ حتَّى هذه الحَبَشيَّة الأَعجميَّة .
- وقال أَعرابيٌّ[4] : لا مالَ أَوفرُ من العقل ، ولا فَقْرَ أَعظمُ من الجَهل ، ولا ظَهْرَ أَقوى من المشورة .
- وقيل[5] : مَن بَدَأَ بالاستخارة ، وثنَّى بالاستشارة ، فحقيقٌ أَن لا يَخيب رَأْيُهُ .
- وقيل[6] : الرَّأْيُ السَّديدُ أَحمى من البَطَل الشَّديد .
- قال أَبو القاسم الهرنْدي[7] : [من الطويل]

---

(١) التذكرة الحمدونية (٣/ ٢٩٩) .
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٤٢) .
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٤٣) .
(٤) ربيع الأبرار (٤/ ٤٤) .
(٥) ربيع الأبرار (٤/ ٤٥) .
(٦) ربيع الأبرار (٤/ ٤٦) .
(٧) له في ربيع الأبرار (٤/ ٤٦) ؛ وفي الأصول: النهروندي . خطأ ، وانظر ترجمته في يتيمة الدهر (٣/ ٤١١) .

وَمـا أَلْـفُ مَطـرورِ السِّنـانِ مُسَـدَّدٍ   يُعـارِضُ يَـوْمَ الـرَّوْعِ رَأْيـاً مُسَـدَّدا

- وقال[1] عليٌّ رضي الله عنه : خاطَرَ مَن استغنى برأيه .

- وسمع[2] محمد بن يزداد[3] وزير المأمون قول القائل[4] : [من الطويل]

إذا كُنْـتَ ذا رَأْيٍ فَكُـنْ ذا عَـزيمـةٍ   فـإِنَّ فَسـادَ الـرَّأْيِ أَنْ تَتَـرَدَّدا

فَأَضاف إليه قوله : [من الطويل]

وإنْ كُنْـتَ ذا عَـزْمٍ فـأَنْفِذْهُ عـاجـلاً   فـإِنَّ فسـادَ العَـزْمِ أَن تَتَقَيَّـدا

- ولمحمد بن إدريس الطَّائي[5] : [من الكامل]

ذَهَـبَ الصَّـوابُ بِـرَأْيِـهِ فَكَـأَنَّمـا   آراؤُهُ ٱشْتُقَّـتْ مِـنَ التَّـأْييـدِ

فـإِذا دَجـا خَطْـبٌ تَبَلَّـجَ رَأْيُـهُ   صُبْحـاً مِـنَ التَّـوفيـقِ والتَّسْـديـدِ

- ولمحمود الورَّاق[6] : [من الكامل]

إنَّ اللَّبيـبَ إذا تَفَـرَّقَ أَمْـرُهُ   فَتَـقَ الأُمـورَ مُنـاظِـراً وَمُشـاوِرا

وأَخـو الجَهـالَـةِ يَسْتَبِـدُّ بِـرَأْيِـهِ   فَتَـراهُ يَعْتَسِـفُ الأُمـورَ مُخـاطِـرا

- وقال[7] الرَّشيد حين بَدا له تقديمُ الأَمين على المأمون في العَهد : [من الطويل]

لَقد بانَ وَجْهُ الرَّأْيِ لي غَيْر أَنَّني   عَدَلْتُ عن الأَمْرِ الَّذي كانَ أَحْزَما

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٤٨) .
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٥٠) ، والوافي بالوفيات (٥/ ٢١٤) .
(٣) في الأصول : محمد بن داود ، خطأ ، وانظر ترجمته في الوافي بالوفيات (٥/ ٢١٣) .
(٤) البيت للخليفة المنصور في التذكرة الحمدونية (١/ ٤١٩) و في تاريخ دمشق (٣٨/ ٣٤١) وتاريخ الخلفاء (٣١٨) .
(٥) البيتان له في الوافي بالوفيات (٢/ ١٨١) ، حيث ترجمته ، وهما في ربيع الأبرار (٤/ ٥٠) لأبي تمام ، خطأ .
(٦) ديوانه (١١٢) وربيع الأبرار (٤/ ٥١) وفي الأصول : محمد الوراق ! .
(٧) ربيع الأبرار (٤/ ٥١) .

فكيفَ يُرَدُّ الدَّرُّ في الضَّرْعِ بَعْدَما تَـوَزَّعَ حَتَّـى صـارَ نَهْبـاً مُقَسَّمـا
أَخـافُ الْتِـواءَ الأَمـرِ بعـدَ ٱسْتِـوائِـهِ وأَن يُنْقَضَ الحَبْلُ الَّذي كانَ أُبْرِما

• وقال آخر[1] : [من الطويل]

خَليليَّ ليسَ الرَّأْيُ في جَنْبِ واحِدٍ أَشيـرا عَلـيَّ اليـومَ مـا تَـرَيـانِ

• **وَوَصَفَ**[2] رَجُلٌ عَضُدَ الدَّولة فقال له : وَجْهٌ فيه أَلفُ عَيْنٍ ، وَفَمٌ فيه أَلفُ لسانٍ ، وَصَدْرٌ فيه أَلفُ قلبٍ .

• وقال[2] أردشير بن بابَك : أَربعةٌ تحتاجُ إلى أَربعة ؛ الحَسَبُ إلى الأَدبِ ، والسُّرورُ إلى الأَمن ، والقَرابةُ إلى المودَّة ، والعقلُ إلى التَّجربة .

• وقال[3] : لا تَستَحقرِ الرَّأْيَ الجزيلَ من الرَّجلِ الحقير ، فإنَّ الدُّرَّةَ لا يُستهانُ بها لِهَوان غائِصها .

• وقال[4] جعفر بن محمد : لا تكونَنَّ أَوَّلَ مُشير ، وإيّاك والرَّأيَ الخطير ، وتجنَّبْ ارتجالَ الكلام ، ولا تشيرَنَّ على مُستبدٍّ برأْيه ، ولا على مُتَلوِّنٍ ، ولا على لَجُوجٍ .

• وقيل[5] : ينبغي أَن يكون المستشار صحيح العلم ، مهذَّب الرَّأْي ؛ فليس كل عالمٍ يعرفُ الرَّأْي الصَّائب ، وكم ناقدٍ في شيءٍ ضعيفٍ في غيره .

• قال أَبو الأَسود الدُّؤَلي[6] : [من الطويل]

وَما كُلُّ ذي نُصْحٍ بِمُؤتيكَ نُصْحَهُ وَمـا كُـلُّ مُـؤْتٍ نُصْحَـهُ بِلَبيـبِ

---

(١) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٤/ ٥١) .
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٥٢) .
(٣) للإسكندر في ربيع الأبرار (٤/ ٥٢) .
(٤) التذكرة الحمدونية (٣/ ٣٠٠) وينسب لابن هبيرة في العقد الفريد (١/ ٦٢) وبهجة المجالس (١/ ٤٥٢) .
(٥) من أقوال الفرس في التذكرة الحمدونية (٣/ ٣٠١) .
(٦) ديوانه (٩٩) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٣٠١) ، ومجموعة المعاني (٥١) .

وَلكِنْ إذا ما اسْتُجْمِعا عندَ واحِدٍ فَحُقَّ لهُ مِن طاعَةٍ بِنَصيبِ

• وكان[1] اليونانُ والفُرْسُ لا يَجمعون وُزراءهم على أمرٍ يَستشيرونهم فيه ، وإنّما يستشيرونَ الواحدَ منهم من غيرِ أن يعلمَ الآخرُ به ، لمعانٍ شتّى ، منها لِئلّا يقعَ بين المستشارين منافسةٌ ، فتذهبَ إصابةُ الرَّأي ، لأنَّ من طِباع المشتركين في الأَمر التَّنافسُ والطَّعنُ من بعضهم في بعضٍ ، ورُبَّما سبقَ أَحدُهم بالرَّأيِ الصَّواب فَحسدوه وعارَضوه ؛ وفي اجتماعهم أيضاً للمشورة تعريضُ السِّرِّ للإذاعة ، فإذا كان كذلك وأُذيع السِّرُّ لم يقدر المَلِكُ على مقابلة من أَذاعَهُ للإبهامِ ، فإن عاقب الكُلَّ عاقبَهم بذَنْبِ واحدٍ ، وإن عفا عنهم أَلحقَ الجاني بمن لا ذَنْبَ له .

• وقيل[2] : إذا أَشار عليك صاحبُك برأيٍ ولم تحمدْ عاقبته ، فلا تجعلنَّ ذلك عليه لَوْماً وعتاباً ، بأَن تقول : أَنت فعلتَ ، وأَنت أَمرتني ، ولولا أَنت ؛ فهذا كُلُّه ضَجَرٌ ولُؤْمٌ وخِفَّة .

• وقال أَفلاطون[3] : إذا استشارك عدوُّك ، فجرِّد له النَّصيحة ، لأَنَّه بالاستشارة قد خرج من عداوتك إلى موالاتك .

• وقيل[3] : من بذلَ نُصحه واجتهاده لمن لا يشكرُه ، فهو كَمَن بَذَر في السِّباخ .

• قال الشّاعر يمدحُ مَن له رأيٌ وبَصيرة[4] : [من الطويل]

بَصِيرٌ بأَعْقابِ الأُمورِ كَأَنَّما تُخاطِبُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَواقِبُهْ

• وقال ابن المعتزّ[5] : المشورة راحةٌ لكَ ، وتعبٌ على غَيرك .

---

(١) التذكرة الحمدونية (٣/ ٣٠١) .
(٢) لابن المقفع في التذكرة الحمدونية (٣/ ٣٠٣) .
(٣) التذكرة الحمدونية (٣/ ٣٠٣) .
(٤) بلا نسبة في التذكرة الحمدونية (٣/ ٣٠٥) .
(٥) التذكرة الحمدونية (٣/ ٣٠٦) .

• وقال الأَحنف[1] : لا تشاور الجائعَ حتَّى يشبع ، ولا العطشان حتَّى يَروى ، ولا الأَسير حتَّى يُطلق ، ولا المضِلَّ حتَّى يجدَ ، [ولا الرَّاغب حتى ينجحَ] .

• ولما[2] أَراد نُوح بن أَبي مَريم قاضي مَرْو أَن يُزَوِّجَ ابنتَه ، استشار جاراً له مَجوسيّاً ، فقال : سبحانَ الله! النّاس يَستفتونك وأَنَّك تَستفتيني! قال : لا بدَّ أَن تُشير عليَّ . قال : إِنَّ رئيسَ الفُرس كسرى كان يختارُ المالَ ، ورئيسَ الرُّوم قيصر كان يختارُ الجمال ، ورئيسَ العرب كان يختار الحَسَبَ ، ورئيسَكم محمَّد كان يختارُ الدِّين ؛ فانظرْ لنفسك بمن تَقتدي .

• وكان يُقال[3] : من أُعطيَ أَربعاً لم يُمْنَع أَربعاً ؛ من أُعطيَ الشُّكر لم يُمنع المزيد ، ومن أُعطيَ التّوبةَ لم يُمنع القبول ، ومن أُعطيَ الاستخارة لم يُمْنَع الخَيْرَة ، ومن أُعطيَ المشورة لم يُمنع الصَّواب .

• وقيل[4] : إِذا استخار الرّجل ربَّه ، واستشار صحبه ، وأَجهد رأيه ، فقد قضى ما عليه ، ويَقضي الله تعالى في أَمره ما يُحِبُّ .

• وقال بعضُهم[5] : خَمير الرَّأْي خير من فَطيره ، وتَقديمه خير من تأْخيره .

• وقالت الحكماءُ[6] : لا تُشاور مُعَلِّماً ، ولا راعيَ غَنَمٍ ، ولا كَثيرَ القُعود مع النِّساء ، ولا صاحبَ حاجةٍ يُريد قضاءَها ، ولا خائِفاً ، ولا حاقِناً .

• وقيل : سبعة لا ينبغي لصاحبٍ أَن يُشاورَهم ؛ جاهلٌ ، وعَدُوٌّ ، وحَسودٌ ، ومُراءٍ ، وجَبانٌ ، وبَخيلٌ ، وذو هوىً ؛ فإِن الجاهلَ يضلُّ ، والعدوُّ يريدُ

---

(١) التذكرة الحمدونية (٣/ ٣٠٦) والزيادة منه .
(٢) التذكرة الحمدونية (٣/ ٣١٧) .
(٣) عيون الأخبار (١/ ٣١) .
(٤) ربيع الأبرار (٤/ ٤٧) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٣١٦) لأَعرابي .
(٥) لعبد الله بن وهب الراسبي في عيون الأخبار (١/ ٣١) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٣٠٤) .
(٦) عيون الأخبار (١/ ٣١) والعقد الفريد (١/ ٦٤) وسراج الملوك (١/ ٣٢٤) .

الهلاكَ ، والحسودُ يتمنَّى زوالَ النِّعمةِ ، والمُرائي واقفُ مع رضا النّاس ، والجبانُ من رَأْيه الهَرَبُ ، والبَخيلُ حريصٌ على جَمْعِ المالِ فلا رَأْي له في غيره ، وذو الهوى أَسيرُ هَواه فلا يقدر على مُخالفته .

● وحُكي أَنَّ رَجُلاً من أَهل يَثرب يُعرف بالأَسْلَميّ قال : ركبني دَينٌ أَثقل كاهلي ، وطالبني به مُستحقُّوه ، واشتدَّت حاجتي إِلى ما لا بدَّ منه ، وضاقَت عليَّ الأَرضُ ، ولم أَهتدِ إِلى ما أَصنعُ ، فشاورتُ مَن أَثقُ به من ذوي المودَّة والرَّأْي ، فأَشارَ عليَّ بقَصدِ المُهَلَّبِ بن أَبي صُفرة بالعراق ، فقلت له : تمنعني المشَقَّةُ وبُعْدُ الشُّقَّة وتيهُ المُهَلَّب ؛ ثم إِني عَدَلْتُ عن ذلك المشير إِلى استشارة غيره ، فلا والله ما زادني على ما ذكره الصَّديق الأَوَّل ، فرأَيت أَنَّ قَبول المشورة خيرٌ من مُخالفتها ، فركبتُ ناقتي وصَحبتُ رُفقةً في الطَّريق ، وقَصدتُ العراقَ ، فلمّا وصلتُ دخلتُ على المهلَّب ، فسلَّمتُ عليه وقلتُ له : أَصلحَ اللهُ الأَمير ، إِنّي قطعتُ إِليك الدَّهناء ، وضربتُ أَكبادَ الإِبلِ من يَثرب ؛ فإِنَّه أَشارَ عليَّ بعضُ ذوي الحِجى والرَّأْي بِقَصْدك لقضاءِ حاجتي ، فقال : هَلْ أَتيتنا بوَسيلة أَو بقَرابة وعَشيرة ، فقلتُ : لا ، ولكنِّي رأَيتُك أَهلاً لقضاءِ حاجتي ، فإِنْ قُمتَ بها فأَهلٌ لذلك أَنت ، وإِنْ يَحُلْ دُونَها حائِلٌ لَم أَذُمّ يومَك ، ولم أَيْأَس من غَدك ؛ فقال المهلَّب لحاجبه : ٱذهبْ به ، وٱدفعْ إِليه ما في خِزانةِ مالِنا السَّاعة ؛ فأَخذني معه ، فوجدتُ في خِزانته ثمانين أَلف درهمٍ ، فدفَعها إِليَّ ، فلمَّا رأَيتُ ذلك لم أَملك نفسي فَرحاً وسُروراً ، ثم عاد الحاجبُ بي إِليه مُسرعاً ، فقال : هل ما وَصَلك يقومُ بقضاءِ حاجَتك؟ فقلت : نعم ، أَيُّها الأَمير ، وزيادةٌ ، فقال : الحمدُ لله على نُجْحِ سَعْيكَ ، واجتنائك جَنى مشُورَتك ، وتَحَقُّقِ ظَنِّ مَن أَشارَ عليك بقَصْدنا .

قال الأَسلميُّ : فلمَّا سمعتُ كلامَه وقد أَحرزتُ صِلتَهُ ، أَنشدتُه وأَنا واقفٌ بين يديه : [من البسيط]

يا مَن على الجُود صاغَ اللهُ راحَتَهُ   فَلَيْسَ يُحْسِنُ غَيْرَ البَذْلِ والجُودِ

عَمَّتْ عَطاياكَ أَهْلَ الأَرْضِ قاطِبَةً ... فَأَنْتَ والجُودُ مَنْحوتانِ من عُودِ
مَن استشارَ فَبابُ النُّجْحِ مُنْفَتِحٌ ... لَدَيهِ فيما ابتغاهُ غَيْرُ مَرْدُودِ

ثمَّ عُدْتُ إلى المدينةِ فقَضيت دَيْني ، ووسَّعْتُ على أَهلي ، وجازَيتُ المُشيرَ عَلَيَّ ، وعاهدتُ اللهَ تعالى أَن لا أَتركَ الاستشارةَ في جَميعِ أُموري ما عشتُ .

● وحُكي[1] عن الخليفة المنصور ، أَنَّه كان صَدَرَ مِن عَمِّه عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس أُمورٌ مُؤْلِمَةٌ ، لا تَحتملُها حِراسة الخلافة ولا تتجاوزُ عنها سياسةُ المُلك ، فحبَسه عنده ، ثم بلغه عن ابن عمِّه عيسى بن موسى بن عليّ ، وكان والياً على الكوفة ما أَفسد عقيدَته فيه ، وأَوحشَه منه ، وصَرف وَجْهَ مَيْلِهِ إليه عنه ، فتألَّم المنصورُ من ذلك وساءَ ظنُّه ، وتأَرَّق جَفْنُهُ ، وَقلَّ أَمْنُهُ ، وتَزايد خوفُه وحُزنه ، فأَدَّته فِكرته إلى أَمرٍ دَبَّره وكتَمه عن جميع حاشيته وسَتره ، واستحضر ابن عمِّه عيسى بن موسى وأَجراه على عادةِ إكرامه ، ثم أَخرج مَن كان بحضرته وأَقبلَ على عيسى وقال له : يا ابنَ العمّ ؛ إنِّي مُطلعك على أَمرٍ لا أَجدُ غيرك من أَهله ، ولا أَرى سواك مُساعداً لي على حَمل ثِقله ، فَهل أَنت في موضِع ظنِّي بك ، وعاملٌ ما فيه بَقاءُ نِعمتك الَّتي هي مَنُوطَةٌ ببقاءِ مُلكي؟ فقال له عيسى بن موسى : أَنا عبدُ أَمير المؤمنين ، ونفسي طوعُ أَمره ونَهيه ؛ فقال : إنَّ عمِّي وعمَّك عبد الله قد فَسدت بِطانته ، واعتمدَ على ما بعضُه يُبيح دَمَه ، وفي قتله صلاحُ مُلْكنا ، فَخُذْهُ إليك واقْتله سِرّاً ؛ ثم سَلَّمَهُ إليه ، وعزم المنصورُ على الحجِّ مُضمراً أَنَّ ابن عمِّه عيسى إذا قَتَلَ عمَّه عبد الله أَلزمه القَصاص ، وسلَّمه إلى أعمامه إخوة عبد الله ليقتلوه به قَصاصاً ، فيكون قد استراحَ من الاثنين عبد الله وعيسى .

قال عيسى : فلمّا أَخذتُ عمِّي وفكَّرتُ في قتله رأَيتُ من الرَّأي أَن أُشاورَ في

---

(١) تاريخ الطبري (٨/ ٧-٩) ، كامل ابن الأثير (٥/ ٥٨١) ، الوزراء والكتاب (٩٣) الفرج بعد الشدة (٤/ ٨).

قضيَّته من له رأيٌ ، عسى أَن أُصيبَ الصَّواب في ذلك ، فأَحضرت يُونس بن فروة الكاتب ، وكان لي حُسن ظنٍّ في رأيه ، وعقيدةٌ صالحةٌ في مَعرفَتِهِ فقلتُ له : إِنَّ أَمير المؤمنين دفع إِليَّ عمَّه عبد الله وأَمرني بقتله وإِخفاءِ أَمره ، فما رأيُك في ذلك؟ وما تُشيرُ به؟ فقال لي يونس : أَيُّها الأَمير ، احفظْ نَفْسَكَ بِحِفْظِ عَمِّك وعَمِّ أَميرِ المؤمنين ، فإِنّي أَرى لك أَن تُدخلَه في مكانٍ داخلَ داركَ وتكتمَ أَمره عن كلِّ أَحدٍ ممَّن عندك ، وتتولَّى بنفسك حَمْلَ طعامه وشرابِه إِليه ، وتجعلَ دونه مغالقَ وأبواباً ؛ وأَظهِرْ لأَمير المؤمنين أَنَّك قَتَلْتَهُ وأَنفذت أَمره فيه ، وانتهيتَ إِلى العمل بطاعته ؛ فكأَنِّي به إِذا تحقَّق منك أَنَّك فعلتَ ما أَمركَ به ، وقتلتَ عمَّه أَمرك بإِحضاره على رُؤوس الأَشهاد ، فإِن اعترفتَ أَنَّك قتلته بأَمره ، أَنكرَ أَمره لكَ وأَخذَك بقتله وقَتَلَكَ .

قال عيسى بن موسى : فَقَبِلْتُ مَشورةَ يونس وعَمِلْتُ بها ، وأَظهرتُ لأَمير المؤمنين أَنّي أَنفذتُ أَمره .

ثمَّ حجَّ المنصور ، فلمّا قَدم من حِجِّه وقد استقرَّ في نفسه أَنَّني قد قتلت عمَّه عبد الله دسَّ إِلىٰ عُمومته إِخوةِ عبد الله ، وحثَّهم على أَن يَسألوه في أَخيهم ، ويَستوهبوه منه ، فجاؤوا إِليه وقد جلس والنَّاس بين يديه على مراتبهم ، فسأَلوه في عبد الله فقال : نعم ، إِنَّ حقوقَكم تَقتضي إِسعافكم بحاجتكم ؛ كيفَ وفيها صِلَةُ رَحِمٍ وإِحسانٌ إِلى مَن هو في مقام الوالد؟ ثم أَمر بإِحضار عيسى بن موسى ، فأُحضرَ لوقته فقال : يا عيسى ، كنتُ دفعتُ إِليك قبل خُروجي إِلى الحجِّ عمِّي عبد الله ليكونَ عندك في مَنزلك إِلى حين رُجوعي ؛ فقال عيسى : قد فعلتَ يا أَمير المؤمنين ؛ فقال المنصور : وقد سأَلني فيه عُمومتُك ، وقد رأَيتُ الصَّفحَ عنه وقضاءَ حاجتهم وصِلَةَ الرَّحم بإِجابة سُؤالهم فيه ، فائْتنا به السَّاعة . قال عيسى : فقلت : يا أَمير المؤمنين ، أَلَم تأْمرني بقتله والمبادرة إِلى ذلك؟ قال : كذبتَ ، لم آمرْك بذلك ، ولو أَردتُ قتله لأَسلمتُه إِلى من هو بصدد ذلك ؛ ثم أَظهر الغيظَ ، وقال لعُمومته : قد أَقرَّ بقتْلِ أَخيكم مُدَّعياً أَنَّني

أَمرتُهُ بقتله ، وقد كذبَ عليَّ . قالوا : يا أَمير المؤمنين ، فادفعه إِلينا لنقتلَه به ونقتصَّ منه ؛ فقال : شأنَكُمْ به .

قال عيسى : فأَخذوني إِلى الرَّحْبَة ، واجتمعَ النّاس عليَّ ، فقام واحدٌ من عُمومتي إِليَّ وسلَّ سيفَه ليضربَني به ؛ فقلت له : يا عمُّ ، أَفاعلٌ أَنت؟ قال : إِي والله ، كيف لا أَقتلُك وقد قتلتَ أَخي؟ فقلتُ لهم : لا تَعجلوا ورُدُّوني إِلى أَمير المؤمنين ، فَرَدُّوني إِليه فقلتُ : يا أَمير المؤمنين ، إِنَّما أَردتَ قتلي بقتله! والَّذي دَبَّرته عليَّ عَصَمَني الله تعالى من فِعله ، وهذا عمُّك باقٍ حَيٌّ سَوِيٌّ ، فإِن أَمرتني بِدَفْعِهِ إِليهم دفعتُه السَّاعة . فأَطرقَ المنصور ، وعلمَ أَنَّ ريحَ فِكْرِهِ صادَفَت إِعصاراً ، وأَنَّ انفرادَه بتدبيره قارفَ خَساراً ، ثم رفعَ رأسه وقال : ٱئْتنا به ؛ فمضى عيسى وأَحضر عبد الله ؛ فلمّا رآهُ المنصورُ قال لعُمومته : اتركوه عِندي وانصرِفوا حتَّى أَرى فيه رأياً .

قال عيسى: فتركتُه وانصرفتُ، وانصرفَ إِخوته، فَسَلِمَتْ رُوحي، وزالَت كُرْبَتي ، وكان ذلك ببركةِ الاستشارة بيونس وقبولِ مَشورته والعمل بها .

ثم إِنَّ المنصورَ أَسكنَ عبد الله في بيتٍ أَساسُهُ قد بُني على المِلْح ، ثم أَرسلَ الماءَ حَوله ليلاً فذابَ المِلحُ وسقط البيت ، فمات عبد الله ، ودُفن بمقابر باب الشَّام ، وسَلِمَ عيسى من هذه المكيدة ومن سِهام مَراميها البعيدة .

وممَّا جاء في النَّصيحة

- اعلموا[١] أَنَّ النَّصيحةَ للمسلمين وللخلائقِ أَجمعين مِن سُنن المرسَلين ؛ قال الله تعالى إِخباراً عن نوح عليه الصَّلاة والسَّلام : ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [هود : ١١/ ٣٤] .
- وقال شُعيب عليه السَّلام : ﴿ وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾

(١) عن سراج الملوك (١/ ٣٢٥).

[الأعراف: ٧/ ٩٢] وقال صالحٌ عليه السَّلام: ﴿ وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٧/ ٧٩].

• ورُوِيَ[1] عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه، عن النَّبي ﷺ قال: « إنَّ الدِّينَ النَّصيحةُ، إنَّ الدِّينَ النَّصيحةُ، إنَّ الدِّينَ النَّصيحةُ ». قالوا: لمن يا رسوله الله؟ قال: « لله ولكِتابِهِ ولِرسُولِهِ ولأَئِمَّةِ المُسلمين ولِعامَّتهم ».

• فالنُّصْحُ لله[2]: هو وَصْفُهُ بما هو أَهله، وتنزيهُه عمّا ليس له بأَهل، والقيامُ بتعظيمه، والخضوعُ له ظاهراً وباطناً، والرَّغبةُ في محابّه، والبُعْدُ عن مَساخِطِهِ، ومُوالاةُ مَن أَطاعه، ومُعاداةُ مَن عَصاه، والجهادُ في رَدِّ العُصاة إلى طاعته قولاً وفِعْلاً.

والنَّصيحةُ لكتابه: إقامةُ التِّلاوةِ، وتَحسينُه عند القراءة، وتَفَهُّمُ ما فيه، والذَّبُّ عنه من تأويل المُحْدِثين وطعنِ الطاعنين، وتعليمُ ما فيه للخلائق أَجمعين؛ قال الله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٣٨/ ٢٩].

والنَّصيحة للرَّسول عليه السَّلام: إحياءُ سُنَّته بالطَّلب لها، وإِحياءُ طريقته في بَثِّ الدَّعوى، وتأليفُ الكلمةِ، والتَّخَلُّقُ بالأَخلاق الطَّاهرة.

والنَّصيحةُ للأَئِمَّة: معاونَتُهم على ما كُلِّفوا القيامَ به بِتَنْبِيهِهم عندَ الغَفلة، وإِرشادهم عند الهَفوَة، وتَعليمهم ما جَهلوا، وتَحذيرهم ممَّن يُريد بهم السُّوء، وإِعلامِهم بأَخلاق عُمَّالهم وسيرتهم في الرَّعيَّة، وسَدِّ خَلَّتِهِم عند الحاجة، وَرَدِّ القلوبِ النّافرة إِليهم.

والنَّصيحةُ لِعامَّةِ المسلمين: الشَّفَقَةُ عليهم، وتوقيرُ كَبيرهم، والرَّحمةُ

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٣٠٩) وسراج الملوك (١/ ٣٢٥).
(٢) عن سراج الملوك (١/ ٣٢٦).

لصَغيرهم ، وتَفريجُ كُرَبهم ، وتَوَقِّي ما يشغَلُ خَواطرهم ، ويفتحُ باب الوَسواسِ عليهم .

واعلم أَنَّ جُرْعَةَ النَّصيحة مُرَّةٌ ، لا يقبلُها إلاّ أُولو العَزْم .

• وقال[1] مَيمون بن مِهْران: قال لي عُمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: قُلْ لي في وَجْهي ما أَكرهُ، فإِنَّ الرَّجُلَ لا يَنصحُ أَخاه حتَّى يقولَ له في وجهه ما يَكره.

• وفي[2] منثور الحِكَم : وَدَّكَ مَن نَصحك ، وقَلاك مَن مَشى في هَواك .

• وقال[3] أَبو الدَّرداء رضي الله عنه : إِن شِئتم لأَنْصَحَنَّ لكم ؛ إِنَّ أَحَبَّ عبادِ الله إِلى الله الَّذين يُحَبِّبون الله تعالى إِلى عباده، ويَعملون في الأَرض نُصحاً.

• ولورقة بن نوفل[4] : [من البسيط]

لَقَدْ نَصَحْتُ لأَقوامٍ وَقُلْتُ لَهُمْ ... إِنِّي النَّذيرُ فلا يَغْرُرْكُمْ أَحَدُ
لا شَيْءَ مِمَّا تَرى تَبْقَى بَشَاشَتُهُ ... إِلاَّ الإِلهُ وَيُودي المالُ والوَلَدُ
لَمْ تُغْنِ عَنْ هُرْمُزٍ يوماً ذَخائِرُهُ ... والخُلْدَ قد حاوَلَتْ عادٌ فما خَلَدوا

• وقال[5] بعض الخلفاء لجرير بن يزيد : إِنّي قد أَعددتك لأَمر ؛ قال : يا أَمير المؤمنين ، إِنَّ الله تعالى قد أَعدّ لكَ منِّي قَلْباً مَعقوداً بنَصيحتك ، ويداً مَبسوطةً لطاعَتك ، وسيفاً مُجرَّداً على عدوك .

• وأَنشد الأَصمعيّ[6] : [من البسيط]

---

(١) سراج الملوك (١/ ٣٢٨)؛ والقول في حلية الأولياء (٤/ ٨٦) لميمون بن مهران يقوله لجعفر ابن برقان : يا جعفر قل لي في وجهي . . .
(٢) سراج الملوك (١/ ٣٢٨).
(٣) سراج الملوك (١/ ٣٣١).
(٤) خزانة الأدب (٣/ ٣٨٩) ومختصر تاريخ دمشق (٢٦/ ٢٨٤-٢٨٥) وسراج الملوك (١/ ٣٣٠).
(٥) ربيع الأبرار (٥/ ٣١٠) ، وانظر تخريجاً وافياً وتعقيباً في أسرار الحكماء (١٢٧) ، ولعل الصواب : قال بعض الخلفاء ليزيد بن مزيد.
(٦) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٥/ ٣١٠).

النُّصْحُ أَرْخَصُ ما باعَ الرِّجالُ فلا ... تَـرْدُدْ على نـاصِحٍ نُصْحاً وَلا تَلُـمِ
إِنَّ النَّصـائِـحَ لا تَخْفـى مَنـاهِلُهـا ... على الرِّجالِ ذَوي الأَلبابِ والفِهَمِ

• ولمُعاذ بن مُسلم[1] : [من الوافر]

نَصَحْتُـكَ والنَّصيحَـةُ إن تَعَـدَّتْ ... هَـوى المَنْصُـوحِ عَـزَّ لَهـا القَبُـولُ
فَخـالَفْـتَ الَّـذي لَـكَ فِيـهِ حَـظٌّ ... فَغـالَـكَ دُونَ مـا أَمَّلْـتَ غُـولُ

• وقيل[2] : أَشار فيروز بن حُصَيْن على يَزيد بن المهلَّب أن لا يضع يده في يد الحجاج فلم يقبل منه، وسار إليه، فحبسه وحبس أهله؛ فقال فيروز: [من الطويل]

أَمَـرْتُـكَ أَمْـراً حـازِمـاً فَعَصَيْتَنِـي ... فـأَصْبَحْـتَ مَسْلُـوبَ الإِمـارَةِ نـادِمـا
أَمَـرتُـكَ بـالحَجّـاج إِذْ أَنْـتَ قـادِرٌ ... فَنَفْسَـكَ وَلِّ اللَّـومَ إِن كُنْـتَ لائمـا
فَمـا أَنـا بـالبـاكـي عليـكَ صَبـابَـةً ... وَمـا أَنـا بـالـدَّاعـي لِتَـرْجِـعَ سـالِمـا

• ويقال[3] : مَن ٱصفرَّ وَجهُهُ من النَّصيحة، ٱسْوَدَّ لونُهُ من الفَضيحة.

• وقال طَرَفَة[4] : [من الطويل]

ولا تَرْفِدَنَّ النُّصحَ مَن لَيسَ أَهْلَهُ ... وَكُـنْ حيـنَ تَسْتَغْني بِـرَأْيِكَ غـانِيـا
وإِنَّ ٱمْـرأً يَـومـاً تَـوَلَّـى بِـرَأْيِـهِ ... فَدَعْهُ يُصيبُ الرُّشدَ أَو يَكُ غاوِيا

• وفي مِثله قال بعضُهم : [من الطويل]

مِنَ النّاس مَن إِنْ يَسْتَشِرْكَ فَتَجْتَهِد ... لَهُ الرَّأْيَ يَسْتَغْشِشْكَ ما لَمْ تُتَابِعْهْ
فَـلا تَمْنَحَـنَّ الـرَّأْيَ مَـن لَيْـسَ أَهْلَـهُ ... فَـلا أَنْـتَ مَحمـودٌ وَلا الـرَّأْيُ نـافِعُـهْ

والله أَعلم، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

---

(١) له في ربيع الأبرار (٥/ ٣١١).
(٢) ربيع الأبرار (٥/ ٣١٢).
(٣) ربيع الأبرار (٥/ ٣١٣).
(٤) ديوانه (٢٠١).

الباب الثّاني عشر

في الوصايا الحسنة ، والمواعظ المُستحسنة ، وما أَشبه ذلك

• قال الله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٦/ ١٢٥] .

• وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ١٦/ ٩٠] .

• وقال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران : ٣/ ١٠٤] .

• وقال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [التوبة : ٩/ ٧١] ، والآياتُ في ذلك كثيرةٌ مشهورةٌ ، وفوائدها جَمَّةٌ مَنْشورة .

• وروينا[1] في « صحيح مسلم » عن أَبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَن رأَى منكم مُنْكراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيده ، فإِنْ لم يستطعْ فَبِلسانه ، فإِنْ لم يستطعْ فَبِقلبه ، وذلك أَضعفُ الإِيمان » .

• وقال شيخُنا مُحيي الدِّين النَّووي رحمة الله تعالى عليه ، في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة : ٥/ ١٠٢] : إِنَّ

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٦٩) رقم (٤٩) .

هذه الآية الكريمة ممّا يَغترُّ بها أكثرُ الجاهلين ، ويحملونَها على غير وَجهها ، بل الصَّواب في معناها : أنَّكم إذا فعلتُم ما أُمِرتُم به لا يَضُرُّكم ضَلالةُ مَن ضَلَّ ؛ ومِن جملةِ ما أُمروا به الأَمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عن المُنكر ، والآية مرتَّبةٌ في المعنى على قوله تعالى : ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [المائدة : ٥/ ٩٩] .

• وقال محمّد بن تمّام[١] : الموعظةُ جُنْدٌ من جنود الله تعالى ، ومَثَلُها مَثَلُ الطِّين يُضْرَبُ به على الحائط ، إن استمسكَ نَفَعَ وإن وَقَعَ أثَّرَ .

• ومن كلام عليٍّ رضي الله تعالى عنه[١] : لا تكونَنَّ ممَّن لا تنفعُه الموعظَة إلا إذا بالغتَ في إيلامه ؛ فإنَّ العاقلَ يتَّعظ بالأَدبِ ، والبَهائمَ لا تتَّعظُ إلا بالضَّرب .

• وأَنشدَ الجاحظُ[٢] : [من البسيط]

وَلَيْسَ يَزْجُرُكُمْ ما تُوعَظُونَ بِهِ والبَهْمُ يَزْجُرُهَا الرَّاعي فَتَنْزَجِرُ

• وكتب رجلٌ إلى صديقٍ له[٣] : امّا بعد ؛ فَعِظِ النَّاسَ بِفِعْلِكَ ، ولا تَعِظْهُم بقَولك ، واسْتَحِ من الله بقدرِ قُرْبِهِ منكَ ، وخَفْهُ بقدرِ قدرته عليك ؛ والسَّلام .

• وقيل[٣] : مَن كان له من نفسه واعظٌ كان له من الله حافظٌ .

• وقال لُقمان[٤] : الموعظةُ تشقُّ على السَّفيهِ كما يشقُّ صُعود الوَعْر على الشَّيخ الكبير .

• قيل[٤] : أَوحى الله تعالى إلى داود عليه السَّلام : إنَّك إن أَتيتني بعبدٍ آبق كتبتُك عندي حَميداً ، ومن كتبتُه عندي حَميداً لم أُعذِّبه بعدها أَبداً .

• وقال[٥] الرَّشيد لمنصور بن عمّار : عِظني وأَوجز ، فقال : يا أمير

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٣١١) .
(٢) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٥/ ٣١١) .
(٣) ربيع الأبرار (٥/ ٣١٢) .
(٤) ربيع الأبرار (٥/ ٣١٤) .
(٥) ربيع الأبرار (٥/ ٣١٥) .

المؤمنين : هل أحد أَحبُّ إِليك من نَفسك؟ قال : لا ؛ قال : إِن أَردتَ أَن لا تُسيءَ إِلى مَن تُحبُّ فافعلْ .

• وقال النَّبي ﷺ في بعض خُطَبه : « أَيُّها النّاسُ ، الأَيَّام تُطوى ، والأَعمار تَفنى ، والأَبدان في الثَّرى تَبْلى ، وإِنَّ اللَّيلَ والنَّهارَ يتراكضان تراكُضَ البَريد ، ويُقَرِّبان كُلَّ بعيدٍ ، ويُخلِقان كُلَّ جديد ، وفي ذلك ـ عباد الله ـ ما أَلهى عن الشَّهوات ورغَّب في الباقيات الصَّالحات » .

• ولمّا[1] لقيَ ميمون بن مِهران الحسنَ البصريّ قال له : لقد كنتُ أُحِبُّ أَن أَلقاك فَعِظْني ، فقرأَ الحسن البصريُّ : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [الجاثية : ٤٥/٢٣] ، ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٦/ ٢٠٥ـ٢٠٧] . فقال : عليكَ السَّلام أَبا سعيد ، لقد وَعَظْتَني أَحسن مَوعظة .

• ولما[2] ضَرَبَ ابن مُلْجَم ـ لعنهُ الله ـ عليّاً رضي الله عنه ، دخلَ منزله فاعترتْه غَشْيَةٌ ثم أَفاق ، فدعا الحسن والحُسين رضي الله تعالى عنهما وقال : أُوصيكما بتقوى الله تعالى ، والرَّغبة في الآخرة ، والزُّهد في الدُّنيا ، ولا تأسَفا على شيءٍ فاتكما منها ، فإِنَّكما عنها راحلان ، افعلا الخير وكونا للظَّالم خَصماً ، وللمظلوم عَوناً .

ثم دعا محمداً ولدَه وقال له : أَما سمعتَ ما أَوصيتُ به أَخويك؟ قال : بلى . قال : فإِنِّي أُوصيكَ بِهِ ، وعليك بِبِرِّ أَخَويك وتَوقيرهما ، ومَعرفة فَضْلهما ، ولا تقطعْ أَمراً دُونهما ؛ ثم أَقبل عليهما وقال : أُوصيكما به خيراً ، فإِنَّه أَخوكما وابنُ أَبيكما ، وأَنتما تعلمان أَنَّ أَباه كان يحبُّه ، فأَحِبّاه .

---

(١) سراج الملوك (١/ ١٠٥) وتاريخ الرقة (٤٧) وحلية الأولياء (٤/ ٨٣) ومختصر تاريخ دمشق (٢٦/ ٦٣) .

(٢) سراج الملوك (١/ ١٠٧) وما بعد ، وتاريخ الطبري (٥/ ١٤٧) ومروج الذهب (٣/ ١٦٧) .

ثم قال : يا بَنيَّ ، أُوصيكم بتقوى الله في الغيب والشَّهادة ، وكلمةِ الحقِّ في الرِّضا والغَضَب ، والقَصدِ في الغنى والفقر ، والعَدل في الصَّديق والعدوِّ ، والعملِ في النَّشاط والكَسل ، والرِّضا عن الله في الشِّدَّة والرَّخاء .

يا بنيَّ ، ما شَرٌّ بعده الجَنَّة بِشَرٍّ ، ولا خيرٌ بعدَه النَّارُ بخيرٍ ، وكلُّ نعيم دونَ الجنَّة حقيرٌ ، وكُلُّ بلاءٍ دُونَ النَّار عافيةٌ .

يا بَنِيَّ ، مَن أَبصرَ عَيْبَ نَفسه اشتغلَ عن عَيْبِ غَيْره ، ومَن رضي بما قَسم الله له لم يحزن على ما فاته ، ومَن سَلَّ سيف البَغي قُتل به ، ومن حَفر لأَخيه بِئْراً وقع فيها ، ومَن هَتك حِجاب أَخيه هُتكت عوراتُ بنيه ، ومَن نَسي خطيئَته استعظَم خطيئةَ غيره ، ومَن أُعجبَ برأيه ضلَّ ، ومَن استغنى بعقله زَلَّ ، ومَن تكبَّرَ على النّاس ذَلّ ، ومَن خالطَ الأَنذال احتُقر ، ومَن دَخل مَداخل السُّوء اتُّهِمَ ، ومَن جالسَ العُلماء وُقِّرَ ، ومَن مَزَحَ استُخِفَّ به ، ومَن أَكثرَ من شَيءٍ عُرِفَ به ، ومن كَثُرَ كلامه كَثُرَ خَطَؤُه وقَلَّ حياؤُه ، ومَن قَلَّ حَياؤُه قَلَّ وَرَعُه ، ومَن قَلَّ وَرَعُه ماتَ قلبه ، ومَن مات قلبُه دَخل النّار .

يا بَنيَّ ، الأَدبُ ميزانُ الرَّجل ، وحُسنُ الخُلُقِ خَيْرُ قَرينٍ .

يا بَنيَّ ، العافيةُ عَشرةُ أَجزاءٍ ؛ تسعةٌ منها في الصَّمت إلاّ عن ذكر الله تعالى ، وواحدةٌ في تَرك مُجالسة السُّفهاء .

يا بَنيَّ ، زِينةُ الفَقْر الصَّبْرُ ، وَزينة الغنى الشُّكرُ .

يا بَنيَّ ، لا شَرَفَ أَعْلى من الإسلام ، ولا كَرَمَ أَعَزَّ من التَّقوى ، ولا شفيعَ أَنجح من التَّوبة ، ولا لِباسَ أَجمل من العافية .

يا بَنيَّ ، الحرصُ مفتاحُ التَّعَبِ ومَطِيَّةُ النَّصَبِ .

• ولمّا[1] حَضَرَت هشامَ بن عبد الملك الوفاةُ ، نظرَ إِلى أَهله يبكون حَوله ،

---

(١) سراج الملوك (١/ ١١٢) ومختصر تاريخ دمشق (٢٧/ ١٠٤).

فقال : جادَ لكم هِشام بالدُّنيا ، وجُدتم له بالبكاء ، وتركَ لكم جميعَ ما جَمَعَ ، وتركتُم عليه ما حُمِّلَ ، ما أَعظمَ مُنْقَلَبَ هِشام إن لم يَغفرِ اللهُ له .

• وقال(١) الأَوزاعيُّ للمنصور في بعض كلامه : يا أَمير المؤمنين ، أَما علمتَ أَنَّه كان بِيَدِ رسول الله ﷺ جَريدةٌ يابسةٌ يَستاكُ بها وَيَردعُ بها المنافقين ، فأَتاهُ جبريلُ عليه السَّلام ، فقال : يا محمَّد ، ما هذه الجريدةُ الَّتي بيدك؟ اقذِفْها لا تَملأْ قُلوبَهم رُعباً! فكيفَ بِمَنْ سَفَكَ دِماء المسلمين ، وانتهَب أَموالهم؟ .

يا أَميرَ المؤمنين ، إنَّ المغفورَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبه وما تأَخَّر دَعا إِلى القَصاص من نفسه بِخَدْشَةٍ خَدَشَها أَعرابيّاً من غير تعمُّدٍ .

يا أَمير المؤمنين ، لو أَنَّ ذَنُوباً من النّار صُبَّ ، وَوُضِعَ على الأَرض لأَحرقَها ، فكيفَ بمن يَتَجرَّعُهُ؟ ولو أن ثوباً من النار وضِع على الأرض لأَحرقَها ، فكيفَ بمن يَتَقَمَّصُهُ؟ ولو أَنَّ حَلقةً من سَلاسل جَهَنَّم وُضعت على جَبَلٍ لذابَ ، فكيفَ بمن يَتسلسلُ بها ، ويَرُدُّ فَضْلَها على عاتقه؟ .

• وَرَوى(٢) زيدُ بن أَسلم ، عن أَبيه ، قال : قلتُ لجعفر [بن سُليمان بن عبد الله بن جعفر] بن أَبي طالب الهاشميّ رضي الله تعالى عنه ، وكان والي المدينة : احذرْ أَن يأتيَ رجلٌ غداً ليس له في الإسلام نَسَبٌ ، ولا أَبٌ ولا جَدٌّ ، فيكونَ أَولى برسولِ الله ﷺ منك ، كما كانت امرأَةُ فِرعون أَولى بموسى ، وكما كانت امرأَة نُوح ، وامرأَة لوطٍ أَولى بفرعون ؛ ومَن أَبطأَ به عَمَلُهُ لم يُسْرِعْ بهِ نَسَبُهُ ، ومَن أَسرعَ به عَمله لم يُبطِئ به نَسَبُهُ .

• وَرَوى(٣) زياد ، عن مالِك بن أَنس رضي الله تعالى عنه ، قال : لمّا بَعَثَ أَبو جعفر إِلى مالك بن أَنس وابن طاووس قال : دَخلنا عليه وهو جالسٌ على

---

(١) سراج الملوك (١/ ١٢٩) ومختصر تاريخ دمشق (١٤/ ٣٣٥).
(٢) سراج الملوك (١/ ١٥٥) والزيادة منه.
(٣) التذكرة الحمدونية (٣/ ١٨٦) ، والعقد الفريد (١/ ٥٤) وسراج الملوك (١/ ١٥١ـ١٥٢).

فُرش ، وبين يديه أَنطاعٌ قد بُسطت ، وجلاّدون بأَيديهم السُّيوف يَضربون الأَعناق ، فأَومأَ إِلينا أَن اجلسا ، فجلسنا ، فأَطرقَ زماناً طويلاً ثم رفع رأسه والتفتَ إِلى ابن طاووس وقال : حدِّثني عن أَبيك . قال : سمعتُ أَبي يقول : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ أَشدَّ النّاس عذاباً يوم القيامة رجلٌ أَشركه الله تعالى في مُلكه ، فأَدخل عليه الجَوْرَ في حُكمه » . فأَمسك أَبو جعفر ساعةً حتّى اسودَّ ما بيننا وبينه .

قال مالك : فَضَمَمْتُ ثيابي مَخافةَ أَن ينالها شيءٌ من دَم ابن طاووس؛ ثم قال : يا ابنَ طاووس ، ناولني هذه الدَّواة . فأَمسكَ عنه ، فقالَ : ما يَمنعك أَن تُناولنيها؟ قال : أَخافُ أَن تكتبَ بها مَعْصِيَةً ، فأَكونَ شَريكَكَ فيها . فلمّا سمع ذلك قال : قُوما عنِّي . فقال ابن طاووس : ﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾ [الكهف : ١٨/ ٦٤] .

قال مالك : فما زلتُ أَعرف لابن طاووسَ فَضْلَه من ذلك اليوم .

• وَرُوي[١] أَنَّ عُمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، قال لكعب الأَحبار : يا كعبُ خَوِّفْنا ؛ قال : أَوَليسَ فيكم كتابُ الله وسنَّةُ نَبيِّه ﷺ؟ قال : بلى يا كعبُ ، ولكن خَوِّفنا . فقال : يا أَمير المؤمنين ، اعملْ ، فإِنَّك لو وافَيتَ يوم القيامة بعملِ سَبعين نبيّاً ، لازْدَرَيْتَ عَمَلهم ممّا تَرى ، فنكَّس عمر رضي الله عنه رأسه ، وأَطرقَ مليّاً ، ثم رفع رأسه ، وقال : يا كعبُ خوِّفنا . فقال : يا أَمير المؤمنين ، لو فُتح من جهنَّم قدرُ مِنْخَرِ ثَوْرٍ بالمشرقِ ، ورَجُلٌ بالمغرب لغَلى دِماغُه ، حتَّى يَسيلَ من حَرِّها ؛ فنكّس عمر ثم أَفاق ، فقال : يا كعبُ زِدنا ؛ فقال : يا أَمير المؤمنين ، إِنَّ جهنَّم لتزفرُ زفرةً يوم القيامة ، فلا يبقى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ إِلاَّ جَثا على ركبتيه يقول : يا ربِّ ، لا أَسأَلُك اليومَ إِلاّ نفسي .

• وقالَ سيِّدي الشَّيخ أَبو بكر الطُّرطوشي رحمة الله تعالى عليه[٢] : دخلتُ

---

(١) حلية الأولياء (٥/ ٣٦٨ـ٣٦٩) ومختصر تاريخ دمشق (٢١/ ١٨٥) وسراج الملوك (١/ ١٤٥).

(٢) سراج الملوك (١/ ١٤٦).

على الأَفضل بن أَمير الجُيوش ، وهو أَميرٌ على مِصر ، فقلتُ : السَّلام عليكم ورحمةُ الله وبركاته ؛ فردَّ السَّلام على نحوِ ما سلَّمتُ رَدّاً جَميلاً ، وأَكرمَني إِكراماً جَزيلاً ، وأَمرني بدُخول مَجلسه ، وأَمرني بالجُلوس فيه . فقلتُ : أَيُّها الملِك ، إِنَّ الله تعالى قد أَحَلَّك مَحلاً عَلِيّاً شامِخاً ، وأَنزلَك مَنْزِلاً شريفاً باذِخاً ، وَمَلَّكَك طائفةً من مُلكه ، وأَشركَك في حُكمه ، ولم يرضَ أَن يكونَ أَمْرُ أَحدٍ فوقَ أَمْرِكَ ، فلا ترضَ أَن يكونَ أَحدٌ أَولى بالشُّكر مِنْك ، (وأَنَّ الله تعالى قد أَلزمَ الورى طاعتك ، فلا يكوننّ أَحدٌ أَطوعَ لله منك)[1] [وأَنَّ الله تعالى أَمر عباده بالشُّكر][2]، وليسَ الشُّكرُ باللِّسان ، وإِنَّما هو بالفِعالِ والإِحسان ؛ قال الله تعالى : ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ ﴾ [سبأ : ٣٤/١٣] .

واعلمْ أَنَّ هذا الَّذي أَصبحتَ فيه من المُلك ، إِنَّما صار إِليك بموتِ من كان قَبلك ، وهو خارجٌ عنك بمثلِ ما صارَ إِليك ، فاتَّقِ اللهَ فيما خَوَّلك من هذه الأُمَّة ، فإِنَّ الله تعالى سائِلُك عن الفَتيل والنَّقيرِ والقِطْمير ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الحجر : ١٥/٩٢-٩٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء : ٢١/٤٧] .

واعلمْ أَيّها الملِك ، أَنَّ الله تَعالى قد آتى مُلْك الدُّنيا بِحذافيرِها سُليمانَ بن داودَ عليه السَّلام ، فَسَخَّرَ له الإِنسَ والجنَّ والشَّياطين والطَّيرَ والوَحشَ والبَهائمَ ، وسخَّر ﴿ لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ﴾ [ص : ٣٨/٣٦] ثم رَفَعَ عنه حِسابَ ذلك أَجمع ، فقال له : ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [ص: ٣٨/٣٩]، فواللهِ ما عَدَّها نِعْمَةً كما عَددتُموها ، ولا حَسِبَها كَرامةً كما حَسِبْتُموها ، بل خافَ أَن تكونَ اسْتِدْراجاً من الله تعالى ، ومَكْراً به ؛ فقال : ﴿ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي

(١) من ب.
(٢) من سراج الملوك .

﴿لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٢٧/٤٠] فافتح البابَ، وسهِّلِ الحِجَابَ، وانصُر المظلومَ، وأغثِ الملهوفَ؛ أعانَك الله على نَصْرِ المظلومِ، وجَعَلَك كَهْفاً للملهوفِ وأَماناً للخائف.

ثم أتممتُ المجلسَ بأَن قلتُ: قد دَوَّخْتُ البلادَ شَرقاً وغَرباً، فما اخترتُ مَملكةً وارتحتُ إليها، ولَذَّتْ لي الإقامةُ فيها، غيرَ هذه المملكة؛ ثم أَنشدتُه: [من البسيط]

والنّاس أَكْيَس مِن أَنْ يَحْمَدوا رَجُلاً ... حَتَّى يَرَوا عِنْدَهُ آثارَ إِحْسانِ

وقال الفَضْل بن الرَّبيع[1]: حجَّ هارونُ الرَّشيد سنةً من السِّنين، فبينما أَنا نائمٌ ذات ليلةٍ إذْ سمعتُ قرعَ البابِ، فقلتُ: مَن هذا؟ فقالَ: أَجِبْ أَميرَ المؤمنين؛ فخرجتُ مُسرعاً، فقلتُ: يا أَميرَ المؤمنين، لو أَرسلتَ إليَّ أَتيتُك؛ فقال: وَيحك، قد حاكَ في نَفسي شيءٌ لا يُخرجه إلاّ عالمٌ، فانظر لِي رَجُلاً اَسأَلُه عنه؛ فقلتُ: هٰهنا سُفيان بن عُيينة؛ فقال: امضِ بِنا إليه؛ فأتيناه، فقرعتُ عليه البابَ، فقال: من هذا؟ فقلتُ: أَجِبْ أَميرَ المؤمنين؛ فخرجَ مُسرعاً، فقال: يا أَمير المؤمنين، لو أَرسلتَ إليَّ أَتيتُك؛ فقال: جِدَّ لِما جِئْنا له؛ فحادثَهُ ساعةً، ثم قال له: أَعليك دَيْنٌ؟ قال: نعم. فقال: يا أَبا العبّاس، اقض دَينه؛ ثم انصرَفْنا.

فقال: ما أَغنى عنِّي صاحبُك شيئاً، فانظرْ لي رَجُلاً أَسأَله؛ فقلتُ: هٰهنا عبد الرَّزّاق بن هَمَّام، فقال: امضِ بنا إليه؛ فأَتيناهُ، فقرعتُ عليه البابَ فقال: من هذا؟ قلتُ: أَجبْ أَميرَ المؤمنين؛ فخرجَ مُسرعاً، فقال: يا أَمير المؤمنين، لو أَرسلتَ إليَّ أَتيتُك؛ فقال: جِدَّ لِما جِئْنا له، فحادَثَهُ ساعةً، ثم قال له: أَعليك دَيْنٌ؟ قال: نعم. فقال: يا أَبا العبّاس، اقضِ دَينه؛ ثم انصرفنا.

---

(١) سراج الملوك (١/ ١٢١-١٢٦)، حلية الأولياء (٨/ ١٠٥)، مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ٣٢٣) وسير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢٨).

فقال : ما أَغنى عنِّي صاحبُك شيئاً ، فانظرْ لِي رَجُلاً أَسأله ؛ فقلتُ : هٰهنا الفُضَيْل بن عِياض ؛ فقال : امضِ بنا إِليه ؛ فأَتيناه ، فإِذا هو قائمٌ يُصَلِّي في غُرفته يتلو آيةً من كتابِ الله تعالى ، وهو يُرَدِّدُها ، فَقَرعتُ عليه البابَ ، فقال : مَن هذا؟ فقلتُ : أَجِبْ أَميرَ المؤمنين ، فقال : مالي ولأَمير المؤمنين؟ فقلتُ : سُبحان الله! أَما تَجبُ عليك طاعتُه؟ ففتَح البابَ ، ثم ارتَقى إِلى أَعلى الغُرفة ، فَأطفَأ السِّراج ثم الْتَجَأ إِلى زاويةٍ من زوايا الغُرفة ؛ فجعلنا نَجولُ عليه بأَيدينا ، فَسَبَقَت كَفُّ الرَّشيد كَفِّي إليه ، فقال : أَوَّاهُ مِن كَفٍّ ما أَلْيَنها إِن نَجَتْ غداً من عَذاب الله تعالى؟ فقلتُ في نَفسي : لَيُكَلِّمَنَّهُ اللَّيلةَ بكلامٍ نَقِيٍّ من قلبٍ نَقِيّ ؛ فقال : جِدّ لِما جئنا له رَحمك الله تعالى ؛ فقال : وفيمَ جِئتَ؟ حَمَلْتَ على نَفسك ، وجَميعُ مَن مَعك حَمَلوا عليك ، حتَّى لو سأَلتَهم أَن يَتَحَمَّلوا عنك شِقْصاً[1] من ذَنْبٍ ما فَعلوا ، ولكان أَشَدُّهُم حُبّاً لَكَ أَشَدَّهُم هَرَباً منك ؛ ثم قال : إِنَّ عُمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لمّا وليَ الخلافة دعا سالِمَ بن عبد الله ومحمّد بن كَعْبٍ القُرَظِيّ ، ورَجاء بن حَيْوَة ، فقال لهم : إِنِّي قد ابتُليت بهذا البلاءِ ، فأَشيروا عليَّ ؛ فَعَدَّ الخلافَةَ بلاءً ، وعددتَها أَنت وأَصحابُك نعمةً! فقال سالمُ بن عبد الله : إِن أَردتَ النَّجاة غداً من عذابِ الله ، فَصُمْ عن الدُّنيا ، ولْيَكُنْ إِفطارُك فيها على الموت . وقال محمّد بن كعب : إِن أَردتَ النَّجاةَ غداً من عذابِ الله تعالى ، فَلْيَكُن كبيرُ المسلمينَ عندك أَباً ، وأَوْسَطُهم عندك أَخاً ، وأَصغرُهم عندك وَلَداً ، فَبِرَّ أَباك ، وارحمْ أَخاك ، وتَحنَّن على وَلدك . وقال رجاء بن حَيْوة : إِن أَردتَ النَّجاةَ غداً من عذاب الله تعالى ، فأَحِبَّ للمسلمينَ ما تُحِبُّ لنفسك ، واكرَهْ لهم ما تكرهُ لنفسك ، ثم متى شئتَ مِتَّ .

وإِنِّي لأَقولُ هذا ، وإِنِّي لأَخاف عليك أَشَدَّ الخوف يوم تَزِلُّ الأَقدام ، فهل معكَ ـ رحمكَ الله ـ مثلَ هؤلاء القوم مَن يأمرُك بمثلِ هذا؟ .

---

(١) الشِّقص : الشيء اليسير.

فبكى هارون الرَّشيد بكاءً شديداً حتَّى غُشِي عليه ، فقلتُ له : ارفق بأميرِ المؤمنين ؛ فقال : يا ابنَ الرَّبيع ، قتلتَه أَنت وأَصحابُك ، وأَرفقُ به أَنا؟ ثم أَفاق هارون الرَّشيد ، فقال : زِدْني . فقال : يا أَمير المؤمنين ، بَلغني أَنَّ عاملاً لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه شكا إِليه سَهَراً ، فكتبَ له عُمر يقول : يا أَخي ، اذكرْ سَهَرَ أَهلِ النّار في النّارِ وخُلودَ الأَبدان ، فإِنَّ ذلك يطردُ بكَ إِلى ربِّك نائِماً ويقظان ، وإِيَّاكَ أَن تَزِلَّ قدمُك عن هذا السَّبيل ، فيكونَ آخرَ العهد بك ومنقطعَ الرَّجاء منك ؛ فلمّا قرأ كتابه طوى البلاد حتَّى قدمَ عليه ، فقال له عمر : ما أَقدمَك؟ فقال له : لقد خلعتَ قلبي بكتابك ، لا وَليتُ ولايةً أَبداً حتَّى أَلقى الله عزَّ وجلَّ .

فبكى هارون بكاءً شديداً ، ثم قال : زِدْني . قال : يا أَمير المؤمنين ، إِنَّ العبّاس عمَّ النَّبيِّ ﷺ جاءَ إِليه ، فقال : يا رسول الله ، أَمِّرْني إِمارةً ؛ فقال له النَّبيُّ ﷺ : « يا عبّاس ، نَفْسٌ تُحييها خيرٌ من إِمارة لا تُحصيها ؛ إِنَّ الإِمارةَ حَسْرَةٌ ونَدامةٌ يومَ القيامة ، فإِن استطعتَ اَن لا تكونَ أَميراً فافعل » .

فبكى هارون الرَّشيد بكاءً شديداً ، ثم قال : زِدْني يرحمُك الله . فقال : يا حَسَنَ الوَجه ، أَنت الذي يَسأَلُك الله عن هذا الخَلْقِ يومَ القيامة ، فإِن استطعتَ أَن تَقي هذا الوَجهَ من النّار فافعلْ ، وإِيَّاكَ أَن تُصبحَ وتُمسي وفي قَلبك غِشٌّ لِرَعِيَّتِك ؛ فإِنَّ النَّبيَّ ﷺ قال : « مَن أَصبحَ لهم غاشّاً لم يَرَحْ رائِحَةَ الجَنَّة » .

فبكى هارون الرَّشيدُ بُكاءً شديداً ، ثم قال له : أَعليك دَيْنٌ؟ قال : نَعم ، دَيْنٌ لِرَبِّي يُحاسبني عليه ، فالويلُ لي إِن ناقَشني ، والويلُ إِن سأَلني ، والويلُ لِي إِن لم يُلْهِمْني حُجَّتي . قال هارون : إِنَّما أَعني دَيْنَ العباد . قال : إِنَّ رَبِّي لم يأمُرْني بهذا ، وإِنَّما أَمرني أَن أَصدقَ وَعْدَه وأُطيعَ أَمْره ؛ قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ

﴿ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥١/٥٦ـ٥٨] . فقال له هارون : هذه أَلفُ دينار ، فخُذها وأَنفقْها على عِيالك ، وتَقوَّ بها على عِبادة رَبِّك ؛ فقال : سُبحان الله ، أَنا دَلَلْتُكَ على سَبيل الرَّشاد ، تُكافِئُني أَنتَ بمثلِ هذا؟ سَلَّمَك الله وَوَفَّقَك ؛ ثم صَمَتَ ، فلم يكلِّمْنا ، فخرجنا من عنده ، فقال لي هارون : إِذا دَلَلْتَني على رجلٍ فَدُلَّني على مِثل هذا ، فإِنَّ هذا سَيِّدُ المسلمين اليوم .

● واعلمْ أَنَّ الأَمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر له شُروطٌ وصفات ؛ قال سُليمان الخوّاص[1] : مَن وَعظَ أَخاه فيما بينه وبينه ، فهي نَصيحةٌ ، ومَن وَعظه على رُؤوس الأَشهاد فإِنَّما بَكَّتَهُ .

● وقالت[2] أُمُّ الدَّرداء رضي الله تعالى عنها : مَن وَعَظَ أَخاه سِرّاً فقد سَرَّهُ وَزانه ، ومَن وَعَظَهُ عَلانيةً فقد ساءَه وشانَه .

● ويُقال : مَن وَعَظَ أَخاه سِرّاً فقد نَصحه وسَرّه ، ومَن وَعَظَهُ جَهْراً فقد فَضَحَهُ وضَرَّه .

● وعن[3] عبد العزيز بن أَبي رواد قال : كان الرَّجلُ إِذا رأَى من أَخيه شيئاً أَمَرَهُ في سِتْرٍ ، ونَهاه في سِتْرٍ ، فَيُؤْجَرُ في سِتْرِهِ ويُؤْجَرُ في أَمْرِهِ ، وَيُؤْجَرُ في نَهْيِه .

● وعن[3] عُمر رضي الله تعالى عنه : إِذا رأَيتُم أَخاكم ذا زَلَّةٍ فَقَوِّمُوه وسَدِّدوه ، وادْعوا اللهَ أَن يرجعَ به إِلى التَّوبة ، فيتوبَ عليه ، ولا تكونوا أَعواناً للشَّيطان على أَخيكم .

● وبالله التَّوفيقُ إِلى أَقْوَمِ طريقٍ ، وحَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوكيل ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم .

* * *

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٣١١).
(٢) ربيع الأبرار (٥/ ٣١٢).
(٣) ربيع الأبرار (٥/ ٣١٤).

الباب الثالث عشر

في الصَّمت وصَون اللِّسان ، والنَّهي عن الغِيبة والسَّعي بالنميمة ، ومدح العُزلة وذمِّ الشُّهرة وفيه فصول

الفصل الأوّل

في الصَّمت وَصَوْن اللِّسان

• قال الله تعالى : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق : ٥٠/ ١٨] .

• وقال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر : ٨٩/ ١٤] .

• واعلمْ أَنَّه ينبغي للعاقل المكلَّفِ أَن يحفظَ لِسانَه عن جميعِ الكلامِ ، إلاَّ كلاماً تَظهرُ المصلحةُ فيه ، ومتى استوى الكلامُ وتركُه في المصلحةِ فالسُّنَّة الإِمساكُ عنه ، لأَنَّه قد يجرُّ الكلامَ المباحَ إِلى حرامٍ أَو مكروهٍ ، بل هذا كثيرٌ وغالبٌ في العادةِ ، والسَّلامةُ لا يُعادلها شيءٌ .

• ورَوينا في « صَحيحي البُخاري ومُسلم » عن أَبي هُريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال[1] : « مَن كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ ، فَلْيَقُلْ خَيراً أَو لِيَصْمُتْ » .

---

(١) صحيح البخاري (٧/ ٧٩ و١٠٤) ومسلم (١/ ٦٨ و٦٩ رقم ٤٧ و٣/ ١٣٥٣ رقم ٤٨) .

• وقال الشَّافعيُّ رضي الله تعالى عنه : إذا أَرادَ أَحدُكم الكلامَ فعليه أَن يفكِّر قبل كلامِه ، فإن ظهرَت المصلحةُ تكلَّم ، وإن شَكَّ لم يتكلَّمْ حتَّى تظهرَ .

• ورَوينا في صَحيحيهما ، عن أَبي موسى الأَشعريّ رضي الله تعالى عنه ، قال[1] : قلتُ يا رسولَ الله : أَيُّ المسلمين أَفضلُ؟ قال : « مَن سَلِمَ النَّاسُ مِن لِسانِه وَيَدِهِ » .

• ورَوينا في « كتاب التِّرمذيّ »[2] ، عن عُقبة بنِ عامر رضي الله تعالى عنه ، قال : قلتُ يا رسول الله : ما النَّجاةُ؟ قال : « أَمْسِكْ عليكَ لِسانَكَ ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ ، وابْكِ على خَطيئتك » . قال التِّرمذيُّ : حديثٌ حسنٌ .

• ورَوينا في « كتاب التِّرمذيّ » ، و« ابن ماجه »[3] ، عن أَبي هُريرة رضي الله عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ قال : « مِنْ حُسْنِ إِسلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ ما لا يَعْنيه » .

• والأَحاديث الصَّحيحة في ذلك كثيرة ، وفيما أَشرتُ كفايةٌ لمَن وفَّقه الله تعالى .

• وأَمّا الآثار عن السَّلَف وغيرهم في هذا الباب فكثيرةٌ لا تُحصرُ ، ولكن نُنَبِّهُ على شيءٍ منها .

• فممّا جاء مِن ذلك : ما بَلَغَنا أَن قُسَّ بن ساعِدة ، وأَكثمَ بن صَيْفيّ اجتمعا ، فقال أَحدُهما لصاحبه : كم وَجدتَ في ابن آدم من العُيوب؟ فقال : هي أَكثرُ من أَن تُحصرَ ، وقد وجدتُ خَصلةً إن استعملَها الإنسانُ سَتَرَت العيوبَ كلَّها . قال : وما هي؟ قال : حِفْظُ اللِّسَانِ .

---

(١) البخاري (١/ ٨ و٩) ومسلم (١/ ٦٥) رقم (٤١).
(٢) سنن الترمذي (٤/ ٥٢٣) رقم (٢٤٠٦).
(٣) سنن الترمذي (٤/ ٤٨٣) رقم (٢٣١٧) وابن ماجه (٢/ ١٣١٦) رقم (٣٩٧٦).

• وقال الإمام الشَّافعيّ رضي الله عنه لصاحبه الرَّبيع : يا ربيعُ ، لا تتكلَّم فيما لا يَعنيك ، فإنَّك إذا تكلَّمتَ بالكلمة مَلَكَتْكَ ولم تَملكها .

• وقال بعضُهم : مَثَلُ اللِّسانِ مَثَلُ السَّبُعِ ، إن لم تُوثقه عدا عليك ولَحقَك شَرُّهُ .

• وممّا أَنشدوه في هذا الباب : [من الكامل]

اْحْفَـظْ لِسـانَـكَ أَيُّهـا الإِنْسـانُ   لا يَلْـدَغَنَّـكَ إِنَّـهُ ثُعبـانُ
كَـمْ فـي المَقـابِـرِ مِـن قَتيـلِ لِسـانِـهِ   كـانَـتْ تَهـابُ لِقـاءَهُ الشُّجْعـانُ

• وقال الفارسيّ : [من الوافر]

لَعَمْـرُك إِنَّ فـي ذَنْبـي لَشُغْـلاً   لِنَفْسـي عـن ذُنُـوبِ بَنـي أُمَيَّـهْ
علـى رَبِّـي حِسـابُهُـمُ إليـهِ   تَنـاهـى عِلْـمُ ذَلـك لا إِلَيَّـهْ

• وقال[1] عليٌّ رضي الله عنه : إذا تمَّ العقلُ نقصَ الكلامُ .

• وقال أعرابيٌّ[2] : رُبَّ منطقٍ صَدَعَ جَمْعاً ، وسكوتٍ شَعَبَ صَدْعاً .

• وقال وُهَيْب بن الوَرد[3] : بَلَغَنا أَنَّ الحِكمة عشرةَ أَجزاء : تسعةٌ منها في الصَّمت ، والعاشرُ في عُزلة النّاس .

• وقال عليُّ بن هِشام رحمةُ الله تعالى عليه[4] : [من الطويل]

لَعَمْـرُكَ إِنَّ الحِلْـمَ زَيْـنٌ لأَهْلِـهِ   وَمـا الحِلْـمُ إِلاَّ عـادَةٌ وَتَحَلُّـمُ
إذا لَمْ يَكُنْ صَمْتُ الفَتى عن فدامَةٍ   وَعِـيٍّ فـإِنَّ الصَّمْـتَ أَوْلـى وَأَسْلَـمُ

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ١٧١).
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ١٧٣).
(٣) ربيع الأبرار (٢/ ١٨١).
(٤) له في ربيع الأبرار (٢/ ١٧٩).

• وقال ابنُ عُيينة[1] : مَن حُرِمَ الخيرَ فَلْيَصمُتْ ، فإن حُرِمَهما فالموتُ خيرٌ له .

• وعن رسول الله ﷺ أنَّه قال لأبي ذرٍّ رضي الله عنه[2] : « عليكَ بالصَّمْتِ إلاّ من خيرٍ ، فإنَّه مَطْرَدَةٌ للشَّيطان ، وعونٌ على أَمْرِ دِينك » .

• ومن كلام الحُكماء[3] : من نَطقَ في غير خَيْرٍ فقد لَغا ، ومَن نظرَ في غير اعتبارٍ فقد سَها ، ومَن سكتَ في غيرِ فِكْرٍ فقد لَها .

• وقيل[3] : لو قرأتَ صَحيفتك لأَغمدتَ صَفيحتك ، ولو رأيتَ ما في مِيزانك لختمتَ على لِسانك .

• ولما[4] خرجَ يونُس عليه السَّلام من بطنِ الحُوت طالَ صَمْتُهُ ، فقيل له : أَلا تتكلَّمُ؟ فقال : الكلامُ صَيَّرني في بطنِ الحوت .

• وقال حكيمٌ[4] : إذا أَعجبكَ الكلامُ فاصمتْ ، وإذا أَعجبك الصَّمت فتكلَّمْ .

• وكان يُقال[4] : من السُّكوت ما هو أَبلغُ من الكلام ، لأَنَّ السَّفيهَ إذا سُكِتَ عنه كان في اغتمامٍ .

• وقيلَ لرجلٍ[4] : بِمَ سادَكُم الأَحنفُ ، فوالله ما كان بأَكبركُم سِنّاً ، ولا بأَكثركم مالاً؟ فقال : بقوَّةِ سُلطانه على لِسانه .

• وقيل[5] : الكلمةُ أَسيرةٌ في وَثاق الرَّجُلِ ، فإذا تكلَّمَ بها صار في وَثاقها .

• وقيل[5] : اجتمعَ أَربعةُ ملوكٍ ، فتكلَّموا ، فقال مِلِكُ الفُرس : ما ندمتُ على ما لم أَقل مرَّةً ، وندمتُ على ما قلتُ مِراراً ؛ وقال قَيصر : أَنا على رَدِّ ما لم أَقُلْ أَقدرُ منِّي على رَدِّ ما قلتُ ؛ وقال مَلِكُ الصِّين : ما لم أَتكلّمْ بكلمةٍ

---

(1) ربيع الأبرار (٢/ ١٨٤) .
(2) ربيع الأبرار (٥/ ١٨٦) .
(3) ربيع الأبرار (٢/ ١٨٧) .
(4) ربيع الأبرار (٢/ ١٨٨) .
(5) ربيع الأبرار (٢/ ١٨٩) وحلية الأولياء (٨/ ١٧٠) ، والتذكرة الحمدونية (١/ ٣٦٤) .

مَلَكْتها ، فإذا تكلَّمْتُ بها مَلَكَتْني ؛ وقال مَلِكُ الهند : العَجَبُ مِمَّن يتكلَّمُ بكلمةٍ إن رُفعت ضَرَّت وإن لم تُرفع لم تَنفع .

• وكان[1] بَهرام جالساً ذات ليلةٍ تحتَ شجرةٍ ، فسمعَ منها صوتَ طائرٍ ، فرماه ، فأَصابه ، فقال : ما أَحسنَ حِفْظَ اللِّسان بالطَّائرِ والإِنسان ؛ لو حَفِظَ هذا لسانَه ما هلكَ .

• وقال[1] عليٌّ رضي الله تعالى عنه : بكثرةِ الصَّمتِ تكونُ الهَيبة .

• وقال[1] عَمرو بن العاص رضي الله عنه : الكلامُ كالدَّواء ، إن أَقْلَلْتَ منه نَفَع ، وإن أَكثرت منه قَتل .

• وقال لُقمان لولده[1] : يا بُنيَّ ، إذا افتخرَ النَّاسُ بِحُسن كلامهم ، فافتخرْ أَنت بحُسن صَمْتك ؛ يقولُ اللِّسان كُلَّ صباحٍ وكُلَّ مساءٍ للجوارح : كيفَ أَنتنَّ؟ فَيَقُلْنَ : بخيرٍ إن تَرَكْتَنا .

• قال الشّاعر[2] : [من الكامل]

ٱحْفَظْ لِسانَكَ لا تَقُولُ فَتُبْتَلى إِنَّ البلاءَ مُوَكَّلٌ بالمَنْطِقِ

الفصل الثّاني

في تَحريم الغِيْبَة

• اعلم[3] أَنَّ الغِيبة من أَقبح القبائح وأَكثَرِها انتشاراً في النّاس ، حتَّى لا يسلمَ منها إلاّ القليلُ من النّاس ، وهي ذِكرُك الإِنسانَ بما يكرهُ ولو بما فِيه ، سواءٌ كان

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ١٩٠).
(٢) بلا نسبة في جمهرة الأمثال للعسكري (١/ ٢٠٧).
(٣) عن إحياء علوم الدين (٣/ ١٢٥).

في دِينه أَو بَدَنه أَو نفسه أَو خَلْقِه أَو خُلُقه أَو ماله أَو وَلده أَو والده أَو زوجته أَو خادمه أَو عِمامته أَو ثَوبه أَو مِشيته أَو حركته أَو بَشاشته أَو خَلاعته أَو غير ذلك ممّا يتعلَّق به ، سواءٌ ذَكَرتَه بِلَفظك أَو بكتابك أَو رمزتَ إِليه بعينك أَو يدك أَو رأسك أَو نحو ذلك .

فأَمّا الدِّين : فكقولك : سارقٌ ، خائنٌ ، ظالمٌ ، مُتهاونٌ بالصَّلاة ، مُتساهلٌ في النَّجاسات ، ليس بارّاً بوالديه ، قليلُ الأدب ، لا يضعُ الزَّكاة مَواضِعها ، ولا يجتنبُ الغيبة .

وأَمّا البَدَن : فقكولك : أَعمى ، أَو أَعرجُ ، أَو أَعمشُ ، أَو قصيرٌ ، أَو طويلٌ ، أَو أَسودُ ، أَو أصفرُ .

وأَمّا غيرهما : فكقولك : فلانٌ قليلُ الأَدب ، مُتهاونٌ بالنّاس ، لا يرى لأَحدٍ عليه حقّاً ، كثيرُ النَّوم ، كثيرُ الأَكل وما أَشبه ذلك ؛ أَو كقولك : فلانٌ أَبوه نجّارٌ ، أَو إِسكافٌ أَو حدّادٌ ، أَو حائكٌ ، تريدُ تَنقيصه بذلك ، أَو فلانٌ سَيِّءُ الخُلُقِ ، مُتكَبِّرٌ ، مُراءٍ ، مُعْجَبٌ ، عَجُولٌ ، جَبّارٌ ، ونحو ذلك ؛ أَو فلانٌ واسعُ الكُمِّ ، طويلُ الذَّيل ، وَسِخُ الثَّوبِ ونحو ذلك .

● وقد رَوينا في « صَحيح مسلم » و« سُنن أَبي داود » و« التِّرمذيِّ » و« النَّسائي »[1] عن أَبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أَنَّ رسول الله ﷺ قال : « أَتَدرونَ ماالغِيْبَة؟ » قالوا : اللهُ ورَسولُهُ أَعلمُ . قال : « ذِكْرُكَ أَخاكَ بِما يَكْرَهُ » قيل : وإِن كان في أَخي ما أَقولُ؟ قال : « إِنْ كان فيه ما تقولُ فقد اغْتبتَه ، وإِن لم يكنْ فيه فقد بَهَتَّهُ » . قال التِّرمذيُّ : حديثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ .

● ورَوينا في «سُنن أَبي داود» و«التِّرمذي»[2] عن عائشة رضي الله عنها قالت :

---

(١) مسلم (٤/ ٢٠٠١) رقم (٢٥٨٩) وأبو داود (٤/ ٢٦٩) رقم (٤٨٧٤) والترمذي (٤/ ٢٩٠) رقم (١٩٣٤) وليس في النسائي.

(٢) أبو داود (٤/ ٢٦٩) رقم (٤٨٧٥) والترمذي (٤/ ٥٧٠ رقم ٢٥٠٢).

قلتُ للنَّبيِّ ﷺ : حَسْبُكَ من صَفِيَّة كذا وكذا ـ قال بعضُ الرُّواة : تَعني قَصيرة ـ فقال : « لقد قُلْتِ كلمةً لو مُزِجَتْ بماءِ البَحرِ لَمَزَجَتْهُ » أي خَالطته مُخالطةً يتغيَّرُ بها طَعمه وريحه لكثرةِ نَتْنِها .

• ورَوينا في «سُنن أَبي داود»[1] عن أَنس رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: « لمّا عُرِجَ بي إِلى السَّماء مَررتُ بقومٍ لهم أَظفارٌ من نُحاسٍ ، يَخمشون بها وُجوهَهم وَصُدورهم ، فقلتُ : مَن هؤلاء يا جبريلُ؟ قال : هؤلاء الَّذين يأكلونَ لُحومَ النّاس ويَقعون في أَعراضهم » .

• ورُوي[2] عن جابر رضي الله عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال : « إِيَّاكُم والغِيْبة ، فإِنَّ الغِيبَة أَشَدُّ من الزِّنا » ثم قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ الرَّجلَ لَيَزْني فَيَتُوبُ ، فَيَتوبُ الله عليه ، وإِنَّ صاحبَ الغِيبة لم يغفر له حتَّى يغفرَ له صَاحبُها » .

• وعن[3] أَنس رضي الله تعالى عنه قال : مَن اغتابَ المسلمينَ وأَكل لُحومَهم بغير حقٍّ وسعى بهم إِلى السُّلطان ، جِيءَ به يوم القيامة مُزْرَقَّةً عَيناه ، يُنادي بالوَيْلِ والثُّبور ، ويَعرفُ أَهله ولا يَعرفونه .

• وقال مُعاوية بن قُرَّة[4] : أَفضلُ النّاس عند الله أَسلَمُهم صَدْراً وأَقَلُّهم غِيبةً .

• وقال الأَحنفُ[5] : فِيَّ خَصلتان : لا أَغتابُ جَليسي إِذا غابَ عنِّي ، ولا أَدخلُ في أَمْرِ قومٍ لا يُدخلونَني فيه .

• وقيل للرَّبيع بن خُثَيْم[6] : ما نَراك تعيبُ أَحداً؟ فقال : لستُ عن نَفسي

---

(١) أبو داود (٤/ ٢٦٩ رقم ٤٨٧٨).
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٤٢٣).
(٣) ربيع الأبرار (٢/ ٤٢٤) ، والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٥٦).
(٤) ربيع الأبرار (٢/ ٤٣٧).
(٥) ربيع الأبرار (٢/ ٤٣٨).
(٦) حلية الأولياء (٢/ ١٠٧) وربيع الأبرار (٢/ ٤٣٨).

راضياً فأتفرَّغَ لِذَمِّ النَّاس ، وأنشد[1] : [من الطويل]

لِنفْسِيَ أَبْكي لَسْتُ أَبْكي لِغَيْرِها ... لِنَفْسِيَ مِن نَفْسِي عن النّاسِ شاغِلُ

• وقال كُثَيِّر عَزَّة[2] : [من الكامل]

وَسَعى إِلَيَّ بِعَيْبِ عَزَّةَ نِسْوَةٌ ... جَعَلَ الإِلهُ خُدودَهُنَّ نِعالَها

• وقال محمّد بن حزم[3] : أَوَّل من عَمل الصّابون سُليمان ، وأَوَّل من عمل السَّويق ذو القَرنين ، وأَوَّلُ مَن عملَ الحَيْس يوسف ، وأَوَّل من عمل خبز الجرداق نُمروذ ، وأَوَّل مَن كَتب في القراطيس الحجّاجُ ، وأَوّل مَن اغتاب إِبليسٌ ـ لعنه الله ـ اغتابَ آدمَ عليه السَّلام .

• وأوحى[4] الله تعالى إِلى موسى عليه الصَّلاة والسّلام : إِنَّ المُغتاب إِذا تاب فهو آخرُ مَن يدخلُ الجَنَّة ، وإِن أَصَرَّ فهو أَوَّل مَن يدخلُ النّار .

• ويُقال[5] : لا تأمنْ مَن كذبَ لكَ أَن يكذبَ عليك ، ومَن اغتابَ عندك غيرك أَن يغتابَك عند غيرك .

• وقيل[6] للحَسن البَصري رضي الله تعالى عنه : إِنَّ فُلاناً اغتابك ؛ فأَهدى إِليه طَبَقاً من رُطَبٍ ، فأَتاه الرَّجلُ وقال له : اغتبتُك فأَهديتَ إِليَّ! فقال الحسنُ : أَهديتَ إِليَّ حَسناتِكَ ، فأَردتُ أَن أُكافئَك .

• وعن ابن المبارك رحمه الله تعالى قال : لو كنتُ مُغتاباً أَحداً لاغتبتُ والديَّ لأَنَّهُما أَحقُّ بحسناتي .

---

(١) بلا نسبة في تاريخ دمشق (١٠/ ٢٤٠) ، ومختصره (٥/ ٢٣٨).
(٢) ديوانه (٣٩٤).
(٣) ربيع الأبرار (٢/ ٤٤) وانظر الأوائل للعسكري (٢/ ٢٠١ـ٢٠٢).
(٤) ربيع الأبرار (٢/ ٤٤٥).
(٥) القول لإشكاب في ربيع الأبرار (٢/ ٤٤٥).
(٦) ربيع الأبرار (٥/ ٤٥٥) وإحياء علوم الدين (٣/ ١٣٤).

• وإذا حاكى إنسانٌ إنساناً بأَن يمشي مُتعارجاً أو مُطأطِئاً أَو غير ذلك من الهيئات ، يريد تَنقيصه بذلك فهو حرامٌ .

• وبعضُ المتفقِّهين والمتعبِّدين يُعَرِّضُون بالغِيْبةِ تَعريضاً تَفهمُ به كما تَفهمُ بالتَّصريح ، فَيُقالُ لأَحدهم : كيف حالُ فلان؟ فيقول : اللهُ يُصلحُنا ، اللهُ يغفرُ لنا ، اللهُ يُصْلحُه ، نسأَل الله العافية ، نحمدُ الله الَّذي لم يَبْتَلِنا بالدُّخول على الظَّلَمة ، نعوذُ بالله من الكِبْرِ ، يعافينا الله من قِلَّة الحياءِ ، الله يتوبُ علينا . . . وما أَشبه ذلك ممّا يُفهم تَنقيصُه ؛ فكلُّ ذلك غِيبةٌ مُحَرَّمَةٌ .

• **واعلم** أَنَّه كما يَحرمُ على المغتاب ذِكرُ الغِيبة ، كذلك يَحرم على السَّامع استماعُها ؛ فيجبُ على مَن يستمعُ إنساناً يبتدىءُ بغيبة أَن ينهاه إن لم يَخَف ضَرراً ، فإِن خافه وَجَبَ عليه الإنكارُ بِقلبه ومُفارقة ذلك المجلس إن تَمَكَّنَ من مُفارقته ؛ فإِن قال بِلسانه : أُسكت ، وقلبُه يَشتهي سَماع ذلك؟ قال بعضُ العُلماء : إنَّ ذلك نِفاقٌ ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾ [الأنعام : ٦/٦٨] .

• وممّا أَنشدوهُ في هذا المعنى[(١)] : [من المتقارب]

وَسَمْعَكَ صُنْ عن سَماعِ القَبيحِ | كَصَوْنِ اللِّسانِ عنِ النُّطْقِ بِهْ
فإِنَّكَ عِنْدَ سَماعِ القَبيحِ | شَريكٌ لِقائِلِهِ فانْتَبِهْ
وكَمْ أَزْعَجَ الحِرْصُ من طالِبٍ | فَوافى المنيَّةَ في مَطْلَبِهْ

الفصل الثالث

في تحريم السِّعاية بالنَّميمة

• قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ

---

(١) بلا نسبة في أدب الدنيا والدين (٤٤٩).

مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم : ٦٨/ ١٠ـ١٣] .

• وحَسْبُكَ[١] بالنَّمام خِسَّةً ورَذيلةً ، سُقوطُهُ وَضَعَتُهُ ؛ والهمّاز : المُغتابُ الَّذي يأكلُ لُحومَ النّاس ، الطَّاعنُ فيهم .

وقال الحسنُ البَصريُّ : هو الَّذي يغمزُ بأَخيه في المجلس ، وَهو الهُمَزَةُ اللُّمَزَة .

وقال عليٌّ والحسن البَصريُّ رضي الله عَنهما : العُتُلُّ : الفاحشُ ، السَّيِّءُ الخُلُق .

وقال ابنُ عبّاس رضي الله عنهما : العُتُلُّ : الفاتِكُ الشَّديدُ المُنافق .

وقال عُبيد بن عُمير : العُتُلُّ : الأَكول الشَّروبُ ، القَويُّ الشَّديد ، يوضَع في الميزان فلا يزنُ شعيرة .

وقال الكلبيُّ : هو الشَّديدُ في كُفره .

وقيل : العُتُلُّ : الشَّديدُ الخُصومة بالباطلِ .

والزَّنيمُ : هو الَّذي لا يُعرفُ مَن أَبوه ؛ قال الشّاعر[٢] : [من الوافر] .

زَنيمٌ ليسَ يُعْرَفُ مَن أَبوهُ بَغِيُّ الأُمِّ ذو حَسَبٍ لَئيمِ

• ورَوينا في « صَحيحي البُخاري ومُسلم »[٣] عن حُذيفة رضي الله عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ قال : « لا يَدخلُ الجَنَّة نَمَّامٌ » .

• ورُوي[٤] أَنَّ النَّبيَّ ﷺ مَرَّ بِقَبْرين فقال : «إِنَّهما لَيُعَذَّبان وما يُعَذَّبان في كبي ، أَما أَحدُهما فكان يمشي بالنَّميمة ، وأَمّا الآخر فكان لا يَسْتَنْزِهُ من بَوْلِهِ» .

• قال الإمام أَبو حامد الغزالي رحمةُ الله تعالى عليه[٥] : « النَّميمةُ إِنَّما تُطلَقُ

---

(١) عن سراج الملوك (٢/ ٦٠٩ـ٦١٠).

(٢) بلا نسبة في سراج الملوك (٢/ ٦١٠).

(٣) البخاري (١/ ٦٠ـ٦١) ومسلم (١/ ١٠١) رقم (١٦٨) وسراج الملوك (٢/ ٦١٣ و٦١٤).

(٤) البخاري (١/ ٦٠ـ٦١) ومسلم (١/ ١٠١) رقم (١٦٨) وسراج الملوك (٢/ ٦١٣ و٦١٤).

(٥) إحياء علوم الدّين (٣/ ١٣٥).

في الغالبِ على مَن يَنِمُّ قولَ الغَيْرِ إلى المَقولِ فيه ، كقولِه : فلانٌ يقولُ فيك كذا ؛ فينبغي للإنسان أن يسكتَ عن كُلِّ ما رآه من أحوال النَّاس ، إلاَّ ما في حِكايته فائدةٌ لمسلمٍ أو دفعُ مَعصيةٍ ، وينبغي لمن حُمِلت إليه النَّميمةُ وقيلَ له : قال فيك فُلانٌ كذا ، أن لا يُصدِّقَ مَن نَمَّ إليه ؛ لأنَّ النَّمّامَ فاسقٌ ، وهو مَردودُ الخَبَرِ ، وأن يَنهاه عن ذلك ويَنصحه ويُقبِّحَ فِعْلَه ويُبغِّضَه في الله تعالى ، فإنَّه بَغيضٌ عندَ الله ؛ والبُغْضُ في الله واجِبٌ ، وأن لا يَظنَّ بالمنقولِ عنه السُّوءَ ، لقول الله تعالى : ﴿ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحجرات : ٤٩/ ١٢] .

• وسعى[١] رجلٌ إلى بِلال بن أبي بُردة برجلٍ ، وكان أمير البصرة ، فقال له : انصرفْ حتَّى أكشفَ عنك ؛ فكشفَ عنه فإذا هو ابنُ بَغِيّ ؛ يعني وَلد زنا .

قال أبو موسى الأشعريّ رضي الله عنه : « ولا يَنِمُّ على النّاس إلاَّ وَلَدُ بَغِيٍّ » .

• ورُوِيَ[٢] أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال : « أَلا أُخبِرُكُم بِشراركم؟ قالوا : بَلى يا رسولَ الله ، قال : شِرارُكم المَشّاؤون بالنَّميمة ، المُفْسدون بين الأَحِبَّة ، والبَاغُون العُيوب » .

• ورَوى[٣] أبو هُريرة رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال : « مَلعونٌ ذو الوَجهين ، مَلعونٌ ذو اللِّسانين ، مَلعونٌ كُلُّ شَغَّازٍ[٤] ، ملعونٌ كُلُّ قَتّاتٍ ، مَلعونٌ كُلُّ نَمّامٍ ، مَلعونٌ كُلُّ مَنّانٍ » .

والشَّغَّارُ : المُحَرِّشُ بَين النَّاس ، يُلقي بينهم العداوةَ ؛ والقَتّات : النَّمّام ؛ والمَنّان : الَّذي يَعملُ الخيرَ ويَمُنُّ به .

---

(١) سراج الملوك (٢/ ٦١١).
(٢) سراج الملوك (٢/ ٦١٣).
(٣) سراج الملوك (٢/ ٦١٣-٦١٤).
(٤) في سراج الملوك : سغّار ، تصحيف.

• وأمّا[1] السِّعايةُ إلى السُّلطان وإلى كُلِّ ذي قُدرةٍ ، فَهي المُهلكةُ والحالِقَةُ الَّتي تجمعُ الخِصالَ الذَّميمة ، من الغِيبة وشُؤمِ النَّميمة والتَّغرير بالنُّفوس والأموال في النَّوازل والأحوال ؛ وتسلبُ العَزيز عِزَّهُ وتَحُطُّ المسكينَ عن مَكانته ، والسَّيِّد عَن مَرتبته ؛ فكم دمٍ أراقهُ سَعْيُ ساعٍ ، وكم حَريمٍ استُبيح بِنَميمة نَمّامٍ ، وكم من صَفِيَّينِ تَباعدا ، وكم من مُتواصِلَينِ تَقاطعا ، وكم من مُحَبَّيْنِ افترقا ، وكم من إلْفَيْنِ تهاجرا ، وكم من زَوْجين تَطالقا؟ فَلْيَتَّقِ اللهَ ربَّه عزَّ وجَلَّ رجلٌ ساعَدَته الأيّام وتَراخت عنه الأقدار ، أن يُصغيَ لِساعٍ أو يستمِعَ لِنَمّامٍ .

• ووُجِد[2] في حِكَم القُدماء : أبغضُ النّاسِ إلى اللهِ المُثَلِّثُ ؛ قال الأصمعيُّ : « هو الرَّجُلُ الذي يَسعى بأخيه إلى الإمام ، فَيُهْلِكُ نفسه وأخاه وإمامَه » .

• وقال بعضُ الحُكماء[3] : احذروا أعداءَ العُقول ولُصوصَ المَوَدّاتِ ، وهم السُّعاةُ والنَّمّامون ؛ إذا سَرَقَ اللُّصوصُ المتاعَ سَرقوا هم المَوَدّات .

• وفي المَثَل السّائِرِ[4] : مَن أطاعَ الواشي ضَيَّعَ الصَّديق .

• وقد[4] تُقطع الشَّجرةُ فَتَنبتُ ، ويُقطعُ اللَّحمُ بالسَّيْفِ فَيندملُ ؛ واللِّسانُ لا يَندملُ جُرْحُهُ .

• ودَفع[5] إنسانٌ رُقعةً إلى الصَّاحب بن عبّاد يَحُثُّهُ فيها على أَخذِ مالِ يَتيمٍ ، وكان مالاً كثيراً ، فكتبَ إليه على ظَهرها : النَّميمةُ قَبيحةٌ وإن كانت صَحيحةً ، والمَيِّتُ رَحمه الله ، واليتيمُ جَبَرَهُ الله ، والسَّاعي لَعَنَهُ الله ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاّ بالله .

---

(١) عن سراج الملوك (٢/ ٦١٤).
(٢) سراج الملوك (٢/ ٦١٦).
(٣) سراج الملوك (٢/ ٦١٨).
(٤) سراج الملوك (٢/ ٦١٩).
(٥) إحياء علوم الدين (٣/ ١٣٧).

• ورَوينا في « كتاب أَبي داود والتِّرمذيّ »[1] عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يُبلِّغُني أَحدٌ من أَصحابي عن أَحدٍ شيئاً ، فإِنِّي أُحِبُّ أَن أَخرجَ إِليكم وأَنا سليمُ الصَّدْرِ » .

• ومن النّاس من يَتَلوَّنُ أَلواناً ويكونُ بِوَجهين ولِسانين ، فيأتي هؤلاء بوجهٍ وهؤلاء بوجهٍ ؛ وذو الوَجهين لا يكونُ عند الله وَجيهاً .

• قال صالحُ بن عبد القُدُّوس رحمه الله تعالى[2] : [من البسيط]

قُلْ للَّذي لَسْتُ أَدْري مِن تَلَوُّنِهِ	أَناصِحٌ أَم عَلى غِشٍّ تُداجيني
إِنِّي لأُكْثِرُ ممّا سُمْتَني عَجَباً	يَدٌ تَشُجُّ وأُخْرى مِنْكَ تَأْسُوني
تَغْتابُني عندَ أَقْوامٍ وَتَمْدَحُني	في آخرينَ وَكُلٌّ عَنْكَ يَأْتيني
هَذان شَيْئان قد نافَيْتَ بَيْنَهُما	فاكْفُفْ لِسانَكَ عَن شَتْمي وَتَزْييني[3]

• وقيل : « لأَلْفُ لَحُوحٍ جَمُوحٍ خيرٌ من واحدٍ متلوِّنٍ » .

• وكان يُشَبَّهُ المُتَلَوِّنُ بأَبي بَراقِش ، وأَبي قَلَمون .

فأَبو براقِش[4] : طائرٌ مُنَقَّطٌ بأَلوان النُّقوشِ ، يَتَلَوَّنُ في اليومِ أَلواناً .

وأَبو قَلَمُون[4] ضَرْبٌ من ثِياب الحرير يُنسجُ بالرُّوم يَتَلَوَّن أَلواناً .

• ويُقال للطَّائشِ الَّذي لا ثَبات معه : أَبو رياح[5] ؛ تَشبيهاً بمثالِ فارسٍ من نُحاسٍ بمدينة حِمْصَ على عَمودِ حديدٍ فوقَ قُبَّةٍ ببابِ الجامعِ ، يدورُ مع الرِّيحِ وَيُمناه مَمدودةٌ وأَصابعها مَضمومةٌ إِلاّ السَّبابَة ، فإِذا أَشْكَلَ عليهم مَهَبُّ الرِّيحِ عَرَفوه به ، فإِنَّه يدورُ بأَضعفِ نَسيمٍ يُصيبه .

---

(١) أبو داود (٤/ ٢٦٥ رقم ٤٨٦٠).

(٢) ديوانه (١٤٠) وربيع الأبرار (٢/ ٢٨٤).

(٣) في أ : هذان شيئان شتانان بينهما × ، وفي ب : هذان شيئان شتان لبينهما ×.

(٤) ربيع الأبرار (٢/ ٢٨٤) وثمار القلوب (١/ ٣٩٤) وجمهرة العسكري (١/ ٤٣) والدرة الفاخرة (٤٧٤).

(٥) ثمار القلوب (١/ ٣٩٥) وربيع الأبرار (٢/ ٢٨٥).

• والَّذي يعملُه الصِّبيان من قِرطاس على قَصَبَةٍ ، يُسمى أَبا رياح أَيضاً .

• ويُقال[1] : أَخلاقُ المُلوك ، مَثَلٌ في التَّلَوُّن ؛ قال بَعضُهم : [من الطويل]

وَيَـوْمٍ كـأَخـلاقِ المُلـوكِ تَلَـوُّنـاً فَصَحْـوٌ وَتَغْيِيـمٌ وَطَـلٌّ ووابِـلُ
أُشَبِّهُـهُ إِيَّـاكَ يـا مَـنْ صِفـاتُـهُ دُنُـوٌّ وإِعْـراضٌ وَمَنْـعٌ ونـائِـلُ

• وكلَّم[2] معاوية الأَحنفَ في شيءٍ بَلَغه عنه ، فأَنكرهُ الأَحنفُ ، فقال له معاوية : بَلَّغني عنك الثِّقة ؛ فقال له الأَحنفُ : إِنَّ الثِّقَةَ لا يُبَلِّغُ مَكروهاً .

• وكان[3] الفضلُ بن سَهل يُبغض السِّعاية ، وإِذا أَتاهُ ساعٍ يقولُ له : « إِن صَدَقْتَنَا أَبغضناك ، وإِن كَذبتنا عاقَبناك ، وإِن استقلتنا أَقَلْناك » .

• وكتب[4] في جوابِ كتابِ ساعٍ : « نحنُ نَرى أَنَّ قَبول السِّعاية شَرٌّ من السِّعاية ، لأَنَّ السِّعايةَ دلالةٌ والقبولَ إِجازةٌ ، وليس مَن دَلَّ على شيءٍ وأَخبرَ بهِ كَمن قَبِلَهُ وأَجازه ، فاتَّقوا السّاعي فإِنَّه لو كان في سِعايته صادقاً لكان في صِدقِهِ لئيماً ، إِذ لم يحفظ الحُرمة ولم يسترِ العَوْرَة .

• وقيل[5] : مَن سَعى بالنَّميمة حَذِرَهُ الغَريب وَمَقَتَهُ القَريب .

• وقال المأمون : النَّميمةُ لا تُقرِّبُ مَوَدَّةً إِلا أَفْسَدَتْها ، ولا عداوةً إِلا جدَّدَتها ، ولا جماعةً إِلاّ بَدَّدتها ، ثم لا بُدَّ لمن عُرف بها ونُسب إِليها ، أَن يُجتنَبَ ويُخاف من مَعرفته ولا يُوثَق بمكانه .

• وأَنشد بعضُهم[6] : [من البسيط]

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٢٨٣) ، وثمار القلوب (١/ ٣٠٨) والبيتان فيهما بلا نسبة .
(٢) المستجاد (٢٥٠) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٥٦) وكامل المبرد (٢/ ٨٨٥) .
(٣) التذكرة الحمدونية (٣/ ١٥٧) ، ومحاضرات الراغب (١/ ٤٠١) .
(٤) سراج الملوك (٢/ ٦١٧) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٥٧) .
(٥) التذكرة الحمدونية (٣/ ١٥٨) .
(٦) الأول لإبراهيم بن المهدي في محاضرات الراغب (١/ ٣٩٩) .

مَن نَمَّ في النّاسِ لم تُؤْمَنْ عَقارِبُهُ   على الصَّديقِ ولم تُؤْمَنْ أَفاعيهِ
كالسَّيْلِ باللَّيلِ لا يَدري بِهِ أَحَدٌ   مِن أَينَ جاءَ ولا مِن أَيْنَ يأتيهِ
الويلُ لِلْعَهْدِ منهُ كيفَ يَنْقُضُهُ   والويلُ لِلْوُدِّ منهُ كَيْفَ يُفْنيهِ

• وقال آخر[1] : [من البسيط]

يَسْعى عليكَ كما يَسْعَى إليكَ فَلا   تَأْمَن غوائِلَ ذي وَجهينِ كَيّادِ

• وقال صالح بن عبد القدوس رحمه الله تعالى[2] : [من الرمل]

مَنْ يُخبِّرْك بِشَتْمٍ عن أَخٍ   فَهُوَ الشّاتِمُ لا مَنْ شَتَمَكْ
ذاكَ شَيْءٌ لَم يُواجِهْكَ بِهِ   إِنَّما اللَّوْمُ على مَن أَعْلَمَكْ

• وقال آخر[3] : [من البسيط]

إن يَعْلَموا الخَيْرَ أَخْفَوْهُ وإنْ عَلِمُوا   شَرّاً أَذاعُوا وإنْ لَمْ يَعْلَموا كَذبوا

• وقال آخر[4] : [من البسيط]

إنْ يَسْمَعوا رِيبَةً طاروا بها فَرَحاً   مِنّي وما سَمِعوا من صالحٍ دَفَنُوا
صُمٌّ إذا سَمِعوا خَيراً ذُكِرْتُ بِهِ   وإنْ ذُكِرْتُ بِسُوءٍ عِنْدَهُم أَذِنوا

• وقال الحسن : سَتْرُ ما عاينتَ أَحسنُ من إشاعةِ ما ظننتَ .

• وقال عبد الرَّحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه : مَن سمعَ بفاحشةٍ فأَفشاها فهو كالّذي أَتاها .

وممّا جاء في النَّهي عن اللَّعن

• ما رَوينا في « صحيحي البُخاري ومُسلم »[5] عن ثابت بن الضَّحّاك رضي الله

---

(١) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٤/ ٢٨٠).
(٢) ديوانه (١٥١) وهما لمحمد بن حازم في ديوانه (٩٨).
(٣) البيت لطريح بن إسماعيل الثقفي في كامل المبرد (٢/ ٨٨٥).
(٤) هما لقعنب بن أم صاحب في الحماسة بشرح المرزوقي (٣/ ١٤٥٠).
(٥) البخاري (٧/ ٨٤ و٢٢٣) ومسلم (١/ ١٠٤ رقم ١١٠).

عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لَعْنُ المُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ » .

• ورَوينا في « صَحيح مُسلم »[1] أيضاً عن أَبي الدَّرداء رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يَكونُ اللَّعّانون شُفَعاءَ ولا شُهداءَ يومَ القيامة » .

• ورَوينا في « سنن أَبي داود »[2] عن أَبي الدَّرداء رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ العَبْدَ إِذا لَعَنَ شيئاً صَعَدَتِ اللَّعْنَةُ إِلى السَّماء ، فَتُغْلَقُ أَبوابُ السَّماءِ دُونها ثُم تَهْبِطُ إِلى الأَرض ، فتُغلقُ أَبوابُها دُونَها ، ثم تأخذُ يَميناً وشِمالاً فإِذا لم تَجدْ مَساغاً رَجعت إِلى الَّذي لُعنَ إِن كان أَهلاً لذلك ، وإِلاّ رَجعت إِلى قائلها » .

• ويجوزُ لَعْنُ أَصحاب الأَوصاف المذمومة على العُموم ، كقوله : لعن الله الظَّالمين ، لعن الله الكافرين ، لعن الله اليهودَ والنّصارى ، لعن الله الفاسقين ، لعن الله المُصَوِّرين ، ونحو ذلك .

• وثَبت في الأَحاديث الصَّحيحة أَنَّ رسول الله ﷺ لَعَنَ الواصِلَة والمُسْتَوْصِلَة ، وأَنَّه قال : « لَعَنَ الله آكِلَ الرِّبا » وأَنه قال : « لعن الله المصوِّرين » وأَنَّه قال : « لَعَنَ الله مَن لَعَنَ والديه » وأَنّه قال : « لَعَنَ الله مَن ذبح لغير الله » وأَنَّه قال : « لَعَنَ الله اليهودَ والنَّصارى ، اتَّخذوا قُبورَ أَنبيائهم مساجد » وأَنه قال : « لَعَنَ الله المتشبِّهين من الرِّجال بالنِّساء ، والمتشبِّهات من النِّساء بالرِّجال » .

• وجميع هذه الأَلفاظ في البُخاري ومسلم بعضُها فيهما ، وبعضها في أَحدهما ، والله أعلم .

وممّا جاء في العزلة ومدح الخمول وذمّ الشُّهرة :

• قال رسول الله ﷺ: «الخُمولُ نِعمةٌ، وكُلٌّ يتبرّأُ، والظُّهور نقمةٌ وكُلٌّ يتمنَّى».

---

(١) مسلم (٤/ ٢٠٠٦ رقم٢٥٩٨).
(٢) أبو داود (٤/ ٢٧٧ رقم٤٩٠٥).

• وقال بعضُهم[1] : [من الوافر]

تَلَحَّفْ بالخُمُولِ تَعِشْ سَليماً وجالِسْ كُلَّ ذي أَدَبٍ كَريمِ

• وقال جعفر بن الفُرات [2] : [من البسيط]

مَن أَخْمَلَ النَّفْسَ أَحياها وَرَوَّحَها وَلم يَبِتْ طاوِياً مِنها على ضَجَرِ
إِنَّ الرِّياحَ إذا اشْتَدَّتْ عَواصِفُها فَليسَ تَرمي سِوى العالي من الشَّجَرِ

• وقال أَعرابي[3] : رُبَّ وحدةٍ أَنفع من جليسٍ ، ووحشةٍ أَنفع من أَنيسٍ .

• وكان[4] أَبو مُعاوية الضَّرير يقول : فيَّ خصلتان ، ما يَسُرُّني بهما ردُّ بصري ؛ قِلَّة الإِعجاب بنفسي ، وخلوُّ قلبي من اجتماع النّاس إِليَّ .

• وقال عمر رضي الله عنه[4] : خُذوا حظَّكم من العُزلة .

• وصعد[5] حسّان على أُطُمٍ من آطام المدينة ونادى بأَعلى صوته : يا صَباحاه ؛ فاجتمعت الخزرجُ ، فقالوا : ما عندك؟ قال : قلتُ بيتَ شعرٍ ، فأَحببتُ أَن تَسمعوه ؛ قالوا : هات يا حسّان ؛ فقال : [من الطويل]

وإِنَّ آمْرءاً أَمْسى وأَصْبَحَ سالِماً مِنَ النّاسِ إِلا ما جَنى لَسَعيدُ

• ولمّا[6] بنى سعدُ بن أَبي وقّاص رضي الله عنه منزله بالعقيق ، قيل له : تركتَ منازل إِخوانك وأَسواق النّاس ونزتَ بالعقيق؟ فقال : رأَيتُ أَسواقَهم لاغيةً ، ومَجالسهم لاهيةً ، فوجدتُ الاعتزالَ فيما هنالك عافية .

---

(١) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٢/ ١٩١).
(٢) البيتان لجعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات ، الوزير ابن الوزير ابن حنزابة ، في الوافي بالوفيات (١١/ ١١٩).
(٣) ربيع الأبرار (٢/ ١٧٢).
(٤) ربيع الأبرار (٢/ ١٧٤).
(٥) ربيع الأبرار (٢/ ١٧٦) وديوانه (٣٥٢).
(٦) ربيع الأبرار (٢/ ١٧٦).

• وقال[1] جعفر بن محمّد رحمة الله تعالى عليه : كفّارة عَمَلِ السُّلطان الإِحسانُ إلى الإِخوان .

• وقال[2] كِسرى لِسيرين : ما أَحسنَ هذا المُلْكَ لو دام ؛ فقالت : لو دامَ لأَحدٍ ما انتقلَ إِلينا .

• ومرّ[3] طارقٌ الشُّرَطيُّ بابن شُبْرُمَة في مَوكبه ، فقال[4] : [من الطويل]

أَراهـا وإِن كـانَـتْ تُحَـبُّ فـإِنَّهـا   سَحـابـةُ صَيْـفٍ عـن قَليـلٍ تَقَشَّـعُ

• وجلس[5] الإِسكندرُ يوماً ، فما رَفع إِليه [أَحدٌ] حاجة ؛ فقال : لا أَعدُّ هذا اليوم من أَيّام مُلكي .

• وقال الجاحظُ[6] : ليس شيءٌ أَلَذَّ ولا أَسَرَّ من عِزِّ الأَمْرِ والنهْي ، ومِن الظَّفَر بالأَعداء ، ومن تَقليدِ المَنِّ أَعناقَ الرِّجال ؛ لأَنَّ هذه الأُمورَ نَصيبُ الرُّوحِ وحَظُّ الذِّهْن وقِسْمَةُ النَّفْسِ .

• وقيل[7]: الملِكُ خليفةُ الله في عباده، ولن يستقيمَ أَمْرُ خِلافته مع مُخالفته.

• وقال الحَجّاج[8] : سُلطانٌ تَخافُهُ الرَّعيةُ خيرٌ من سُلطان يَخافها .

• وقال أَردشير لابنه[9] : يا بنيّ ، المُلْكُ والدِّين أَخَوان ، لا غِنى لأَحدهما عن الآخر ؛ فالدّينُ أُسٌّ والمُلْكُ حارسٌ ، وما لم يَكن له أُسٌّ فَمهدومٌ ، وما لم يكنْ له حارسٌ فضائعٌ .

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٢١٥).
(٢) ربيع الأبرار (٥/ ٢١٣) وانظر سراج الملوك (١/ ١٨٣).
(٣) ربيع الأبرار (٥/ ٢١٦) وثمار القلوب (٢/ ٩٢٩) وفيه تخريج وافٍ.
(٤) البيت لعمران بن حطان الخارجي في شعر الخوارج (١٧).
(٥) ربيع الأبرار (٥/ ٢٣٥).
(٦) ربيع الأبرار (٥/ ٢٢٨).
(٧) ربيع الأبرار (٥/ ٢٢٩).
(٨) ربيع الأبرار (٥/ ٢٣١).
(٩) ربيع الأبرار (٥/ ٢٣٤) وسراج الملوك (١/ ٢٥٢).

● قيل[1] : لمّا دَنت وفاةُ هُرمز وامرأَتُه حاملٌ ، عَقَدَ التَّاجَ على بَطنها ، وأَمر الوزراءَ بتدبيرِ المملكة حتَّى يُولَد له وَلَدٌ ، فَيُمَلَّكَ ؛ وأَغارَ العربُ على نواحي فارس في صِباه ، فلمّا أَدركَ ركبَ ، وانتخب من أَهل النَّجدةِ فُرساناً وأَغار على العرب ، فانتهكهم بالقتلِ ، ثم خلعَ أَكتاف سبعين أَلفاً ، فقيل له : ذو الأَكتاف ؛ وأَمر العربَ حينئذٍ بِإرخاء الشُّعور ، ولُبْسِ المُصَبَّغات ، وأَن يَسكنوا بُيوتَ الشَّعر ، وأَن لا يَركبوا الخيلَ إلاّ عُراةً .

وقيل : من أَخلاق الملوك حبُّ التَّفرُّد

● كان[2] أردشيرُ إذا وَضَعَ التَّاجَ على رأسه لم يضعْ أَحد على رأسه قضيبَ رَيْحان ، وإِذا لَبسَ حُلَّةً لم يُرَ على أَحدٍ مِثلُها ، وإِذا تختَّم بخاتمٍ كان حَراماً على أَهلِ المملكةِ أَن يتختَّموا بمثله .

● وكان[2] سعيدُ بن العاص بمكَّة إِذا اعْتَمَّ لم يَعْتَمَّ أَحدٌ بمثل عِمامته ما دامت على رأسه .

● وكان[2] الحجاجُ إِذا وضع على رأسه عِمامةً لم يجترىءْ أَحدٌ من خَلق الله أَن يدخلَ عليه بِمثلها .

● وكان[2] عبد الملك إذا لبس الخف الأَصفر لم يلبس أَحد مثله حتى ينزعه .

● وأَخبرني مَن سافر إِلى اليمن أَنَّه لا يأكلُ الأَرُزَّ بها أَحدٌ غيرُ الملِك .

● وقيل[3] : مِن حقِّ المَلِكِ أَن يفحصَ عن أَسرار الرَّعيَّة فَحْصَ المُرضعة عن منامِ رضيعها .

● وكان[3] أردشير متى شاء قال لأَرفَع أَهل مَملكته وأَوْضَعِهم : كانَ عندَك في هذه اللَّيلةِ كَيتَ وكَيْتَ ، حتَّى كان يُقال : يأتيه مَلَكٌ من السَّماء ، وما ذاك إلاّ

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٢٣٨).
(٢) ربيع الأبرار (٥/ ٢١٨).
(٣) ربيع الأبرار (٥/ ٢١٩) والتذكرة الحمدونية (١/ ٣١٥).

• وقيل[1] لعُروة أَخي مِرداس : أَلا تحدِّثنا ببعض ما عندك من العلم؟ فقال : أَكرهُ أَن يميلَ قلبي باجتماعكم إِلى حبِّ الرِّئاسة ، فأَخسر الدّارين .

• وقال[2] سفيان بن عُيينة : دخلنا على الفُضيل في مرضه نعوده ، فقال : ما جاء بكم ، واللهِ لو لم تَجيئوا لكانَ أَحبَّ إِليَّ؟ ثم قال : نِعْمَ الشَّيءُ المرضُ لولا العيادة .

• وقيل للفُضيل[2] : إِنَّ ابنك يقول : وددت لو أَنّي بالمكان الّذي أَرى النّاس فيه، ولا يَروني، فقال: وَيْحَ ٱبني، لمَ لا أَتمّها ، فقال : لا أَراهم ولا يروني .

• وقال[3] عليٌّ رضي الله تعالى عنه : طُوبى لمن شَغَلَهُ عَيْبُهُ عن عُيوب النّاس ، وطوبى لمن لزم بيتَه ، وأَكل قُوته ، واشتغل بطاعته ، وبكى على خطيئَته ، فكان من نفسه في شُغلٍ ، والنّاس منه في راحةٍ .

• وقال سُفيان[4] : الزهد في الدُّنيا هو الزُّهد في النّاس .

• وقيل[5] لراهبٍ في صَومعته : أَلا تنزل؟ فقال : مَن مَشى على وجه الأَرض عَثَرَ .

والكلام في مثل هذا كثير ، وقد اكتفينا بهذا ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم .

* * *

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ١٧٣).
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ١٨٤).
(٣) ربيع الأبرار (٢/ ١٩١).
(٤) ربيع الأبرار (٢/ ١٩٣).
(٥) ربيع الأبرار (٢/ ١٩٩).

الباب الرابع عشر

في الملك والسُّلطان
وطاعة ولاة أُمور الإسلام
وما يجب للسلطان على الرعية
وما يجب لهم عليه

● رُوي[1] عن الحسن ، أَنَّه قال للحَجّاج : سمعتُ ابنَ عبّاس رضي الله عنهما يقول : قال رسول الله ﷺ : « وَقِّروا السَّلاطين وَبَجِّلوهم ، فإنَّهم عِزُّ الله وظِلُّه في الأَرض إذا كانوا عُدولاً » فقال الحجّاج : لم يَكن فيه « إذا كانوا عُدولاً »! قال : قلت : بَلى .

● وعن[1] عمر رضي الله تعالى عنه قال : قلتُ للنَّبيِّ ﷺ : أَخبرْني عن هذا السُّلطان الَّذي ذَلَّت له الرِّقابُ ، وخَضعت له الأَجساد ما هو؟ قال : « ظِلُّ الله في الأَرض ، فإذا أَحسنَ فله الأَجرُ وعليكم الشُّكر ، وإذا أَساء فعليه الإِصْرُ وعليكم الصَّبر » .

● وعنه[1] عليه الصَّلاة والسَّلام: «أَيُّما راعٍ استُرعيَ رَعِيَّةً، ولم يَحُطْها بالأَمانة والنَّصيحة من ورائها إلاّ ضاقت عليه رحمةُ الله تعالى الَّتي وَسِعَتْ كُلَّ شيءٍ » .

● وقال[2] مالك بن دينار رضي الله تعالى عنه : وَجدتُ في بعض الكُتب : يقولُ الله تعالى : أَنا مَلِكُ الملوك ، رقابُ المُلوك بيدي ، فَمن أَطاعني جعلتُهم عليه رحمةً ، ومَن عصاني جعلتُهم عليه نِقْمةً ، لا تشغلوا أَلسنتكم بِسَبِّ المُلوك ، ولكن تُوبوا إلى الله يعطفْهم عليكم .

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٢١٣).

(٢) ربيع الأبرار (٥/ ٢١٣) وانظر سراج الملوك (١/ ١٨٣).

بِتَفَحُّصِهِ وَتَيَقُّظِهِ .

• وكان[1] عِلْمُ عمر رضي الله عنه بِمن نأَى عنه كَعِلْمِهِ بمن باتَ معه على وسادٍ واحد .

• ولقد[1] اقتفى معاويه أَثَرَه .

• وتعرَّف[1] إلى زيادَ رجلٌ ، فقال : أَتتعرَّف إليَّ وأَنا أَعْرَفُ بكَ من أَبيك وأُمك؟ وأَعرِفُ هذا البُرْدَ الَّذي عليك؟ ففزعَ الرَّجُلُ حتَّى ارتعدَ من كلامه .

• وعن[2] بعض العبّاسيِّين قال : كلَّمتُ المأمونَ رحمه الله تعالى في امرأةٍ خَطبتُها ، وسألته النَّظر إليها ، فقال : يا أَبا فلان ، من قِصَّتها وحِلْيَتها وَفعلها وشَأنها كَيْتَ كَيْتَ ؛ فوالله ما زالَ يَصفُها ويصفُ أَحوالها حتى أَبْهَتَني .

ومما جاء في طاعة ولاة أُمور الإِسلام

• أَمر الله تعالى بذلك في كتابه العزيز على لِسان نبيِّه الكريم ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء : ٤/٥٨] .

• ورَوينا في « صَحيح البُخاري »[3] عن جرير بن عبد الله الأَنصاري رضي الله عنهما ، قال : بايَعتُ رسول الله ﷺ على شهادة أَن لا إِله إلا الله ، وأَنَّ محمَّداً رسول الله ، وإِقام الصَّلاةِ ، وإِيتاءِ الزَّكاة والسَّمعِ والطَّاعة ، والنُّصحِ لِكُلِّ مُسلم .

• وسُئل كعبُ الأَحبار عن السُّلطان ، فقال : ظِلُّ الله في أَرضه ، مَن ناصَحَه اهتدى ، ومَن غَشَّه ضَلَّ .

• وعن حُذيفة بن اليَمان رضي الله عنه : لا تَسُبُّوا السُّلطانَ ، فإِنَّه ظِلُّ الله في الأَرض ، به يقومُ الحقُّ ويَظهرُ الدِّين ، وبه يدفعُ الله الظُّلمَ ويُهلكُ الفاسقين .

• وقال عمر بن عبد العزيز لِمُؤَدِّبه ، كيفَ كانت طاعتي لك؟ قال : أَحسنَ

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٢١٩) والتذكرة الحمدونية (١/ ٣١٥).

(٢) ربيع الأبرار (٥/ ٢١٩) والتذكرة الحمدونية (١/ ٣٢٨).

(٣) في الأصول : عن جابر بن عبد الله ، والحديث من رواية جرير بن عبد الله في صحيح البخاري (١/ ٢٠ و١٣٣ و٢/ ١١٠ و٣/ ٢٧ و١٧٢ و٨/ ١٢٢).

طاعة . قال : فأَطِعْني كما كنتُ أُطيعك ؛ خُذْ من شارِبكَ حتَّى تَبدوَ شَفتاك ، ومنِ ثوبك حتَّى تبدوَ عَقِباك .

• وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ قال : « مَن أَطاعني فقد أَطاع الله ، ومَن عَصاني فقد عَصى الله ، ومَن أَطاع أَمري فقد أَطاعني ، ومَن عَصى أمري فقد عَصاني » .

• وقد ورد في الأَحاديث الصَّحيحة أَنَّ النَّبيَّ ﷺ أَمر بالسَّمع والطَّاعة لوليِّ الأَمر ومُناصحته ومَحبَّته والدُّعاء له .

• ولو تتبَّعت ذلك لطالَ الكلامُ ؛ لكنْ اعلمْ أَرشدَني الله وإِيَّاك إِلى الاتِّباع ، وجَنَّبنا الزَّيغَ والابتداع ، أَنَّ مِن قواعد الشَّريعة المطهَّرة والمِلَّة الحنيفيَّة المحرَّرَة أَنَّ طاعةَ الأَئمَّة فرضٌ على كُلِّ الرَّعيَّة ، وأَنَّ طاعةَ السُّلطان تؤلِّف شملَ الدِّين وتُنظِّم أُمورَ المسلمين ، وأَنَّ عِصيان السُّلطان يهدمُ أَركان المِلَّة ، وأَنَّ أَرفعَ منازلِ السَّعادةِ طاعةُ السُّلطان ، وأَنَّ طاعتَه عِصْمَةٌ من كُلِّ فتنةٍ ؛ وبطاعةِ السُّلطان تُقام الحدودُ وتُؤدَّى الفُروض ، وتُحْقَنُ الدِّماء ، وتُؤْمَنُ السُّبُلُ ؛ وما أَحسنَ ما قالت العُلماء : إِنَّ طاعةَ السُّلطانِ هُدىً لمن استضاءَ بنُورها ، وإِنَّ الخارجَ عن طاعةِ السُّلطان مُنقطِعُ العِصمة ، بَريءٌ من الذِّمَّة ، وإِنَّ طاعةَ السُّلطان حبلُ الله المتين ودِينُه القويم ، وإِنَّ الخروجَ منها خروجٌ من أُنس الطَّاعة إِلى وَحشة المعصية ؛ ومَن غَشَّ السُّلطانَ ضَلَّ وزَلَّ ، ومَن أَخلَصَ له المحبَّة والنُّصحَ حلَّ من الدِّين والدُّنيا في أَرفع مَحَلٍّ ؛ وإِنَّ طاعةَ السُّلطان واجبةٌ ، أَمَرَ الله تعالى بها في كتابه العظيم المُنزل على نبيِّه الكريم .

• وقد اقتصرنا في ذلك على ما أَوردناه واكتفينا بما بَيَّناه ، ونسأَلُ الله تعالى أَن يُلهمنا رُشدنا وأَن يُعيذنا من شُرور أَنفسنا وسيِّئات أَعمالنا ، وأَن يُصلحَ شأننا ؛ إِنَّه قريبٌ مُجيب ، وحَسبُنا الله ونعم الوكيل ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم أَجمعين

* * *

الباب الخامس عشر

فيما يجب على مَن صحب السُّلطان ، والتَّحذير من صُحبته

أَمّا صُحبة السُّلطان

● فقد[1] قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله تعالى عنهما ، قال لي أَبي : يا بُنيَّ ، إنِّي أَرى أَميرَ المؤمنين يَستخليكَ ويَستشيرك ، ويُقدِّمُك على الأَكابر من أَصحاب محمّد ﷺ ، وإنِّي أُوصيك بخلالٍ ثلاثٍ : لا تُفْشِيَنَّ له سِرّاً ، ولا يُجَرِّبَنَّ عليك كذباً ، ولا تَغتابنَّ عنده أَحداً .

قال الشَّعبيُّ رحمه الله تعالى : قلتُ لابن عبّاس : كُلُّ واحدةٍ منهنَّ خيرٌ من أَلفٍ ؛ فقال : إي واللهِ ، ومن عشرةِ آلاف .

● وقال[2] بعضُ الحُكماء : إذا زادك السُّلطانُ تأنيساً فَزِدْهُ إجلالاً ، وإذا جَعلك أَخاً ، فاجعلْهُ أَباً ، وإذا زادك إحساناً فَزِدْهُ فِعْلَ العبدِ مع سيِّده ، وإذا ابتُليت بالدُّخول على السُّلطان مع النّاس فأَخذوا في الثَّناء عليه ، فعليكَ بالدُّعاء له ، ولا تُكثر في الدُّعاء له عند كلِّ كلمةٍ ، فإنَّ ذلك تنبيهٌ بالوَحشة والغُربة .

● وقال[3] مُسلم بن عمرو لمن خَدَمَ السُّلطان : لا تَغترَّ بالسُّلطان إذا أَدناك ، ولا تتغيَّر منه إذا أَقصاك .

---

(١) سراج الملوك (٢/ ٤٨٩) وربيع الأبرار (١/ ٤٩٦ و٤/ ٥٣٦) والتذكرة الحمدونية (١/ ١٠٣ و٣٥٤) وأسرار الحكماء (٣٠).

(٢) سراج الملوك (٢/ ٤٨٦) والعقد الفريد (٢/ ٤٦٠) وأسرار الحكماء (٩٤).

(٣) سراج الملوك (٢/ ٤٨٦).

• ورُوي[١] أَنَّ بعضَ الملوك استصحبَ حَكيماً ، فقال له : أَصحبُك على ثلاثِ خصالٍ ، قال : وما هُنَّ؟ قال : لا تَهتكْ لي سِتْراً ، ولا تَشْتُمْ لي عِرْضاً ، ولا تَقبل فيَّ قَولَ قائلٍ حتَّى تَستشيرَني ؛ قال : هذا لك ؛ فماذا لي عليك؟ قال : لا أُفشي لك سِرّاً ، ولا أَدَّخِرُ عنك نَصيحةً ، ولا أُوثِرُ عليك أَحداً ؛ قال : نِعْمَ الصَّاحبُ للمستصحِب أَنت .

• وقال بُزُرْجِمَهْر[٢] : إذا خدمتَ مِلكاً من الملوك، فلا تُطعه في مَعصيةِ خالقِك، فإِنَّ إحسانَه إليك فوقَ إِحسانِ الملِكِ ، وإِيقاعَهُ بكَ أَغلظُ من إِيقاعه .

• وقالوا : اصحب الملوكَ بالهيبة لهم والوقار ، لأَنَّهُم إِنَّما احتجبوا عن النَّاس لقيام الهَيْبَة ، وإِن طالَ أُنْسُكَ بهم تَزددْ غمّاً .

• وقالوا[٢] : عَلِّمِ السُّلطان وكأَنَّك تتعلَّم منه ، وأَشِرْ عليه وكأَنَّك تَستشيرُه ؛ وإِذا أَحَلَّك السُّلطانُ من نفسه بحيثُ يَسمعُ منك ويثقُ بكَ ، فإِيَّاكَ والدُّخولَ بينه وبين بطانته ، فإِنَّك لا تدري متى يتغيَّر منك ، فيكونون عوناً عليك ؛ وإِيّاك أَن تُعادي من إذا شاءَ أَن يطرحَ ثيابه ويدخلَ مع المَلِكِ في ثيابِه فعَلَ .

• وفي الأمثال القديمة[٣] : احْذروا زَمّارَةَ المَخَدَّة .

• وفيه قيل[٤] : [من البسيط]

لَيسَ الشَّفيعُ الَّذي يَأْتيكَ مُتَّزِراً ... مِثْلَ الشَّفيعِ الَّذي يَأتيكَ عُريانا

• وقال[٥] يحيى بن خالِد : إذا صَحِبْتَ السُّلطان فدارِهِ مُداراةَ المرأَةِ العاقلة لِصُحْبَةِ الزَّوجِ الأَحمقِ .

---

(١) سراج الملوك (٢/ ٤٨٦).
(٢) سراج الملوك (٢/ ٤٨٧).
(٣) سراج الملوك (٢/ ٤٨٧) وزمّارة المخدّة : الزّانية.
(٤) البيت للفرزدق ، ديوانه.
(٥) سراج الملوك (٢/ ٤٩١).

وأمّا ما جاء في التّحذير من صُحبه السُّلطان

• فقد[1] اتَّفقت حُكماءُ العَرب والعَجم على النَّهي عن صُحبة السُّلطان ؛ قال في كتاب « كليلة ودُمنة » : ثلاثةٌ لا يَسلم عليها إلا القليلُ : صحبةُ السُّلطان ، وائْتِمانُ النّساء على الأَسرار ، وشُرب السُّمِّ على التَّجربة .

• وكان[1] يقال : قد خاطَرَ بنفسه مَن رَكبَ البَحر ، وأَعظمُ منه خَطَراً مَن صَحِبَ السُّلطان .

• وكان[2] بعضُ الحكماء يقول : أَحَقُّ الأُمورِ بالتَّثَبُّتِ فيها أُمورُ السُّلطان ، فإِنَّ مَن صَحب السُّلطان بغير عَقْلٍ ، فقد لَبِسَ شِعار الغُرور .

• وفي حِكم الهند[3] : صُحبةُ السُّلطان على ما فيها من العِزِّ والثَّروة عظيمةُ الخَطَر .

• وقيل[4] للعتّابيّ : لمَ لا تصحبُ السُّلطانَ على ما فيك من الأَدب؟ قال : لأَنِّي رأيتُه يُعطي عشرة آلافٍ في غير شيءٍ ، ويَرمي من السُّورِ في غيرِ شيءٍ ، ولا أَدري أَيَّ الرَّجلين أكونُ .

• وقال[5] معاوية لرَجلٍ من قريش : إِيَّاك والسُّلطانَ ، فإِنَّه يغضبُ غَضَبَ الصَّبيِّ ، ويبطشُ بطْشَ الأَسد .

• وقال مَيمون بن مِهران[6] : قال لي عُمر بن عبد العزيز : يا مَيمونُ ، احفظْ

---

(١) سراج الملوك (٢/ ٤٨٠).
(٢) لمزدك في سراج الملوك (٢/ ٤٨٠).
(٣) سراج الملوك (٢/ ٤٨٠).
(٤) سراج الملوك (٢/ ٤٨١).
(٥) ربيع الأبرار (٢/ ٢٢٩) وسراج الملوك (٢/ ٤٨١).
(٦) سراج الملوك (٢/ ٤٨٢) ، ومختصر تاريخ دمشق (٢٦/ ٦٣).

عَنِّي أَربعاً : لا تَصحبنَّ السُّلطان ، وإِن أَمَرْتَهُ بالمعروفِ ونَهيته عن المُنكر ؛ ولا تَخْلُوَنَّ بامرأَةٍ ، وإِن أَقْرَأْتَها القُرآن ؛ ولا تَصِلْ مَن قَطَعَ رَحِمَهُ ، فإِنَّه لَكَ أَقطع ؛ ولا تتكَلَّم بكلامٍ اليومَ تَعتذرُ منه غداً .

• وكم رأَينا وبلَغنا مِمَّن صَحِبَ السُّلطان من أَهل الفضل والعقل والعِلم والدّين ، لِيُصْلِحَهُ فَفَسَدَ هو به ، فكان كما قيل[1] : [من الكامل]

عَـدْوَى البَليـد إِلـى الجَليـد سَـريعـةٌ   والجَمْرُ يُوضَعُ في الرَّمادِ فَيَخْمُدُ

• ومَثَلُ[2] مَن صحبَ السُّلطان لِيُصلحَه ، مَثَلُ مَن ذَهب ليقيمَ حائطاً مائِلاً ، فاعتمد عليه لِيُقيمَه ، فخَرَّ الحائطُ عليه فأَهلكه .

• قال الشّاعر : [من الكامل]

ومُعـاشِـرُ السُّلطـان شِبْـهُ سفينـة   في البَحْرِ تَرْجُفُ دائماً من خَوْفِهِ
إِنْ أَدْخَلَـتْ مِـن مـائِـهِ فـي جَـوْفِهـا   يَغْتـالُهـا مَـعْ مـائِهـا فـي جَـوْفِـهِ

• وفي[2] كتاب « كليلة ودمنه » : لا يسعدُ مَن ابتُلِيَ بصُحبة الملوكِ ، فإِنَّهم لا عَهدَ لهم ولا وَفاءَ ، ولا قَريبَ ولا حَميم ، ولا يَرغبونَ فيك إِلاّ أَن يَطمعوا فيما عندك ، فيُقرِّبوك عند ذلك ، فإِذا قَضَوا حاجَتهم منك تركوك ورفضوك ؛ ولا وُدَّ للسُّلطان ولا إِخاءَ ، والذَّنبُ عنده لا يُغْفَرُ .

• وقالت الحُكماء[3] : صاحبُ السُّلطان كراكبِ الأَسَدِ ، يَخافُه النَّاس وهو لمركوبِه أَخْوَفُ .

---

(1) سراج الملوك (٢/ ٤٨٢) والبيت فيه بلا نسبة ، وهو لأبي بكر الخوارزمي في أدب الدنيا والدين (١٧٣).

(2) سراج الملوك (٢/ ٤٨٣).

(3) سراج الملوك (٢/ ٤٨٣) وهو لعلي في ربيع الأبرار (٥/ ٢٤٠) ، والتذكرة الحمدونية (١/ ٣٣٩) وثمار القلوب (١/ ٥٧٢) والتمثيل والمحاضرة (١٣١) وشرح النهج (١٩/ ١٤٩) .

• وقال[1] محمّد بن واسع : واللهِ لَسَفُّ التُّرابِ وَلَقَضْمُ العَظْمِ ، خيرٌ من الدُّنُوِّ من أَبوابِ السَّلاطين .

• وقال[1] محمَّد بن السُّمّاك : الذُّبابُ على العَذِرَةِ خيرٌ من العابِرِ على أَبوابِ المُلوك .

• وقيل[2] : مَن صَحِبَ السُّلطان قبل أَن يتأَدَّبَ ، فقد غَرَّرَ بنفسِه .

• وقال ابنُ المعتزِّ[3] : مَن شارَكَ السُّلطانَ في عِزِّ الدُّنيا شارَكه في ذُلِّ الآخرة .

• وعنه[3] : إذا زادَكَ السُّلطان تأنيساً وإكراماً ، فَزِدْهُ تَهَيُّباً واحْتِشاماً .

• وقال أبو عليّ الصَّغاني[4] : إيّاك والملوكَ ، فإِنَّ مَن والاهُم أَخذوا مالَه ، ومَن عاداهم أَخذوا رَأْسه .

• وقيل[5] : مكتوبٌ على بابِ قريةٍ من قُرى بَلْخٍ اسمُها نُوبهار : أَبوابُ الملوكِ تحتاجُ إلى ثلاثةٍ : عَقْلٍ ، وصَبْرٍ ، ومالٍ ؛ وتحته مكتوبٌ : كذبَ عدوُّ اللهِ ، مَن كان له واحدٌ منها لم يقربْ بابَ السُّلطان .

• وقال حسّان بن رَبيع الحِمْيَريّ[6] : لا تَثِقَنَّ بالمَلِكِ فإِنَّه مَلولٌ ، ولا بالمرأَةِ فإِنَّها خؤون ، ولا بالدَّابَّة فإِنَّها شَرودٌ .

• وقال عُبيد بن عُمير : ما ازدادَ رجلٌ من السُّلطانِ قُرباً إلاّ ازْدادَ من الله بُعداً ، ولا كثُرَت أتباعُه إلاّ كثُرَت شياطينُه ، ولا كثُرَ مالُه إلاّ كثُرَ حِسابُه .

• وقال ابن المبارك رحمه الله[7] : [من البسيط]

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٢٢٣).
(٢) ربيع الأبرار (٥/ ٢٢٥).
(٣) ربيع الأبرار (٥/ ٢٣٦).
(٤) ربيع الأبرار (٥/ ٢٣٧).
(٥) ربيع الأبرار (٥/ ٢١٦).
(٦) ربيع الأبرار (٥/ ٢٣٥) ومثله للأحنف في التذكرة الحمدونية (١/ ٢٨٨).
(٧) ديوانه (٦٩) ورواية الأول في ب : أرى اناساً . . . .

أرى المُلوكَ بأَدْنى الدِّيْن قد قَنِعُوا وَلا أَراهُم رَضُوا في العَيْشِ بالدُّونِ
فاسْتَغْنِ بالدِّيْن عن دُنيا المُلوكِ كَما اسْـ ـتَغْنى المُلوكُ بِدُنْيَاهم عَنِ الدِّيْنِ

● وقال بعضُهم في وُلاة بني مَروان[1] : [من الطويل]

إذا مـا قَطَعْتُـمْ لَيْلَكُـم بِمُـدامِكُـم وأَفْنَيْتُـمُ أَيّـامَكُـمْ بِمَنـامِ
فَمَـن ذا الَّـذي يَخْشَـاكُـمُ فـي مُلِمَّـةٍ وَمَـنْ ذا الَّـذي يَغشـاكُـمُ بِسَـلامِ
رَضيتُـمْ مـن الـدُّنْيـا بـأَيْسَـرِ بُلْغَـةٍ بِلثـمِ غُـلامٍ أوْ بِشُـرْبِ مُـدامِ
وَلَـم تَعْلَمـوا أَنَّ اللِّسـان مُـوَكَّـلٌ بِمَـدْحِ كـرامٍ أَوْ بِـذَمِّ لئـامِ

● نَهَت الحكماء عن خِدمة المُلوك ، فقالوا[2] : إنَّ المُلوكَ يَستعظمونَ في الثَّوابِ رَدَّ الجوابِ ، ويَسْتَقِلُّون في العِقاب ضَرْبَ الرقاب .

● وقيل[3] : شَرُّ الملوكِ مَن أَمِنَهُ الجريءُ وخافَهُ البَريءُ .

● واللهُ أَعلم بالصَّواب، وإليه المرجع والمآب، وحسبُنا اللهُ ونِعْمَ الوكيل، نِعْمَ المولى ونِعْمَ النَّصير، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصَحبه وسلَّم .

❊ ❊ ❊

---

(١) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٥/ ٢٤٧) والبصائر والذخائر (٤/ ٨٩).
(٢) للبديع في ربيع الأبرار (٥/ ٢٤٨).
(٣) لنُحيم في ربيع الأبرار (٥/ ٢٤٨).

الباب السادس عشر

في ذِكر الوزراءِ وصِفاتهم وأحوالهم ، وما أَشبه ذلك

• قال[1] الله تعالى حاكياً عن موسى عليه السَّلام : ﴿ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴾ [طه : ٢٠/٢٩] فلو كان السلطان يستغني عن الوزراء لكان أَحقَّ النّاسِ بذلك كليمُ الله موسى بن عِمران عليه السلام ، ثم ذكر حِكمة الوزارة فقال : ﴿ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ۝٣١ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴾ [طه : ٢٠/٣١-٣٢] . دلَّت هذه الآية على أَنّ الوزارة تشدُّ قواعد المَملكة ، وأَن يُفوِّضَ إليهِ السُّلطان إذا استُكملت فيه الخصالُ المحمودةُ ؛ ثم قال : ﴿ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝٣٣ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾ [طه : ٢٠/٣٣-٣٤] . دلَّت هذه الأية على أَنَّ بصحبةِ العُلماء والصَّالحين أَهلِ الخِبْرَة والمَعرفَة ، تنتظمُ أُمور الدُّنيا والآخرة .

• وكما[2] يحتاجُ أَشْجَعُ النّاس إلى السِّلاح ، وأَفْرَهُ الخيلِ إلى السَّوط ، وأَحَدُّ الشِّفار إلى المِسَنِّ، كذلك يحتاجُ أَجَلُّ الملوكِ وأَعْظمُهم وأَعلمُهم إلى الوزير .

• وروى[3] أَبو سعيد الخُدرِيّ رضي الله عنه ، قال : ما بَعثَ اللهُ من نَبيٍّ ولا استخلَف من خليفةٍ إلاَّ كانت له بطانتان : بطانةٌ تأمرُهُ بالمعروف وتَحُضُّه عليه ، وبطانةٌ تأمرُه بالشَّرِّ وتحضُّه عليه ؛ والمعصومُ مَن عَصمه الله .

• وقال[3] وَهْبُ بن مُنَبِّه : قال مُوسى لِفرعون : آمِنْ ولَكَ الجَنَّة ، ولَكَ مُلْكُك . قال : حتَّى أُشاورَ هامان ؛ فشاوَرَهُ في ذلك ، فقال له هامان : بينما

---

(١) عن سراج الملوك (١/ ٢٨٧).
(٢) من قول في ربيع الأبرار (٥/ ٢٣٥).
(٣) سراج الملوك (١/ ٢٨٨).

أَنت إلهٌ تُعْبَدُ إذ صِرْتَ تَعْبُد؟ فأَنِفَ واسْتَكْبَرَ ، وكانَ من أَمره ما كان .

• وعلى[1] هذا النَّمط كان وزيرُ الحَجَّاج يزيد بن أبي مسلم لا يأْلُوه خَبالاً ؛ ولَبِئس القُرناء ، شَرُّ قرينٍ لِشَرِّ خدينٍ .

• وأشرف[1] مَنازِلِ الآدميِّين النُّبوَّة ثم الخِلافة ثم الوزارة .

• وفي الأَمثال[1] : نِعْمَ الظَّهيرُ الوَزيرُ .

• وأَوَّل[2] ما يُظهرُ نُبْلُ السُّلطان وقُوَّةُ تَمييزه : جودَةُ عَقله في انتخاب الوُزراء، واستنقاءِ الجُلساء ، ومُحادثة العُقلاء ؛ فهذه ثلاثُ خِلالٍ تدلُّ على كَماله ، وبهذه الخِلال يَجْمُلُ في الخَلْق ذِكْره ، وتَرسخُ في النُّفوس عَظَمَتُهُ ؛ والمرءُ موسومٌ بقرينه .

• وكان يُقال[2] : حِلْيَةُ المُلوكِ وَزينتهم وُزراؤهم .

• وفي كتاب « كَليلة ودمنة »[2] : لا يَصلُحُ السُّلطانُ إلا بالوُزراء والأَعوان .

• وقال شُريح بن عُبيد[3] : لم يكن في بني إسرائيل مَلِكٌ إلاّ وَمعه رجلٌ حَكيمٌ ، إذا رآهُ غَضبانَ كتبَ إليه صَحائف ، وفي كلِّ صحيفةٍ : ارحمِ المسكينَ ، واْخشَ الموت ، واْذكر الآخرة ، فكلَّما غضب المِلكُ ناوَله الحكيمُ صَحيفةً حتَّى يسكنَ غضبه .

• ومثل[3] المَلِكِ الخيِّر والوزير السُّوء الَّذي يمنعُ النَّاس خيرَه ولا يمكِّنُهم من الدُّنوِّ منه ، كالماءِ الصَّافي فيه التِّمساح ، فلا يستطيعُ المرءُ دُخوله ، وإن كان سابِحاً وإلى الماء مُحتاجاً .

• وَمثلُ السُّلطان كَمَثَلِ الطَّبيب ، ومَثَلُ الرَّعيَّة كَمَثَلِ المرضى ، وَمَثَلُ الوزير

---

(١) سراج الملوك (١/ ٢٨٨).
(٢) سراج الملوك (١/ ٢٨٩).
(٣) سراج الملوك (١/ ٢٩٠).

كَمَثَلِ السَّفير بين المرضى والأَطبّاء ؛ فإذا كذَب السَّفير بَطَلَ التَّدبير . وكما أَنَّ السَّفيرَ إذا أَراد أَن يقتلَ أَحداً من المرضى وَصَفَ للطَّبيبِ نقيضَ دائه ، فإذا سقاهُ الطَّبيبُ على صِفَةِ السَّفير هَلَكَ العليلُ ؛ كذلكَ الوزيرُ ينقلُ إلى الملِك ما ليس في الرَّجل ، فيقتلُه الملِك .

• فمن ههنا شُرِطَ في الوزير أَن يكونَ صَدوقاً في لسانه ، عَدْلاً في دينه ، مأموناً في أَخلاقه ، بَصيراً بأُمور الرَّعيَّة ؛ وتكونُ بِطانةُ الوزيرِ أَيضاً من أَهل الأَمانة والبَصيرة .

• ولْيَحْذَرِ الملِكُ اَن يُوَلِّي الوزارةَ لئيماً ؛ فاللَّئيمُ إذا ارتفعَ جَفا أَقاربَه وأَنكرَ مَعارفه ، واستخفَّ بالأَشرافِ وتكبَّر على ذوي الفَضْلِ .

• ودخل[1] بعض الوزراء على بعض الخلفاء ، وكان الوزيرُ من أَهل العقل والأَدب ، فوجد عنده رجلاً ذِمِّيّاً كان الخليفةُ يميلُ إليك ويُقَرِّبه ، فقال الوزيرُ مُنشداً : [من السريع]

يا مَلِكاً طاعَتُهُ لازِمَه وَحُبُّهُ مُفْتَرَضٌ واجِبُ
إِنَّ الَّذي شَرُفْتَ مِن أَجْلِهِ يَزْعُمُ هذا أَنَّه كاذِبُ

وأَشار إلى الذِّمِّيّ ، فاسْأَله يا أَمير المؤمنين عن ذلك ؛ فسأَله ، فلم يجد بُدّاً من أَن يقولَ : هو صادقٌ ، فاعترفَ بالإِسلام .

• وكان[2] بعض الملوك قد كتبَ ثلاثَ رِقاع ، وقال لوزيره : إذا رأَيتني غَضبان فادفعْ إليَّ رُقعةً بعد رُقعةٍ ، وكان في الأُولى : إنَّك لستَ بإلهٍ ، وإنَّك ستَموتُ ، وتعودُ إلى التُّراب ، فيأكلُ بعضُك بعضاً ؛ وفي الثّانية : ارحمْ مَن

---

(١) سراج الملوك (١/ ٢٩١) وفيه : ودخل رجل له عقل وأدب. وفي وفيات الأعيان (٤/ ٢٦٣) ونفح الطيب (٢/ ٨٧) أن الطرطوشي صاحب سراج الملوك هو الذي دخل على الأفضل بن أمير الجيوش فوعظه ثم أنشد البيتين.

(٢) سراج الملوك (١/ ٢٩٢).

في الأَرض يرحمْك مَن في السَّماء ؛ وفي الثّالثة : اقضِ بين النّاس بحكمِ الله ، فإنَّهم لا يُصلحُهم إلا ذلك .

• ولما[1] كانت أُمورُ المملكة عائدةً إلى الوزراء ، وأَزمَّةُ الملوكِ في أَكُفِّ الوزراء سَبَقَ فيهم من العُقلاء المَثَلُ السَّائر ، فقالوا : لا تَغْتَرَّ بِمَوَدَّةِ الأَمير إذا غَشَّك الوزيرُ ، وإذا أَحبَّكَ الوزيرُ ، فَنَمْ لا تَخْشَ الأَمير .

• وَمَثَلُ[1] السُّلطان كالدَّار ، والوزيرُ بابُها ؛ فَمَن أَتى الدّار من بابِها وَلَجَ ، ومَن أَتاها من غير بابها انزعَج .

• وموقعُ[2] الوزارة من المملكة كموقعِ المرآة من البَصَر ، فكما أَنَّ مَن لم ينظرْ في المِرآة لا يَرى مَحاسنَ وَجهه وعُيوبَه ، كذلك السُّلطان إذا لم يكن له وزيرٌ لا يَعلمُ مَحاسنَ دَولته وعيوبَها .

• ومن[2] شُروط الوزير أَن يكون كثيرَ الرَّحمةِ للخَلق ، رَؤُوفاً بهم .

• **واعلمْ**[3] أَنَّه ليس للوزير أَن يكتمَ عن السُّلطان نصيحةً ، وإن استَقَلَّها ؛ وموضعُ الوزير من المملكة كموضعِ العَينين من الرَّأْسِ ، وكما أَنَّ المرآةَ لا تُريك وجهَك إلاّ بصفاءِ جَوهرها وجودةِ صَقْلِها ونَقائها من الصَّدإِ ، كذلك السُّلطان لا يَكملُ أمرُه إلا بجودةِ عقل الوزير ، وصِحَّةِ فَهْمِه ، ونَقاء قَلْبِه .

• واللهُ تعالى أَعلمُ بالصَّواب وإليه المرجعُ والمآبُ، وحسبُنا الله ونِعم الوكيل، ولا حولَ ولا قُوَّة إلا بالله العليِّ العَظيم ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصَحبه وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدّين ، والحمدُ لله ربِّ العالمين .

* * *

---

(١) سراج الملوك (١/ ٢٩٢).
(٢) سراج الملوك (١/ ٢٩٣).
(٣) سراج الملوك (١/ ٢٩٥).

البابُ السابع عَشر

في ذِكر الحِجاب والولاية ، وما فيها من الغَرَر والخَطَر

أمّا الحِجاب

• فقد قيل[1] : لا شيءَ أضيعُ للمملكة وأهلكَ للرَّعيَّة من شِدَّة الحِجاب .

• وقيل : إذا سهلَ الحِجاب أَحجمت الرَّعيَّة عن الظُّلم ، وإذا عَظُم الحِجابُ هَجَمَت على الظُّلم .

• وقال[2] ميمون بن مِهران : كنتُ عند عمر بن عبد العزيز ، فقال لحاجبه : مَن بالباب؟ فقال : رجلٌ أَناخ ناقته الآن ، يزعُم أنه ابن بلال مُؤَذّن رسول الله ﷺ ، فأَذنَ له أَن يدخلَ ، فلمّا دخلَ قال : حدَّثني أَبي ، أَنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول : « مَن وَلِيَ شَيئاً من أُمورِ المسلمين ثم حَجَبَ عنه حَجَبَهُ الله عنه يوم القيامة » فقال عُمر لحاجبه : الزمْ بَيْتَكَ ؛ فما رُؤي على بابه بعد ذلك حاجِبٌ .

• وكان[3] خالد بن عبد الله القَسْريّ يقولُ لحاجبه : إذا أَخَذْتُ مَجلسي فلا تَحجبنَّ عنّي أَحداً ؛ فإنَّ الوالي لا يحتجبُ إلا لثلاثٍ : عَيْبٍ يَكرهُ أن يطَّلع عليه أَحدٌ ، أَو ريبةٍ يخافُ منها أَن تظهرَ ، أو بُخلٍ يَكرهُ معه أن يُسال شيئاً .

• وكانت[1] العَجَم تقولُ : لا شَيءَ أَضيعُ للمملكةِ من شِدَّةِ حِجابِ المِلكِ ، ولا شيءَ أَهْيَبُ للرَّعيَّة وأَكَفُّ لهم عن الظُّلم من سُهولته .

---

(١) التذكرة الحمدونية (٨/ ١٩٧) ومحاضرات الراغب (١/ ٢٠٥).
(٢) التذكرة الحمدونية (٨/ ١٩٨) وبهجة المجالس (١/ ٢٦٥) ومحاضرات الراغب (١/ ٢٠٥).
(٣) رسائل الجاحظ (٢/ ٣٦) ، عيون الأخبار (١/ ٨٤) والفوائد والأخبار (٣٢).

• وقيل لبعض الحُكَّماء[1] : ما الجرحُ الَّذي لا يَندملُ؟ قال : **حاجةُ الكريم إِلى اللَّئيم ، ثم يَرُدُّه بغيرِ قَضائها** ؛ قيل : فما الَّذي هو أَشَدُّ منه؟ قال : **وُقوفُ الشَّريفِ ببابِ الدَّنيء ثم لا يُؤْذَنُ له** .

• ووقف[2] عبد الله بن العبّاس بن الحسين العَلَويّ على باب المأمون يوماً ، فنظرَ إِليه الحاجبُ ثم أَطرق ؛ فقال عبدُ الله لقوم معه : إِنَّه لو أَذنَ لنا لَدَخلْنا ، ولو صَرَفَنا لانْصَرَفْنَا ، ولو اعتَذَرَ إِلينا لَقَبِلْنا ، وأَما النَّظْرَة بعد النَّظْرةِ والتَّوقُّفُ بعد التَّعَرُّفِ فلا أَفهم مَعناه ؛ ثم تمثَّل بهذا البيت : [من الطويل]

وَما عَن رضى كانَ الحِمارُ مَطِيَّتي ... ولَكنَّ مَن يَمْشِي سَيَرْضَى بِمَا رَكِبْ

ثم انصرفَ ؛ فبلغَ ذلك المأمون ، فضربَ الحاجبَ ضَرْباً شديداً ، وأَمر لعبد الله بِصِلَةٍ جَزيلةٍ وعَشرِ دوابَّ .

• قال الشّاعر[3] : [من الطويل]

رَأَيْتُ أُناساً يُسْرعونَ تَبادُراً ... إِذا فَتَحَ البَوّابُ بابَكَ إِصْبَعا

وَنَحْنُ جُلوسٌ سَاكِتُونَ رَزَانَةً ... وَحِلْماً إِلى أَن يُفْتَح البابُ أَجْمَعا

• ووقفَ[4] رجلٌ خُراسانيٌّ ببابِ أَبي دُلَف العِجْلي حيناً ، فلم يُؤْذَن له ، فكتب رقعةً وتلطَّف في وُصولها إِليه ، وفيها : [من الوافر]

إِذا كانَ الكَريمُ لَهُ حِجابٌ ... فَما فَضْلُ الكَريمِ على اللَّئيمِ

---

(1) القول لحُبّى المدينية في عيون الأخبار (٣/ ١٣٩) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١٩٩).

(2) التذكرة الحمدونية (٨/ ١٩٩) وأسرار الحكماء (٧١) ونثر الدر (١/ ٣٨٧) وتاريخ بغداد (٢/ ١٢٧) .

(3) بلا نسبة التذكرة الحمدونية (٨/ ٢٠٠) ، والعقد الفريد (١/ ٦٨)؛ وهما لحضين بن المنذر في بهجة المجالس (١/ ٢٦٦).

(4) التذكرة الحمدونية (٨/ ٢٠٢) ومحاضرات الراغب (١/ ٢٠٩) وفي بهجة المجالس (١/ ٢٦٨) عبد الله بن طاهر بدل أبي دلف.

فأَجابه أَبو دُلَف بقوله : [من الوافر]

إِذا كـانَ الكـريـمُ قليـلَ مـالٍ ... وَلـم يُعْـذَرْ تَعَلَّـلَ بـالحِجـابِ
وأَبـوابُ الملـوكِ مُحَجَّبـاتٌ ... فـلا تَسْتَنْكِـرَنَّ حِجـابَ بـابـي

● ومن مَحاسِنِ النَّظم في ذمِّ الاحتجاب قولُ بعضهم[1] : [من الطويل]

سأَهْجُرُكـم حتَّـى يَليـنَ حِجابُكُـمْ ... عَلـى أَنَّـه لا بُـدَّ سَـوْفَ يَليـنُ
خُذوا حِذْرَكُمْ من نَبْوَةِ الدَّهْرِ إِنَّها ... وإِنْ لم تَكُنْ خانَتْ فَسَوْفَ تَخُونُ

● وقال آخر : [من الكامل]

مـاذا علـى بَـوّابِ دارِكُـم الَّـذي ... لـم يُعطِنـا إِذْنـاً ولا يُسْتَـأْذَنُ
لَـو رَدَّنـا رَدّاً جَميـلاً عَنْكُـمُ ... أَو كـانَ يَـدْفَعُ بـالَّتي هـيَ أَحْسَنُ

● وقال آخر : [من السريع]

أَمَـرْتَ بـالتَّسْهيـلِ فـي الإِذْنِ لـي ... وَلَـمْ يَـرَ الحـاجِـبُ أَنْ يـأْذَنـا
فَلَـنْ تَـرانـي بَعْـدَهـا عـائِـداً ... وَلَـنْ تـراهُ بَعْـدُ مُسْتَـأْذِنـا

● وقال آخر[2] : [من الكامل]

ولقَـد رأَيْـتُ ببـابِ دارِكَ جَفْـوَةً ... فيهـا لِحُسْـنِ صَنيعِـكَ التَّكْـديـرُ
مـا بـالُ دارِكَ حيـن تُـدْخَـلُ جَنَّـةً ... وببـابِ دارِكَ مُنْكَـرٌ وَنَكيـرُ

● وقال آخر : [من الطويل]

إِذا جِئْتُ أَلْقى عِنْدَ بابِكَ حاجِباً ... مُحَيّاهُ مِـنْ فَـرْطِ الجَهـالَـةِ حـالِـكُ
وَمِـنْ عَجَـبٍ مَغْنـاكَ جَنَّـةُ قـاصِـدٍ ... وحاجِبُها مِن دُونِ رِضْوانَ مالِكُ

---

(١) هما لأبي سليمان بن زيد النابلسي في التذكرة الحمدونية (٨/ ١٩٩).
(٢) بلا نسبة في التوفيق للتلفيق (١٤٨) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٢٠١) ، وهما لأحمد بن أبي فنن في رسائل الجاحظ (٢/ ٥٠ـ٥١) وديوانه (١٥٣ ضمن شعراء عباسيون).

• وقال آخر[1] : [من الطويل]

سَـأَتْـرُكُ بـابـاً أَنْـتَ تَمْلِـكُ إِذْنَـهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعمى عَنْ جميعِ المسالِكِ
فَلَـوْ كُنْـتَ بَـوّابَ الجِنـانِ تَـرَكْتُهـا وَحَوَّلْتُ رِجْلي مُسْرِعاً نَحْوَ مالِكِ

• وقال آخر : [من الكامل]

مـاذا يُفيـدُكَ أَنْ تكـونَ مُحَجَّبـاً والعَبْـدُ بـالبـابِ الكـريـم يَلُـوذُ
ما أَنْتَ إلاَّ في الحِصارِ مَعي فَلا تَعْتَـبْ فَكُـلُّ مُحـاصَـرٍ مَـأْخُـوذُ

• وقال أَبو تمّام[2] : [من الطويل]

سَـأَتْـرُكُ هـذا البـابَ مـا دامَ إِذْنُـهُ علـى مـا أَرى حتَّـى يَليـنَ قَليـلا
فَمـا خـابَ مَـنْ لَـمْ يَـأْتِـهِ مُتَعَمِّـداً وَلا فـازَ مَـن قَـدْ نـالَ مِنْـهُ وُصُـولا
إذا لَـمْ نَجِـدْ لـلإِذْنِ عِنْـدَكَ مَـوْضِعـاً وَجَـدْنـا إِلـى تَـرْكِ المَجِـيءِ سَبيـلا

• واستأْذن[3] رجلٌ على أَمير ، فقال للحاجبِ : قُلْ له : إنَّ الكَرى قد خَطَبَ إِليَّ نفسي ، وإِنَّما هي هَجْعَة وأَهُبُّ ؛ فخرجَ الحاجبُ ، فقال له الرَّجلُ : ما الَّذي قال لك؟ قال : قال كلاماً لا أَفهمه ، وهو يُريد أَن لا يأذَن لك .

• وقال[4] عليُّ بن أَبي طالب رضي الله عنه : إِنَّما أُمْهِلَ فرعونُ مع دَعواه الأُلوهيَّة لِسُهولة إِذْنه وَبذْل طعامِه .

---

(١) بلا نسبة في رسائل الجاحظ (٢/ ٥٢) ومحاضرات الراغب (١/ ٢٠٨) وعيون الأخبار (١/ ٨٥) وبهجة المجالس (١/ ٢٧١).

(٢) ليست في ديوانه ، وهي منسوبة إلى محمود الوراق في بهجة المجالس (١/ ٢٧١) وديوانه (٢٥٩) ، وإلى أبي العميثل في طبقات ابن المعتز (٢٧٨) ووفيات الأعيان (٣/ ٩٠) وإلى محمد بن هشام السدري في معجم الشعراء (٣٧٦) وإلى محمد بن أبي عمران في (٤٠٢) منه ، وبلا نسبة في رسائل الجاحظ (٢/ ٦٠) .

(٣) ربيع الأبرار (٥/ ٢٤٥) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٢٠٧).

(٤) التذكرة الحمدونية (٨/ ١٩٨) .

• وقال[1] عمرو بن مُرَّة الجُهَني لمعاوية : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « ما من أَميرٍ يُغلق بابَه دُون ذوي الحاجةِ والخَلَّة والمسْأَلَة ، إلاَّ أَغلقَ اللهُ أَبوابَ السَّمواتِ دُون حاجَته وَخَلَّتِه وَمَسْأَلته » .

• وجاء[2] النّامي الشَّاعر لبعض الأُمراء فَحَجَبه ، فقال : [من الوافر]

سَأَصْبِرُ إنْ جَفَوْتَ فَكَمْ صَبَرْنَا ... لِمِثْلِكَ مِنْ أَميرٍ أَو وَزيرِ
رَجَوْنَاهُمْ فَلَمَّا أَخْلَفُونا ... تَمَادَتْ فِيهمُ غِيَرُ الدُّهورِ
فَبِتْنَا بالسَّلامَةِ وَهْيَ غُنْمٌ ... وَباتُوا في المحابِسِ والقُبورِ
وَلَمَّا لَمْ نَنَلْ مِنْهُمْ سُروراً ... رَأينا فيهم كُلَّ السُّرورِ

• وأنشدوا في ذلك أَيضاً : [من الكامل]

قُل للَّذين تَحَجَّبوا عن راغبٍ ... بمنازلٍ مِن دُونِها الحُجّابُ
إنْ حالَ عن لُقْياكُمُ بَوّابُكُمْ ... فاللهُ لَيْسَ لِبابِهِ بَوّابُ

• واستأذن[3] سعدُ بن مالك على معاوية ، فَحَجَبَهُ ، فهتفَ بالبُكاء ، فأَتى النَّاسُ وفيهم كَعْبٌ فقال : وما يُبكيك يا سَعْدُ؟ فقال : وما لي لا أَبكي وقد ذَهب الأَعلامُ من أَصحاب رسول الله ﷺ ومعاويةُ يلعبُ بهذه الأُمَّة؟ فقال كعبٌ : لا تَبْكِ ، فإنَّ في الجَنَّةِ قَصْراً من ذَهبٍ يُقال له عَدْن ، أَهْلُهُ الصِّدِّيقون والشُّهداء ، وأَنا أَرجو أَن تكونَ من أَهله .

• واستَأذن بعضُهم على خليفةٍ كريمٍ وحاجبُه لئيمٌ ، فَحَجَبَه فقال[4] : [من الكامل]

في كُلِّ يوم لي ببابِكَ وِقْفَةٌ ... أَطْوي إليهِ سائِرَ الأَبوابِ

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٢٤٦).
(٢) ربيع الأبرار (٥/ ٢٢٢).
(٣) ربيع الأبرار (٥/ ٢٤٩) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٢٠١)؛ وكعب : هو كعب الأحبار.
(٤) بلا نسبة في بهجة المجالس (١/ ٢٦٦).

وإذا حَضَرْتَ وَغِبْتُ عنكَ فإِنَّهُ ذَنْبٌ عُقُوبَتُهُ على البَوَّابِ

وأمّا ذِكر الولايات وما فيها من الخطر العظيم

• فقد قال الله تعالى لداود عليه السَّلام : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [ص : ٣٨/٢٦] .

• جاء[١] في التَّفسير : إنَّ من اتِّباع الهوى أَن يحضرَ الخَصمانِ بين يَديك ، فتَوَدَّ أَن يكون الحقُّ للَّذي في قلبك محَبَّةٌ خاصَّة ، وبهذا سُلِبَ سُليمان بن داود مُلْكه .

• قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما : كان الَّذي أَصابَ سُليمان بن داود عليهما السَّلام ، أَنَّ ناساً من أَهل جَرادة امرأَته ، وكانَت من أَكرم نِسائه عليه ، تحاكَموا إِليه مع غَيرهم ، فأَحَبَّ أَن يكونَ الحقُّ لأَهلِ جَرادة فيقضيَ لهم ، فعُوقب بسببِ ذلك حيثُ لم يكنْ هَواه فيهم واحداً .

• وروي[٢] عن عبد الرَّحمن بن سَمُرة رضي الله عنه ، قال : قال لي رسول الله ﷺ : « يا عبدَ الرَّحمن ، لا تَسأَلِ الإمارة ؛ فإِنَّك إِن أُعطيتَها من غيرِ مَسألة أُعِنْتَ عليها ، وإِن أُعطيتها عن مَسالة وُكِلْتَ إِليها » .

• وقال[٢] مَعْقِل بن يَسار رضي الله عنه : سمعتُ النَّبيَّ ﷺ يقول : « ما مِن عَبْدٍ يَسترعيه اللهُ رَعِيَّةً ، فلم يَحُطْها بِنَصيحَتِهِ إلاَّ لم يجدْ رائحة الجَنَّة » .

• وفي الحديث[٣] : « مَن وَلِيَ من أُمور المسلمينَ شيئاً ثم لم يَحُطْهُمْ بِنصيحته كما يَحوطُ أَهل بيته ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ من النّار » .

• ورُوي[٣] أَنَّ عُمر بن الخطّاب رضي الله عنه بعثَ إِلى عاصم يَستعمله على

---

(١) عن سراج الملوك (١/ ١٥٩).
(٢) سراج الملوك (١/ ١٦٢).
(٣) سراج الملوك (١/ ١٦٤).

الصَّدقة ، فأَبى ، وقال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إذا كان يوم القيامة يُؤتى بالوالي فيقفُ على جِسر جهنَّم ، فيأمرُ الله تعالى الجسرَ فينتفضُ انتفاضةً ، فيزولُ كلُّ عضوٍ منه عن مكانه ، ثم يأمرُ الله تعالى بالعظامِ ، فترجعُ إلى أَماكنها ، فإن كان لله مُطيعاً أَخذ بيده ، وأَعطاه كِفْلَيْنِ من رَحمته ، وإن كان لله عاصِياً انخرقَ به الجسرُ فَهوى به في نار جهنَّم مِقدارَ سبعين خريفاً » . فقال عمر رضي الله عنه : سمعتَ من النَّبيِّ ﷺ ما لم أَسمعْ؟ قال : نعم . وكان سَلمان وأَبو ذَرٍّ حاضِرَيْن ، فقال سَلمان : إِي والله يا عُمر ، ومع السَّبعين سَبعون خريفاً في وادٍ يلتهبُ التهاباً ؛ فضربَ عُمر رضي الله عنه بيده على جبهته وقال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ؛ مَن يأخذُها بما فيها؟ فقال سَلمان : مَن أَرغم الله أَنفه وأَلصقَ خَدَّه بالأَرض .

• وروى[1] أَبو داود في « السُّنن » قال : جاءَ رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسولَ الله ، إنَّ أَبي عريفٌ على الماءِ ، وإنِّي أَسأَلُكَ أَن تجعلَ لي العَرافَةَ من بعده ، فقالَ النَّبي ﷺ : « العُرفاءُ في النَّار » .

• ورَوى[2] أَبو سعيد الخُدريّ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ أَشَدَّ النّاسِ عذاباً يوم القيامة الإمامُ الجائر » .

• وقالت[3] عائشة رضي الله عنها : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : يُؤْتى بالقاضي العَدْل يومَ القيامة ، فَيَلْقى مِن شِدَّةِ الحساب ما يَوَدُّ أَنَّه لم يَقْضِ بين اثنين في تَمْرة » .

• وقال[4] الحسن البَصْريّ : إنَّ النَّبيَّ ﷺ دعا عبدَ الرَّحمن بن سَمرة

---

(١) سراج الملوك (١/ ١٦٦-١٦٧) ، وسنن أبي داود (٣/ ١٣٢ رقم ٢٩٣٤).
(٢) سراج الملوك (١/ ١٦٧).
(٣) سراج الملوك (١/ ١٦٨) وربيع الأبرار (٤/ ٥٢٦).
(٤) سراج الملوك (١/ ١٦٩).

يستعملُه ، فقال : يا رسولَ الله ، خِرْ لي ؛ فقال : « اقعدْ في بيتك » .

• وقال[1] أبو هُريرة رضي الله عنه : ما من أَميرٍ يُؤَمَّرُ على عَشْرَةٍ إلاّ جِيءَ به يومَ القيامة مَغلولاً ، أَنجاهُ عَملُه أَو أَهلكه .

• وقال[1] طاووسُ لِسُليمان بن عبد الملك : هل تَدري يا أَمير المؤمنين مَن أَشَدُّ النّاسِ عذاباً يوم القيامة؟ قال سُليمان : قُلْ ؛ فقال طاووس : أَشَدُّ النَّاس عذاباً يوم القيامة رجلٌ أَشْرَكَهُ اللهُ في مُلْكه فجارَ في حُكمه ؛ فاستلقى سُليمان على سَريره وهو يبكي ، فما زال يَبكي حتَّى قامَ عنه جُلساؤه .

• وقال[2] ابنُ سِيرين : جاء صِبيانٌ إلى عُبَيْدَةَ السَّلْمانيّ يَتَخَيَّرون إليه في أَلواحهم ، فلم ينظرْ إليها ، وقال : هذا حُكْمٌ ؛ لا أَتولَّى حُكْماً أَبداً .

• وقال[3] أَبو بكر بن أَبي مريم : حجَّ قوم ، فماتَ صاحبٌ لهم بأَرضٍ فلاةٍ ، فلم يجدوا ماءً ، فأتاهم رجلٌ فقالوا له : دُلَّنا على الماء ؛ فقال : احلِفوا لي ثلاثاً وثلاثين يَميناً أَنَّه لم يكن صَرّافاً ولا مَكّاساً ولا عَريفاً - ويُروى ولا عَرّافاً - ولا بَريداً ، وأَنا أَدُلّكم على الماء ؛ فحلَفوا له ثلاثاً وثلاثين يَميناً (فَدَلَّهم على الماءِ ، ثم قالوا له : عاوِنّا على غسله ، فقال : احلفوا لي ثلاثاً وثلاثين يميناً)[4] كما تقَدَّم ، فَحَلَفوا له ، فأَعانهم على غَسله ، ثم قالوا له : تَقَدَّم فَصَلِّ عليه ؛ فقال : لا ، حتى تحلفوا لي ثلاثاً وثلاثين يميناً كما تقدَّم ؛ فحَلفوا له فصلَّى عليه ، ثم التفتوا فلم يجدوا أَحداً ، فكانوا يرَون أَنَّه الخَضِرُ عليه السَّلام .

• وقال[5] أَبو ذَرٍّ رضي الله عنه : قال لي رسول الله ﷺ : « يا أَبا ذَرٍّ ، إِنِّي

---

(١) سراج الملوك (١/ ١٦٩).
(٢) سراج الملوك (١/ ١٧١).
(٣) سراج الملوك (١/ ١٧٢-١٧٣).
(٤) من أ ، ب وسراج الملوك.
(٥) سراج الملوك (١/ ١٧٤).

أُحِبُّ لَك ما أُحِبُّ لِنفسي ، وإِنِّي أَراكَ ضعيفاً ، فلا تَتأَمَّرَنَّ على اثنين ، ولا تَلِيَنَّ مالَ يتيم » .

ومن غريب ما اتفق وعجيب ما سبق(١) :

● ما حُكي أَنَّ مَلِكاً من مُلوك الفُرس يُقال له أَرْدشير ، وكان ذا مَملكة مُتسعةٍ وجُنْدٍ كَثيرٍ ، وكان ذا بأسٍ شديدٍ ، وقد وُصفت له بنتُ ملِكِ بحر الأردنّ بالجمال البارع ، وأَنَّ هذه البنتَ بكرٌ ذات خِدْرٍ ، فَسَيَّر أَردشير مَن يخطبها من أَبيها ، فامتنعَ من إِجابته ، ولم يرضَ بذلك ، فَعَظُمَ ذلك على أَردشير ، وأَقسمَ بالأَيْمان المُغْلَظَةِ لَيَغْزُوَنَّ المَلِكَ أَبا البنت ، وليقتلنَّه هو وابنته شَرَّ قِتْلَةٍ ، وَلَيُمَثِّلَنَّ بهما أَخْبَثَ مُثْلَةٍ ، فسار إِليه أَردشير في جُيوشه ، فقاتله ، فقتله أَردشير وقتلَ سائر خواصّه ، ثم سأَل عن ابنته المخطوبة ، فبرزَت إليه جاريةٌ من القصرِ من أَجمل النّساء وأَكمل البنات حُسناً وجَمالاً وقَدّاً واعتدالاً ، فَبُهتَ أَردشير من رُؤيته إِيّاها ، فقالت له : أَيُّها الملك ، إِنَّني ابنةُ المَلكِ الفلانيِّ مَلِكِ المدينة الفُلانيَّة ، وأَنَّ الملِكَ الَّذي قتلتَه أنت قد غَزَا بلدنا وقتلَ أَبي وقتلَ سائر أَصحابه قبل أَن تقتلَه أَنت ، وأَنَّه أَسرني في جُملة الأَسارى وأَتى بي في هذا القصر ، فلمَّا رأَتني ابنته الَّتي أرسلتَ تخطُبها أَحبَّتني ، وسأَلَت أَباها أَن يتركني عندها لتَأْنَسَ بي ، فتركني لها ، فكنتُ أَنا وهي كأَنَّنا رُوحان في جَسَدٍ واحدٍ ، فلمَّا أَرسلت تخطبُها خافَ أَبوها عليها منك فأَرسلها إِلى بعض الجزائر في البحر المِلْحِ عند بعض أَقاربه من الملوك ؛ فقال أَردشير : وَدِدْتُ لو أَنِّي ظفرتُ بها فكنتُ أَقتلها شَرَّ قِتْلَةٍ ؛ ثم إِنَّه تأَمَّل الجارية فرآها فائقةً في الجمال ، فمالت نفسُه إِليها ، فأَخذها للتَّسَرِّي ، وقال : هذه أَجنبيَّةٌ من المُلْك ، ولا أَحنثُ في يميني بأَخذها ؛ ثم إِنَّه واقعها وأَزال بكارتها ، فَحَملت منه ، فلمَّا ظهر عليها الحَمْلُ ، اتَّفق أَنَّها تحدَّثت معه يوماً ، وقد رأَته مُنشرحَ الصَّدر ، فقالت له :

---

(١) الخبر لا وجود له في أ ، ب . وقارن بما ورد في الأخبار الطوال (٤٣ ـ ٤٤) .

أنت غلبت أَبي وأَنا غلبتُك ؛ فقال لها : ومن أَبوك؟ فقالت : هو مَلِك بحر الأُردن ، وأَنا ابنتُه التي خطبتَها منه ، وأَنّني سمعت أَنّك أَقسمت لتقتلنّي فتحيَّلت عليك بما سمعت ، والآن هذا ولدك في بطني ، فلا يتهيَّأ لك قتلي ؛ فعظم ذلك على أردشير إِذْ قهرته امرأةٌ وتحيَّلت عليه حتى تخلَّصت من بين يديه ، فانتهرها ، وخرج من عندها مُغضباً ، وعوَّل على قتلها ، ثم ذكر لوزيره ما اتَّفق له معها ، فلما رأَى الوزيرُ عزمه قويّاً على قتلها خَشي أَن تتحدَّث الملوكُ عنه بمثل هذا ، وأَنَّه لا يقبلُ فيها شفاعةَ شافعٍ ، فقال : أَيُّها الملِك ، إِنَّ الرَّأي هو الَّذي خطرَ لك ، والمصلحةُ هي الَّتي رأَيتَها أَنت ، وقتلُ هذه الجارية في هذا الوقت أَولى ، وهو عينُ الصَّواب ، لأَنَّهُ أَحَقُّ من أَن يقال : إِنَّ امرأَةً قهرت رأْيَ الملك ، وحَنَّثته في يمينه لأَجلِ شَهوةِ النَّفْسِ ؛ ثم قال : أَيُّها الملِك ، إِنَّ صورتها مرحومةٌ ، وحَمْلَ الملك معها ، وهو أولى بالسِّتر ، ولا أَرى في قتلها أَستر ولا أَهون عليها من الغَرَق ؛ فقال له الملك : نِعْمَ ما رأَيت ، خُذْها غرِّقْها ؛ فأَخذها الوزير ثم خرج بها ليلاً إِلى بحر الأُردنّ ، ومعه ضوءٌ ورجالٌ وأَعوانٌ ، فتحيَّل إِلى أَن طرحَ شيئاً في البحر أَوهم مَن كان معه أَنّها الجارية ، ثم إِنَّه أَخفاها عنده .

فلمَّا أَصبح جاءَ إِلى الملِك ، فأَخبره أَنَّه غَرَّقها ، فشكرَه على ما فعل ؛ ثم إِنَّ الوزيرَ ناولَ الملِك حُقّاً مختوماً ، وقال : أَيُّها الملك ، إِنِّي نظرتُ مَولدي ، فرأَيت أَجَلي قد دنا على ما يَقتضيه حسابُ حُكماء الفُرس في النُّجوم ، وإِنَّ لي أَولاداً ، وعندي مالٌ قد ادَّخرتُه من نِعمتك ، فَخُذْهُ إِذا أَنا مِتُّ إِن رأيت ، وهذا الحقُّ فيه جَوهرٌ ، أسأَلُ الملِك أَن يَقسمه بين أَولادي بالسَّويَّة ، فإِنَّه إِرْثي الَّذي قد وَرِثْتُهُ من أَبي ، وليس عندي شيءٌ ممّا اكتسبتُه منه إِلا هذا الجوهر ؛ فقال له الملِك : يَطُوِّل الرَّبُّ في عُمرك ، ومالُك لك ولأَولادك سواءٌ كنتَ حيّاً أَو ميّتاً ؛ فأَلحّ عليه الوزيرُ أَن يجعلَ الحُقَّ عنده وديعةً ؛ فأَخذه الملك وأَودعه عنده في صُندوقٍ ، ثم مَضت أَشهرُ الجارية ، فوضَعت وَلداً ذَكراً جميلاً ،

حَسَنَ الخِلْقَة مثل فِلْقَةِ القَمر ، فلاحظ الوزيرُ جانب الأَدب في تَسميته ، فرأى أَنَّه إِن اخترعَ له اسماً وسمّاه به ، وظهر لوالده بعد ذلك ، فيكونُ قد أَساء الأَدب ، وإِن هو تركه بلا اسمٍ لم يتهيّأ له ذلك ، فسمّاه شاه بور ، ومعنى شاه بور بالفارسيّه ابنُ ملِك ، فإِنَّ شاه : ملك ، وبور : ابن ، ولُغتهم مَبنيَّةٌ على تأخيرِ المتقدِّم وتقديم المتأخِّر ، وهذه تسميةٌ ليس فيها مُؤَاخذة ، ولم يزل الوزير يلاطفُ الجاريةَ والوَلَدَ إلى أَن بلغَ الولدُ حَدَّ التَّعليم ، فعلَّمه كلَّ ما يصلحُ لأولاد الملوك من الخطِّ والحِكمة والفُروسيَّة ، وهو يُوهم أَنَّه مَملوكٌ له اسمه شاه بور ، إلى أَن راهقَ البلوغَ ؛ هذا كلُّه وأَردشيرُ ليس له ولدٌ ، وقد طَعَنَ في السِّنِّ وأَقعده الهَرم ، فمرض وأَشرف على الموت ، فقال للوزير : أَيُّها الوزيرُ : قد هرمَ جسمي ، وضَعُفَت قُوَّتي ، وإِنِّي أَرى أَنِّي مَيِّتٌ لا محالة ، وهذا المُلْكُ يأخذُه من بَعدي مَن قُضي له به . فقال الوزير : لو شاء الله أَن يكونَ للملك ولدٌ ، وكان قد وليَ بعده المُلْكَ ، ثم ذَكَّره بأَمر بنتِ ملِك بحر الأُردنِّ وبِحَملها ؛ فقال الملك : لقد ندمتُ على تَغريقها ؛ ولو كنتُ أَبقيتُها حتَّى تَضع ، فلعلَّ حَملها يكون ذكراً ؛ فلمّا شاهدَ الوزير من الملِك الرِّضا قال : أَيُّها الملِكُ ؛ إِنَّها عندي حَيَّةٌ ، ولقد ولدَت ولداً ذَكراً من أَحسن الغِلمانِ خَلْقاً وَخُلُقاً ؛ فقال الملِك : أَحَقٌّ ما تقولُ؟ فأَقسمَ الوزيرُ : أَن نَعَمْ ، ثم قال : أَيُّها الملِك ، إِنَّ في الولد رُوحانيَّةً تشهدُ بأُبُوَّة الأَب ، وفي الوالد رُوحانيَّة تشهدُ ببنُوَّةِ الابن ، لا يكادُ ذلك يَنْخَرِمُ أَبداً ، وإِنَّني آتي بهذا الغلام بين عِشرين غُلاماً في سِنِّهِ وهَيئته ولباسه ، وكلُّهم ذوو آباءٍ معروفين خلا هو ، وإِنِّي أُعطي كُلَّ واحدٍ منهم صَوْلَجاناً وَكُرَةً وآمُرهم أَن يلعبوا بين يديك فِي مَجلسك هذا ، ويتأَمّلُ الملِكُ صُوَرَهم ، وخِلْقَتَهم وشَمائلهم ، فكلُّ مَن مالت إِليه نَفْسُه ورُوحانيَّتُهُ فهو هو ؛ فقال الملِك : نِعْمَ التَّدبيرُ الَّذي قُلْتَ ؛ فأَحضرهم الوزيرُ على هذه الصُّورة ، ولَعبوا بين يدي الملك ، فكان الصَّبيُّ منهم إذا ضربَ الكُرةَ وقَرُبَت من مَجلسِ الملك تمنعه الهيبةُ أَن يتقدّم ليأخذَها

إلا شاه بور ، فإنَّه كان إذا ضَربها ، وجاءت عند مرتبة أَبيه تقدَّم فأَخذها ، ولا تأخذه الهيبةُ منه ، فلاحظ أَردشيرُ ذلك منه مِراراً ، فقال : أَيُّها الغُلام ، ما اسمُك؟ قال : شاه بور ؛ فقال له : صدقتَ ، أَنت ابني حقّاً ؛ ثم ضمَّه إليه وقبَّله بين عينيه ، فقال له الوزير : هذا هو ابنُك أَيُّها الملِك ؛ ثم أَحضر بقيَّة الصِّبيان ومعهم عُدولٌ ، فأَثبت لكلِّ صَبِيٍّ منهم والداً بحضرةِ الملِك ، فتحقَّق الصِّدقَ في ذلك ، ثم جاءت الجارية وقد تضاعفَ حُسنها وجَمالها ، فقبَّلت يدَ الملك ، فرضي عنها ، فقال الوزير : أَيُّها الملك ، قد دعَت الضَّرورةُ في هذا الوقت إلى إِحضار الحُقِّ المختوم ، فأَمرَ الملك بإحضاره ، ثم أَخذه الوزير وفكَّ خَتْمَهُ وفَتَحَهُ ، فإذا فيه ذَكَرُ الوزير وأُنثياهُ مقطوعةً مُصانةً فيه من قبل أَن يَتَسَلَّمَ الجارية من الملك ، وأَحضر عُدولاً من الحُكماء وهم الَّذين كانوا فَعلوا به ذلك ، فشهدوا عند الملك بأَنَّ هذا الفعل فَعلناه به من قبلِ أَن يتسلَّم الجاريةَ بليلةٍ واحدةٍ ، قال : فدهشَ الملكُ أَردشير وبُهت لِما أَبداه هذا الوزير من قُوَّةِ النَّفْسِ في الخِدمة ، وشِدَّة مُناصحته ، فزاد سُروره وتضاعفَ فَرَحُه لصيانة الجارية وإثبات نَسَبِ الولدِ ولُحوقِهِ بِهِ ، ثم إِنَّ الملِك عُوفي من مرضه الَّذي كان به وصحّ جسمُه ، ولم يزل يتقلَّب في نِعَمِهِ وهو مسرورٌ بابنه إلى أَن حضرته الوفاة ، ورجعَ المُلْكُ إلى ابنه شاه بور بعد موت أَبيه ، وصار ذلك الوزيرُ يخدمُ ابنَ الملِك أَردشير ، وشاه بور يحفظُ مَقامه ويرعى منزلته حتَّى توفاه الله تعالى .

● والله تعالى أَعلم بالصَّواب وإليه المرجعُ والمآب ، وحسبُنا الله ونِعم الوكيل ، ولا حول ولا قُوَّة إلا باللهِ العليِّ العظيم ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدِّين .

* * *

الباب الثامن عشر

فيما جاء في القَضاء ،
وذكر القُضاة ،
وقبول الرِّشوة والهديَّة على الحُكم ،
وما يتعلَّق بالدُّيون ،
وذِكر القُصّاص والمُتَصوِّفَة
وفيه فصول

الفصل الأوَّل

فيما جاء في القَضاء
وذِكر القُضاة وأَحوالهم وما يجبُ عليهم

• قال الله تعالى : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [ص : ٣٨/٢٦] .

• وقال تعالى : ﴿ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ﴾ [ص : ٣٨/٢٢] .

• وقال تعالى : ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة : ٥/٤٥]

• وقال[1] رسول الله ﷺ : « مَن حَكمَ بين اثنين تَحاكما إِليه وارْتَضياه ، فلم يقضِ بينهما بالحقِّ ، فعليه لعنةُ الله » .

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٤٩٠).

• وعن أَبي حازم[1] ، قال : دخلَ عُمر على أَبي بكر رضوانُ الله عليهما ، فسلَّم عليه ، فلم يردَّ عليه ، فقال عُمر لعبد الرَّحمن بن عوف : أَخاف أَن يكون وَجَدَ عليَّ خليفةُ رسول الله ﷺ ؛ فكلَّمَ عبدُ الرَّحمن أَبا بكر ، فقال : أَتاني وبين يديَّ خَصمان ، قد فَرَّغْتُ لهما قَلبي وسَمعي وبَصري ، وعلمتُ أَنَّ اللهَ سائلي عنهما ، وعمّا قالا وقلتُ .

• وادّعى[1] رجلٌ على عليٍّ عند عمر رضي الله عنهما وعليٌّ جالسٌ ، فالتفتَ عُمر إِليه وقال : يا أَبا الحسن ، قُم فاجلسْ مع خَصمك ؛ فتناظَرا ، وانصرفَ الرَّجل ، ورجعَ عليٌّ إِلى مَجلسه ؛ فتبيَّن لعمر التَّغيُّر في وَجهِ عليٍّ ، فقال : يا أَبا الحسن ، ما لي أَراك مُتغَيِّراً ، أَكرهتَ ما كان؟ قال : نعم ؛ قال : وما ذاك؟ قال : كَنَّيْتَني بحضرةِ خَصمي ؛ هلا قلت : يا عليُّ ، قُم فاجلسْ مع خَصمِك؟ فأَخذ عُمر برأس عليٍّ رضي الله عنهما ، فقبَّله بين عينيه ؛ ثم قال : بأَبي أَنتم ، بكم هدانا الله ، وبكم أَخرجَنا من الظُّلمات إِلى النُّور .

• وعن[2] أَبي حَنيفة رضي الله عنه : القاضي كالغريق في البحر الأَخضر ، إِلى متى يَسبحُ وإِن كان سابحاً؟ .

• وأَراد[3] عُمر بن هُبيرة أَن يولِّي أَبا حنيفة القضاءَ ، فأَبى ، فحلَف لَيضربنَّه بالسِّياطِ ، ولَيَسْجُننَّه ، فضربَه حتَّى انتفخَ وَجْهُ أَبي حنيفة ورأسُه من الضَّرب ؛ فقال : الضَّربُ بالسِّياطِ في الدُّنيا أَهونُ عليَّ من الضَّربِ بمقامعِ الحديد في الآخرة .

• وعن[3] عبد الملِك بن عُمير ، عن رجلٍ من أَهل اليمن ، قال : أَقبل سَيْلٌ باليَمن في خلافة أَبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه ، فكشَفَ عن بابٍ مُغلقٍ فظنَنّاه كَنْزاً ، فكتبنا إِلى أَبي بكر رضي الله تعالى عنه ، فكتبَ إِلينا : لا تحرِّكُوه

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٤٩١) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٢١١).
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٥٠١).

حتَّى يقدم إِليكم كتابي ؛ ثم فُتح ، فإذا برجلٍ على سريرٍ عليه سَبعون حُلَّةً منسوجةً بالذَّهب ، وفي يده اليُمنى لوحٌ مكتوبٌ فيه هذان البيتان : [من الوافر]

إِذا خـــانَ الأميـــرُ وكـــاتبـــاهُ وقاضي الأَرْضِ داهَنَ في القَضاءِ
فَـــوَيْـــلٌ ثُـــمَّ وَيْـــلٌ ثُـــمَّ وَيْـــلٌ لِقاضي الأَرْضِ مِن قاضي السَّماءِ

وإِذا عند رأسِه سيفٌ أَشدُّ خُضْرَةً من البَقْلَة، مكتوبٌ عليه: هذا سيفُ هود بن عادِ بن إِرم .

• عن[١] ابن أَبي أَوفى ، عن النَّبي ﷺ أَنه قال : « إِنَّ الله مع القاضي ما لم يَجُرْ ، فإِذا جارَ بَرِىءَ اللهُ منه وَلَزِمَهُ الشَّيطان » .

• وقال محمّد بن حُرَيث[٢] : بَلَغني أَنَّ نَصرَ بن عليّ راودوهُ على القَضاء بالبصرة ، واجتمع النَّاسُ إِليه ، فكان لا يُجيبهم ، فلمّا أَلحُّوا عليه دخلَ بيته ونامَ على ظهره ، وأَلقى ملاءة على وجهه ، وقال : اللَّهُمَّ إِن كنتَ تعلمُ أَنِّي لهذا الأَمر كارهٌ فاقبضْني إِليك ، فَقُبِض .

• وعن[٣] أَنسٍ رضي الله عنه ، عن النَّبِيِّ ﷺ : « القُضاةُ جُسورٌ للنَّاس يَمُرُّون على ظُهورهم يومَ القيامة » .

• وقال[٤] حفصُ بن غِياث لرجلٍ كان يسأَله عن مسائل القُضاة : لَعَلَّكَ تُريد أَن تكونَ قاضياً؟ لأَن يُدْخِلَ الرَّجُلُ إِصبعَه في عَينيه فَيَقْلَعَهُما ويَرمي بهما ، خيرٌ له من أَن يكون قاضياً .

• وقيل[٥] : أَوَّلُ مَن أَظهرَ الجُورَ من القُضاة : بلالُ بن أَبي بُردة بن أَبي موسى

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٥٢٣) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٧١).
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٥٢٤) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٨٧).
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٥٢٥).
(٤) ربيع الأبرار (٤/ ٥٢٧).
(٥) التذكرة الحمدونية (٣/ ١٧٩) ومحاضرات الراغب (١/ ٢٠١).

الأَشعريّ ، كان أَميرَ البصرةِ وقاضياً فيها ، وكان يقول : إِنَّ الرَّجلين يتقدَّمان إِليَّ ، فأَجدُ أَحدَهُما أَخفَّ على قلبي من الآخر فأَقْضي له .

• وتقدَّم[1] المأمونُ بين يدي القاضي يحيى بن أَكثم مع رجلٍ ادَّعى عليه بثلاثين أَلف دينار ، فَطُرِحَ للمأمونِ مُصَلًّى يجلسُ عليه ، فقال له يَحيى : لا تأخذْ على خَصمك شرفَ المجلس ؛ ولم يكنْ للرَّجلِ بيِّنَةٌ ، فأَراد أَن يحلِّفَ المأمونَ ، فَدَفَع إِليه المأمونُ ثلاثين أَلف دينار ، وقال : واللهِ ما دَفعتُ لكَ هذا المال إِلاَّ خشيةَ أَن تقولَ العامَّة : إِنِّي تَناولتُك من جِهَةِ القُدرة ؛ ثم أَمر ليحيى بمالٍ وأَجزلَ عطاءَه .

• وقدَّمَ[2] خادمٌ من وُجوهِ خَدَم المعتضِد باللهِ إِلى يُوسف بن يعقوب في حُكمٍ ، فارتفعَ الخادمُ على خَصْمه في المجلس ، فَزجره الحاجبُ عن ذلك فلم يَقبلْ ، فقال يوسف : قَفاه ؛ أَتُؤْمَرُ أَن تقفَ بمساواةِ خَصمك في المجلس فَتمتنع؟ يا غُلام ، ائتني بعَمرو بن أَبي عمرو النَّخّاس ، فإِنَّه إِن قدمَ عليَّ السّاعة أَمرتُه ببيعِ هذا العبدِ وحَمْلِ ثمنه إِلى أَمير المؤمنين ؛ ثم إِنَّ الحاجبَ أَخذ بيده حتَّى أَوقفه بمساواة خَصمه ؛ فلمّا انقضى الحُكم رجعَ الخادمُ إِلى المعتضدِ وبكى بين يديه وأَخبره بالقِصَّة ، فقال له : لو باعَكَ لأَجزتُ بَيْعَه ، ولم أَرُدَّكَ إِلى مُلكي ، فليست مَنزلتك عندي تَزِنُ رُتْبَةَ المساواةِ بين الخصمين في الحُكم ، فإِنَّ ذلك عمود السُّلطان وقوام الأَديان . والله تعالى أَعلم .

• وقال الأبرش الكلبيّ يمدحُ بعضَ القُضاة[3] : [من الكامل]

رُفِضَتْ وَعُطِّلَتْ الحكومةُ قَبْلَهُ ... في آخرينَ وَمَلَّها رُوّاضُها
حتَّى إِذا ما قامَ أَلَّفَ بَيْنَها ... بالحقِّ حتَّى جُمِّعَتْ أَوفاضُها

---

(١) التذكرة الحمدونية (٣/ ١٧٩) ومحاضرات الراغب (١/ ١٩٦) .
(٢) التذكرة الحمدونية (٣/ ١٨١) ونشوار المحاضرة (١/ ٢٤٥) .
(٣) البيتان لحماس بن الأَبرش الكلبي في ربيع الأبرار (٤/ ٥٢٣) .

• وفي ضِدِّ ذلك قولُ بعضِهم[1] : [من الكامل]

أَبكــي وأَنــدُبُ مِلَّــةَ الإِســلامِ إِذْ صِـرْتَ تَقْعُـدُ مَقْعَـدَ الحُكّـامِ
إِنَّ الحــوادثَ مــا عَلِمْــتُ كَثِيـرةٌ وأَراكَ بعــضَ حــوادثِ الأَيّــامِ

• وتقدَّمَت[2] امرأَةٌ إِلى قاضٍ ، فقال لها : جامعكِ شُهودُك؟ فَسكتتْ ؛ فقال كاتبُهُ : إِنَّ القاضي يقولُ لك : جاءَ شُهودك مَعَك؟ قالت : نَعم ، هلاّ قلتَ مثل ما قال كاتبُك؟ كَبُرَ سِنُّك ، وقَلَّ عقلُك ، وعَظُمَتْ لِحْيَتك ، حتَّى غَطَّت على لُبِّك ، ما رأَيت مَيِّتاً يقضي بين الأَحياء غيرك! .

• وقيل[3] : المضروبُ بهم المَثَلُ في الجَهْلِ وتَحريف الأَحكام ، قاضي مِنى وقاضي كَسْكَر وقاضي إِيْذَج ، وهو الَّذي قال فيه أَبو إِسحاق الصَّابي[4] : [من الرجز]

يــا رُبَّ عِلْــجٍ أَعْلَــجِ مِثْــلَ البَعِيــرِ الأَهْــوَجِ
رَأَيْتُــــهُ مُطَّلِعــــاً مِـن خَلْـفِ بـابٍ مُـرْتَـجِ
وَخَلْفَــهُ عُــذَيْبَــةٌ تَــذْهَــبُ طَــوْراً وَتجــي
فَقُلْــتُ : مــن هــذا تُــرى؟ فَقيــل : قــاضــي إِيــذَجِ

• وقاضي شَلَنْبَة ، وهو الَّذي قال فيه أَبو الحسن الجَوْهَري[5] : [من المجتث]

رَأَيْــتُ رَأْســاً كَــدَبَّــهْ ولِحْيَــةً كــالمِــذَبَّــهْ
فَقُلْـتُ : مَـن أَنْـتَ قُـلْ لـي؟ فَقـالَ : قــاضـي شَلَنْبَـهْ[6]

---

(١) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٤/ ٥٠٦).
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٥٠٦).
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٤٩٩) وثمار القلوب (١/ ٣٧٩_٣٨٠).
(٤) الأبيات له في مصادر الخبر ويتيمة الدهر (٢/ ٢٨٦).
(٥) البيتان له في ثمار القلوب (١/ ٣٨٠) وبلا نسبة في معجم البلدان (٣/ ٣٦٠).
(٦) وانظر ما قيل عن قاضي منى وقاضي كسكر في ثمار القلوب (١/ ٣٧٩).

• وَتَقدَّمت[1] ٱمرأَةٌ جميلة إِلى الشَّعبيّ ، فادَّعَت عندَه ، **فَقَضى لها ؛ فقال** هُذَيْلٌ الأَشْجعيُّ : [من مجزوء الرمل]

فُتِــنَ الشَّعبــيُّ لَمّــا ... رَفَــعَ الطَّــرْفَ إِلَيْهَــا
فَتَنَتْـــــهُ بِبَنــــانٍ ... كَيْــفَ لــوْرا مِعْصَمَيْهَــا
وَمَشَــتْ مَشْيــاً رُوَيْــداً ... ثُــمَّ هَــزَّتْ مِنْكَبَيْهــا
فَقَضــى جُــوراً علــى الخَصْـ ... ـمِ وَلَــمْ يَقْــضِ عَلَيْهــا

فتناشَدَها النّاسُ وتَداوَلُوها ، حتّى بَلَغَتِ الشَّعبيَّ ، فَضَرَبَ الأَشْجعيَّ ثلاثينَ سَوْطاً .

• **وحَكى**[2] ابنُ أَبي لَيْلىٰ قال : انصرف الشَّعبيُّ يوماً من مَجلس القضاءِ ونحنُ معه ، فمرَرْنا بخادمةٍ تغسِلُ الثِّياب وهي تقول : فُتِنَ الشَّعبيُّ لمّا .

وأَعادته ولم تعرف بقيَّة البيت ، فَلَقَّنها الشَّعبيُّ وقال : رَفَعَ الطَّرْفَ إِليها .

ثم قال : أَبعدَه الله ، أَمَّا أَنا فما قضيتُ إِلاَّ بالحقِّ .

• وأَنشدَ[3] بعضُهم في أَمين الحُكم[4] : [من الكامل]

وَتَمــاوتَــنَّ إِذا مَشَيْــتَ تَخَشُّعــاً ... حَتَّــى تُصيــبَ وَديعــةً لِيَتيــمِ

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٥١٢) وتاريخ دمشق (٣١/ ٢٢١ـ٢٢٤) ومختصره (١١/ ٢٦٠) والعقد الفريد (١/ ٩١).

(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٥١٣).

(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٥٣٠).

(٤) البيت لمساور الوراق في ربيع الأبرار وبيان الجاحظ (٣/ ١٧٥) والحيوان (٣/ ٤٦٧) والعقد الفريد (٦/ ٣٦٦) وانظر ديوان محمود الوراق (٢٨٠).

الفصل الثَّاني

في الرِّشوة والهديَّة على الحُكم وما جاء في الدُّيون

أَمَّا الرِّشْوَةُ :

• فقد رُوي عن النَّبي ﷺ أَنَّه قال : « لَعَنَ اللهُ الرّاشي والمرتشي » .

• وقال[1] عُمر بن الخطَّاب رضي الله عنه : لا تُوَلُّوا اليهودَ ولا النَّصارى ، فإِنَّهم يقبلون الرِّشا ، ولا يحلُّ في دينِ اللهِ الرِّشا .

• قال الشَّهيديّ[1] : وأَصحابُنا اليومَ أقبلُ للرِّشا منهم .

• وفي[2] « نوابغ الحكم » : إِنَّ البراطيلَ تنصرُ الأَباطيل .

• وعن[2] ابن مسعود رضي الله عنه قال : من شفع شفاعة ، ليردَّ بها حقّاً أَو يدفع بها ظلماً ، فأُهدي له ، فَقَبل ، فذلك السُّحْت ؛ فقيل له : ما كُنّا نرى السُّحْتَ إلّا الأَخذ على الحُكم ؛ قال : الأَخذُ على الحُكم كُفر .

• وأَنشد المُبَرِّدُ رحمه الله تعالى[3] : [من الطويل]

وكنتُ إِذا خاصَمْتُ خَصْماً كَبَبْتُهُ ... على الوجْهِ حتَّى خاصَمَتْني الدَّراهِمُ
فلمَّا تنازَعْنا الحُكومَةَ غُلِّبَتْ ... عَليَّ وقالت : قُمْ فإِنَّكَ ظالِمُ

وأَمّا الدَّين وما جاء فيه ، نعوذ بالله من غَلَبَة الدَّين وقَهر الرِّجال

• فقد رُوي عن أَبي أُمامة رضي الله عنه ، عن النَّبي ﷺ أَنَّه قال : « مَن تداين بدَين وفي نفسه وَفاؤه ثم مات ، تجاوز الله عنه وأَرضى غَريمه بما شاء ، ومَن

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٣٦١).
(٢) ربيع الأبرار (٥/ ٣٦٠).
(٣) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٥/ ٣٦٦).

تداين بدَين وليس في نفسه وَفاؤه ثم مات ، اقتصَّ الله لغريمه منه يوم القيامة » . رواه الحاكم .

• ورُوي[1] عن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أُتيَ له بجنازة لم يَسأل عن شيءٍ من عمل الرَّجلِ ، ويسأَلُ عن دَيْنِه ، فإِن قيل : عليه دَيْنٌ ؛ كفَّ عن الصَّلاة عليه ، وإِن قيل : ليس عليه دَيْنٌ ؛ صَلَّى عليه ؛ فأُتي بجنازة ، فلمّا قام لِيُكَبِّر قال ﷺ : «هل على صاحبكم من دَيْنٍ؟» فقالوا : ديناران يا رسول الله ؛ فعدَلَ النَّبي ﷺ عنه وقال : «صَلُّوا على صاحبكم» فقال عليٌّ كرَّم الله وجهه : هما عليَّ يا رسول الله ، وهو بريءٌ منهما ؛ فتقدَّم رسول الله ﷺ فصلَّى عليه ، ثم قال لعليٍّ رضي الله عنه : «جَزاك الله عنه خيراً ، فكَّ الله رهانَك كما فَككت رهانَ أَخيك ، إِنَّه ليس من ميِّتٍ يموتُ وعليه دَيْنٌ إلاّ وهو مُرْتهَنٌ بدَينه ، ومَن فكَّ رِهان مَيِّتٍ فكَّ الله رِهانه يوم القيامة» .

• وقال بعضُ الحُكماء[2] : الدَّيْنُ هَمٌّ باللَّيل وذُلٌّ بالنَّهار ، وهو غُلٌّ جعلَه الله في أَرضه ، فإِذا أَراد أَن يُذِلَّ عبداً جعله طوقاً في عنقه .

• وجاء[1] سعد بن أَبي وقّاص رضي الله تعالى عنه يتقاضى دَيناً له على رَجل ، فقالوا : خرج إِلى الغزو ، فقال : أَشهدُ أَنَّ رسول الله ﷺ قال : « لو أَنَّ رجلاً قُتل في سبيل الله ، ثم أُحيي ، ثم قُتل ، لم يدخل الجنَّة حتَّى يُقضى دَيْنُهُ » .

• وعن الزُّهريّ قال[3] : لم يكنْ رسول الله ﷺ يصلِّي على أَحَدٍ عليه دَيْنٌ ، ثم قال بعدُ : « أَنا أَوْلى بالمؤمنين من أنفسهم ، مَن مات وعليه دَيْنٌ فَعَليَّ قضاؤُه » ثم صلَّى عليهم .

• وعن جابر[3] : لا هَمَّ إلاَّ هَمَّ الدَّيْن ، ولا وَجَع إِلاَّ وَجَعَ العَين .

• وعَن[3] أَبي هُريرة رضي الله عنه ، عن النَّبي ﷺ قال : « مَن تزوَّج امرأَةً بِصَداقٍ

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٥١٥).
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٥١٣) ، وهو لسفيان الثوري في العقد الفريد (٢/ ٣٦٧).
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٥١٦).

ينوي أن لا يُؤَدِّيه إليها ، فهو زانٍ ، ومَن استدان دَيْناً ينوي أن لا يقضيه فهو سارقٌ » .

• وقال حبيب بن ثابت[1] : ما احتجتُ إلى شيءٍ أستقرضه إلا استقرضْتُهُ من نفسي ؛ أراد أنَّه يَصْبِرُ إلى أن تمكن الميسرة .

• ونظيره قول القائل[2] : [من الكامل]

وإذا غَلا شَيْءٌ عَلَيَّ تَرَكْتُهُ ... فيكونُ أرْخَصَ ما يكونُ إذا غَلا

• وقال بعضهم أيضاً[3] : [من الوافر]

لقد كانَ القَريضُ سَميرَ قَلْبي ... فألْهَتْني القُروضُ عن القَريضِ

• وقال غَيلان بن مُرَّة التَّميميّ[4] : [من الطويل]

وإنِّي لأَقْضي الدَّيْنَ بالدَّيْنِ بَعْدَما ... يَرى طالِبي بالدَّينِ أَنْ لَسْتُ قاضِيا

فأجابه ثَعْلَبَةُ بنُ عُمَيْر[5] : [من الطويل]

إذا ما قَضَيْتَ الدَّيْنَ بالدَّيْنِ لمْ يَكُنْ ... قَضاءٌ وَلَكِنْ ذاكَ غُرْمٌ على غُرْمِ

• واستقرضَ[6] من الأصمعيِّ خليلٌ له فقال : حُبّاً وكَرامة ، ولكنْ سكِّنْ قلبي برهنٍ يساوي ضِعف ما تطلبُه ؛ فقال : يا أبا سعيد ، أما تثقُ بي؟ قال : بلى ، وإنَّ خليلَ الله كان واثقاً بربِّه ، وقد قال له : ﴿ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ [البقرة : ٢/ ٢٦٠] .

• اللَّهُمَّ أَوْفِ عَنّا دَيْنَ الدُّنيا بالميسرة ، ودَين الآخرة بالمغفرة ، برحمتك يا أرحم الرَّاحمين .

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٥٢١).
(٢) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٤/ ٥٢١) وهو لمحمود الوراق في ديوانه (١٦٥) والأمثال والحكم (٣٧) .
(٣) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٤/ ٥١٣).
(٤) له في ربيع الأبرار (٤/ ٥١٧).
(٥) له في ربيع الأبرار (٤/ ٥١٧) وبلا نسبة في العقد الفريد (٢/ ٣٦٧).
(٦) ربيع الأبرار (٤/ ٥١٣).

الفصل الثّالث

في ذكر القُصّاص والمُتَصَوِّفَة ،
وما جاء في الرِّياء ونحو ذلك

أَمّا ما جاء في ذِكر القُصّاص والمتصوِّفة

● فقد[١] رُوي عن خَبّاب بن الأَرَتِّ قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ بني إسرائيل لمّا قصُّوا هلكوا » .

● ورُوي[٢] أَن كعباً كان يقصُّ ، فلمّا سمعَ الحديثَ تركَ القَصص .

● وقال ابنُ عُمر رضي الله عنهما[٢] : لم يَقُصَّ أَحدٌ على عهدِ رسول الله ﷺ ولا عهدِ أَبي بكر وعُمر وعُثمان وعليٍّ رضي الله عنهم ، وإنَّما كان القَصص حين كانت الفِتنة .

● وقال ابنُ المبارك[٣] : سأَلتُ الثَّوريَّ : مَن النّاسُ؟ قال : العُلماء ؛ قلتُ : فَمن الأَشرافُ؟ قال : المُتَّقُون ؛ قلتُ : فمَن الملوك؟ قال : الزُّهّادُ ؛ قلتُ : فمَن الغوغاء؟ قال : القُصّاص ، الَّذين يَستأصلون أَموالَ النّاس بالكلام ؛ قلتُ : فَمَن السُّفهاء؟ قال : الظَّلَمَة .

● قيل[٤] : وهبَ رجلٌ لقاصٍّ خاتماً بلا فصٍّ ، فقال : وهبَ الله لكَ في الجَنَّة غرفةً بلا سقفٍ .

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٤٨٣).
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٤٨٤).
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٤٨٥).
(٤) ربيع الأبرار (٤/ ٤٨٦).

• وقال[1] قيس بن جبير النَّهشليّ : الصَّعْقَةُ الَّتي عند القُصّاص من الشَّيطان .

• وقي[1] لعائشة رضي الله عنها : إنَّ أَقواماً إذا سمعوا القرآن صُعقوا ؛ فقالت : القُرآن أكرمُ وأَعظمُ من أَن تذهبَ منه عُقولُ الرِّجال .

• وسُئل[1] ابن سيرين عن أَقوام يُصْعَقون عند سَماع القرآن ، فقال : ميعادُ ما بينَنا وبينَهم أَن يجلسوا على حائطٍ ، فيُقرأ عليهم القُرآن من أَوّلِه إلى آخره ؛ فإن صُعقوا ، فهو كما قالوا .

• وكان[2] بِمَرْوَ قاصٌّ يُبكي بمواعظه ، فإذا طَالَ مَجلسه بالبكاءَ أَخرجَ من كُمِّهِ طُنبوراً صغيراً فَيُحَرِّكُه ويقولُ : مع هذا الغَمِّ الطَّويلِ يحتاجُ إلى فَرَحِ ساعةٍ .

• وقال بعضُهم[3] : قلتُ لصوفيّ : بِعْني جُبَّتَك ؛ فقال : إذا باعَ الصَّيَّاد شَبكَته فبأَيِّ شيءٍ يَصيدُ؟ .

• وسُئل[4] بعضُ العُلماء عن المُتَصَوِّفة ، فقال : أَكَلَةٌ رَقَصَةٌ .

• ووعظ[2] عيسى عليه السَّلام بني إسرائيل ، فأَقبلوا يمزِّقون الثِّياب ، فقال : ما ذَنْبُ الثِّياب؟ أَقْبِلوا على القُلوب فعاتِبوها .

وأَمّا ما جاء في الرِّياء

• فقد قال الله تعالى : ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء : ٤/ ١٤٢] .

• وعن[5] معاذ بن جَبَل رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ : «يا معاذ، احذرْ أَن يُرى عليك آثارُ المحسنين ، وأَنت تخلو من ذلك ، فتُحشر مع المرائين » .

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٤٨٧).
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٤٨٩).
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٤٨٨).
(٤) ربيع الأبرار (٤/ ٤٨٨) وثمار القلوب (١/ ٢٩٦).
(٥) ربيع الأبرار (٤/ ٥٤٢).

• وقيل[1] : لو أَنَّ رجلاً عَمِلَ عَملاً من البِرِّ فكَتَمه ثم أَحبَّ أَن يَعلم النّاس أَنَّه كَتَمه ، فهو من أَقبحِ الرِّياء .

• وقيل[2] : كُلُّ وَرَعٍ يحبُّ صاحبُه أَن يعلمَه غيرُ الله ، فليسَ من الله في شيءٍ .

• وعن[3] شدَّاد بن أَوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ أَخْوَفَ ما أَخافُ عليكم الشِّرْكَ الأَصغر » قالوا : ما الشِّرْكُ الأَصغرُ يا رسول الله؟ قال : « الرِّياءُ » .

• وقيل[4] : بينما عابدٌ يمشي ومعه غَمامة على رأسه تُظِلُّه ، فجاءَ رجلٌ يريدُ أَن يستظلَّ معه ، فمنَعه ، وقال : إِن أَقمتَ معي لم يعلم النّاسُ أَنَّ الغَمامةَ تُظِلُّني ؛ فقال له الرَّجل : قد علمَ النَّاسُ أَنَّني لستُ ممَّن تُظِلُّه الغَمامة ؛ فَحَوَّلها الله تعالى إِلى ذلك الرَّجل .

• وقال[5] عبدُ الأَعلى السُّلَميّ يوماً : النّاسُ يزعمون أَنِّي مُراءٍ ، وكنتُ أَمسِ واللهِ صائماً ولا أَخبرتُ بذلك أَحداً .

اللَّهُمَّ أَصلح فسادَ قلوبنا واسترْ فَضائحنا برحمتك يا أَرحم الرَّاحمين ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم .

* * *

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٥٤٣).
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٥٤٤).
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٥٤٨).
(٤) ربيع الأبرار (٤/ ٥٥١).
(٥) ربيع الأبرار (٤/ ٥٥٢).

الباب التاسع عشر

في العَدل والإِحسان والإِنصاف

وغير ذلك

• أعلمْ أَرشدَكَ الله ، أَنَّ الله تعالى أَمر بالعدل ، ثم عَلِمَ سُبحانه وتَعالى أَنَّه ليسَ كُلُّ النُّفوس تَصلحُ على العَدل ، بل تَطْلُبُ الإِحسان وهو فوقَ العدلِ ، فقال تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [النحل : ١٦/ ٩٠] الآية . فلو وَسِعَ الخلائقَ العَدْلُ ما قَرَنَ اللهُ به الإِحسانَ .

• والعَدْلُ مِيزانُ الله تعالى في الأَرض ، الَّذي يُؤْخَذُ به للضَّعيف من القويِّ والمُحِقِّ من المُبْطِلِ .

• واعلمْ أَنَّ عَدْلَ الملِك يوجبُ مَحَبَّتَهُ ، وَجُورَهُ يوجبُ الافتراقَ عنه ، وأَفضلُ الأَزمنةِ ثَواباً أَيّامُ العدلِ .

• ورَوينا من طريقِ أَبي نُعيم ، عن أَبي هُريرة رضي الله عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال : « لَعَمَلُ الإِمامِ العادلِ في رعيَّته يوماً واحداً أَفضلُ من عَمَلِ العابِدِ في أَهله مِئة عامٍ أَو خمسين عاماً » .

• ورُوِي عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال : « عَدْلُ ساعَةٍ خيرٌ من عِبادة سَبعين سنةً » .

• ورَوينا في « سنن أَبي داود »[1] من حديث أَبي هُريرة رضي الله عنه ، عن

---

(١) لم يروه أبو داود ، وهو في سنن الترمذي (٤/ ٥٨٠ رقم ٢٥٢٦ و٥/ ٥٣٩ رقم٣٥٩٨) وابن ماجه (١/ ٥٥٧ رقم ١٧٥٢).

النَّبي ﷺ أنَّه قال : « ثلاثةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُم ؛ الإمامُ العادِلُ ، والصَّائِمُ حتّى يُفطرَ ، ودَعوةُ المظلومِ تُحملُ على الغَمام وتُفتحُ لها أَبوابُ السَّماءِ » .

• وعن[1] عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، أَنَّه قال لكَعْبِ الأَحبار : أَخبِرْني عن جَنَّةِ عَدْنٍ ؛ قال : يا أَمير المؤمنين ، لا يسكُنُها إِلاَّ نَبيٌّ أَو صِدِّيقٌ أَو شهيدٌ أَو إِمامٌ عادِلٌ ؛ فقال عمر : والله ما أَنا نَبيٌّ ، وقد صَدَّقتُ رسول الله ﷺ ، وأَمّا الإِمام العادلُ ، فإِنّي أَرجو أَن لا أَجورَ ؛ وأَمّا الشَّهادة فأَنّى لي بها؟ قال الحسنُ : فجعلَه الله صِدِّيقاً شَهيداً حَكَماً عَدْلاً .

• وسأَل[2] الإِسكندرُ حُكماءَ أَهل بابِل : أَيُّما أَبلغُ عندكم؟ الشَّجاعةُ أَو العَدْلُ؟ قالوا : إِذا استعملْنا العدلَ استغنَينا به عن الشَّجاعة .

• ويُقال[3] : عدْلُ السُّلطانِ أَنْفعُ من خِصْبِ الزَّمان .

• وقيل[4] : إِذا رغبَ السُّلطان عن العدلِ رغبت الرَّعيَّةُ عن طاعتِه .

• وكتب[5] بعضُ عمَّال عمرَ بن عبد العزيز رضي الله عنه يشكو إِليه من خَراب مدينته ويَسأَلُه مالاً يَرُمُّها به ، فكتبَ إِليه عُمر : قد فَهمتُ كتابَك ، فإِذا قرأتَ كتابي ، فَحَصِّنْ مَدينَتك بالعَدْلِ ، ونَقِّ طُرُقَها من الظُّلم ، فإِنَّه مَرَمَّتُها والسَّلام .

• ويقال : إِنَّ الحاصلَ من خَراج سَوادِ العراق في زمَن أَمير المؤمنين عُمر بن الخطَّاب رضي الله عنه كان مِئة أَلْفِ أَلْفٍ وسَبعةٍ وثلاثين أَلفَ أَلفٍ ، فلم يزلْ يتناقصُ حتَّى صارَ في زمنِ الحجَّاج ثمانية عشرَ أَلفَ أَلفٍ ؛ فلمَّا وَليَ عُمر

---

(١) تاريخ دمشق (جزء عمر بن الخطاب ٣٤٤) وحلية الأولياء (٥/ ٣٨٧).
(٢) التذكرة الحمدونية (٣/ ١٧٥).
(٣) التذكرة الحمدونية (٣/ ١٧٥) ونثر الدر (٤/ ٢٣٦) وربيع الأبرار (٤/ ٦٠٥).
(٤) التذكرة الحمدونية (٣/ ١٧٣) وفي ربيع الأبرار (٤/ ٦٠٠) لأردشير.
(٥) تاريخ دمشق (٥٤/ ١٦٣) وحلية الأولياء (٥/ ٣٠٥).

ابن عبد العزيز رضي الله عنه ارتفعَ في السَّنة الأُولى إلى ثلاثين أَلف أَلفٍ ، وفي الثَّانية إلى ستّين أَلف أَلفٍ ، وقيل أَكثر ؛ وقال : إن عشتُ لأَبلغنَّه إلى ما كان في أيَّام أَمير المؤمنين عُمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، فماتَ في تلك السَّنة .

● ومن كلام كِسرى[1] : لا مُلْكَ إلاّ بالجُنْد ، ولا جُنْدَ إلاّ بالمال ، ولا مالَ إلاّ بالبلاد ، ولا بلاد إلا بالرَّعايا ، ولا رعايا إلاّ بالعدل .

● ولمّا[2] مات سَلَمَة بن سَعيد كان عليه دُيون للنَّاس ولأَمير المؤمنين المنصور ، فكتبَ المنصورُ لعامله : اسْتَوْفِ لأَمير المؤمنين حقَّه ، وفرِّقْ ما بقيَ بين الغُرماء ؛ فلم يلتفتْ إلى كتابه ، وضربَ للمنصور بسهمٍ من المال ، كما ضَرب لأَحد الغُرماء ؛ ثم كتبَ للمنصور : إنِّي رأَيتُ أَمير المؤمنينِ كأَحد الغرماء ؛ فكتبَ إليه المنصور : مُلِئَتِ الأَرْضُ بكَ عَدْلاً .

● وكان أَحمدُ بن طُولون والي مِصر مُتحلّياً بالعدل مع تَجبُّره وسَفْكِهِ للدِّماء ، وكان يجلسُ للمظالم ويُنصف المظلومَ من الظَّالم .

● حُكي[3] أَنَّ وَلَدَه العبّاس استدعى بمغنِّيَةٍ وهو يَصطبحُ يوماً ، فلقيها بعضُ صالحي مصر ومعها غُلامٌ يحملُ عُودها ، فكَسره ، فدخلَ العبَّاسُ إليه وأَخبره بذلك ، فأَمر بإحضار ذلك الرَّجل الصّالح ، فلمّا أُحضرَ إليه قال : أَنت الَّذي كسرتَ العُود؟ قال : نعم . قال : أَفعَلمت لمن هو؟ قال : نعم ، هو لابنك العبّاس ؛ قال : أَفما أَكرمتَه لي؟ قال : أُكرمه لكَ بمعصية الله عزَّ وجلَّ ، والله تعالى يقول : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [التوبة : ٩/ ٧١] ؟ ورسول الله ﷺ يقول : لا طاعة لمَخْلوقٍ في مَعصيةِ الخالق؟ فأَطرق أَحمد بن طُولون عند ذلك ، ثم قال : كُلُّ مُنْكَرٍ رَأَيْتَهُ فَغَيِّرْهُ وأَنا من وَرائك .

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٦٠٠) لأردشير .

(٢) التذكرة الحمدونية (٣/ ١٧٨) .

(٣) التذكرة الحمدونية (٣/ ٢٠١) .

• ووقف[1] يهوديٌّ لعبدِ الملك بن مروان فقال : يا أَمير المؤمنين ، إِنَّ بعضَ خاصَّتِكَ ظَلَمني ، فأَنصفني منه ، وأَذقني حَلاوةَ العَدْلِ ؛ فأَعْرَضَ عنه ، فوقفَ له ثانياً ، فلم يلتفتْ إِليه ، فوقفَ له مَرَّةً ثالثةً ، وقال : يا أَمير المؤمنين ، إِنَّا نجدُ في التَّوراة المنزلةِ على كَليمِ الله مُوسى صلواتُ الله وسلامه عليه : إِنَّ الإِمام لا يكونُ شَريكاً في ظُلْم أَحدٍ حتَّى يُرْفَعَ إِليه ، فإِذا رُفِعَ إِليه ذلك ولم يُزِلْهُ ، فقد شارَكَهُ في الظُّلْمِ والجَوْرِ ، فلمَّا سمعَ عبدُ الملك كلامَه فزِعَ ، وبعثَ في الحال إِلى مَن ظَلَمه ، فَعَزله وأَخذ لليهوديِّ حقَّه منه .

• ورُوي[2] أَنَّ رجلاً من العُقلاء غَصَبَهُ بعضُ الوُلاة ضَيْعَةً له ، فأَتى إِلى المنصور ، فقال له : أَصلحك الله يا أَمير المؤمنين[3] ، أَأَذكرُ لكَ حاجَتي أَم أَضربُ لكَ قبلها مَثَلاً؟ فقال : بل ٱضربِ المَثَلَ ؛ فقال : إِنّ الطِّفْلَ الصَّغيرَ إِذا نابَهُ أَمرٌ يكرَهُهُ فإِنَّما يفزَعُ إِلى أُمِّهِ إِذ لا يعرفُ غَيرها ، وظَنّاً منه أَنْ لا ناصرَ له غيرَها ، فإِذا ترعرعَ واشتدَّ كان فراره إِلى أَبيه ، فإِذا بلغَ وصار رجلاً وحَدَثَ به أَمرٌ ، شَكاه إِلى الوالي لعلمِهِ أَنّه أَقوى من أَبيه ، فإِذا زاد عقلُه شكاهُ إِلى السُّلطان لعلمِهِ أَنّه أَقوى ممَّن سِواه ، فإِن لم يُنصفْه السُّلطانُ شكاهُ إِلى الله تعالى لعلمِه أَنَّه أَقوى من السُّلطان ؛ وقد نَزَلَتْ بي نازلةٌ ، وليس أَحدٌ فوقَك أَقوى منكَ إِلاَّ الله تعالى ، فإِنْ أَنصَفْتَني وإِلا رفعتُ أَمري إِلى الله تعالى في الموسِم ، فإِنِّي مُتوجِّهٌ إِلى بيته وَحَرَمِهِ . فقال المنصورُ : بل نُنْصِفْك ؛ وأَمر أَن يُكتب إِلى واليه بردِّ ضَيْعَتِهِ إِليه .

• وكان[4] الإِسكندرُ يقولُ : يا عبادَ الله ، إِنَّما إِلهُكُم اللهُ الَّذي في السماء

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (١٥/ ٢٢٨) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٩٥).

(٢) الفوائد والأخبار (٢١ـ٢٢) وأمالي ابن دريد (١٢٧) وتاريخ دمشق (٣٨/ ٢٣١) ومختصره (١٣/ ٣٢٥) والمنتظم (٧/ ٣١١).

(٣) لم يكن المنصور يومها أميراً للمؤمنين بل كان والياً على أرمينية لأخيه السَّفَّاح.

(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٥٩٤ـ٥٩٥).

الَّذي نَصَرَ نُوحاً بعد حِين ، الَّذي يَسقيكم الغيثَ عند الحاجة ، وإليه مَفْزعكُمْ عند الكَرْبِ ، واللهِ لا يَبْلغُني أَنَّ الله تعالى أَحَبَّ شيئاً إلاَّ أَحْبَبْتُهُ واستعملتُه إلى يومِ أَجَلي ، ولا أَبْغَضَ شَيئاً إلاَّ أَبغضْتُهُ وَهَجرتُهُ إلى يوم أَجَلي ، وقد أُنْبِئْتُ أَنَّ الله تعالى يحبُّ العَدْلَ في عِباده ، ويُبغضُ الجَوْرَ من بَعضهم على بعض ، فويلٌ للظَّالم من سَيفي وسَوْطي ؛ ومَن ظَهَرَ منه العَدْلُ من عُمّالي ، فَلْيَتَّكىء في مَجْلسي كيفَ شاء ، وَلْيَتَمَنَّ عليَّ ما شاءَ ، فلن تُخْطِئَهُ أُمنِيَّتُهُ ، واللهُ تعالى المجازي كُلاًّ بِعمله .

● ويُقال[1] : إذا لم يعمرُ الملِكُ مُلكه بالإنصافِ خربَ مُلكه بالعِصيان .

● وقيل[2] : ماتَ بعضُ الأَكاسرة ، فوجدوا له سَفَطاً ، فَفُتح ، فَوُجِدَ فيه حَبَّةُ رُمّانٍ كأَكبر ما يكونُ من النَّوى ، معها رُقْعَةٌ مكتوبٌ فيها : هذه من حَبِّ رُمّانٍ عُمِلَ في خَراجه بالعَدْلِ .

● وقيل[3] : تَظَلَّمَ أَهلُ الكوفةِ من واليهم ، فشكَوه إلى المأمون ، فقال : ما عَلمتُ في عُمَّالي أَعدل ، ولا أَقْوَمَ بأَمر الرَّعيَّة ، وأَعْوَدَ بالرِّفْقِ عليهم منه ؛ فقال رجلٌ منهم : يا أَمير المؤمنين ، ما أَحَدٌ أَوْلى بالعَدْلِ والإنصافِ منكَ ، فإن كان بهذه الصِّفَة فعلى أَمير المؤمنين أن يُوَلِّيه بَلداً بَلداً حتَّى يَلحقَ كُلَّ بلدٍ من عَدله مثلُ الَّذي لَحِقَنا ويأَخذَ بقِسطه منه كما أَخَذْنا ، وإذا فعل ذلك لم يُصبْنا منه أَكثرَ من ثلاث سنين ؛ فضَحك المأمونُ من قَوله وعَزَلَهُ عنهم .

● وقَدِمَ[4] المنصورُ البصرةَ قبل الخِلافة ، فنزلَ بواصِل بن عَطاء ، وقال : بَلَغَتني أَبياتٌ عن سُليمان بن يزيد العَدَويّ في العَدْل ، فقمْ بنا إليه ، فأَشرف

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٥٩٥).
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٥٩٧).
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٥٩٧) وأخبار الأذكياء (١٥٣) وتاريخ الخلفاء (٣٨٥).
(٤) التذكرة الحمدونية (٣/ ٢١٧) ، وربيع الأبرار (٣/ ٥٩٨).

عليهم من غُرفةٍ ، فقال لواصلٍ : مَن هذا الَّذي معك؟ قال : **عبدُ الله بن محمّد ابن عليّ بن عبد الله بن عبّاس** رضي الله عنهم ، فقال : رَحْبٌ على رَحْبٍ ، وَقُرْبٌ على قُرْبٍ ؛ فقال : إنَّه يُحبُّ أَن يسمعَ أَبياتك في العَدْل ؛ فقال : سَمْعاً وطاعةً ؛ وأَنشدَ يقولُ : [من البسيط]

حتَّى مَتى لا نَرى عَدْلاً نُسَرُّ بِهِ ... وَلا نَرى لِوُلاةِ الحَقِّ أَعْوانا

مُسْتَمْسِكيْنَ بِحَقٍّ قائمينَ بِهِ ... إذا تَلَوَّنَ أَهْلُ الجَوْرِ أَلْوانا

يا للرِّجالِ لِداءٍ لا دَواءَ لَهُ ... وقائدٍ ذي عَمىً يَقتادُ عُمْيانا

فقال المنصورُ : وَدِدْتُ لو أَنِّي رأَيتُ يومَ عَدْلٍ ثم مِتُّ .

• وقيل[1] : لمّا وَلي عُمر بن عبد العزيز أَخذَ في رَدِّ المظالِمِ ، فابتدأَ بأَهل بيته ، فاجتمعوا إِلى عَمَّةٍ له كان يُكرمها وسأَلوها أَن تُكلِّمَه ، فقال لها : إِنَّ رسول الله ﷺ سَلَكَ طريقاً ، فلمّا قُبض سَلَك أَصحابُه ذلك الطَّريق الَّذي سَلكه رسولُ الله ﷺ فلمّا قُضي الأَمر إِلى مُعاوية جَرَّهُ يَميناً وشِمالاً ، وايمُ الله لَئِن مُدَّ في عُمري لأَرُدَّنَّه إِلى ذلك الطَّريق الَّذي سَلكه رسول الله ﷺ وأَصحابه ؛ فقالت له : يا ابنَ أَخي ، إِنِّي أَخافُ عليك منهم يوماً عَصيباً ؛ فقال : كُلُّ يومٍ أَخافُهُ دونَ يوم القيامة ، فلا أَمَّنَنِيه الله .

• وقال وَهْب بنُ مُنَبِّه[2] : إذا همَّ الوالي بالجورِ أَو عَمِلَ به ، أَدْخَلَ اللهُ النَّقْصَ في أَهل مَملكته في الأَسواق والزُّروع والضُّروع وكُلِّ شيءٍ ، وإذا همَّ بالخيرِ والعَدْلِ اَو عَمِلَ به ، أَدخل الله البركةَ في أَهل مَملكته كذلك .

• قال الوليدُ بن هِشام[3] : إِنَّ الرَّعيَّةَ لَتصلحُ بصلاحِ الوالي وتفسدُ بفَساده .

• وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما[4] : إن مَلِكاً من الملوك خرجَ يَسيرُ

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٦٠٥) وتاريخ دمشق (٥٤/ ١٤٧).
(٢) سراج الملوك (١/ ١٨٨).
(٣) سراج الملوك (١/ ١٨٩).
(٤) سراج الملوك (١/ ١٨٩) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٢١٥).

في مَملكته مُتَنَكِّراً ، فنزلَ على رَجُلٍ له بقرةٌ تَحلبُ قدرَ ثلاثِ بقراتٍ ، فتعجَّبَ المِلكُ من ذلك وحدَّثتهُ نَفْسُهُ بأَخذِها ، فلمَّا كانَ من الغَدِ حَلبت له النِّصْفَ ممَّا حَلبت بالأَمس ، فقال له المِلكُ : ما بالُ حِلابِها نقصَ؟ أَرَعَتْ في غير مَرْعاها بالأَمسِ؟ فقال : لا ، ولكن أَظُنُّ أَنَّ مَلِكنا رآها أَو وَصَلَهُ خَبَرُها فَهَمَّ بأَخْذها ، فنقصَ لبنُها ، فإِنَّ المَلِكَ إِذا ظَلَمَ أَو هَمَّ بالظُّلم ذهبَت البَرَكَةُ ؛ فتابَ المِلكُ وعاهدَ رَبَّهُ في نفسِه أَن لا يَأْخُذَها ولا يحسدَ أَحداً من الرَّعيَّة ؛ فلمَّا كان من الغَدِ حَلَبَت عادَتها .

• ومن المشهور[1] بأَرض المغربِ : أَنَّ السُّلطانَ بلغَه أَنَّ امرأةً لها حديقةٌ فيها القَصَبُ الحلوُ ، وأَنَّ كُلَّ قَصَبَةٍ منها تعصرُ قَدَحاً ، فعزمَ المِلكُ على أَخْذها منها ، ثم أَتاها وسأَلها عن ذلك ، فقالت : نعم ؛ ثم إِنَّها عَصَرَتْ قَصَبَةً ، فلم يخرجْ منها نِصْفُ قَدَحٍ ، فقال لها : أَين الَّذي كان يُقال؟ فقالت : هو الَّذي بلغك ، إِلا أَن يكونَ السُّلطانُ قد عزمَ على أَخْذِها منِّي ، فارتفعت البَرَكَةُ منها ؛ فتابَ المِلكُ وأَخلص لله النِّيَّةَ ، وعاهدَ الله أَن لا يأخذَها منها أَبداً ، ثم أَمرها فعصَرت قَصبةً منها فجاءَت مِلْءَ قَدَحٍ .

• وحكى سيِّدي أَبو بكر الطَّرطوشيّ رحمه الله في كتابه « سِراج الملوك » قال[1] : حدَّثَني بعضُ الشُّيوخ ممَّن كانَ يَروي الأَخبارَ بمصر قال : كان بصَعيد مصرَ نخلةٌ تحملُ عشرةَ أَرادب ، ولم يكن في ذلك الزَّمان نخلةٌ تحملُ نِصفَ ذلك ، فَغَصَبها السُّلطان ، فلم تحمل شيئاً في ذلك العام ، ولا تمرةً واحدة .

وقال[2] لي شيخٌ من أَشياخ الصَّعيد : أَعرفُ هذه النَّخلة [في الغربيَّة] وقد شاهدتُها وهي تحملُ عشرةَ أَرادب وستِّين وَيْبَةً ، وكان صاحبُها يبيعها في سِنِيِّ الغلاءِ كُلَّ وَيْبَةٍ بدينارٍ .

---

(١) سراج الملوك (١/ ١٩٠).

(٢) قارن الطالع السعيد (٢٦).

• وحكى أَيضاً رحمه الله تعالى قال[1] : شهدتُ في الإِسكندريَّة والصَّيْدُ مُطْلَقٌ للرَّعيَّة ، والسَّمَكُ يطفو على الماءِ لكثرته ، وكانت الأَطفالُ تَصيدُه بالخِرَق من جانب البحرِ ، ثم حَجَزه الوالي ومنعَ النّاس من صَيده ، فذهب السَّمَكُ حتَّى لا يكادُ يُوجد إِلى يَومنا هذا .

وهكذا تتعدَّى سرائرُ الملوكِ وعَزائمهم ومَكنون ضَمائرهم إِلى الرَّعِيَّة إِنْ خيراً فخيرٌ وإِن شَرّاً فَشَرٌّ .

• وروى[2] أَصحابُ التَّواريخ في كُتبهم قالوا : كان النَّاسُ إِذا أَصبحوا في زمان الحجّاج يتساءلون إِذا تلاقَوا : مَن قُتل البارحة؟ ومَن صُلب؟ ومن جُلد؟ ومن قُطع؟ وما أَشبه ذلك .

وكان الوليدُ صاحبَ ضِياعٍ واتخاذِ مَصانع ، فكان النَّاسُ يتَساءلون في زمانِه عن البُنيان والمصانِع والضِّياع وشَقِّ الأَنهار وغَرس الأَشجار .

ولمّا وَليَ سُليمان بن عبد الملك وكان صاحبَ طعامٍ ونِكاحٍ ، كان النَّاسُ يتحدَّثون ويتساءلون في الأَطعمة الرَّفيعة ، ويَتغالَون في المناكحِ والسَّراري ، ويَعمرون مَجالسَهم بذِكر ذلك .

ولما وَلي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كانَ النَّاس يتَساءلون : كم تحفظُ من القُرآن؟ وكم وِرْدُك كُلَّ ليلةٍ؟ وكم يَحفظُ فُلان؟ وكم يختِمُ؟ وكَم يَصومُ من الشَّهر؟ وما أَشبه ذلك .

• فينبغي للإِمام أَن يكونَ على طريقةِ الصَّحابةِ والسَّلَفِ رضي الله عنهم ، ويقتدي بهم في الأَقوال والأَفعال ، فمَن خالفَ ذلك فهو لا مَحالة هالِكٌ ، وليسَ فوقَ السُّلطان العادل مَنزلةٌ إِلاَّ نَبيٌّ مُرْسَلٌ أَو مَلَكٌ مُقَرَّبٌ .

---

(١) سراج الملوك (١/ ١٩٠).
(٢) سراج الملوك (١/ ١٩١).

● وقد قيل : إنَّ مَثَلَهُ كَمَثَلِ الرِّياح الَّتي يُرسلها الله تعالى بُشْراً بين يَدَي رَحْمَته ، فيسوقُ بها السَّحاب ويجعلُها لِقاحاً للثَّمراتِ ورَوحاً للعباد .

● ولو تتبعتُ ما جاءَ في العَدْل والإنصاف وفضلِ الإمام العادل لألَّفْتُ في ذلك مَجموعاً جامعاً لهذا المعنى ، ولكن اقتصرتُ على ما ذكرته مخافَةَ أَن يملّه النَّاظرُ ويسأَمَهُ السَّامعُ ، وبالله التَّوفيق إلى أَقوم طريقٍ ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم .

* * *



الباب العشرون

في الظُّلم وشُؤمه وسوء عواقبه ، وذِكر الظَّلَمَة وأحوالهم وغير ذلك

• قال الله تعالى : ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود : ١١/ ١٨] .

• وقال تعالى : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم : ١٤/ ٤٢] . قيل[١] : هذا تَسْلِيَة للمظلوم وَوَعيد للظَّالم .

• وقال تعالى : ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف : ١٨/ ٢٩] .

• وقال تعالى : ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء : ٢٦/ ٢٢٧] .

• وقال[٢] رسول الله ﷺ : « مَن مَشى مع ظالمٍ ليعينَه ـ وهو يعلمُ أنَّه ظالمٌ ـ خرجَ من الإسلام » .

• وقال[٣] أيضاً ﷺ : « رَحِمَ اللهُ عَبْداً كانَ لأخيه قِبَلَهُ مَظْلَمَةٌ في عَرَضٍ أو مالٍ ، فأتاه فَتَحَلَّلَهُ منها ، قبلَ أن يأتيَ يومَ القيامةِ وليسَ معهُ دينارٌ ولا دِرْهَمٌ » .

• وقال[٣] أيضاً ﷺ : « من اقتطعَ حَقَّ امرىءٍ مُسْلِمٍ أَوْجَبَ اللهُ له النَّارَ وحَرَّمَ عليه الجَنَّة » . فقال له رجلٌ : يا رسولَ الله ، ولو كان شيئاً يَسيراً؟ قال : « ولو كان قَضيباً من أَراك » .

• وعن حذيفة رضي الله عنه قال[٣] : قال رسول الله ﷺ : « أَوْحى اللهُ تَعالى إِليّ : يا أَخا المُرْسَلين ، يا أَخا المُنْذِرين ، أَنْذِر قومَكَ فلا يَدخلوا بَيْتاً من بيوتي ولأَحدٍ من عبادي عند أَحدٍ منهم مَظْلَمَةٌ ، فإِنِّي أَلْعَنُهُ ما دامَ قائِماً يُصَلِّي

---

(١) القول لأبي مخلد في ربيع الأبرار (٣/ ٤٩٩).
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٥٠٠) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٧٤).
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٤٨٥).

بين يديَّ حتَّى يَرُدَّ تِلكَ الظُّلامَة إلى أهلها ، فأكون سَمْعَهُ الَّذي يسمعُ به وبَصَرَهُ الَّذي يُبصرُ به ، ويكون من أَوليائي وأَصْفيائي ، ويكونَ جاري مع النَّبيِّين والصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين في الجنَّة » .

• وعن[1] عليٍّ رضي الله عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ : « إيَّاك ودعوةَ المظلومِ ، فإنَّما يسأَلُ اللهَ تعالى حَقَّه » .

• وعنه[2] ﷺ أنَّه قال : « ما من عبد ظُلم فَشَخَص بِبَصَرِهِ إلى السَّماء ، إلا قال الله عزَّ وجلَّ : لَبَّيْكَ عَبدي ، حَقّاً لأَنْصُرَنَّك ولو بعدَ حين » .

• وعنه[3] أيضاً أنَّه قال : « أَلا إنَّ الظُّلمَ ثلاثةٌ ؛ فظُلمٌ لا يُغفرُ ، وظُلْمٌ لا يُتركُ ، وظُلْمٌ مَغفورٌ لا يُطلبُ ؛ فأمّا الظُّلم الذي لا يُغفر فالشِّرْك باللهِ ، والعياذُ بالله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء : ٤/ ٤٨] ؛ وأَمّا الظُّلم الَّذي لا يُترك فظلمُ العِباد بعضُهم بَعضاً ؛ وأَمّا الظُّلمُ المغفورُ الَّذي لا يُطلب فظُلم العبدِ نَفسه » .

• ومرَّ[4] رجلٌ برجلٍ قد صَلَبَه الحجَّاجُ فقال : يا ربّ ، إنَّ حِلْمَكَ على الظَّالمينَ قد أَضَرَّ بالمظلومين ؛ فنامَ تلكَ اللَّيلة فرأى في مَنامه أَنَّ القِيامة قد قامَت ، وكأنَّه قد دخلَ الجنَّة ، فرأى ذلك المصلوبَ في أَعلى عِلِّيِّين ، وإذا مُنادٍ يُنادي : حِلْمي على الظَّالمين أَحَلَّ المظلومين في أَعْلى عِلِّيِّين .

• وقيل[5] : مَن سَلب نِعمة غَيره سَلب نِعمتَهُ غَيْرُه .

---

(١) التذكرة الحمدونية (٣/ ١٧٣).
(٢) التذكرة الحمدونية (٣/ ١٧٤).
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٤٩٨) وسراج الملوك (٢/ ٦٠٥).
(٤) في ربيع الأبرار (٣/ ٤٨٧) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٨٨) والبصائر والذخائر (٤/ ٨٨) : مرّ عامر بن بهدلة برجلٍ.
(٥) ربيع الأبرار (٣/ ٤٨٨).

• وسمع[1] مُسلم بن يسار رجلاً يَدعو على مَن ظَلمه ، فقال له : **كِلِ الظَّالِمَ** إِلى ظُلمه ، فهو أَسرعُ فيه من دُعائك .

• ويُقال[2] : من طال عدوانه زال سُلطانه .

• وقال[3] عليُّ بن أَبي طالب رضي الله عنه : يومُ المظلومِ على الظَّالم أَشَدُّ من يوم الظَّالم على المظلوم .

• ورُئي[4] لوحٌ في أُفق السَّماء مكتوبٌ فيه : لا إِلَه إِلا الله ، محمَّدٌ رسولُ الله ؛ وتحته هذا البيت : [من الطويل]

فَلَمْ أَرَ مِثْلَ العَدْلِ لِلْمَرْءِ رافِعاً ... وَلَمْ أَرَ مِثْلَ الجَوْرِ لِلْمَرْءِ واضِعا

• وقال الشَّاعر[5] : [من البسيط]

كُنْتَ الصَّحيحَ وَكُنّا مِنْكَ في سَقَمٍ ... فإِنْ سَقُمْتَ فإِنّا السَّالِمونَ غَدا

دَعَتْ عَلَيْكَ أَكُفٌّ طالَما ظُلِمَتْ ... وَلَنْ تُرَدَّ يَدٌ مَظْلومَةٌ أَبَدا

• وكان[3] مُعاوية يقول : إِنِّي لأَسْتَحْيي أَن أَظلمَ مَن لا يجدُ عليَّ ناصراً إِلا الله .

• وقال[6] أَبو العيناء : كان لي خصومٌ ظَلَمَةٌ ، فشكوتُهم إِلى أَحمد بن أَبي دُواد ، وقُلتُ : قد تَضافروا عليّ ، وصاروا يداً واحدة ؛ فقال : ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح : ٤٨/ ١٠] فقلتُ له : إِنَّ لَهُم مَكراً ؛ فقال : ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ [فاطر : ٣٥/ ٤٣] قلتُ : هُم فئةٌ كثيرةٌ ؛ فقال : ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٤٩٠) .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٤٩٢) .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٤٩٤) .
(٤) الخبر والبيت بلا نسبة في ربيع الأبرار (٣/ ٤٩٣) .
(٥) البيتان بلا نسبة في ربيع الأبرار (٣/ ٤٩٣) .
(٦) ربيع الأبرار (٣/ ٤٩٥) وثمار القلوب (١/ ٨٩) وزهر الآداب (٢/ ٦٩٨) وأمالي المرتضى (١/ ٣٠٢) والعقد الفريد (٢/ ١٤٦ و٤/ ٥٠) والتذكرة الحمدونية (٢/ ١٥٠) .

﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة : ٢/ ٢٤٩] .

• وقال[١] يوسف بن أَسباط : من دعا لظالمٍ بالبقاء فقد أَحبَّ أَن يُعصى اللهُ في أَرضه .

• وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قال[٢] : قال أَبو القاسم ﷺ : « مَن أَشار إِلى أَخيه بحَديدةٍ ، فإِنَّ الملائكة تلعنُه وإِن كان أَخاه لأَبيه وأُمِّه » .

• وقال مُجاهد[٣] : يُسَلِّطُ اللهُ على أَهل النَّار الجَرَبَ ، فَيَحُكُّونَ أَجسادَهم حتَّى تبدوَ العظامُ ، فيقال لهم : هل يُؤْذيكم هذا؟ فيقولون : إِي والله ؛ فَيُقال لهم : هذا بِما كُنْتم تُؤْذون المؤمنين .

• وقال[٤] ابنُ مسعود رضي الله عنه : لمّا كشفَ اللهُ العذابَ عن قوم يُونُس عليه السَّلام تَرادُّوا المظالمَ بَينَهم ، حتَّى كان الرَّجُلُ لَيَقْلَعُ الحَجَرَ من أَساسه فيردُّه إِلى صاحبه .

• وقال[٤] ثَور بن يزيد : الحَجَرُ في البُنيان من غير حِلِّه عُربونٌ على خَرابه .

• وقال غَيره[٤] : لو أَنَّ الجَنَّةَ وهي دارُ البَقاءِ أُسِّسَت على حَجَرٍ من الظُّلمِ لأَوشكَ أَن تَخربَ .

• وقالَ بعضُ الحُكماء[٥] : اذكرْ عندَ الظُّلم عَدْلَ الله فيك ، وعند القُدْرَة قُدرة الله عليكَ ؛ لا يُعجبكَ رَحْبُ الذِّراعين سَفَّاكُ الدِّماء ، فإِنّ له قاتِلاً لا يَموت .

• وقال سَحْنُون بن سَعيد[٦] : كان يزيدُ بن حاتم يقول : ما هِبْتُ شيئاً قطُّ هَيْبَتي من رجلٍ ظَلَمْتُه ، وأَنا أَعلمُ أَن لا ناصرَ له إِلا الله ، فيقولُ : حَسْبُكَ الله ، اللهُ بيني وبَينك .

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٥٠٠) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٧٤) .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٥١٢_٥١٣) .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٥١٤) .
(٤) سراج الملوك (٢/ ٦٠١) .
(٥) سراج الملوك (٢/ ٥٩٨) .
(٦) سراج الملوك (٢/ ٥٩٩) .

• وقال[1] بِلال بن مَسعود : اتَّقِ الله فيمن لا ناصرَ له إلاّ الله .

• وبكى[2] عليُّ بن الفُضيل يوماً ، فقيل له : ما يُبكيكَ؟ قال : أَبكي على مَن ظَلمني إذا وقفَ غداً بين يدي الله تعالى ولم تكنْ له حُجَّة .

• ورُوي[3] أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال : « يقولُ الله تَعالى : اشتدَّ غَضَبي على مَن ظَلم مَن لا يجدُ له ناصِراً غيري » .

• ونادى[4] رجلٌ سُليمانَ بنَ عبد الملك وهو على المنبر : يا سُليمانُ ، اذكرْ يومَ الأَذان ؛ فنزلَ سُليمان من على المنبر ودَعا بالرَّجل فقال له : ما يومُ الأَذان ؟ فقال : قال الله تعالى : ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف : ٧/ ٤٤] قال : فما ظُلامَتُكَ؟ قال : أَرضٌ لي بمكان كذا وكذا ، أَخذَها وَكيلُك ؛ فكتبَ إلى وكيله : ادفعْ إليه أَرضه وأَرضاً مع أَرضه .

• ورُوي[5] أَنَّ كِسرى أَنوشروان كان له معلمٌ حَسَنُ التَّأديب ، يُعَلِّمه حتَّى فاق في العلوم ، فضَربه المعلِّمُ يوماً من غير ذَنْبٍ فأَوجعه ، فحقَد أَنوشروان عليه ، فلمَّا وَلي المُلْكَ قال للمعلِّم : ما حَمَلَك على ضَربي يوم كذا وكذا ظُلماً؟ فقال له : لمّا رأَيتُك تَرغَبُ في العِلم رَجوتُ لكَ المُلْكَ بعد أَبيك ، فأَحْبَبْتُ أَن أُذيقَك طَعْمَ الظُّلم لئلا تظلمَ ؛ فقال أَنوشروان : زِه زِه .

• وقال محمّد بن [يَزداد بن] سويد وزير المأمون[6] : [من الطويل]

فَـلا تَـأْمَنَـنَّ الـدَّهْـرَ حُـرّاً ظَلَمْتَـهُ ... فَمـا لَيْـلُ حُـرٍّ إنْ ظَلَمْـتَ بِنَـائِـمِ

---

(١) سراج الملوك (٢/ ٥٩٩).
(٢) سراج الملوك (٢/ ٦٠٠).
(٣) سراج الملوك (٢/ ٦٠١).
(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٥٩٦) ، والبصائر والذخائر (٢/ ١٧٥) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٨٥).
(٥) سراج الملوك (٢/ ٦٠٨).
(٦) ربيع الأبرار (٣/ ٥٠١) والوافي بالوفيات (٥/ ٢١٤).

• ورُوي أَنَّ بعضَ الملوك رَقَمَ على بِساطه[1] : [من البسيط]

لا تَظلِمَنَّ إذا ما كُنْتَ مُقْتَدراً فالظُّلْمُ مَصْدَرُهُ يُفضي إلى النَّدَمِ
تَنامُ عَيْناكَ والمَظْلومُ مُنْتَبِهٌ يَدعو عَليك وَعَيْنُ اللهِ لَم تَنَمِ

• وما أَحسنَ ما قال الآخر : [من الوافر]

أتَهْزَأُ بالدُّعاءَ وَتَزْدَريه وَما تَدري بِما صَنَعَ الدُّعاءُ
سِهامُ اللَّيْلِ نافِذَةٌ وَلكنْ لَها أَمَدٌ ولِلأَمَدِ انْقِضاءُ
فَيُمْسِكُها إذا ما شاءَ رَبِّي وَيُرْسِلُها إذا نَفَذَ القَضاء

• وقال أَبو الدَّرداء[2] : إِيَّاكَ ودَمعةَ اليتيم ، ودعوةَ المظلوم ؛ فإنَّها تَسري باللَّيْلِ والنَّاسُ نيامٌ .

• وقال الهيثم بن فِراس السّامي - من بني سامة بن لُؤي - في الفضل بن مَروان[3] : [من الطويل]

تَجَبَّرْتَ يا فَضْلُ بنُ مَروانَ فاعْتَبِرْ فَقَبْلَكَ كانَ الفَضْلُ والفَضْلُ والفَضْلُ
ثلاثَةُ أَمْلاكٍ مَضَوا لِسَبيلِهِم أَبادَهُمُ الموتُ المُشَتِّتُ والقَتْلُ

يريدُ الفَضْلَ بن الرَّبيع ، والفَضْلَ بن يَحيى ، والفَضْلَ بن سَهْل .

• وَوُجد تحتَ فراش يحيى بن خالد البرمكي رُقعةً مكتوبٌ فيها[4] : [من الوافر]

وَحَقِّ اللهِ إنَّ الظُّلْمَ لُؤْمٌ وإنَّ الظُّلْمَ مَرْتَعُهُ وَخيمُ
إلى دَيّانِ يَومِ الدِّينِ نَمضي وَعِنْدَ اللهِ تَجْتَمِعُ الخُصُومُ

---

(١) بلا نسبة في سراج الملوك (٢/ ٥٩٨).
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٥٠٦).
(٣) له في ربيع الأبرار (٣/ ٥٠٢) ، وبلا نسبة في التذكرة الحمدونية (٥/ ٢٣٢).
(٤) لأبي العتاهية في سراج الملوك (٢/ ٦٠٨) وبلا نسبة في ربيع الأبرار (٣/ ٥٠٩) وانظرهما في ديوان أبي العتاهية (٣٥٣-٣٥٤).

• وَوَجَد[1] القاسمُ بنُ عبيد الله وزيرُ المكتفي في مُصَلاه رقعةً مكتوبٌ فيها : [من الرجز]

بَغـــى وَلِلْبَغْـــيِ سِهـــامٌ تُنْتَظَـــرْ
أَنْفَـــذُ فـــي الأَحْشـــاءِ مِـــن وَخْـــزِ الإِبَـــرْ
سِهـــامُ أَيـــدي القـــانِتيـــنَ فـــي السَّحَـــرْ

• وقال[2] المنصورُ بن المُعْتَمِرْ لابن هُبيرةَ حينَ أَراد أَن يُوَلِّيه القضاءَ : ما كنتُ لأَليَ هذا بعدما حدَّثني إِبراهيم ، قال : وما حدَّثك إِبراهيم؟ قال : حدَّثني عن عَلقمة ، عن ابن مَسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذا كان يومُ القيامةِ نادى مُنادٍ : أَينَ الظَّلَمَةُ وأَعوانُ الظَّلَمَةِ وأَشياعُ الظَّلَمَةِ ، حتّى مَن بَرى لهم قَلَماً أَو لاقَ لهم دَواةً ، فَيُجمعونَ في تابوتٍ من حَديدٍ ، ثم يُرمى بهم في نار جهنَّم » .

• ورَوى[3] هارون بن محمَّد بن عبد الملِك الزَّيّات ، قال : جلسَ أَبي للمظالم يوماً ، فلمّا انقضى المجلسُ رأَى رجلاً جالساً فقال له : أَلكَ حاجةٌ؟ قال : نعم ، أَدْنِني إِليك فإِنِّي مَظلومٌ ، وقد أَعوزني العَدْلُ والإِنصاف ؛ قال : ومَن ظَلَمَك؟ قال : أَنت ، ولستُ أَصِلُ إِليك فأَذكرَ حاجتي ؛ قال : وما يَحجبك وقد ترى مَجلسي مَبذولاً؟ قال : يَحجبني عنك هَيبتك وطُول لِسانك وفَصاحتك ؛ قال : فَفيم ظَلَمْتُكَ؟ قال : في ضَيعتي الفُلانيَّة ، أَخذَها وكيلُك غَصْباً منّي بغيرِ ثَمَن ، فإِذا وَجَبَ عليها خراجٌ أَدَّيتُه باسمي لِئَلا يثبتَ لك اسمٌ في مُلْكها فيبطلَ مُلكي ، فوكيلُك يأخذُ غَلَّتَها ، وأَنا أُؤَدِّي خَراجها ، وهذا لم يُسمعْ بمثله في المظالم ؛ فقال له محمّد : هذا قولٌ تحتاجُ معه إِلى بَيِّنَةٍ وشُهود وأَشياء ؛ فقال له الرَّجلُ : أَيُؤَمِّنني الوزيرُ من غَضَبه حتَّى أُجيب؟ قال : نعم قد

---

(1) ربيع الأبرار (٣/ ٥٠٩).
(2) التذكرة الحمدونية (٣/ ١٩٣).
(3) الأغاني (٢٣/ ٤٦) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٩٤).

أَمَّنْتُك ؛ قال : البَيِّنَةُ هم الشُّهودُ ، وإذا شَهدوا فليس يُحتاج معَهم إلى شيءٍ آخر ، فما معنى قولُك : بَيِّنةٌ وشُهود وأَشياء؟ وأَيُّ شيءٍ هذه الأَشياء إن هي إلاَّ الجَورُ وعُدولُك عن العَدْل؟ فضحك محمّد وقال : صدقتَ ، والبلاءُ مُوَكَّلٌ بالمنطق ، وإنِّي لأَرى فيك مُصطَنعاً ؛ ثم وَقَّع له مِئة دينار يستعينُ بها على عمارةِ ضَيعته ، وصَيَّرهُ من أصحابه ؛ فكان قبل أن يتوصَّل إلى الإنصاف وإعادة ضَيعته له يُقال له : يا فُلان ، كيف النَّاس؟ فيقول : بَشَرٌ بين مَظلومٍ لا يُنصر وظالمٍ لا يَنتصر ؛ فلمّا صار من أَصحاب محمَّد بن عبد الملك وردَّ عليه ضَيعته وأَنصفه قال له ليلةً : كيف النّاسُ الآن؟ قال : بخير ، قد اعتمدتَ معهم الإنصافَ ، ورفعتَ عنهم الإجحافَ ، ورددتَ عليهم الغُصوبَ ، وكشفتَ عنهم الكُروبَ ، وأَنا أَرجو لهم ببقائكَ نَيْلَ كُلِّ مرغوبٍ ، والفوزَ بكلِّ مَطلوبٍ .

● وممّا[1] نُقل في الآثار الإسرائيليّة في زمانِ مُوسى صلوات الله وسلامه عليه ، أَنَّ رجلاً من ضُعفاء بني إسرائيل كان له عائلةٌ ، وكان صَيّاداً يصطادُ السَّمك ويقوتُ منه أَطفاله وزَوجته ، فخرج يوماً للصَّيد فوقَع في شَبكته سَمكةٌ كبيرةٌ ، ففرحَ بها ثم أَخذَها ومضى إلى السُّوق ليبيعَها ويصرفَ ثمنها في مَصالح عياله ، فلقيه بعضُ العوانِيَّة ، فرأَى السَّمكةَ معه ، فأَراد أَخذَها منه ، فمنعه الصّيّاد ، فرفع العوانيُّ خَشَبَةً كانت بيده فَضربَ بها رأسَ الصَّيَّادِ ضربةً مُوجعةً ، وأَخذ السَّمكة منه غَصْباً بلا ثمن ، فدعا الصَّيّاد عليه وقال : إلهي ، جَعلتني ضَعيفاً وجَعلته قَوِيّاً عَنيفاً ، فَخُذْ لي بحَقِّي منه عاجِلاً ، فقد ظَلَمني ولا صَبْرَ لي إلى الآخرة ؛ ثم إنَّ ذلك الغاصب الظَّالم انطلقَ بالسَّمكة إلى منزله وسلَّمها إلى زَوجته ، وأَمرها أَن تَشويَها ، فلمّا شَوَتها قدَّمتها له ووضعَتها بين يديه على المائدة ليأكلَ منها ، ففتَحت السَّمكةُ فاها ونَكَزَتْهُ في إصبعِ يدهِ نَكزةً طار بها عَقْلُه وصارَ لا يقرُّ بها قَراره ، فقام وشكا إلى الطَّبيب أَلم يدِهِ وما حلّ به ؛ فلمّا رآها قال له : دَواؤها أَن تُقطَع الإصبَعُ لِئلا

---

(١) سراج الملوك (٢/ ٦٠٤).

يَسري الأَلم إلى بقيَّة الكَفِّ ، فقَطع إصبَعه فانتقلَ الأَلمُ والوجَعُ إلى الكَفِّ واليدِ ، وازدادَ التَّألُّمُ وارتعدَت من خَوفه فرائِصُه ، فقال له الطَّبيب : ينبغي أَن تُقطَع اليدُ إلى المعصم لِئَلا يَسري الأَلمُ إلى السّاعد ، فقَطعها فانتقلَ الأَلمُ إلى السّاعدِ ، فما زالَ هكذا ، كُلَّما قَطَعَ عُضواً انتقلَ الأَلمُ إلى العضو الآخر الَّذي يَليه ؛ فخَرج هائماً على وَجهه مُستغيثاً إلى ربِّه ليكشفَ عنه ما نزل به ، فرأى شجرةً فقصدَها فأَخذه النَّومُ عندها ، فنامَ فرأى في منامه قائلاً يقول : يا مِسكين ، إلى كم تَقطعُ أَعضاءَك ، امضِ إلى خَصمك الَّذي ظلمتَه فأَرْضِهِ ؛ فانتبه من النَّوم وفكَّر في أَمره ، فعَلم أَنَّ الَّذي أَصابه من جِهة الصَّيّاد ، فدخل المدينة وسأَل عن الصَّيّاد ، وأَتى إليه فوقعَ بين يديه يتمرَّغُ على رِجليه ، وطلب منه الإقالة ممّا جَناه ، ودفعَ إليه شيئاً من ماله وتابَ من فِعله ، فرضيَ عنه خَصمُهُ الصَّيّاد ، فسَكَن في الحال أَلمُه ، وباتَ تلك اللَّيلةَ ، فردَّ الله تعالى عليه يدَه كما كانت ، ونزلَ الوحيُ على موسى عليهِ السَّلام : يا موسى ، وعِزَّتي وجَلاي ، لولا أَنَّ ذلكَ الرَّجُلَ أَرضى خَصْمَهُ لَعَذَّبْتُهُ مَهما امتدَّت به حياتُه .

● ومِمّا تَضمَّنَتْهُ أَخبارُ الأَخيار ، ما رواه أَنسٌ رضي الله عنه قال[1] : بينما أَميرُ المؤمنين عُمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قاعدٌ ، إذ جاءه رجلٌ من أَهل مِصر ، فقال : يا أَمير المؤمنين ، هذا مَقامُ العائِذِ بك ؛ فقال عُمر رضي الله عنه : لقد عُذْتَ بِمُجيرٍ ، فما شأنُك؟ فقال : سَابَقْتُ بِفَرسي ابناً لعمرو بن العاص ، وهو يومئذٍ أَميرٌ على مِصر ، فجعلَ يُقَنِّعُني بسَوطه ويقول : أَنا ابنُ الأَكرمين! فبلغَ ذلك عَمراً أَباهُ ، فخَشيَ أَن آتيكَ فحَبسني في السِّجن ، فانفلَتُّ منه ، فهذا الحينُ أَتيتُك ؛ فكتبَ عُمر إلى عمرو بن العاص : إذا أَتاك كتابي هذا فاشهدْ الموسمَ أَنت وولدُك فلان ؛ وقال للمصريّ : أَقمْ حتى يأتيك ؛ فأَقام حتَّى قَدِمَ عَمرو وشهدَ موسمَ الحجِّ ؛ فلمّا قَضى عُمر الحجَّ وهو قاعدٌ مع النّاس وعمرو بن العاص

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٥٩٨) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٢٠٩).

وابنُه إلى جانبه قام المصريُّ فرمَى إليه عُمر رضي الله عنه بالدُّرَّةِ .

قال أَنس رضي الله عنه : فلقد ضَرَبَهُ ونحنُ نَشتهي أَن يضربَه ، فلمْ ينزعْ حتَّى أَحْبَبْنا أَن ينزعَ من كثرةِ ما ضَربه ، وعُمر يقول : اضربْ ابنَ الأَكرمين ؛ قال : يا أَمير المؤمنين ، قد استوفيتُ واشتفيتُ ؛ قال : ضَعها على صَلعةِ عَمرو ؛ فقال : يا أَمير المؤمنين ، لقد ضَربتُ الَّذي ضَرَبني ؛ قال : أَما واللهِ لو فعلتَ ما منَعك أَحدٌ حتَّى تكونَ أَنتَ الَّذي تنزعُ ؛ ثم أَقبلَ على عمرو بن العاص وقال : يا عَمرو ، متى تَعَبَّدْتُمُ النَّاسَ وَقَدْ وَلَدَتْهُم أُمَّهاتُهُمْ أَحراراً؟ فجعلَ عَمرو يعتذرُ إليه ويقولُ : إنِّي لم أَشعرْ بهذا .

• وقيل : لمّا ظَلَمَ أَحمدُ بن طولون قبل أَن يعدلَ استغاثَ النَّاسُ من ظُلمه ، وتوجَّهوا إلى السَّيِّدة نَفيسة يَشكونَه إليها ، فقالت لهم : متى يَركبُ؟ قالوا : في غدٍ ؛ فكتبت رُقعةً ، ووقفَت بها في طريقه ، وقالت : يا أَحمد ، يا ابن طولون ؛ فلمّا رآها عَرفها فترجَّلَ عن فَرسه ، وأَخذ منها الرُّقعةَ وقَرأها ، فإذا فيها : مَلَكْتُمْ فأَسَرْتُم ، وقَدرتُم فقَهَرْتُم ، وخُوِّلتُمْ فعَسَفْتُم ، وَرُدَّتْ إليكم الأَرزاقُ فَقَطَعْتُم ، هذا وقد عَلمتم أَنَّ سِهامَ الأَسحارِ نافذةٌ غيرُ مُخطئةٍ ، لا سيَّما من قُلوبٍ أَوْجَعتُموها وأَكبادٍ جَوَّعْتُموها وأَجسادٍ عَرَّيْتُموها ، فَمُحالٌ أَن يموتَ المظلومُ وَيبقى الظَّالمُ ؛ اعملوا ما شئتم فإنّا صابرون ، وجُوروا فإنَّا بالله مُستجيرون ، واظلموا فإنّا إلى الله مُتَظَلِّمون ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء : ٢٦/٢٢٧] قال : فَعَدل لوقته .

• وحُكي أَنَّ الحجَّاج حَبَس رَجلاً في حَبسه ظُلماً ، فكتَب إليه رُقعةً فيها : قد مَضى من بُؤسنا أَيَّامٌ ومن نَعيمك أَيَّامٌ ، والموعدُ القيامةُ ، والسِّجْنُ جهنَّمٌ ، والحاكمُ لا يَحتاج إلى بيِّنَةٍ ؛ وكتبَ في آخرها[1] : [من الوافر]

---

(١) الأبيات لأبي العتاهية في ديوانه (٣٥٣/ ٣٥٥) وسراج الملوك (٢/ ٦٠٨) ، وقد مضى بيتان منها قبل قليل .

سَتَعْلَـــمُ يــا نَــؤُومُ إذا الْتَقَيْنــا غَــداً عِنْــدَ الإلــهِ مَــن الظَّلُــومُ
أَمــا واللهِ إِنَّ الظُّلْــمَ لُــؤْمٌ وَمــا زالَ الظَّلُــومُ هُــو المَلُــومُ
سَيَنْقَطِــعُ التَّلَــذُّذُ عــن أُنــاسٍ أَدامــوهُ وَيَنْقَطِــعُ النَّعيــمُ
إِلـى ديّـانِ يَـومِ الـدِّيْـنِ نَمْضـي وَعِنْـدَ اللهِ تَجْتَمِـعُ الخُصـومُ

• وحكى أبو محمّد الحسنُ بن محمّد الصِّلْحيّ قال[1] : كُنّا حَوْلَ سريرِ المعتضدِ بالله ذاتَ يومٍ نِصْفَ النَّهار ، فنامَ بعدَ أن أَكلَ ، فانتبهَ مُنزعجاً ، وقال : يا خَدَم ؛ فأَسْرَعْنا الجوابَ ، فقال : وَيْلَكُم أَعينُوني ، والْحقوا بالشَّطِّ ، فأَوَّلُ مَلاحٍ تَرَوْنَهُ مُنْحدراً في سَفينةٍ فارغَةٍ ، فاقْبضوا عليه وائْتوني به ، وَوَكِّلوا بالسَّفينةِ مَن يحفظُها ؛ فأَسرعْنا فَوجدنا مَلّاحاً في سَفينةٍ مُنحدرةٍ وهيَ فارغةٌ ، فقبضْنا عليه ووكَّلْنا بها مَن يَحفظُها ، وصَعدنا به إلى المعتضد ، فلمَّا رآهُ الملاح كادَ يتلفُ ، فصاحَ عليه المعتضدُ صَيْحَةً عظيمةً كادَت رُوحُهُ تَذهبُ منها ، وقال : اصدُقني يا ملعون عن قَضِيَّتِك مع المرأَة الَّتي قَتلتَها اليومَ ، وإلا ضَربتُ عُنقك ؛ فتعلثمَ وقال : نَعم ، كنتُ سَحَراً في المَشْرَعَة الفُلانِيَّة ، فنزلَت امرأَةٌ لم أَرَ مِثلها ، عليها ثيابٌ فاخرةٌ وحُلِيٌّ كثيرةٌ وجواهرُ ، فطَمعتُ فيها واحْتَلْتُ عليها حتَّى سَدَدْتُ فَمَها ، وغَرَّقْتُها وأَخذتُ جَميع ما كان عليها ثم طرحتُها في الماء ، ولم أَجسرْ على حَمل سَلَبِها إلى داري لئلاّ يفْشُوَ الخبر عليَّ ، فعوَّلتُ على الهُروبِ والانحدارِ إلى واسط ، فصبرتُ إلى أَن خلا الشَّطُّ في هذه السّاعةِ من الملاّحين ، وأَخذتُ في الانحدارِ ، فتعلَّق بي هؤلاء القوم فحَملوني إليك ؛ فقال : وأَين الحُلِيُّ والسَّلَبُ؟ قال : في صدر السَّفينةِ تحتَ البَواري ؛ قال المعتضد : عليَّ به السَّاعةَ ؛ فحضَروا بهِ ؛ فأَمر بتغريقِ الملاّح ، ثم أَمر أَن يُنادىٰ ببغدادَ : مَن خرجَت له امرأَةٌ إلى المَشْرَعَة الفُلانيَّة سَحَراً ، وعليها ثيابٌ فاخرةٌ وحُلِيٌّ فَلْيَحضرْ ، فحضرَ في اليوم الثّاني ثلاثةٌ من

---

(١) المنتظم (١٢/ ٣١٢) ونشوار المحاضرة (٤/ ١٢٥).

أَهلها ، وأَعطوا صِفَتَها وصِفَةَ ما كان عليها ، فَسُلِّم ذلك إِليهم .

قال : فقلتُ : يا مَولاي ، من أَين علمتَ؟ أَوَ أُوحيَ إِليكَ بهذه الحالة وأَمر هذه الصَّبيَّة؟ فقال : بل رأَيتُ في مَنامي رجلاً شيخاً أَبيضَ الرَّأْسِ واللِّحْيَة والثِّياب ، وهو يُنادي : يا أَحمد ، أَوَّلُ مَلاحٍ ينحدرُ السَّاعةَ فاقبضْ عليه وقَرِّرْهُ على المرأَة الَّتي قَتلَها اليومَ ظُلماً ، وسَلَبها ثِيابَها ، وأَقم عليه الحَدَّ ولا يَفُتْكَ ؛ فكان ما شاهَدْتُمْ .

• فيتعيَّنُ على كُلِّ وَلِيِّ أَمْرٍ أَن يعدلَ في الأَحكام ، وأَن يتبصَّرَ في رعيَّته ، وعلى كُلِّ غافلٍ أَن يكفَّ يدَه عن الظُّلم ، ويَسلكَ سَنَنَ العدْل ، ويعاملَ بالنَّصَفةِ ويراقِبَ اللهَ في السِّرِّ والعلانية ، ويعلمَ أَنَّ اللهَ يجازي على الخيرِ والشَّرِّ ويعاقبُ الظَّالم على ظُلمه وينتصرُ للمظلوم ويأخذُ له حقَّه ممَّن ظَلمه ، وإِذا أَخذَ الظَّالم لم يُفْلِتْهُ .

• واللهُ سُبحانه وتعالى أَعلمُ بالصَّواب وإِليه المرجعُ والمآب ، وحسبُنا اللهُ ونِعم الوكيل ، ولا حَول ولا قُوَّةَ إِلا بالله العليِّ العظيم ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً إِلى يوم الدِّين ، والحمدُ لله ربِّ العالمين .

* * *

الباب الحادي والعشرون

في بيانِ الشُّروط الَّتي تُؤْخَذُ على العُمَّال وسيرةِ السُّلطان في استجباء الخراج ، وأَحكامِ أَهلِ الذِّمَّة

وفيه فصلان

الفصل الأَوَّل

في سِيرة السُّلطان في استجباءِ الخَراج ، والإِنفاق من بيت المال ، وسيرة العُمّال

• قال[1] جعفر بن يحيى : الخراجُ عِمادُ المُلوك ، وما اسْتُغْزِرَ بمثلِ العَدْلِ ، وما اسْتُنْزِرَ بمثلِ الظُّلم ؛ وأَسرعُ الأُمورِ في خَرابِ البلادِ تعطيلُ الأَرَضين ، وهلاكُ الرَّعيَّة ، وانكسارُ الخَراج من الجَور ؛ ومَثَلُ السُّلطانِ إذا أَجحفَ بأَهلِ الخراجِ حتَّى يَضْعُفوا عن عِمارة الأَرضين مَثَلُ مَن يقطعُ لَحْمَهُ ويأْكُله من الجوعِ ، فهو إِن شَبِعَ من ناحيةٍ فقد ضعفَ من ناحيةٍ أخرى ، وما أَدْخَلَ على نفسه من الضَّعف والوَجَع أَعظمُ ممّا دَفَع عن نَفسه من أَلم الجُوع ؛ ومَثَلُ مَن كَلَّفَ الرَّعِيَّة فوقَ طاقَتهم كالَّذي يُطَيِّنُ سَطْحَهُ بتُرابِ أَساسِ بَيته ؛ وإِذا ضعفَ المزارعون عَجزوا عن عِمارة الأَرضين ، فَيتركونَها فتخربُ الأَرضُ ويهربُ المزارعون ، فتضعفُ العِمارة ويضعفُ الخراجُ وينتجُ من ذلك ضعفُ الأَجنادِ ، وإِذا ضعفَ الجُند طمعَ الأَعداء في السُّلطان .

---

(١) سراج الملوك (٢/ ٤٩٦).

• وَرُوِي[1] أَنَّ المأمون أَرِقَ ذاتَ ليلةٍ ، فاستَدْعى سَميراً يُحَدِّثُه ، فقال : يا أَميرَ المؤمنين كان بالمَوْصِلِ بُومَةٌ وبالبصرة بُومَةٌ ، فخَطبت بومةُ الموصلِ بنتَ بُومة البَصرة لابنها ، فقالت بُومة البَصرة : لا أُجيبُ خطبةَ ابنك حتى تَجعلي في صَداق ابنتي مِئة ضيعةٍ خَرِبة ، فقالت بُومة الموصل : لا أَقدرُ عليها ، لكنْ إِن دامَ والينا ـ سَلَّمه الله ـ علينا سنةً واحدةً فعلتُ ذلك ؛ قال : فاستيقظَ لها المأمونُ ، وجلسَ للمظالم ، وأَنصفَ النَّاس بعضَهم من بعض ، وتفقَّد أُمور الولاة والعمَّال والرَّعيَّة .

• وقال[2] الحسن بن عليّ الأَسدي : أَخبرَني أَبي قال : وجدتُ في كتابٍ قِبْطيٍّ باللُّغة الصَّعيديَّة ممّا نُقل بالعَربيَّة : إِن مَبْلَغَ ما كان يُستخرجُ لفرعونَ في زَمن يوسف الصِّدِّيق صلواتُ الله وسلامُه عليه من أَموالِ مِصر لخراجِ سنةٍ واحدةٍ من الذَّهبِ العَيْنِ : أَربعةٌ وعشرونَ أَلفَ أَلف وأَربعمئة أَلف دينار ؛ من ذلك ما يَنصرفُ في عِمارة البلادِ ، كحَفر الخُلجان والإِنفاق على الجُسور وسَدِّ التُّرَعِ وتَقويةِ مَن يَحتاجُ إِلى التَّقوية ، من غير رُجوعٍ عليه بها لإِقامةِ العوامل ، والتَّوسِعَةِ في البُلدان وغير ذلك من الآلات ، وأُجرة مَن يُستعان به لِحَمْلِ البَذْرِ وسائِرِ نَفَقَات تَطبيقِ الأَرض : ثمانمئة أَلف دينار ، ولِما يَنصرفُ للأَرامِل والأَيتام وإِن كانوا غيرَ مُحتاجين حتَّى لا يَخلو أَمثالُهم من بِرِّ فِرعون : أَربعمئة أَلف دينار ؛ ولِما ينصرفُ لِكَهَنَتِهِم وبُيوت صَلاتهم مِئتا أَلف دينار ؛ ولما ينصرفُ في الصَّدقات ممَّا يُصَبُّ صَبّاً ويُنادى عليه : بَرِئَتِ الذِّمَّةُ من رجلٍ كَشَفَ وَجهه لِفاقَةٍ ولم يَحضر ؛ فيحضرُ لذلك جَمْعٌ كَثيرٌ : مِئتا أَلفِ دينار ؛ فإِذا فُرِّقَت الأَموالُ على أَربابها دَخَلَ أُمناءُ فرعون إِليه وهَنَّؤوه بتفرقة الأَموال ، ودَعوا له بطولِ البقاء ودوام العِزِّ والنَّعماءِ والسَّلامة ، وأَنْهَوا إِليه حالَ الفُقراء ،

---

(١) سراج الملوك (٢/ ٤٩٧) ومروج الذهب (١/ ٢٩٣) .
(٢) سراج الملوك (٢/ ٥٠٧) .

فيأمرُ بإحضارهم وتَغيير شَعَثِهم ، ويمدُّ لهم السِّماطَ فيأكلون بين يديه ويشربون ، ويَستفهمُ من كُلِّ واحدٍ منهم عن سَبب فاقَته ، فإن كان ذلك من آفة الزَّمان زادَ عليه مثلَ الَّذي كان له ؛ ولما ينصرفُ في نَفقات فرعون الرَّاتبة في كُلِّ سنةٍ مِئتا أَلف دينار ، ويفضلُ بعد ذلك ممَّا يَتسَلَّمه يوسف الصِّدِّيق عليه السَّلام للمَلِك ويَجعله في بيتِ المال لنوائبِ الزَّمان : أَربعةَ عشر أَلف أَلفٍ وستَّمئة أَلفِ دينار .

• وقال أَبو رُهْم[1] : كانت أَرضُ مِصر أَرضاً مُدَبَّرَةً ، حتَّى إِنَّ الماء لَيَجْري تحتَ مَنازلها وأَفنيتها فَيَحْبسونه حيثُ شاؤوا ويُرسلونه حيث شاؤوا ؛ وذلك قول فرعون : ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ﴾ [الزخرف : ٤٣/ ٥١] .

• وكان[2] مَلكُ مِصر عَظيماً لم يكنْ في الأَرض أَعظمُ منه مُلكاً ، وكانت الجِنان بحافَّتَي النِّيل مُتَّصِلَةً ، لا يَنقطعُ منها شيءٌ عن شيءٍ ، والزُّروعُ كذلك من أَسوان إِلى رَشيد ، وكانت أَرضُ مِصر كلُّها تُروى من ستَّةَ عَشَر ذراعاً ، لِما دَبَّروا من جُسورها وحافّاتها ، والزُّروعُ ما بين الجَبَلين من أَوَّلها إِلى آخرها ، وذلك قوله تعالى : ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ [الدخان : ٤٤/ ٢٥ـ٢٦] .

• وقال عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما[2] : استعملَ فرعونُ هامانَ على حفر خليج سَرْدُوس ، فأَخذَ في حَفره وتَدبيره ، فجعلَ أَهلُ القُرى يسأَلونَه أَن يُجريَ لهم الخليجَ تحتَ قُراهم ويُعطوه مالاً ، فكان يذهبُ به من قريةٍ إِلى قريةٍ من المشرقِ إِلى المغربِ ، ومن الشِّمال إِلى القِبلة ، ويَسوقُه كيفَ أَراد وإِلى حيثُ قَصد ، فليسَ خليجٌ بمصرَ أَكثرَ عُطوفاً منه ؛ فاجتمعَ له من ذلك أَموالٌ عظيمةٌ جزيلةٌ ، فحَملها إِلى فرعون وأَخبره بالخبر ، فقال له فرعون : إِنَّه يَنبغي للسَّيِّد

---

(١) سراج الملوك (٢/ ٥٠٩) .
(٢) سراج الملوك (٢/ ٥٠٩) ومعجم البلدان (٣/ ٢١٠) (سردوس) .

أَن يعطفَ على عَبده ، ويفيضَ عليه من خَزائنه وذَخائره ، ولا يرغبَ فيما بأَيديهم ؛ رُدَّ على أَهل القُرى أَموالهم ؛ فَرَدَّ عليهم ما أَخذه منهم .

● فإِذا كانت هذه سيرةُ مَن لا يعرفُ اللهَ ولا يرجو لقاءَه ولا يخافُ عَذابه ولا يُؤْمِنُ بيوم الحِساب ، فكيف تكونُ سِيرةُ مَن يقول : لا إِله إِلا الله ، محمّد رسولُ الله ، ويُوقن بالحِساب والثَّواب والعِقاب؟ .

● وقال[1] ابنُ عبّاس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ [يوسف : ١٢/ ٥٥] قال : هي خزائنُ مصر .

● ولمّا[2] استوثقَ أَمرُ مِصر ليوسفَ عليه السَّلام ، وكملَ وصارَتِ الأَشياءُ إِليه ، وأَرادَ الله تعالى أَن يُعَوِّضَهُ على صَبره ، لمّا لم يرتكبْ مَحارمَه ـ وكانت [خَزائن] مصر أَربعين فَرْسَخاً في مثلها[3] ـ وما أَطاع يوسفُ فِرعون وهو الرَّيّان بن مُصعب ونابَ عنه إِلا بعد أَن دَعاهُ إِلى الإِسلام فأَسلم ، وكانت السِّنُونُ الَّتي حصلَ فيها الغلاءُ والجوعُ ، ماتَ العزيز وتملَّكَ يُوسف ، وافتَقَرت زَليخا ، وعَمي بَصَرُها ، فَجَعلت تَتكَفَّفُ النَّاسَ ؛ فقيل لها : لو تعرَّضْتِ للمَلِك ، رُبَّما يَرحمُكِ ويُعينك ويُغْنيك ، فطَالما كنتِ تَحفظينه وتُكرمينَه ؛ ثم قيل لها : لا تَفعلي ، لأَنَّه رُبَّما يتذكَّر ما كان منكِ إِليه من المراودةِ والحَبْسِ ، فَيُسيءُ إِليك ويُكافئُك على ما سَبق منكِ إِليه ؛ فقالت : أَنا أَعلمُ بِحِلْمِهِ وَكَرَمِهِ ؛ فجلَسَتْ له على رابِيَةٍ في طريقِهِ يومَ خُروجه ، وكان يركبُ في زُهاءَ مِئةِ أَلفٍ من عُظماءِ قَومه وأَهل مَملكته ، فلمّا أَحَسَّت به قامَت ونادَت : سُبحانَ مَن جعلَ المُلوك عَبيداً بمعصيتهم والعبيدَ مُلوكاً بطاعَتهم ؛ فقال يُوسف عليه السَّلام : مَن أَنتِ؟ فقالت : أَنا الَّتي كنتُ أَخدمُك بنَفسي ، وأُرَجِّلُ شَعْرَكَ بِيدي ، وأُكرم مَثواك بجهدي ، وكان مِنِّي ما كان ، وقد

---

(١) سراج الملوك (٢/ ٥١٠).
(٢) سراج الملوك (٢/ ٥١١).
(٣) هذه العبارة مقحمة، وهي من قول ابن عباس تتمة لما سبق في سراج الملوك، والزيادة لازمة.

ذُقتُ وَبال أَمري ، وذهبت قُوَّتي ، وتَلفَ مالي ، وعَمِيَ بَصَري ، وصِرْتُ أَسأَلُ النّاسَ ، فمنهم مَن يَرحَمُني ، ومنهم من لا يَرْحَمُني ، وبعدما كنتُ مَغبوطَةَ أَهلِ مِصر كلِّها صِرتُ مَرحومَتَهم بل مَحرومتَهم ، وهذا جزاءُ المُفسدين ؛ فبكى يوسُف عليه السَّلام بكاءً شديداً ، وقال لها : هل في قَلبك من حُبِّك إِيّايَ شيءٌ؟ قالت : نعم ، والَّذي اتَّخذَ إبراهيم خليلاً ، لَنظْرَةٌ إِليكَ أَحَبُّ إِليَّ من مِلْءِ الأَرض ذَهَباً وفِضَّةً ؛ فمضى يوسُف وأَرسل إِليها يقول : إِن كنت أَيِّماً تزوَّجناك ، وإِن كنتِ ذاتَ بَعْلٍ أَغنيناكِ ؛ فقالت لرسول الملِك : أَنا أَعرفُ أَنّه يَستهزىءُ بي ، هو لم يُرِدْني في أَيّام شَبابي وجَمالي ، فكيف يَقْبَلُني وأَنا عجوزٌ عَمياءُ فَقيرةٌ؟ فأَمر بها يوسُف عليه السَّلام فَجُهِّزَت وتزوَّج بها ، وأُدخِلت عليه ، فَصَفَّ يوسفُ عليه السَّلام قَدَميه وقام يُصَلِّي ، ودعا الله تعالى باسمه العَظيم الأَعظم ، فردَّ الله عليها حُسْنَها وجَمالها وشَبابها وبَصَرَها كَهيئتها يوم رَاوَدَتْهُ ، فواقَعها ، فإِذا هي بِكْرٌ ، فولدت له أَفرائيم ابن يوسف ومِنَشّا بن يوسف ، وطابَ في الإِسلام عَيْشُها حتّى فَرَّقَ الموتُ بينهما .

• فينبغي للقويِّ أَن لا يَنسى الضَّعيف ، وللغَنيِّ أَن لا ينسى الفقير ، فَرُبَّ مطلوبٍ يصيرُ طالباً ، ومرغوبٍ فيه يصيرُ راغباً ، ومسؤولٍ يصيرُ سائلاً ، وراحمٍ يصيرُ مَرحوماً ؛ فنسأَلُ الله تعالى أَن يرحَمَنا برحمته ، ويغنينا بفضله .

• ولمّا[1] مَلَكَ يوسُف عليه السَّلام خزائنَ الأَرض كان يجوعُ ويأكلُ من خبز الشَّعير ؛ فقيل له : أَتجوعُ وبيدك خزائنُ الأَرض؟ فقال : أَخافُ أَن أَشبع فأَنسى الجائعَ .

ومن حُسن سِيرة العُمّال

• ما رُوي[2] أَنَّ عُمر رضي الله عنه استعملَ على حِمْصَ رَجلاً يُقالُ له : عُمير

---

(١) سراج الملوك (٢/ ٥١٣).

(٢) سراج الملوك (٢/ ٥٢٩) وحلية الأولياء (١/ ٢٤٧ـ٢٥٠) ومختصر تاريخ دمشق (١٩/ ٣٣٢).

ابن سَعْد ، فلمّا مَضَت السَّنةُ كتبَ إِليه عُمر رضي الله عنه : أَن ٱقدمْ علينا ؛ فلم يشعرْ عُمر إلا وقد قَدِمَ عليه ماشِياً حافِياً ، عُكّازَتُه بيده وإِداوَته ومِزْوَدُه وقَصْعَتُهُ على ظَهره ، فلمَّا نَظَرَ إِليه عُمر قال له : يا عُمير ، أَخُنْتَنا أَم البلادُ بلادُ سُوءٍ؟ فقال : يا أَمير المؤمنين ، أَما نَهاك الله أَن تَجْهَرَ بالسُّوءِ ، وعن سُوءِ الظَّنِّ؟ وقد جئتُ إِليك بالدُّنيا أَجُرُّها بقُرونها ؛ فقال له : وما معكَ من الدُّنيا؟ قال : عُكّازَةٌ أَتَوَكَّأُ عليها وأَدفعُ بها عَدُوّاً إن لقيتُه ، ومِزْوَدٌ أَحملُ فيه طَعامي ، وإِداوَةٌ أَحملُ فيها ماءً لِشُربي ولِطَهوري ، وقَصعةٌ أَتَوَضّأُ فيها وأَغسلُ فيها رأسي وآكلُ فيها طَعامي ؛ فواللهِ يا أَمير المؤمنين ما الدُّنيا بعدُ إلا تَبَعٌ لِما معي .

قال : فقام عمر رضي الله عنه من مَجلسه إِلى قَبر رسول الله ﷺ وأَبي بكر رضي الله عنه ، فبكى بكاءً شديداً ، ثم قال : اللَّهُمَّ أَلحقني بصاحبيَّ غيرَ مُفْتَضَحٍ ولا مُبَدِّلٍ ؛ ثم عاد إِلى مجلسه ، فقال : ما صنعتَ في عَملك يا عُمير ، فقال : أَخذتُ الإِبل من أَهل الإِبل ، والجِزْيَةَ من أَهل الذِّمَّة عن يَدٍ وهم صاغِرُون ، ثم قَسَمْتُها بين الفُقراء والمساكين وأَبناء السَّبيل ، فواللهِ يا أَمير المؤمنين لو بَقي عندي منها شيءٌ لأَتيتُك به ؛ فقال عمر : عُد إِلى عَملك يا عُمير ، قال : أَنشدُكَ الله يا أَمير المؤمنين أَن تَرُدَّني إِلى أَهلي ؛ فأَذِنَ له فأَتى أَهله ، فبعث عمر رَجلاً يقال له حَبيب بمئة دينارٍ ، وقال له : اختبرْ لي عُميراً ، وٱنزلْ عليه ثلاثة أَيّام حتَّى ترى حاله هل هو في سَعةٍ أَم ضيق ؛ فإِن كان في ضيقٍ فادفع إِليه المِئة دينار ؛ فأَتاه حبيبٌ ، فنزلَ به ثلاثاً ، فلم يرَ له عَيْشاً إِلا الشَّعير والزَّيت ، فلمّا مضَت ثلاثة أَيَّام قال : يا حبيبُ ، إِن رأَيت أَن تتحوَّلَ إِلى جيراننا فلعلَّهم أَن يكونُوا أَوسعَ عيشاً مِنّا ، فإِنّا واللهِ وتاللهِ لو كان عندنا غيرُ هذا لآثرناكَ به ؛ قال : فدفَعَ إِليه المِئة دينار ، وقال : قد بعثَ بها أَميرُ المؤمنين إِليك ، فدعا بفَرْوٍ خَلَقٍ لامرأَته ، فجعل يصرُّ منها الخمسة دنانير والسِّتَّة والسَّبعة ، ويبعثُ بها إِلى إِخوانه من الفقراء إِلى أَن أَنفدَها ، فقَدم حبيبٌ على عمر ، وقال : جئتُك ـ يا أَمير المؤمنين ـ من عند أَزهد النّاس ، وما عنده من الدُّنيا قليلٌ ولا كثير ؛ فأَمر له عمر بِوَسْقَيْن من طعامٍ ، وثَوبين ؛ فقال : يا أَمير

المؤمنين ، أمّا الثّوبان فأَقبلُهما ، وأَمّا الوَسْقان فلا حاجةَ لي بهما ، عند أَهلي صاعٌ من بُرٍّ هو كافيهم حتَّى أَرجعَ إِليهم .

• ورُوي[1] أَنَّ عُمر رضي الله عنه صرَّ أَربعمئة دينارٍ وقال للغلام : اذهبْ بها إِلى أَبي عُبيدة بن الجرّاح ، ثم تربَّص عنده في البيتِ ساعةً حتّى تنظرَ ما يصنعُ بها ، فذهب بها الغلام إِليه ، وقال له : يقولُ لك أَميرُ المؤمنين عُمر بن الخطّاب : اجعلْ هذه في بعض حوائجك ؛ قال : وَصَلَهُ الله وَرَحِمَه ؛ ثم دعا بجاريته وقال لها : اذهبي بهذه السَّبعةِ إِلى فلان ، وبهذه الخمسة إِلى فُلان ، حتَّى انفدَها ، فرجع الغُلام إِلى عمر وأَخبره ، فوجدَه قد أَعدَّ مثلَها لِمُعاذ بن جَبَل ، فقال له : انطلقْ بها إِلى مُعاذ بن جَبَل ، وانظر ما يكون من أَمره ، فمضى إِليه وقال له كما قال لأَبي عُبيدة بن الجرّاح ، ففَعل مُعاذٌ كما فَعَل أَبو عُبيدة ، فرجع الغُلام فأَخبره عُمر ، فقال : إِنَّهم إِخوةٌ ، بعضُهم من بعض ، رضي الله تعالى عنهم أَجمعين .

الفصل الثّاني

في أَحكام أَهل الذِّمَّة

• رُوي[2] عن عبد الرَّحمن بن غَنْم قال : كَتبنا لِعُمر بن الخطّاب رضي الله عنه حين صَالحَ نَصارى أَهل الشَّام .

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

• هذا كتابٌ من نَصارى مدينة[3] كذا إِلى أَمير المؤمنين عُمر بن الخطّاب ،

(١) سراج الملوك (٢/ ٥٣١) ومختصر تاريخ دمشق (٢٤/ ٣٧٧) .

(٢) سراج الملوك (٢/ ٥٤٢) وانظر تاريخ الرقة (٢٤-٢٧) والجليس والأنيس (٣/ ٣١٠) وفتوح البلدان (٢٠٤ و٢٠٧) والروض المعطار (١٧٠) .

(٣) هي مدينة الرُّها بالجزيرة .

إِنَّكم لمّا قَدِمْتُم علينا سَأَلناكُم الأَمانَ لأَنفسنا وذَرارينا وأَموالنا وأَهل مِلَّتنا ، وشَرَطْنا لكم على أَنفسنا أَن لا نُحْدِثَ في مَدائننا ولا فيما حَواليها كنيسةً ولا دَيْراً ولا قَليَّةً ولا صَوْمَعَةَ راهبٍ ، ولا نُجَدِّدُ ما خَرِبَ منها ، ولا ما كان مُخْتَطّاً منها في خُطَط المسلمين في ليلٍ ولا في نَهار ، وأَن نُوَسِّعَ أَبوابَها للمارِّ وابن السَّبيل ، وأَن نُنْزِلَ من مَرَّ بنا من المسلمين ثلاثَ ليالٍ نُطعمهم ، ولا نُؤْوي في كنائسنا ولا في مَنازلنا جاسُوساً ولا نَكْتُمه عن المسلمين ، ولا نُعَلّمُ أَولادنا القُرآن ، ولا نُظهر شَرْعَنا ولا نَدعو إِليه أَحداً ، ولا نَمنعُ أَحداً من ذوي قراباتنا الدُّخولَ في دين الإِسلام إِن أَراده ، وأَن نُوَقِّرَ المسلمين ونقومَ لهم من مَجالسنا إِذا أَرادوا الجلوس ، وأَن لا نَتَشَبَّهَ بالمسلمين في شيءٍ من مَلابسهم من قَلَنْسُوَةٍ ولا عِمامة ولا نَعلين ، ولا نَتكَلَّمَ بكلامهم ، ولا نَتكَنَّى بِكُناهم ، ولا نركبَ في السُّروج ، ولا نتقلَّدَ بالسُّيوف ، ولا نتَّخذَ شيئاً من السِّلاح ولا نَحملَه معنا ، ولا نَنقش على خَواتمنا بالعربيَّة ، ولا نَبيعَ الخَمْر ، وأَن نَجُزَّ مَقادمَ رُؤوسنا ، ونَلْزَمَ زِيَّناً حيثُما كُنّا ، وأَن نَشُدَّ الزُّنَّار على أَوساطنا ، ولا نُظْهِر صُلْبانَنا ولا كُتُبَنا في شيءٍ من أَسواق المسلمين وطُرقهم ، ولا نضربَ بالنَّواقيس في كنائسنا إِلا ضَرْباً خفيفاً ، ولا نرفعَ أَصواتَنا مع موتانا ، ولا نُظْهِرَ النِّيران في شيءٍ من طُرق المسلمين ، ولا أَسواقِهم ، ولا نُجاوِرَهم بموتانا ، ولا نَتَّخِذَ من الرَّقيق ما جَرى عليه سِهامُ المسلمين ، ولا نَتَطَلَّعَ على منازلهم ؛ وقد شَرَطْنا ذلك على أَنفسنا وعلى أَهل مِلَّتِنا ، وقَبِلْنا عليه الأَمان ، فإِن نحنُ خالَفْنا في شيءٍ ممّا شَرَطْناه لكم ، وضَمِنَّاه على أَنفسنا فلا ذِمَّةَ لنا ، وقد حَلَّ بنا ما يحلُّ بأَهل المعاندةِ والشِّقاق .

فكتب إِليه عُمر رضي الله عنه : أَن أَمْضِ ما سأَلوه ، وأَلحقْ فيه حَرفين ، واشْتَرِطْهما عليهم مع ما شَرطوا على أَنفسهم ، أَن لا يشتروا شيئاً من سَبايا المسلمين ، ومَن ضَرَبَ مُسلماً عَمْداً فقد خَلَعَ عَهْدَه .

● ورُوي[1] أَنَّ بني تَغلب دخلوا على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقالوا : يا أَمير المؤمنين ، إِنَّا قومٌ من العرب ، ٱفرضْ لنا ؛ قال : نَصارى؟ قالوا : نَصارى ؛ قال : ادعوا إِليّ حَجّاماً ؛ ففَعلوا ، فَجَزَّ نَواصيَهم وشَقَّ من أَرديتهم حُزَماً يحتزمون بها ، وأَمرهم أَن لا يركبوا بالسُّروج ، وأَن يَركبوا على الأُكُفِ من شِقٍّ وَاحدٍ .

● ورُوي[1] أَنَّ أَميرَ المؤمنين الخليفة جَعفراً المتوكِّل أَقصى اليهودَ والنَّصارى ، ولم يَستعملهم ، وأَذَلَّهم وأَبعدهم ، وخالفَ بين زِيِّهم وزِيِّ المسلمين ، وقَرَّبَ منه أَهل الحقِّ ، وأَبعد عنه أَهل الباطل ، فأَحيا الله به الحقَّ وأَمات به الباطلَ ، فهو يُذكر بذلك ، ويُتَرحَّمُ عليه ما دامت الدُّنيا .

● وكان[2] عُمر بن الخطّاب رضي الله عنه يقول : لا تَستعملوا اليهودَ والنَّصارى ، فإِنَّهم أَهل رِشا في دِينهم ، ولا يحلُّ في دين الله الرِّشا .

● ولمّا[2] استقدمَ عُمر بن الخطاب رضي الله عنه أَبا موسى الأَشعريَّ رضي الله عنه من البصرة ـ وكان عاملاً بها ـ للحِساب ، دخل على عُمر وهو في المسجد فاستأذنَ لكاتبه وكان نَصرانيّاً ، فقال له عمر : قاتَلك الله ـ وضَرب بيده على فَخذِه ـ وَلَّيْتَ ذِمّياً على المسلمين؟ أَما سمعت الله تعالى يقول : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [المائدة : ٥/ ٥١] الآية؟ هلّا اتَّخذت حَنيفياً؟ فقال : يا أَمير المؤمنين ، لي كِتابته وله دينُه ؛ فقال : لا أُكْرِمُهُم إِذ أَهانَهم الله ، ولا أُعِزُّهُم إِذ أَذَلَّهُم الله ، ولا أُدنيهم إِذ أَقصاهم الله .

● وكتب[2] بعضُ العمَّال إِلى عمر رضي الله عنه : إِنَّ العدوَّ قد كَثُرَ ، وإِنَّ الجزيةَ قد كثرَت ، أَفنستعينُ بالأَعاجم؟ فكتب إِليه : إِنَّهم أَعداءُ الله ، وإِنَّهم لنا غَشَشَةٌ ؛ فأَنزلوهم حيثُ أَنزلهم الله .

---

(١) سراج الملوك (٢/ ٥٤٤).
(٢) سراج الملوك (٢/ ٥٤٥).

• ولمّا[1] خرج رسول الله ﷺ إلى بدر لحقَه رجلٌ من المشركين عند الحَرَّة ، فقال : إنِّي أُريدُ أَن أَتبعَك وأُصيبَ معك . قال : أَتؤمنُ بالله ورسوله؟ قال : لا ؛ قال : ارجع ، فلن نستعين بمشرِك ؛ ثم لحقه عند الشجرة فقال : جئتك لأَتبعك وأُصيب معك ؛ قال : أَتؤمنُ بالله ورسوله؟ قال : لا ؛ قال : فارجع ، فلن أَستعين بمشركٍ ؛ ثم لحقَه عند ظهر البَيْداء ، فقال له مثل ذلك ، فقال : نعم ؛ فخرجَ به ، وفرحَ به المسلمون ، وكان له قُوَّةٌ وجَلَدٌ .

• وهذا أَصلٌ عظيمٌ في أَن لا يُستعان بكافرٍ ، هذا وقد خرج ليقاتِل بين يدي النَّبيِّ ﷺ ويُراقَ دَمُهُ ، فكيف استعمالهم على رِقاب المسلمين! .

• وكتب[2] عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه إلى عُمَّاله : أَن لا تُوَلُّوا على أَعمالنا إلا أَهل القُرآن ؛ فكتبوا إليه : إنَّا وَجَدْنا فيهم خِيانةً ؛ فكتبَ إليهم : إن لَمْ يَكنْ في أهلِ القرآنِ خير ، فأَجدرُ أَن لا يكونَ في غيرهم خير .

• قال أَصحابُ الشَّافعيِّ[2] : ويَلزمهم أَن يتَمَيَّزوا في اللّباس عن المسلمين ، وأَن يلبسوا قلانِسَ يُمَيِّزونَها عن قَلانس المسلمين بالحُمرة ، ويَشُدُّون الزَّنانير على أَوساطهم ، ويكونُ في رقابهم خاتمٌ من نُحاسٍ أَو رَصاص أَو جَرس يَدخلون به الحمّام ، وليس لهم أَن يلبسوا العَمائم ولا الطَّيْلسانات .

• وأَمّا المرأَةُ فإنَّها تشدُّ الزِّنّار تحت الإِزار ـ وقيل : فوق الإزار وهو الأولى ـ ويكونُ في عُنقها خاتمٌ تدخلُ به الحمّام ، ويكون أَحَدُ خُفَّيْها أَسودُ والآخرُ أَبيض .

• ولا يركبون الخيلَ ولا البغالَ ، ولا الحميرَ بالأُكُفِ عُرْضاً ، ولا يركبون بالسُّروج ، ولا يَتَصَدَّرون في المجالسِ ولا يُبدؤون بالسَّلام ، ويُلجأون إلى أَضيق الطُّرق ، ويُمنعون أَن يتطاولوا على المسلمين في البناء ، وتجوزُ المساواة ـ وقيل : لا تجوز ـ .

---

(١) سراج الملوك (٢/ ٥٤٦).
(٢) سراج الملوك (٢/ ٥٤٧).

• وإن تَمَلَّكوا داراً عاليةً أُقِرُّوا عليها ، ويُمنعون من إظهار المُنكر كالخَمر والخِنزير والنَّاقوس والجَهْر بالتَّوراة والإنجيل .

• ويُمنعون من المقامِ في أَرض الحجاز وهي مكَّة والمدينة واليَمامة .

• وإن امتنعوا من أَداءِ الجِزْيَة والتزامِ أَحكام أَهل المِلَّة انتقضَ عهدُهم ، وإن زَنى أَحدٌ منهم بمسلمةٍ ، أَو أَصابها بنكاحٍ ، أَو آوى عَيْناً للكُفَّار ، أَو دلَّ على عَورة المسلمين ، أَو فتنَ مُسلماً عن دينه ، أَو قتله ، أَو قطعَ عليه الطَّريق ، تنتقضُ ذِمَّتُه .

• وفي[1] تقدير الجزية اختلافٌ بين العلماء ، فمنهم من قال : إنَّها مُقَدَّرَةُ الأَقَلِّ والأَكثرِ على ما كَتب به عُمر رضي الله عنه إلى عُثمان بن حُنَيْف بالكوفة ، فَوَضَعَ على الغَنيِّ ثمانيةً وأَربعين درهماً وعلى من دونه أَربعةً وعشرين درهماً ، وعلى من دونه اثني عشر درهماً ، وذلك بمحضرٍ من الصَّحابة رضي الله عنهم أَجمعين ، ولم يخالفْه أَحدٌ ، وكان الصَّرْف اثنا عشرَ بدينار ، وهذا مذهبُ أَبي حنيفة وأَحمد بن حنبل ، وأَحدُ قَوْلَي الشّافعي ، ويجوزُ للإمام أَن يزيدَ على ما قَدَّره عمر ، ولا يجوز أَن ينقص عنه .

• ولا جِزْية على النِّساء والمماليك والصِّبيان والمجانين .

• وأمّا الكنائس[2] : فأَمر عُمر بن الخطّاب رضي الله عنه أَن تُهدم كلُّ كنيسةٍ بعد الإسلام ، ومنعَ أَن تجدَّد كنيسةٌ ، وأَمر أَن لا تظهرَ عِلِّيَّةٌ خارجةٌ من كنيسةٍ ولا يظهرَ صليبٌ خارجٌ من كنيسةٍ إلاَّ كُسِرَ على رأس صاحبه .

• وكان عُروة بن محمّد يَهدمُها بصنعاءَ ، وهذا مذهبُ عُلماء المسلمين أَجمعين .

---

(١) سراج الملوك (٢/ ٥٤٨).
(٢) سراج الملوك (٢/ ٥٥٠).

- وشدَّد في ذلك عمر بن عبد العزيز ، وأَمر أَن لا يتركَ في دار الإسلام بِيْعَةٌ ولا كنيسةٌ بحالٍ قديمةٍ ولا حديثة .

- والله تعالى أَعلم بالصَّواب ، وإِليه المرجعُ والمآب ، وحسبُنا الله ونعمَ الوكيل ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم .

* * *

الباب الثّاني والعشرون

في اصطناع المعروف ، وإغاثة الملهوف وقضاء حوائج المسلمين ، وإدخال السرور عليهم

• قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ [البقرة : ٢/ ٢٣٧] .

• وقال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة : ٥/ ٢] .

• وقال رسول الله ﷺ : « مَن مَشى في عَون أَخيه ومَنفعته ، فَلهُ ثوابُ المجاهدين في سبيلِ الله » .

• وعن أَنس[١] رضي الله عنه ، أَنَّ النبيَّ ﷺ قال : « الخَلْقُ كُلُّهم عِيالُ الله ، فأَحبُّ خَلْقِهِ إِليه أَنْفَعُهُم لعياله » . رواه البزَّار والطَّبراني في « معجمه » .

ومعنى « عيالُ الله » : فُقراء الله تعالى ، والخَلْقُ كلُّهم فقراء الله ِتعالى ، وهو يَعُولُهم .

• وروينا في « مُسند الشِّهاب » عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال : « خَيْرُ النَّاس أَنفعُهم للنَّاس » .

• وعن[٢] كثير بن عُبيد بن عمرو بن عَوف المُزَنيّ ، عن أَبيه ، عن جدِّه رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ للهِ خَلْقاً خَلَقَهُم لِقضاءِ حوائجِ النَّاس ، آلى على نفسه أَن لا يُعذِّبهم بالنَّار ، فإِذا كانَ يومُ القيامةِ وُضِعَتْ لهم مَنابرُ من نُورٍ يُحَدِّثون الله تعالى والنَّاسُ في الحساب » .

---

(١) العقد الفريد (١/ ٢٢٥) .

(٢) مثله في التذكرة الحمدونية (٨/ ١٥٢) وبهجة المجالس (١/ ٣١٩) .

• وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من سَعى لأَخيه المسلم في حاجةٍ ، فَقُضيت له أَو لم تُقْضَ ، غَفَرَ الله له ما تَقَدَّم من ذَنْبه وما تأخَّر ، وكُتِبَ له برَاءتان براءةٌ من النَّار وبراءةٌ من النِّفاق » .

• وعن نافع[1] ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن قضى لأَخيه المسلم حاجةً كنتُ واقفاً عند ميزانه ؛ فإِن رجحَ وإِلاَّ شفعتُ له » . رواه أَبو نُعيم في « الحلية » .

• ورَوينا في «مكارم الأخلاق» لأَبي بكر الخرائِطيّ ، عن أَنس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن مَشى في حاجةِ أَخيه المُسلم ، كتبَ الله له بكلِّ خُطوةٍ سَبعين حسنةً وكَفَّر عنه سبعين سيِّئةً ، فإِن قُضيتْ حاجَتُهُ على يديه خَرجَ من ذُنوبه كيومِ ولدَتْهُ أُمُّه ، فإِن ماتَ في خِلال ذلكَ دَخَلَ الجنَّة بغير حِساب» .

• وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال[2] : قال رسول الله ﷺ : « مَن مَشى مع أَخيه في حاجةٍ فناصَحَه فيها ، جَعلَ الله بينَه وبينَ النَّار سبعة خنادق ، ما بين الخندق والخندق كما بين السَّماء والأَرض » . رواهُ أَبو نُعيم وابنُ أَبي الدُّنيا .

• وعن عبد الله بن عُمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ للهِ عندَ أقوام نِعَماً ، يُقِرُّها عِنْدَهم ما داموا في حَوائج الناس ما لم يَمَلُّوا ، فإِذا مَلُّوا نَقَلَها الله إِلى غيرهم » رواه الطَّبراني .

• وَروينا من طريق الطَّبراني بإسنادٍ جيِّدٍ ، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما ، قال[3] : قال رسول الله ﷺ : « ما مِن عبدٍ أَنعمَ الله عليه نِعمةً ، فأَسبغَها عليه ثم جعلَ حوائج النَّاس إِليه ، فَتَبَرَّمَ ، فقد عَرَّضَ تِلكَ النِّعمةَ لِلزَّوال » .

• وعن أَنس بن مالكٍ رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن أَغاثَ ملهوفاً ، كتبَ الله له ثلاثاً وسبعين حسنةً ، واحدةٌ منها يُصْلِحُ بها آخِرَتَهُ

---

(١) حلية الأولياء (٦/ ٣٥٣).
(٢) حلية الأولياء (٨/ ٢٠٠).
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٥٥٨).

ودُنياه ، والباقي في الدَّرجات » .

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أتدرون ما يقول الأَسَدُ في زئيره؟** قالوا : الله ورسولُه أعلم ؛ قال : **يقولُ : اللَّهمَّ لا تُسَلِّطني على أَحدٍ من أَهل المعروف**» . رواه أبو منصور الدَّيلميّ في « مسند الفردوس» .

● وعن ابن عُمر رضي الله عنهما ، قال : قيل : يا رسول الله ، أَيُّ الناس أَحبُّ إليك؟ قال : « أَنفعُ النَّاس لِلنَّاس » قيل : يا رسول الله ، فأَيُّ الأَعمال أَفضلُ؟ قال : « إدخالُ السُّرور على المؤمن » قيل : وما سُرور المؤمن؟ قال : « إشباعُ جَوْعَتِهِ ، وتنفيسُ كُرْبَته ، وقَضاءُ دَيْنه ؛ ومَن مَشى مع أخيه في حاجةٍ كان كصيام شهر واعتكافه ، ومن مشى مع مَظلوم يُعينه ثَبَّت الله قَدَمَهُ يومَ تَزِلُّ الأقدامُ ، ومَن كَفَّ غَضَبَه ستر الله عورته ، وإنَّ الخُلُقَ السَّيِّيءَ يُفْسِدُ العملَ كما يُفسدُ الخَلُّ العَسَلَ » .

● وعن أَنس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن لقيَ أَخاهُ المسلمَ بما يحبُّ لِيَسُرَّهُ بذلك ، سَرَّهُ الله يوم القيامة » . رواه الطَّبراني في « الصَّغير » بإسنادٍ حسن .

● ورُوي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَن أَدخَل على أَهل بيتٍ من المسلمين سُروراً لم يرضَ الله له سُروراً دونَ الجنَّة». رواه الطَّبرانيّ.

● وعن جعفر بن محمَّد ، عن أَبيه ، عن جدِّه رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أدخلَ رجلٌ على المؤمنِ سُروراً إلاَّ خَلَقَ الله من ذلك السُّرور مَلَكاً يعبدُ الله تعالى ويُوَحِّدُهُ ، فإذا صار العَبْدُ في قَبره أَتاه ذلك السُّرور ، فيقولُ له : أَما تعرفني؟ فيقولُ له : مَن أَنت؟ فيقولُ : أَنا السُّرور الَّذي أَدخلتني على فُلان ، أَنا اليومَ أُؤانسُ وَحْشَتَكَ ، وأُلَقِّنُكَ حُجَّتَك ، وَأُثَبِّتُكَ بالقَوْلِ الثَّابت ، وأَشهد مَشاهدك يوم القيامة ، وأَشفعُ لك إلى رَبِّك ، وأُريكَ مَنزلكَ في الجنَّة » رواه ابن أَبي الدنيا .

● وعن[1] عليّ بن أَبي طالبٍ رضي الله عنه ، يرفعُه : « إذا أَراد أَحدُكم الحاجةَ فَلْيُبَكِّرْ لها يومَ الخميس ، ولْيقرأ إذا خرجَ من مَنزله آخر سُورة آل عِمران ، وآية الكُرسي ، و﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر : ٩٧/ ١] وأُمَّ الكتاب ، فإِنَّ فيها حوائجَ الدُّنيا والآخرة » وهو حديثٌ مرفوعٌ .

● ومن[2] كلام الحُكماء : إذا سأَلتَ كَريماً حاجةً فَدَعْهُ يُفَكِّر ، فإنّه لا يُفكّر إلاّ في خَير ، وإذا سأَلت لئيماً حاجةً فعاجِلْهُ ، لِئَلاَّ يشيرَ عليه طَبْعُهُ أن لا يفعلَ .

● وسأل[3] رجلٌ رجلاً حاجةً ، ثم تَوانى عن طَلبها ، فقال له المسؤولُ : أَنِمْتُ عن حاجَتك؟ فقال : ما نامَ عن حاجَتِهِ من أَسْهَرَك لها ، ولا عَدل بها عن مَحَجَّةِ النُّجحِ مَن قَصَدَك بها ؛ فَعجب من فَصاحته وقضى حاجته ، وأَمر له بمالٍ جزيلٍ .

● وقال[4] مَسْلَمَةُ لِنُصَيْبٍ : سَلْني ؛ فقال : كَفُّكَ بالعَطِيَّة أَبْسَطُ من لِساني بالمسأَلة ؛ فأَمر له بأَلف دينار .

● وقال[5] عليُّ بن أَبي طالبٍ كرَّم الله وَجهه : فَوْتُ الحاجةِ أَهونُ من طَلَبِها إلى غيرِ أَهلها .

● وعنه أَيضاً قال[6] : لا تُكْثِرْ على أَخيك بالحوائج ، فإِنَّ العِجْلَ إذا أَفرطَ في مَصِّ ثَدْيِ أُمِّه نَطَحَتْهُ .

● وقال[7] ذو الرِّئاستين لِثُمامة بن أَشرس : ما أَدري ما أَصنعُ بكثرةِ الطُّلاَّبِ؟ فقال : زِلْ عن مَوضعك ، وعليَّ أَن لا يَلقاكَ منهم أحدٌ ؛ فقال له : صدقتَ ؛ وجلسَ لهم في قَضاءِ حَوائجهم .

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٣٢٤) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١٥٢) .
(٢) التذكرة الحمدونية (٨/ ١٥٣) .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٣٠٢) .
(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٣٠٧) .
(٥) ربيع الأبرار (٣/ ٣٢٠) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١٥٣) .
(٦) في ربيع الأبرار (٣/ ٣٠٥) لفيلسوف وفي (٣٢٠) لعليّ .
(٧) التذكرة الحمدونية (٨/ ١٥٤) .

• وحدَّث[1] أَبو جعفر محمّد بن القاسم الكَرْخي ، قال : عَرَضْتُ على أَبي الحسن عليّ بن محمّد بن الفُرات رُقعةً في حاجةٍ لي ، فقرأَها ووضَعها من يَده ، ولم يُوَقِّع فيها بشيءٍ ، فأَخذتها وقُمتُ وأَنا أَقول مُتَمثِّلاً ـ من حيث يَسمعُ ـ هذين البيتين : [من الكامل]

وإذا خَطَبْتَ إِلى كَريمٍ حاجَةً ... وأَبى فَلا تَقْعُدْ عليهِ بِحاجِبِ
فَلَرُبَّما مَنَعَ الكَريمُ وَما بِهِ ... بُخْلٌ وَلكنْ سُوءُ حَظِّ الطَّالِبِ

فقال : وقد سمعَ ما قلتُ : ارجعْ يا أَبا جعفر ، بغير « سُوء حظِّ الطالب » ولكنْ إِذا سأَلتمونا الحاجةَ فعاوِدُونا ، فإِنَّ القلوبَ بيد الله تعالى ؛ فأَخذ الرُّقْعَةَ ووَقَّع فيها بما أَردتُ .

• وسأَل[2] إسحقُ بنُ أبي رِبعيٍّ ، إسحقَ بنَ إبراهيم المُصْعَبيّ أَن يُوصلَ له رقعةً إلى المأمون ، فقال لكاتبه : ضُمَّها إلى رُقعة فلانٍ ، فقال : [من الوافر]

تَأَنَّ لِحاجَتي واشْدُدْ عُراها ... فَقَدْ أَضْحَتْ بِمَنْزِلَةِ الضَّياعِ
إذا شارَكْتَها بِلِبانِ أُخرى ... أَضَرَّ بِها مُشارَكَةُ الرَّضاعِ

• وقال أَبو ذُفافة البَصري[3] : [من الكامل]

أَضْحَتْ حَوائِجُنا إِليكَ مُناخَةً ... مَعْقولَةً بِرجائكَ الوَصَّالِ
أَطْلِقْ فَدَيْتُكَ بالنَّجاح عِقالَها ... حتَّى تَثُورَ مَعاً بِغَيْرِ عِقالِ

• وَقال سَلْمُ الخاسِر[4] : [من المتقارب]

---

(١) التذكرة الحمدونية (٨/ ١٥٥).
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٣٢٤) ، وفي التذكرة الحمدونية (٨/ ١٥٩) وأمالي القالي (٢/ ٧٥) : رفع طريح بن إسماعيل الثقفي حاجةً إلى كاتب داود بن علي فقال طريح : (البيتين). والبيتان في بهجة المجالس (١/ ٣٢٣) بلا نسبة.
(٣) البيتان له في ربيع الأبرار (٣/ ٣٢٥).
(٤) ديوانه (١١٢) (ضمن شعراء عباسيون) وربيع الأبرار (٣/ ٣٢٦).

إِذا أَذِنَ اللهُ فـــي حـــاجَـــةٍ   أَتـــاكَ النَّجـــاحُ علـــى رِسْلِـــهِ
فَـلا تَسْـأَلِ النَّـاسَ مِـن فَضْلِهِـمْ   وَلَكِـــنْ سَـــلِ اللهَ مِـــنْ فَضْلـــهِ

● ولله دَرُّ القائلِ حيثُ قال[1] : [من الخفيف]

أَيُّهـــا المـــادِحُ العِبـــادَ لِيُعْطَـــى   إِنَّ للهِ مـــا بِـــأَيْـــدِي العِبـــادِ
فـــاسْـــأَلِ اللهَ مـــا طَلَبـــتَ إِلَيْهِـــمْ   وٱرْجُ فَـــرْضَ المُقسِّـــمِ العَـــوَّادِ[2]

● وعن عبد الله بن الحسن بن الحسن رضي الله عنهم قال[3] : أَتيتُ بابَ عمر ابن عبد العزيز في حاجةٍ ، فقال : إِذا كانت لك حاجةٌ إِليَّ ، فأَرسل إِليَّ رسولاً ، أَو ٱكتبْ لي كتاباً ، فإِنِّي لأَسْتَحْيي من الله أَنْ يَراكَ ببابي .

● وعن عليّ بن أَبي طالبٍ رضي الله عنه ، أَنَّه قال[4] : والَّذي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصواتَ ، ما من أَحدٍ أَودع قلباً سُروراً إِلاَّ خلق الله تعالى من ذلك السُّرور لُطْفاً ، فإِذا نزلت به نائبةٌ جَرى إِليها كالماء في انحداره ، حتى يطردَها عنه كما تُطردُ غريبةُ الإِبل .

● وقال[5] لجابر بن عبد الله الأَنصاري رضي الله عنهما : يا جابرُ ، مَن كَثُرت نِعَمُ الله عليه كَثُرَتْ حَوائجُ النَّاس إِليه ، فإِن قامَ بما يجبُ لله فيها عَرَّضها للدَّوام والبقاء ، وإِن لم يقم فيها بما يجبُ لله عرَّضَها للزَّوال .

● نعوذُ بالله من زوال النِّعمة ، ونسأَله التَّوفيق والعِصْمَة ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً دائماً أبداً إلى يوم الدين ، والحمدُ لله ربِّ العالمين .

---

(١) هما لعمران بن حطان في ربيع الأبرار (٣/ ٣٢٨) وشعر الخوارج (٢٠).
(٢) في أ ، ط : × . . . الجوَّاد. وهو قافية بيت ثالث في شعر الخوارج ، والمثبت من ب.
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٣٣٨) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٠٦).
(٤) من وصية لكميل بن زياد في ربيع الأبرار (٣/ ٣٣٠).
(٥) ربيع الأبرار (٣/ ٣٣١).

الباب الثّالث والعشرون

في محاسن الأخلاق ومساوئها

• قال[1] الله تعالى لنبيّه ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ [القلم : ٦٨/ ٤] .

• فخص الله تعالى نبيّه ﷺ من كريمِ الطِّباع ومَحاسن الأَخلاق ، من الحياء والكَرم والصَّفح وحُسن العَهد بما لم يُؤْتِهِ غيرَه ، ثم ما أَثنى الله تعالى عليه بشيءٍ من فضائله بمثل ما أثنى عليه بحُسن الخُلُق ، فقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

• قالت[2] عائشة رضي الله عنها : كان خُلُقه القرآن ، يغضبُ لِغَضبه ويَرضى لِرضاه .

• وكان[3] الحسنُ رضي الله عنه إذا ذُكر رسول الله ﷺ قال : أَكْرَمُ وَلَدِ آدم على الله عزَّ وجَلَّ ، أَعظمُ الأَنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام مَنزلةً عند الله .

أُتي بمفاتيح الدُّنيا فاختار ما عند الله تعالى ، وكان يأكلُ على الأَرض ، ويجلسُ على الأَرض ، ويقول : « إنَّما أَنا عبدٌ ، آكلُ كما يأكلُ العبد ، وأَجلسُ كما يجلس العبد » ولا يأكلُ مُتّكئاً ولا على خِوانٍ ، وكان يأكلُ خبزَ الشَّعير غيرَ مَنخولٍ ، وكان يأكل القِثّاء بالرُّطَب ويقول : « بَرْدُ هذا يُطفىءُ حَرَّ هذا » وكان أَحبَّ الطَّعامِ إليه اللَّحمُ ، ويقول : « هذا يزيدُ في السَّمع ، ولو

---

(١) عن سراج الملوك (٢/ ٥٧٤).
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٣١٧).
(٣) التذكرة الحمدونية (٢/ ١٧٦).

سأَلتُ ربِّي أن يطعمنيه كلَّ يوم لفعل » وكان يحبُّ الدُّبَّاء ، ويقول : « يا عائشة إذا طبختم قِدْراً ، فأكثروا فيه من الدُّبَّاء ، فإنَّها تشدُّ قلبَ الحزين » وكانَ يقول : « إذا طبختم الدُّبَّاء فأكثروا من مرقها » .

وكان يكتحلُ بالإثمد ، ولا يفارقهُ في سَفَره قارورةُ الدُّهْنِ والكُحْلُ والمرآةُ والمشطُ والإبرةُ ، يخيطُ ثوبَه بيده .

وكان يضحكُ من غير قهقهة ، ويَرى اللَّعبَ المباح ولا يُنكره .

وكان يسابقُ أَهله ؛ قالت عائشة رضي الله عنها ، سابقتُه فسبقته ، فلما كثُرَ لحمي سابقتهُ فسبقني ، فضرب بكتفي وقال : « هذه بتلك » .

وكان له عَبيدٌ وإِماءٌ، لا يرتفعُ على أَحدٍ منهم في مأكل ولا مَشرب ولا مَلبس.

وهو أُميٌّ لا يقرأُ ولا يكتبُ ، نشأَ في بلاد الجهل والصَّحارى يتيماً لا أَبَ له ولا أُمّ ، فعلَّمه الله تعالى جميعَ محاسن الأَخلاقِ .

وكان أفصحَ النَّاس مَنطقاً وأَحلاهم كلاماً، وكان يقول: «أَنا أَفصحُ العرب».

• وقال أَنس رضي الله عنه : والَّذي بعثَه بالحق نبيّاً ما قال لي في شيءٍ قطُّ كرهه : لم فَعلته؟ ولا في شيءٍ لم أَفعله : لم لا فعلته؟ ولا لامني أَحدٌ من أَهله إلاَّ قال : « دَعُوه ، إِنَّما كان هذا بقضاءٍ وقدر » .

• وقال بعضُ مشايخنا رحمهم الله تعالى : لا مانعَ من أَنَّ النبيَّ ﷺ إذا هَضَمَ نفسَه وتَواضعَ ، لا يمنعُ من المرتبة الَّتي هي أَعلى مرتبة من العبوديَّة ؛ فالنَّبيُّ ﷺ أَعطاه الله تعالى مرتبةَ الملِك مع كونه عَبْداً له مُتواضعاً ، فحاز المرتبتين ، مرتبةَ العبُوديَّة ومرتبة المُلكيَّة ، ومع ذلك كان يلبسُ المُرَقَّعَ والصُّوف ، ويرقَعُ ثَوبه ، ويخصِف نعله ، ويركبُ الحمار بلا إكافٍ ويُردف خَلْفَهُ ، ويأكل الخشنَ من الطَّعام ، وما شبعَ قطُّ من خُبْزِ بُرٍّ ثلاثة أَيَّام متواليةً حتى لقيَ الله تعالى .

من دعاه لبَّاه ، ومن صافحه لم يرفع يدَه حتى يكون هو الذي يرفعها .

يعودُ المريضَ ، ويتبعُ الجنائز ، ويجالسُ الفقراء .

أعظمُ الناس من الله مخافةً ، وأتعبهم لله عزَّ وجلَّ بدناً ، وأَجَدُّهم في أَمر الله ، لا تأخذهُ في الله لَوْمَةُ لائمٍ ، قد غُفر له ما تقدَّم من ذَنبه وما تأَخَّر ؛ أَما والله ما كان تُغْلَقُ من دونِه الأَبواب ، ولا كان دُونه حجابٌ ﷺ .

● وقالت[1] عائشة رضي الله عنها : ما ضربَ رسول الله ﷺ امرأةً قطُّ ولا خادِماً له ، ولا ضربَ بيده شيئاً إلاَّ أَن يجاهدَ في سبيل الله ، ولا خُيِّرَ بين أَمرين إلاَّ اختارَ أَيسرَهما ، إلاَّ أن يكون إثماً أو قطيعةَ رحمٍ فيكونُ أَبعدُ النَّاسِ منه .

● وقال[2] إبراهيم بن عبَّاس : لو وُزِنَت كلمةُ رسول الله ﷺ بمحاسنِ النَّاس لرجَحَت ، وهي قولُه عليه الصَّلاة والسَّلام : «إنَّكم لن تسعوا الناس بأَموالِكم فَسعوهم بأَخلاقكم» . وفي رواية أُخرى : «فَسَعوهم بِبَسْطِ الوَجْهِ والخُلُقِ الحَسَن» .

● وعنه[3] ﷺ : « حُسْنُ الخُلُقِ زِمامٌ من رحمة الله تعالى في أنف صاحبه ، والزِّمامُ بيد المَلَكِ ، والمَلَكُ يجرُّه إلى الخير ، والخيرُ يجرُّه إلى الجنَّة ، وسُوء الخُلُق زِمامٌ من عذاب الله تعالى في أَنف صاحبه ، والزِّمام بيدِ الشَّيطان ، والشَّيطانُ يجرُّه إلى الشَّرِّ ، والشَّرُّ يجرُّه إلى النار » .

● وقال بعضُ السَّلف[4] : الحَسَنُ الخُلُقِ ذو قرابةٍ عند الأَجانب ، والسَّيِّءُ الخُلُقِ أَجنبيٌ عِند أَهله .

● وقال الفُضيل[5] : لأَن يَصحَبني فاجرٌ حَسَنُ الخُلُقِ أَحَبُّ إِليَّ من أَن يصحبَني عابدٌ سَيِّءُ الخُلُقِ ، لأَنَّ الفاجرَ إذا حَسُنَ خُلُقُهُ خفَّ على النَّاس وأَحبُّوه ، والعابِدُ إِذا ساءَ خُلُقُهُ مَقَتوه .

---

(١) التذكرة الحمدونية (٢/ ١٧٧) .

(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٢٧٩) والتذكرة الحمدونية (٢/ ١٧٤) .

(٣) ربيع الأبرار (٢/ ٢٧٩) .

(٤) ربيع الأبرار (٢/ ٢٨٠) وأسرار الحكماء (٧٨) وفيه تخريج وافٍ .

(٥) ربيع الأبرار (٢/ ٢٨٢) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٢٢٧) .

● بيتٌ مُفردٌ[1] : [من الوافر]

إذا رامَ التَّخلُّقَ جاذَبَتْهُ خلائِقُهُ إلى الطَّبْعِ القديمِ

● قيل : أبى الله لِسَيِّءِ الخُلُقِ التَّوبةَ ، لأنَّه لا يَخرجُ من ذَنْبٍ إلاَّ دخلَ في ذَنبٍ آخرَ لسوءِ خُلقه .

● وعن[2] عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا بَلغه عن الرَّجل شيءٌ لم يقل : ما بالُ فلان ، ولكن يقول : « ما بالُ أقوامٍ يقولون » حتى لا يفضحَ أحداً .

● وعنه ﷺ : « ما شيءٌ في الميزان أثقلَ من حُسن الخُلق » .

● وعنه أيضاً ﷺ قال : « ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه كُنَّ له ؛ مَن صَدَقَ لِسانُه زكا عملُه ، ومَن حَسُنَتْ نِيَّتُه زيدَ في رزقه ، ومَن حَسُنَ بِرُّه لأَهل بيته زيدَ له في عُمره » ثم قال : « وحُسْنُ الخُلقِ وكَفُّ الأَذى يزيدان في الرِّزق » .

● وقيل : سُوءُ الخُلُق يُعدي ، لأَنَّه يدعو إلى أَن يقابَلَ بمثله .

● وكتبَ[3] الحسنُ بن عليٍّ إلى أخيه الحسين رضي الله عنهم في إعطائه الشُّعراء ، فكتبَ إليه الحسينُ : أَنت أَعلمُ منِّي بأَنَّ خيرَ المال ما وُقِيَ به العِرْضُ .

فانظرْ إلى شرفِ أَدبه ، وحُسن خُلقه كيف ابتدأَ كتابَه بأَنت أَعلمُ منِّي .

● وكان[4] بينه وبين أَخيه كلامٌ ، فقيل له : ادخلْ على أَخيك ، فهو أكبرُ منك ، فقال : إنِّي سمعتُ جدِّي رسول الله ﷺ يقول : « أَيُّما اثنين جَرى بينهما كلامٌ ، فطلبَ أَحدُهما رضا الآخر كان سابقَه إلى الجنَّة » وأَنا أَكرهُ أَن أَسبقَ أَخي الأَكبر إلى الجنَّة ؛ فبلغ ذلك الحسنَ ، فجاءه عاجِلاً رضي الله عنهما .

---

(١) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٢/ ٢٨٠).
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٢٨٠) والتذكرة الحمدونية (١٧٥/٢).
(٣) التذكرة الحمدونية (٢/ ١٨٦) ونثر الدر (١/ ٣٣٥).
(٤) التذكرة الحمدونية (٢/ ١٨٧) ونثر الدر (١/ ٣٣٧).

• وأنشد في المعنى[1] : [من الطويل]

وإنِّـي لألْقـى المـرءَ أَعْلَـمُ أنَّـهُ ... عَـدُوٌّ وفـي أحشـائِهِ الضِّغْنُ كـامِنُ
فـأَمْنَحُـهُ بِشْـراً فيَـرْجِـعُ قَلْبُـهُ ... سَليماً وَقَدْ ماتَتْ لَدَيْهِ الضَّغائِنُ

• وسرق[2] بعضُ حاشية جَعفر بن سُليمان جوهرةً نفسيةً ، وباعَها بمالٍ جزيلٍ ، فأنفذَ إلى الجوهريِّين بِصفَتها ، فقالوا : باعها فلانٌ من مُدَّة ، ثم إنَّ ذلك الرَّجلَ الَّذي سَرقها قُبض عليه وأُحضر بين يدي جعفر ، فلمَّا رأى ما ظهرَ عليه قال له : أَراكَ قد تغيَّر لونُك! أَلستَ يومَ كذا طلبتَ منِّي هذه الجوهرةَ فوهبتُها لك؟ وأُقسمُ باللهِ لقد أُنسيتُ هذا ؛ ثم أَمر للجوهريِّ بثَمنها ، وقال للرَّجل : خُذْها الآن حلالاً طيِّباً ، وبعها بالثَّمن الَّذي يطيبُ خاطِرُك به ، لا تبع بَيْعَ خائفٍ .

• ودخل[3] محمّد بن عبّاد على المأمون ، فجعلَ يُعَمِّمُه بيده ، وجاريةٌ على رأسه تتبسَّمُ ، فقال لها المأمون : مِمَّ تضحكين؟ فقال ابن عبَّاد : أَنا أُخبرك يا أمير المؤمنين ، تتعجَّب من قُبحي وإكرامك إيَّاي ؛ فقال : لا تَعجبي ، فإنَّ تحتَ هذه العمامةِ كَرَماً ومَجْداً .

• قال الشاعر[4] : [من الطويل]

وَهَلْ يَنْفَعُ الفِتْيانَ حُسْنُ وُجُوهِهِمْ ... إذا كـانَـتِ الأَعْـراضُ غَيْـرَ حِسـانِ
فَلا تَجْعَلِ الحُسْنَ الدَّليلَ على الفتى ... فما كُـلُّ مَصْقُـولِ الحـديـدِ يَمـانـي

• وحُكي[5] أَنَّ بَهرام الملك خرجَ يوماً للصَّيد ، فانفردَ عن أَصحابه ، فرأى

---

(١) بلا نسبة في التذكرة الحمدونية (٢/ ١٨٨).
(٢) التذكرة الحمدونية (٢/ ١٩٤) والبصائر والذخائر (٦/ ١٧٢).
(٣) ربيع الأبرار (٢/ ٢٥٢) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٢٢٦).
(٤) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٢/ ٢٥٢) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٢٢٦).
(٥) التاج المنسوب للجاحظ (١٨٣) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٢٣٤) والمحاسن والمساوىء (٢/ ٢٤٠) وأسرار الحكماء (٦١) وفيه تخريج واف.

صيداً ، فتبعَه طامِعاً في لحاقِهِ حتَّى بعدَ عن عَسكره ، فنظرَ إلى راعٍ تحت شجرةٍ ، فنزلَ عن فرسه ليبولَ ، وقال للرَّاعي : احفظْ عليَّ فَرسي حتَّى أبول ؛ فعمدَ الراعي إلى العنانِ وكان مُلْبَساً ذَهباً كثيراً ، فاستغفلَ بهرامَ وأخرج سِكِّيناً ، فقطعَ أطراف اللِّجامِ وأخذ الذَّهب الَّذي عليه ، فرفع بهرامُ نَظَرَهُ إليه ، فرآه ، فَغَضَّ بَصَرَهُ وأَطرق برأسه إلى الأَرض ، وأطال الجلوسَ حتَّى أخذَ الرَّجلُ حاجته ، ثم قام بهرامُ ، فوضعَ يده على عَينيه ، وقال للرَّاعي : قَدِّم إليَّ فَرسي ، فإنَّه قد دخلَ في عيني مِن سافي الرِّيح ، فلا أَقدرُ على فَتحهما ؛ فقدَّمه إليه ، فركبَ وسار إلى أن وصلَ إلى عسكره ، فقال لصاحبِ مَراكبه : إنَّ أَطرافَ اللِّجام قد وهبتُها ، فلا تَتَّهِمنَّ بها أحداً .

● وذُكر[1] أن أنو شروان وَضع الموائدَ للنَّاس في يوم نَوروزٍ وجلس ، ودخل وُجوهُ أَهل مملكته في الإيوان ، فلمَّا فَرغوا من الطَّعام جاؤوا بالشَّراب ، وأُحضرت الفواكهُ والمَشموم في آنية الذَّهب والفِضَّة ، فلمَّا رُفعت آنيةُ المجلسِ أَخذَ بعضُ مَن حضر جامَ ذهبٍ وَزْنُهُ أَلفُ مِثقالٍ وخَبَّأَهُ تحتَ ثيابه ، وأَنو شروان يراه ، فلمَّا فَقده الشَّرابيُّ صاحَ بصوتٍ عالٍ ، لا يخرجَنَّ أَحدٌ حتَّى يُفَتَّشَ ؛ فقال كسرى : ولِمَ؟ فأَخبره بالقضيَّة ، فقال : قد أَخذه من لا يردُّه ، ورآه من لا يَنمُّ عليه ، فلا تُفَتِّشْ أَحداً ؛ فأَخذَ الرَّجلُ الجامَ ومضَى فكسرَه ، وصاغَ منه منطقةً وحِلْيَةً لسيفِه ، وجدَّدَ له كسوةً جميلةً ؛ فلمَّا كان في مثل ذلك اليوم جلس الملِك ودخلَ ذلك الرَّجل بتلك الحِلْيَة ، فدعاه كسرى ، وقال له : هذا من ذاك؟ فقبَّل الأرض ، وقال : نعم ، أصلحكَ الله .

● وقال عبد الله بن طاهر[2] : كُنَّا عند المأمون يوماً ، فنادى بالخادم : يا غُلام ؛

---

(١) التاج (١٨٤) عيون الأخبار (١/ ٣٣٩) والبصائر والذخائر (٩/ ١٠٣) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٢٣٤-٢٣٥) والمحاسن والمساوىء (٢/ ٢٤١).

(٢) التذكرة الحمدونية (٢/ ٢٤٠) وتمام المتون (٩١).

فلم يُجبه أَحدٌ ، ثم نادى ثانياً ، وصاح : يا غُلام ؛ فدخل غلامٌ تُركيٌّ وهو يقول : ما يَنبغي للغلامِ أَن يأكلَ ولا يشربَ ؟ كلَّما خرجنا من عندك تصيحُ : يا غُلام يا غُلام ، إلى كم يا غُلام؟ فنكس المأمونُ رأسهُ طويلاً ، فما شككتُ أَنَّه يأمرني بضرب عنقه ، ثم نظرَ إليَّ فقال : يا عبدَ الله ، إنَّ الرَّجلَ إذا حَسُنَتْ أَخلاقُه ساءَت أخلاقُ خَدَمه ، وإذا ساءت أَخلاقُه حَسُنَتْ أَخلاقُ خَدمه ، وإنَّا لا نَستطيعُ أَن نُسيءَ أَخلاقَنا لِنُحَسِّنَ أَخلاقَ خَدَمنا .

● وقال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما[١] : وردَ علينا الوليدُ بن عُتبة بن أَبي سفيان المدينة والياً ، وكأَنَّ وجهه ورقةٌ من ورق المُصحف ، فوالله ما ترك فينا فقيراً إلاَّ أَغناه ، ولا مَديوناً إلاَّ أَدَّى عنه دَينه ، وكان ينظرُ إلينا بعينٍ أَرقَّ من الماء ، ويكلِّمُنا بكلامٍ أَحلى من الجَنى ؛ ولقد شهدتُ منه مشهداً لو كان من مُعاوية لذكرتُه ؛ تغدَّينا يوماً عنده ، فأقبل الفرَّاش بِصَحْفَةٍ ، فعثرَ في وِسادةٍ ، فوقعت الصَّحفةُ من يده ، فوالله ما ردَّها إلاَّ ذقنُ الوليد ، وانكبَّ جميعُ ما فيها في حِجْرِهِ ، فبقيَ الغلامُ متمثِّلاً واقفاً ما معه من روحه إلاَّ ما يُقيم رِجليهِ ، فقام الوليد فدخلَ ، فغيَّر ثيابه ، وأَقبل علينا تبرقُ أَسارير جَبهتِهِ ، فأَقبلَ على الفرَّاش وقال : يا بائس ، ما أرانا إلاَّ رَوَّعناك ، اذهب ، فأَنت وأَولادُك أَحرارٌ لوجه الله تعالى .

● ومرض[٢] أحمد بن أبي دُواد ، فعادَه المعتصم ، وقال : نَذَرْتُ إن عافاك الله تعالى أَن أَتصدَّق بعشرة آلاف دينار ؛ فقال أحمد : يا أَمير المؤمنين ، فاجعلْها في أَهل الحرَمين ، فقد لَقوا من غلاءِ الأَسعار شِدَّةً ؛ فقال : نَويت أَن أَتصدَّق بها على مَن ههنا ، وأُطلقَ لأَهل الحرمين مِثلها ؛ فقال أحمد : أَمتع الله الإسلام وأَهله بك يا أَمير المؤمنين ، فإنك كما قال

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٢٨١) والتذكرة الحمدونية (٢/ ١٩٨).
(٢) التذكرة الحمدونية (٢/ ٢٤٢).

النَّمَريّ لأَبيك الرَّشيد رحمةُ الله تعالى عليه[1] : [من البسيط]

إنَّ المكـــارِمَ والمَعْـــروفَ أَوْدِيَـــةٌ ... أَحَلَّـــكَ اللهُ مِنْهـــا حَيْـــثُ تَجْتَمِـــعُ

مَـــنْ لَـــمْ يَكُـــنْ بِـــأَمينِ اللهِ مُعْتَصِمـــاً ... فَلَيْـــسَ بـــالصَّلـــواتِ الخَمْـــسِ يَنْتَفِـــعُ

• **وقيل**[2] للأَحنف بن قَيس : مِمَّن تعلَّمتَ حُسن الخُلق؟ فقال : من قيس بن عاصم ، بينما هو ذات يوم جالسٌ في داره إذ جاءته خادمٌ له بِسَفُّودٍ عليه شِواءٌ حارٌّ ، فَنَزَعَتْ السَّفُّودَ من اللَّحم وأَلقته خَلْفَ ظَهرها فوقعَ على ابنٍ له ، فقتله لوقته ، فدهشت الجاريةُ ، فقال : لا رَوْعَ عليك ، أَنتِ حُرَّةٌ لوجهِ الله تعالى .

• وكان[2] ابنُ عُمر رضي الله عنه ، إذا رأَى أَحداً من عَبيده يُحسن صلاتَه يُعتقه ، فعرفوا ذلك من خُلقه ، فكانوا يُحسنون الصَّلاة مُراءاةً له ، فكان يُعتقهم ، فقيل له في ذلك ، فقال : مَن خَدَعَنا في الله انْخدعنا له .

• ورُوي[3] أَنَّ أَبا عثمان الزَّاهد اجتازَ ببعض الشَّوارع في وقت الهاجرة ، فأُلقي عليه من فوقِ سطحٍ طَسْتُ رَمادٍ ، فتغيَّر أَصحابُه ، وبَسطوا أَلسنتهم في المُلقي للرَّماد ، فقال أَبو عُثمان : لا تَقولوا شيئاً ، فإنَّ مَن استحقَّ أَن يُصَبَّ عليه النَّارُ ، فَصُولِحَ بالرَّمادِ لم يجزْ له أَن يغضبَ .

• وقيل[4] لإبراهيم بن أَدهم تغمَّده الله برحمته : هل فرحتَ في الدُّنيا قطُّ؟ فقال : نعم ، مرَّتين ؛ إحداهما أَنِّي كنتُ قاعِداً ذات يوم ، فجاءَ إنسانٌ فبالَ عليَّ ، والثَّانية كنتُ جالساً ، فجاء إنسانٌ فصَفعني .

• وروي[4] أَنَّ عليَّ بن أَبي طالب كرَّم الله وجهه دعا غلاماً له ، فلم يُجبه ، فدعاه ثانياً وثالثاً فرآه مُضطجعاً ، فقال : أما تسمعُ يا غُلام؟ قال : نعم ؛

---

(١) ديوان منصور النمري (٩٨و١٠٠).
(٢) سراج الملوك (٢/ ٥٧٧).
(٣) سراج الملوك (٢/ ٥٧٨_٥٧٩).
(٤) سراج الملوك (٢/ ٥٧٩).

قال : فما حَمَلك على تَرك جوابي؟ قال : أَمنتُ عُقوبتك فتكاسلتُ ، فقال : اذهبْ فأنت حُرٌّ لوجه الله تعالى .

• وحكي[١] أَنَّ أَبا عثمان الحِيري دعاه إنسانٌ إلى ضيافةٍ ، فلمَّا وافى باب الدَّار قال له الرَّجل : يا أُستاذ ، ليس لي وَجْهٌ في دُخولك ، فانصرفْ رحمَك الله ، ؛ فانصرفَ أَبو عثمان ، فلمَّا وافى مَنزله عادَ الرَّجل إليه ، وقال : يا أُستاذ نَدِمْتُ ؛ وأَخذ يعتذرُ له ، وقال : احضر السَّاعة ؛ فقام معه ، فلمَّا وافى داره قال له مثل ما قال في الأُولى ، ثم فعلَ به ذلك أَربع مرَّات ، وأَبو عُثمان ينصرفُ ويحضرُ ، ثم قال : يا أُستاذ ، إِنَّما أَردتُ بذلك اختبارَكَ والوقوفَ على أَخلاقك ؛ ثم جعل يعتذرُ له ويَمدحُه ، فقال أَبو عثمان : لا تَمدحني على خُلُقٍ تجدُه في الكلاب ، فإِنَّ الكلبَ إِذا دُعي حضَر ، وإِذا زُجِرَ انزجَر .

• وقال الحارث بن قيس[١] : يعجبني من القُرَّاء كلُّ فصيحٍ مضحاك ، فأَمَّا الَّذي تلقاهُ بِبِشْرٍ ويَلقاك بوجهٍ عَبوسٍ فلا كثَّر الله في المسلمين مثله .

ومن محاسن الأخلاق :

• ما حُكي عن القاضي يحيى بن أَكثم قال[٢] : كنتُ نائماً ذاتَ ليلةٍ عند المأمون ، فعطشَ ، فامتنع أَن يصيحَ بغلامٍ يسقِيه ، وأَنا نائمٌ ، فيغنِّصَ عليَّ نَومي ، فرأَيته وقد قام يمشي على أَطرافِ أَصابعه حتَّى أَتى مَوضعَ الماء ، ـ وبينَه وبين المكان الذي فيه الكِيزانُ نحوٌ من ثلاثمئة خُطوة ـ فأَخذَ منها كوزاً ، فشربَ ، ثم رجع يمشي على أَطراف أَصابعه حتَّى قَرُبَ من الفِراش الَّذي أَنا عليه ، فخطا خُطواتِ خائفٍ لئلاَّ ينبِّهني حتَّى صار إِلى فراشه ، ثم رأَيتُه آخرَ اللَّيل قام يَبولُ ، وكان يقومُ في أَوَّلِ اللَّيلِ وآخره ،

---

(١) سراج الملوك (٢/ ٥٨١).

(٢) تاريخ بغداد (١٠/ ١٨٧) وتاريخ دمشق (٣٩/ ٢٦١) وتاريخ الخلفاء (٣٩٠).

فقعد طويلاً يحاولُ أَن أَتحرَّك فيصيحَ بالغلام ، فلمَّا تحرَّكتُ وَثَبَ قائماً وصاح : يا غُلام ؛ وتأهَّبَ للصَّلاة؛ ثم جاءني، فقال لي: كيفَ أَصبحتَ يا أبا محمَّد؟ وكيف كان مبيتُك؟ قلت : خيرَ مبيتٍ ، جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين ؛ قال : لقد استيقظتُ للصلاة ، فكرهتُ أَن أَصيحَ بالغلام ، فأُزعجك ؛ فقلتُ : يا أَمير المؤمنين ، قد خَصَّك الله تعالى بأَخلاق الأَنبياء ، وأَحَبَّ لك سيرتَهم ، فَهَنّاك الله تعالى بهذه النِّعمة، وأَتمَّها عليك؛ فأمر لي بألف دينار، فأَخذتها وانصرفتُ.

• قال[1] : وبِتُّ عنده ذاتَ ليلةٍ ، فانتبهَ وقد عرضَ له السُّعال ، فجعلت أَرْمُقُهُ ، وهو يَحشو فَمَهُ بِكُمِّ قميصه يدفعُ به السُّعال حتَّى غلبه ، فسعلَ وأَكبَّ على الأَرض لِئَلاَّ يعلوَ صوتهُ فأَنتبه .

• قال يحيى[2] : وكنتُ معه يوماً في بُستانٍ ندورُ فيه ، فجعلنا نَمُرُّ بالرَّيحان ، فيأخذُ من الطَّاقة والطَّاقتين ويقولُ لقَيِّم البُستان : أَصلحْ هذا الحوضَ ، ولا تغرسْ في هذا الحوض شيئاً من البقول ؛ قال يحيى : ومشينا في البُستان من أَوَّله إلى آخره ، وكنتُ أَنا ممَّا يلي الشَّمس والمأمون ممَّا يلي الظِّلَّ ، فكان يَجذِبُني أَن أَتحوَّل أَنا في الظِّلِّ ، ويكونَ هو في الشَّمس ، فأَمتنع من ذلك حتَّى بلغنا آخر البُستان ، فلمَّا رجعنا قال : يا يحيى ، والله لَتكونَنَّ في مكاني ولأَكونَنَّ في مكانك ، حتَّى آخذَ نصيبي من الشَّمس كما أَخذتَ نصيبك ، وتأخذَ نَصيبك من الظِّلِّ كما أخذت نصيبي ، فقلت : والله ـ يا أمير المؤمنين ـ لو قدرتُ أَن أَقيك يومَ الهول بنفسي لفعلتُ ؛ فلم يزلْ بي حتَّى تحوَّلتُ إلى الظِّلِّ وتحوَّل إلى الشَّمس ،

---

(١) تاريخ بغداد (١٠/ ١٧٩) وتاريخ دمشق (٣٩/ ٢٦٢) وتاريخ الخلفاء (٣٧٨).
(٢) تاريخ بغداد (١٠/ ١٧٩) وتاريخ دمشق (٣٩/ ٢٦٢) والمحاسن والمساوىء (١/ ٢٩٤) وعيون الأخبار (١/ ٣٣) والعقد الفريد (٢/ ٢٥٦).

ووضعَ يده على عاتِقِي ، وقال : بحياتي عليك إلاَّ ما وضعت يدَك على عاتِقِي مثلَ ما فعلتُ أنَا ، فإنَّه لا خيرَ في صُحبةِ من لا يُنصف .

● انظر إلى أَخلاقهم رضي الله تعالى عنهم ما أحسنَها ، وإلى أفعالهم ما أَزينَهَا ، نسأَلُ الله تعالى أَن يُحَسِّنَ أَخلاقنا ، وأَن يباركَ لنا في أَرزاقنا ، إنَّه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير ، ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلاَّ بالله العليِّ العظيم ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلَّم .

* * *

الباب الرَّابع والعشرون

في حُسن المعاشرة ، والمودَّة ، والأُخُوَّة ، والزِّيارة ، وما أَشبه ذلك

• اعلم[1] أَنَّ المودَّةَ والأُخُوَّةَ والزِّيارة سببُ التّـآلفِ ، والتّـآلفُ سببُ القُوَّةِ ، والقُوَّةُ سببُ التَّقوى ، والتَّقوى حِصنٌ منيعٌ ورُكن شديدٌ ، بها يُمنعُ الضَّيمُ ، وتُنال الرَّغائب وتُنجحُ المقاصد ، وقد مَنَّ الله تعالى على قوم وذَكَّرهم نِعمتَه عليهم بأَن جمع قُلوبهم على الصَّفاء ، وردَّها بعد الفُرقة إلى الأُلفة والإِخاء ، فقال تعالى : ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران : ٣/ ١٠٣] . ووصفَ نعيمَ الجنَّة وما أَعَدَّ فيها لأَوليائه من الكرامة ، إِذ جعلَهم إِخواناً على سُرُرٍ متقابلين .

• وقد[1] سنَّ رسول الله ﷺ الإِخاء ونَدب إِليه ، وآخى بين الصَّحابة رضي الله تعالى عنهم أَجمعين .

• وقد[2] ذكر الله تعالى أَهل جهنَّم وما يَلْقَوْنَ فيها من الأَلَم إِذ يقولون ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ [الشعراء : ٢٦/ ١٠٠-١٠١] .

• وقال[3] عليُّ بن أَبي طالب رضي الله عنه وكرَّم الله وجهه : الرَّجل بلا أَخٍ كشمالٍ بلا يمين .

---

(١) التذكرة الحمدونية (٤/ ٣٥٠).

(٢) التذكرة الحمدونية (٤/ ٣٥٦).

(٣) ربيع الأبرار (١/ ٤٢٩) وعيون الأخبار (٣/ ٢) وفي ذيل الأمالي (١١١) لمعاوية وفي الصداقة والصديق (٢٢) للخليل بن أحمد.

• وأَنشدوا في ذلك[1] : [من المتقارب]

وَمـا المَـرْءُ إِلاَّ بـإِخْـوانِـهِ كما يُقْبَـضُ الكَـفُّ بـالمِعْصَـمِ
وَلا خَيْـرَ فـي الكَـفِّ مَقْطُـوعَـةً وَلا خَيْـرَ فـي السَّـاعِـدِ الأَجْـذَمِ

• وقال زيادٌ : خيرُ ما اكتسبَ المرءُ الإِخوانَ ، فإِنَّهم مَعونةٌ على حَوادث الزَّمان ونَوائب الحَدَثان ، وعَوْنٌ في السَّرَّاء والضَّرَّاء .

• ومن كلام عليّ رضي الله عنه وكرَّم وجهَه[2] : [من الطويل]

عَلَيْـكَ بـإِخْـوانِ الصَّفـاءِ فـإِنَّهُـمْ عِمـادٌ إِذا اسْتَنْجَـدْتَهُـمْ وَظُهُـورُ
وإِنَّ قليـلاً أَلْـفُ خِـلٍّ وصـاحِـبٍ وإِنَّ عَـدُوّاً واحِـداً لَكَثِيْـرُ

• وقال الأَوزاعيّ[3] : الصَّاحبُ للصّاحبِ كالرُّقعةِ في الثَّوب ، إِن لم تكنْ مثلَه شانَتْهُ .

• وقال عبدُ الله بن طاهر : المالُ غادٍ ورائحٌ ، والسُّلطانُ ظِلٌّ زائلٌ ، والإِخوانُ كنوزٌ وافرةٌ .

• وقال[4] المأمونُ للحسن بن سَهل : نظرتُ في اللّذّاتِ فوجدتُها كُلَّها مملولَةً سوى سبعةٍ ، قال : وما السَّبعةُ يا أَمير المؤمنين؟ قال : خُبْزُ الحِنْطَة ، ولَحْمُ الغَنَم ، والماءُ الباردُ ، والثَّوبُ النَّاعمُ ، والرَّائحةُ الطَّيِّبَةُ ، والفِراشُ الواطىءُ ، والنَّظَرُ إِلى الحُسن من كُلِّ شيءٍ ؛ قال : فأَين أَنت ـ يا أَمير المؤمنين ـ من مُحادثةِ الرِّجال؟ قال : صدقتَ ، وهي أُولاهُنَّ .

---

(١) بلا نسبة في التذكرة الحمدونية (٤/ ٣٥٧).
(٢) البيتان بلا نسبة في ربيع الأبرار (١/ ٤٢٨) ، وبهجة المجالس (١/ ٨٨) وفي محاضرات الراغب (٢/ ٦) لمحمود الوراق ، وهما في ديوانه (٢٥٠) وفي أدب الدنيا والدين (٢٩٢) لابن الرومي وليسا في ديوانه ، وهما في ديوان الشافعي (٣٥).
(٣) أسرار الحكماء (١١١) وبهجة المجالس (١/ ٧٠١).
(٤) سراج الملوك (١/ ٣٠١).

• وقال[1] سُليمان بن عبد الملك : أَكلتُ الطَّيِّبَ ، ولبستُ اللَّيِّنَ ، وركبتُ الفارهَ ، وافتضضتُ العَذراء ، فلم يبقَ من لَذّاتي إلاّ صديقٌ أَطرحُ معه مُؤُونةَ التَّحَفُّظِ .

• وكذلك[2] قال معاوية رضي الله عنه : نكحتُ النِّساء حتَّى ما أُفَرِّق بين امرأةٍ وحائطٍ ، وأَكلتُ الطَّعام حتَّى لا أَجدُ ما أَستمرئُه ، وشربتُ الأَشربة حتَّى رجعتُ إلى الماء ، وركبتُ المطايا حتَّى اخترتُ نَعلي ، ولبستُ الثِّياب حتَّى اخترتُ البياضَ ، فما بقيَ من اللَّذّات ما تتوقُ إليه نَفْسي إلا محادثة أَخٍ كريم .

• وأَنشدوا في معنى ذلك[3] : [من الوافر]

وَمـا بَقِيَـتْ مِـنَ اللَّـذَّاتِ إلاّ ... مُحـادَثَـةُ الـرِّجـالِ ذَوي العُقـولِ
وَقَـدْ كُنّـا نَعُـدُّهُـمُ قَليـلاً ... فَقَـدْ صـاروا أَقَـلَّ مـن القَليـلِ

• وقال لَبيد[4] : [من الكامل]

مـا عَـاتَـبَ المَـرْءَ اللَّبيـبَ كَنَفْسِـهِ ... والمَـرْءُ يُصْلِحُـهُ الجَليسُ الصّـالِـحُ

• وقال آخر[5] : [من الطويل]

إذا مـا أَتَـتْ مـن صـاحِـبٍ لَـك زَلَّـةٌ ... فَكُـنْ أَنْـتَ مُحتـالاً لِـزَلَّتِـهِ عُـذْرا

• وقيل[6] لابن السَّمّاك : أَيُّ الإِخوان أَحَقُّ ببقاء المودَّة؟ قال : الوافرُ دِينُه ، الوافي عَقْلُه ، الَّذي لا يَمَلُّك على القُرب ، ولا يَنساك على البُعد ؛ إن دَنوْتَ منه داناك ، وإن بعدتَ عنه راعاك ، وإن استعنتَ به عَضَدَك ، وإن احتجتَ إليه رَفَدَك ؛ وتكونُ مَوَدَّةُ فِعْلِه أَكثرُ من مَوَدَّةِ قَوله .

---

(١) لهشام بن عبد الملك في سراج الملوك (١/ ٣٠٢) ، وأدب الكتاب (٢٣٧) .
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٥٨٩) .
(٣) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٢/ ٥٨٩ـ٥٩٠) .
(٤) ديوانه (٣٤٩) .
(٥) لسالم بن وابصة الأسدي في التذكرة الحمدنية (٤/ ٣٦٦) ، والحماسة بشرح المرزوقي رقم ٤١١ (٣/ ١١٤٣) .
(٦) التذكرة الحمدونية (٤/ ٣٧٧) .

• وأَنشدوا في المعنى[1] : [من الرجز]

إِنَّ أَخاكَ الصِّدْقَ مَن يَسْعى مَعَكْ وَمَـــنْ يَضُـــرُّ نَفْسَـــهُ لِيَنْفَعَـــكْ
وَمَـنْ إذا رَيْـبُ الـزَّمـانِ صَـدَعَـكْ شَتَّـــتَ فِيـكَ شَمْلَـهُ لِيَجْمَعَـكْ

• وقال أَبو تمّام[2] : [من الكامل]

مَـــنْ لـــي بـــإِنســـان إذا أَغْضَبْتُـهُ وَجَهِلْـتُ كـانَ الحِلْـمُ رَدَّ جَـوابِـهِ
وإذا صَبَوْتُ إِلى المُدام شَرِبْتُ مِنْ أَخْـلاقِـهِ وَسَكِـرْتُ مِـنْ آدابِـهِ
وَتَـراهُ يُصْغـي لِلْحَـديـثِ بِطَـرْفِـهِ وَبِقَلْبِـــهِ وَلَعَلَّـــهُ أَدْرى بِـــهِ

• وقيل[3] لخالد بن صَفوان : أَيُّ إخوانك أَحبُّ إليك؟ قال : الَّذي يَسُدُّ خَلَّتي ، ويَغفِرُ زَلَّتي ، ويقيلُ عَثْرتي .

• وقيل[4] : مَن لا يُؤاخي إلا مَن لا عيبَ فيه قَلَّ صديقُه ، ومَن لم يرضَ من صَديقه إلا بإيثارِهِ على نفسه دامَ سَخَطُهُ ، ومَن عاتبَ على كلِّ ذَنْبٍ ضاعَ عَتَبُهُ ، وكَثُرَ تَعَبُهُ .

• قال الشّاعر[5] : [من الطويل]

وَمَنْ لَمْ يُغَمِّضْ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ وَعَنْ بَعْضِ ما فيه يَمُتْ وَهْوَ عاتِبُ

• وقال آخر[6] : [من الطويل]

إذا كُنْـتَ فـي كُـلِّ الأُمـور مُعـاتبـاً صَـديقَـكَ لَـم تَلْـقَ الَّـذي لا تُعـاتِبُـهْ

---

(١) الأَشطار للخليفة المأمون ، وقد مضت في أَواخر الباب الثامن .
(٢) ليست في ديوانه .
(٣) أَسرار الحكماء (١٦٠) وربيع الأبرار (١/ ٤٤٥) والتذكرة الحمدونية (٤/ ٣٦٠) وبهجة المجالس (١/ ٧٠٦) وعيون الأخبار (٣/ ١٧) .
(٤) لجعفر الصادق في التذكرة الحمدونية (٤/ ٣٦٣) .
(٥) لكثير عزة في ديوانه (١٥٤) .
(٦) لبشار بن برد في ديوانه (١/ ٣٢٦) .

وإِنْ أَنْتَ لم تَشْرَبْ مِراراً على القَذى ظَمِئْتَ وأَيُّ النَّاسِ تَصْفو مَشَارِبُهْ

• وقال[1] : إذا رأَيتَ من أَخيك أَمراً تكرهُه أَو خَلَّةً لا تحبُّها ، فلا تقطعْ حَبْلَهُ ولا تَصْرِمْ وُدَّهُ ، ولكن داوِ كلْمتَه ، واستُرْ عَوْرَتَهُ ، وأَبْقِهِ وابْرَأْ من عَمله ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٦/٢١٦] فلم يأمرهُ بِقَطعهم ، وإِنّما أَمره بالبراءةِ من عَملهم السَّيِّء .

• وقال ﷺ : « الأَرواحُ أَجنادٌ مُجَنَّدةٌ ، فما تعارَفَ منها ائتلفَ وما تناكرَ منها اختلفَ » .

• وقال عليه الصَّلاة والسَّلام : « إِنَّ رُوحَيِ المؤمنَيْن لَيلتقيانِ من مَسيرةِ يومٍ ، ما رأَى أَحدُهما صاحبَهُ » .

• وفي ذلك قال بعضُهم : [من الطويل]

هَوِيتُكُمُ بالسَّمْعِ قَبْلَ لِقائِكُمْ وَسَمْعُ الفَتى يَهوى لَعَمْري كَطَرْفِهِ
وَخُبِّرتُ عَنْكُمْ كُلَّ جُودٍ وَرِفْعَةٍ فَلَمّا الْتَقَيْنا كُنْتُمُ فَوْقَ وَصْفِهِ

• وقال آخر : [من البسيط]

تَبَسَّمَ الثَّغْرُ عَن أَوْصافِكُمْ فَغَدا مِن طيبِ ذِكْرِكُم نَشْراً فَأَحْيانا
فَمِن هُناكَ عَشِقْناكُمْ وَلَمْ نَرَكُمْ « والأُذْنُ تَعْشَقُ قَبْلَ العَيْنِ أَحياناً »[2]

• ما تحابَّ اثنانِ في الله إِلا كان أَفضلَهما عند الله أَشَدُّهما حُبّاً لصاحبه .

• ما زارَ أَخٌ أَخاً في الله شوقاً إِليه ورغبةً في لِقائه ، إِلا نادته ملائكةٌ من ورائه : طِبْتَ وطابَتْ لكَ الجَنَّة .

• وقالوا : ليسَ سُرورٌ يَعدِلُ لقاءَ الإِخوان ، ولا غَمٌّ يعدِلُ فِراقَهم .

• وقالوا : شَرُّ الإِخوان الواصلُ في الرَّخاء ، الخاذلُ عند الشِّدَّة .

---

(١) القائل هو الطرطوشي في سراج الملوك (١/ ٣٠٣).
(٢) الشطر الأخير مضمن من بيت بشار في ديوانه (٤/ ٢٢٨).

• وقالوا[1] : إنَّ من الوفاءِ أن تكونَ لصديقِ صديقِك صَديقاً ، ولعدوِّ صَديقك عَدُوّاً .

• وقالوا : أَعجبُ الأَشياء وُدٌّ من يهوديٍّ ، وحِفْظٌ من نَصرانيٍّ ، ورياضةٌ من دَهريٍّ ، وكرمٌ من أَعجميٍّ ؛ والحَذَرَ من الكريمِ إذا أَهنته ، واللَّئيم إذا أكرمته ، والعاقلِ إذا أَحْرَجْتَه ، والأحمق إذا مازَحْتَه ، والفاجِر إذا عاشَرْته .

• وقالوا : اصحَبْ من الإخوان مَن أَولاك جَمائلَ كثيرةً ، فكافأتَهُ بجميلةٍ واحدةٍ ، فنسيَ جَمائله وبقي شاكراً ناشراً ذاكراً لجميلتك ، يُوليكَ عليها الإحسان الكثيرَ الجزيلَ ، ويجعلُ أنَّه ما بلغ من مُكافأتك القليل .

• وقال ابنُ عائشة : لقاءُ الخليل شفاءُ الغليل .

• وقال بعضُ الحكماء : إذا وقعَ بَصَرُكَ على شخصٍ فكرِهْتَه ، فاحذَره جَهدك .

• قال عبدُ الله بن طاهر[2] : [من الطويل]

خَليليَّ للبَغْضاءِ حالٌ مُبِيْنَةٌ ... وَلِلْحُبِّ آثارٌ تُرى ومَعارفُ
فَما تُنْكِرُ العينانِ فالقَلْبُ مُنْكِرٌ ... وما تَعْرِفُ العَينانِ فالقَلْبُ عارِفُ

• وقال آخر[3] : [من الوافر]

وكُنْتُ إذا الصَّديقُ أَرادَ غَيْظي ... وأَشْرقني على ظَمَإٍ بريقي
غَفَرْتُ ذُنوبَهُ وكَظَمْتُ غَيْظي ... مَخافَةَ أَنْ أَعيشَ بِلا صَديقِ

• وقال آخر[4] : [من الطويل]

وَلَيْسَ فَتى الفِتيان مَنْ جُلُّ هَمِّهِ ... صَبوحٌ وإن أَمْسى فَفَضْلُ غَبوقِ

---

(١) بهجة المجالس (١/ ٦٨٥) وعيون الأخبار (٣/ ٦).
(٢) الأول بلا نسبة في الصداقة والصديق (٣١٣).
(٣) هما لأبي زبيد الطائي في ديوانه (٦٥٥ ضمن شعراء إسلاميون).
(٤) هما لوالبة بن الحباب في الحماسة البصرية (٢/ ٥٦) ، وبلا نسبة في العقد الفريد (٣/ ١٧) وعيون الأخبار (٣/ ١٧٨) والحماسة بشرح المرزوقي (٤/ ١٦٧٠) وبهجة المجالس (١/ ٦٤٧) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٢٥).

وَلَكِنْ فَتى الفِتيانِ مَن راحَ أَو غدا لِضُـــرِّ عَـــدُوٍّ أَو لِنَفْـــعِ صَـــدِيـــقِ

وأَمّا آدابُ المعاشرة :

• فالبَشاشةُ والبِشْرُ وحُسن الخُلق والأَدب ؛ فعن جابرِ بن عبد الله رضي الله عنهما ، عن النَّبيِّ ﷺ قال : « مِن أَخلاق النَّبيِّين والصِّدِّيقين البَشاشةُ إذا تَراءَوا ، والمصافَحةُ إذا تَلاقَوا » .

• وكان[1] القَعقاعُ بنُ شَوْر الذُّهْليِّ إذا جالَسَهُ رجلٌ يجعلُ له نَصيباً من ماله ويُعينه على حوائِجه ؛ ودخلَ يوماً على مُعاوية ، فأَمَرَ له بأَلف دينار ، وكان هناك رجلٌ قد فَسَحَ له في المجلسِ ، فدفَعها لِلَّذي فسحَ له ، فقال : [من الوافر]

وَكُنْـتُ جَليسَ قَعْقـاعَ بـنِ شَـوْرٍ وَمـــا يَشْقَـــى بِقَعْقـــاعٍ جَليـــسُ

ضَحُـوكُ السِّـنِّ إنْ نَطَقـوا بِخَيْـرٍ وَعِنْـــدَ الشَّـــرِّ مِطْـــراقٌ عَبُـــوسُ

• وقال[2] ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما : لجليسي عليَّ ثلاثٌ ؛ أَن أَرمقَه بِطَرْفي إذا أَقبل ، وأُوسِّعَ له إذا جَلس ، وأُصغي له إذا حدَّثَ .

• ويُقال : لكلِّ شيءٍ مَحَلٌّ ، ومَحَلّ العقلِ مُجالسةُ النّاس ؛ ومَثَلُ الجليسِ الحَسَنِ كالعطّار ، إن لم يُصبك من عِطره أَصابك من رائِحته ؛ ومَثَلُ الجَليس السُّوءِ ، مثل الكبريت ، إن لم يَحرق ثَوبك بناره آذاكَ بدُخانه .

• وكانت[3] تحيَّةُ العَرب : « صَبَّحَتْكَ الأَنْعِمَةُ وطِيبُ الأَطعمة » .

• وتقول[3] أَيضاً : « صَبَّحَتْكَ الأَفالحُ ، وكُلُّ طيرٍ صالحٍ » .

---

(١) ثمار القلوب (١/ ٢٣٤) وربيع الأبرار (٢/ ٥٥٨) والتذكرة الحمدونية (٢/ ١٧٨)؛ وفي الأصول : الهذلي ، خطأ.

(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٥٦٢) والتذكرة الحمدونية (٢/ ١٧٨) وأسرار الحكماء (٣١) وفيه تخريجه.

(٣) ربيع الأبرار (٢/ ٥٦٨).

• ووصف[1] المأمونُ ثُمامةَ بِحُسن المعاشرة ، فقال : إِنَّه يَتصرَّفُ مع القُلوب تَصَرُّفَ السَّحاب مع الجنُوب .

• وقيل : أَوَّلُ ما يتعيَّنُ على الجليسِ الإِنصافُ في المجالسة ، بأَن يلحظَ بعينِ الأَدب مكانه من مكانِ جليسه ، فيكونَ كلٌّ منهما في مَحَلِّه .

• وقال ﷺ : « ذو العِلم والسُّلطان أَحَقُّ بِشرفِ المنزل » .

• وقال[2] جعفر الصَّادق رضي الله عنه : إِذا دخلتَ منزلَ أَخيك ، فاقبلْ كَرامَتَه كلَّها ما عدا الجلوسَ في الصُّدور .

• وينبغي للإِنسان أَن لا يُقبِلَ بحديثِهِ على مَن لا يُقْبِلُ عليه ؛ فقد قيل : إِنَّ نشاطَ المتكلِّم بقدرِ إِقبال السّامع .

• ويتعيَّن عليه أن يحدِّثَ المستمعَ على قدر عَقله ، ولا يبتدعَ كلاماً لا يليقُ بالمجلس ؛ فقد قيل : لكلِّ مَقامٍ مقالٌ ؛ وخيرُ القول ما وافقَ الحالَ .

• وأَوجبوا على المستمعِ أَنَّه إِذا وردَ عليه من المتكلِّم ما كان مَرَّ بِسَمْعِهِ أَوّلاً أَن لا يقطعَ عليه ما يقولُه ، بل يسكتُ إِلى أَن يستوعبَ منه القولَ ؛ وعَدُّوا ذلك من بابِ الأَدب ، ولعلَّه إِذا صبرَ وسكتَ استفادَ من ذلك زيادةَ فائدةٍ لم تكن في حِفظه .

• وقيل : ثمانيةٌ إِن أُهينوا فلا يَلوموا إِلا أَنفسهم ؛ الجالسُ في مجلسٍ ليسَ له بأَهل ، والمقبلُ بحديثه على مَن لا يسمعُه ، والدَّاخلُ بين اثنين في حَديثهما ولم يُدخلاه فيه ، والمتعرِّضُ لما لا يَعنيه ، والمتأَمِّرُ على رَبِّ البيت في بَيته ، والآتي إِلى مائدةٍ بلا دَعوةٍ ، وطالبُ الخير من أَعدائه ، والمستخفُّ بقدرِ السُّلطان .

• ويتعيَّنُ على الجليس أَن يراعيَ أَلفاظه ، ويكونَ على حذرٍ أَن يعثرَ لسانُه ، خصوصاً إِذا كان جليسُه ذا هَيبة ؛ فقد قيل : رُبَّ كَلمةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً .

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٥٧١).

(٢) أسرار الحكماء (٦٨) ونثر الدر١ /٣٥٤) .

• وقال أَبو العبّاس السّفّاح : ما رأَيتُ أَغْزَرَ من فِكر أَبي بَكر الهُذَليّ ، لم يُعِدْ عليَّ حديثاً قط .

• وقيل[1] : إنَّ أَبا العبّاس كان يُحَدِّثه يوماً ، إذ عَصَفَتِ الرِّيحُ فأَرْمَت طسْتاً من سَطْحٍ إِلى المجلس ، فارتاعَ مَن حضرَ ، ولم يتحرَّك الهُذَليُّ ، ولم تزلْ عينُه مطابقةً لعينِ السَّفّاح ، فقال : ما أَعجبَ شأنَك يا هُذَليُّ! فقال : الله يقول : ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾ [الأحزاب : ٣٣/ ٤] وإِنَّما لي قلبٌ واحدٌ ، فلمّا غَمَرَهُ النُّورُ بمحادثَةِ أَمير المؤمنين لم يكنْ فيه لحادثٍ مَجالٌ ، فلو انقلبَتِ الخضراءُ على الغَبْراءِ ما أَحسَسْتُ بها ولا وَجِمْتُ لها . فقال السَّفّاح : لَئِنْ بَقيتُ لكَ لأَرْفَعَنَّ مَكانك ؛ ثم أَمر له بمالٍ جزيلٍ وَصِلَةٍ كبيرةٍ .

• وكان[2] أسماء بن خارجة يقولُ : ما غَلَبني أَحدٌ قطُّ غَلَبَةَ رجلٍ يُصغي إِلى حديثي .

• وفي نَوابغ الحِكَم[3] : أَكرم حديثَ أَخيك بإِنصاتك ، وَصُنْهُ مِن وَصْمَة الْتفاتِك .

• وقيل[4] : مِن حَقِّ الملِكِ إِذا تَثاءَبَ ، أَو أَلقى المِرْوَحَةَ من يَده ، أَو مَدَّ رِجْلَيْه ، أَو تَمَطَّى ، أَو اتَّكأَ ، أَو فَعَلَ ما يَدُلُّ على كَسَلِهِ ، أَن يقومَ مَن بِحضرته ؛ وكان أَردشيرُ إِذا تَمَطَّى قامَ سُمّارُهُ .

• ومن حَقِّ الملِك أَن لا يُعادَ عليه حَديثٌ وإِن طالَ الدَّهرُ ؛ قال رَوْحُ بن زِنْباع[5] : أَقمتُ مع عبد الملِك سبعَ عشرةَ سنةً ، فما أَعَدْتُ عليه حَديثاً ، إلاّ مَرَّةً واحدةً ، فقال لي : قد سمعتُه منك .

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٥٧٢) والتاج (١١٣-١١٤) ، ومروج الذهب (٤/ ١١٠).
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٥٧٢) والتاج (١١٧).
(٣) ربيع الأبرار (٢/ ٥٧٣).
(٤) ربيع الأبرار (٢/ ٥٧٣) والتاج (٢٠٩).
(٥) ربيع الأبرار (٢/ ٥٧٤).

- وعن[1] الشَّعبيِّ ، قال : ما حَدَّثْتُ بحديثٍ مَرَّتين رجُلاً بعينه .
- وقال[2] عطاءُ بن أَبي رَباح : إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحَدِّثُني بالحديثِ ، فأُنصتُ له كأَنِّي لم أَسمعْهُ قطُّ وقد سمعتُ به من قبلِ أَن يُولَد .
- وقيل[3] : المودَّةُ طلاقةُ الوجهِ ، والتَّوَدُّد إِلى النّاس .
- وقال[4] مُعاذ بن جَبَل رضي الله عنه : إِنَّ المُسْلِمَيْنِ إِذا التقيا ، فضَحك كُلُّ واحدٍ منهما في وجهِ صاحبه ثم أَخذَ بيده ، تحاتَّتْ ذُنوبُهما كَتَحاتِّ وَرَقِ الشَّجَر .
- وقيل[4] : البِشْرُ يدلُّ على السَّخاء ، كما يدلُّ النَّوْرُ على الثَّمر .
- وقيل[5] : من السُّنَّة إِذا حدَّثْتَ القومَ أَن لا تُقبلَ على واحدٍ منهم ، ولكن اجعلْ لكلِّ واحدٍ منهم نَصيباً .
- وقالوا : إِذا أَرَدْتَ حُسن المعاشرة فالقَ عدوَّك وصَديقك بالطَّلاقة ووجهِ الرِّضا والبَشاشة ، ولا تنظرْ في عِطْفَيْكَ ، ولا تُكثر الالتفاتَ ، ولا تقفْ على الجَماعات .

وإِذا[6] جلستَ فلا تَتكبَّر على أَحدٍ ، وتحفَّظْ من تَشبيك أَصابعك ، ومن العَبَثِ بِلِحْيَتِكَ ، ومن اللَّعب بخاتَمك ، وتَخليل أَسنانك ، وإِدخال إِصبعك في أَنفك ، وكثرة بُصاقك ، وكثرة التَّمطِّي والتَّثاؤب في وُجوه النّاس وفي الصَّلاة ، وليكنْ مَجلسُك هادئاً وحديثُك مَنظوماً مُرَتَّباً ، وأَصغِ إِلى كلام مُجالِسِكَ ، واسكتْ عن المضاحك ، ولا تَتَصنَّعْ تَصنُّع المرأَة في التَّزيُّن ، ولا تُلِحَّ في الحاجات ، ولا تُشَجِّع أَحداً على الظُّلم ، ولا تُهازل أَمَتَكَ ولا عَبْدَكَ ، فيسقطَ وقارُك عندهما .

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٥٧٤).
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٥٧٩).
(٣) ربيع الأبرار (٢/ ٥٧٦) للأحنف : رأس المودة.
(٤) ربيع الأبرار (٢/ ٥٧٦).
(٥) ربيع الأبرار (٢/ ٥٩٩) لحبيب.
(٦) الإشارة إلى أدب الإمارة (١١٨).

وإذا خاصَمت فأَنصفْ ، وتحفَّظْ من جَهْلك ، وتجنَّب عَجَلَتَك ، وتفكَّر في حُجَّتك ، ولا تُكثِرْ الإشارة بيدك ، ولا الالتفاتَ إلى مَن وراءَك ، وهدِّىءْ غَضَبَك وتكلَّم .

وإذا قَرَّبَك سُلطانٌ فكنْ منه على حَذَرٍ ، واحذرْ انقلابَه عليك ، وكلِّمهُ بما يشتهي ؛ ولا يَحْمِلَنَّكَ لُطفُه بك على أَن تَدخلَ بَيْنَهُ وبين أَهله وحَشَمه ، وإِن كنتَ لذلك مُستحقّاً عنده .

وإِيَّاك وصَديقَ العافية ، فإِنَّه أَعدى الأَعداء ؛ ولا تَجعل مالَك أَكرمَ من عِرْضِك .

ولا تجالسْ الملوكَ ، فإِن فعلتَ ؛ فالتزمْ تَرْكَ الغِيبة ، ومُجانبةَ الكذبِ ، وصِيانةَ السِّر ، وقِلَّةَ الحوائج ، وتهذيبَ الأَلفاظ ، والمذاكرةَ بأَخلاق الملوكِ ، والحذرَ منهم وإِن ظَهَرَتِ المودَّةُ ؛ ولا تَتَجَشّأْ بحضْرَتهم ، ولا تُخَلِّلْ أَسنانَك بعد الأَكل عندهم .

ولا تُجالس العامَّة ، فإِن فعلتَ فآدابُ ذلك تركُ الخوضِ في حَديثهم ، وقِلَّةُ الإِصغاءِ إِلى أَراجيفهم ، والتَّغافلُ عمّا يجري من سُوء أَلفاظهم .

وإِيّاك أَن تمازحَ لبيباً أَو سَفيهاً ؛ فإِنَّ اللَّبيبَ يحقدُ عليك ، والسَّفيهُ يتجرَّأُ عليك ؛ ولأَنَّ المزاحَ يخرقُ الهَيْبَة ، ويذهبُ بماءِ الوجه ، ويعقبُ الحِقْدَ ، ويذهبُ بحلاوةِ الإِيمان والوُدِّ ، ويشينُ فِقْهَ الفَقيه ، ويُجَرِّىءُ السَّفيهَ ، ويُميتُ القلبَ ، ويباعدُ عن الرَّبِّ تعالى ، ويُكسبُ الغَفلةَ والذِّلَّة .

ومن بُليَ في مجلسٍ بمزاحٍ أَو لَغَطٍ ، فَلْيذكر الله عند قيامه ، فقد وردَ عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال : « مَن جَلَسَ في مَجلسٍ فكثرَ فيه لَغَطُهُ ، فقال قبلَ أَن يقومَ من مَجلسه ذلك : سُبحانَك اللَّهُمَّ وبحمدك ، أَشهدُ أَن لا إِله إِلا أَنت ، أَستغفرُك وأَتوبُ إِليك ؛ غُفر له ما كان في مَجلسه ذلك » .

وأَمّا آداب المسايرة :

- فقد رُوي أَنَّ رسولَ الله ﷺ تعقَّب هو وعليُّ بن أَبي طالب كرَّم الله وجهه

ورَجلٌ آخر من الصَّحابة ـ رضوانُ الله عليهم أَجمعين ـ في سَفَرٍ على بعيرٍ ، فكان إِذا جاءَت نَوبته في المشيِ مَشى ، فيعزمان عليه أَن لا يَمشي فيأبى ويقول : « ما أَنتم بأَقدرَ منِّي على مَشيٍ ، وما أَنا بأَغنى منكم عن أَجرٍ » .

● وقال ﷺ : « لا تَتَّخذوا ظُهورَ الدَّوابِّ كراسي » .

● وقيل[1] : لا تتقدَّمُ الأَصاغرُ على الأَكابرِ إِلا في ثلاثٍ : إِذا ساروا ليلاً ، أَو خاضُوا سَيْلاً ، أَو واجهوا خَيْلاً .

● وقال[2] عليُّ بن أَبي طالب كرّم الله وجهه : لا يكونُ الصَّديقُ صَديقاً حتَّى يحفظَ أَخاه في ثلاثٍ ؛ في نَكبته وَغَيبته وَوفاته .

وأَمّا ما جاء في الإِخوان القليلي الموافاة ، العديمي المكافأة ، الَّذين ليس عندهم لصديقٍ مُصافاة :

● فقال وَهْب بن مُنَبِّه : صحبتُ النّاسَ خمسين سنةً ، فما وجدتُ رجلاً غَفَرَ لي زَلَّةً ، ولا أَقالني عثرةً ، ولا سترَ لي عورةً .

● وقال عليُّ بن أَبي طالبٍ كرَّم الله وَجهه : إِذا كان الغَدْرُ طَبْعاً ، فالثِّقَةُ بكلِّ أَحد عجزٌ .

● وقيل لبعضِهم[3] : ما الصَّديق؟ قال : اسمٌ وُضِعَ على غيرِ مُسَمَّى ، وحيوانٌ غيرُ موجودٍ .

● قال الشّاعر : [من الوافر]

سَمِعْنـا بـالصَّـديـقِ ولا نَـراهُ   علـى التَّحقيـق يُـوجَـدُ فـي الأَنـامِ
وأَحْسَبُـهُ مُحـالاً نَمَّقُـوهُ   علـى وَجْـهِ المَجـازِ مِـن الكـلامِ

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٥٩٩) لهرثمة .
(٢) ربيع الأبرار (١/ ٤٢٨) وأنس المسجون (١٧٠) .
(٣) لروح بن زنباع في ربيع الأبرار (١/ ٤٤٠) والتذكرة الحمدونية (٤/ ٣٦٨) .

• وقال أَبو الدَّرداء: كان النّاسُ وَرَقاً لا شَوكَ فيه، فصاروا شَوْكاً لا وَرق فيه.

• وقال جعفر الصّادق لبعض إِخوانه: أَقللْ من مَعرفة النّاس، وأَنكرْ مَن عَرفتَ منهم؛ وإِن كان لك مئةُ صديقٍ، فاطرحْ تسعةً وتسعين، وكنْ من الواحد على حَذَر.

• وقيل لبعض الوُلاة: كم لك صديق؟ فقال: أَمّا في حال الولاية فكثير؛ وأَنشد: [من البسيط]

النّاسُ إِخوانُ مَنْ دامَتْ لَهُ نِعَمٌ ... والوَيْلُ لِلْمَرْءِ إِنْ زَلَّتْ بِهِ القَدَمُ

• ولمّا[1] نُكب عليُّ بن عيسى الوزير لم يَنظرْ ببابه أَحداً من أَصحابه اللّذين كانوا يأْلفونه في ولايته، فلمّا رُدَّت إِليه الوزارةُ وقفَ أَصحابه ببابه ثانياً، فقال: [من البسيط]

ما النّاسُ إِلاَّ مع الدُّنْيا وَصاحِبِها ... فَكُلَّما انْقَلَبَتْ يوماً بِهِ ٱنْقَلَبُوا

يُعَظِّمون أَخا الدُّنيا فإِنْ وَثَبَتْ ... يَوماً عليهِ بِما لا يَشْتَهي وَثَبُوا

• وقال آخر: [من الطويل]

فَما أَكْثَرَ الأَصحابَ حينَ تَعُدُّهُمْ ... وَلكنَّهُمْ في النّائباتِ قَليلُ

• وقال البحتريّ[2]: [من البسيط]

إِيّاكَ تَغْتَرَّ أَو تَخْدَعْكَ بارِقَةٌ ... مِن ذي خِداعٍ يُري بِشْراً وأَلْطافا

فَلَوْ قَلَبْتَ جَميعَ الأَرْضِ قاطِبَةً ... وَسِرْتَ في الأَرْضِ أَوْساطاً وأَطْرافا

لَمْ تَلْقَ فيها صَديقاً صادِقاً أَبَداً ... ولا أَخاً يَبْذُلُ الإِنْصاف إِن صافى

• وقال بعضُهم في المعنى أَيضاً[3]: [من الطويل]

---

(١) إعتاب الكتاب (١٨٥ـ١٨٦) وأُنس المسجون (١٧٣).
(٢) ليست في ديوانه وليست له، وهي لأبي الفتح البستي في ديوانه (١٢٧).
(٣) هما لمجير الدين بن تميم في الغيث المسجم (٢/ ٣٥٠).

خليلـيَّ جَـرَّبْـتُ الـزَّمـانَ وأَهْلَـهُ ۝ فَما نالَني مِنْهُمْ سِوى الهَمِّ والعَنا
وعـاشَـرْتُ أَبنـاءَ الـزَّمـانِ فَلَـمْ أَجِدْ ۝ خَليـلاً يُـوَفِّـي بـالعُهـودِ وَلا أَنـا

• وقال آخر [1] : [من الكامل]

لَمَّـا رَأَيْـتُ بَنـي الـزَّمـانِ وَمـا بِهِـمْ ۝ خِـلٌّ وَفـيٌّ لِلشَّـدائِـدِ أَصْطَفـي
فَعَلِمْــتُ أَنَّ المُسْتَحيــلَ ثَــلاثَــةٌ ۝ الغُـولُ والعَنْقـاءُ والخِـلُّ الـوفـي

• بيت مفرد : [من الطويل]

وَكُـلُّ خَليـلٍ لَيْـسَ فـي اللهِ وُدُّهُ ۝ فـإِنِّـي بِـهِ فـي وُدِّهِ غَيْـرُ واثِـقِ

• قال آخر : [من الوافر]

إذا مــا كُنْــتَ مُتَّخِــذاً خَليــلاً ۝ فَــلا تَـأْمَـنْ خَليلَـكَ أَنْ يَخُـوْنـا
فــإِنَّــكَ لَـمْ يَخُنْـكَ أَخٌ أَمِيــنٌ ۝ وَلَكِــنْ قَلَّمــا تَلْقــى أَمينــا

• وقال آخر [2] : [من الطويل]

تُحِـبُّ عَـدُوِّي ثـمَّ تَـزْعُـمُ أَنَّنـي ۝ أَوَدُّكَ إِنَّ الــرَّأْيَ عَنْــكَ لَعــازِبُ
وَلَيْـسَ أَخـي مَــن وَدَّنـي بِلِسـانِـهِ ۝ وَلَكِنْ أَخي مَن وَدَّني وَهْوَ غائِبُ
وَمَـنْ مالُـهُ مـالـي إذا كُنْـتُ مُعْـدَماً ۝ وَمـالـي لَـهُ إِنْ أَعْـوَزَتْـهُ النّـوائِـبُ

• ولمّا غضبَ السُّلطان على الوزير ابن مُقْلَة ، وأَمر بقطع يَده لِما بَلَغَهُ أَنَّه زَوَّرَ عنه كتاباً إِلى أَعدائه وعَزَلَه ، لم يأتِ إِليه أَحدٌ ممَّن كان يصحبُه ، ولا تَوَجَّعَ له ، ثم إِنَّ السُّلطان ظَهر له في بقيَّة يَومه أَنَّه بَريءٌ ممّا نُسب إِليه ، فخلعَ عليه ، وردَّ إِليه وظائفه ، فأَنشدَ يقولُ هذه الأَبيات : [من مخلع البسيط]

تَحــالَــفَ النَّــاسُ والــزَّمــانُ ۝ فَحَيْــثُ كــانَ الــزَّمــانُ كــانُــوا

---

(١) هما لصفيّ الدّين الحِلّي في تذكرة النبيه (٣/ ١٣٩) .
(٢) الأبيات للعتابي في بهجة المجالس (١/ ٦٨٧) والعقد الفريد (٢/ ٣٠٧) وربيع الأبرار (١/ ٤٤٦) وعيون الأخبار (٣/ ٦).

عـــادانـــي الـــدَّهْـــرُ نِصْـــفَ يَـــوْمٍ   فـــانْكَشَـــفَ النَّـــاسُ لـــي وَبـــانُـــوا
يـــا أَيُّهـــا المُعْـــرِضُـــونَ عَنّـــا   عُـــودوا فَقَـــدْ عـــادَ لـــي الـــزَّمـــانُ

• ومثلُه في المعنى[1] : [من الوافر]

أَخـــوكَ أَخـــوكَ مَـــنْ يَـــدنـــو وَتَـــرْجـــو   مَـــوَدَّتَـــهُ وإِنْ دُعـــيَ اسْتَجـــابـــا
إِذا حـــارَبْـــتَ حـــارَبَ مَـــن تُعـــادي   وَزادَ سِـــلاحُـــهُ مِنْـــكَ اقْتِـــرابـــا

• وقال أَبو بكر الخالديّ[2] : [من الكامل]

وأَخٍ رَخُصْـــتُ عليـــهِ حتّـــى مَلَّنـــي   والشَّـــيْءُ مَمْلـــولٌ إِذا مـــا يَـــرْخُـــصُ
مـــا فـــي زَمـــانِـــكَ مَـــن يَعِـــزُّ وجـــودُهُ   إِن رُمْتَـــهُ إِلا صـــديـــقٌ مُخْلِـــصُ

• فيجبُ على الإِنسان أَن لا يصحبَ إِلا مَن له دينٌ وتقوى ، فإِنَّ المحبَّةَ في الله تنفعُ في الدُّنيا والآخرة ؛ وما أَحسنَ ما قال بعضُهم : [من الوافر]

وَكُـــلُّ مَحَبَّـــةٍ فـــي اللهِ تَبْقـــى   علـــى الحـــالَيْـــن مـــن فَـــرَجٍ وَضيـــقِ
وَكُـــلُّ مَحَبَّـــةٍ فيمـــا سِـــواهُ   فكـــالحَلْفـــاءِ فـــي لَهَـــبِ الحَـــريـــقِ

• فينبغي للإِنسان أَن يجتنبَ مُعاشرَة الأَشرار ، ويتركَ مُصاحبة الفُجّار ، ويهجرَ مَن ساءَت خَلَّتُه وقَبُحَت بين النّاس سِيرتُه ؛ قال الله تعالى : ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف : ٤٣/٦٧] . وقال تعالى : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام : ٦/٣٨] فأَثبتَ الله المماثلة بيننا وبين البهائم ، وذلك إِنَّما هو في الأَخلاق خاصَّةً ؛ فليس أَحدٌ من الخَلْقِ إِلا وفيه خُلُقٌ من أَخلاقِ البَهائم ، ولهذا تجدُ أَخلاق الخلائق مختلفةً .

• فإِذا رأَيت الرَّجلَ جاهلاً في خلائقه ، غليظاً في طَبائعه ، قَويّاً في بَدَنِهِ ، لا تُؤْمَنُ ضَغائنه ، فأَلْحِقْهُ بعالم النُّمورة ؛ والعَرب تقولُ : أَجهلُ من نمر .

---

(١) الأول بلا نسبة في الصداقة والصديق (٢٠) .
(٢) ديوان الخالديين (٦٥) ، ونسبا إِلى السريّ الرفاء في أنس المسجون (١٨٦) .

• وإذا رأَيتَ الرَّجلَ هجّاماً على أَعراض النّاس ، فقد ماثلَ عالَم الكِلاب ، فإِنَّ دَأْبَ الكلبِ أَن يجفوَ مَن لا يجفوه ، ويُؤذيَ مَن لا يُؤذيه ، فعامِله بما كنتَ تُعامل به الكلبَ إذا نبح ، أَلستَ تذهبُ وتتركه؟ .

• وإِذا رأَيتَ إِنساناً قد جُبل على الخِلاف ، إن قلتَ : نعم ، قال : لا ، وإن قلتَ : لا ، قال : نعم ، فأَلحقه بعالم الحمير ، فإِنَّ دَأْبَ الحِمار إن أَدْنَيْتَهُ بَعُدَ وإِن أَبعدته قَرُبَ ، فلا تنتفعُ به ولا يمكنك مُفارقته .

• وإِن رأَيتَ إِنساناً يهجمُ على الأَموال والأَرواح ، فأَلحقه بعالم الأُسود ، وخُذْ حِذْرَكَ منه كما تأخذُ حِذْرَك من الأَسد .

• وإِذا بُليت بإِنسان خبيثٍ كثيرِ الرَّوَغان ، فأَلحقه بعالم الثَّعالب .

• وإِذا رأَيتَ مَن يَمشي بين النّاس بالنَّميمة ، ويُفَرِّقُ بين الأَحِبَّة ، فأَلحقه بعالم الظَّرِبان ، وهي دابَّة صَغيرة ، تقولُ العرب عند تَفَرُّق الجماعة : فَسا بينَهم ظربان فتفرَّقوا .

• وإِذا رأَيتَ إِنساناً لا يسمعُ الحِكمة والعِلم ، وينفرُ من مُجالسة العُلماء ، ويألفُ أَخبار أَهل الدُّنيا ، فأَلحقه بعالم الخنافِس ، فإِنَّه يعجبُها أَكل العَذرات ومُلامَسة النَّجاسات ، وتنفرُ من ريح المسكِ والوَرد ؛ وإِذا شَمَّت الرائحةَ الطَّيِّبة ماتَت لوقتها .

• وإِذا رَأَيتَ الرَّجلَ يصنعُ بنفسه كما تصنعُ المرأَة لبعلها ، ويُبَيِّضُ ثيابه ويعدلُ عِمامته وينظرُ في عِطْفَيه ، فأَلحقه بعالم الطَّواويس .

• وإِذا بُليت بإِنسان حَقودٍ ، لا يَنسى الهفواتِ ، ويُجازي بعدَ المدَّة الطَّويلة على السَّقطات ، فأَلحقه بعالم الجِمال ، والعربُ تقول : أَحْقَدُ من جَمَل ؛ فتجنَّب قُرْبَ الرَّجل الحَقود .

• وعَلى هذا النَّمط فلْيحترز العاقلُ من صُحبة الأَشرار وأَهل الغدر ومن لا وفاء لهم ، فإِنَّه إذا فعل ذلك سَلِمَ من مَكايد الخَلْق ، وأَراح قلبَه وبَدَنه ، والله أَعلم .

وأمّا الزِّيارة والاستدعاء إليها :

• فقد[1] قال رسول الله ﷺ : « يقول الله تعالى : وَجَبَتْ مَحَبَّتي لِلْمُتَحابِّين فِيَّ ، والمُتباذِلينَ فِيَّ ، والمُتَزاورين فِيَّ ، اليومَ أُظِلُّهُم في ظِلِّي يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلِّي » .

• وقال[2] ﷺ : « مَن عادَ مَريضاً أَو زارَ أَخاً نادى مُنادٍ : أَنْ طِبْتَ وطابَ مَمشاكَ ، وتَبَوَّأْتَ من الجَنَّةِ مَنْزِلاً » .

• وقيل[3] : المَحَبَّةُ شجرةٌ أَصلُها الزِّيارة .

• قال الشّاعر : [من البسيط]

زُرْ مَن تُحِبُّ وإِنْ شَطَّتْ بِكَ الدَّارُ ... وَحالَ مِن دُونِهِ حُجْبٌ وأَسْتارُ
لا يَمْنَعَنَّكَ بُعْدٌ مِن زيارَتِهِ ... إِنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يَهواهُ زَوّارُ

• ولْتكن الزيارة غِبّاً ، لقوله ﷺ : « زُرْ غِبّاً تزدد حُبّاً » .

• قال الشّاعر في معنى ذلك[4] : [من الطويل]

عَلَيْكَ بإِغْبابِ الزِّيارَةِ إِنَّها ... إذا كَثُرَتْ صارَتْ إِلى الهَجْرِ مَسْلَكا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الغَيْثَ يُسْأَمُ دائِماً ... ويُسْأَلُ بالأَيْدي إذا هُوَ أَمْسَكا

• ويقال : الإِكثار من الزيارة مُمِلٌّ ، والإِقلال منها مُخِلٌّ .

• وكتب صديقٌ إِلى صديقه هذا البيت : [من الطويل]

إذا ما تَقاطَعْنا وَنَحْنُ بِبَلْدَةٍ ... فَما فَضْلُ قُرْبِ الدَّارِ مِنّا على البُعْدِ

• وقال آخر : [من الطويل]

وإِنَّ مُروري بالدِّيارِ الَّتي بِها ... سُلَيْمى وَلَمْ أَلْمُمْ بِها لَجَفاءُ

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٥٥٧) والمتحابين في الله (٤٧) .
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٥٥٧) وعيون الأخبار (٣/ ٢٥).
(٣) ربيع الأبرار (٢/ ٥٦٢).
(٤) بلا نسبة في الزهرة (١/ ١١٦).

● وقال آخر : [من الخفيف]

قَد أَتانا مِن آلِ سُعْدى رَسُولٌ حَبَّذا ما يَقُولُ لي وأَقُولُ

● وقال آخر[1] : [من الطويل]

أَزورُ بُيوتاً لا صِفاتٍ بِبَيْتِها وَقلبيَ في البَيْتِ الَّذي لا أَزورُهُ

● وزار[2] محمدَ بنَ يزيد المهلبيَّ المستعينُ ، ووهب له مئتي ألف درهم ، وأقطعه أرضاً فقال : [من الكامل]

وَخَصَصْتَني بزيارة أَضْحى لَنا مَجْدي بِها طُولَ الزَّمانِ يُؤَثَّلُ

وَقَضَيْتَ دَيْني وَهْوَ دَيْنٌ وافِرٌ لَمْ يَقْضِهِ مَعَ جُودِهِ المتوكِّلُ

● وكتب المأمونُ إلى جاريته الخَيزران يَستدعيها للزِّيارة[3] : [من الخفيف]

نَحْنُ في أَفْضَلِ السُّرورِ وَلَكِنْ لَيْسَ إلا بِكُمْ يَتِمُّ السُّرورُ

عَيْبُ ما نَحْنُ فيهِ يا أَهْلَ وُدِّي أَنَّكُمْ غِبْتُمُ وَنَحْنُ حُضورُ

فأَغِذُّوا المَسيرَ بَلْ إنْ قَدِرْتُمْ أَن تَطيروا مع الرِّياحِ فَطيروا

● وقيل[4] لفيلسوفٍ : أَيُّ الرُّسل أَنجحُ؟ قال : الَّذي له جَمال وعَقل .

● وقيل[5] : إذا أَرسلتُم رسولاً في حاجةٍ، فاتَّخِذوهُ حَسَنَ الوَجْهِ حسنَ الاسْمِ .

---

(١) في ربيع الأبرار (٢/ ٥٨٨) لجميل وليس في ديوانه ، وهو للأحوص في ديوانه (١٢٥) .
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٥٨٩) .
(٣) كذا في الأصول ، وهو خطأ؛ وصواب العبارة : وكتب المهدي إلى الخيزران من بعض متنزهاته ، كما في ربيع الأبرار (٢/ ٥٩٢) .
(٤) ربيع الأبرار (٢/ ٥٦٠) .
(٥) مرفوعاً في ربيع الأبرار (٢/ ٥٦١) .

- وقال[1] لُقمان لابنه : يا بُنيَّ ، لا تبعثْ رَسولاً جاهلاً ، فإن لم تجدْ حَكيماً عارفاً ، فكنْ رسولَ نَفسِك .

- وقال بعضُهم[2] : [من الوافر]

إذا أَبْطا الرَّسُولُ فَقُلْ : نَجاحٌ ... وَلا تَفْرَحْ إذا عَجِلَ الرَّسولُ

- وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم .

* * *

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٥٧٩).

(٢) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٢/ ٥٩٥).

الباب الخامس والعشرون

في الشَّفقة على خَلق الله تعالى والرَّحمة بهم ، وفضل الشَّفاعة ، وإصلاح ذات البَيْن وفيه فصلان

الفصل الأوّل

في الشَّفقة على خَلق الله تعالى والرَّحمة بهم

• قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ٩/١٢٨] .

• ووصفَ الله نفسَه لعباده ، فقال عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢/١٤٣] .

• وقال الله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة : ١/ ٢-٣] .

• قال المفسِّرون : « الرَّحمٰن » اسمٌ رقيقٌ ، يدلُّ على العطفِ والرِّقَّة ، واللُّطْفِ والكَرَم ، والمِنَّة والحِلْم على الخَلْقِ ؛ والرَّحيم مثله .

• وقيل : يقال : رَحمٰن الدُّنيا ورَحيمُ الآخرة .

• وعن أَنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « والَّذي نَفْسي بيدهِ لا يَضَعُ اللهُ الرَّحمةَ إلا على رَحيم » قلنا : يا رسولَ الله ، كُلُّنا رَحيم . قال : « ليسَ الرَّحيمُ الَّذي يرحمُ نَفْسَهُ وأَهله خاصَّة ، ولكنَّ الرَّحيمَ الَّذي يرحمُ المسلمين » . رواه أَبو يعلى والطَّبراني .

• وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبي ﷺ قال : « مَن لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ ، ومن لا يَغفرْ لا يُغفرْ له » .

• وعنه ﷺ قال : « ارْحَموا تُرْحموا ، واغْفروا يُغفرْ لكم » .

• وعن أَبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله عزَّ وجلَّ : « إِن كُنتم تريدونَ رَحمتي ، فارحموا خَلْقي » . رواه أَبو محمّد ٱبن عديّ في كتاب « الكامل » .

• وروينا من طريق الطَّبراني، عن الشَّعبيّ، عن النُّعمان بن بَشير رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : « مَثَلُ المؤمنين في تَراحُمهم وتوادِّهم وتَواصُلهم ، كَمَثَلِ الجَسدِ إِذا اشتكى عُضْوٌ منه تداعى له سائرُ الجسدِ بالسَّهر والحُمَّى » .

قال الطَّبراني: إِنِّي رأَيتُ رسول الله ﷺ في المنامِ، فسأَلتُه عن هذا الحديث، فقال النَّبي ﷺ ، وأَشار بيده : « صحيحٌ ، صحيحٌ ، صحيحٌ » ثلاثاً .

• وعن ابن مسعود رضي الله عنه ، عن النَّبي ﷺ قال : « مَن مَسَحَ على رأس يتيمٍ ، كان له بكلِّ شَعْرَةٍ تَمُرُّ عليه يَدُه نورٌ يوم القيامة » .

• ودخل[1] عاملٌ لعمرَ بن الخطّاب رضي الله عنه ، فوجدَه مُستلقياً على ظَهره وصِبيانه يلعبونَ على بَطنه ، فأَنكر ذلك عليه ، فقال له عُمر : كيف أَنت مع أَهلك؟ قال : إِذا دخلتُ سكتَ النَّاطق ؛ فقال له : اعتزل ، فإِنَّك لا ترفقُ بأَهلك وولدك ، فكيف ترفقُ بأُمَّة محمَّد ﷺ؟ .

• ورُوي عن أَبي سعيد الخُدريّ رضي الله عنه ، أَنَّ رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ أَبدالَ أُمَّتي لن يدخلوا الجنَّة بالأَعمالِ ، ولكن يدخُلونها برحمةِ الله ، وسَخاوة النَّفْس ، وسلامَة الصُّدور ، والرَّحمةِ لجميع المسلمين » .

---

(١) ربيع الأبرار (٥/٣١٣) .

الفصل الثّاني

في الشَّفاعة وإصلاح ذات البَيْن

• قال اللهُ تعالى : ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [النساء : ٤/ ٨٥] .

• وقال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله تعالى يسألُ العبدَ عن جاهِهِ كما يسأَله عن عُمره ، فيقول له : جَعلتُ لك جاهاً ، فهل نَصَرْتَ بهِ مَظلوماً ، أَو قَمَعْتَ به ظالماً ، أَو أَغَثْتَ به مَكروباً؟ » .

• وقال ﷺ : « أَفضلُ الصَّدقَة أَن تعينَ بجاهِك من لا جاهَ له » .

• وعن أَبي بُردة ، عن أَبي موسى الأَشعريّ رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا جاءني طالبُ حاجةٍ فاشفعوا له لكي تُؤجَروا ، ويقضي الله تعالى على لسان نبيِّه ما شاء » .

• وعن سَمرة بن جُندب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أَفضلُ الصَّدقةِ صَدَقَةُ اللِّسان » قيل : يا رسولَ الله ، وما صَدقةُ اللِّسان؟ قال : « الشَّفاعةُ تَفُكُّ بها الأَسير ، وتحقنُ بها الدِّماء ، وتجرُّ بها المعروفَ إلى أَخيك ، وتدفعُ عنه بها كريهةً » . رواه الطَّبراني في « المكارم » .

• وقال[١] عليٌّ رضي الله عنه : الشَّفيعُ جناحُ الطَّالب .

• وقال[٢] رجلٌ لبعض الولاة : إنَّ النَّاس يتوسَّلون إليك بغيرك ، فينالون معروفك ويشكرون غيرك ، وأَنا أَتوسَّلُ إِليك بكَ ، ليكونَ شُكري لك لا لغيرك .

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ١٧٨).
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ١٧٠).

• وقيل[1] : كان المنصورُ مُعجباً بمحادثة محمّد بن جعفر بن عُبيد الله[2] بن عبّاس رضي الله عنهم ، وكان النّاس لِعِظَم قَدْرِهِ يَفزعُون إليه في الشَّفاعات ، فثقلَ ذلك على المنصور ، فحَجبه مدَّةً ، ثم لم يصبرْ عنه ، فأمر الرَّبيعَ أَنْ يُكلِّمه في ذلك ، فكلَّمه ، وقال : اعفِ أَميرَ المؤمنين ، لا تثقلْ عليه في الشَّفاعات ؛ فقَبلَ ذلك منه ؛ فلمَّا توجَّه إلى الباب اعترضَه قومٌ من قُريش معهم رِقاعٌ ، فسأَلوه إيصالها إلى المنصور ، فقصَّ عليهم القِصَّة ، فأَبوا إلاَّ أَن يأخذها ، فقال : اقذفوها في كُمِّي ، ثم دخل عليه وهو في الخضراءِ ، مُشرفٌ على مدينة السَّلام وما حولَها من البساتين ، فقال له : أَما ترى إلى حُسنها يا أَبا عبد الله؟ فقال له : يا أَميرَ المؤمنين ، باركَ الله لك فيما آتاك ، وهَنَّأَك بإتمام نِعمتهِ عليك فيما أَعطاك ، فما بَنَتِ العربُ في دولة الإسلام ولا العَجَمُ في سالفِ الأَيّام ، أَحصنَ ولا أَحسنَ من مدينتك ، ولكن سَمَّجَتْها في عيني خَصْلةٌ ، قال : وما هي؟ قال : ليس لي فيها ضيعةٌ ؛ فتبسَّم ، وقال : قد حَسَّنْتُها في عينك بثلاثِ ضياعٍ قد أَقطعتُكها ؛ فقال : أَنت والله يا أَمير المؤمنين شريفُ الموارد كريمُ المصادر ، فجعلَ الله تعالى باقي عُمرك أَكثر من ماضيه ؛ ثم أَقام معه يومه ذلك ، فلمّا نهض ليقوم بَدَتِ الرِّقاعُ من كُمِّه ، فجعل يَردُّهُنَّ ويقولُ : ارجعْنَ خائباتٍ خاسِراتٍ ؛ فضحكَ المنصورُ وقال : بحقِّي عليك إلّا أَخبرتَني وأَعلمتني بخبر هذه الرِّقَاع ، فأَعلمه . وقال : أَبَيْتَ يا ابنَ معلِّم الخيرِ إلاّ كَرَماً ؛ وتمثَّل بقول عبد الله بن مُعاوية بن عبد الله بن جَعفر[3] : [من السريع]

لَسْنا وإنْ أَحْسابُنا كَرُمَتْ ... يَوماً على الأَحْسَابِ نتَّكِلُ
نَبْني كَما كانَتْ أَوائِلُنا ... تَبْني وَنَفْعَلُ مِثْلَ ما فَعَلوا

---

(١) تاريخ بغداد (٢/ ١١١ـ١١٣) وربيع الأبرار (٣/ ١٧١).
(٢) في الأصول : عبد الله ، خطأ.
(٣) ديوانه (٦٣) وينسبان للمتوكل الليثي وهما في ديوانه (٢٧٦) ، ونسبا في تاريخ بغداد (٢/ ١١٣) إلى امرىء القيس.

وتصفَّحَ الرِّقاعَ وقَضى حوائجهم عن آخِرها .

قال محمّد : فخرجتُ من عنده وقد رَبحتُ وأَربحتُ .

• وقال المبرِّد[1] : أَتاني رجلٌ لأَشفعَ له في حاجةٍ، فأَنشدني لنفسِه : [من البسيط]

إنِّـي قَصَـدْتُـكَ لا أُدْلـي بِمَعْـرِفَـةٍ ... وَلا بِقُرْبٍ وَلَكن قَدْ فَشَتْ نِعَمُكْ

فَبِـتُّ حَيْـرانَ مَكـروبـاً يُـؤَرِّقُنـي ... ذُلُّ الغَريب وَيُغْشيني الكَرى كَرَمُكْ

ما زِلْت أَنْكَبُ حتَّى زُلْزِلَتْ قَدمِي ... فـاحْتَلْ لِتَثْبِيْتِهـا لا زُلـزِلَـتْ قَـدَمُـكْ

فَلَوْ هَمَمْتَ بِغَيْرِ العُرْفِ ما عَلِقَتْ ... بِـهِ يَـداكَ ولا انْقـادَتْ لَـهُ شِيَمُـكْ

قال : فشفعتُ له ، وأَنلتُه من الإحسان ما قَدرتُ عليه .

• وكتبَ[2] رجلٌ إلى يحيى بن خالد رقعةً فيها هذا البيت : [من الطويل]

شَفيعـي إِلَيْـكَ اللهُ لا شَـيْءَ غَيْـرُهُ ... وَلَيْـسَ إِلـى رَدِّ الشَّفيـعِ سَبيـلُ

فأَمره بلزوم الدِّهليز ، فكان يُعطيه كلَّ يومٍ عندَ الصَّباح أَلفَ دِرهمٍ ، فلمّا استوفى ثلاثين أَلفاً ، ذهبَ الرَّجلُ ؛ فقال يحيى : والله لو أَقام إلى آخر عُمره ما قطعتُها عنه .

• شعر : [من الطويل]

وَقَـدْ جِئْتُكُـمْ بـالمُصْطَفـى مُتَشَفِّعـاً ... ومـا خـابَ مَـن بـالمُصْطَفى يَتَشَفَّـعُ

إِلـى بـابِ مَـوْلانـا رَفَعْـتُ ظُـلامَتي ... عسى الهَمُّ عَنِّي والمصائِبُ تُرْفَعُ

• وقال آخر : [من الوافر]

تَشَفَّـعْ بـالنَّبـيِّ فَكُـلُّ عَبْـدٍ ... يُجـارُ إذا تَشَفَّـعَ بـالنَّبـيِّ

ولا تَجْـزَعْ إذا ضَـاقَـتْ أُمـورٌ ... فَكَـمْ للهِ مِـن لُطْـفٍ خَفِـيِّ

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ١٦٨).

(٢) ربيع الأبرار (٣/ ١٧٤).

• ورويَ[1] أَنّ جبريلَ عليه السّلام قال : يا محمّد ، لو كانت عبادتُنا للهِ تعالى على وجه الأَرض لعمِلنا ثلاثَ خِصالٍ : سَقْيَ الماء للمسلمين ، وإِعانة أَصحاب العيالِ ، وسترَ الذُّنوب على المسلمين إِذا أَذنبوا .

• اللَّهمَّ استر ذُنوبنا ، واقضِ عنا تَبعاتنا ؛ وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم .

* * *



---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ١٧٦).

الباب السادس والعشرون

في الحياء ، والتَّواضع ، ولين الجانب ، وخفض الجناح

وفيه فصلان

الفصل الأَوَّل

في الحياء

• قالت عائشةُ رضي الله عنها : مكارمُ الأَخلاق عشرةٌ : صِدْقُ الحديثِ ، وصدقُ اللِّسان ، وأَداءُ الأَمانة ، وصِلَة الرَّحِم ، والمكافأَة بالصَّنيع ، وبذلُ المعروف ، وحِفظُ الذِّمام للجار ، وحِفظ الذِّمام للصّاحب وقِرى الضَّيف ، ورَأْسهنَّ الحياءُ .

• قال[1] رسول الله ﷺ : « الحياءُ شُعبةٌ من الإيمان » .

• وقال[1] رسول الله ﷺ : « إِنَّ ممّا أَدرك النّاس من كلام النُّبوَّة الأُولى : « إِذا لم تَسْتَحْي فاصنعْ ما شئتَ » .

• وقال[1] عليُّ بن أَبي طالبٍ كرّم الله وجهه : مَن كسا بالحياء ثوبه لم يَرَ النّاسُ عَيبه .

• وعن زيد بن عليّ ، عن آبائه ، يرفعونَه : « مَن لم يَسْتَحْيِ فهو كافر » .

• قال[1] أَبو موسى الأَشعريّ رضي الله عنه : إِنّي لأَدخلُ البيت المظلمَ أَغتسلُ فيه من الجنابة ، فأَحني فيه صُلبي حياءً من ربِّي .

---

(١) ربيع الأبرار (٢/١٦٨).

• وقال[1] بعضهم : الوجهُ المَصونُ بالحياءِ ، كالجوهَر المكنونِ في الوعاء .

• وقال[2] الخوّاصُ : إنَّ العبادَ عَملوا على أَربع منازل ؛ على الخوفِ والرَّجاءِ والتَّعظيم والحَياء ، فأَرفعُها منزلةً الحياءُ ؛ لمّا أَيقنوا أَنَّ الله يَراهم على كلِّ حالٍ قالوا : سواءٌ علينا رأَيناه أَو رآنا ، وكان الحاجزَ لهم عن مَعاصيه الحياءُ منه .

• ويُقال[3] : القناعةُ دليلُ الأَمانة ، والأَمانةُ دليلُ الشُّكر ، والشُّكر دليلُ الزِّيادة ، والزِّيادةُ دليلُ بقاءِ النِّعمة ، والحياءُ دليل الخيرِ كلِّه .

الفصل الثّاني

في التَّواضع ولين الجانب وخفض الجناح

• قال الله تعالى : ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الحجر : ١٥/ ٨٨] .

• وقال تعالى : ﴿ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [القصص : ٢٨/ ٨٣] .

• وقال[4] رسول الله ﷺ : « أَفضلُ العِبادة التَّواضعُ » .

• وقال ﷺ : « لا ترفعوني فوقَ قَدْري ، فَتقولوا فيَّ ما قالت النَّصارى في المسيحِ ، فإِنَّ الله عزَّ وجلَّ اتَّخذني عَبْداً قبل أَن يتَّخذَني رَسولاً » .

• وأَتاه[5] ﷺ رجلٌ فكلَّمه فأَخَذَتْهُ رِعْدَةٌ ، فقال ﷺ له : « هَوِّنْ عليك ، فإِنِّي لستُ بِمَلِكٍ ، إِنَّما أَنا ابنُ امرأَةٍ من قُريشٍ تأكلُ القَديد » .

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ١٦٩).
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ١٩٢).
(٣) التذكرة الحمدونية (٢/ ٢٣١).
(٤) التذكرة الحمدونية (٣/ ٩٣).
(٥) التذكرة الحمدونية (٣/ ٩٤) .

• وكان ﷺ يرقعُ ثوبه ، ويخصِفُ نَعْلَهُ ، ويخدمُ في مِهْنَةِ أَهله ، ولم يكنْ مُتكبِّراً ولا مُتَجبِّراً ؛ أَشدَّ النّاس حياءً ، وأَكثرَهم تواضعاً ؛ وكان إِذا حدَّث بشيءٍ ممَّا آتاه الله تعالى قال : « ولا فَخْرَ » .

• وقال ﷺ : « إِنَّ العَفْوَ لا يزيدُ العبدَ إِلا عِزّاً ، فاعفوا يعزَّكُم اللهُ ؛ وإِنَّ التَّواضعَ لا يزيدُ العبدَ إِلا رِفْعَةً ، فتواضَعوا يرفعْكم الله ؛ وإِنَّ الصَّدَقَةَ لا تزيدُ المالَ إِلا نَماءً ، فتصدَّقوا يزدْكم الله » .

• وقال[1] عَدِيّ بن أَرطاة لإِياس بن مُعاوية : إِنَّك لسريعُ المِشْيَةِ ؛ قال : ذلك أَبعدُ من الكِبْرِ ، وأَسْرعُ في الحاجَة .

• وخرج[2] معاوية على ابن الزُّبير وابن عامر ، فقام ابنُ عامر وجلسَ ابنُ الزُّبيرِ ، فقالَ مُعاوية لابن عامر : اجلسْ ، فإِنِّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَن أَحَبَّ أَن يتمثَّلَ له النَّاسُ قياماً ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقعدَه من النّار » .

• وقيل[3] : التَّواضع سُلَّمُ الشَّرَف .

• ولبسَ[4] مُطرّف بن عبد الله الصُّوفَ وجلسَ مع المساكين ، فقيل له في ذلك ، فقال : إِنَّ أَبي كان جبّاراً ، فأَحببتُ أَن أَتواضعَ لربِّي ، لعلَّه أَن يُخفِّف عن أَبي تَجَبُّرَهُ .

• وقال[4] مُجاهد : إِنَّ الله تعالى لمّا أَغرقَ قومَ نُوحٍ ، شَمخت الجبالُ وتَواضعَ الجُودِيُّ ، فرفَعه فوقَ الجبال ، وجعلَ قرارَ السَّفينة عليه .

---

(١) التذكرة الحمدونية (٣/ ٩٧) وفي محاضرات الراغب (١/ ٢٦٢) لعمر .
(٢) التذكرة الحمدونية (٣/ ٩٧) .
(٣) القائل هو ابن المعتز ، في نثر الدر (٣/ ١٥٣) ، و ثمار القلوب (٢/ ٩٥٩) وهو لعمرو ابن الزبير في التذكرة الحمدونية (٣/ ٩٨).
(٤) ربيع الأبرار (٢/ ١٩٣) .

• وقال[1] الله تعالى لموسى عليه السَّلام: هل تَعرفُ لِمَ كلَّمتُك من بينِ النّاس؟ قال : لا يا رَبّ . قال : لأنِّي رأَيتُك تتمرَّغُ بين يديَّ في التُّراب تَواضعاً لي .

• وقيل : مَن رفعَ نفسَه فوق قَدْرِه ، استَجلَب مَقْتَ النّاس .

• وقال[2] أَبو مُسلم صاحبُ الدَّعوة : ما تَاهَ إلا وَضيعٌ ، ولا فاخَرَ إلا لَقيطٌ ؛ وكُلُّ مَن تواضعَ للهِ رَفعهُ الله .

• فسُبحان مَن تواضَع كُلُّ شيءٍ لعزِّ جَبروتِ عَظمته ؛ وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصَحْبه وسلَّم .

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ١٩٩)

(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٣٣٠) .

الباب السّابع والعشرون

في العُجْبِ والكِبْرِ والخُيَلاء ، وما أَشبهَ ذلك

• **اعلمْ** أَنَّ الكِبْرَ والإِعجابَ يَسلبانِ الفَضائلَ ويُكسبانِ الرَّذائلَ ، وَحَسْبُكَ من رَذيلةٍ تمنعُ من سَماع النُّصحِ وقبولِ التّأديبِ ؛ والكِبْرُ يُكسبُ المَقْتَ ، ويمنعُ من التّآلفِ .

• قال[1] رسول الله ﷺ : «لا يَدخلُ الجَنَّةَ مَن كان في قَلبه مِثقالُ حبَّةٍ من كِبْرٍ» .

• وقال[2] رسول الله ﷺ : « مَن جَرَّ ثَوبه خُيَلاءَ لا ينظرُ اللهُ إِليه » .

• وقال الأَحنفُ بن قيس : ما تكبَّرَ أَحدٌ إِلا مِن ذِلَّةٍ يجدُها في نَفسه .

• ولم تزل الحُكماء تتحامى الكِبْرَ وتَأنفُ منه .

• ونظر أَفلاطون إِلى رجلٍ جاهلٍ مُعجَبٍ بنفسه ، فقال : وَددتُ أَنّي مثلُك في ظَنِّكَ ، وأَنَّ أَعدائي مِثْلُك في الحقيقة .

• ورأَى[3] رجلٌ رجلاً يختالُ في مِشيته ، فقال : جَعلني الله مثلَك في نَفْسك ، ولا جَعلني مثلَك في نفسي .

• وقال[4] الأَحنفُ : عجبتُ لمن جَرى في مَجرى البَوْلِ مَرَّتين كيف يتكبَّرُ .

---

(١) التذكرة الحمدونية (٣/ ٩٣ و٩٥).

(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٣٠٩) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٩٣) .

(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٣١٠) .

(٤) التذكرة الحمدونية (٣/ ٩٣ و٩٥).

• ومرَّ[1] بعضُ أَولادِ المُهَلَّبِ بمالِكِ بن دينار وهو يَتبختَرُ في مَشيِهِ ، فقال له مالكٌ : يا بُنَيّ ، لو تركتَ هذه الخُيلاء لكان أَجملَ بك ؛ فقال : أَو ما تعرِفُني؟ قال: أَعرِفُك معرفةً أَكيدةً ، أَوَّلُك نُطْفَةٌ مَذِرَة ، وآخِرُكَ جِيْفَةٌ قَذِرَةٌ، وأَنتَ بين ذلك تحملُ العَذِرَة؛ فأَرخى الفتى رُدْنَيْه[2] ، وكفَّ عمّا كان عليه .

• وقالوا : لا يَدُومُ المُلْكُ مع الكِبْر .

• وحَسْبُكَ من رذيلةٍ تسلُبُ الرِّياسة والسِّيادة ، وأَعظم من ذلك أَنَّ الله تعالى حرَّمَ الجنَّة على المتكبِّرين ، فقال تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص : ٢٨/ ٨٣] فقرَن الكِبْرَ بالفَساد .

• وقال تَعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف : ٧/ ١٤٦] .

• وقال[3] بعضُ الحُكماء : ما رأَيتُ متكبِّراً إلا ما تَحوَّلَ ما بِهِ بي ، يعني : أَتكبَّرُ عليه .

• واعلمْ أَنَّ الكِبْرَ يُوجب المَقْتَ ، ومَن مَقَتَهُ رِجالُهُ لم يستقمْ حالُه .

• والعربُ[4] تجعلُ جَذيمة الأَبرش غايةً في الكِبْر ، يُقال : إِنَّه كان لا يُنادمُ أَحداً لِتكبُّرِهِ ، ويقولُ : إِنَّما يُنادمني الفَرقدان .

• وكان[5] ابنُ ثوابَة من أَقبح النّاس كِبْراً ، رُوي أَنَّه قال لغُلامه : اسقني ماءً ؛ فقال: نَعم؛ فقال: إِنَّما يقولُ «نَعَم» مَن يقدرُ أَن يقول «لا»، اصفعوه؛ فَصُفِعَ .

• ودعا أَكّاراً فكلَّمه ، فلمّا فرغَ دعا بماءً فَتَمضمضَ به استقذاراً لِمخاطبته .

---

(١) التذكرة الحمدونية (٣/ ١٠٣).
(٢) في الأصول : رأسه ، والمثبت من التذكرة .
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٣٢٨) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٠٩).
(٤) التذكرة الحمدونية (٣/ ١٠٠) وعيون الأخبار (١/ ٢٧٤) ومحاضرات الراغب (١/ ٢٦٣).
(٥) التذكرة الحمدونية (٣/ ١٠٢) ومحاضرات الراغب (١/ ٢٦٣) .

• ويُقال[1] : فلانٌ وضعَ نفسَه في درجةٍ لو سقطَ منها لَتكَسَّرَ .

• قال[2] الجاحظُ : المشهورون بالكِبْرِ من قريشٍ : بَنو مَخزوم ، وبنو أُميَّة ؛ ومن العرب : بنو جَعفر بن كِلاب ، وبنو زُرارة بن عديّ ؛ وأَمّا الأَكاسرة فكانوا لا يَعدُّون النَّاسَ إلا عَبيداً ، وأَنفُسَهم إلا أَرباباً .

• وقيل[3] لرجلٍ من بني عبد الدّار : أَلا تأتي الخليفة؟ فقال : أَخافُ أَن لا يحملَ الجسرُ شَرَفي! .

• وقيل[4] للحجّاج بن أَرطاة : ما لكَ لا تحضرُ الجَماعة؟ قال : أَخشى أَن يُزاحمَني البقّالون! .

• وقيل[5] : أَتى وائلُ بن حُجرٍ إلى النَّبي ﷺ فأَقطعه أَرضاً ، وقال لمعاوية : « اعرضْ هذه الأَرض عليه ، واكتبها له » فخرجَ معه مُعاوية في هاجرةٍ شَديدةٍ ، ومَشى خلفَ ناقته ، فأَحرقَهُ حَرُّ الشَّمس ، فقال له : أَرْدِفْني خلفَك على ناقَتك ؛ قال : لستَ من أَرداف المُلوك ؛ قال : فأَعْطني نَعليك ؛ قال : ما بُخْلٌ يَمنعني يا ابنَ أَبي سُفيان ، ولكن أَكرهُ أَن يبلغَ أَقيالَ اليمن أَنَّك لَبِسْتَ نَعليَّ ، ولكن ٱمشِ في ظلِّ ناقتي ، فَحَسْبُكَ بها شَرَفاً! .

وقيل : إنَّه لحقّ زمنَ مُعاوية ودخلَ عليه ، فأَقعده معه على السَّرير وحَدَّثه .

• وقال[6] المُساور بن هِند لرجلٍ : أَتعرفُني؟ قال : لا ؛ قال : أَنا المساورُ بن هِند ؛ قال : ما أَعرفُك . قال : فَتَعْساً وَنَكْساً لمن لم يعرفِ القَمَر! .

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٣١٦).
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٣١٧) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٠٨) .
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٣٢٨) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٠٩).
(٤) ربيع الأبرار (٥/ ٣١٦).
(٥) ربيع الأبرار (٤/ ٣١٠) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٩٧).
(٦) ربيع الأبرار (٤/ ٣١١) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٠٧).

• قال الشّاعر[1] : [من البسيط]

لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ ما في التِّيْهِ لَمْ تَتِهِ : قُولا لأَحْمَقَ يَلوي التِّيْهُ أَخْدَعَهُ

أَلتِّيْـهُ مَفْسَـدَةٌ لِلـدِّيْـنِ ، مَنْقَصَـةٌ لِلْعَقْـلِ ، مُهْلِكَـةٌ لِلْعِـرْضِ ، فـانْتَبِـهِ

• وقيل : لا يَتَكَبَّر إلا كُلُّ وَضيعٍ ، ولا يَتواضَعُ إلا كُلُّ رَفيعٍ .

• واللهُ سبحانه وتعالى أَعلم ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم .

(١) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٤/ ٣٢١).

الباب الثامن والعشرون

في الفَخْر والمُفَاخَرة والتّفاضُل والتّفاوُت

● فمن[(١)] شَواهد المفاخَرة قولُه تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾ [السجدة : ٣٢/١٨] . نَزَلَت في عليٍّ بن أَبي طالبٍ كرّم اللهُ وَجهه ، وعُقبة ابن أَبي مُعَيْط ، وكانا تفاخرا .

● وقوله[(١)] تعالى : ﴿ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [فصلت : ٤١/ ٤٠] نزلت في أَبي جَهْلٍ ، وعمّار بن ياسر .

● والنَّسَبُ[(١)] إِلى سيِّدنا رسول الله ﷺ أَشرفُ الأَنساب ، وقد قال ﷺ : « أَنا سَيِّدُ وَلَدِ آدمَ ولا فَخْر » .

● وقد[(١)] نَفى الله تعالى الفَخْرَ بالأَنسابِ بقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات : ٤٩/ ١٣] فالفخر في الإِسلام بالتقوى .

● وقال[(٢)] رسول الله ﷺ : « إِنَّ نبيَّكم واحدٌ ، وإِنَّ أَباكم واحدٌ ، وإِنَّه لا فَضْلَ لِعَرَبيٍّ على عَجَميٍّ ولا لأَحمرَ على أَسودَ إِلا بالتَّقوى ، أَلا هَلْ بَلَّغتُ؟ » .

● وقال الأَصمعيُّ : بينما أَنا أَطوفُ بالبيتِ ذاتَ ليلةٍ إِذ رأَيتُ شابّاً مُتَعلِّقاً بأَستار الكعبةِ وهو يقولُ : [من البسيط]

يا مَن يُجيبُ دُعا المُضْطَرِّ في الظُّلَمِ ... يا كاشفَ الضُّرِّ والبَلْوى مَعَ السَّقَمِ

قَد نامَ وَفْدُكَ حَوْلَ البَيْتِ وانْتَبَهُوا ... وأَنْتَ يا حَيُّ يا قَيُّومُ لَمْ تَنَمِ

---

(١) التذكرة الحمدونية (٣/ ٣٨٨).

(٢) التذكرة الحمدونية (٣/ ٣٨٩).

أَدْعـوكَ رَبِّـي حَـزينـاً هـائِمـاً قَلِقـاً فارْحَمْ بُكائي بِحَقِّ البَيْتِ والحَرَمِ
إن كـانَ جُـودُكَ لا يَـرْجُـوهُ ذو سَفَـهٍ فَمَنْ يَجُودُ على العاصِينَ بالكَرَمِ؟

ثم بكى بكاءً شديداً ، وأَنشدَ يقولُ : [من الطويل]

أَلا أَيُّها المَقْصُودُ في كُلِّ حاجَتي شَكَوْتُ إِليكَ الضُّرَّ فارْحَمْ شِكايَتي
أَلا يا رَجائي أَنْتَ تَكْشِفُ كُرْبَتي فَهَبْ لي ذُنُوبي كُلَّها واقْضِ حاجَتي
أَتَيْـتُ بـأَعْمـالٍ قِبـاحٍ رَديئَـةٍ وما في الورى عَبْدٌ جَنى كجنايَتي
أَتَحْـرِقُنـي بـالنّـارِ يـا غـايَـةَ المُنـى فـأَيْـنَ رَجـائـي ثـمَّ أَيْـنَ مَخـافَتـي

ثم سقطَ على الأرض مَغْشِيّاً عليه ، فدنوتُ منه ، فإذا هو زينُ العابدين عليُّ ابن الحسين بن عليّ بن أَبي طالب رضي الله عنهم أَجمعين ، فرفعتُ رأسَه في حِجْري وبكيتُ ، فقطرتْ دمعةٌ من دموعي على خدِّه ، ففتح عينيه وقال : مَن هذا الذي يهجمُ علينا؟ قلت : عُبَيْدُك الأَصمعيُّ ؛ سيِّدي ما هذا البكاءُ والجَزَعُ ، وأَنت من أَهل بيت النُّبوَّة ، ومَعْدِن الرِّسالة؟ أَليس الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣/٣٣] ؟ فقال : هيهاتَ هيهاتَ يا أَصمعيُّ ، إِنَّ الله خلقَ الجنَّة لمن أَطاعه ، ولو كان عبداً حبشيّاً ، وخلق النّار لمن عصاه ولو كان حُرّاً قرشيّاً ، أَليس الله تعالى يقول : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ۝١٠١ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون : ٢٣/١٠١ـ١٠٣] .

• والفخرُ[1] وإِن نَهَت عنه الأَخبارُ النَّبويَّةُ ، ومَجَّتْهُ العقولُ الذَّكيَّة ، إِلا أَنَّ العرَب كانت تفتخرُ بما فيها من البيان طَبْعاً لا تَكَلُّفاً ، وجِبلَّةً لا تعلُّماً ، ولم يكن لهم مَن ينطقُ بفضلهم إِلا هُم ، ولا يُنَبِّهُ على مَناقبهم سِواهم .

---

(١) التذكرة الحمدونية (٣/ ٣٩٠).

• وكان[1] كعبُ بن زُهير إذا أَنشدَ شِعراً قال لنفسه : أَحسنتُ ، وجاوزتُ واللهِ الإِحسانَ؛ فيقالُ له : أَتحلفُ على شِعرك؟ فيقول : نَعم ، لأَنّي أَبْصَرُ به مِنكم .

• وكان[2] الكُميت إذا قال قصيدةً صنعَ لها خُطبةً في الثَّناء عليها ، ويقول عند إنشادها : أَيُّ عِلْمٍ بين جَنْبَيَّ ، وأَيُّ لسانٍ بين فَكَيَّ .

• وقال[3] الجاحظُ : لو لم يَصِف الطَّبيبُ مصالحَ دَوائه للمعالجين ما وُجد له طالبٌ .

• ولمّا[3] أَبدعَ ابنُ المُقَفَّعِ في رسالته الَّتي سمّاها « باليتيمة » تَنزيهاً لها عن المِثل ، سكنت من النُّفوس موضعَ إرادته من تَعظيمها ، ولو لم ينحلها هذا الاسم لكانت كسائر رسائله .

• **وسنذكرُ[4] في هذا الباب إن شاء الله تعالى شيئاً من نَظْم البُلغاء ونَثرهم في الافتخار ، ومَن تفاخَرَ منهم ، بعون الله وفَضله وتَيسيره .**

• قال[4] أبو بكر الهُذَليّ : سايرتُ المنصورَ ، فعرضَ لنا رجلٌ على ناقةٍ حمراءَ تطوي الفلاةَ ، وعليه جُبَّةٌ حمراءُ وعِمامةٌ عَدَنِيَّةٌ ، وفي يدِه سَوْطٌ يكادُ يمسُّ الأَرضَ ، فلمّا رآه المنصورُ أَمرني بإِحضاره ، فدَعوتُه ، وسأَلتُه عن نَسَبه وبلاده ، وعن قَومه وعَشيرته ، وعن وُلاة الصَّدَقة ؛ فأَحسنَ الجوابَ ، فأَعجبَه ما رأَى منه ، فقال : أَنشدني شِعراً ، فأَنشده شعراً لأَوسِ بن حَجَر وغيره من الشُّعراء من بني عَمرو بن تميم ، وحَدَّثه حتَّى أَتى على بيتِ شعرٍ لطَريف بن تَميم ، وهو قوله : [من البسيط]

إِنَّ الأُمُــورَ إذا أَوْرَدْتُهــا صَــدَرَتْ ... إِنَّ الأُمــورَ لَهــا وِرْدٌ وإِصْــدارُ

---

(1) التذكرة الحمدونية (٣/ ٣٩٠).
(2) التذكرة الحمدونية (٣/ ٣٩٠) وفي ربيع الأبرار (٤/ ٣١٣) لكعب بن زهير .
(3) ربيع الأبرار (٤/ ٣١٣) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٣٩١).
(4) التذكرة الحمدونية (٣/ ٣٩١).

فقال : وَيحك ، ما كان طريفٌ فيكم حيثُ قال هذا البيت؟ قال : كان أَثقلَ العرب على عدوِّه وَطْأَةً ، وأَقراهم لضَيفه ، وأَحْوَطَهُم من وراءِ جاره ، اجتمعتْ العربُ بعُكاظ ، فكلُّهم أَقرُّوا له بهذه الخِلال ؛ فقال له : واللهِ يا أخا بنِي تميم ، لقد أَحسنتَ إِذ وصفتَ صاحبَك ، ولكنِّي أَحَقُّ ببيته منه .

● ومن شعر أَبي الطَّمَّحان[1] : [من الطويل]

وإِنِّي مِنَ القَوْمِ الَّذينَ هُمُ هُمُ ... إِذا ماتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قامَ صاحِبُهْ
نُجومُ سَماءٍ كُلَّما غابَ كَوْكَبٌ ... بَدا كَوْكَبٌ تَأْوي إِليهِ كَواكِبُهْ
أَضاءَتْ لَهُمْ أَحسابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ ... دُجى اللَّيلِ حتَّى نَظَّمَ الجَزْعَ ثاقِبُهْ
وما زالَ فيهِمْ حَيْثُ كانَ مُسَوَّداً ... تَسيرُ المنايا حَيْثُ سارَتْ رِكائِبُهْ

● ولمّا[2] قَدِمَ معاويةُ المدينَة صعدَ المنبرَ ، فخطبَ ونال من عليٍّ رضي الله تعالى عنه ، فقام الحسنُ فحمدَ الله وأثنى عليه ، ثم قال : إِنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لم يبعثْ نبيّاً إلا جعلَ له عَدُوّاً من المجرمين ، فأَنا ابنُ عليٍّ وأَنت ابنُ صَخرٍ ، وأُمُّك هِنْدٌ وأُمِّي فاطمة ، وجَدَّتُك قَيْلَة وجَدَّتي خَديجة ، فلعنَ الله أَلأَمَنا حَسَباً ، وأَخْمَلَنا ذِكراً ، وأَعْظَمَنا كُفْراً ، وأَشَدَّنا نِفاقاً ؛ فصاح أَهلُ المسجد : آمين آمين ؛ فقطَع معاويةُ خُطبته ودخَل منزله .

● ورُوي[3] أَنَّ معاويةَ خرجَ حاجّاً ، فمرَّ بالمدينة ، ففرَّقَ على أَهلها أَموالاً ، ولم يحضر الحسنُ بن عليٍّ رضي الله عنهما ، فلمّا خرجَ من المدينة اعترضَه الحسنُ بن عليٍّ فقال له معاوية : مَرحباً برجلٍ تَرَكَنا حتَّى نَفِدَ ما عندنا ، وتعرَّضَ لنا لِيُبَخِّلنا ؛ فقال له الحسنُ : ولِمَ ينفدُ ما عندَك وخراجُ الدُّنيا يُجبى

---

(١) له في التذكرة الحمدونية (٣/ ٣٩٥) وكامل المبرد (١/ ٦٨) والحماسة البصرية (١/ ١٦١) وسمط اللآلي (١/ ٢٣٥) والأشباه والنظائر (١/ ١٥٧).
(٢) نثر الدر (١/ ٣٣٠) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٣٩٦).
(٣) التذكرة الحمدونية (٣/ ٣٩٦) .

إليك؟ فقال معاوية : إنِّي قد أَمرت لكَ بمثلِ ما أَمرتُ به لأَهل المدينة ، وأَنا ابنُ هند ؛ فقال الحسن : قد رددتُه عليكَ وأَنا ابنُ فاطمة .

• ودخلَ الحُسين يوماً على يزيد بن معاوية فجعلَ يزيدُ يفتخرُ ويقول : نحنُ ونحنُ ، ولنا من الفخر والشَّرف كذا وكذا ، والحسينُ ساكتٌ ، فأَذَّنَ المؤذِّنُ ، فلمّا قال : أَشهدُ أَنَّ محمّداً رسولُ الله ، قال الحسينُ : يا يَزيد ، جَدُّ مَن هذا؟ فخجلَ يزيدُ ولم يردَّ جواباً .

• وفي ذلك يقولُ عليُّ بن محمّد بن جَعفر[1] : [من الطويل]

لَقَدْ فاخَرَتْنا من قُرَيْشٍ عِصابَةٌ ... بِمَطِّ خُدودٍ وٱمْتِدادِ أَصابِعِ
فَلَمّا تَنازَعْنا الفَخارَ قَضى لنا ... عَلَيْهِمْ بِما نَهْوى نِداءُ الصَّوامِعِ
تَرانا سُكوتاً والشَّهيدُ بِفَضْلِنا ... عَلَيْهِمْ جَهيرُ الصَّوتِ مِن كُلِّ جامِعِ

• وله أيضاً[2] : [من البسيط]

إِنِّي وَقَوْمِيَ مِن أَنسابِ قَوْمِهِمُ ... كَمَسْجِدِ الخَيْفِ من بُحْبُوحَةِ الخَيْفِ
ما عُلِّقَ السَّيْفُ مِنّا بابْنِ عاشِرَةٍ ... إِلاَّ وَهِمَّتُهُ أَمْضى مِنَ السَّيْفِ

• وتفاخَرَ[3] العبّاسُ بن عبد المطّلب ، وطَلحة بن شَيْبة ، وعليّ بن أَبي طالب ، فقال العبّاسُ : أَنا صاحبُ السِّقاية والقائمُ عليها ؛ وقال طلحة : أَنا خادمُ البيتِ ومعي مِفتاحُه ؛ فقال عليٌّ : ما أَدري ما تقولان ، أَنا صلَّيتُ إلى هذه القِبْلَةِ قَبْلَكما بستَّةِ أَشهرٍ ؛ فنزلَت : ﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَاجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ [التوبة : ٩/ ١٩] الآية .

• وتفاخَرَ[4] رجلانِ على عَهد موسى عليه السَّلام فقال أَحدُهما : أَنا فلان بن

---

(١) التذكرة الحمدونية (٣/ ٣٩٦) .
(٢) له في ربيع الأبرار (٤/ ٣١٢).
(٣) له في ربيع الأبرار (٣١٢) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٤٠٧) والبصائر والذخائر (١/ ١٨٣).
(٤) ربيع الأبرار (٤/ ٣٢١).

فلان ، حتَّى عَدَّ تسعة آباء مُشركين ، فقال الآخر : أنا ابنُ فلان ، ولولا أنَّه مُسلمٌ ما ذَكرتُه ؛ فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السَّلام : أمّا الَّذي عَدَّ تسعة آباء مُشركين ، فَحَقٌّ على الله أن يجعلَ عاشِرَهُم في النّار ، والَّذي انتسبَ إلى أَبٍ مُسلمٍ ، فَحَقٌّ على الله أن يجعَله مع أبيه المسلمِ في الجنَّة .

• قال سَلمان الفارسيّ[1] : [من الوافر]

أَبــي الإســلامُ لا أَبَ لــي سِـواهُ إذا افْتَخَــروا بِقَيْــسٍ أو تَميــمِ

• وتَفاخَرَ[2] جريرٌ والفَرزدقُ عند سُليمان بن عبد المِلك ، فقال الفَرزدقُ : أَنا ابنُ مُحيي الموتى ؛ فأنكرَ سُليمان قوله ، فقال : يا أَمير المؤمنين ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة : ٥/ ٣٥] وجَدِّي فَدى المَوْؤُودات فاستحياهنَّ ، فقال سُليمان : إنَّك مع شِعرك لَفَقيهٌ .

• وكان صَعصعةُ جَدُّ الفرزدقِ أَوَّلَ مَن فدى الموؤودات .

• وللعبّاس بن عبد المُطَّلب[3] : [من الكامل]

إنَّ القَبـائِـلَ مِـن قُـرَيْشٍ كُلِّهـا لَيَـرَوْنَ أنّـا هـامُ أَهْـلِ الأَبْطَـحِ
وَتَـرى لنـا فَضْـلاً علـى سـاداتِهـا فَضْلَ المَنارِ على الطَّريقِ الأَوْضَحِ

• وكتبَ[4] الحَكَمُ بن عبدِ الرَّحمن المروانيُّ من الأَندلس إلى صاحبِ مِصر يفتخرُ : [من الطويل]

---

(١) البيت له في ربيع الأبرار (٤/ ٣٢٦) والبصائر والذخائر (٨/ ٢٠٧).وفي كامل المبرد (٣/ ١٠٩٧) والشعر والشعراء (١/ ٥٣٧) لنهار بن توسعة ، وهو لعيسى بن فاتك الخطي في هامش نسخة من الكامل ومعجم الشعراء (٩٦) (وفيه عيسى بن عاتك ، وهي أمه) ، وشعر الخوارج (١٣) .

(٢) التذكرة الحمدونية (٣/ ٣٩٧) .

(٣) التذكرة الحمدونية (٣/ ٤٣٢) للزبير بن عبد المطلب .

(٤) الحماسة البصرية (٢/ ١٨) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٤١٠) وهما لمحمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر في الحلة السيراء (١/ ٣٠٩) .

أَلَسْنا بَني مَرْوانَ كَيْفَ تَبَدَّلَتْ ... بِنا الحالُ أَو دارَتْ عَلَيْنا الدَّوائِرُ
إذا وُلِدَ المولودُ مِنّا تَهَلَّلَت ... لَهُ الأَرْضُ واهْتَزَّتْ إِلَيْهِ المنابِرُ

وكتبَ إليه كتاباً يَهجوه فيه ويَسُبُّه ، فكتبَ إليه صاحبُ مِصر : أَمَّا بعد : فإِنَّك عَرَفْتَنا فَهَجوتَنا ، ولو عَرفْناك لأَجْبَناك والسَّلام .

• وكان[1] أَبو العبّاس السَّفّاح يُعجبهُ السَّمَرُ ومُنازعةُ الرِّجالِ بعضُهم بعضاً ، فحضر عندَه ذاتَ ليلةٍ إبراهيمُ بنُ مَخْرَمَةَ الكِنْدِيّ وخالدُ بن صَفوان بن الأَهتم ، فخاضوا في الحديث وتَذاكروا مُضَرَ واليَمن ، فقال إبراهيمُ بنُ مَخْرَمَة : يا أَميرَ المؤمنين ، إنَّ أَهلَ اليمنِ هُم العربُ الَّذين دانَت لهم الدُّنيا ، ولم يَزالوا مُلوكاً ، وَرِثُوا المُلْكَ كابراً عن كابرٍ وآخِراً عن أَوَّلٍ ، منهمُ النُّعمانُ والمنذرُ ، ومنهم عياضٌ صاحبُ البحرين ، ومنهم مَن كان يأخذُ السَّفينة غَصْباً ، وليسَ من شيءٍ له خَطَرٌ إلا إليهم يُنسبُ ؛ إن سُئلوا أَعطَوا ، وإِن نزلَ بهم ضيفٌ قَرَوْهُ ؛ فهم العربُ العارِبَةُ وغيرهم المُتَعَرِّبَةُ .

فقال أَبو العبّاس : ما أَظنُّ التَّميميَّ رضيَ بقَولك ؛ ثم قال : ما تقولُ أَنت يا خالد؟ قال : إنْ أَذِنَ لي أَميرُ المؤمنين في الكلامِ تكلَّمتُ ؛ قال : تكلَّم ولا تَهَبْ أَحداً ؛ فقال : أَخطأَ المُتَقَحِّمُ بغيرِ علم ، ونطقَ بغيرِ صوابٍ ، وكيف يكونُ ذلك لقومٍ ليس لهم أَلسنٌ فَصيحةٌ ، ولا لغةٌ صَحيحةٌ نزلَ بها كتابٌ ، ولا جاءت بها سُنَّةٌ ؛ يَفتخرون عَلينا بالنُّعمانِ والمنذر ، ونفتخرُ عليهم بخير الأَنام وأَكرم الكِرام سيِّدنا محمَّد عليه الصَّلاةُ والسَّلام ، فللهِ المِنَّةُ به علينا وعليهم ؛ فَمِنّا النَّبيُّ المصطفى ، والخليفةُ المُرْتَضى ، ولنا البيتُ المعمورُ ، وزمزم ، والحطيمُ ، والمقامُ ، والحِجابةُ ، والبَطحاءُ ، وما لا يُحصى من المآثر ؛ ومنّا الصِّدِّيقُ ، والفاروقُ ، وذو النُّورين ، والرِّضا ، والوليُّ ، وأَسَدُ الله ، وسَيِّدُ الشُّهداء ؛ وبنا

---

(١) الموفقيات (١٢١) والمحاسن والمساوىء (١/ ١٥٠) والجليس والأنيس (٣/ ٤٢) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٤١١) ومختصر تاريخ دمشق (٣/ ١١٢) .

عَرفوا الدِّين وأَتاهم اليقين ، فَمَن زاحَمنا زاحَمْناه ، ومن عادانا اصطَلمناه .

ثمَّ أَقبلَ خالدُ على إبراهيم فقال : أَلَكَ عِلْمٌ بلغةِ قَومك؟ قال : نعم ؛ قال : فما اسمُ العين عندكم؟ قال : الجَحْمَة ، قال : فما اسمُ السِّنِّ؟ قال : المِبْزَم ، قال : فما اسمُ الأُذن؟ قال : الصِّنّارة ؛ قال : فما اسمُ الأَصابع؟ قال : الشَّناتير ؛ قال : فما اسمُ الذِّئب؟ قال : الكُتَع ؛ قال : أَفعالمٌ أَنت بكتاب الله عزَّ وجلَّ؟ قال : نعم ؛ قال : فإنَّ الله تعالى يقولُ : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف : ١٢/٢] وقال تعالى : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء : ٢٦/١٩٥] وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾ [إبراهيم : ١٤/٤] ، فنحنُ العربُ والقرآنُ بِلساننا أُنزلَ ؛ أَلم ترَ أَنَّ الله تعالى قال : ﴿ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ ﴾ [المائدة : ٥/٤٥] ولم يقلْ : والجَحْمَة بالجَحْمَة ؛ وقال تَعالى : ﴿ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ ﴾ [المائدة : ٦/٤٥] ولم يقلْ : والمِبْزَم بالمِبْزَم ؛ وقال تعالى : ﴿ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ ﴾ [المائدة : ٦/٤٥] ولم يقُلْ : والصِّنّارة بالصِّنّارة ؛ وقال تعالى : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم ﴾ [البقرة : ١٩/٢] ولم يقلْ : شَناتيرهم في صِنّاراتهم ؛ وقال تَعالى : ﴿ فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ﴾ [يوسف : ١٧/١٢] ولم يقل : الكُتَع ؛ ثم قال لإبراهيم : إِنِّي أسأَلُك عن أَربعٍ ، إن أَقررتَ بهنَّ قُهِرْتَ ، وإن جَحَدْتَهُنَّ كَفَرْتَ ؛ قال : وما هُنَّ؟ قال : الرَّسولُ مِنّا أَو منكم؟ قال : منكُم ؛ قال : فالقُرآن أُنزلَ علينا أَو عليكم؟ قال : عليكم ؛ قال : فالمِنبر فينا أَو فيكم؟ قال : فيكم ؛ قال : فالبيتُ لنا أَو لكم؟ قال : لكم ؛ قال : فاذهبْ ، فما كان بعدَ هؤلاء فهُو لكم ؛ بل ما أَنتم إِلا سائسُ قِرْدٍ ، أَو دابغُ جِلْدٍ ، أَو ناسِجُ بُرْدٍ ؛ قال : فضحكَ أَبو العبّاس ؛ وأَقرَّ لخالدٍ ، وحَباهما جميعاً .

● وقال بشّارُ بن بُرْدٍ يفتخرُ[1] : [من الطويل]

إِذا نَحْنُ صُلْنا صَوْلَةً مُضَرِيَّةً هَتَكْنا حِجابَ الشَّمْسِ أَو قَطَرَتْ دَما

---

(١) ديوانه (٤/ ١٨٤ـ١٨٥) .

إذا مـا أَعْـرَنـا سَيِّـداً مـن قبيلـةٍ ... ذُرا منبَـرٍ صلَّـى علينـا وسَلَّمـا

• وقال السَّمَوْأَلُ بن عادياء[1] : [من الطويل]

إذا المرءُ لَمْ يَدْنَسْ منَ اللُّؤْمِ عِرْضُهُ ... فَكُـلُّ رداءٍ يَـرْتَـديـهِ جَميـلُ

وإنْ هُوَ لَمْ يَحمِلْ على النَّفْسِ ضَيْمَها ... فَلَيْسَ إِلى حُسْنِ الثَّناءِ سَبيلُ[2]

تُعَيِّـرُنـا أَنّـا قَليـلٌ عَـديـدُنـا ... فَقُلْـتُ لَهـا : إِنَّ الكِـرامَ قَليـلُ

وَمـا قَـلَّ مَـن كـانَـتْ بَقـايـاهُ مِثْلَنـا ... شَبـابٌ تَسـامـى لِلْعُـلا وَكُهـولُ

وَمـا ضَـرَّنـا أَنّـا قَليـلٌ وجَـارُنـا ... عَـزيـزٌ وَجـارُ الأَكْثَـريـنَ ذَليـلُ

لَنـا جَبَـلٌ يَحْتَلُّـهُ مَـن نُجيـرُهُ ... مَنيـعٌ يَـرُدُّ الطَّـرْفَ وَهْـوَ كَليـلُ

سَرى أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرى وَسَما بِهِ ... إِلـى النَّجْـمِ فَـرْعٌ لا يُنـالُ طَـويـلُ

وإِنّـا أُنـاسٌ لا نَـرى القَتْـلَ سُبَّـةً ... إذا مـا رَأَتْـهُ عـامِـرٌ وَسَلـولُ

يُقَـرِّبُ حُـبُّ المَـوْتِ آجـالَنـا لَنـا ... وَتكْـرَهُـهُ آجـالُهُـمْ فَتَطُـولُ

وما مـاتَ مِنّـا سَيِّـدٌ حَتْـفَ أَنْفِـهِ ... وَلا طُـلَّ مِنّـا حَيْـثُ كـانَ قَتيـلُ

تَسيـلُ على حَـدِّ الظُّبـاتِ نُفُـوسُنـا ... وَلَيْسَـتْ على غَيْـرِ الظُّبـاتِ تَسيـلُ

وَنَحْنُ كماءِ المُزْنِ ما في نِصابنا ... كَهـامٌ وَلا فينـا يُعَـدُّ بَخيـلُ

وَنُنْكِرُ إِنْ شِئْنَا على النّاس قَوْلَهُمْ ... وَلا يُنْكِـرونَ القَـوْلَ حيـنَ نَقـولُ

إذا سَيِّـدٌ مِنّـا خَـلا قـامَ سَيِّـدٌ ... قَـؤولٌ بمـا قـالَ الكِـرامُ فَعـولُ

وَمـا خَمَـدَتْ نـارٌ لنـا دُون طـارِقٍ ... وَلا ذَمَّنـا فـي النّـازليـنَ نَـزيـلُ

وأَيّـامُنـا مَشْهـورَةٌ فـي عَـدُوِّنـا ... لَهـا غُـرَرٌ مَشْهـورَةٌ وَحُجـولُ

وأَسْيـافُنـا فـي كُـلِّ شَـرْقٍ وَمَغْـرِبٍ ... بِهـا مـن قِـراعِ الـدّارعيـنَ فُلـولُ

مُعَـوَّدَةٌ أَن لا تُسَـلَّ نِصـالُهـا ... فَتُغْمَـدَ حتَّـى يُستَبـاحَ قَتيـلُ

سَلي إِن جَهِلْتِ النّاسَ عَنّا وَعَنْهُمُ ... فَلَيْـسَ سَـواءٌ عـالِـمٌ وَجَهـولُ

---

(١) ديوانه (١٠) وديوان عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي (٨٨) .

(٢) في ب : × . . . وصول .

فـإنَّ بَنـي الـرَّيّـان قُطْـبٌ لِقَـوْمِهِـمْ   تَـدورُ رَحـاهُـم حَـوْلَهُـمْ وَتَجـولُ

• ولمّا[١] قدمَ وفدُ تَميمٍ على رسول الله ﷺ ومعهم خَطيبُهم وشاعرُهم ، خطبَ خطيبُهم ، فافتخَرَ ، فلمّا سكتَ أَمرَ رسول الله ﷺ ثابتَ بنَ قيس أَن يخطبَ بمعنى ما خَطبَ به خطيبُهم ، فخطبَ ثابتُ بنُ قيس فأَحسن ؛ ثم قام شاعرُهم وهو الزِّبْرِقان بن بدر فقال[٢] : [من البسيط]

نَحْـنُ المُلـوكُ فَـلا حَـيٌّ يُفـاخِـرُنـا   فِينـا العَـلاءُ وَفينـا تُنْصَـبُ البِيَـعُ
وَنَحْنُ نُطْعِمُهُمْ في القَحْطِ ما أَكَلوا   مِـن العَبيـطِ إذا لَـمْ يُـؤْنَـسِ القَـزَعُ
وَنَنْحَـرُ الكُـومَ عَبْطـاً فـي أَرومَتِنـا   لِلنّـازِلِيـنَ إذا مـا أُنْـزِلـوا شَبِعـوا
تِلْـكَ المَكـارِمُ حُـزْنـاهـا مُقـارَعَـةً   إذا الكِـرامُ علـى أَمثـالِهـا اقْتَـرَعـوا

ثم جلس ، فقال رسول الله ﷺ لحسّان بن ثابت : « قم » فقام فقال[٣] : [من البسيط]

إنَّ الـذَّوائِـبَ مـن فِهْـرٍ وإِخْـوَتِهِـمْ   قَـدْ بَيَّنُـوا سُنَنـاً لِلنّـاس تُتَّبَـعُ
يَرْضى بِها كُلُّ مَن كَانَتْ سَريرَتُهُ   تَقْوى الإِلَهِ وَبالأَمْرِ الَّذي شَرَعُوا
قَـوْمٌ إذا حـارَبُـوا ضَـرُّوا عَـدُوَّهُـمُ   أَوْ حاوَلوا النَّفْعَ في أَشْياعِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّـةٌ تِلْـكَ مِنْهُـمْ غَيْـرُ مُحْـدَثَـةٍ   إِنَّ الخَـلائِـقَ فـاْعْلَـمْ شَـرُّهـا البِـدَعُ
لَوْ كانَ في النّاسِ سَبّاقُونَ بَعْدَهُمُ   فَكُـلُّ سَبْـقٍ لأَدْنَـى سَبْقِهِـمْ تَبَـعُ
لا يَـرْقَـعُ النّـاسُ مـا أَوْهَـتْ أَكُفُّهُـمُ   عِنْدَ الدِّفاعِ ولا يُوهُونَ ما رَقَعوا
وَلا يَضِنُّـونَ عـن جـارٍ بِفَضْلِهِـمُ   وَلا يَمَسُّهُـمُ فـي مَطْمَـعٍ طَبَـعُ
خُذْ مِنْهُمُ ما أَتَوا عَفْواً إذا عَطَفوا   وَلا يَكُنْ هَمُّكَ الأَمْرَ الَّذي مَنَعُوا

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٥٦١) وما بعد وإمتاع الأسماع (١/ ٤٣٦) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٤١٩) وديوان حسان (٢٣٣ـ٢٤٠) .
(٢) ديوانه (٤٦ـ٤٧) .
(٣) ديوانه (٢٣٨) .

أَكْـرِمْ بِقَـوْمٍ رَسُـولُ اللهِ شِيْعَتُهُـمْ إِذا تَفَـرَّقَـتِ الأَهْـواءُ والشِّيَـعُ

فقال التَّميميون عند ذلك : وَرَبِّكم ، إنَّ خطيبَ القومِ أَخطبُ من خطيبنا ، وإِنَّ شاعرَهم أَشعرُ من شاعرِنا ، وما انتصَفْنا ولا قارَبْنا .

• وقال شاعرٌ من بني تميم[1] : [من الوافر]

أَيَبْغـي آلُ شَـدّادٍ عَلَيْنـا وَمـا يُـرْغَـى لِشَـدّادٍ فَصيـلُ
فـإِنْ تَغْمِـزْ مَفـاصِلَنـا تَجِـدْهـا غِـلاظـاً فـي أَنـامِـلِ مَـنْ يَصُـولُ

• وقال سالم بن وابِصة[2] : [من البسيط]

عَلَيْـكَ بـالقَصْـدِ فِيمـا أَنْت فَـاعِلُـهُ إِنَّ التَّخَلُّـقَ يَـأْتـي دُونَـهُ الخُلُـقُ
وَمَوْقِفٍ مِثْلِ حَدِّ السَّيْفِ قُمْتُ بِهِ أَحمي الذِّمارَ وَتَرْميني بِهِ الحَدَقُ
فَمـا زَلَقْـتُ وَلا أَبْـدَيْـتُ فـاحِشَـةً إِذا الـرِّجـالُ علـى أَمثـالِهـا زَلَقُـوا

وأَمَّا التَّفاضل والتَّفاوت

• فقد[3] رُوي أَنَّ رسول الله ﷺ كان إذا نظرَ لخالد بن الوليد وعِكْرِمَة بن أَبي جهلٍ قال : ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ [يونس : ١٠/ ٣١ ، والروم : ٣٠/ ١٩] .

لأَنَّهما كانا من خِيار الصَّحابة ، وأَبواهما أَعدى عَدوٍّ للهِ ولرسوله ﷺ .

• ومن[4] كلام عليٍّ رضي الله عنه لمعاوية رضي الله عنه : أَمّا قولُك : إنَّا بنو عبد مناف ، فكذلك نحن ، ولكن ليسَ أُمَيَّةُ كهاشِمٍ ، ولا حَرْبٌ كعبدِ المُطَّلب ، ولا أَبو سُفيان كأَبي طالب .

---

(١) لعمرو بن مسعود ، وهما في شرح الحماسة للمرزوقي (١/ ٣٣٩) .
(٢) له في التذكرة الحمدونية (٢/ ٤٠٦) وشرح الحماسة للمرزوقي (٢/ ٧١٠) .
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٣٦٥) وثمار القلوب (١/ ٧٣) .
(٤) ربيع الأبرار (٤/ ٣٦٦) .

• وقال[1] أَحمد بن سَهل : الرِّجالُ ثلاثةٌ ؛ سابقٌ ولاحقٌ وماحقٌ ؛ فالسّابقُ : الَّذي سَبَقَ بفضله ، واللاحقُ : الَّذي لحق بأَبيه في شرفه ، والماحِق : الَّذي مَحَقَ شرفَ آبائه .

• وقيل[2] : إنَّ عائشةَ بنتَ عُثمان كَفلَتْ أَبا الزِّناد صاحبَ الحديث ، وأَشْعَبَ الطَّمَّاع ، ورَبَّتْهُما ؛ قال أَشعب : فكنتُ أَسفلُ وكان يَعلو ، حتَّى بلغتُ أَنا وهو هاتين الغايتين ! .

• وقال[3] أَبو العواذل زكريّا بن هارون : [من الطويل]

عَلِــيٌّ وَعَبْــدُ اللهِ بَيْنَهمــا أَبٌ ... وَشَتّـان مـا بَيْـنَ الطَّبـائِعِ والفِعْـلِ
أَلَمْ تَرَ عَبْدَ اللهِ يَلْحَى على النَّدى ... عَليّـاً وَيَلْحـاهُ عَلـيٌّ علـى البُخْـلِ

• وحجَّ[4] أَبو الأَسْود الدُّؤَليّ بامرأَته ، وكانت شابَّةً جميلةً ، فعرَض لها عُمر ابن أَبي ربيعة ، فغازلها ، فأَخبرت أَبا الأَسْود ، فأَتاه فقال : [من الطويل]

وإِنِّي لَيَنْهانـي عـن الجَهْلِ والخَنا ... وعَـنْ شَتْـمِ أَقـوامٍ خَـلائِـقُ أَرْبَـعُ
حَيــاءٌ وإِسْــلامٌ وَتَقْــوى وأَنَّنــي ... كَـريـمٌ وَمِثْلـي مَـنْ يَضُـرُّ وَيَنْفَـعُ
فَشَتّــان مــا بَيْنــي وبَيْنَـكَ إِنَّنــي ... علــى كُـلِّ حــالٍ أَسْتَقيـمُ وَتَضْلَـعُ

• وقال ربيعة الرَّقِّيّ[5] : [من الطويل]

لَشَتّان ما بَيْنَ اليَزيدَيْنِ في النَّدى ... يَـزيـدِ سُلَيْـمٍ والأَغَـرِّ بـنِ حـاتِـمِ
يَـزيـد سُلَيْـمٍ سـالِـمُ المـالِ والفَتـى ... فَتـى الأَزْدِ لـلأَمْـوالِ غَيْـرُ مُسـالِـمِ

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٣٧٧).
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٣٨٠) والأغاني (١٩/ ١٣٦).
(٣) له في ربيع الأبرار (٤/ ٣٧٧) .
(٤) ربيع الأبرار (٤/ ٣٨٠) وديوانه (٥٦) والأغاني (١/ ١٤٨) .
(٥) ربيع الأبرار (٤/ ٣٨١) وديوانه (٦٠).

فَهَمُّ الفَتـى الأَزْديّ إِتـلافُ مـالِـهِ وَهَمُّ الفَتى القَيْسِيِّ جَمْعُ الدَّراهِمِ
فَـلا يَحْسَـبِ القَيْسِـيُّ أَنّـي هَجَـوْتُـهُ وَلكِنَّنــي فَضَّلْــتُ أَهْــلَ المكــارِمِ

● وقال عُبيدُ الله بنُ عبد اللهِ بن طاهر في أَخيه الحسين[1] : [من الوافر]

يَقُــولُ أَنــا الكَبيــرُ فَعَظِّمــونــي أَلا ثَكِلَتْــكَ أُمُّــكَ مِــن كَبيــرِ[2]
إِذا كــانَ الصَّغيــرُ أَعَــمَّ نَفْعــاً وَأَجْلَــدَ عِنْــدَ نــائِبَــةِ الأُمــورِ
وَلَــمْ يَــأْتِ الكبيــرُ بِيَــوْمِ خَيْــرٍ فَمــا فَضْــلُ الكبيــرِ علــى الصَّغيــرِ

● والله أَعلم بالصَّواب ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم .

(١) له في ربيع الأبرار (٤/ ٣٨٤).
(٢) في أ : × ألا هبلتك...

البابـ التّاسع والعشرون

في الشَّرف والسُّؤدد وعلوِّ الهِمَّة

• قال(١) رسول الله ﷺ : « مَن رزقَه الله مالاً فبذَل معروفَه ، وكفَّ أَذاه ، فذلك السَّيِّد .

• وقيل(٢) لقيس بن عاصم : بِمَ سُدْتَ قومَك؟ قال : [ببذلِ القِرى ، وتركِ المِرا ، ونُصرة المولى .

• وقيل(٣) لأَبي سفيان : بِمَ سُدْتَ قومك؟ قال :] لَم أُخاصم أَحداً إِلاَّ تركتُ للصُّلحِ مَوضعاً .

• وقال(٤) سعيدُ بن العاصِ : ما شاتمتُ رجلاً مُذ كنتُ رجلاً ، لأَنِّي لم أُشاتم إِلاَّ أَحد رَجلين ؛ إِمَّا كريمٌ ، فأَنا أَحقُّ أَن أُجِلَّه ، وإِما لئيمٌ فأَنا أَولى أَن أَرفعَ نَفسي عنه .

• وقالوا(٥) : مِن نَعْتِ السَّيِّد أَن يكونَ يملأ العينَ جمالاً ، والسَّمعَ مقالاً .

• وقيل(٦) : قدمَ وفدٌ من العرب على معاوية وفيهم الأَحنفُ بن قيس ، فقال

---

(١) التذكرة الحمدونية (٢/ ١٦) وعيون الأخبار (١/ ٢٢٦).

(٢) التذكرة الحمدونية (٢/ ١٧) وعيون الأخبار (١/ ٢٢٥).

(٣) التذكرة الحمدونية (٢/ ١٧) ونثر الدر (٣/ ١٦٧و١٧٥). وما بين حاصرتين سقط من الأصول بانتقال النظر.

(٤) التذكرة الحمدونية (٢/ ١٨) وأمالي القالي (٢/ ٢١١)، وفي كامل المبرد (١/ ٢٤٦) للأحنف.

(٥) التذكرة الحمدونية (٢/ ١٩) وكامل المبرد (٣/ ١٥٤).

(٦) التذكرة الحمدونية (٢/ ٢٠) ونثر الدر (٥/ ٢٠).

الحاجبُ : إنَّ أَميرَ المؤمنين يعزمُ عليكم أَن لا يتكلَّمَ أَحدٌ إلاَّ لنفسه ؛ فلمَّا وصلوا إليه قال الأحنفُ : لولا عزمُ أَمير المؤمنين لأخبرتُه أَن رادِفةً ردَفت ، ونازلةً نزلَت ، ونائبةً نابت ، الكُلُّ بهم حاجةٌ إلى المعروف من أَمير المؤمنين ؛ فقال له معاوية : حَسْبُك يا أَبا بَحرٍ ، فقد كفيتَ الشَّاهد والغائب .

• وقال[1] رجل للأحنف : بِمَ سُدْتَ قَومك ، وما أَنت بأَشرفهم بيتاً ، ولا أَصبحهم وجهاً ، ولا أَحسنِهم خَلْقاً؟ فقال : بخلافِ ما فيك ؛ قال : وما ذاك؟ قال : تَركي من أَمرك ما لا يعنيني ، كما عَناك من أَمري ما لا يعنيك .

• وقيل : السيد من يكون للأولياء كالغيث الغادي ، وعلى الأعداء كالليث العادي .

• وكان[2] سببُ ارتفاعِ عَرابةَ الأَوْسيّ وسُؤْدده أَنه قَدم من سَفَرٍ ، فجمَعه والشَّمَّاخَ بن ضِرار المُزَنيِّ الطَّريقُ ، فتحادثا ، فقال له عَرابة : ما الَّذي أَقدَمك المدينة يا شَمَّاخُ؟ قال : قَدِمتُها لأَمتارَ منها ؛ فملأَ له عَرابةُ رواحلَه بُرّاً وتَمراً ، وأَتحفَه بتُحفٍ غير ذلك ، فأَنشد يقول[3] : [من الوافر]

رَأَيْتُ عَرابَةَ الأَوْسِيِّ يَسْمُو ... إِلى الخَيْراتِ مُنْقَطِعَ القَرِينِ
إذا ما رايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ ... تَلَقَّاها عَرابَةُ باليَمينِ

وأَمَّا علوُّ الهِمَّة فهو أَصل الرِّئاسة :

• فَممَّن عَلَت هِمَّتُه وشرُفَت نفسُه : **عُمارةَ بن حَمْزة :**

• قيل[4] : إنَّه دخلَ يوماً على المنصور ، وقعدَ في مجلسه ، فقام رجلٌ ،

---

(١) التذكرة الحمدونية (٢/ ٢٣) وعيون الأخبار (١/ ٢٢٥).
(٢) التذكرة الحمدونية (٢/ ٢٦) والأغاني (٩/ ١٦٣) وكامل المبرد (١/ ١٢٨) وأمالي القالي (٢/ ٢٩) وانظر ربيع الأبرار (٤/ ٨٣).
(٣) ديوانه (٣٣٥ـ٣٣٦).
(٤) التذكرة الحمدونية (٢/ ٤٦) والبصائر والذخائر (٩/ ١١٩) والمستجاد (١٩٣).

وقال : مظلومٌ يا أمير المؤمنين ؛ قال : مَن ظَلَمك؟ قال : عُمارة بن حَمزة ، غَصَبني ضَيْعتي ؛ فقال المنصور : يا عُمارة ، قُم فاقعدْ مع خَصمك ؛ فقال : ما هو لي بخصم ؛ إن كانت الضَّيعةُ له ، فلستُ أُنازعهُ فيها ، وإن كانت لي فقد وَهبتُها له ، ولا أَقومُ من مقامٍ شرَّفني به أَمير المؤمنين ورفعني ، وأَقعد في أدنىٰ منه لأَجلِ ضَيعةٍ .

• وتحدَّث[1] السَّفَّاح هو وأُمُّ سَلَمَة يوماً في نَزاهة نَفْس عُمارة وكِبْرِه ، فقالت له : ادعُ به وأَنا أَهبُ له سُبْحَتي هذه ، فإِنَّ ثمنها خمسون أَلف دينار ، فإِن هو قَبلها عَلِمْنا أَنَّه غير نَزِهِ النَّفس ؛ فوجَّه إِليه فحضَر ، فحادثته ساعةً ، ثم رَمت إِليه بالسُّبْحَة ، وقالت : هي من الطُّرَفِ وهي لك ؛ فجعلها عمارة بين يديه ، ثم قام وتركها ، فقالت : لعلَّه نَسيها ؛ فبعثت بها إِليه مع خادمٍ فقال للخادم : هي لك ؛ فرجعَ الخادمُ فقال : قد وهبَها لي ؛ فأعطت أُمُّ سَلَمة للخادم أَلف دينار واستَعادتها منه .

• وأَهدى[2] عُبيد الله بن السَّرِيِّ إِلى عَبد الله بن طاهر لمَّا وَلي مِصر مئة وَصيفٍ ، مع كلِّ وصيفٍ أَلفُ دينار ، ووجَّه إِليه بذلك ليلاً ، فردَّه وكتبَ إِليه : لو قبلتُ هديَّتك ليلاً لقبلتُها نهاراً ﴿ فَمَآ ءَاتَـٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَـٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ [النمل : ٣٦] .

• وكان[3] سببُ فَتحِ المعتصم عَمُّوريَّة ، أَنَّ امرأَةً من الثَّغرِ سُبِيَت ، فنادت : وامحمَّداه ، وامُعتصماه ، فبلغَه الخبرُ ؛ فركبَ لوقته وتبعَه الجيش ، فلما فتحَها قال : لبَّيكِ أَيتها المنادية .

---

(١) التذكرة الحمدونية (٢/ ٤٧) وثمار القلوب (٨/ ٣٣٣) والجهشياري (٦٠).
(٢) التذكرة الحمدونية (٢/ ٤٩) والبصائر والذخائر (٩/ ١٠٨) ونثر الدر (٥/ ٢٨).
(٣) التذكرة الحمدونية (٢/ ٥٢) ومعجم البلدان (٤/ ١٥٨).

• وكان[1] سعيدُ بن عمرو بن العاص ذا نَخْوَةٍ وهِمَّةٍ ، قيل له في مَرضه : إنَّ المريضَ يستريحُ إلى الأَنين وإلى شِرحِ ما بِهِ إلى الطبيب ؛ فقال : أَمَّا الأَنينُ ، فهو جَزَعٌ وعارٌ ، واللهِ لا يسمعُ الله مِنِّي أَنيناً ، فأكون عنده جَزوعاً ؛ وأَمَّا وصفُ ما بي إلى الطَّبيب ، فوالله لا يحكمُ غيرُ الله في نَفسي ، إن شاء أَمسكها ، وإن شاء قَبضها .

• **ومن كِبر النَّفس** : ما رُوي[2] عن **قيس بن زُهير** ، أَنَّه أَصابته الفاقَةُ واحتاجَ ، فكان يأكل الحنظل حتَّى قتله ، ولم يُخبر أَحداً بحاجته .

• **ومن[3] الشَّرف والرِّياسة : حِفظُ الجِوار ، وحِمى الذِّمار ؛ وكانت العربُ تَرى ذلك دِيناً تدعو إليه وحقّاً واجباً تحافظ عليه .**

• وكان[4] **أَبو سُفيان بن حَرب** إذا نزل به جارٌ قال : يا هذا،إنَّك اخترتني جاراً واخترت داري داراً ، فجِناية يَدك عليّ دُونَك ، وإن جَنَت عليك يدٌ فاحتكمْ حُكْمُ الصَّبيّ على أَهله .

• وكان[5] **الفرزدق** يُجير من عاذ بقبرِ أَبيه غالب بن صَعصعة ؛ فمِمَّن استجارَ بقبر أبيه فأجارهُ : امرأةٌ من بني جعفر بن كِلاب ، خافَت لمَّا هجَا الفرزدقُ بني جعفر أَن يُسَمِّيَها وينسبها ، فعاذت بقبر أبيه ، فلم يذكرْ لها اسماً ولا نَسباً ، ولكن قال : [من الطويل]

عَجُوزٌ تُصَلِّي الخَمْسَ عاذَتْ بِغالِبٍ   فَلا والَّذي عـاذَتْ بِـهِ لا أَضيـرُهـا

---

(١) التذكرة الحمدونية (٢/ ٥٧) وبيان الجاحظ (١/ ٣١٦) ومحاضرات الراغب (١/ ٤٣٨).
(٢) التذكرة الحمدونية (٢/ ٥٩) والبصائر والذخائر (٥/ ١٦٤).
(٣) التذكرة الحمدونية (٢/ ١٤٥).
(٤) التذكرة الحمدونية (٢/ ١٤٦) وكامل المبرد (١/ ٤٧) وثمار القلوب (٢/ ٩٤٩).
(٥) التذكرة الحمدونية (٢/ ١٤٨) وكامل المبرد (٢/ ٨٦).

• وقال **مروان بن أَبي حَفْصَة**[1] : [من الطويل]

هُـمُ يَمْنَعـونَ الجـارَ حتَّـى كَـأَنَّمـا لِجـارِهِـمُ بَيْـنَ السِّمـاكَيْـنِ مَنْـزِلُ

• وقال **ابن نُباتة**[2] : [من البسيط]

ولو يكونُ سوادُ الشَّعْرِ في ذِمَمي ما كانَ لِلشَّيْبِ سُلْطانٌ على القِمَمِ

• وقيل[3] : إِنَّ الحجَّاج أَخذ **يزيد بن المهلَّب بن أَبي صُفرة** ، وعذَّبه واستأصَل مَوجودَه ، وسجنه ، فتوصَّل يزيدُ بحسنِ تلطُّفه وأَرغُب السَّجَّان واستماله ؛ وهربَ هو والسجَّان ، وقصد الشَّام إِلى سُليمان بن عبد الملك بن مروان ، وكان الخليفة في ذلك الوقت الوليد بن عبد الملك ، فلمَّا وصل يزيد ابن المهلَّب إِلى سُليمان بن عبد الملك أكرمه وأحسن إِليه ، وأَقامه عنده ، فكتبَ الحجَّاج إِلى الوليد يُعلمه أَن يزيد هربَ من السجن وأَنَّه عند سُليمان بن عبد الملك أَخي أَمير المؤمنين ، ووليِّ عهد المسلمين ، وأَنَّ أَمير المؤمنين أَعلى رَأياً ؛ فكتبَ الوليد إِلى أَخيه سُليمان بذلك ، فكتب سُليمان إِلى أَخيه يقول : يا أَمير المؤمنين ، إِنِّي ما أَجرت يزيد بن المهلَّب إِلاَّ لأَنَّه هو وأبوه وإِخوتُه من صَنائعنا قديماً وحديثاً ، ولم أُجرْ عدوّاً لأَمير المؤمنين ، وقد كان الحجَّاج قصدَه وعذَّبه وأَغرمه أَربعة آلاف ألف درهم ظُلماً ، ثم طالبه بعدها بثلاثة آلاف أَلف درهم ؛ وقد صار إِليَّ واستجار بي ، فأَجرتُه ، وأنا أُغرمُ عنه هذه الثَّلاثة آلاف ألف درهم ؛ فإِن رأَى أَميرُ المؤمنين أَن لا يُخزيني في ضَيفي فلْيفعل ، فإِنَّه أَهلُ الفَضل والكَرم ؛ فكتبَ إِليه الوليد : إِنَّه لا بُدَّ أَن ترسلَ إِليَّ يزيدَ مَغلولاً مُقيَّداً ؛ فلمَّا ورد ذلك على سُليمان أَحضر ولده أَيُّوب فقيَّده ، ودعا يزيد بن المهلَّب فقيَّده ، ثم شدَّ قيد هذا إِلى قيد هذا بسلسلة ، وغلَّهما

---

(١) ديوانه (٨٨) والتذكرة الحمدونية (٢/ ١٥٣) .

(٢) التذكرة الحمدونية (٢/ ١٥٤) ومحاضرات الراغب (١/ ٢٦٧) .

(٣) تاريخ الطبري (٦/ ٤٥١) ووفيات الأعيان (٦/ ٢٩٣) .

جميعاً بِغُلَّين ، وأَرسلهما إِلى أَخيه الوليد ، وكتب إِليه : أَمَّا بعد ، يا أَمير المؤمنين ، فقد وجَّهتُ إِليك يزيد وابنَ أَخيك أَيُّوب بن سليمان ، ولقد هممتُ أَن أكون ثالثهما ، فإِن هممتَ يا أَمير المؤمنين بقتل يزيد ، فبالله عليك ابدأْ بأَيُّوب من قَبله ، ثم اجعل يزيد ثانياً ، واجعلني إِذا شئت ثالثاً ، والسَّلام .

فلمَّا دخل يزيد بن المهلَّب وأَيُّوب بن سُليمان في سِلسلة واحدة ، أَطرق الوليدُ استحياءً وقال : لقد أَسأْنا إِلى أَبي أَيُّوب إذ بلَغْنا به هذا المبلغ ، فأخذ يزيد ليتكلَّم ويحتجَّ لنفسه ، فقال له الوليدُ : ما يحتاجُ إِلى كلام ، فقد قبلنا عُذرك وعَلمنا ظُلم الحجَّاج ؛ ثم إِنَّه أَحضر حدّاداً وأَزال عنهما الحديد ، وأَحسن إِليهما ، ووصل أَيُّوب ابن أَخيه بثلاثين ألف درهم ، ووصل يزيد بن المهلَّب بعشرين ألف درهم ، وردَّهما إِلى سُليمان ، وكتب كتاباً إِلى الحجَّاج يقول له : لا سَبيلَ لك على يزيد بن المهلَّب ، فإِيَّاك أَن تعاودَني فيه بعد اليوم .

فسار يزيدُ إِلى سُليمان بن عبد الملك ، وأَقام عنده في أَعلى المراتب وأَرفع المنازل .

● **وحُكي**[1] : أَنَّ رجلاً من الشِّيعة كان يَسعى في فساد الدَّولة ، فجعل المهديُّ لمن دلَّ عليه أَو أَتى به مئة ألف درهم ، فأَخذه رجلٌ من بغداد ، فأَيس من نفسه ، فمرَّ به معن بن زائدة ، فقال له : يا أَبا الوليد ، أَجِرْني أَجارك الله ؛ فقال معنٌ للرَّجل : ما لَك وما له؟ فقال : إِنَّ أَمير المؤمنين طالبه ؛ قال : خَلِّ سبيلَه ؛ قال : لا أَفعل ؛ فأَمر معنٌ غِلمانه فأَخذوه غَصْباً ، وأَردفه بعضُهم خلفَه ، ومضى الرَّجل فأَخبر أَمير المؤمنين المهديَّ بالقِصَّة ؛ فأَرسل خلفَ معنٍ فأَحضره ، فلمّا دخل عليه قال له : يا معنُ ، أَتُجيرُ عليَّ؟ قال : نعم يا أَمير المؤمنين ، قتلتُ في يومٍ واحدٍ في طاعتكم خمسةَ آلاف رجل ، هذا مع أَيَّامٍ كثيرة تقدَّمَت فيه طاعتي ،

---

(١) التذكرة الحمدونية (٢/ ١٥٤) والمستجاد (٢٠٠) والعقد الفريد (١/ ١٣٧) وثمرات الأوراق (٤٤١).

أَفما تَروني أَهلاً أَن تُجيروا إِليّ رجُلاً واحداً استجار بي؟ فاستحيا المهديُّ وأَطرق طويلاً ، ثم رفع رأسه وقال : قد أَجرنا من أَجرتَ يا أَبا الوليد ؛ قال : إِن رأَى أَميرُ المؤمنين أَن يصلَ مَن استجارَ بي فيكونَ قد أَجاره وحَباه ؛ قال : قد أَمرتُ له بخمسين أَلف درهم ؛ فقال معن : يا أَمير المؤمنين ، ينبغي أن تكون صِلاتُ الخلفاءِ على قدرِ جنايات الرَّعيَّة ، وأَنَّ ذَنْبَ الرَّجل عظيمٌ ، فإِن رأَى أَميرُ المؤمنين أَن يجزلَ صِلتَه فلْيفعل ، قال : قد أَمرتُ له بمئة أَلف درهم ؛ فرجعَ معنٌ إِلى منزله ، ودعا بالرَّجل ودفعَ له المال ووعظه ، وقال له : لا تتعرَّض لمساخطِ الخلفاء .

• وكان[1] **جعفرُ بن أَبي طالب** يقول لأَبيه : يا أَبتِ ، إِنِّي لأَستَحْيي أَن أَطعم طعاماً وجيراني لا يقدرون على مثله ؛ فكان أَبوه يقول : إِنِّي لأَرجو أَن يكون فيك خَلَفٌ من عبد المطلب .

• وسقط[2] الجرادُ قريباً من بيت بعض العرب ، فجاء أَهلُ الحيِّ فقالوا : نُريد جارَك ؛ فقال : أَمَّا إِذ جَعلتموه جاري ، فوالله لا تَصلون إِليه ؛ وأَجاره حتَّى طارَ ، فَسُمِّي مُجيرُ الجراد ؛ وقيل : هو أَبو حَنْبَل .

• والحكايات في معنى ذلك كثيرة ، والله سبحانه وتَعالى أَعلم ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم .

* * *

---

(١) التذكرة الحمدونية (٢/ ١٥٥).

(٢) التذكرة الحمدونية (٢/ ١٥٦) ومحاضرات الراغب (١/ ٢٦٦) وفي ثمار القلوب (٢/ ٦٥٨) أن مجير الجراد هو مدلج بن سويد بن مرثد بن خيبريّ.

الباب الثّلاثون

في الخير والصَّلاح وذكر السّادة الصَّحابة وذكر الأَولياء والصّالحين رضي الله عنهم أَجمعين

• اعلم أَنَّ أَفضلَ الخلْقِ بعد رسول الله ﷺ أَبو بكر ثم عُمر ثم عُثمان ثم عليّ ، رضي الله عنهم أَجمعين ، وفضائلُهم أَكثرُ من أن تُحصرَ ، وأَشهرُ من أَن تُذكرَ ؛ وإِنّي واللهِ أُحِبُّهم وأُحِبُّ مَن يُحبُّهم ، وأَسأَل الله أَن يُميتني على محبَّة النَّبيِّ محمَّد ﷺ ومَحبَّتهم ، وأَن يحشُرَنا في زُمرتهم وتحت أَلويتهم ، إِنَّه على ما يشاءُ قدير وبالإجابةِ جدير .

• شعر : [من البسيط]

إِنّـي أُحِـبُّ أَبـا حَفْـصٍ وَشِيْعَتَـهُ ... كَمـا أُحِـبُّ عَتيقـاً صـاحِـبَ الغـارِ
وَقَـدْ رَضِيْـتُ عَلِيّـاً قُـدْوَةً عَلَمـاً ... وَما رَضِيْتُ بِقَتْلِ الشَّيْخِ في الدّارِ
كُـلُّ الصَّحـابـةِ سـاداتـي وَمُعْتَقَـدي ... فَهَـلْ عَلَـيَّ بِهـذا القَـولِ مِـنْ عـارِ ؟

• ورُوي[1] عن أَبي هُريرة رضي الله عنه قال : قال رسول اللهِ ﷺ : « مَن أَصبَح منكم اليومَ صائِماً؟ فقال أَبو بكر : أَنا يا رسول الله ؛ فقال رسول الله ﷺ : « فَمَنْ أَطعمَ اليومَ منكم مِسْكيناً ؟ » فقال أَبو بكر : أَنا ، قال : « فَمن عادَ منكم اليومَ مريضاً »؟ قال أَبو بكر : أَنا ؛ فقال رسول الله ﷺ : « ما اجتمعْنَ في أَحدٍ إِلاَّ دخلَ الجنَّة » .

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٢١٥) وتاريخ الخلفاء (٧٤ـ٧٥) .

• وقال[1] ﷺ : « لو كان بعدي نَبيٌّ لكان عُمر » .

• وقال[2] له النَّبيُّ ﷺ : « والَّذي بَعثني بالحقِّ بَشيراً ما سَلكتَ وادِياً إلاَّ سَلَكَ الشَّيطان وادياً غَيره » .

• ولمَّا[3] أَسلمَ رضي الله عنه قال : يا رسولَ الله ، أَلسنا على الحقِّ ، قال : « بلى » قال : والَّذي بَعَثَكَ بالحقِّ نبيّاً لا نَعبدُ اللهَ سِرّاً بعد هذا اليوم .

• ولمَّا[4] قَدِمَ عُمر رضي الله عنه الشَّام وقفَ على طُور سيناء[5] ، فأَرسل البطريقُ عظيماً لهم وقال : انظرْ إلى مَلِكِ العرب ؛ فرآهُ على فَرَسٍ وعليه جُبَّةُ صُوفٍ مُرَقَّعةٌ ، مُستقبلَ الشَّمسِ بوجهه ، ومِخْلاتُه في قَرَبُوس السَّرْجِ ، وعُمَرُ يُدخلُ يَده فيها ويُخرج فِلَقَ خُبْزٍ يابسٍ يَمسحُها مِن التِّبْنِ ويَلُوكُها ؛ فوصَفه للبِطريقِ فقال : لا نرى لنا بمحاربة هذا طاقة ، أَعطوه ما شاءَ .

• وأَمَّا أَمير المؤمنين عُثمان رضي الله عنه ، ففَضائله كثيرةٌ ومناقبُهُ شَهيرةٌ ، فهو جامعُ القرآن ، ومَن استحيَت منه ملائكةُ الرَّحمن ، رضي الله عنه .

• وقال[6] جُميع بن عُمير : دخلتُ على عائشة رضي الله عنها ، فقلتُ لها : أَخبريني مَن كان أَحبَّ النَّاس إلى رسول الله ﷺ؟ قالت : فاطمة ؛ قلتُ : إنَّما أَسألُكِ عن الرِّجال؟ قالت : زَوجُها ، فوالله لقد كان صَوَّاماً قَوَّاماً ، ولقد سالَتْ نَفْسُ رسول الله ﷺ في يَده ، فردَّها إلى فيه ؛ قلتُ : فما حَمَلَكِ على ما كانَ؟

---

(١) تاريخ الخلفاء (١٤٧).
(٢) تاريخ الخلفاء (١٤٢).
(٣) تاريخ الخلفاء (١٣٩).
(٤) ربيع الأبرار (٢/ ٢٤٢ـ٢٤٣).
(٥) لعل المقصود : طور زيتا ، وهو جبل مطل على المسجد الأقصى شرقي وادي سلوان. معجم البلدان (٤/ ٤٨).
(٦) ربيع الأبرار (٢/ ٢٢٩).

فأَرسلت خِمارها على وَجهها وَبَكت ، وقالت : أَمرٌ قُضِيَ عليَّ .

• وقال[(١)] معاوية لِضِرار بن حَمزة الكِنانيّ : صِفْ لي عَلِيّاً ؛ فاستَعفى ، فأَلحَّ عليه ، فقال : أَمَّا إِذْ لا بُدَّ فإِنَّه والله كان بَعيد المدَى ، شديدَ القُوى ، يتفجَّرُ العِلْمُ من جَوانبه ، وتنطقُ الحِكمةُ من نَواحيه ، يَستوحشُ من الدُّنيا وزَهرتها ، ويستأنسُ باللَّيلِ وظُلمته ، كان والله غزيرَ العَبْرَة ، طويلَ الفِكْرَة ، يُقلِّبُ كفَّه ويعاتبُ نَفْسَهُ ، يُعجبه من اللِّباسِ ما قَصُرَ ، ومن الطَّعام ما خَشُنَ ، وكان والله يُجيبنا إذا سأَلناه ، ويأتينا إذا دَعوناه ، ونحن والله مع تَقريبه لنا وقُربه مِنَّا لا نُكَلِّمه هيبةً له ، يُعَظِّمُ أَهلَ الدِّينِ ، وِيُحبُّ المساكين ، لا يطمعُ القَويُّ في باطِله ، ولا ييأَسُ الضَّعيفُ من عَدْلِه ، فأَشهدُ الله لقد رأَيتُه في بعض مَواقفه وقد أَرخى اللَّيلُ سُدولَه ، وغارَت نجومه ، وقد مَثُلَ في مِحرابه قابضاً على لِحْيَتِهِ ، يتململُ تَمَلْمُلَ الخائفِ ، ويبكي بُكاءَ الحزين ، فكأَنِّي الآن أَسمعهُ يقول : يا دُنيا ، إِليَّ تَعَرَّضْتِ ، أَم إِليَّ تَشَوَّفْتِ؟ هيهات ، غُرِّي غَيري ، لقد أَبَنْتُكِ ثلاثاً لا رَجْعَةَ لي فيك ، فَعُمْرُكِ قَصيرٌ ، وعَيشكِ حَقيرٌ ، وخَطَرُكِ كبيرٌ ؛ آهٍ من قِلَّةِ الزَّادِ وَوَحْشَةِ الطَّريق .

قال : فوكَفت دُمُوعُ مُعاوية حتَّى ما يَملكُها على لِحيته وهو يَمسحها ، وقد اختنقَ القومُ بالبُكاء ؛ وقال : رحمَ الله أَبا الحسن ، كان والله كذلكَ ، فكيف حُزنك عليه يا ضرار؟ قال : حُزني عليه والله حُزْنُ مَن ذُبِحَ وَلَدُها في حِجْرِها فلا تَرْقَأُ عَبْرَتُها ، ولا تَسكنُ حَيْرَتُها ؛ ثم قام فخَرج .

• وقيل[(٢)] : أَوَّل مَن سَلَّ سيفاً في سبيل الله تعالى : الزُّبيرُ بن العوَّام رضي الله عنه ، وذلك أَنَّه صاحَ على أَهل مكَّة ليلاً صائحٌ ، فقال : قُتِلَ محمَّدٌ ؛ فخرجَ

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٢٤٣) وأمالي القالي (٢/ ١٤٧) وزهر الآداب (١/ ٤٠ـ٤١).
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٢٣٧ـ٢٣٨).

مُتجرِّداً وسيفُه معه صَلْتاً ؛ فتلقَّاه رسول الله ﷺ فقال : « ما لك يا زُبير؟ » قال : سمعتُ أنَّك قُتلتَ! قال : « فماذا أَرَدْتَ أَن تصنع؟ » قال : أَردتُ والله أَن أَستعرضَ أَهلَ مكَّة ـ ورُوي أَخْبِطُ بسيفي مَن قدرتُ عليه ـ فضمَّه رسول الله ﷺ وأعطاه إِزاراً له ، فاستترَ به وقال له : « أَنت حَوارِيِّي » ودَعا له .

• قال[1] الأوزاعيُّ : كان للزُّبير أَلفُ مَملوكٍ يُؤَدُّون الضَّريبة ، لا يدخلُ بيت مالِه منها درهمٌ ، بل كان يتصدَّقُ بها ، وباع داراً له بستمئة أَلفِ درهم ، فقيل له : يا أَبا عبد الله ، غُبِنْتَ ؛ قال : كلاَّ ، والله لم أُغبنْ ، أُشهدُكم أَنَّها في سبيل الله تعالى .

• وهبط[2] جبريلُ عليه السَّلام على رسول الله ﷺ يوم أُحُدٍ فقال : « مَن حَمَلَك على ظَهره؟ ـ وكان حَمَله على ظَهره طَلْحَةُ حتىٰ استقلَّ على الصَّخر ـ قال : « طَلْحة » قال : أَقْرِئهُ السَّلام ، وأَعلمه أَنِّي لا أراه يوم القيامة في هَوْلٍ من أَهوالها إلاَّ استنقذتُه منه ؛ مَن هذا الَّذي عن يَمينك؟ قال : المِقدادُ بن الأَسود ؛ قال : إِن الله يُحِبُّه ويأمرُك أَن تحبَّه ؛ من هذا الذي بين يَديك يتَّقي عنك؟ قال : عمَّار بن ياسر ؛ قال : بَشِّرْهُ بالجنَّة ، حُرِّمَتْ النَّار عليه » .

• ومرَّ[3] أَبو ذرٍّ على النَّبيِّ ﷺ ومعه جبريلُ عليه السَّلام في صُورة دِحْيَةَ الكَلْبِيِّ ، فلم يُسَلِّم ، فقال جبريلُ : هذا أَبو ذَرٍّ ، لو سَلَّمَ لرَدَدنا عليه ؛ فقال : « أتعرفه يا جبريل؟ » قال : والَّذي بعثَك بالحقِّ نبيّاً ، لهوَ في مَلكوتِ السَّموات السَّبع أَشهرُ منه في الأَرض ؛ قال : « بمَ نال هذه المنزلة؟ » قال : بِزُهده في هذه الحُطام الفانية .

---

(1) ربيع الأبرار (٢/ ٢٣٨) .
(2) ربيع الأبرار (٢/ ٢٤١) .
(3) ربيع الأبرار (٢/ ٢٤٢) .

• وقال[1] ابنُ عمر رضي الله عنهما : سَمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ الله ليدفعُ بالمسلمِ الصَّالحِ عن أَلف بيتٍ من جيرانه البلاءَ » ثم قرأ ﴿ **وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ** ﴾ [البقرة : ٢/ ٢٥١ والحج : ٢٢/ ٤٠] الآية .

• وقال[2] أَبو العبَّاس السَّفَّاح لأَبي بَكر الهُذَلي : بِمَ بلغَ الحسنُ ما بَلَغَ؟ قال : جَمَعَ كتابَ الله تعالى وهو ابن اثنتي عشرةَ سنةً ، لم يُجاوز سورةً إلى غيرها حتَّى يعرفَ تأويلها ، ولم يقلبْ دِرهماً قطُّ في تجارةٍ ، ولم يَلِ عملاً لسلطانٍ ، ولم يأمر بشيءٍ حتى يفعله ، ولم يَنْهَ عن شيءٍ حتَّى يدَعه ؛ قال السَّفَّاح : بهذا بَلَغَ .

• وقال[3] الجاحظُ : كان **الحَسَنُ** يُستثنى من كلِّ غايةٍ فيُقال : فلانٌ أَزهدُ النَّاس إلاَّ الحسن ، وأفقهُ النَّاس إلاَّ الحسن ، وأفصحُ النَّاس إلاَّ الحسن ، وأَخطبُ النَّاس إلا الحسن .

• وقال[4] بعضُهم : كان **عُمر بن عبد العزيز** أَزهدَ من أُوَيْس ؛ لأَنَّ عُمر مَلَكَ الدُّنيا فزهدَ فيها ، وأُويس لم يملكها ؛ فقيل : لو مَلَكها لَفَعل كما فعل عمر ؛ فقال : ليسَ مَن لم يُجَرِّبْ كَمَن جَرَّب .

• وقال[5] أَنسٌ في **ثابت البُناني** : إنَّ للخير مَفاتيح ، وإنَّ ثابتاً من مَفاتيح الخير .

• وكان[6] **حبيبُ الفارسيُّ** من أَخيار النَّاس ، وهو الَّذي اشترى نفسه من رَبِّه أَربع مرَّات بأَربعين أَلفاً ؛ كان يُخرج البَدْرَة فيقول : يا ربِّ ، اشتريتُ نَفْسي منك بهذه ؛ ثم يتصدَّق بها .

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٢١٢).
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٢١٧).
(٣) ربيع الأبرار (٢/ ٢١٩) وثمار القلوب (١/ ١٧٧) وبيان الجاحظ (١/ ٢٤٢).
(٤) ربيع الأبرار (٢/ ٢١٩).
(٥) ربيع الأبرار (٢/ ٢٢٠).
(٦) ربيع الأبرار (٢/ ٢٢١).

• وكان[1] **أَيُّوب السِّختيانيُّ** من أَزهد النَّاس وأَوْرَعهم ؛ ذُكر عند أَبي حنيفة رحمه الله تعالى ، فقال : رَحِمَ اللهُ أَيُّوبَ ، لقد شهدتُ منه مَقاماً عند مِنبر النبيِّ ﷺ لا أذكرُ ذلك المقام إلاَّ اقْشَعَرَّ جِلْدي .

• وقال[1] سُفيان الثَّوريُّ : جَهدتُ جَهدي على أَن أكونَ في السَّنةِ ثلاثة أَيَّامٍ على ما عليه **ابنُ المبارك** فلم أَقدر .

• وكان[2] **الخليلُ بن أَحمد النَّحْويّ** من أَزهدِ النَّاس وأَعلاهم نَفْساً ، وكان الملوكُ يَقصدونه ويبذلون له الأَموال فلا يقبلُ منها شيئاً ؛ وكان يحجُ سنةً ويغزو سنةً حتَّى مات رحمه الله .

• وقال[2] ابنُ خارجة : جالستُ **ابن عون** عشرين سنةً فما أَظنُّ الملَكَين كتبا عليه شيئاً .

• ورُوي[3] أَنه غُسِّلَ **كُرْزُ بنُ وَبْرَة** فلم يُوجدْ على جَسده مِثقالُ لَحْمٍ .

• وعن[4] محمد بن الحسن قال : كان **أبو حنيفة** واحدَ زمانه ، لو انشقَّت عنه الأَرض لانْشَقَّت عن جبلٍ من الجبالِ في العِلم والكَرمِ والزُّهد والوَرَع .

• وحجَّ[5] **وكيعُ بن الجَرَّاحِ** أَربعين حِجَّةً ، ورابطَ في عبّادان[6] أَربعين ليلةً ، وختم بها القرآن أَربعين ختمةً ، وتصدَّق بأَربعين ألفاً ، ورَوى أَربعة آلاف حديث ، وما رُؤيَ واضِعاً جَنْبَهُ قطُّ .

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٢٢٢).
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٢٢٣).
(٣) ربيع الأبرار (٢/ ٢٢٥) وتاريخ جرجان (٣٤١).
(٤) ربيع الأبرار (٢/ ٢٢٦).
(٥) ربيع الأبرار (٢/ ٢٢٨).
(٦) عبّادان : موضع تحت البصرة قرب البحر في جزيرة تتشكل من افتراق دجلة إلى فرقتين. معجم البلدان (٤/ ٧٤).

• ووقف[1] عُمر بن عبد العزيز على **عَطاء بن أَبي رَباح** ، وهو أُسودُ مُفَلْفَلُ الشَّعْرِ ، يُفتي النَّاس في الحلالِ والحرام ؛ فتمثَّلَ يقولُ[2] : [من البسيط]

تِلْكَ المكارِمُ لا قَعْبانِ من لَبَنٍ [شِيْبا بماءٍ فَعادا بعدُ أَبْوالا]

• **ومن مشايخ الرِّسالة** رضوان الله عليهم أجمعين : سيِّدي **أَبو عبد الله محمَّد ابن إسماعيل المغربي**[3] ، أُستاذ إبراهيم بن شَيبان ؛ كان عجيب الشَّأن ، لم يأكل ممَّا وَصَلَتْ إليه أَيدي بني آدم سِنين كثيرة ، وكان أَكْلُهُ من أُصول العُشب شَيئاً تَعَوَّدَ أَكْلَهُ .

• ومنهم : سيِّدي **فَتْح بن شَخْرف بن داود** ، يُكنى أبا نَصر[4] .

من الزَّاهدين الوَرِعين ، لم يأكل الخبزَ ثلاثين سنةً .

قال أَحمد بن عبد الجبَّار : سمعتُ أبي يقول : صحبتُ فَتْحَ بن شَخْرف ثلاثين سنة فلم أَرَهُ رفعَ رأسه إلى السَّماء ، ثم رفعها يوماً فقال : طال شَوقي إليك ، فعجِّل قدومي عليك .

وقال محمَّد بن جعفر : سمعتُ إنساناً يقول : غَسلنا فَتح بن شَخْرف فرأَينا مكتوب على فَخذه « لا إله إلا الله » ، فتوهَّمناه مَكتوباً ، وإذا هو عِرْقٌ داخِلَ الجِلد .

ومات ببغداد فَصُلِّيَ عليه ثلاثاً وثلاثين مَرَّة ، أَقَلُّ قومٍ كانوا يصلُّون عليه كانوا نَحواً من خمسة وعشرين أَلفاً إلى ثلاثين أَلفاً .

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٢٢٩).
(٢) البيت لأبي الصلت بن ربيعة الثقفي ، في طبقات ابن سلام (١/ ٥٨).
(٣) ترجمته في : حلية الأولياء (١٠/ ٣٣٥) وطبقات الصوفية (٢٤٢) وطبقات الأولياء (٤٠٢)؛ توفي سنة (٢٩٩هـ).
(٤) ترجمته في : تاريخ بغداد (١٢/ ٣٨٤) والمنتظم (١٢/ ٢٥٦) وطبقات الأولياء (٢٧٤)؛ توفي سنة (٢٧٣هـ).

• ومنهم : سيِّدي **فَتح بن سَعيد المَوْصِلي** ، يُكنى أبا نصر[1] .

من أَقران بِشر الحافي وسَرِيّ السَّقَطي ؛ كبير الشأن في باب الوَرَع والمجاهدات .

قال إبراهيم بن نُوح المَوْصِلي : رجعَ فَتْح المَوْصِلي إلى أَهله بعد صلاة العَتَمَة وكان صائماً فقال : عَشُّوني ؛ فقالوا : ما عِندنا شيءٌ نُعَشِّيكَ به ؛ فقال : ما بالُكُم جلوسٌ في الظُّلْمَة؟ فقالوا : ما عندنا شيء نُسْرجُ به ؛ فجعل يبكي من الفَرح ويقول : إلٰهي ، مِثْلي يُتْرَكُ بلا عِشاء ولا سِراج؟ بأَيِّ يدٍ كانت منِّي ، فما زال يبكي إلى الصَّباح .

وقال فَتْح : رأَيتُ بالباديةِ غُلاماً لم يبلغ الحُلم ، وهو يمشي وَحْده ويُحَرِّكُ شَفتيه ، فسلَّمتُ عليه فردَّ عليَّ السَّلام ، فقلتُ : إلى أَين؟ فقال : إلى بيت ربِّي عزَّ وجلَّ ؛ فقلت : بماذا تحرِّك شَفتيك؟ قال : أَتلو كلامَ ربِّي ؛ فقلتُ : إنَّه لم يَجْرِ عليك قلمُ التَّكليف؟ قال : رأَيتُ الموتَ يأخذُ مَن هو أَصغرُ سِنّاً منِّي ؛ فقلتُ : خُطاك قصيرةٌ ، وطريقُك بعيدةٌ ؛ فقال : إنَّما عليَّ نَقْلُ الخُطا وعليه البَلاغ ؛ فقلتُ : أَين الزَّادُ والرَّاحِلة؟ قال : زادي يَقيني ، وراحِلتي رِجْلاي ؛ فقلت : أَسأَلُك عن الخبزِ والماءِ ؛ قال : يا عمَّاه ، أَرأَيتَ لو دعاك مخلوقٌ إلى منزله أَكانَ يجملُ بك أَن تحملَ زادك إلى مَنزله؟ قلتُ : لا ، فقال : إنَّ سيِّدي دعا عِباده إلى بيته ، وأَذنَ لهم في زيارته ، فَحَمَلَهُم ضَعْفُ يَقينهم على حَمْل أَزوادهم ، وإِنِّي استقبحتُ ذلك فحفظتُ الأَدب معه ، أَفتراه يُضَيِّعُني؟ فقلت : حاشا وكلاَّ ؛ ثمَّ غاب عن بَصري فلم أَره إلاَّ بمكَّة ، فلمَّا رآني قال : أَيُّها الشَّيخ ، بَعْدَكَ[2] على ذلك الضَّعف من اليقين؟ .

---

(١) ترجمته في : تاريخ بغداد (١٢/ ٣٨١) وحلية الأولياء (٨/ ٢٩٢) وطبقات الأولياء (٢٧٦)؛ توفي سنة (٢٢٠هـ).

(٢) عامّية بمعنى : أَما زلت.

• ومنهم : سيِّدي أبو عُثمان ، **سعيد بن إسماعيل الحِيري**[1] :

صحِبَ شاه الكِرماني ويحيى بن مُعاذ الرَّازي .

وكان يُقال : في الدُّنيا ثلاثةٌ لا رابعَ لهم ، أَبو عُثمان الحِيري بنَيْسابور والجُنيد ببغداد وأَبو عبد الله بن الجلاّء بالشَّام .

ومن كلامه : لا يكملُ الرَّجلُ حتىٰ يستوي في قلبه أَربعة أَشياء : المنع والعطاء والعِزُّ والذُّلُّ .

وقال : منذُ أَربعين سنة ما أَقامني الله تعالى في حالٍ فكَرِهْتُهْ ، ولا نَقَلَني إِلى شيءٍ فسخطته .

• ومنهم : سيِّدي **سُليمان الخوّاص** ، يُكنى أَبا تُراب[2] .

كان أَحد الزُّهّاد المعروفين والعُبّاد الموصوفين .

سكن الشَّام ودَخل بيروت ، وكان أَكثر مقامه ببيت المقدس .

قيل : اجتمع حُذَيفة المَرْعَشي وإبراهيم بن أَدهم ويوسف بن أَسباط فتذاكروا الفقر والغِنى وسُليمانُ ساكتٌ ، فقال بعضُهم : الغَنيُّ من كان له بيتٌ يسكنُه ، وثَوبٌ يسترُه ، وسَدادٌ من عيشٍ يَكُفُّه عن فُضول الدُّنيا ؛ وقال بعضُهم : الغنيُّ مَن لم يحتجْ إِلى الناس ؛ فقيل لسُليمان : ما تقول أَنت في ذلك؟ فبكى ، وقال : رأَيتُ جوامعَ الغِنى في التَّوَكُّل ، ورأَيتُ جوامع الفقر في القنوط ، والغَنيُّ حقُّ الغِنَى مَن أَسكنَ الله في قلبه من غِناه يَقيناً ، ومن مَعرفته تَوَكُّلاً ، ومِن قِسمته رضىً ، فذلك الغنيُّ حقُّ الغِنى وإِن أَمسى طاوياً وأَصبح

---

(١) ترجمته في : طبقات الصوفية (١٧٠) وحلية الأولياء (١٠/ ٢٤٤) وطبقات الأولياء (٢٣٩)؛ توفي سنة (٢٩٨هـ).

(٢) ترجمته في : حلية الأولياء (٨/ ٢٧٦) والمنتظم (٨/ ٢٤٣) ومختصر تاريخ دمشق (١٠/ ١٩٤) ، وكنيته عند ابن عساكر : أبو أيوب.

مُعْوِزاً ؛ فبكى القومُ من كلامه .

● ومنهم : سيِّدي **أَبو سُليمان ، عبد الرَّحمن بن أَحمد بن عطيَّة الدَّاراني**[1] :

أَحد رجال الطَّريقة ، قدَّس الله سِرَّه ، كان من أَجَلِّ السَّادات وأَرباب الجدِّ في المُجاهدات .

ومن كلامه : مَن أَحسنَ في نَهاره كُفيَ في ليله ، ومَن أَحسن في ليله كُفي في نهاره ، ومَن صَدَقَ في تَرْكِ شَهوةٍ ذَهب الله بها من قلبه ، والله تعالى أَكرمُ مِن أَن يُعذِّبَ قلباً بشهوةٍ تُركت له .

وقال : لكلِّ شيءٍ علامةٌ ، وعلامةُ الخِذلانِ تركُ البُكاء .

وقال : لكلِّ شيءٍ صَدَأٌ ، وصدأُ نُور القلب شبعُ البَطْنِ .

وقال أَحمد بن أَبي الحواري : شكوتُ إِلى أَبي سُليمان الوَسواسَ فقال : إِذا أَردتَ أَن ينقطعَ عنك ، فأَيّ وقتٍ أَحسستَ به فافرحْ ، فإِنَّك إِذا فرحتَ به انقطعَ عنك ، لأَنَّه لا شيءَ أَبغضُ إِلى الشَّيطان من سُرور المؤمن ، وإِذا اغتممتَ به زادَك .

وقال ذو النُّون المِصريّ رحمه الله تعالى : اجتمَعوا ليلاً على أَبي سُليمان الدَّاراني ، فَسمعوه يقول : يا ربِّ ، إِن طالَبْتَني بِسَريرتي طالبتُك بتَوحيدك ، وإِن طالَبتَني بذُنوبي طالبتُك بكَرمك ، وإِن جعلتَني من أَهل النَّار أَخبرتُ أَهل النَّار بحبِّي إِيَّاك .

وقال عليّ بن الحسين الحدَّاد : سأَلتُ أَبا سُليمان : بأَيِّ شيءٍ تعرفُ الأَبرار؟ قال : بكتمانِ المصائبِ ، وصيانةِ الكرامات .

---

(١) ترجمته في : تاريخ داريا (١٠٧) وتاريخ دمشق (٤٠/ ٧٧) وحلية الأولياء (٩/ ٢٥٤) وطبقات الصوفية (٦٨)؛ توفي سنة (٢١٥هـ).

ورُوي عنه أَنَّه قال : نِمتُ ليلةً عن وِردي ، فإذا حوراءُ تقول لي : أَتنام وأَنا أُرَبَّى لك في الخُدور منذ خمسمئة عام! .

● **ومنهم** : سيِّدي **أَبو محمَّد ، عبد الله بن خُبيق**[1] .

من زُهّاد المُتَصَوِّفَة ، كوفيُّ الأَصل ، ولكنَّه سكنَ أَنطاكيَّة .

ومن كلامه : لاتَغْتَمَّ إلاَّ من شيءٍ يَضُرُّك غداً، ولا تفرحْ إلاَّ بشيءٍ يَسُرُّكَ غداً.

وله كراماتٌ ظاهرةٌ ، وبركاتٌ مُتواترة .

● ومنهم : سيِّدي **أَبو عبد الله ، محمَّد بن يوسف البنَّاء**[2] .

أَصبهانيُّ الأَصل ، كتب عن ستِّمئة شيخٍ ، ثم غلبَ عليه الانفرادُ والخَلْوَة إلى أَن خرجَ إلى مكَّة بشرطِ التَّصَوُّف ، وقطعَ البادية على التَّجريد .

وكان في ابتداء أَمره يكسبُ في كلِّ يومٍ ثلاثةَ دراهم وثُلثاً ، فيأخذُ من ذلك لنفسه دانِقاً ويتصدَّق بالباقي ، ويختمُ مع العمل كلَّ يومٍ ختمةً ، فإذا صلَّى العَتَمَةَ في مَسجده خرجَ إلى الجبل إلى قريب الصُّبح ثم يرجعُ إلى العمل .

وكان يقولُ في الجبل : يا ربِّ ، إمَّا أَن تهبَ لي مَعرفتك أَو تأمرَ الجبلَ أَن ينطبقَ عليَّ ، فإنِّي لا أُريد الحياة بلا مَعرفتك .

● **ومنهم** : سيِّدي **يَحيى بن مُعاذ الرَّازي**[3] ، قدَّس الله سِرَّه ، يُكنى أَبا زكريّاء ، أَحدُ رجال الطَّريق ؛ كان أَوحدَ وَقته .

ومن كلامه : لا تكنْ مِمَّن يفضحُه يومَ مَوته ميراثُه ، ويومَ حَشْرِهِ ميزانُه .

وقال : ليكنْ حَظُّ المؤمنِ منكَ ثلاثَ خصالٍ : إن لم تنفعْه فلا تَضُرَّه ، وإن

---

(١) ترجمته في : طبقات الصوفية (١٤١) وحلية الأولياء (١٠/ ١٦٨) وطبقات الأولياء (٢٣٨).

(٢) ترجمته في : طبقات الصوفية (٢٣٣) وحلية الأولياء (١٠/ ٤٠٢) وطبقات الأولياء (٤٠٤).

(٣) ترجمته في : طبقات الصوفية (١٠٧) وحلية الأولياء (١٠/ ٥١) وطبقات الأولياء (٣٢١)؛ توفي سنة (٢٥٨هـ).

لم تسرَّه فلا تَغُمَّه ، وإن لم تمدحْه فلا تَذُمَّه .

- وقال : الصَّبْرُ على الخَلوة من علاماتِ الإخلاص .
- وقال : بئسَ الصَّديقُ صَديقاً يحتاجُ إلى أَن يُقال له : اذكرني في دُعائك .
- وقال : على قدرِ حُبِّك لله يحبُّك الخَلْقُ ، وعلى قدر خَوفك من الله تهابُك الخَلْق ، وعلى قدر شُغلك بالله تشتغلُ في أَمرك الخَلْق .
- وقال : مَن كان غِناهُ في كِيْسِهِ لم يزل فقيراً ، ومَن كان غِناه في قَلبه لم يزل غنِيّاً ، ومَن قصدَ بحوائجه المخلوقين لم يزلْ مَحروماً .
- وروي أَنه قدم شِيراز[1] ، فجعلَ يتكلَّمُ على النَّاس في علم الأَسرار ، فأَتته امرأَةٌ من نِسائها فقالت : كم تأخذُ من هذه البلدة؟ قال : ثلاثون أَلفاً ، أَصرفُها في دَيْنٍ عليَّ بخُراسان ؛ فقالت : لكَ عليَّ ذلك على أَن تأخذَها وتخرجَ من ساعتك ؛ فرضيَ بذلك ، فحملَت إليه المال ، فخرجَ من الغدِ ، فعُوتبت تلك المرأَة فيما فَعَلتْ ، فقالت : إنَّه كان يُظهر أَسرارَ أَولياءِ الله تعالى للسُّوقة والعامَّة ، فَغِرْتُ على ذلك .

- **ومنهم : سيِّدي يوسف بن الحسين الرَّازي** ، يُكنى أَبا يعقوب[2] :

كان وحيدَ وقته في إسقاط التَّصَنُّعِ ، عالِماً أَديباً ، صحبَ ذا النُّون المِصري وأَبا تُراب النَّخشبيّ .

من كلامه : إذا أَردت أن تعلمَ العاقلَ من الأَحمق فَحَدِّثْهُ بالمحالِ ، فإِنْ قَبِلَ فاعلمْ أَنه أَحمق .

---

(١) شيراز : بلد عظيم مشهور. وهو قصبة بلاد فارس ، وهو بلد إسلامي بناه محمد بن القاسم الثقفي. معجم البلدان (٣/ ٣٨٠).

(٢) ترجمته في : طبقات الصوفية (١٨٥) وحلية الأولياء (١٠/ ٢٣٨) وطبقات الأولياء (٣٧٩)؛ توفي سنة (٣٠٤هـ).

وقال : إذا رأَيت المُريدَ يشتغلُ بالرُّخَص ، فاعلمْ أَنَّه لا يجيءُ منه شيءٌ .

وقال : لأَن أَلقى الله تعالى بجميعِ المعاصي ، أَحَبُّ من أَن أَلقاه بذَرَّةٍ من التَّصَنُّع .

وقال أَبو الحُسين الدَّرَّاج : قصدتُ زيارةَ ابن الرَّازي من بغداد ، فلما دخلتُ بَلَدَهُ سأَلتُ عن منزله ، فكلٌّ من سألتُه يقول : أَيَّ شيءٍ تريدُ من هذا الزِّنديق؟ فضيَّقوا صَدري حتى عزمتُ على الانصراف ، فبتُّ تلك اللَّيلة في مَسجدٍ ثم قلتُ في نَفسي : جئتُ هذه البلدة فلا أَقلَّ من زيارته ؛ فلم أزل أَسأَلُ عنه حتَّى وصلتُ إلى مَسجده ، فوجدتُه جالساً في المحراب وبين يديه مُصحفٌ يقرأُ فيه ، فدنوتُ منه وسلَّمتُ عليه ، فردَّ عليَّ السلام وقال : من أَين؟ قلتُ : من بغداد ؛ فقال : أَتحسنُ من قَولهم شيئاً؟ قلت : نعم ، وأَنشدته : [من الطويل]

رَأَيْتُـكَ تَبْنـي دائِمـاً فـي قَطيعَتـي ... وَلو كُنْتَ ذا حَزْمٍ لَهَدَّمْتَ ما تَبني

[كأَنِّي بكم ، واللَّيْتُ أَفضلُ قولكم ... أَلا ليتنا كُنَّا ، إذ اللَّيْتُ لا تُغني][1]

فأَطبقَ المصحفَ ، ولم يزل يبكي حتَّى ابتلَّت لِحيته وثَوبه ، ورحمتُه من كثرةِ بُكائه ، ثم التفتَ إِليَّ وقال : يا بُنيّ ، أَتلومُ أَهلَ البلدِ على قولهم : يوسفُ بن الحسين زنديقٌ؟ وها أنذا من وقت صلاةِ الصُّبح أَقرأُ القُرآن ولم تقطرْ من عيني قَطرةٌ ، وقد قامت عليَّ القيامةُ بهذا البيت! .

● ومنهم : سيِّدي **حاتم بن عُنوان الأَصَمّ** ، قدَّس الله سِرَّه ، يُكنى أَبا عبد الرَّحمن[2] : من أكابر مشايخ خراسان ، صاحب شقيق البلخي .

ومن كلامه : الزمْ خِدمة مولاك ، تأْتِك الدُّنيا راغِمة والآخرةُ راغبةً .

● وقال : مَن ادَّعى ثلاثاً بغير ثلاثٍ فهو كذَّاب ؛ مَن ادَّعى حُبَّ الله تعالى من

---

(١) زيادة لازمة من طبقات الأولياء ، حيث الخبر والبيتان .

(٢) ترجمته في : طبقات الصوفية (٦١) وحلية الأولياء (٨/ ٧٣) وطبقات الأولياء (١٧٨)؛ توفي سنة (٢٣٧هـ) .

غير وَرَعٍ عن مَحارمه فهو كذّابٌ ؛ ومَن ادَّعى محبّة النّبيِّ ﷺ من غير محبَّة الفقر فهو كذَّابٌ ؛ ومَن ادَّعى حُبَّ الجنَّة من غير إنفاقِ ماله فهو كذَّابٌ .

وسأله رجلٌ : علامَ بَنَيْتَ أَمرَكَ في التَوَكُّل على الله عزَّ وجلَّ؟ قال : على أَربعِ خِصال : علمتُ أَنَّ رِزقي لا يأكلُه غيري فاطمأنَّت به نَفسي ، وعَلمتُ أَنَّ عَملي لا يَعملُه غيري فأَنا مشغولٌ به ، وعَلمتُ أَنَّ الموت يأتيني بَغْتَةً فأَنا أُبادره، وعَلمتُ أَنِّي لا أَخلو من عَينِ الله عزَّ وجلَّ حيثُ كنتُ فأَنا أَستحيي منه .

وسببُ تسميته بالأَصَمِّ : ما حكاهُ أَبو عليّ الدَّقّاق ، أَنَّ امرأَةً جاءت تسأَله عن مسأَلةٍ ، فاتَّفق أَنَّه خرجَ منها صوتُ ريحٍ ، فخَجلت المرأَةُ ، فقال حاتم : ارفَعي صَوتَك ؛ وأَراها أَنَّه أَصَمٌّ ، فَسُرَّت المرأَةُ بذلك ، وقالت : إِنَّه لم يسمع الصَّوتَ ؛ فغَلب عليه هذا الاسمُ ، رحمةُ الله تعالى عليه .

• ومنهم : **الحسن بن أَحمد الكاتب**[1] :

من كبار مَشايخ المِصريِّين ، صحب أَبا بكر المِصري وأَبا عليّ الرُّوذباري ؛ وكان أَوحدَ مشايخ وَقته .

من كلامه : روائحُ نَسيم المحبَّة تَفوحُ بين المُحبِّين وإِن كَتموها ، وتظهرُ عليهم دَلائلها وإِن أَخْفَوْها ، وتدلُّ عليهم وإِن سَتَروها .

• وأَنشد في هذا المعنى : [من الطويل]

إِذا ما أَسَرَّتْ أَنْفُسُ النّاسِ ذِكْرَهُ ... تَبَيَّنَهُ فِيهِمْ وَلَمْ يَتَكَلَّموا
تَطيبُ بِهِ أَنْفاسُهُمْ فَتُذيعُها ... وَهَلْ سِرُّ مِسْكٍ أُودِعَ الرِّيحَ يُكْتَمُ

ومن كلامه أَيضاً : إِذا انقطعَ العبدُ إِلى الله تعالى بالكُلِّيَّة ، فأَوَّلُ ما يُفيده

(١) ترجمته في : حلية الأولياء (١٠/ ٣٦٠) وطبقات الشعراني (١/ ١١٢) وطبقات الصوفية (٣٨٩) ، توفي سنة نيِّفٍ وأربعين وثلاثمئة.

الاستغناءُ به عن النَّاس .

وقال : صُحبةُ الفُسّاق داءٌ ، ودواؤُها مُفارقتهم .

وقال : إذا سَكَنَ الخوفُ في القلبِ لا يَنطقُ اللِّسان بما لا يَعنيه .

• **ومنهم : سيِّدي جَعفر [بن محمَّد] بن نُصَيْر الخُلْدي** ، ويُكنى بأَبي محمَّد[1] .

بغداديُّ المنشأ والمَولد ، صَحب الجُنيد ، وانتمى إِليه ، وحجَّ قريباً من ستِّين حِجَّةً .

ورُوي أَنَّه مَرَّ بمقبرةِ الشُّونيزيَّة[2] ، وامرأَةٌ على قبرٍ تندُبُ وتَبكي بكاءً بِحُرْقَةٍ ، فقال لها : ما لَكِ تبكين؟ فقالت : ثُكلي وَلدي ، فأَنشأَ يقول : [من المتقارب]

يَقولونَ : ثَكْلى ، وَمَنْ لَمْ يَذُقْ ... فِراقَ الأَحِبَّةِ لَمْ يَثْكَلِ

لَقَدْ جَرَّعَتْني لَيالي الفِراقِ ... شَراباً أَمَرَّ مِنَ الحَنْظَلِ

ورُوي أَنَّه كان له فَصٌّ ، فوقَع منه يوماً في الدِّجله ، وكان عنده دُعاءٌ مُجَرَّبٌ لِرَدِّ الضّالة ، إذا دعا به عادَت ، فدعا به فوجدَ الفَصَّ في وسَطِ أَوراقٍ كان يتفحَّصُها ؛ وصُورة الدُّعاء أَن تَقولَ : يا جامِعَ النّاس ليومٍ لا رَيبَ فيه ، اجمعْ عليَّ ضالَّتي .

وقد رُوي أَنَّه يَقرأُ قبلَه سُورة الضُّحى ثلاثاً .

وروى الحافظُ أَبو بكر الخطيب في « تاريخه » [عن جعفر الخُلديّ]

---

(١) ترجمته في : تاريخ بغداد (٧/ ٢٢٦) وحلية الأولياء (١٠/ ٣٨١) وطبقات الصوفية (٤٣٤) ، توفي سنة ٣٤٨هـ.

(٢) الشونيزية : مقبرة ببغداد بالجانب الغربي ، دفن فيها جماعة كثيرة من الصالحين . (معجم البلدان ٣/ ٣٧٤) .

قال[1] : ودَّعتُ في بعض حِجّاتي المُرَيْنيّ الكبير الصُّوفي ، فقلت : زَوِّدْني شيئاً ؛ فقال : إن فقدتَ شيئاً ، أَو أَردتَ أَن يجمَع الله بيني وبينك ، أَو بينك وبين إِنسانٍ ، فَقُلْ : يا جامعَ النّاسِ ليومٍ لا رَيْبَ فيه ، [إِنَّ الله لا يُخلفُ الميعاد] ، اجمعْ بيني وبين كذا ؛ فإِنَّ الله يجمعُ بينَك وبين ذلك الشَّيء أَو الإِنسان .

● **ومنهم** : سيِّدي **مَعروف بن فيروز الكَرْخي** ، قدَّس الله سِرَّه ، يُكنى أَبا محفوظ[2] :

من كبارِ المشايخ ، مُجابُ الدَّعوة ، وهو أُستاذ السَّرِيّ ، وكان أَبواه نَصرانِيَّين ، فأَسلماه إِلى مُؤَدِّبهم وهو صَبِيٌّ ، فكان المؤَدِّبُ يقول له : قُلْ : هو ثالثُ ثلاثةٍ ؛ فيقولُ : بل هو الواحدُ الصَّمد ؛ فضَربه المُؤَدِّب على ذلك ضَرْباً وَجيعاً ، فهرب منه ، فكان أَبواه يقولان : لَيْتَهُ يرجعُ إِلينا على أَيِّ دينٍ شاء ، فَنُوافقه عليه ، فرجعَ إِلى أبويه ، فدقَّ البابَ فقيل : مَن بالباب؟ فقال : مَعروف ؛ فقيل : على أَيِّ دينٍ؟ فقال : على دين الإِسلام ؛ فأَسلم أَبواه ؛ وكان مشهوراً بإِجابة الدَّعوة .

ومن كلامه رضي الله عنه : إِذا أَراد اللهُ بعبدٍ خيراً فتحَ له باب العَمل ، وأَغلق باب الفَتْرَة والكَسَل .

وكان يعاتبُ نَفْسَهُ ويقول : يا مسكين ، كم تَبكي وتَندبُ ، أَخْلِصْ تَخْلُصْ .

وقال سَرِيّ : سأَلتُ مَعروفاً عن الطّائعين لله بِأَيِّ شيءٍ قَدروا على الطّاعات لله عزَّ وجلَّ؟ قال : بخروجِ حُبِّ الدُنيا من قُلوبهم ، ولو كانت في قُلوبهم لَما صَحَّت لهم سَجْدَةٌ .

● **ومن إنشاداته** : [من البسيط]

---

(١) تاريخ بغداد (٧/ ٢٢٨) والزيادات منه.

(٢) ترجمته في : طبقات الصوفية (٨٣) وحلية الأولياء (٨/ ٣٦٠) وطبقات الأولياء (٢٨٠) ومناقب معروف الكرخي لابن الجوزي (ضمن مجلة المورد العراقية (مج٩ ع٤ ص٦٠٩ وما بعد) توفي سنة ٢٠٠ هـ.

الماءُ يَغْسِلُ ما بالثُّوبِ مِن دَرَنٍ   وَلَيْسَ يَغْسِلُ قَلْبَ المُذْنِبِ الماءُ

وقال إبراهيم الأُطروش : كان معروف قاعداً يوماً على الدِّجلة ببغداد ، فمرَّ بنا صِبيانٌ في زَورق يَضربون بالملاهي ويَشربون ، فقال له أَصحابُه : أَما ترى هؤلاء يَعصُون الله تعالى على هذا الماء؟ فادْعُ عليهم ؛ فرفعَ يديه إلى السَّماء وقال : إلهي وسيِّدي ، كما فَرَّحْتَهم في الدُّنيا أَسأَلُك أَن تُفَرِّحَهُم في الآخرة ؛ فقال له أَصحابه : إنَّما سأَلناك أَن تدعوَ عليهم ، ولم نقل لك ادعُ لهم ؛ فقال : إذا فَرَّحَهم في الآخرة تابَ عليهم في الدُّنيا ولم يضرَّكم ذلك .

وقال سَرِيّ : رأَيتُ معروفاً في المنام كأَنَّه تحتَ العرشِ ، والله تعالى يقولُ لملائكته : مَن هذا؟ فقالوا : أَنت أَعلمُ يا ربِّ ؛ قال : هذا مَعروف الكرخي ، سَكِرَ بحبِّي ، لا يفيقُ إلا بلقائي .

وقيل له في مرضه : أَوْصِ ؛ فقال : إذا مِتُّ فتصدَّقوا بقَميصي هذا ، فإنِّي أُحبُّ أَن أَخرجَ من الدُّنيا عُرياناً كما دخلتها عُرياناً .

وقال أَبو بكرٍ الخيّاط : رأَيتُ في المنام كأَنِّي دخلتُ المقابر ، فإذا أَهلُ القبور جُلوسٌ على قُبورهم ، وبين أَيديهم الرَّيحانُ ، وإذا أَنا بمعروف الكرخي بينهم يذهبُ ويجيءُ ؛ فقلت : يا أَبا مَحفوظ ، ما فعلَ الله بك؟ أَوليس قد مِتَّ؟ قال : بلى ؛ ثم أَنشد يقول :   [من البسيط]

مَوْتُ التَّقِيِّ حَياةٌ لا نَفاذَ لَها   قَدْ ماتَ قَوْمٌ وَهُمْ في النّاسِ أَحْياءُ

• ومنهم : **قاسمُ بن عُثمان الجُوعي** ، يُكنى أَبا عبد الملِك[1] :

من أَجِلّاء المشايخ ، صَحِبَ أَبا سُليمان الدّاراني وغيره ، وكان من أَقران السَّرِيّ والحارث المُحاسبيّ ، وكان أَبو تُراب النَّخْشَبيّ يَصحبُه .

---

(١) ترجمته في : طبقات الصوفية (٩٨) وحلية الأولياء (٩/ ٣٢٢) وطبقات الأولياء (٣٩٣) ، توفي سنة ٢٤٨هـ.

ومن كلامه : مَن أَصلحَ فيما بقيَ من عُمره غُفر له ما مَضى وما بَقي ، ومَن أَفسد فيما بَقي من عُمره أُخِذَ بما مَضى وما بَقي .

وقال: السَّلامةُ كلُّها في اعتزالِ النَّاس، والفَرَحُ كلُّه في الخَلْوَةِ بالله عزَّ وجلَّ.

وسُئلَ عن التَّوبة ، فقال : التَّوبةُ رَدُّ المظالم ، وتَرْكُ المعاصي ، وطَلَبُ الحلال ، وأَداءُ الفرائض .

وقال لأَصحابه : أُوصيكم بخمس : إِن ظُلمتم فلا تَظْلِموا ، وإِن مُدحتُم فلا تَفرحوا، وإِن ذُممتم فلا تَحزنوا، وإِن كُذِّبتم فلا تَغضبوا، وإِن خانوكم فلا تَخونوا.

وقال محمَّد بن الفَرَج : سمعت قاسم بن عُثمان يقول : إِنَّ لله عباداً قَصدوا الله بِهِمَمِهِمْ ، فأَفردوه بطاعتهم واكتفوا به في تَوَكُّلهم ، ورَضوا به عِوَضاً عن كُلِّ ما خطرَ على قُلوبهم من أَمر الدُّنيا ، فليس لهم حَبيبٌ غيره ، ولا قُرَّةُ عينٍ إِلا فيما قَرَّبَ إِليه .

وكان يقول : قليلُ العمل مع المعرفة خيرٌ من كثير العمل بلا مَعرفة ؛ ثم قال : اعرفْ وَضَعْ رأسكَ ونَمْ ، فما عَبَدَ اللهَ الخَلْقُ بشيءٍ أَفضلَ من المعرفة .

ورُوي عنه أَنَّه قال : رأَيتُ في الطَّوافِ حولَ البيت رجلاً فَتقرَّبتُ منه ؛ فإِذا هو لا يزيدُ على قوله : اللَّهُمَّ قضيتَ حاجةَ المحتاجين وحاجتي لم تُقْضَ ؛ فقلت له : ما لَكَ لا تَزيدُ على هذا الكلام؟ فقال : أُحَدِّثُكَ ، كُنّا سبعةَ رُفقاء من بلادٍ شتَّى ، غَزَوْنا أَرضَ العدوِّ ، فاستأسَرونا كُلَّنا ، فاعتُزل بنا لِتُضْرَبَ أَعناقُنا ، فنظرتُ إِلى السَّماء ، فإِذا سبعةُ أَبوابٍ مُفَتَّحةٌ ، عليها سبعُ جَوارٍ من الحورِ العينِ ، في كلِّ بابٍ جاريةٌ ، فَقُدِّمَ رجلٌ مِنّا فضُربت عنقُه ، فرأَيتُ جاريةً في يدها منديلٌ قد هبطت إِلى الأَرض ؛ فضُربت أَعناقُ السِّتَّةِ وبقيتُ أَنا ، وبقي بابٌ وجاريةٌ ، فلمَّا قُدِّمْتُ لِتُضْرَبَ عُنقي استوهبني بعضُ خواصِّ الملك ، فوَهبني له ، فسَمعتُها تقولُ : بأَيِّ شيءٍ فاتَكَ هذا يا مَحروم؟ وأَغلقَتِ البابَ ، فأَنا ـ يا أَخي ـ مُتَحَسِّرٌ على ما فاتني .

قال قاسم بن عُثمان : أَراهُ أَفْضَلَهُم ، لأَنَّه رأَى ما لم يَروا ، وتُرِكَ يعملُ على الشَّوق .

● ومنهم : سيِّدي **أَبو بكر دُلَف بن جَحْدَر الشِّبلي**[1] :

كان جليلَ القَدْرِ ، مالكيَّ المذهبِ ، عظيمَ الشّأن ، صَحب الجُنيد ومَن في عَصره .

وكانَ يُبالغ في تَعظيم الشَّرع المُطَهَّر ، وكان إِذا دخل شهرُ رمضان المعظَّم جدَّ في الطّاعات ؛ ويقولُ : هذا شهرٌ عَظَّمَهُ ربِّي ، فأَنا أَوْلى بتَعظيمه .

وسُئِلَ عن قول النَّبيِّ ﷺ : « خَيْرُ عَمَلِ المَرْءِ كَسْبُ يَمينه » فقال : إِذا كان اللَّيْلُ ، فخُذْ ماءً وتهيَّأْ للصَّلاة ، وصَلِّ ما شئتَ ، ومُدَّ يدَك ، وسَلِ الله عزَّ وجلَّ ، فذلك كَسْبُ يَمينك .

ولمّا حجَّ ورأَى مكَّة المشرَّفة ـ شرَّفها الله تعالى ـ وقعَ مَغْشيّاً عليه ، فلمّا أَفاق أَنشد يقول : [من الخفيف]

هَــذِهِ دارُهُــمْ وأَنْــتَ مُحِــبٌّ ... مــا بَقــاءُ الــدُّمــوعِ فــي الآمــاقِ

ورُوي أَنَّه قال : كنتُ يوماً جالساً ، فجرى في خاطِري أَنّي بَخيلٌ ، فقلتُ : مهما فتحَ الله عليَّ به اليومَ أَدفعُه إِلى أَوَّلِ فقيرٍ يلقاني ، قال : فبينما أَنا متفكِّرٌ إِذ دخلَ عليَّ شخصٌ[2] ومعه خَمسون ديناراً ، فقال : اجعل هذه في مَصالحك ، فأَخذتُها وخَرجت ، وإِذا أَنا بفقيرٍ مكفوفٍ بين يدي مُزَيِّنٍ يحلقُ رأسَه ، فتقدَّمْتُ إِليه وناولتُه الصُّرَّة ، فقال لي : ادفعْها للمُزَيِّن ، فقلت له : إِنَّها دنانير ؛ فقال : إِنَّك لبخيلٌ ؛ قال : فناولتها للمُزَيِّن ، فقال المُزَيِّن : إِنَّ من عاداتنا أَنَّ

---

(١) ترجمته في : طبقات الصوفية (٣٣٧) وحلية الأولياء (١٠/ ٣٦٦) وطبقات الأولياء (٢٠٤)؛ توفي سنة ٣٣٤هـ.

(٢) في طبقات الأولياء (٢٠٨) : إذ دخل عليَّ صاحبٌ لمؤنس الخادم.

الفقيرَ إِذا جلسَ بين أَيدينا لا نأخذُ منه أَجراً ؛ قال : فرميتُها في الدِّجلة ، وقلت : ما أَعزَّك أَحدٌ إِلاَّ أَذَلَّه الله تعالى .

• **ومنهم** : سيِّدي **زُرْقان بن محمَّد**[1] ، أَخو ذي النُّون المِصري .

صاحبُ سياحةٍ ، كان بجبلِ لُبنان .

حكي عن يوسف بن الحسين الرَّازي ، قال : بينما أَنا بجبل لُبنان أَدور إِذ أَبصرتُ زُرقان أَخا ذي النُّون المِصري جالساً على عَين ماءٍ وقتَ صلاةِ العَصر ، فسلَّمتُ عليه وجلستُ من وَرائه ، فالتفتَ إِليَّ وقال : ما حاجتُك؟ فقلت : بَيْتا شِعْرٍ سمعتُهما من أَخيك ذي النُّون المصري أَعْرِضُهما عليك ؛ فقال : قُلْ .

فقلتُ : سمعتُه يقول : [من الخفيف]

قَـد بَقِينـا مُـذَبْـذَبيـنَ حَيـارى ... نَطْلُـبُ الـوَصْـلَ مـا إِلَيْـهِ سَبيـلُ
فَـدواعـي الهـوى تَخِـفُّ عَلَينـا ... وَخِـلافُ الهـوى عَلَيْنـا ثقيـلُ

فقال زُرقان : ولكنِّي أَقول : [من الخفيف]

قَـد بَقينـا مُـذَهَّليـن حيـارىٰ ... حَسْبُنـا رَبُّنـا وَنِعْـمَ الـوَكيـلُ
حَيْثُمـا الفَـوْزُ كـانَ ذاكَ مُنـانـا ... وإِليـهِ فـي كُـلِّ أَمْـرٍ نَميـلُ

فعرضتُ أَقوالهما على طاهر المقدسي ، فقال : رحمَ الله ذا النُّون المصري ، رَجع إِلى نفسه ، فقال ما قال ، ورَجع زُرقان إِلى ربِّه ، فقال ما قال .

وقال أَبو عبد الرَّحمن السُّلمي[2] : زُرقان بن محمَّد ، أَخو ذي النُّون المصري ، وأَظنُّ أَنَّه أَخوه مُؤَاخاةً لا أُخُوَّةَ نَسَبٍ ، وكان من أَقرانه ورُفقائه .

---

(١) ترجمته في : طبقات الأولياء (٢٢٣).
(٢) لا وجود لترجمة زرقان في طبقات الصوفية المطبوع ، ولعل النص من كتابه المفقود «تاريخ الصوفية» ، وهذا النص بحروفه نقله كذلك ابن الملقن في طبقات الأولياء.

• **ومنهم** : سيِّدي أَبو **عبدِ الله النِّباجي** ، **سعيد بن يزيد**(١) :

كان من أَقران ذي النُّون المصري ، ومن أَقران أُستاذي أحمد بن أَبي الحواري ، له كلامٌ حَسَنٌ في المعرفة وغيرها .

رُوي عنه أَنَّه قال : أَصابني ضيقٌ وشِدَّةٌ ، فبتُّ وأَنا مُتفكِّر في المسير إِلى بعض إِخواني ، فسمعتُ قائلاً يقول لي في النَّوم : أَيجملُ بالحُرِّ المريدِ إِذا وَجد عند الله ما يُريد ، أَن يميلَ بقلبه إِلى العبيد؟ فانتبهتُ وأَنا من أَغنى النّاس .

• **ومنهم** : **سيِّدي بِشْر بن الحارث** ، قَدَّس الله رُوحه ، يُكنى أَبا نَصْر(٢) :

أَحد رجال الطَّريقة ، أَصله من مَرو ، وسكن بغداد ، وكان من كبار الصّالحين وأَعيان الأَتقياء المُتَوَرِّعين .

صَحِبَ الفُضيل بن عِياض ، ورَوى عن سَرِيّ السَّقطي وغيره .

ومن كلامه : لا تكون كاملاً حتّى يأمنكَ عَدوُّك ، وكيف يكون فيك خيرٌ وأَنت لا يأمنك صديقك .

وقال : أَوَّلُ عقوبةٍ يُعاقَبُها ابنُ آدم في الدُّنيا مُفَارَقَةُ الأَحباب .

وقال : غنيمةُ المؤمن غفلةُ النّاس عنه ، وخفاءُ مَكانه عنهم .

وقال : التَّكَبُّرُ على المتكبِّر من التَّواضُع .

وسُئل عن الصَّبر الجميل ، فقال : هو الَّذي لا شَكوى فيه إِلى النّاس .

وقيل : إِنَّه لقي رجلاً سَكران ، فجعل الرَّجل يقبِّل يدَ بِشْرٍ ، ويقول :

---

(١) ترجمته في : حلية الأولياء (٩/ ٣١٠) وطبقات الأولياء (٢٢٥) ، وانقلب الاسم في اللباب (٢٩٤) ففيه يزيد بن سعيد النّباجي.

(٢) ترجمته في : طبقات الصوفية ٢٩ وحلية الأولياء (٨/ ٣٣٦) وتاريخ دمشق (١٠/ ٣٥) وطبقات الأولياء (١٠٩).

يا سَيِّدي يا أَبا نَصر ؛ وبِشْرٌ لا يَدفعه عن نفسه ، فلمّا وَلّى الرَّجُل تَغرغرت عينا بِشْرٍ ، وجعل يقول : رجلٌ أَحَبَّ رجلاً على خيرٍ توهَّمه ، لعلَّ المحبَّ قد نَجا والمحبوبُ لا يدري ما حالُه .

ورُوي أَنَّ امرأَةً جاءت إِلى أَحمد بن حَنبل تسأَله ، فقالت : إِنّي امرأَة أَغزلُ باللَّيل والنَّهار وأَبيعُه ، ولا أُبيِّنُ غَزْل اللَّيل من غَزْلِ النَّهار ، فهل عليَّ في ذلك شيءٌ؟ فقال : يجِبُ أَنْ تُبَيِّني ؛ فلمّا انصرفَت قال أَحمد لابنه : اذهب ، فانظر أَين تدخُل ، فرجعَ ، فقال : دخلَتْ دارَ بِشْرٍ ؛ فقال : قد عجبتُ أَن تكون هذه السَّائلة من غير بيت بِشْرٍ .

ولمّا مرض مَرضه الَّذي مات فيه قال له أَهلُه : نرفَع ماءَك إِلى الطَّبيب قال : أَنا بعينِ الطَّبيب ، يفعلُ بي ما يُريد ؛ فأَلَحُّوا عليه ، فقال لأُخته : ادفَعي إِليهم الماء ؛ فدفَعته إِليهم في قارورة ، وكان بالقُرب منهم طبيبٌ نصرانيٌّ ، فدفعوا إِليه القارورة ، فقال : حرِّكوا الماء ؛ فحرَّكوه ؛ فقال : ضَعوه ، فوَضعوه ، فقالوا له : ما بهذا وُصِفْتَ لنا . قال : وبماذا وُصِفْتُ لكم؟ قالوا : وُصِفْتَ بأَنَّك أَحذقُ أَهل زَمانك في الطِّبِّ ؛ قال : هو كما وُصِفْتُ لكم ؛ غير أَنَّ هذا الماءَ إِن كان ماءَ نَصرانيٍّ ، فهو ماءُ راهبٍ قد فَتَّتَ الخوفُ كَبِدَه ؛ وإِن كان ماءَ مُسلمٍ ، فماءُ بشرِ الحافي ، لأَنَّ ما في زَمانه أَخوفُ منه ؛ قالوا : هو ماءُ بشرٍ ؛ فقال : أَنا أَشهدُ أَن لا إِله إِلا الله وأَشهدُ أَنَّ محمَّداً رسول الله .

فلمَّا رجعوا إِلى بشرٍ قال لهم : أَسْلَمَ الطَّبيبُ؟ قالوا له : ومَن أَعلمك بهذا؟ قال : لمّا خرجتُم من عِندي نُوديت : يا بِشْرُ ، ببَركة مائِكَ أَسْلَمَ الطَّبيب .

توفي سنة سبعٍ وعشرين ومِئتين .

● **ومنهم** : سيِّدي **أَبو يزيد طَيْفور بن عيسى البِسْطاميّ**[1] : من أَجلِّ المشايخ ، كبيرُ الشَّأْن .

---

(١) ترجمته في : طبقات الصوفية (٦٧) وحلية الأولياء (١٠/ ٣٣) وطبقات الأولياء (٣٩٨).

ومن كلامه : ما زلتُ أَسوقُ إِلى الله تعالى نَفْسي وهي تبكي إِلى أَن سُقتها وهي تَضحك .

وسُئل : بأَيِّ شيءٍ وجدتَ هذه المعرفة؟ فقال : ببطنٍ جائعٍ ، وبَدَنٍ عارٍ .

وقيل له : ما أَشَدَّ ما لقيتَ في سبيل الله تعالى؟ فقال : لا يمكنُ وَصفه ؛ فقيل له : ما أَهونُ ما لَقِيَتْهُ نفسُك منك؟ فقال : أَمّا هذا فنَعَم ؛ دعوتُها إِلى شيءٍ من الطّاعات ، فلم تُجبني ، فمنعتُها الماءَ سنةً .

وقال : النَّاسُ كلُّهم يهربُون من الحِساب ، ويتَجافون عنه ، وأَنا أَسأَلُ الله تعالى أَن يُحاسبني ؛ فقيل له : لِمَ؟ فقال : لعلَّه يقولُ فيما بين ذلك : يا عَبدي ؛ فأَقولُ : لَبّيك ؛ فقولُه لي : عَبدي ، أَحَبُّ إِليَّ من الدُّنيا وما فيها ، ثم بعد ذلك يفعلُ بي ما يشاء .

وقال له رجلٌ : دُلَّني على عَمَلٍ أَتَقَرَّبُ به إِلى ربِّي ؛ فقال : أَحِبَّ أَولياءَ الله ليحبُّوك ، فإِنَّ الله تعالى ينظرُ إِلى قلوب أَوليائه ، فلعلَّه ينظرُ إِلى اسمك في قلبِ وليٍّ ، فيغفرُ لك .

وسُئل عن المحبَّة ، فقال : استقلالُ الكثير من نَفسك ، واستكثارُ القليل من حَبيبك .

توفي سنة إِحدى وستّين ومِئتين ، رحمه الله تعالى .

- **ومنهم** : شيخُ الطَّائفة ، سيِّدي **أَبو القاسم الجُنيد بن محمّد القواريري**[1] :

شيخُ وَقته وفَريد عَصره ؛ أَصلُه من نَهاوند ، ومَولده ومَنشؤه ببغداد .

صَحِبَ جَماعةً من المشايخ ، وصَحب خالَدَ السَّرِي ، والحارثَ المُحاسبيّ ؛ ودَرس الفقهَ على أَبي ثَوْر[2] ، وكان يُفتي في مَجلسه بحضرته وهو ابنُ عشرين سنة .

---

(١) ترجمته في : طبقات الصوفية (١٥٥) وحلية الأولياء (١٠/ ٢٥٥) وطبقات الأولياء (١٢٦).

(٢) أبو ثور الكلبي ، إبراهيم بن خالد بن اليمان.

ومن كلامه رضي الله عنه : علامةُ إِعراض الله تِعالى عن العبد أَن يشغلَه بما لا يَعنيه .

وقال : الأَدبُ أَدبان : أَدَبُ السِّرِّ وأَدَبُ العلانية ، فأَدَبُّ السِّرِّ طهارةُ القلوب ، وأَدب العلانية حِفظُ الجوارح من الذُّنوب .

ورُؤي في يده يوماً سُبْحَةٌ ، فقيل له : أَنت مع تَمَكُّنك وشَرفك تأخذُ بيدك سُبْحَةً؟ فقال : نَعم ، سَبَبٌ وَصَلْنا به إِلى ما وَصلنا لا نَتركُه أَبداً .

وقال حسن بن محمّد السَّرّاج : سمعتُ الجنيد يقول : رأَيتُ إِبليس في منامي ، وكأَنَّه عُريان ، فقلت له : أَلا تستحيي من النّاس؟ فقال : باللهِ ، هؤلاء عندك من النّاس؟ لو كانوا من النّاس ما تلاعَبْتُ بهم كما يتلاعبُ الصِّبيان بالكُرَة ، ولكن النّاس عندي ثلاثةُ نَفَرٍ ؛ فقلتُ : ومَن هم؟ قال : قومٌ في مَسجد الشُّونيزي ، قد أَضْنَوا قلبي وأَنحلوا جسمي ، كلَّما هَممتُ بهم أَشاروا إِلى الله عزَّ وجلَّ ، فأَكاد أَن أُحرق ؛ قال الجنيد : فانتبهتُ من نومي ، ولبستُ ثيابي وجئتُ إِلى مسجد الشُّونيزي بليلٍ ، فلمّا دخلتُ (المسجدَ إِذا أَنا بثلاثةِ أَنفسٍ جلوس ، ورؤوسهم في مُرَقَّعاتهم ، فلمّا أَحسُّوا بي قد دخلتُ) أَخرجَ أَحدُهم رأسه وقال : يا أَبا القاسم ، أَنت كُلَّما قيلَ لكَ شَيْءٌ تَقبلُ! .

قيل : إِنَّ الثَّلاثة الَّذين كانوا في مسجد الشُّونيزي أَبو حمزة ، وأَبو الحسين الثوري ، وأَبو بكر الزَّقاق رضي الله عنهم .

وقال محمَّد بن قاسم الفارسي : باتَ الجُنيد ليلةَ العيد في الموضع الَّذي كان يعتادُه في البرِّيَّة ، فإِذا هو وقتَ السَّحَر بشابٍّ مُلْتَفٍّ في عباءة وهو يبكي ويقول : [من الوافر]

بِحُـرْمَـةِ غُـرْبَـتي كَـمْ ذا الصُّـدودُ ... أَلا تَحْنُــو عَلَــيَّ أَلا تجــودُ[1]

---

(١) في أ ، ب : × أَلا تعطف . . .

سُـرورُ العِيْـدِ قَـدْ عَـمَّ النَّـواحـي   وَحُـزْنـي فـي ازْديـادٍ لا يَبيـدُ
فـإِنْ كُنْـتُ اقْتَـرَفْـتُ خـلالَ سَـوْءٍ   فَعُـذْري فـي الهـوى أَن لا أَعـودُ

توفي الجنيد رحمه الله تعالى سنة سبعٍ وتسعين ومئتين ببغداد ، وصلَّى عليه نحوَ ستِّين أَلفاً ، رضوان الله عليهم أَجمعين .

• وممَّن صحبتُهُ وانتفعتُ بصُحبته ، وفاضَت الخيراتُ عليَّ ببركته ، سيِّدي الشَّيخ الإمام العالم العامل **أَبو المعالي ، وأَبو الصدق ، أَبو بكر بن عُمر الطُّرَيْني المالِكي**[1] ، قدَّس الله سِرَّه ورُوحه ، ونَوَّر ضَريحه : كان أَوحدَ زمانه في الزُّهد والوَرع ، قامِعاً لأَهل الضَّلال والبِدَع ، وله أَسرارٌ ظاهرةٌ ، وبَركات مُتواترة ؛ قد أَطاعَ أَمرَه الخلائقُ عُجْماً وعُرْباً ، وانتشرَ ذِكره في البلاد شَرْقاً وغَرْباً ، وأَتت الملوكُ إِلى بابه ، واختاروا أَن يكونوا من جملة أَصحابه ، ما أَتاه مكروبٌ إِلا فَرَّجَ الله كُربتَه ، ولا طالِبَ حاجةٍ إِلا قضَى اللهُ حاجتَه ؛ كان مُحافظاً على النَّوافلِ ، مُلازماً للفَرض ؛ وكان أَكثرُ أَكْلِه من المُباح من نَبات الأَرض ، لم يُمَتِّعْ نفسَه في الدُّنيا بالمآكلِ والمشاربِ اللَّذيذة ؛ بل قيل : إِنَّه غَضِبَ على نفسه مرَّة فمنَعها شُرب الماء شُهوراً عديدة .

وكان رضي الله عنه كثيرَ الشَّفقة والحُنُوِّ على أَصحابه ، نَصوحاً لجميع خلق الله من أَعدائه وأَحبابه ، يدخل عليه أَعدى عدوِّه ، فَيُقْبِلُ بِبِشْرِهِ وبرِّه عليه ، فيخرجُ من عنده وهو من أَحبِّ النّاس إِليه ، كما قال بعضُهم :   [من الطويل]

وإِنِّـي لأَلْقـى المَـرْءَ أَعْلَـمُ أَنَّـهُ   عَدُوِّي وفي أَحشائِهِ الضِّغْنُ كامِنُ
فـأَمْنَحُـهُ بِشْـري فَيَـرْجِـعُ قَلْبُـهُ   سَليماً وَقَدْ ماتَتْ لَدَيْهِ الضَّغائِنُ

وكانت حملةُ أَهل زمانه عليه ، وأَحوالُهم في كل أَمرٍ راجعةٌ إِليه ، وكنتُ كثيراً ما أَسمعهُ يتمثَّل بهذا البيت :   [من الطويل]

---

(١) ترجمته في : ذيل الدرر الكامنة (٣٠١) وإنباء الغمر (٨/ ٥١) والضوء اللامع (١١/ ٦٤) وشذرات الذهب (٩/ ٢٥٨) .

وَمـا حَمَّلـونـي الضَّيْـمَ إلاَّ حَمَلْتُـهُ ... لأنِّـي مُحِـبٌّ والمُحِـبُّ حَمُـولُ

وكان رضي الله عنه كثيرَ المصافاة ، عظيمَ الموافاة ، شأنُه الحِلْمُ والسِّتْرُ ، لم يهتك حُرمةَ مسلمٍ ولا فَضحه ، وما استشاره أَحدٌ في أَمرٍ إلا أَرشده إلى الخيرَ ونَصحه ؛ صَحبتُه رضي الله عنه نحو خمسَ عشرةَ سنةً ، فكأَنَّها من طِيبها كانت سنةً ، ما قطعَ بِرَّه يوماً واحداً عنِّي ، حتَّى كنتُ أَظنُّ أَن ليس عنده أَخصُّ منِّي ، وكان ذلك فِعْله مع جميع أَصحابه قاطبةً ؛ بيَّضَ الله وَجهه في القيامة ، وبلَّغه من فَضل ربِّه مآربه .

وكان رضي الله عنه فَقيهاً في مذهب الإمام مالكٍ ؛ إمامٌ كبيرٌ لم يُرَ له في زَمانه من شبيهٍ ولا نظيرٍ ، وله في علم الحقيقة أَقوالٌ ، وكم رأَينا له من مُكاشفاتٍ وأَحوالٍ ، ولو تَتَبَّعْتُ مَناقبهُ لاتَّسعَ الكلامُ ، ولكنِّي أَقولُ : كان أَوحد عصره والسَّلام .

عاش رضي الله عنه نَيِّفاً وستِّين سنة ، وكان النَّاسُ في زمانه في عيشةٍ راضيةٍ ، وأَحوال حَسَنَةٍ ؛ وكان رضي الله عنه كثير الأَمراض والأَسقام ؛ حصلَ له في آخر عُمره ضَعْفٌ شديدٌ أَقام به نحو سنة ، ثم تزايدَ مرضُه في العشرِ الأَوَّلِ من ذي الحِجَّة الحرام ، فلمّا كانت ليلة الحادي عشر اشتدَّ به الأَمرُ واحتُضر ، ولم يزلْ في النَّزْعِ إلى ثلثِ اللَّيل الأَوَّل من اللَّيلة المذكورة ، ثم تُوفِّي رحمه الله تعالى سَعيداً حَميداً في ليلة الجمعة حادي عشر ذي الحِجَّة الحرام ، سنةَ سبعٍ وعشرين وثمانمئة .

ولمّا أُخبر النّاس بوفاته عَظُم مُصابه على المسلمين ، ووقعَ النَّوح والبُكاء والأَسف في أَقطار البُلدان ، حتّى طوائف المخالفين للملَّة من النَّصارى وغيرهم ، وصاروا يبكون ويتوجَّعون ، ويتأَسَّفون على فراقه ، وكيف لا ، وهو إمامُ العصر ، علاَّمة الدَّهر ، حُقَّ فيه قولُ القائل : [من الكامل]

حَلَـفَ الـزَّمـانُ لَيَـأْتِيَـنَّ بِمِثْلِـهِ ... حَنِثَـتْ يَمِيْنُـكَ يـا زَمـانُ فَكَفِّـرِ

رضي الله عنه ورضي عنَّا به ، ونفعنا ببركته في الدِّين والدُّنيا والآخرة ؛ فشَرعوا في تجهيزه وغسله ، فكنتُ ممَّن حضرَ غسلَه ، ولكن لم يكن ذهني معي في تلك السَّاعة لِما جرى علينا من المُصيبة بفَقده ، كيف لا ، وقد كان والداً شَفوقاً وباراً مُحسناً عشوقاً ، فلمّا انتهى غَسله رضي الله عنه جاء القُضاة والنُّوّاب والكُشّاف والوُلاة ، وحَملوه على أَعناقهم ، ومَضوا به إلى جامع الخُطبة بالمحلَّة ، فضاقَ بهم الجامعُ على سَعته ، وضَاقت بهم الشَّوارعُ والسِّكك والطُّرقات من كثرة النّاس ، فلم يُرَ أَكثرَ جمعاً ولا أَغزرها دَمْعاً من ذلك اليوم ، وهذا دليلٌ على أنَّه كان قطبَ أَهل زمانه .

قال الإِمام أَحمد بن حنبل رضي الله عنه : بيننا وبينهم الجنائزُ ، يريدُ بذلك اجتماع النّاس ، والله أعلم .

فارتفع نعشُه على أَعناقهم ، وتقدَّم للصَّلاة شيخُه العارف بالله تعالى سيِّدي سُليمان الدَّواخلي نفعنا الله ببركته ، ودُفن يوم الجمعة بزاويته الَّتي أَنشأَها بسَنْدَفا[1] مع والده الشَّيخ الإمام العالم العلامة مُفتي المسلمين سِراج الدِّين أَبي حفص عُمر الطُّرَيْني المالِكي في قبرٍ واحد .

• نفعَنا الله ببركته ، وجعل الجنَّة مُتَقَلَّبَهُ ومَثْوَاه ، وحَشرنا وإِيَّاه في زُمرة سيِّد الأَوَّلين والآخرين محمَّد خاتم النَّبيِّين ، وأَفضل المسلمين ، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه أَجمعين .

• ونسأَله لنا التَّوفيق والإِعانة ، وأَن يمتِّع المسلمين بطول بقاء أَخيه سيِّدنا ومولانا الشَّيخ شمس الدِّين محمَّد الطُّرَيْني أَدام الله أَيّامه للمسلمين ، وصلَّى الله وسلَّم على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أَجمعين .

* * *

---

(١) المحلَّة الكبرى لها جانبان ، اسم أحدهما المحلَّة والآخر سَنْدَفا . (معجم البلدان ٣/ ٢٦٨) .

الباب الحادي والثلاثون

في مناقب الصّالحين ، وكرامات الأولياء رضي الله عنهم

● **اعلمْ** أَنَّ كرامات الأَولياء لا تُنكرُ ، ومناقبهم أكثر من أن تُحصر ، نسأَل الله تعالى أَن يحشرَنا معهم في زُمرة نبيِّنا محمَّد ﷺ يوم المَحشر ، إِنَّه على ما يشاءُ قدير ، وبالإِجابة جدير ، وهو حسبُنا ونعمَ الوكيل .

● **حكاية**[1] : قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى : احتُبس عنا المطرُ بالبصرة ، فخرَجنا نَستسقي مِراراً ، فلم نَرَ للإِجابة أَثَراً ، فخرجتُ أَنا وعطاء السُّلمي ، وثابت البُناني ، ويَحيى البكّاء ، ومحمَّد بن واسع ، وأَبو محمَّد السِّختياني ، وحبيب الفارسي ، وحسّان بن ثابت بن أَبي سِنان ، وعُتبة الغُلام ، وصالح المُزَني ، حتَّى إِذا صِرْنا إِلى المُصَلَّى بالبصرة خرج الصِّبيان من المكاتب ، ثم استسقينا ، فلم نَرَ للإِجابة أَثَراً ، حتَّى انتصف النَّهار وانصرفَ النَّاس ، وبقيتُ أَنا وثابت البُناني بالمُصَلَّى ، فلمّا أَظلم اللَّيلُ إِذا أَنا بعبدٍ أَسود ، مليحٍ رقيقِ السَّاقين ، عليه جُبَّةُ صُوفٍ ، قَوَّمْتُ ما عليه بدرهمين ، فجاء بماءٍ فتوضَّأ ، ثم جاء إِلى المحراب ، فصلَّى ركعتين خفيفتين ، ثم رفع طَرْفَهُ إِلى السَّماء وقال : إِلهي وسيِّدي ومَولاي ، إِلى كم تردُّ عبادك فيما لا ينفعُك ، أَنَفَذَ ما عندك أَم نَقَص ما في خَزائنك؟ أَقسمتُ عليكَ بحبِّك لي إِلا ما أَسقيتنا غيثَك السَّاعة .

قال : فما تمَّ كلامُه حتَّى تغيَّمت السَّماء وجاءت بمطرٍ كأَفواه القِرَبِ . قال

---

(١) قارن بما ورد في روض الرياحين (١٩١) الحكاية التاسعة عشرة بعد المئة .

مالكٌ : فتعرَّضْتُ له ، وقلت له : يا أَسود ، أَما تستحيي ممّا قلتَ؟ قال : وما قلتُ؟ قلت : قولَك : بحبِّك لي ، وما يُدريك أَنَّه يحبُّك؟ قال : تنحَّ عنِّي يا مَن اشتغل عنه بنفسه ، أَفتراه بَدَأَني بذلك إِلا لمحبَّتِه إِيَّاي؟ ثم قال : محبَّتُه لي على قَدره ، ومحبَّتي له على قَدري ؛ فقلتُ له : يَرحمك الله ، ارفُق قليلاً ؛ فقال : إِنِّي مملوكٌ ، وعليَّ فَرْضٌ من طاعةِ مالِكي الصَّغير .

قال : فانصرفَ وجعلنا نقفو أَثَره على البُعد حتَّى دخل دار نخّاسٍ ، فلمّا أَصبحنا أَتينا النَّخّاس ، فقلتُ : يرحمُك الله ، أَعندك غُلامٌ تَبيعه مِنّا للخِدمة؟ قال : نعم ، عِندي مِئة غلامٍ للبيع ؛ فجعلَ يعرضُ علينا غُلاماً بعد غلامٍ حتَّى عرضَ علينا سبعين غلاماً ، فلم أَلْقَ حبيبي فيهم ، فقال : عُودوا إِليَّ في غير هذا الوقت ؛ فلمّا أَردنا الخروجَ من عنده دخلنا حُجْرَةً خَرِبَةً خلفَ داره ، وإِذا بالأَسود قائمٌ يُصَلِّي ، فقلت : حَبيبي وربِّ الكعبة ؛ فجئتُ إِلى النَّخّاس ، فقلت له : بِعْني هذا الغلام ؛ فقال : يا أَبا يحيى ، هذا الغلام ليست له هِمَّةٌ في اللَّيل إِلا البُكاء ، وفي النَّهارِ إِلا الخَلْوة والوَحدة ؛ فقلتُ له : لا بُدَّ من أَخْذِه منك ولكَ الثَّمن ، وما عليكَ منه؟ فدعاه ، فجاء وهو يتناعسُ ، فقال : خُذْهُ بما شئتَ بعد أَن تُبرئَني من عُيوبه كلِّها ؛ فاشتريتُه منه بعشرين ديناراً ، وقلت له : ما اسمُك؟ قال : ميمون ؛ فأَخذتُ بيده أُريد المنزل ، فالتفتَ إِليَّ وقال : يا مَولاي الصَّغير ؛ لماذا اشتريتَني ، وأَنا لا أَصلحُ لخدمة المخلوقين؟ فقلتُ له : والله يا سيِّدي إِنَّما اشتريتُك لأَخدمَك بنفسي ؛ قال : ولِمَ ذلك؟ فقلتُ : أَلستَ صاحبنا البارحة بالمُصَلَّى؟ قال : بلى ، وقد اطَّلعتَ على ذلك؟ قلتُ : نعم ، وأَنا الَّذي عارضتُك البارحة في الكلام بالمُصَلَّى .

قال : فجعل يمشي حتَّى أَتىٰ إِلى مسجدٍ ، فاستأذنَني ودخل المسجد ، فصلَّى ركعتين خفيفتين ، ثم رفع طَرْفَهُ إِلى السَّماء ، وقال : إِلهي وسيِّدي ومولاي ، سِرٌّ كان بيني وبينك أَطلعتَ عليه غيرك ، فكيف يطيبُ الآن عيشي؟

أَقسمتُ عليك بكَ إلاّ ما قَبضتَني إليك السّاعة ؛ ثم سَجد ، فانتظرتُه ساعةً ، فلم يرفعْ رأسه ، فجئتُ إليه وحَرَّكْتُهُ ، فإذا هو قد مات رحمة الله تعالى عليه .

قال : فمددتُ يديه ورجليه ، فإذا هو ضاحكٌ مستبشرٌ ، وقد غلب البياضُ على السَّواد ، ووجهُه كالقَمر ليلة البدر ، وإذا شابٌّ قد دخل من الباب ، وقال : السَّلام عليكم ورحمة الله وبَركاته ، أَعْظَمَ اللهُ أُجورَنا وأُجورَكم في أَخينا ميمون ، هاكُم الكَفَنَ ؛ فناوَلَني ثَوبين ما رأَيتُ مثلهما قطُّ ، فَغَسلناه وكفَّنّاه فيهما ودَفنّاه .

قال مالك بن دينار : فبقبره نَستسقي إلى الآن ، ونطلبُ الحوائج من الله تعالى ، رحمةُ الله عليه .

● وحُكي[1] عن حُذيفة المَرْعَشيّ رضي الله عنه ، وكان خَدَمَ إبراهيم الخوّاص[2] رضي الله عنه وصَحِبَهُ مُدَّةً ، فقيل له : ما أَعجبُ ما رأَيتَ منه؟ فقال : بَقينا في طريق مكَّة أَيّاماً لم نأكلْ طعاماً ، فدخَلنا الكُوفة ، فأَوينا إلى مسجدٍ خَربٍ ، فنظرَ إليَّ إبراهيمُ وقال : يا حُذَيفة ، أَرى بك أَثر الجوع ؛ فقلتُ : هو كما ترى ؛ فقال : عَليَّ بدواةٍ وقِرطاسٍ ، فأَحضرتُهما إليه ، فكتب :

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

أَنت المقصودُ بكلِّ حالٍ ، والمشارُ إليه بكلِّ معنى .

ثم قال[3] : [من الكامل]

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٤/ ٣٠) وروض الرياحين (١٨٨).

(٢) كذا في الأصول، وهو وهم، والصواب أنه إبراهيم بن أدهم العجليّ.

(٣) الأول والثاني في شرح نهج البلاغة (١٨/ ٢٤٢) بلا نسبة، وهما لأبي عبد الله الخليع في نثر النظم (٣٢) وأحسن ما سمعت (١٣٩) وكلاهما للثعالبي، والثلاثة لإبراهيم بن أدهم في مصادر الخبر.

أَنا حامِدٌ ، أَنا شاكِرٌ ، أَنا ذاكِرٌ أَنا جائِعٌ ، أَنا ضائِعٌ ، أَنا عاري[1]
هِـيَ سِتَّـةٌ وأَنـا الضَّميـنُ لِنِصْفها فَكُـنِ الضَّميـنَ لِنِصْفِهـا يـا بـاري
مَـدْحي لِغَيْـرِكَ لَهْبُ نـارٍ خُضْتُهـا فـأَجِـرْ عُبَيْـدَكَ مـن لَهيـبِ النَّـارِ

قال حُذيفة : ثم دَفَعَ إِليَّ الرُّقعةَ ، وقال : اخرجْ بها ولا تُعَلِّقْ قلبَك بغير الله تعالى ، وادفعْها إلى أَوَّل مَن يَلقاك ؛ قال : فخرجتُ ، فأَوَّلُ مَن لقيني رجلٌ على بَغْلَةٍ ، فناولتُه الرُّقعة ، فأَخذَها ، فقرأَها وبكى ، وقال : ما فُعِلَ بصاحبِ هذه الرُّقعة؟ قلت : هو في المسجدِ الفُلانيّ ؛ فدفَعَ إِليَّ صُرَّةً فيها ستُّمئة درهمٍ ، فأَخذتُها ومَضَيت ، فوجدتُ رجلاً ، فسأَلته : مَن هذا الرَّاكب على البغلة؟ فقال : هو رجلٌ نَصرانيٌّ ؛ قال : فجئتُ إِبراهيم وأَخبرتُه بالقِصَّة ؛ فقال : لا تمسَّ الدَّراهم ، فإِنَّ صاحبَها يأتي السَّاعة ؛ فلمّا كان بعد السّاعة أَقبل النَّصرانيُّ راكباً على بَغلته ، فترجَّلَ على باب المسجد ، ودخل ، فأَكبَّ على إِبراهيم يقبِّلُ رأسه ويديه ويقول : أَشهدُ أَن لا إِله إِلا الله وحدَه لا شريك له ، وأَشهدُ أَنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه .

قال : فبكى إِبراهيم الخوّاص فَرَحاً به وسُروراً ، وقال : الحمدُ لله الَّذي هداك للإِسلام وشَريعة محمَّدٍ عليه أَفضلُ الصَّلاة والسَّلام .

• **وحُكي** أَنَّ بعضَهم كان ملاّحاً ببحر النِّيل المبارك بمصر ، قال : كنتُ أُعَدِّي من الجانب الغَربيِّ إِلى الجانب الشَّرقيِّ ، ومن الشَّرقيِّ إِلى الجانب الغَربيِّ ، فبينما أَنا ذات يوم في الزَّورقِ ، إِذا بشيخٍ مُشرقِ الوجهِ ، عليه مَهابةٌ ، فقال : السَّلامُ عليكم ؛ فرددتُ عليه السَّلام ، فقال : أَتحملُني إِلى الجانب الغربيِّ لله تعالى؟ فقلتُ : نَعم ؛ فطلَع إِلى الزَّورق ، وعدَّيتُ به إِلى الجانب الغربيِّ ، وكان على ذلك الفقير مُرَقَّعَةٌ ،

---

(١) كذا في الأصول، وفي مصادر الأبيات : × . . . أنا نائع أنا عاري .
والنائع : المتمايل جوعاً .

وبيده رَكْوَةٌ وعَصا ، فلمّا أَراد الخروجَ من الزَّورق قال : إنِّي أُريد أَن أُحَمِّلَك أَمانةً ؛ قلتُ : وما هي؟ قال : إذا كان غداً وقتَ الظُّهر تجدُني عند تلك الشَّجرة مَيِّتاً ، وَسَتَنْسَى ، فإذا أُلهمتَ ، فأتني وغَسِّلْني وكَفِّنِّي في الكَفَن الَّذي تَجدُه عند رأسي ، وصَلِّ عليَّ ، وادْفِنِّي تحتَ الشَّجرة ، وهذه المُرَقَّعةُ والعصا والرَّكوة يأتيك مَن يطلبُها منك ، فادفعْها إليه ، ولا تَحتقرْهُ .

قال الملاّح : ثم ذهب وتركني ، فتعجَّبتُ من قوله ، وبتُّ تلك اللَّيلة ؛ فلمَّا أَصبحتُ انتظرتُ الوقت الَّذي قال لي ، فلمَّا جاء وقتُ الظُّهر أُنْسيتُ ، فما تذكَّرتُ إلا قريبَ العصر ، فسرتُ بسرعةٍ ، فوجدتُه تحتَ الشَّجرة مَيِّتاً ، ووجدتُ كَفَناً جديداً عند رأسه تفوحُ منه رائحة المسكِ ، فغَسَّلتُه وكَفَّنْتُهُ ؛ فلمّا فرغتُ من غَسله حضَر عندي جماعة عظيمة لم أَعرف منهم أَحداً ، فَصَلَّينا عليه ، ودفنتُه تحت الشَّجرة ، كما عَهِد إليَّ ، ثم عدتُ إلى الجانب الشَّرقيِّ ، وقد دخل اللَّيل ، فنمتُ ، فلمّا طلع الفجر وبانَت الوجوهُ إذ أَنا بشابٍّ قد أَقبل عليَّ ، فحقَّقتُ النَّظرَ في وَجهه ، فإذا هو من صِبيان الملاهي كان يخدمُهم ، فأَقبل وعليه ثيابٌ رِقاقٌ ، وهو مَخضوبُ الكفَّين ، وطارةٌ تحت إبطه ، فسلَّم عليَّ ، فرددتُ عليه السَّلام ، فقال : يا ملاّح أَنت فلان بن فلان . قلت : نعم . قال : هات الوديعة الَّتي عندك ؛ قلتُ : من أَين لك هذا؟ قال : لا تسأل ؛ فقلتُ : لا بدَّ أَن تخبرَني ؛ فقال : لا أَدري ، إلا أَنِّي البارحةَ كنتُ في عُرس فلان التّاجر ، فسهرنا نرقُص ونغنِّي إلى أَن ذكرَ اللهَ الذَّاكرون على المآذن ، فنمتُ لأَستريح ، وإذا برجلٍ قد أَيقظني وقال : إنَّ الله تعالى قد قبضَ فلاناً الوليَّ وأَقامك مقامه ، فسرْ إلى فلان بن فلان صاحب الزَّورق ، فإنَّ الشَّيخَ أَودع لك عنده كيت وكيت ؛ قال : فدفعتُها له ، فخلع أَثوابه الرِّقاق ورَمى بها في الزَّورق ، وقال : تَصَدَّقْ بها على من شِئت ، وأَخذ الرَّكوةَ والعصا ، ولبس المُرَقَّعَةَ وسار ، وتركَني أَتحَرَّقُ وأَبكي لِما حُرِمْتُ من ذلك ؛ وأَقمت يومي

ذلك أَبكي إِلى اللَّيل ، ثم نمتُ فرأَيتُ ربَّ العِزَّة جلَّ جَلالُه في النَّوم ، فقال : يا عَبْدي ، أَثَقُلَ عليك أَن مَنَنْتُ على عبدٍ عاصٍ بالرُّجوع إِليَّ؟ إِنَّما ذلك فَضْلي أُوتيه مَن أَشاءُ من عبادي ، وأَنا ذو الفضل العظيم .

• **وحَكى** أَبو إِسحٰق الصُّعلوكي ، قال : خرجتُ سنةً إِلى الحجِّ ؛ فبينما أَنا في البادية تائِهٌ ، وقد جَنَّ اللَّيلُ وكانت ليلةً مُقمرةً ، إِذ سمعتُ صوتَ شخصٍ ضعيفٍ يقول : يا أَبا إِسحٰق قد انتظرتُك من الغَداة ؛ فدنوتُ منه فإِذا هو شابٌّ نحيفُ الجسم قد أَشرف على الموت ، وحولَه رياحينُ كثيرةٌ ، منها ما أَعرفُ ومنها ما لا أَعرف ؛ فقلتُ له : مَن أَنت؟ ومن أَين أَنت؟ قال : من مدينة شِمْشاط ؛ كنتُ في عِزَّةٍ وَرِفْعَةٍ ، فطالَبتني نَفسي بالغُربة والعُزلة ، فخرجتُ ، وقد أَشرفتُ الآن على الموت ، فدعوتُ الله تعالى أَن يقيِّضَ لي وَلِيّاً من أَوليائه ، وأَرجو أَن تكونَ أَنت هو ؛ فقلتُ : أَلك حاجةٌ؟ قال : نعم ، لي والدةٌ وإِخوةٌ وأَخواتٌ ؛ فقلتُ : هل اشتقتَ إِليهم قطُّ؟ قال : لا ، إِلا اليومَ اشتقتُ أَن أَشُمَّ ريحَهُمْ ، فهممتُ أُريدهم ، فاحْتَوَشَتْني السِّباعُ والهوامُّ وبَكين معي ، وحملوا إِليَّ هذه الرَّياحين الَّتي تَراها .

قال أَبو إِسحٰق : فبينما أَنا معه يرقُّ له قلبي وإِذا بحيَّةٍ عظيمةٍ في فَمها باقةُ نَرْجِسٍ كبيرة ، فقالت : دَعْ وليَّ اللهِ تعالى ، فإِنَّ الله يَغارُ على أَوليائه ؛ قال : فَغُشي عليه ، وغُشي عليَّ ، فما أَفقتُ إِلا وهو قد خرجَت رُوحه رحمه الله .

قال : فدخلتُ مدينة شِمشاط بعدما حَجَجتُ ، فاستقبلَتني امرأَةٌ بيدها رَكوةٌ ، ما رأَيتُ أَشبَهَ بالشَّابِّ منها ، فلمّا رأَتني نادت : يا أَبا إِسحاق ، ما شأْنُ الشَّابِّ الغريبِ الَّذي مات غريباً ، فإِنِّي مُنتظرتُك منذ كذا؟ فذكرتُ لها القِصَّة إِلى أَن قلتُ لها : أَشمُّ ريحهم ؛ فصاحَت : أَوّاه أَوّاه ، قد بلغَ والله الشَّمَّ ، ثم شهقت شهقةً خرجَت روحُها ، فخرجَ إِليها بناتٌ أَترابٌ عليهنَّ مُرَقَّعات ومُروط ، فكفلْنَ أَمْرَها وتولَّيْنَ دَفْنَها وهنَّ مُستترات ؛ رضوان الله على الجميع .

● شعر : [من الرمل]

يـا نَسيمـاً هَـبَّ مِـن وادي قُبـا خَبِّـرينـي كَيْـفَ حـالُ الغُـرَبـا
كَـمْ سَـأَلْـتُ الـدَّهْـرَ أَنْ يَجْمَعَنـا مِثْـلَ مـا كُنّـا عَلَيْـهِ فَـأَبَـى

● وحُكي[1] أَنَّ رجلاً كان يُعرف بدينار العيّار ، وكان له والدةٌ صالحةٌ ، تَعِظُهُ وهو لا يَتَّعِظُ ، فمرَّ في بعض الأَيَّام بمقبرةٍ ، فأَخذ منها عَظْماً ، فتفتَّتَ في يده ، ففكَّر في نفسه وقال : ويحك يا دينار ، كأَنِّي بك وقد صار عَظْمُك هكذا رُفاتاً والجسمُ تُراباً ؛ فندم على تَفريطه ، وعزَم على التَّوبة ، ورفعَ رأسه إِلى السَّماء وقال : إِلَهي وسيِّدي ، أَلقيتُ إِليك مقاليدَ أَمري ، فاقْبَلني وارْحَمني ؛ ثم أَقبل نحو أُمِّه مُتَغَيِّرَ اللَّونِ ، مُنكسرَ القلب ، فقال : يا أُمّاه ، ما يُصنعُ بالعبدِ الآبقِ إِذا أَخذَه سَيِّدُهُ؟ قالت : يُخَشِّنُ مَلْبَسَهُ ومَطعمه ، ويغلُّ يديه وقدميه ؛ فقال : أُريد جُبَّةً من صُوفٍ وأَقراصاً من شَعير ، وغُلَّين ، وافْعلي بي كما يُفْعَلُ بالعبدِ الآبق ، لعلَّ مولاي يَرى ذُلِّي فيرحَمني ؛ ففعلَت به ما أَراد ، فكان إِذا جَنَّ عليه اللَّيلُ أَخذ في البكاء والعَويل ، ويقول لنفسه : ويحكَ يا دينار ، أَلك قوَّةٌ على النَّار؟ كيف تعرَّضْتَ لغضب الجبّار؟ ولا يزالُ كذلك إِلى الصَّباح ، فقالت له أُمُّه : يا بُنَيَّ ، اُرفقْ بنفسك ؛ فقال : دَعيني أَتعبْ قليلاً لعلّي أَستريحُ طويلاً ، يا أُمّاه ، إِنَّ لي غداً مَوقفاً طويلاً بين يدي ربٍّ جليلٍ ، ولا أَدري أَيُؤْمَرُ بي إِلى ظِلٍّ ظليلٍ أَو إِلى شَرِّ مقيلٍ ؛ قالت : يا بُنيَّ ، خُذْ لنفسك راحةً ، قال : لستُ للرّاحة أَطلبُ ، كأَنَّك ـ يا أُماه ـ غداً بالخلائق يُساقون إِلى الجَنَّة ، وأَنا أُساق إِلى النّار مع أَهلها ؛ فتركَتْه وما هو عليه ، فأَخذ في البكاء والعبادة وقراءة القُرآن ، فقرأَ في بعض اللَّيالي ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر : ١٥/٩٢ـ٩٣] . ففكّر فيها وجعل يبكي حتَّى غُشي عليه ، فجاءت أُمُّه إِليه ،

---

(١) كتاب التوابين (٢٥٦).

فنادته فلم يُجبها ، فقالت له : يا حَبيبي وقُرَّةَ عَيني ، أَين الملتقى؟ فقال بصوتٍ ضعيفٍ : يا أُمّاه ، إن لم تَجديني في عَرَصاتِ القيامة ، فاسأَلي مالِكاً خازِنَ النّار عنِّي ؛ ثم شَهق شهقةً ، فمات رحمه الله تعالى ، فغَسَّلته أُمُّه وجَهَّزَته ، وخرجت تُنادي : أَيُّها النّاس ، هلمُّوا إلى الصَّلاة على قَتيل النّار ؛ فجاء النَّاسُ من كلِّ جانبٍ ، فلم يُرَ أكثر جَمْعاً ولا أَغْزَرَ دَمعاً من ذلك اليوم ؛ فلمّا دَفنوه نام بعضُ أَصدقائه تلك اللَّيلة ، فرآه يتبخترُ في الجنَّة ، وعليه حُلَّةٌ خضراءَ ، وهو يقرأ الآية ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ، ويقولُ : وعِزَّتِهِ وجَلالِهِ ، سَأَلني ورَحِمَني ، وغَفَر لي ، وتَجاوزَ عنِّي ، أَلا أَخبروا عنِّي والدتي بذلك .

• وحُكي عن الحسن البَصْريّ ، قال : نزل سائلٌ بمسجدٍ ، فسأَلَ النّاس أَن يُطعموه كِسْرَةً ، فلم يُطعموه ، فقال الله تعالى لِملَك الموت : اقبضْ رُوحه ، فإِنَّه جائعٌ ؛ فقَبَض رُوحه ، فلمّا جاء المُؤَذِّنُ رآهُ مَيّتاً ، فأَخبر النّاسَ بذلك ، فتعاونوا على دَفنه ، فلمّا دخلَ المؤذِّنُ المسجدَ وجدَ الكَفَنَ في المحراب مَكتوباً عليه : هذا الكفنُ مَردودٌ عليكم ، بئسَ القومُ أَنتم ؛ استطعَمَكم فقيرٌ ، فلم تُطعموه حتَّى مات جوعاً ، مَن كان مِن أَحبابنا لا نَكِلُهُ إلى غيرنا .

• وحكى أَبو عليّ المِصري ، قال : كان لي جارٌ شيخٌ يَغسلُ الموتَى ، فقلتُ له يوماً : حدِّثني أَعجبَ ما رأَيت من الموتى ؛ فقال : جاءني شابٌّ في بعض الأَيّام ، مليحُ الوجهِ ، حسنُ الثِّيابِ ، فقال لي : أَتغسلُ لنا هذا الميِّتَ؟ قلت : نعم ؛ فتبعتُه حتَّى أَوقفني على بابٍ ، فدخل هُنيهةً ، فإِذا بجاريةٍ هي أَشبهُ النّاس بالشَّابِّ ، قد خرجَت وهي تمسحُ عينيها ، فقالت : أَنت الغاسلُ؟ قلت : نعم ؛ قالت : بِسم الله ، ٱدخلْ ، ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلا بالله العليِّ العظيم ؛ فدخلتُ الدَّار وإِذا أَنا بالشَّابِّ الَّذي جاءَني يعالج سَكراتِ الموت ، ورُوحه في لَبَّتِهِ ، وقد شَخص بَصَرُهُ ، وقد وَضَعَ كفنَه وحَنوطَهُ عند رأسه ، فلم

أَجلس إِليه حتَّى قُبض ، فقلت : سُبحان الله ، هذا وليٌّ من أَولياء الله تعالى ، حيثُ عرفَ وقتَ وفاته ، فأَخذتُ في غَسله وأَنا أَرتعدُ ، فلمّا أَدرجتُه أَتت الجاريةُ وهي أُخته ، فقبَّلَتْهُ ، وقالت : أَما إِنِّي سأَلحقُ بك عن قريب ؛ فلمَّا أَردتُ الانصرافَ شَكَرتْ لي ، وقالت : أَرسل إِلي زوجتَك إِن كان تُحسن ما تُحسنه أَنت ؛ فارتعدتُ من كلامها وعلمتُ أَنَّها لاحقةٌ به ، فلمَّا فرغتُ من دَفنه جئتُ أَهلي فقصصتُ عليها القِصَّة ، وأَتيتُ بها إِلى تلك الجارية ، فوقفت بالباب واستأذنَت ، فقالت : بسم الله ، تدخلُ زَوجتك ؛ فدخلَت زوجتي وإِذا بالجارية مستقبلةً القبلةَ وقد ماتَت ، فغسَلَتْها زوجتي وأَنْزَلْتُها على أَخيها ؛ رحمة الله عليهما .

● **شعر**[١] : [من الطويل]

أَأَحْبابَنا بِنْتُمْ عن الدَّارِ فاشْتَكَتْ ... لِبُعْدِكُمُ آصالُها وَضُحاها

وَفارَقْتُمُ الدَّارَ الأَنيسَةَ فاسْتَوَتْ ... رُسُومُ مَبانِيها وَفاحَ كَلاها

كأَنَّكُمُ يَوْمَ الفِراقِ رَحلْتُمُ ... بِنَوْمي فَعَيْني لا تُصيبُ كَراها

وَكُنْتُ شَحيحاً مِن دُموعي بِقَطْرَةٍ ... فَقَدْ صِرْتُ سَمْحاً بَعْدَكُمْ بِدِماها

يَراني بَسّاماً خَليلي يَظُنُّ بي ... سُروراً وأَحشائي السَّقامُ مَلاها

وَكَمْ ضُحْكَةٍ في القَلْبِ مِنْها حَرارَةٌ ... يَشِبُّ لَظاها لَوْ كَشَفْتَ غِطاها

رَعى اللهُ أَيّاماً بِطِيْبِ حَديثِكُمْ ... تَقَضَّتْ وَحَيّاها الحَيا وَسَقاها

فَما قُلْتُ إِيْهاً بَعْدَها لِمُسامِرٍ ... مِنَ النّاسِ إِلا قالَ قَلْبي آها

● **وحكى**[٢] سَريٍّ السَّقَطيّ رحمه الله تعالى قال : أَرِقْتُ ليلةً ولم أَقدر على

---

(١) البيتان الأخيران في فوات الوفيات (٤/ ٢٦٤) وشذرات الذهب (٧/ ٧٧٣) لياقوت المستعصمي .

(٢) روض الرياحين (١٩٨) .

النَّوم ، فلمّا طَلع الفجرُ صلَّيتُ ، فلمّا أَصبحتُ دخلتُ المارِستان ، فإِذا أَنا بجاريةٍ مقيَّدةٍ مَغلولةٍ ، وهي تقول : [من مجزوء الوافر]

تُغَــلُّ يَــدي إلــى عُنُقــي وَمـا خـانَـتْ وَمـا سَـرَقَـتْ!
وَبَيْــنَ جَــوانحــي كَبِــدٌ أُحِــسُّ بِهـا قَـدِ احْتَـرَقَـتْ

قال ، فقلتُ للقيِّم : ما هذه الجاريةُ؟ قال : هذه جاريةٌ اخْتَلَّ عقلُها ، فحُبِسَت لعلَّها تَصلحُ ؛ فلمَّا سَمعَتْ كلامَهُ تبسَّمَت وقالت : [من الخفيف]

مَعْشَـرَ النّـاسِ مـا جُنِنْـتُ وَلكِـنْ أَنـا سَكْـرانَـةٌ وَقَلْبِـيَ صـاحِ
لِـمْ غَلَلْتُـمْ يَـدي وَلَـمْ آتِ ذَنْبـاً غَيْـرَ هَتْكـي في حُبِّـهِ وافْتِضاحي
أَنـا مَفْتُـونَـةٌ بِحُـبِّ حَبيـبٍ لَسْتُ أَبْغي عَـن بـابِـهِ مِن بَـراحِ
ما عَلى مَن أَحَبَّ مَوْلى المَوالي وارْتَضـاهُ لِنَفْسِـهِ مـن جُنـاحِ

قال : فلمّا سمعتُ كلامَها بكيتُ بكاءاً شديداً ؛ فقالت : يا سَريّ ، هذا بكاؤك من الصِّفة ، فكيف لو عَرفتَه حقَّ المعرفة؟ قال : فبينما هي تكلِّمني إذ جاء سيِّدُها ، فلمّا رآني عَظَّمني ؛ فقلت : واللهِ هي أَحقُّ منِّي بالتَّعظيم ، فلِمَ فَعلْتَ بها هذا؟ قال : لتقصيرها في الخِدمة ، وكثرةِ بكائها وشدَّة حَنينها وأَنينها كأَنَّها ثَكْلى ، لا تَنامُ ولا تَدَعُنا نَنام ، وقد اشتريتُها بعشرين أَلف درهم لصناعتها ، فإِنَّها مُطربَةٌ ؛ قلت : فما كان بَدْءُ أَمرها؟ قال : كان العُود في حِجْرها يوماً ، فجعلت تقول : [من الوافر]

وَحَقِّـكَ لا نَقَضْـتُ الـدَّهْـرَ عَهْـداً وَلا كَـدَّرْتُ بَعْـدَ الصَّفْـوِ وُدّا
مَـلأْتَ جَـوانحـي والقَلْـبَ وَجْـداً فَكيـفَ أَقَـرُّ يـا سَكَنـي وأَهْـدا
فيـا مَـن لَيْـسَ لـي مَـولـىً سِـواهُ تُـراكَ رَضيتَنـي بـالبـابِ عَبْـدا

فقلتُ لسيِّدها : أَطلقْها وعليَّ ثمنُها ؛ فصاحَ : وافقْراه ، من أَين لك عشرون أَلفاً يا سَريّ؟ فقلتُ : لا تعجلْ عليَّ ؛ فقال : تكونُ في المارستان

حتَّى توفيني ثمنَها؟ فقلت : نعم .

قال سَرِيّ : فانصرفتُ وعيني تدمعُ وقلبي يخشعُ ، وأَنا واللهِ ما عندي درهم من ثمنها ؛ فبتُّ طولَ ليلتي أَتضرَّع إِلى الله تعالى ، فإِذا بطارقٍ يطرقُ الباب ، ففتحتُ ، فدخل عليَّ رجل ومعه ستَّةٌ من الخدَم ومعهم خمس بِدَرٍ ، فقال : أَتعرفني يا سَرِيُّ؟ قلت : لا ، قال : أَنا أَحمد بن المثَنَّى ، كنتُ نائماً ، فهتف بي هاتف وقال لي : يا أَحمد هل لك في مُعاملتنا؟ فقلت : ومن أَولى منِّي بذلك؟ فقال : احمل إِلى سَرِيّ السَّقَطي خمسَ بِدَرٍ من أَجل الجارية الفلانيَّة ، فإِنَّ لنا بها عِنايةً ؛ قال سَرِيّ : فسجدتُ للهِ شُكراً ، وجلستُ أَتوقَّعُ طلوعَ الفجر ، فلمَّا طلع صلَّينا وذَكَرْنا ، وانصرفْنا نحوَها ، فسمعناها تقول : [من مجزوء الرمل]

قَــــد تَصَبَّـــرْتُ إِلـــى أَنْ ... عِيْــلَ مــن حُبِّــك صَبْــري
ضـــاقَ مِـــن غُلِّـــي وَقَيْـــدي ... وامْتِهـــانـــي مِنْـــكَ صَـــدْري
لَيْــسَ يَخْفــى عَنْــكَ أَمْــري ... يـــا مُنـــى قَلْبـــي وَذُخْـــري
أَنْـــتَ قـــد تُعْتِـــقُ رِقِّـــي ... وَتَفُـــكَّ اليـــومَ أَسْـــري

قال سَرِيّ : فبينما أَنا أَسمعُها ، وإِذا بمولاها قد جاء وهو يبكي ، فقلتُ : لا بأس عليك ، قد جئناك برأسِ مالِك وربح عشرة آلاف درهم ، فقال : والله لا فعلتُ ذلك . قلت : نَزيدك . قال : والله لو أَعطيتني ما بين الخافقين ما فعلتُ ، وهي حُرَّةٌ لوجه الله تعالى ؛ فقال : فتعجَّبْتُ من ذلك ، وقلتُ : ما كان هذا كلامَك بالأَمس ، فقال : حَبيبي لا تُوَبِّخني ، فالَّذي وقعَ لي من التَّوبيخ كفاني ، وأُشهدك أَنِّي قد خرجتُ من جميع مالي صدقةً في سبيل الله تعالى ، وإِنِّي هاربٌ إِلى الله تعالى ، فبالله لا تَرُدَّني عن صُحبتك ؛ فقلت : نعم . ثم التفتُّ ، فرأَيتُ صاحبَ المال يبكي ، فقلتُ : ما يُبكيك؟ قال : يا أُستاذي ، ما قَبِلَني مولاي لما نَدَبَني إِليه ، وَرَدَّ عليَّ ما بذلتُ ، أُشهدك أَنِّي

قد خرجتُ من جميع ما أَملكه للهِ تعالى في سبيل الله ، وكلُّ عبدٍ أَملكه وجاريةٍ أَحرارٌ لوجهِ الله تعالى .

قال سَرِيّ : فقلتُ : ما أَعظم بَرَكَتَكِ يا جارية .

قال : فَنَزَعْنا الغُلَّ من عُنقها ، والقَيْدَ من رِجليها ، وأَخرجناها من المارستان ، فنزعَتْ ما كان عليها من ناعم الثِّياب ، ولبست خِماراً من صُوف ومدرعةً من شَعَرٍ ، وَوَلَّت .

وقال سَرِيّ : فتوجَّهت أَنا ومولاها وصاحب المال إِلى مكَّة ، فبينما نحن نطوفُ إِذْ سَمعنا صوتاً ، فتبعناهُ فإِذا هي امرأَةٌ كالخيال ، فلمَّا رأَتني قالت : السَّلام عليك يا سَرِيّ ؛ فقلت لها : وعليكَ السَّلام ورحمة الله وبركاته ، مَنْ أَنت؟ فقالت : لا إِله إِلا الله ، وقعَ الشَّكُّ بعد المعرفة ؟ فتأَمَّلتُها ، فإِذا هي الجاريةُ ، فقلتُ لها : ما الَّذي أَفادكِ الحقُّ بعد انفرادكِ عن الخَلق؟ فقالت : أُنسي به وَوَحْشَتي من غيره ؛ ثمَّ توجَّهَتْ إِلى البيت ، وقالت : إِلهي كم تُخَلِّفني في دارٍ لا أَرى فيها أَنيساً؟ قد طال شوقي ، فَعَجِّل قدومي عليك ؛ ثم شهقت شهقةً ، وخرَّت مَيِّتَةً ، رحمةُ الله تعالى عليها .

فلمّا نظر إِليها مولاها بكى وجعل يدعو ويضعفُ كلاماً إِلى أَن خرَّ إِلى جانبها مَيِّتاً ، رحمة الله عليه ، فدفنّاهما في قبرٍ واحد .

● شعر : [من الطويل]

بِحُـرْمَـةِ مـا قَـدْ كـان بَيْنـي وَبَيْنَكُـم ... مِنَ الوُدِّ إِلا ما رَجَعْتُمْ إِلى وَصْلي
وَلا تَحْرِموني نَظْرَةً من جمالِكُمْ ... فَلَنْ تَجِدوا عَبْداً ذَليلاً لَكُمْ مِثْلي
فَـواللهِ مـا يَهـوى فُـؤادي سِـواكُـمُ ... وَلَـو رَشَقُـوهُ بـالأَسِنَّـةِ والنَّبْـلِ

● وحُكي أَنَّه كان في زمن بني إِسرائيل رجلٌ من العُبّاد الموصوفين بالزُّهد ، وكان قد سخَّر الله له سَحابةً تسيرُ معه حيثُ يسيرُ ، فاعتراه فُتورٌ في بعض

الأيَّام ، فأَزال الله عنه سَحابته وحَجَبَ إجابَتَه ، فكثرَ لذلك حُزنه وشُجونه ، وطال كَمَدُه وأَنينُه ، وما زال يشتاقُ إلى زمن الكَرامة ، ويبكي ويتأَسَّفُ ويَتَحَسَّرُ ويتَلهَّفُ ، فقام ليلةً من اللَّيالي ، فصلَّى ما شاء الله ، وبكى وتضرَّعَ ودعا الله تعالى ونام ، فقيل له في المنام : إذا أَردت أَن يردَّ الله تعالى عليك سَحابتك ، فائتِ الملِك الفُلاني في بلد كذا ، واسأَلْهُ أَن يدعوَ الله لك أَن يردَّ عليك سَحابتَك .

قال : فسار الرَّجل يقطعُ الأرضَ حتَّى وصلَ إلى تلكَ البلد الَّتي ذُكرت له في المنام ، فدخلَها وسأل مَن يُرشده إلى قصر الملِك ، فجاء إلى القصر وإذا عند بابه غُلامٌ جالسٌ على كرسيٍّ عظيمٍ من الذَّهب الأَحمر مرصَّعٍ بالدُّرِّ والجَوهر ، والنَّاسُ بين يديه يسأَلونه حَوائجهم ، وهو يصرفُ النّاسَ ، فوقفَ الرَّجلُ الصَّالح بين يديه وسلَّم عليه ، فقال له الغلام : من أَين أَنت؟ وما حاجَتُك؟ فقال : من بلادٍ بعيدة ، وقَصدي الاجتماعُ بالملِك ؛ فقال له الغلام : لا سَبيل لك اليوم ، فَسَلْ حاجَتك أَقْضِها لك إن استطعتُ ؛ فقال : إنَّ حاجتي لا يَقضيها إلا الملِك ؛ فقال الغُلامُ : إنَّ الملك ليس له إلا يومٌ واحدٌ في الجمعة يجتمعُ إليه النَّاس فيه ، فاذهبْ حتَّى يأتي ذلك ؛ فانصرف الرَّجلُ إلى مسجدٍ داثرٍ ، وأَقامَ يعبدُ الله تعالى فيه ، وأَنكر على الملِك لاحتجابه عن النّاس ، فلمّا كان ذلك اليوم الَّذي يجلسُ فيه الملِك جاء إلى القصر ، فوجد خَلْقَاً كثيراً عند الباب ينتظرون الإِذْن ، فوقف مع جُملة النّاس ، فلمّا خرجَ الوزيرُ أَذِنَ للنّاس في الدُّخول ، فدخل أَربابُ الحوائجِ ، ودخلَ صاحبُ السَّحابة معهم ، وإذا بالملِك جالسٌ وبين يديه أَربابُ دَولته على قدرِ مَراتبهم ، فجعل رأْسُ النَّوبةِ يُقَدِّم النّاس واحداً بعد واحدٍ حتَّى وَصَلَت النَّوبةُ لصاحبِ السَّحابةِ ، فلمَّا نظرَ إليه الملكُ قال : مَرحباً بصاحب السَّحابة ؛ اجلس حتى أَفرغَ من حَوائج النّاس ، وأنظرَ في أَمرك .

قال : فتحيَّرَ صاحبُ السَّحابة في أَمره ، فلمّا فرغَ الملِك من حوائج النّاس قام من مَجلسه ، فأَخذ بيد صاحبِ السَّحابة وأَدخله معه إلى قصره ، ثم مشى به في دِهليزِ القصرِ ، فلم يجدْ في طريقه إلا مَملوكاً واحداً ، فسار به حتَّى انتهى إلى بابٍ من جَريدٍ ، وإذا به بناءٌ مهدومٌ وحِيطان مائلةٌ ، وبيتٌ خَرِبٌ فيه بِرْشٌ[1] ، وليس هناك ما يساوي عشرة دراهم إلا سَجّادة خَلَقَةٌ ، وقَدَحٌ للوضوءِ وحَصيرة رَثَّةٌ وشيءٌ من الخُوص ، فانخلعَ الملِكُ من ثياب المُلْكِ ، ولبسَ مُرَقَّعةً من صُوفٍ ، وجعل على رأسه قَلَنْسُوَةً من شَعَرٍ ، ثم جلس وأَجلس صاحبَ السَّحابة ، ونادى : يا فُلانة ؛ قالت : لبَّيك ؛ قال : أَتدرين مَن هو اللَّيلة ضَيفُنا؟ قالت : نَعم ، صاحبُ السَّحابة ، فدعا بها لحاجةٍ ، فخرجت ، فإذا هي امرأَةٌ كالشَّنِّ البالي ، علينا مِسْحٌ من شَعَرٍ خَشِنٍ ، وهي شابَّةٌ صغيرة .

قال الرَّجل : فالتفتَ إليَّ الملِكُ ، وقال : يا أَخي ، نُطلعُك على حالنا ، أَو نقضي حاجَتك وتنصرفَ؟ فقلت : والله لقد شَغَلني حالُكما عمّا جئتُ بِسَبَبه ؛ فقال الملِك : اللهُ يعلمُ أَنَّه كان لي في هذا الأَمر آباءٌ كِرامٌ صالحون ، يتوارثون المَمْلَكَةَ كابِراً عن كابرٍ ، فلمَّا تُوُفُّوا إلى رحمة الله تعالى ، ووصلَ الأَمرُ إليَّ بغَّض الله إليَّ الدُّنيا وأَهلَها ، فأَردتُ أَن أَسيحَ في الأَرض ، وأَتركَ النّاس ينظرون لهم من يَسوسُ أَمرهم ، فَيُمَلِّكُونه عليهم ، فَخِفْتُ عليهم دُخولَ الفِتْنة ، وتَضييعَ الدِّين ، والشَّرائع ، وتَبديلَ شَمْل الدّين ، فبايَعوني وأَنا والله كارِهٌ ، فتركتُ أُمورهم على ما كانت عليه ، وجعلتُ السِّماط على عادته ، والحُرّاسَ على حالها ، والمماليك على دَأْبها ، ولم أُغَيِّر شيئاً ، وأَقعدتُ المماليك على الأَبوابِ بالسِّلاح ، إرهاباً لأَهل الشُّرور وَرَدْعاً عن أَهل الخير ، وتركتُ القصرَ مُزَيَّناً على حاله ، وفتحتُ له باباً وهو الَّذي رأَيته يُوصلُني إلى

---

(١) البِرْشُ : القطن (اللسان) .

هذه الخَرِبَة ، فأَدخلُ فيها وأَنزعُ ثيابَ المُلْكِ وأَلْبِسُ هذا ، وأَضفرُ الخُوصَ وأَبيعه ، وأَتقوَّتُ من ثمنه أَنا وزَوجتي هذه الَّتي رأَيتَها ، هي ابنةُ عمِّي زَهِدَت في الدُّنيا كزُهدي ، واجتَهَدَت حتَّى صارت كالشَّنِّ البالي ، والنَّاس لا يَعلمون ما نحن فيه ؛ ثم إِنِّي أَقمتُ لي نائباً ينوبُ عنِّي طولَ الجمعة ، وعَلِمْتُ أَنِّي مسؤولٌ ، فجعلتُ لي يوماً في الجمعة أَبرزُ للنّاس فيه ، وأَكشفُ مظالمهم كما رأَيتَ ، وأَنا على هذه الحالة مدَّةً ، فأَقمْ عندنا يرحمك الله حتَّى نبيعَ خُوَيْصاتِنا ونَبتاعَ من ثمنها طعاماً وتُفطرَ معنا ، وتبيتَ عندنا اللَّيلة ثم تنصرفَ بحاجتك إِن شاء الله تعالى .

فلمّا كان آخر النَّهار دخلَ علينا غلامٌ خُماسيُّ العمر ، فأَخذَ ما عَملاه من خُوصٍ وسار به إِلى السُّوق ، فباعَه واشترى من ثمنه خُبزاً وفُولاً واشترى بباقي ثمنه خُوصاً ؛ فلمّا كان عند الغروب أَفطرا وأَفطرتُ معهما وبتُّ عندهما .

قال : فقاما في نِصْفِ اللَّيل يُصَلِّيان ويَبكيان ، فلمّا كان السَّحَرُ قال الملِك : اللَّهُمَّ ، إِن عبدَك هذا يطلبُ منك ردَّ سَحابته وإِنَّك قد دَلَلْتَهُ علينا ، اللَّهُمَّ اردُدْها عليه ، إِنَّك على كلِّ شيءٍ قديرٌ ، والمرأَةُ تُؤَمِّنُ على دعائه ، وإِذا بالسَّحابة قد طلعت من قِبَلِ السَّماء ؛ فقال لي : لكَ البِشارةُ بقضاءِ حاجتك وتَعجيل إِجابتك .

قال : فودَّعتُهما وانصرفتُ والسَّحابة معي كما كانت ، فأَنا بعد ذلك لا أَسأل الله تعالى بِسِرِّهما شيئاً إِلا أَعطاني إِيَّاه ، رحمةُ الله تعالى عليهما .

● شعر : [من البسيط]

اسْتَعْمِلِ الصَّبْرَ تَجْني بَعْدَهُ العَسَلا	وَلازِمِ البـابَ حتَّـى تَبْلُـغَ الأَمَـلا
وَمَـرِّغِ الخَـدَّ فـي أَعْتـابِـهِ سَحَـراً	واحْمِلْ لِمَرْضاتِهِ في الحُبِّ كُلَّ بَلا
فَمـا يَفـوزُ بِـوَصْـلٍ يـا أُخَـيَّ سِـوى	صَبٍّ لِثِقْلِ الهَوى والوَجْدِ قَدْ حَمَلا
هذا الحَبيبُ يُنادي في الدُّجى سَحَراً	فانْهَضْ وَكُنْ رَجُلاً بالسَّعْيِ قَدْ وَصَلا

• وحُكي عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى ، قال : خرجتُ إلى مكّة حاجّاً ، فبينما أَنا سائرٌ إذ رأَيتُ شابّاً ساكتاً لا يذكرُ الله تعالى ، فلمّا جَنَّ اللّيلُ رفعَ وَجهه نحو السَّماء وقال : يا مَن لا تَسُرُّهُ الطَّاعات ، ولا تَضُرُّهُ المعاصي ، هبْ لي ما لا يَسُرُّكَ ، واغفرْ لي ما لا يَضُرُّكَ .

ثم رأَيته بذي الحُلَيْفَة وقد لبسَ إحرامه والنَّاسُ يُلَبُّون وهو لا يُلَبِّي ، فقلت : هذا جاهلٌ ، فدنوتُ منه ، فقلتُ له : يا فَتى ؛ قال : لَبَّيك ؛ قلت له : لِمَ لا تُلَبِّي؟ فقال : يا شيخُ ، وما تُغني التَّلبيةُ ، وقد بارَزْتُهُ بذنوبٍ سالفاتٍ وجرائمَ مَكتوباتٍ ، واللهِ إنِّي لأَخشى أَن أَقولَك لبَّيك ، فيقول : لا لَبَّيك ولا سَعديك ، لا أَسمعُ كلامك ، ولا أَنظرُ إليك ؛ فقلت له : لا تفعلْ ، فإنَّه حليمٌ ، إذا غضبَ رَضي ، وإذا رضيَ لم يغضب ، وإذا وعدَ وَفى ، ومتى تَوَعَّد عفا ؛ فقال : يا شيخُ ، أَتشيرُ عليَّ بالتَّلبية؟ قلت : نعم ؛ فبادرَ إلى الأَرض واضطجعَ ، ووضعَ خدَّه على التُّراب ، وأَخذَ حَجَراً فوضَعه على خَدِّه الآخر ، وأَسبلَ دُموعه وقال : لبَّيك اللَّهُمَّ لبَّيك ، قد خضعتُ لك وهذا مَصْرعي بين يديك ؛ فأَقام كذلك ساعةً ، ثم مضى ، فما رأَيتُه إلا بِمنى وهو يقول : اللَّهُمَّ إنَّ النّاس ذَبحوا ونَحروا ، وتقَرَّبوا إليك ، وليس لي شيءٌ أَتقرَّبُ به سوى نَفْسي ، فتقبَّلْها مِنِّي ؛ ثم شهقَ شهقةً وخرَّ مَيِّتاً ، رحمة الله تعالى عليه .

• وحُكي أَنَّه كان بمدينة بغداد رجلٌ يُعرف بأَبي عبد الله الأَندلسي ، وكان شيخاً لكلِّ مَن بالعراق ، وكان يحفظُ ثلاثين أَلف حديثٍ عن رسول الله ﷺ ، وكان يقرأُ القُرآن بجميع الرِّوايات ، فخرج في بعضِ السِّنين إلى السِّياحة ، ومعه جماعةٌ من أَصحابه مثل الجُنَيْد والشِّبليّ وغيرهما من مشايخ العراق .

قال الشِّبليُّ : فلم نَزَلْ في خِدمته ، ونحن مُكرَمون بعناية الله تعالى إلى أَن وَصلنا إلى قريةٍ من قُرى الكفّار ، فطلبنا ماءً نتوضّأُ به فلم نجدْ ، فجعلنا ندورُ

بتلك القرية ، وإِذا نحن بكنائسَ وبها شمامِسةٌ وقَساوسة ورُهبان ، وهم يَعبدون الأَصنامَ والصُّلبان ، فتعجَّبنا منهم ومن قِلَّة عقلهم ، ثم انصرفنا إِلى بئرٍ في آخر القرية ، وإِذا نحن بجوارٍ يَستقين الماء على البئر ، وبينهنَّ جاريةٌ حسنةٌ الوجه ما فيهنَّ أَحسنُ ولا أَجملُ منها ، وفي عُنقها قلائد الذَّهب ، فلمّا رآها الشَّيخ تغَيَّرَ وَجهه ، وقال : هذه ابنة مَنْ؟ فقيل له : هذه ابنةُ ملك هذه القرية ؛ فقال الشَّيخ : فلِمَ لا يُدَلِّلُها أَبوها ويُكرمُها ، ويَدَعُها[1] تَستقي الماء؟ فقيل له : أَبوها يفعلُ ذلك بها حتَّى إِذا تزوَّجها رجلٌ أَكْرَمَتْهُ وخَدَمَتْهُ ، ولا تُعجبها نفسُها ؛ فجلسَ الشَّيخُ ونكَّسَ رأسَه ، ثم أَقام ثلاثةَ أَيّام لا يأكلُ ولا يشربُ ، ولا يُكلِّمُ أَحداً غير أَنَّه يؤدِّي الفريضة ، والمشايخُ واقفون بين يديه ، ولا يدرون ما يَصنعون .

قال الشِّبليُّ : فتقدَّمتُ إِليه ، وقلت له : يا سيِّدي ، إِنَّ أَصحابكَ ومُريديكَ يتعجَّبون من سُكوتك ثلاثةَ أَيّامٍ ، وأَنت ساكتٌ لم تُكلِّم أَحداً ؛ قال : فأَقبلَ علينا ، وقال : يا قوم ، اعلموا أَنَّ الجارية الَّتي رأَيتُها بالأَمس قد شُغِفْتُ بها حُبّاً ، واشتغلَ بها قلبي ، وما بقيتُ أَقدرُ أُفارق هذه الأَرض .

قال الشِّبليُّ : فقلتُ : يا سيِّدي ، أَنت شيخُ أَهل العراق ، ومعروفٌ بالزُّهد في سائر الآفاق ، وعددُ مُريديك اثنا عشر أَلفاً ، فلا تَفْضَحْنا وإِيّاهم بِحُرْمَةِ الكتاب العزيز . فقال : يا قوم ، جَرى القلمُ بما حَكَم ، ووقعتُ في بحارِ العَدَمِ ، وقد انْحَلَّت عنِّي عُرى الولاية ، وطُوِيَتْ عنِّي أَعلامُ الهِداية ؛ ثم إِنَّه بكى بكاءً شديداً ، وقال : يا قومُ ، انصرفوا ، فقد نفذ القضاءُ والقَدَر ؛ فتعجَّبْنا من أَمْره ، وسأَلْنا الله تعالى أَن يجيرَنا من مَكره ، ثم بكينا وبَكى حتَّى أَروى التُّراب ، ثم انصرفنا عنه راجعين إِلى بغداد ، فخرج النَّاس إِلى لقائه ،

---

(١) في الأصول: ولا يدعها.

ومُريدوه في جُملة النّاس ، فلم يَروه ، فسأَلوا عنه ، فعرَّفناهم بما جَرى ، فمات من مُريديه جماعةٌ كثيرة حُزناً عليه وأَسفاً ، وجعل النَّاسُ يَبكون ويتضرَّعون إلى الله تعالى أَن يردَّه عليهم ؛ وغُلِّقت الرِّباطات ، والزَّوايا والخَوانق ، ولَحقَ النَّاسَ حُزْنٌ عظيمٌ ؛ فأَقمنا سنةً كاملةً ، وخرجتُ مع بعض أَصحابي نكشفُ خبره ، فأَتينا القرية ، فسأَلنا عن الشَّيخ ، فقيل لنا : إِنَّه في البَرِّيَّة يرعى الخنازير! قلنا : وما السَّبب في ذلك؟ قالوا : إِنَّه خطبَ الجارية من أَبيها ، فأَبى أَن يزوِّجها إلا ممَّن هو على دينها ، ويلبسُ العباءة ويشدُّ الزُّنّار ، ويخدمُ الكنائسَ ويرعى الخنازير ؛ ففعلَ ذلك كلَّه ، وهو في البَرِّيَّة يرعى الخنازير .

قال الشِّبليُّ : فانصدعَت قلوبُنا ، وانهملت بالبُكاءِ عُيوننا ، وسِرنا إِليه ، وإِذا به قائمٌ قُدّام الخنازير ، فلمّا رآنا نكَّسَ رأسَه ، وإِذا عليه قَلَنْسُوَةَ النَّصارى ، وفي وَسَطِهِ زُنّارٌ ، وهو مُتوكِّىءٌ على العصا الَّتي كان يتوكّأ عليها إِذا قام إِلى المحراب ؛ فسلَّمنا عليه ، فردَّ علينا السَّلام ، فقلنا : يا شيخُ ، ما ذاك وماذا؟ وما هذه الكروبُ والهموم بعد تلك الأَحاديث والعُلوم؟ فقال : يا إِخواني وأَحبابي ، ليس لي من الأمر شيءٌ ، سيِّدي تصرَّفَ فيَّ كيف شاء ، وحيثُ أَراد ، أَبعدَني عن بابه بعد لَأن كنتُ من جُملة أَحبابه ، فالحذرَ الحذرَ يا أَهلِ ودادِه من صَدِّه وإِبعاده ، والحذرَ الحذرَ يا أَهل المودَّة والصَّفاء من القطيعة والجفاء ؛ ثم رفع طَرْفَهُ إِلى السَّماء ، وقال : يا مَولاي ، ما كان ظَنِّي فيك هذا ؛ ثم جعل يستغيثُ ويَبكي ، ونادى : يا شِبْليُّ اتَّعِظْ بغيرك ؛ فنادى الشِّبليُّ بأَعلى صوته : بكَ المُستعان وأَنت المستغاثُ ، وعليكَ التُّكلان ؛ اكشف عنّا هذه الغمَّة بِحِلْمكَ ، فقد دَهَمَنا أَمرٌ لا كاشِفَ له غيرك .

قال : فلمّا سمعَتِ الخنازيرُ بُكاءَهم ، وضَجيجهم أَقبلَتْ إِليهم وجعلت تُمَرِّغُ وُجوهَها بين أَيديهم ، وزَعَقَت زعقةً واحدةً دَوِيَتْ منها الجبالُ .

قال الشِّبليُّ : فظننتُ أَنَّ القيامةَ قد قامت ؛ ثم إِنَّ الشيخ بَكى بُكاءً شديداً .

قال الشِّبليُّ : فقلنا له هل لك أَن ترجعَ معنا إِلى بغداد؟ فقال : كيف لي بذلك ، وقد استرعيتُ الخنازيرَ بعد أَن كنتُ أَرعى القلوبَ؟ فقلت : يا شيخُ ، كنت تحفظُ القرآن وتقرؤه بالسَّبع ، فهل بقيتَ تحفظُ منه شيئاً؟ فقال : نسيتُه كلَّه إِلا آيتين ؛ فقلت : وما هما؟ قال : قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴾ [الحج : ١٨/٢٢] . والثّانية قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [البقرة : ١٠٨/٢] فقلتُ : يا شيخُ ، كنتَ تحفظُ ثلاثين أَلف حديثٍ عن رسول الله ﷺ ، فهل تحفظُ منها شيئاً؟ قال : حديثاً واحداً ، وهو قوله ﷺ : « مَن بَدَّل دينَه فاقتلُوه » .

قال الشِّبليُّ : فتركناه ، وانصرفْنا ، ونحن متعجِّبون من أَمره ، فسرنا ثلاثةَ أَيّامٍ وإِذا نحنُ به أَمامنا قد تطهَّرَ من نَهْرٍ وطَلع ، وهو يشهدُ شهادةَ الحقِّ ، ويجدِّدُ إِسلامه ؛ فلمّا رأَيناه لم نَملك أَنفسنا من الفَرَح والسُّرور ، فنظرَ إِلينا ، وقال : يا قوم ، أَعطوني ثوباً طاهراً ، فأَعطيناه ثوباً ، فلبسه ، ثم صلَّى وجلَس ، فقلنا له : الحمدُ لله الَّذي ردَّك علينا ، وجمعَ شملَنا بك ، فَصِفْ لنا ما جَرى لك ، وكيف كان أَمرُك؟ فقال : يا قوم ، لمّا وَلَّيْتُم من عندي سأَلته بالودادِ القديم ، وقلت له : يا مَولاي ، أَنا المُذنبُ الجاني ؛ فعفا عنِّي بجُوده ، وبِسَتْرِهِ غَطّاني ؛ فقلنا له : بالله نسأَلُك هل كان لِمِحْنَتِكَ من سَبَبٍ؟ قال : نعم ، لمّا وَرَدْنا القريةَ ، وجعلتُم تدورون حول الكنائس ، قلتُ في نفسي : ما قَدْرُ هؤلاء عندي ، وأَنا مؤمنٌ مُوَحِّدٌ ، فنُوديت في سِرِّي : ليس هذا منك ، ولو شئتَ عَرَّفْناك ، ثم أَحسستُ بطائرٍ قد خرج من قلبي ، فكان ذلك الطَّائر هو الإِيمان .

قال الشِّبليُّ : فَفرحنا به فرحاً شديداً ، وكان يومُ دخولنا يوماً عظيماً مَشهوداً ، وفُتحت الزَّوايا ، والرِّباطات والخَوانق ، ونزل الخليفة للقاءِ الشَّيخ ، وأَرسل إِليه الهدايا ، وصار يجتمعُ عنده لِسماع عِلمه أَربعون أَلفاً ،

وأَقام على ذلك زماناً طويلاً ، وردَّ الله عليه ما كان نَسيه من القُرآن والحديث ، وزاده على ذلك .

فبينما نحن جُلوسٌ عنده في بعض الأَيَّام بعد صَلاة الصُّبح ، وإذا نحن بطارقٍ يطرقُ باب الزَّاوية ، فنظرتُ مِن الباب ، فإِذا شخصٌ ملتفٌّ بكساءٍ أَسود ، فقلتُ له : ما الذي تُريده؟ فقال : قُل لشَيخكم : إِنَّ الجاريةَ الرُّوميَّة الَّتي تركتَها بالقرية الفُلانيَّة قد جاءَت لِخدمتك . قال : فدخلتُ فَعَرَّفْتُ الشَّيخ ، فاصفرَّ لونُه وارتعد ، ثم أَمر بدُخولها ، فلمّا دخلَت عليه بكَت بكاءً شديداً ، فقال لها الشَّيخُ : كيف كان مَجيئك ، ومَن أَوصلك إِلى هنا؟ قالت : يا سَيِّدي ، لمّا وَلَّيتَ من قريتنا جاءني مَن أَخبرني بك ، فبتُّ ولم يأخذني قَرارٌ ، فرأَيتُ في منامي شخصاً وهو يقول : إِن أَحببتِ أَن تكوني من المؤمنات ، فاتركي ما أَنت عليه من عبادة الأَصنام ، واتَّبعي ذلك الشَّيخ ، وادخُلي في دينه ؛ فقلتُ : وما دينه؟ قال : دينُ الإِسلام ، قلت : وما هو؟ قال : شهادةُ أَن لا إِله إِلا الله ، وأَن محمَّداً رسولُ الله ؛ فقلت : كيف لي بالوصول إِليه؟ قال : أَغمضي عينيك ، وأَعطيني يدَك ؛ ففعلتُ ، فمشى قليلاً ، ثم قال : افتحي عينيك ، ففتحتُهما ، فإِذا أَنا بشاطىء الدِّجلة ، فقال : امضي إِلى تلك الزَّاوية ، وأَقرئي منِّي الشَّيخَ السَّلام ، وقولي له : إِنَّ أَخاك الخَضِرَ يُسَلِّمُ عليك ؛ قال : فأَدخلها الشَّيخ إِلى جواره ، وقال : تعبَّدي ههنا .

فكانت أَعْبَدَ أَهل زمَانها ، تَصومُ النَّهار وتقومُ اللَّيلَ حتَّى نَحَلَ جِسمُها ، وتغيَّر لونُها ، فمرضت مرضَ الموت ، وأَشرفَت على الوفاة ، ومع ذلك لم يرَها الشَّيخ ، فقالت : قُولوا للشيخ يدخلْ عليَّ قبل الموت ؛ فلمَّا بلغَ الشَّيخ ذلك دخلَ عليها ، فلمَّا رأَته بكت ، فقال لها : لا تَبكي ، فإِنَّ اجتماعنا غداً في القيامة ، في دار الكرامة ؛ ثم انتقلَت إِلى رحمةِ الله تعالى ، فلم يلبث الشَّيخُ بعدها إِلا أَيّاماً قلائل حتَّى مات ، رحمة الله تعالى عليه .

قال الشِّبليُّ : فرأَيتُه في المنام ، وقد تزوَّج بسبعين حَوراء ، وأَوَّلُ ما تَزَوَّجَ بالجارية ، وهما ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾ [النساء : ٤/ ٦٩ـ٧٠] وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم .

* * *

البابـ الثاني والثّلاثون
في ذكر الأَشرار والفُجَّار
وما يرتكبون من الفواحش والوقاحة والسَّفاهة

● عن[1] النَّوَّاس بن سَمعان رضي الله عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال : « قَبل قيامِ السَّاعة يرسلُ الله ريحاً باردةً طيبةً ، فتقبضُ رُوحَ كُلِّ مؤمنٍ ، ويَبقى شِرارُ الخَلْقِ يَتهارجون تهارُجَ الحَمير ، وعليهم تقومُ السَّاعة » .

● وقال[2] مالك بن دينار رحمهُ الله تعالى : كَفى بالمرءِ شَرّاً أَن لا يكونَ صالحاً ويقعَ في الصَّالحين .

● وقال[2] لقمان لابنه : يا بُنيَّ ، كَذَبَ مَن قال : الشَّرُّ يُطفىءُ الشَّرَّ ، فإن كان صادقاً فلْيوقد نارين ، ثم ينظرْ هل تُطفىءُ إحداهما الأُخرى؟ وإنَّما يُطفىءُ الشَّرَّ الخيرُ كما يطفىءُ الماءُ النَّار .

● ووَصَفَ[3] بعضُهم رجلاً من أَهل الشَّرِّ ، فقال : فلانٌ عُرِّيَ من حُلَّة التَّقوى ومُحِيَ عنه طابعُ الهُدى ، لا تَثنيه يدُ المراقبة ، ولا تَكُفُّه خِيفةُ المحاسبة ؛ وهو لدعائمِ دينه مُضيعٌ ، ولدواعي شَيطانه مُطيعٌ .

● شعر : [من البسيط]

كَـأَنَّـه التَّيْـسُ قـد أَوْدَى بِـهِ هَـرَمٌ ... فَـلا لَحْـمٌ ولا صُـوفٌ ولا ثَمَـنُ

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ١٤٩) ويتهارجون : يتسافدون .

(٢) ربيع الأبرار (٣/ ١٥٠) .

(٣) ربيع الأبرار (٣/ ١٥١) .

• وقيل[1] : مَن فَعل ما شاءَ لَقي ما ساء .

• وقيل[2] : زَنى رجلٌ بجاريةٍ فأَحبلها ، فقالوا له : يا عَدُوَّ الله ، هلاَّ إذ ٱبتُليت بفاحشة عَزَلْتَ؟ قال : قد بلغني أَنَّ العَزْل مَكروهٌ! قالوا : فما بلغك أَنَّ الزِّنا حرامٌ؟ .

• وقيل[3] لأعرابيٍّ كان يتعشَّق قَيْنَةً : ما يضُرُّك لو اشتريتَها ببعض ما تُنفق عليها؟ قال : فمن لي إذ ذاك بلذة الخُلْسَة ، ولِقاءِ المُسارَقَة ، وانتظار الموعِد؟ .

• وقال[4] أَبو العَيناء : رأَيتُ جاريةً مع النَّخَّاس وهي تحلفُ أَن لا ترجعَ لمولاها ، فسأَلتُها عن ذلك ، فقالت : يا سيِّدي ، إنَّه يواقِعُني من قِيامٍ ، ويُصَلِّي من قُعود ، ويَشتمُني بإعرابٍ ، ويلحنُ في القرآن ، ويصومُ الخميسَ والاثنين ، ويُفطرُ رمضان ، ويصلِّي الضُّحى ، ويتركُ الفَجر! فقلت : لا أَكثرَ الله في المسلمين مثله .

• وكانت[5] ظُلْمَةُ القَوَّادة ـ وهي صغيرةٌ في المَكْتَب ـ تسرقُ دُوِيَّاتِ الصِّبيان وأَقلامَهم ، فلمَّا شَبَّت زَنَت ، فلمَّا كَبُرَت قادَت .

• وقال[6] صاحب « المسالك والممالك » : إنَّ عامَّةَ مُلوكِ الهند يَرون الزِّنا مُباحاً ، خلا مَلِكِ قَمار .

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ١٥٣).
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ١٥٣)، والزَّاني هو ابن أَخي نوفل بن مساحق.
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ١٥٦) وثمار القلوب (٢/ ٩٧٠).
(٤) ربيع الأبرار (٣/ ١٥٨) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٢٥٠) والبصائر والذخائر (٢/ ٣٦).
(٥) ربيع الأبرار (٣/ ١٦١) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٢٥١) وعيون الأخبار (٤/ ١٠٣).
(٦) ربيع الأبرار (٣/ ١٦٢) وثمار القلوب (١/ ٤٧٠) والمسالك والممالك لابن خرداذبة (٦٦) وقَمار : موضع بالهند ينسب إليه العود . معجم البلدان (٤/ ٣٩٦).

قال الزَّمخشري رحمه الله[1] : أَقمتُ بقَمار سِنين ، فلم أَر مَلِكاً أَغْيَرَ منه ، وكان يعاقِبُ على الزِّنا وشُرب الخَمر بالقتلِ .

وقَمار : يُنسب إِليها العُود القَماريّ ، كما يُنسب إِلى مَندل ؛ قال مِسكين الدَّارِميّ[2] : [من الطويل]

وَلا ذَنْبَ لِلْعُودِ القَماريِّ إِنَّهُ يُحَرَّقُ إن نَمَّتْ عَلَيْهِ رَوائِحُهْ

- وقال[3] ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما : عَهدتُ النَّاس وهَواهم تَبَعٌ لأَديانهم ، وإِنَّ النَّاس اليومَ أَديانُهُم تَبَعٌ لأَهوائهم .

- وقال[3] رسول الله ﷺ : « حَسْبُ ٱمْرِىءٍ من الشَّرِّ أَن يحقرَ أَخاهُ المُسلمُ » .

ما جاء في الوَقاحة والسَّفاهة وذِكر الغَوغاء :

- قال[4] رسول الله ﷺ : « إنَّ ممَّا أَدرك النَّاسُ من كلام النُّبُوَّة الأُولى : « إذا لم تَسْتَحْيِ فاصنعْ ما شِئْتَ » .

- وفي ذلك قيل[5] : [من الطويل]

إذا لَمْ تَصُنْ عِرْضاً وَلَمْ تَخْشَ خالِقاً وَتَسْتَحْيِ مَخْلوقاً فَما شِئْتَ فاصْنَعِ

- وقال[6] ابنُ سلاَّم : العاقلُ شُجاعُ القلب ، والأَحمق شُجاع الوَجه .

---

(١) كذا نسب المؤلف هذا القول إلى الزمخشري، وإنما هو ينقل عن الثعالبي في الثمار لا غير، والقول لصاحب المسالك والممالك وهو غير ابن خرداذبة إذ ليست فيه هذه الزيادة.
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ١٦٣) وديوانه (٣٠).
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ١٦٤).
(٤) ربيع الأبرار (٥/ ٣٥١).
(٥) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٥/ ٣٥٣) ومحاضرات الراغب (١/ ٢٨٥).
(٦) ربيع الأبرار (٥/ ٣٥١).

• وذمَّ[1] رجلٌ قوماً ، فقال : وُجوهُهم وأَيديهم حَديدٌ ، أَي وِقاحٌ بُخلاء .

• ووصَف[1] رجلٌ وَقِحاً فقال : لو دَقَّ الحجارةَ بوجهه لرَضَّها ، ولو خَلا بأَستار الكعبة لَسَرَقَها .

• قال الشَّاعر[2] : [من الكامل]

لَوْ أَنَّ لي مِن جِلْدِ وَجْهِكَ رُقْعَةً ... لَجَعَلْتُ مِنْها حافِراً لِلأَشْهَبِ

• وقال آخر[3] : [من الوافر]

إذا رُزِقَ الفَتى وَجْهاً وَقاحاً ... تَقَلَّبَ في الأُمورِ كَما يَشاءُ

• وقال[4] أنو شروان : أَربعةٌ قبائحُ ، وهي في أَربعة أَقبح ؛ البُخْلُ في المُلوك ، والكَذِبُ في القُضاة ، والحَسَدُ في العُلماء ، والوَقاحة في النِّساء .

• ويقال[5] : مَن جَسَرَ أَيْسَرَ ، ومن هابَ خابَ .

• قال الشاعر[6] : [من الخفيف]

لا تكُونَنَّ في الأُمور هَيُوباً ... فإِلى خَيْبَةٍ يَصيرُ الهَيوبُ

• وقال[5] عليٌّ رضي الله عنه : إذا هِبْتَ أَمْراً فَقَعْ فيه ، فإِنَّ شَرَّ تَوَقِّيهِ أَعظمُ ممَّا تخافُ منه .

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٣٥١).
(٢) بلا نسبة في التذكرة الحمدونية (٢/ ٢٥٣) ومحاضرات الراغب (١/ ٢٨٥) ونسبه ريحان الخوارزمي في المناقب والمثالب رقم (١٣٤٠) إلى الأخطل وليس في ديوانه.
(٣) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٥/ ٣٥٣) ومحاضرات الراغب (١/ ٢٨٥).
(٤) ربيع الأبرار (٥/ ٣٥٢).
(٥) ربيع الأبرار (٥/ ٣٥٣).
(٦) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٥/ ٣٥٣).

• وقال[1] رضي الله عنه : الغَوغاءُ إذا اجتمعوا ضَرُّوا وإذا افترقوا نَفَعوا ؛ فقيل : قد عَلِمْنا مَضَرَّة اجتماعهم ، فما منفعةُ افتراقهم؟ قال : يرجِعُ أَهلُ المِهَن إلى مِهَنهم ، فينتفعُ النَّاسُ بهم ، كرجوعِ البَنَّاءِ إلى بِنائه والنَّساجِ إلى مَنْسجه ، والخبَّاز إلى مخبزه .

• وقال[1] بعضُ السَّلَف : لا تَسُبُّوا الغَوغاءَ ، فإنَّهم يُطفئون الحريقَ ، ويُخرجون الغريق .

• وقال[1] الأَحنفُ : ما قَلَّ سُفهاءُ قومٍ إلاَّ ذَلُّوا .

• وقال[1] حكيمٌ : لا يَخرجنَّ أَحدٌ من بيته إلاَّ وقد أَخَذَ في حِجْرِهِ قيراطين من جَهْلٍ ؛ فإنَّ الجاهلَ لا يدفعهُ إلاَّ الجهلُ ؛ أَراد السَّفَه .

• قال الشَّاعر[2] : [من الوافر]

أَلا لا يَجْهَلَـــنْ أَحَـــدٌ عَلَيْنـــا فَنَجْهَـلَ فَـوْقَ جَهْـلِ الجـاهِلينـا

• وقيل[3] : الجاهِلُ مَن لا جاهلَ له ؛ أَي : مَن لا سَفيه له يدفعُ عنه .

• وقيل : بينما أَميرُ المؤمنين عُمر بن الخطَّاب رضي الله عنه جالسٌ ، إذ جاء أَعرابيٌّ ، فلطَمه ، فقام إليه واقد بن عمرو ، فجلدَ به الأَرض ؛ فقال عمر : ليس بعزيزٍ مَن ليس في قومه سفيهٌ .

• وقال الشَّاعر[4] : [من الطويل]

وَلا يَلْبَــثُ الجُهَّــالُ أَنْ يَتَهَضَّمــوا أَخـا الحِلْـمِ مـا لَـمْ يَسْتَعِـنْ بِجَهـولِ

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٣٥٤).
(٢) هو عمرو بن كلثوم، ديوانه (١٠١).
(٣) نسبه في ربيع الأبرار (٥/ ٣٥٤) إلى الحارث بن حلزة اليشكري.
(٤) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٥/ ٣٥٤).

• وقال صالح بن جَناح[1] : [من الطويل]

إذا كُنْتَ بينَ الجَهْلِ والحِلْمِ قاعِداً وَخُيِّرْتَ أَنَّى شِئْتَ فالحِلْمُ أَفْضَلُ
وَلكنْ إِذا أَنْصَفْتَ مَن لَيْسَ مُنْصِفاً وَلَمْ يَرْضَ مِنْكَ الحِلْمَ فالجَهْلُ أَمْثَلُ

• وقال الأَحنف بن قَيس[1] : [من الوافر]

وَذِي ضِغْـنٍ أَمَـتُّ القَـوْلَ عَنْـهُ بِحِلْـمٍ فـاسْتَمَـرَّ علـى المَقـالِ
وَمَـنْ يَحْلُـمْ وَلَيْـسَ لَـهُ سَفِيْـهٌ يُـلاقِ المُعْضِـلاتِ مـن الـرِّجـالِ

• وقال آخر[2] : [من الطويل]

فإِنْ كُنْتُ مُحتاجاً إِلى الحِلْمِ إِنَّني إِلى الجَهْلِ في بَعْضِ الأَحايينِ أَحْوَجُ
وَلـي فَـرَسٌ لِلْخَيْـرِ بـالخَيْـرِ مُلْجَـمٌ وَلـي فَـرَسٌ لِلشَّـرِّ بـالشَّـرِّ مُسْـرَجُ
فَمَـنْ رامَ تَقْـويمـي فـإِنِّـي مُقَـوَّمٌ وَمَـنْ رامَ تَعْـويجـي فـإِنِّـي مُعَـوَّجُ

• وقال آخر : [من الطويل]

فَإِنْ قِيلَ : حِلْمٌ؛ قُلْتُ : لِلْحِلْمِ مَوْضِعٌ وَحِلْمُ الفَتى في غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلُ

• أَللَّهمَّ إِنَّا نعوذُ بكَ أَن نَجهل أَو يُجهل علينا ، برحمتك يا أَرحم الرَّاحمين ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم .

* * *

---

(١) له في ربيع الأبرار (٥/ ٣٥٥).
(٢) الأبيات منسوبة إلى محمد بن وهيب الحميري في ديوانه (٦٥) (ضمن شعراء عباسيون) وإلى محمد بن حازم الباهلي في ديوانه (٤٣) وإلى صالح بن جناح في بهجة المجالس (١/ ٦١٨) وبلا نسبة في العقد الفريد (٣/ ١٤).

الباب الثالث والثلاثون

في الجُود والسَّخاء والكرم ، ومكارم الأخلاق واصطناع المعروف ، وذكر الأمجاد ، وأَحاديث الأَجواد

• **اعلم** أَنَّ الجودَ بذلُ المال ، وأَنفعُه ما صُرفَ في وجهِ استحقاقه ، وقد نَدَبَ الله تعالى إليه في قوله تعالى : ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران : ٣/ ٩٢] .

• وقيل : إِنَّ الجودَ والسَّخَاء والإِيثار بمعنىً واحدٍ .

• وقيل : مَن أَعطى البعضَ وأَمسكَ البعضَ فهو صاحبُ سخاءٍ ، ومَن بذلَ الأَكثرَ فهو صاحبُ جودٍ ، ومَن آثرَ غيرَه بالحاضِر ، وبقيَ هو في مُقاساة الضَّرر فهو صاحبُ إيثار .

• وأَصلُ السَّخاء هو السَّماحة ؛ وقد يكونُ المُعطي بخيلاً إذا صَعُبَ عليه البَذْلُ ، والمُمْسِكُ سَخِيّاً إذا كان لا يستصعبُ العطاءَ .

• **فمن الإِيثار** : ما حُكِي[1] عن حُذَيفة العَدَويّ ، أَنَّه قال : انطلقتُ يوم اليرموك أَطلبُ ابنَ عمٍّ لي في القَتلى ، ومعي شيءٌ من الماءِ ، وأَنا أَقول : إن كان به رَمَقٌ سقيتُه ، فإِذا أَنا به بين القتلى ، فقلتُ له : أَسقيك؟ فأَشار إِليَّ ، أَن نَعَم ؛ فإِذا برجلٍ يقول : آهِ ؛ فأَشار إِليَّ ابنُ عمِّي : أَن انطلقْ إِليه واسْقِهِ ؛ فإذا هو هشام بن العاص ؛ فقلتُ : أَسقيك؟ فأَشار إِليَّ أَن نعم ؛ فسمعَ آخرَ يقولُ : آهِ ، فأَشار إِليَّ : أَن انطلقْ إِليه ؛ فجئتُه ، فإِذا هو قد مات ، فرجعتُ إلى هشامٍ ، فإِذا هو قد مات ، فرجعتُ إلى ابنِ عمِّي فإِذا هو قد مات .

---

(١) سراج الملوك (١/ ٣٦١) وعيون الأخبار (١/ ٣٣٩)، والمستجاد (١٨٠) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١١).

ومن عجائب ما ذُكر في الإيثار :

• ما حكاه أَبو محمّد الأَزْدي قال[1] : لمّا احترقَ المسجدُ بمصر ، ظنَّ المسلمونَ أَنَّ النَّصارى أحرقوه ، فأَحرقوا خاناتِهم ، فقَبضَ السُّلطان على جماعةٍ من الَّذين أَحرقوا الخانات ، وكتبَ رِقاعاً فيها القَطْعُ والجَلْدُ والقَتْلُ ، ونَثَرَها عليهم ، فمن وقعَ عليه رقعةٌ فُعِلَ به ما فيها . فوقَعت رقعةٌ فيها القتلُ بيد رجلٍ ، فقال : واللهِ ما كنتُ أُبالي لولا أمٌّ لي . وكان بجنبه بعضُ الفتيان ، فقال له : في رقعتي الجَلْدُ وليس لي أُمٌّ ، فَخُذْ أَنت رُقعتي وأَعطني رُقْعَتَك! فَفَعل ، فقُتل ذلك الفتى وتخلَّص هذا الرَّجل .

• وقيل[2] لقَيس بن سعد : هل رأَيت قطُّ أَسخى منك؟ قال : نعم ، نزلنا بالبادية على امرأةٍ ، فجاءَ زوجُها ، فقالت له : إنَّه نزلَ بنا ضِيفان . فجاءنا بناقةٍ فنَحرها ، وقال : شأنكم ؛ فلمَّا كان من الغد جاءَ بأُخرى فنَحرها ، وقال : شأنكم ، فقلنا : ما أَكلنا من الَّتي نحرتَ البارحة إلاَّ القليل ؛ فقال : إنِّي لا أُطعم ضِيفاني البائتَ ؛ فبقينا عنده أَياماً ، والسَّماءُ تمطرُ ، وهو يفعلُ كذلك ؛ فلمَّا أَردنا الرَّحيل وَضعنا مِئة دينار في بيته ، وقلنا للمرأة : اعتذري لنا إليه ؛ ومَضينا ؛ فلمَّا ارتفعَ النَّهار إذا برجلٍ يصيحُ خَلْفَنا : قِفوا أَيُّها الرَّكبُ اللِّئامُ ، أَعطيتمونا ثمنَ قِرانا ؟ ثم إنّه لحِقنا ، وقال : خُذوها وإلاَّ طَعنتُكم برُمْحي هذا ؛ فأَخذناها وانصرفنا .

• وقال بعضُ الحكماءِ : أَصْلُ المحاسنِ كلِّها الكَرَمُ ، وأَصلُ الكَرمِ نزاهةُ النَّفس عن الحرام ، وسَخاؤها بما تملكُ على الخاصِّ والعامِّ ، وجميعُ خصال الخير من فُروعه .

---

(1) سراج الملوك (1/ 368).

(2) سراج الملوك (1/ 365).

• وقال[1] رسول الله ﷺ : « تجاوَزوا عن ذَنْبِ السَّخيِّ ، فإنَّ الله آخِذٌ بيده كُلَّما عَثَرَ ، وفاتحٌ له كُلَّما افتقر » .

• وعن[2] جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، قال : ما سُئِلَ رسول الله ﷺ شيئاً قطُّ ، فقال لا .

• وعنه[3] ﷺ أنَّه قال : « السَّخيُّ قريبٌ من الله ، قريبٌ من النَّاس ، قريبٌ من الجنَّة ، بعيدٌ من النَّار ؛ والبخيلُ بعيدٌ من الله ، بعيدٌ من النَّاس ، بعيدٌ من الجنَّة ، قريبٌ من النَّار ؛ ولَجاهِلٌ سَخِيٌّ أَحَبُّ إِلى الله من عابدٍ بخيل » .

• وقال[4] بعضُ السَّلف : مَنْعُ الموجودِ سُوءُ ظنٍّ بالمعبود ؛ وتلا قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ : ٣٤/٣٩] .

• وقال[5] الفُضَيل : ما كانوا يَعُدُّون القَرْضَ مَعروفاً .

• وقال[6] أكثم بن صَيْفي : صاحبُ المعروف لا يقعُ ؛ وإن وقعَ وَجَدَ له مُتَّكَأً .

• وقيل[7] للحسن بن سَهل : لا خَيْرَ في السَّرَف ؛ فقال : لا سَرَفَ في الخير ؛ فقلَب اللَّفظ واستَوفى المعنى .

• ووُجد[8] مكتوباً على حَجر : انتهز الفُرص عند إمكانها ، ولا تُحَمِّل نفسَك

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٥٥٥) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٢٥٩) .
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٥٥٤) .
(٣) سراج الملوك (١/ ٣٦٢) .
(٤) التذكرة الحمدونية (٢/ ٢٦٠) وعيون الأخبار (٣/ ١٧٥) ومرفوعاً في محاضرات الراغب (١/ ٥٧٠) ولمحمد بن عباد في ربيع الأبرار (٤/ ٥٩٩) .
(٥) سراج الملوك (١/ ٣٧٥) .
(٦) سراج الملوك (١/ ٣٧٥) وفي ربيع الأبرار (٤/ ٥٧٤) بلا نسبة .
(٧) سراج الملوك (١/ ٣٦٥) .
(٨) سراج الملوك (١/ ٣٦٧) .

هَمَّ ما لم يأتِكَ ، واعلمْ أَنَّ تقتيرك على نَفسك تَوفيرٌ لِخزانة غَيرك ، فكمْ من جامعٍ لبعلِ حَليلته .

• وقال[1] عليٌّ رضي الله تعالى عنه : ما جَمعتَ من المال فوق قُوتِك فإِنَّما أَنت فيه خازنٌ لغيرك .

• وقال[2] النُّعمان بن المنذر يوماً لجلسائه : مَن أَفضلُ النَّاس عيشاً ، وأَنعمُهم بالاً ، وأَكرمُهم طِباعاً ، وأَجلُّهم في النُّفوس قَدْراً؟ فسكَت القوم ، فقام فتىً فقال : أَبيْتَ اللَّعْنَ ، أَفضلُ النَّاس مَن عاش النَّاسُ في فضله ؛ فقال : صَدقت .

• وكان[2] أسماء بن خارجة يقول : ما أُحبُّ أَن أَرُدَّ أَحداً عن حاجة ، لأَنَّه إن كان كريماً أَصونُ عِرْضَه ، أَو لئيماً أَصونُ عنه عِرْضي .

• وكان[3] مُوَرِّق العِجْليّ يتلطَّفُ في إدخال السُّرور والرِّفق على إخوانه ، فيضعُ عند أَحدهم البدْرَةَ ، ويقول له : أَمسكْها حتَّى أَعودَ إِليك ؛ ثم يرسلُ يقول له : أَنت منها في حِلٍّ .

• وقال[2] الحسنُ رضي الله عنه : باعَ طلحةُ بن عُثمان رضي الله تعالى عنه أَرضاً بسبعمئة أَلف درهمٍ ، فلمَّا جاء المالُ قال : إِنَّ رجلاً يبيتُ هذا عنده لا يَدري ما يَطرُقُهُ لَغَريرٌ بالله تعالى ؛ ثم قَسَمَهُ في المسلمين .

• ولما[4] دخل المُنكدر على عائشة رضي الله عنها قال لها : يا أُمَّ المؤمنين ، أَصابتني فاقة ؛ فقالت : ما عندي شيءٌ ، فلو كان عندي عشرةُ آلاف درهم لبعثتُ بها إِليك ؛ فلمَّا خرجَ من عندها جاءَتها عشرةُ آلاف درهمٍ من عند خالد

---

(١) سراج الملوك (١/ ٣٦٧).
(٢) سراج الملوك (١/ ٣٦٣).
(٣) سراج الملوك (١/ ٣٦٤).
(٤) سراج الملوك (١/ ٣٧٧) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٣٠٧).

ابن أَسيد ؛ فأَرسلت بها إِليه في أَثَره ، فأَخذها ودخلَ بها السُّوق ، فاشترى جاريةً بأَلف درهمٍ ، فولدَت له ثلاثَة أَولادٍ ، فكانوا عُبَّاد المدينة ، وهم : محمَّد وأَبو بكر وعُمر ، بنو المنكدر .

• وأَكرم[1] العربِ في الإِسلام طلحةُ بن عُبيد الله رضي الله تعالى عنه ، جاء إِليه رجلٌ ، فسأَله بِرَحمٍ بينه وبينَه ، فقال : هذا حائِطي بمكان كذا وكذا ، وقد أُعطيت فيه مِئة أَلف درهم ، يُراحُ إِليَّ المالُ بالعَشِيَّة ، فإِن شئتَ فالمال ، وإِن شئتَ فالحائط .

• وقال[2] زياد بن جَرير : رأَيتُ طلحة بن عُبيد الله فَرَّقَ مِئة أَلفٍ في مجلسٍ، وإِنَّه لَيَخيطُ إِزارَه بيده .

• وذَكر[3] الإِمامُ أَبو عليّ القالي في كتاب « الأَمالي » أَنَّ رجلاً جاء إلى مُعاوية رضي الله تعالى عنه ، فقال له : سأَلتُك بالرَّحِمِ الَّتي بيني وبينك إِلاَّ ما قَضيتَ حاجتي ؛ فقال له مُعاوية : أَمن قُريشٍ أَنت؟ قال : لا ؛ قال : فأَيُّ رحمٍ بيني وبينك؟ قال : رَحِمُ آدم عليه السَّلام ؛ قال : رَحِمٌ مَجْفُوَّةٌ ، والله لأَكونَنَّ أَوَّلَ من وَصَلَها ؛ ثم قضى حاجَته .

• ورُوي[4] أَنَّ الأَشعث بن قيس أَرسل إِلى **عديِّ بن حاتم** يستعيرُ منه قُدوراً كانت لأَبيه حاتم ، فملأَها مالاً وبعثَ بها إِليه ، وقال : إِنَّا لا نُعيرها فارغةً .

• وكان[5] الأُستاذ **أَبو سَهْل الصُّعلوكي** من الأَجواد ، ولم يُناول أَحداً شيئاً ، وإِنَّما كان يطرحُه في الأَرض ، فيتناوله الآخذُ من الأَرض ، وكان يقول : الدُّنيا

---

(١) سراج الملوك (١/ ٣٦٤).
(٢) سراج الملوك (١/ ٣٧٧).
(٣) أمالي القالي (١/ ١٩٨).
(٤) سراج الملوك (١/ ٣٧٣).
(٥) سراج الملوك (١/ ٣٧٦).

أَقَلُّ خَطَراً من أَن تُرى من أَجلها يدٌ فوقَ يدٍ أُخرى ، وقد قال النَّبيُّ ﷺ : « اليدُ العُليا خيرٌ من اليدِ السُّفلى » .

● وسأَل[1] معاويةُ **الحسنَ بن عليٍّ** رضي الله تعالى عنهم عن الكَرَم ؛ فقال : هو التَبَرُّعُ بالمعروف قبل السُّؤال ، والرَّأْفَةُ بالسَّائل مع البَذْلِ .

● وقدم[2] رجلٌ من قُريشٍ من سَفَرٍ ، فمرَّ على رجلٍ من الأَعراب على قارعةِ الطَّريق ، قد أَقعده الدَّهرُ ، وأَضَرَّ به المرضُ ، فقال له : يا هذا ، أَعِنَّا على الدَّهر ؛ فقال لغُلامه : ما بقيَ معك من النَّفقة ، فادفعه إليه ؛ فصبَّ في حِجْرِهِ أَربعةَ آلاف درهمٍ ، فَهَمَّ ليقومَ ، فلم يقدر على الضَّعف ، فبكى ؛ فقال له الرَّجل : ما يُبكيك؟ لعلَّك استَقْللت ما دَفعناه إِليك؟ فقال : لا والله ، ولكن ذكرتُ ما تأْكُلُ الأَرضُ من كَرَمِك فأَبكاني .

● وقال[3] بعضهم : قصدَ رجلٌ إِلى صديقٍ له ، فدقَّ عليه الباب ، فخرج إِليه وسأَله عن حاجته ، فقال : عَلَيَّ دينٌ كذا وكذا ، فدخَل الدَّارَ وأَخرج إِليه ما كان عليه ، ثم دخل الدَّار باكياً ، فقالت له زَوجته : هلاَّ تَعَلَّلْتَ حيثُ شَقَّت عليك الإِجابة؟ فقال : إِنما أَبكي لأَنِّي لم أَتفقَّد حاله حتَّى احتاج إِليَّ أَن سأَلني .

● ويُروى[4] أَن **عُبيد الله بن أَبي بكرة** ، وكان من أَجود الأَجواد ، عطش يوماً في طريقه ، فاستسقى من مَنزل امرأَةٍ ، فأَخرجت له كُوزاً ، وقامت خلفَ الباب وقالت : تَنَحَّوا عن الباب ، ولْيَأْخُذْهُ بعضُ غِلمانكم ، فإِنَّني امرأَةٌ عَزَبٌ ، مات زَوجي مُنذ أَيَّام ؛ فشربَ عُبيد الله الماءَ وقال : يا غُلام ، احمل إِليها

---

(١) نثر الدر (١/ ٣٣٣).

(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٥٩٤) والرجل هو طلحة بن عبد الله بن عوف. وفي (٤/ ٥٦٧) الرجل فيه هو المطلب بن حنطب، وفي ثمرات الأوراق (١٤٩) الحكم بن حنطب.

(٣) سراج الملوك (١/ ٣٧٤).

(٤) سراج الملوك (١/ ٣٧٤) وفي الأصول: عبد الله بن أبي بكر، خطأ.

عشرة آلاف درهم ؛ فقالت : سُبحان الله أَتسخرُ بي؟ فقال : يا غُلام ، احمل إليها عشرين ألفاً ؛ فقالت : أَسأَلُ الله العافية ؛ فقال : يا غُلام احمل إليها ثلاثين ؛ فما أَمْسَتْ حتَّى كَثُرَ خُطَّابُها .

• وكان[1] رضي الله تعالى عنه ، يُنفقُ على أَربعين داراً من جيرانه عن يَمينه ، وأَربعينَ عن يَساره ، وأَربعين أَمامه ، وأَربعين خَلفه ، ويبعثُ إِليهم بالأَضاحي والكُسوة في الأَعياد ، ويُعتق في كلِّ عيد مِئَة مملوكٍ ، رضي الله تعالى عنه .

• ولمَّا[2] مرضَ **قَيسُ بن سَعد بن عُبادة** استبطأ إخوانه في العيادة ، فسأَل عنهم ، فقيل له : إِنَّهم يَسْتَحيون ممّا لك عليهم من الدَّيْن! فقال : أَخْزَى الله مالاً يمنعُ عنِّي الإِخوان من الزِّيارة ؛ ثم أَمر مُنادياً يُنادي : مَن كان لقيسٍ عنده مالٌ ، فهو منه في حِلٍّ ؛ فكُسرت عَتَبَةُ بابه بالعَشِيِّ لكثرةِ العُوَّادِ .

• وكان[3] **عبدُ الله بن جَعفر** من الجُود بالمكانِ المشهودِ ، وله فيه أَخبارٌ يكادُ سامعُها يُنكرها لِبُعْدِها عن المعهود ، وكان مُعاوية يُعطيه أَلفَ أَلفِ درهمٍ في كلِّ سنةٍ ، فَيُفَرِّقُها في النَّاس ، ولا يُرى إلاّ وعليه دَيْنٌ .

• وسَمَّنَ رجلٌ بهيمةً ثُمَّ خرج بها لِيَبيعها ، فمرَّ بعبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنه ، فقال : يا صاحبَ البَهيمة أَتبيعُها؟ قال : لا ، ولكنَّها هي لكَ هِبَةً ، ثم تركَها له ، وانصرفَ إِلى بيته ، فلم يلبث إلاَّ يسيراً ، وإِذا بالحمَّالين على بابه عِشرين نفراً ؛ عشرةٌ منهم يَحملون حِنْطَة ، وخَمسةٌ لَحْماً وكُسوةً ، وأَربعةٌ يَحملون فاكهةً ونُقْلاً ، وواحدٌ يحملُ مالاً ، فأَعطاه جميعَ ذلك ، واعتذرَ إِليه ، رضي الله تعالى عنه .

---

(١) سراج الملوك (١/ ٣٧٩) وعبارة الترضي كذا وردت في الأصول ظناً من المؤلف أو النُّسَّاخ أنه عبد الله بن أبي بكر الصِّدِّيق!! .

(٢) سراج الملوك (١/ ٣٧١) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٢٧١) والمستجاد (١٧٦) .

(٣) التذكرة الحمدونية (٢/ ٢٦٩) .

• ولما[1] ماتَ مُعاوية رضي الله عنه ، وَفَدَ عبدُ الله بن جعفر على يزيد ابنه ، فقال : كم كان أَميرُ المؤمنين مُعاوية يُعطيك؟ فقال : كان ـ رحمه الله ـ يُعطيني أَلفَ أَلفٍ ؛ فقال يزيدُ : قد زِدْناك لِتَرَحُّمِك عليه أَلفَ أَلفٍ ؛ فقال : بأَبي وأُمِّي أَنت ؛ فقال : ولهذه أَلف أَلف ؛ فقال : أَما إِنِّي لا أَقولُها لأَحدٍ بعدَك ؛ فقيل ليزيد : أَعطيتَ هذا المال كُلَّه من مالِ المسلمين لرجلٍ واحدٍ؟ فقال : والله ما أعطيتُه إلاَّ لجميعِ أَهلِ المدينة ؛ ثمَّ وكَّل به يزيد مَن صَحِبَه وهو لا يعلمُ لِينظرَ ما يَفعلُ ، فلمَّا وصلَ المدينةَ فَرَّق جميعَ المالِ حتَّى احتاجَ بعد شهرٍ إلى الدَّيْنِ .

• وخرج[2] رضي الله تعالى عنه هو والحَسَنان ، وأَبو حَبَّة الأَنصاري رضي الله تعالى عنهم مِن مكَّة إلى المدينة ، فأَصابتهم السَّماء بمطر ، فَلَجؤوا إلى خِباء أَعرابيٍّ ، فأَقاموا عنده ثلاثةَ أَيَّامٍ حتَّى سَكنت السَّماء ، فذبحَ لهم الأَعرابيُّ شاةً ، فلمَّا ارتحلوا قال عبدُ الله للأَعرابي : إن قدمتَ المدينة ، فسلْ عنَّا ، فاحتاجَ الأَعرابيُّ بعد سِنين ، فقالت له امرأَتُه : لو أَتيتَ المدينة ، فلقيتَ أُولئك الفتيان ؛ فقال : قد نَسيتُ أَسماءَهم ؛ فقالت : سَلْ عن ابنِ الطَّيّار ؛ فأَتى المدينة ، فلقي سيِّدنا الحَسَن رضي الله تعالى عنه ، فأَمر له بمئة ناقةٍ بفُحولها ورُعاتها ؛ ثم أَتى الحُسين رضي الله تعالى عنه ، فقال : كفانا أَبو محمّد مؤونة الإبل ، فأَمر له بأَلف شاةٍ ، ثم أَتى عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنه ، فقال : كَفاني إخواني الإبل والشِّياه ، فأَمر له بمئة أَلف درهم ؛ ثم أَتى أَبا حَبَّة رضي الله تعالى عنه ، فقال : والله ما عِندي مثل ما أَعطوك ، ولكن ائْتني بإبِلِكَ فأُوقِرَها لك تمراً ؛ فلم يَزَل اليَسارُ في عَقِبِ الأَعرابيِّ من ذلك اليوم .

• وقال[3] الحسنُ والحُسينُ يوماً لعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم : إنَّك قد

---

(١) التذكرة الحمدونية (٢/ ٢٦٩) والمستجاد (٢٢٠).

(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٥٩٧) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٣١٧) وفي الأصول: أبو دحية؛ خطأ.

(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٥٨١) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٢٦٩) وكامل المبرد (١/ ١٨٠) والفاضل (٣٣) ونثر الدر (١/ ٤٢٤).

أَسرفت في بذلِ المال ، فقال : بِأَبي أَنتما ؛ إِنَّ الله عزَّ وجلَّ عَوَّدني أَن يتفضَّل عليَّ، وعَوَّدْتُهُ أَن أَتفضَّل على عِباده، فأَخافُ أَن أقطع العادةَ، فيقطعَ عنِّي المادَّة.

● وامتدحه[1] نُصَيْبٌ ، فأَمر له بِخَيْلٍ وأثاثٍ ودَنانيرَ ودَراهم ؛ فقال له رجلٌ : مثلُ هذا الأَسود تُعطي له هذا المالَ؟ فقال : إِن كان أَسودَ فإِن ثَناءَهُ أَبيض ، ولقد استحقَّ بما قال أكثر ممَّا نال ، وهل أَعطيناه إِلاَّ ثياباً تبلى ومالاً يَفْنى ، وأَعطانا مَدْحاً يُروى وثَناء يَبقى؟ .

● وخرج[2] عبدُ الله رضي الله تعالى عنه يوماً إِلى ضَيْعَةٍ له ، فنزلَ على حائطٍ به نَخيلٌ لقومٍ ، وفيه غُلامٌ أَسود يقومُ عليه ، فأَتى بِقُوته ثلاثةِ أَقراصٍ ، فدخلَ كلبٌ ، فدنا من الغُلام ، فرمى إِليه بقُرصٍ ، فأكله ، ثم رمى إِليه بالثَّاني والثَّالث ، فأَكلهما ؛ وعبدُ الله ينظرُ إِليه ، فقال : يا غُلام ، كمْ قُوتُك كلَّ يومٍ؟ قال : ما رأَيتَ؛ قال : فلمَ آثرتَ هذا الكلبَ؟ قال : أَرْضُنا ما هي بأَرْضِ كِلابٍ ، وإِنَّه جاء من مَسافةٍ بعيدةٍ جائِعاً ، فكرهتُ أَن أَرُدَّه ؛ قال : فما أَنتَ صانعٌ اليومَ؟ قال : أَطوي يومي هذا ؛ فقال عبدُ الله بن جَعفر : أُلامُ على السَّخاء ، وإِنَّ هذا لأَسْخَى منِّي؟ فاشترى الحائطَ وما فيه من النخيل والآلات ، واشترى الغُلام ، ثم أَعتقه ، ووهبَه الحائطَ بما فيه من النَّخيل ، والآلات ؛ فقال الغُلام : إِن كان ذلك لي فهو في سَبيل الله تعالى ؛ فاستعظمَ عبدُ الله ذلك منه ؛ فقال : يجودُ هذا وأَبخلُ أَنا؟ لا كان ذلك أَبداً .

● وكان[3] **عُبيد الله بن عبَّاسٍ** رضي الله تعالى عنهما من الأَجواد ؛ أَتاه رجلٌ وهو بفناء داره ، فقام بين يَديه ، قال : يا ابن عبَّاس ، إِنَّ لي عندَك يَداً ، وقد

---

(١) التذكرة الحمدونية (٢/ ٢٧٠) وكامل المبرد (٢/ ٦٩٧) والفاضل (٣٣) والمستجاد (٢٠٣).

(٢) سراج الملوك (١/ ٣٧١) وثمرات الأوراق (٣١٦) ومثله عن محمد بن واسع في ربيع الأبرار (٤/ ٥٥٨) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٣١٥).

(٣) التذكرة الحمدونية (٢/ ٢٨٦) والعقد الفريد (١/ ٢٩٤).

احتجتُ إليها ؛ فَصَعَّدَ فيه بَصَرَهُ ، فلم يَعرفه ، فقال : ما يَدُكَ؟ قال : رأيتُك واقفاً بفناء زَمزم ، وغُلامك يَمْتَحُ لك من مائِها ، والشَّمْسُ قد صَهَرَتْكَ ، فَظَلَّلْتُكَ بِفَضْلِ كِسائي حتى شربتَ ؛ فقال : أَجَلْ ، إنِّي لأَذْكُرُ ذلك ؛ ثم قال لغُلامه : ما عِندك؟ قال : مِئتا دينار ، وعشرة آلاف درهم ؛ فقال : ادفعها إليه ، وما أَراها تَفي بحقِّ يده .

• وقدم[1] **عُبيد الله بن عبَّاس** رضي الله تعالى عنهما على مُعاوية مرَّةً ، فأَهدى إليه من هدايا النُّوروز حُللاً كثيرةً ومِسْكاً ، وآنيةً من ذَهَبٍ وفِضَّة ، ووجَّهها إليه مع حاجبه ، فلمَّا وضَعها بين يديه نظرَ إلى الحاجبِ ، وهو ينظرُ إليها ، فقال له : هل في نفسك منها شيءٌ؟ قال : نعم ، والله إنَّ في نفسي منها ما كان في نَفْسِ يعقوب من يُوسف عليهما الصَّلاة والسَّلام ؛ فضحكَ عُبيد الله ، وقال : خُذْها ، فهي لك ؛ قال : جُعلت فِداءَك ، أَخاف أَن يبلغَ ذلك مُعاوية ، فيحقدَ عليَّ ؛ قال : فاخْتمها بخاتمك ، وسَلِّمها إلى الخازن ، فإذا كان وقتُ خُروجنا حَملناها إليك ليلاً ؛ فقال الحاجبُ : والله لهذه الحيلةُ في الكرمِ أَكثرُ من الكَرَمِ .

• وحَبَسَ[2] معاويةُ عن الحُسين بن عليٍّ رضي الله تعالى عنهما صِلاته ، فقيل : لو وَجَّهْتَ إلى ابنِ عمِّك عُبيد الله بن عبَّاس ، فإنَّه قَدِمَ بنحو أَلفِ أَلفٍ ، فقال الحُسين : وأَنَّى تَقع أَلفُ أَلفٍ من عُبيد الله؟ فوالله لهوَ أَجودُ من الرِّيح إذا عَصفت ، وأسخى من البحر إذا زَخَر ؛ ثم وَجَّهَ إليه مع رسوله بكتابٍ يذكرُ فيه حَبْسَ مُعاوية صِلاته عنه ، وضِيقَ حاله ، وأَنَّه يحتاجُ إلى مِئة أَلفِ دِرهم ؛ فلمَّا قرأَ عُبيد الله كتابه انهملَت عيناه ، وقال : وَيلك يا مُعاوية ، أَصبحتَ لَيِّنَ المِهاد ، رفيعَ العِماد ، والحُسين يَشكو ضيقَ الحال ، وكثرةَ العيال؟ ثم قال

---

(١) التذكرة الحمدونية (٢/ ٢٨٧) والعقد الفريد (١/ ٢٩٥) والمستجاد (١٧٣) وثمرات الأوراق (١٤٧) .

(٢) التذكرة الحمدونية (٢/ ٢٨٦) والعقد الفريد (١/ ٢٩٥) وثمرات الأوراق (١٤٦) .

لوكيله : احمل إلى الحُسين نصفَ ما أَملكُه من ذهبٍ وفِضَّةٍ ودوابّ ، وأَخْبره أَنِّي شاطرتُه ، فإن كفاه وإلاَّ احملْ إليه النِّصف الثَّاني ؛ فلمَّا أَتاه الرَّسول قال : إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ؛ ثَقَّلْتُ والله على ابن عمِّي ، وما حسبتُ أَنَّه يسمحُ لنا بهذا كلِّه . رضوان الله عليهم أجمعين .

• وجاء[1] رجلٌ من الأَنصار إلى عُبيد الله بن عبَّاس رضي الله تعالى عنهما ، فقال له : يا ابنَ عمِّ محمَّد ﷺ ، إنَّه وُلد لي في هذه اللَّيلة مولودٌ ، وإنِّي سَمَّيتُه باسمكَ تَبَرُّكاً بكَ ، وإنَّ أُمَّه ماتَت ؛ فقال له : باركَ الله لك في الهِبة ، وآجَرَكَ على المُصيبة ؛ ثم دعا بوكيله ، وقال له : انطلق السَّاعةَ ، فاشْتَرِ للمولودِ جاريةً تحضُنه ، وادفع لأَبيه مِئتي دينار لينفقَها على تربيته ، ثم قال للأَنصاري : عُدْ إلينا بعد أَيَّام ، فإنَّك جِئتَنا وفي العيش يَبَسٌ وفي المال قِلَّةٌ ؛ فقال الأَنصاريُّ : جُعلتُ فِداءك ، لو سبقتَ حاتماً بيومٍ ما ذَكَرَتْهُ العربُ .

• وقال أَبو جهم بن حذيفة يوماً لمعاوية : نحنُ عِندك يا أَمير المؤمنين كما قال عبد المسيح لابن عبد كلال[2] : [من الوافر]

يَقِيْنـــاً مـــا نَخـــافُ وإنْ ظَنَنَّـــا ... بِـــهِ خَيْـــراً أَرانـــاهُ يَقينـــا

---

(١) التذكرة الحمدونية (٢/ ٢٨٨) والعقد الفريد (١/ ٢٩٦) والمستجاد (١٨٧).

(٢) في أ : كما قال المسيح بن عبد كلاب! وفي ب : كما قال المسيح بن كلال! وفي ط : كما قال ابن عبد كلال . وكله خطأ، والمثبت نص أمالي القالي (١/ ٢٣٧).
والأبيات في بيان الجاحظ (٣/ ٢٣٣) وعيون الأخبار (١/ ٢٨٤) والتذكرة الحمدونية (٤/ ١٨) ومختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٢٩) وتحفة العروس (٣٤٠) لأبي الجهم. وفي مختصر تاريخ دمشق (٢٩/ ٢٤٦) لخال بني جبار. وفي تاريخ دمشق (٤٥/ ١٨) ومختصره (١٦/ ٢٥) وأمالي القالي (١/ ٢٣٧): لعبد المسيح بن دارس في ابن عبد كلال؛ وهو الصواب إن شاء الله، وأبو الجهم متمثل فحسب. واعجبْ مما فعله صانعا ديوان وضاح اليمن [د. حنا جميل حداد، ود. محمد خير البقاعي] فقد أدرجا الأبيات في شعر وضاح بحجة ورود اسم عبد كلال في سلسلة نسبه!!! وانظر ديوان وضاح اليمن (٩٢) ط. دار صادر.

نَميلُ على جَوانِبِهِ كَأَنّا ... إذا مِلْنا نَميلُ على أبينا
نُقَلِّبُهُ لنَخْبُرَ حالَتَيْهِ ... فَنَخْبُرُ مِنهما كَرَماً ولينا

فأمر له بمئة أَلف درهم .

• وأنشده عبدُ الله بن الزُّبير رضي الله تعالى عنهما[1] : [من الوافر]

بَلَوْتُ النّاسَ قَرْناً بَعْدَ قَرْنٍ ... فَلَمْ أَرَ غَيْرَ خَتَّالٍ وَقالِ
وَلَمْ أَرَ في الخُطوبِ أَشَدَّ وَقْعاً ... وأَمْضى مِن مُعاداةِ الرِّجالِ
وَذُقْتُ مَرارةَ الأَشياءِ طُرّاً ... فَما شَيءٌ أَمَرَّ مِنَ السُّؤالِ

فأَعطاه مِئة أَلف درهم .

• ودخل[2] عليه الحسنُ يوماً وهو مضطجعٌ على سريره فسلَّمَ عليه ، وأَقعده عند رِجليهِ ، وقال : أَلا تعجبُ من قولِ أُمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، تزعمُ أَنّي لستُ للخِلافة أهلاً ، ولا لها مَوضعاً؟ فقال الحسنُ : أَوَ عَجَباً ممّا قالت؟ قال : كُلَّ العَجَب ؛ قال الحسنُ : وأَعجبُ من هذا كلِّه ، جُلوسي عند رِجليك! فاستحيا مُعاوية ، واستوى جالساً ؛ ثم قال : أَقسمتُ عليك يا أَبا محمَّد إلاَّ ما أَخبرتني كم عليك دَيْناً؟ قال : مِئةُ أَلفِ دِرهمٍ ؛ فقال : يا غُلام ، أَعْطِ أَبا محمَّد ثلاثمئة أَلفِ يقضي بها دَيْنَه ، ومِئة أَلفٍ يفرِّقها على مَواليه ، ومئة أَلفٍ يستعينُ بها على نَوائبه ؛ وسوِّغْها إِليه السَّاعة .

• وكان[3] معنُ بن زائدة من الأَجواد ، وكان عاملاً على العراق بالبَصرة ؛ قيل : إِنَّه أَتى إِليه بعضُ الشُّعراء ، فأَقام ببابه مدَّةً يريدُ الدُّخولَ عليه ، فلم يتهيَّأ

---

(١) الأبيات للأفوه الأودي في عيون الأخبار (٣/ ١١١) وتاريخ دمشق (٣٢/ ٤٣٩) وديوانه (٢٣) (ضمن الطرائف الأدبية) وتاريخ الخلفاء (٢٣٩).
(٢) نثر الدر (١/ ٣٣٠).
(٣) المستجاد (١٧٤) وثمرات الأوراق (٤٤٠).

له ذلك ، فقال يوماً لبعضِ الخدم : إذا دخلَ الأَميرُ البستان ، فعرِّفني ؛ فلمَّا دخل أَعلمَه بذلك ، فكتبَ الشَّاعر بيتاً ونقَشَه على خَشَبَةٍ وأَلقاها في الماء الَّذي يدخلُ البستان ، وكان معنٌ جالساً على القناة ، فلمَّا رأى الخشبةَ أَخذَها وقرأَها فإذا فيها بيتٌ مفردٌ : [من الطويل]

أَيـا جُـوْدَ مَعْـنٍ نـاجِ مَعْناً بِحـاجَتـي فَلَيْـسَ إِلـى مَعْـنٍ سِـواكَ شَفيـعُ

فقال : مَن الرَّجُل صاحبُ هذه؟ فأُتِيَ به إليه ، فقال : كيف قلتَ؟ فأنشده البَيت ، فأَمر له بعشرِ بِدَرٍ ، فأَخذها وانصرف .

ووضعَ معنٌ الخشبةَ تحت بِساطه ، فلمَّا كان اليومُ الثاني أَخرجَها من تحتِ البساطِ ونظرَ فيها ، وقال : عليَّ بالرَّجلِ صاحبِ هذه ؛ فأُتيَ به ، فقال له : كيف قلتَ؟ فأَنشده البيت ، فأَمر له بعشرِ بِدَرٍ ، فأَخذها وانصرف .

ووضع معنٌ الخشبَة تَحت بِساطه ، فلمَّا كان في اليوم الثَّالث أَخرجها ، ونظرَ فيها ، وقال : عليَّ بالرَّجل صاحب هذه ، فأُتيَ به إليه ، فقال له : كيف قلتَ؟ فأَنشده البيت ، فأَمر له بعشرِ بِدَرٍ ، فأَخذها وتفكَّر في نفسه ، وخاف أَن يأخذَ منه ما أَعطاه ، فخرج من البلد بما معه .

فلمَّا كان في اليوم الرَّابع طلبَ الرَّجل فلم يجدْه ، فقال معنٌ : لقد ساءَ والله ظنُّهُ ، ولقد هممتُ أَن أُعطيهُ حتى لا يبقى في بيت مالي درهمٌ ولا دينارٌ .

• وفيه يقول القائل[1] : [من الطويل]

---

(١) الثالث والخامس في الزهرة (٢/ ٦١٧) والوحشيات (٢٤٧) لزياد الأعجم وهما في ديوانه (١٨٩) وهما في الحماسة البصرية (١/ ١٣٥) لعبد الله بن الزَّبير الأسدي. ديوانه (١٢٢). والثالث لزهير بن أبي سلمى في عيون الأخبار (٣/ ١٥٣) وديوانه (١٤٢). والرابع والخامس لأبي تمام في ديوانه (٣/ ٢٩) من قصيدة في مدح المعتصم. ولزهير بن أبي سلمى في المناقب والمثالب لريحان الخوارزمي رقم (٥٥٤). وهي بلا نسبة في المحاسن والمساوىء (١/ ٣٤١) ومختصر تاريخ دمشق (٢٨/ ١٨٧). وفي وفيات الأعيان (٦/ ٣٧٥) لزينب بنت=

يَقولُونَ : مَعْنٌ لا زَكاةَ لِمالِهِ وكيفَ يُزَكِّي المالَ مَنْ هُوَ باذِلُهْ
إذا حالَ حَوْلٌ لَمْ تَجِدْ في دِيارِهِ مِنَ المالِ إلاَّ ذِكْرُهُ وَجَمائِلُهْ
تَراهُ إذا ما جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كأَنَّكَ تُعطيهِ الَّذي أَنْتَ نائِلُهْ
تَعَوَّدَ بَسْطَ الكَفِّ حتَّى لَوَ انَّهُ أَرادَ انْقِباضاً لَمْ تُطِعْهُ أَنامِلُهْ
فَلَوْ لَمْ يَكُنْ في كَفِّهِ غَيْرُ نَفْسِهِ لجادَ بهِ فَلْيَتَّقِ اللهَ سائِلُهْ

● ومن قولِ مَعْنٍ[1] : [من الوافر]

دَعيني أُنْهِبُ الأَموالَ حتَّى أَعِفَّ الأكرمينَ عنِ اللِّئامِ

● وكان[2] **يزيد بن المهلَّب** من الأَجواد الأَسخياء ، وله أَخبارٌ في الجودِ عجيبةٌ ؛ من ذلك ما حَكاه عُقيل بنُ أَبيّ[3] ، قال :

لما أَراد يزيدُ بن المُهَلَّبِ الخروجَ إلى واسط أَتَيْتَهُ ، فقلتُ : أَيُّها الأَمير ، إن رأَيتَ أَن تأذنَ لي ، فأَصحبَك ؛ قال : إذا قدمتُ واسِطَ ، فأْتِنا إن شاء الله تعالى ؛ فسافَرَ ، وأَقمتُ ، فقال لي بعضُ إخواني : اذهبْ إليه ؛ فقلتُ : كان جوابُه فيه ضَعْفٌ ؛ قالوا : أَتريدُ مِن يزيدَ جواباً أَكثر ممَّا قال؟ قال : فَسِرْتُ حتَّى قَدِمْتُ عليه ؛ فلمَّا كان في اللَّيل دُعيتُ إلى السَّمَر ، فتحدَّث القومُ حتَّى ذَكروا الجواري ، فالتفَت إليَّ يزيدٌ ، وقال : إيه يا عقيلُ ؛ فقلتُ : [من الوافر]

أَفاضَ القَوْمُ في ذِكْرِ الجَواري فأَمَّا الأَعْزَبونَ فَلَنْ يَقُولوا

قال : إنَّك لم تبقَ عَزَباً ؛ فلمَّا رجعتُ إلى منزلي إذا أَنا بخادمٍ قد أَتاني ومعه

= الطثرية . وانظر ديوان بكر بن النطاح (٢٦٠) (ضمن شعراء مقلون) وفي ربيع الأبرار (٤/ ٥٨٩) لأبي تمام .
(١) له في ربيع الأبرار (٤/ ٥٨٩) .
(٢) التذكرة الحمدونية (٢/ ٣٥٠) .
(٣) في أ، ط : عقيل بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ! ! والمثبت من ب والتذكرة .

جاريةٌ وفرشُ بيتٍ وبَدْرَةٌ فيها عشرة آلاف درهم ، وفي اللَّيلة الثَّانية كذلك ، فمكثتُ عشرَ ليالٍ ، وأَنا على هذه الحالة ، فلمَّا رأَيتُ ذلك دخلتُ عليه في اليوم العاشر ، فقلتُ : أَيُّها الأَمير ، قد والله أَغْنَيْتَ وأَقْنَيْتَ ، فإن رأَيتَ أَن تأذنَ لي في الرُّجوع ، فأَكبتَ عَدوِّي وأَسرَّ صَديقي ؛ فقال : إنَّما أُخَيِّرَك بين خلَّتين ، إمَّا أَن تقيمَ فنُوَلِّيك ، أَو ترحلَ فنُغْنيك . فقلت : أَوَلم تُغْنني أَيُّها الأَمير؟ قال : إنَّما هذا أَثاثُ المنزلِ ، ومَصلحةُ القُدوم ؛ فنالني من فَضله ما لا أَقدر على وَصْفِهِ .

● وحدَّثَ[1] أَبو اليقظان عن أَبيه ، قال : حجَّ يزيدُ بن المُهَلَّب ، فطلبَ حلاَّقاً يحلقُ رأسَه ، فجاءه بحلاَّقٍ ، فحلَق رأسَه ، فأَمر له بخمسةِ آلاف درهمٍ ، فَتَحَيَّر الحلاّقُ ودَهشَ ، وقال : آخُذُ هذه الخمسةَ الآلاف وأَمضي إلى أُمِّ فلانٍ أُخبرُها أَنِّي قد استغنيتُ؟ فقال : أَعطوه خمسةَ آلاف أُخرى ، فقال : امرأته طالقٌ إن حلقتُ رأسَ أَحَدٍ بعدَك .

● وقيل[2] : إنَّ الحجَّاج حبسَه على خَراجٍ وَجَبَ عليه ، مقدارُه مئةُ أَلفِ درهمٍ ، فَجُمِعَتْ له ، وهو في السِّجن ، فجاءَه الفرزدقُ يَزورُه ، فقال للحاجب : استأذنْ لي عليه ؛ فقال : إنَّه في مكانٍ لا يُمكنُ الدُّخولُ عليه فيه ؛ فقال الفرزدقُ : إنَّما أَتيتُ مُتَوَجِّعاً لما فيه ، ولم آتِ مُمتدحاً ؛ فأَذنَ له ، فلمَّا أَبصرهُ قال : [من الطويل]

---

(١) وفيات الأعيان (٦/ ٢٨٠) عن ابن عساكر في تاريخ دمشق، وليس في مختصره ترجمة ليزيد ابن المهلب!!.

(٢) وفيات الأعيان (٦/ ٢٧٩) وفيه ـ عن ابن عساكر ـ أن الأبيات للأخطل، وتعقبه ابن خلكان بقوله: والمشهور أن صاحب هذه الواقعة والأبيات هو الفرزدق، ثم إني رأيت هذه الأبيات في ديوان زياد الأعجم، والله أعلم بالصواب.
قلت: الأبيات في ديوان الفرزدق (١/ ١٣٧) (صادر) وانظر ديوان زياد الأعجم (١٨٥) وليس منها في ديوان الأخطل شيء.

أَبا خالد ضاقَتْ خُراسانُ بَعْدَكُمْ وَقالَ ذَوو الحاجاتِ : أَيْنَ يَزيدُ
فَما قَطَرَتْ بالشَّرْقِ بَعْدَكَ قَطْرَةٌ وَلا ٱخْضَرَّ بالمَرْوَيْنِ بَعْدَكَ عُودُ
وَما لِسُرورٍ بَعْدَ عِزِّكَ بَهْجَةٌ وَما لِجَوادٍ بَعْدَ جُودِكَ جُودُ

فقال يزيدُ للحاجب : ادفعْ إليه المِئة أَلف درهم الَّتي جُمعت لنا ، ودع الحجَّاج ولَحمي يفعلُ فيه ما يشاء ؛ فقال الحاجبُ للفرزدقِ : هذا الَّذي خِفْتُ منه لمَّا مَنَعْتُكَ من دُخولك عليه ؛ ثم دَفعها إليه ، فأَخذها وانصرف .

● ومرَّ[1] يزيدُ بن المهلَّب عِند خُروجه من سِجن عُمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه ، بعَجوزٍ أعرابيَّةٍ ، فذَبحت له عَنْزاً ، فقال لابنه معاوية : ما مَعَك من النَّفقة؟ قال : مِئة دينار ؛ قال : ادْفَعها إليها ؛ فقال : هذه يُرضيها اليَسير ، وهي لا تعرفُك ؛ قال : إن كان يُرضيها اليَسير ، فأَنا لا أَرضى إلاَّ بالكثير ، وإن كانت لا تَعرفني فأَنا أعرفُ نفسي .

● وقال[2] مروان بن أَبي الجنوب الشَّاعر : أَمَرَ لي المتوكِّل بمئةٍ وعشرين أَلفاً ، وخَمسين ثوباً ، ورواحلَ كثيرةٍ ، فقلتُ أَبياتاً في شُكره ، فلمَّا بلغتُ قَولي : [من الطويل]

فأَمْسِكْ نَدى كَفَيْكَ عَنِّي وَلا تَزِدْ فَقَدْ خِفْتُ أَنْ أطْغَى وَأَنْ أَتَجَبَّرا

فقال : والله لا أُمسكُ حتَّى أُغْرِقَكَ بجُودي ؛ وأَمر له بِضِياعٍ تُقَوَّمُ بأَلفِ أَلفٍ .

● وقال[3] أَبو العَيناء : تذاكَروا السَّخاء ، فاتَّفقوا على آل المُهَلَّب في الدَّولة المروانيَّة ، وعلى البَرامكة في الدَّولة العباسيَّة ، ثم اتَّفقوا على أَنَّ أَحمدَ بن أَبي

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٥٦٣).
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٥٦٠).
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٥٦٢) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٣٥١).

دُواد أَسخى منهم جَميعاً وأفضل .

● وسئل[1] إسحاق المَوْصِليّ عن سَخاء أولاد يحيى بن خالد ، فقال : أَمَّا الفَضْلُ فَيُرضيك فِعْلُهُ ، وأَمَّا جَعفر ، فَيُرضيك قَوْلُهُ ، وأَمَّا محمَّد فيفعلُ بحسبِ ما يَجِدُ ، [وأَمَّا موسى فيفعلُ ما لا يجدُ] .

● وفي يَحيى يقولُ القائل[2] : [من الطويل]

سَأَلْتَ النَّدى : هَلْ أَنْتَ حُرٌّ؟ فقال : لا ولكنَّنـي عَبْـدٌ لِيَحيـى بـن خـالـدِ
فَقُلْتُ : شِراءً؟ قال : لا بل وِراثَةً تَـوارَثَنـي مِـن وَالـدٍ بَعْـدَ وَالـدِ

● وفي الفَضْل يقولُ القائلُ[3] : [من الطويل]

إذا نَـزَلَ الفَضْـل بـنُ يَحْيَـى بِبَلْـدَةٍ رَأَيْـتُ بِهـا غَيْـثَ السَّمـاحَـةِ يَنْبُتُ
فَلَيْـسَ بِسَعَّـالٍ إذا سِيْـلَ حَـاجَـةً ولا بِمُكبٍّ في ثَرى الأَرْضِ يَنْكُتُ

● وفي محمَّد يقول القائل : [من الطويل]

سَأَلْتُ النَّدى والجُودَ : مالي أَراكُما تَبَـدَّلْتُمـا عِـزّاً بِـذُلٍّ مُـؤَبَّـدِ؟
وَما بالُ رُكْنِ المَجْدِ أَمْسى مُهَدَّماً؟ فَقـالا : أُصِبْنـا بـابـنِ يَحْيَـى محمَّـدِ
فَقُلْـتُ : فَهَـلا مُتُّمَـا بَعْـدَ مَـوْتِـهِ وَقَدْ كُنْتُما عَبْدَيْهِ في كُلِّ مَشْهَدِ؟
فَقـالا : أَقَمْنَـا كَـيْ نُعَـزَّى بِفَقْـدِهِ مَسـافَـةَ يَـوْمٍ ثُـمَّ نَتْلُـوهُ فـي غَـدِ

● وقال[4] **عليُّ بن أَبي طالبٍ** رضي الله تعالى عنه وكرَّم الله وَجْهه : مَن كانت له حاجةٌ فلْيرفَعها إِليَّ في كتابٍ ، لأَصونَ وجهَه عن المسأَلة .

---

(١) نثر الدر (٧/ ١٧٦-١٧٧) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٢٧٩) والقول في الوزراء والكتاب (١٥٣) لإبراهيم الموصلي؛ والزيادة منها .
(٢) بلا نسبة في ثمرات الأوراق (١٤٤) والعقد الفريد (١/ ٢١٨) .
(٣) هما لأبي التَّيَّار الرَّاجز في ربيع الأبرار (٤/ ٥٩٢) .
(٤) مثله لمطرّف بن الشّخّير في سراج الملوك (١/ ٣٨١) .

• وجاءَه[1] رضي الله تعالى عنه أَعرابيٌّ ، فقال : يا أَمير المؤمنين ، إنَّ لي إِليك حاجَةً ، الحياءُ يمنعُني أَن أذكرَها ؛ فقال : خُطَّها في الأَرض ؛ فكتبَ : إنِّي فقيرٌ ؛ فقال : يا قَنْبَر ، اكْسُهُ حُلَّتي ؛ فقال الأعرابيُّ : [من البسيط]

كَسَوْتَني حُلَّةً تَبْلَى مَحاسِنُها ... فَسَوْفَ أَكْسُوكَ مِن حُسْنِ الثَّنا حُلَلا
إنْ نِلْتَ حُسْنَ الثَّنا قَدْ نِلْتَ مَكْرُمَةً ... وَلَيْسَ تَبْغي بما قَدَّمْتَهُ بَدَلا
إنَّ الثَّناء لَيُحيي ذِكْرَ صاحِبِهِ ... كالغَيْثِ يُحيي نَداهُ السَّهْلَ والجَبَلا
لا تَزْهَدِ الدَّهْرَ في عُرْفٍ بَدَأْتَ بِهِ ... كُلُّ امْرِئٍ سَوْفَ يُجْزى بالَّذي فَعَلا

فقال : يا قَنْبَر ، زِدْه مِئة دينار ؛ فقال : يا أَمير المؤمنين ، لو فرَّقْتَها في المسلمين لأَصْلَحْتَ بها من شأنهم ؛ فقال رضي الله تعالى عنه : صَهْ يا قَنْبَر ، فإنِّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ : « اشكُروا لمن أَثنى عليكُم ، وإذا أَتاكم كَريمُ قومٍ فأكرمُوه » .

• ولعبد الله بن جُدعان[2] : [من البسيط]

إنِّي وإنْ لَمْ يَنَلْ مالي مُداخَلَتي ... وَهّابُ ما مَلَكَتْ كَفِّي مِنَ المالِ
لا أَحبِسُ المالَ إلا حَيْثُ أُنْفِقُهُ ... وَلا يُغَيِّرُني حالٌ إِلى حالِ

• وقال[3] بعضُ العرب لولَده : يا بُنَيَّ ، لا تَزْهَدَنَّ في معروفٍ ، فإنَّ الدَّهرَ ذو صُروفٍ ، فكم راغبٍ كان مَرغوباً إليه ، وطالبٍ كان مَطلوباً ما لَديه ، وكنْ كما قال القائلُ : [من الطويل]

وَعُدَّ مِنَ الرَّحْمٰنِ فَضْلاً وَنِعْمَةً ... عَلَيْكَ إذا ما جاءَ لِلْخَيْرِ طالِبُ
وَلا تَمْنَعَنْ ذا حاجَةٍ جاءَ راغِباً ... فإنَّكَ لا تَدْري مَتى أَنْتَ راغِبُ

---

(١) سراج الملوك (١/ ٣٨٠).
(٢) له في ربيع الأبرار (٤/ ٥٥٦).
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٥٧١).

• وقال بعضُهم[(١)] : [من الطويل]

أَبيْتُ خَميصَ البَطْنِ غَرثانَ طاوياً وَأُوْثِـرُ بـالـزَّادِ الـرَّفيـقَ علـى نَفْسـي
وَأَمْنَحُـهُ فَـرْشـي وَأَفْتَـرِشُ الثَّـرى وَأَجْعَلُ سِتْرَ اللَّيْلِ مِن دُونِهِ لُبْسي
حَـذارَ أحـاديـث المحـافِلِ فـي غَـدٍ إذا ضَمَّني يوماً إلى صَدْرِهِ رَمْسي

• وقال[(٢)] يحيى البَرْمَكيّ : أَعْطِ من الدُّنيا وهي مُقبلة ، فإنَّ ذلك لا ينقصُك منها شيئاً ، وأعطِ منها وهي مُدْبِرَةٌ فإنَّ مَنْعَكَ لا يُبقي عليكَ منها شيئاً .

فكان الحسنُ بن سَهْلٍ يتعجَّبُ من ذلك ، ويقولُ : للهِ دَرُّهُ ، ما أَطبَعَهُ على الكَرَم ، وأَعلمَهُ بالدُّنيا .

• وقد أمر يحيى مَن نَظَمَه فقال : [من البسيط]

لا تَبْخَلَـنَّ بِـدُنْيـا وَهْـيَ مُقْبِلَـةٌ فَلَيْسَ يُنْقِصُهـا التَّبْـذيـرُ والسَّـرَفُ
فـإنْ تَـوَلَّـتْ فـأَحْـرى أَن تَجُـودَ بِهـا فَلَيْسَ تَبْقـى وَلكـنْ شُكْـرُهـا خَلَـفُ

• وقال[(٣)] يحيى لولَده جعفر : يا بُنَيّ ، ما دامَ قَلَمُكَ يرعُدُ فأَمطِره مَعروفاً .

• وقال بعضُهم[(٤)] : [من الكامل]

لا تُكْثِـري فـي الجُـودِ لائِمَتـي وإذا بَخِلْـتُ فـأَكْثِـري لَـوْمـي
كُفِّـي فَلَسْـتُ بِحـامِـلٍ أَبَـداً مـا عِشْـتُ هَـمَّ غَـدٍ إلـى يَـوْمـي

• وقال[(٥)] عليٌّ رضي الله تعالى عنه وكرَّم وجهه : لا تَسْتَحْيِ من إعْطاءِ القليل ، فالحرمانُ أَقلُّ منه .

---

(١) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٤/ ٥٦٣).
(٢) بلا نسبة ربيع الأبرار (٤/ ٥٧١) وسراج الملوك (٢/ ٧٧٧) وعيون الأخبار (٣/ ٣٧) وفي التذكرة الحمدونية (٢/ ٢٦٨) للخثعمي.
(٣) التذكرة الحمدونية (٢/ ٢٦٣) ونثر الدر (٥/ ٤٥).
(٤) هما لأحمد بن إبراهيم العبرتائي في ربيع الأبرار (٤/ ٥٦٤).
(٥) ربيع الأبرار (٤/ ٥٧٣).

• وسُئل[1] إسحاق المَوْصِلي عن المخلوع ، فقال : كان أَمْرُهُ كلُّه عَجَباً ؛ كان لا يُبالي أين يقعدُ مع جُلسائه ، وكان عَطاؤه عطاءَ مَن لا يخافُ الفقر ؛ كان عنده سُليمان بن أَبي جعفر يوماً ، فأَراد الرُّجوع إلى أَهله ، فقال له : سَفَرُ البَرِّ أَحَبُّ إليكَ أَمْ سَفَرُ البَحْرِ؟ قال : البَحْرُ أَلْيَنُ عَلَيَّ ؛ فقال : أَوْقِروا له زَوْرَقَهُ ذَهَباً ؛ وأَمر له بأَلْفِ أَلفِ درهمٍ .

• وشكا[2] سعيدُ بن عَمرو بن عُثمان بن عفّان ، موسى شَهوات إلى سُليمان ابن عبد الملِك ، وقال : قد هَجاني يا أَميرَ المؤمنين ؛ فاستحضَرَه سُليمان ، وقال : لا أُمَّ لك ، أَتهجو سَعيداً؟ قال : يا أَميرَ المؤمنين ، أُخبرُك الخبرَ ؛ عَشقتُ جاريةً مَدَنِيَّةً ، وأَتيتُ سَعيداً ، فقلتُ : إنِّي أُحِبُّ هذه الجارية ، وإنَّ مَولاتها أُعْطِيَتْ فيها مِئتي دينار ، وقد أَتيتُك ؛ فقال لي : بُورك فيك ؛ فقال سُليمان : ليس هذا موضعَ بُورك فيك ؛ قال : فأَتيتُ ـ يا أَميرَ المؤمنين ـ سعيدَ ابن خالد ، فذكرتُ له حالي ، فقال : يا جارية ، هاتي مِطْرَفاً ؛ فأَتته بمِطْرَفِ خَزٍّ ، فَصَرَّ لي في كُلِّ زاويةٍ مِئتي دينارٍ ، فخرجتُ وأَنا أَقولُ : [من الطويل]

أَبـا خـالـدٍ أَعْنـي سَعيـدَ بـن خَـالـدٍ ... أَخا العُرْفِ لا أَعْني ابن بِنْتِ سَعيدِ

وَلكنَّنـي أَعنـي ابـنَ عـائِشَـةَ الَّـذي ... أَبـو أَبَـوَيْـهِ خـالـدُ بـنُ أَسِيْـدِ

عَقيدُ النَّدى ما عاشَ يَرْضَى به النَّدى ... فـإنْ مـاتَ لَـمْ يَـرْضَ النَّـدى بِعَقيـدِ

ذَرُوهُ ذَرُوهُ إنَّكُـمْ قَـد رَقَـدْتُـمُ ... وَمـا هُـوَ عَـنْ أَحْسَابِكُـمْ بِـرَقُـودِ

فقال سُليمان : قلْ ما شِئْتَ .

• وكتبَ[3] كُلثوم بن عَمرو إلى بعض الكُرماء رُقعةً فيها : [من البسيط]

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٥٦٤).
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٥٦٦) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٢٩٤) والأغاني (٣/ ٣٥٢).
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٥٧٨).

إذا تكَرَّهْـتَ أَنْ تُعْطي القليـلَ وَلَـمْ ... تَقْـدِرْ على سَعَـةٍ لَـمْ يَظْهَـرِ الجُـودُ
بُـثَّ النَّـوالَ وَلا تَمْنَعْـكَ قِلَّتُـهُ ... فَكُـلُّ مـا سَـدَّ فَقْـراً فَهْـوَ مَحْمـودُ

فشاطَرَهُ مالَه حتَّى بعثَ إليه بنصفِ خاتمه وفَردة نَعْله .

● وباعَ[1] **عبدُ الله بن عُتبة بن مَسعود** أَرضاً بثمانين أَلفاً ، فقيل له : لو اتَّخَذْتَ لولَدِك من هذا المال ذُخراً؟ فقال : بل أَجْعَلُهُ ذُخْراً لي ، وأَجعلُ الله ذُخْراً لِوَلَدي ؛ وقَسَمه بين ذوي الحاجات .

● وكان[2] **[نَهيك] بن مالك القُشَيريّ** من الأَجواد ، قيل : إِنَّه أَنْهَبَ النَّاس مالَهُ بِعُكاظ ثلاثَ مَرّاتٍ ، فعاتَبه خالُه ، فقالَ : [من البسيط]

يا خالُ ذَرْني وَمالي ما فَعَلْتُ بِهِ ... وَخُـذْ نَصيبَـكَ مِنْـهُ إِنَّنـي مُـودي
فَلَـنْ أُطيعَـكَ إِلا أَنْ تُخَلِّـدَنـي ... فانْظُرْ بِكَيْدِكَ هَلْ تَسْطيعُ تَخْليدي
الحَمْـدُ لا يُشْتَـرى إِلا بِمَكْـرُمَـةٍ ... وَلَـنْ أَعيـشَ بِمـالٍ غَيْـرِ مَحْمُـودِ

● وقال[3] المُهَلَّب : عَجبتُ لمن يَشتري المماليكَ بمالِهِ ، كيفَ لا يَشتري الأَحرار بفعاله .

● ونَزَلَ[4] بأَبي البَخْتَريّ وَهْب بن وَهْب القُرشي ضيفٌ ، فسارع عَبيده إِلى إِنزاله ، وخَدموه أَحسن خِدمةٍ ، وفَعلوا بِهِ كُلَّ جميلٍ ، فلمّا هَمَّ بالرَّحيل لم يَقربْهُ أَحَدٌ منهم وتَجَنَّبوه ، فأَنكرَ ذلك عليهم ، فقالوا : نحنُ إِنَّما نُعينُ النّازل على الإِقامة ، ولا نُعينه على الرَّحيل .

---

(1) ربيع الأبرار (٤/ ٥٧٨) والتذكرة الحمدونية (١/ ١٨٤)، وعيون الأخبار (١/ ٣٣٤) وبيان الجاحظ (٣/ ١٤٦).
(2) ربيع الأبرار (٤/ ٥٦٨) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٣١٥).
(3) ربيع الأبرار (٤/ ٥٨٠).
(4) ربيع الأبرار (٤/ ٥٨٠) ومثله لعبد الله بن عامر بن كريز في سراج الملوك (١/ ٣٨٤).

● وَوَفَدَت[1] ليلى الأَخْيَلِيّة على الحجّاج ، فقالَت فيه : [من الطويل]

إذا وَرَدَ الحَجَّـاجُ أَرْضـاً مَـريضَـةً تَتَبَّـعَ أَقْصـى دائِهـا فَشَفـاهـا
شَفاها من الدّاءِ العُضالِ الَّذي بِها غُـلامٌ إذا هَـزَّ القَنـاةَ سَقـاهـا

فقال : لا تَقولي : غُلامٌ ، ولكن قُولي : هُمامٌ ؛ يا غُلامُ أَعْطِها خَمسمئة ؛ فقالت : أَيُّها الأَمير ، اجْعلها نَعَماً ، فجعلها إِبلاً إِناثاً .

● وقال أَبو الفيّاض الطَّبَريّ[2] : [من الكامل]

والعِـزُّ ضَيْـفٌ لا يَـراهُ بِـرَبْعِـهِ مَـن لا يَـرى بَـذْلَ التِّـلادِ تِـلادا
والجُـودُ أَعْلـى كَعْـبَ كَعْـبٍ قَبْلَنـا فَمَضـى جَـواداً يَـوْمَ مـاتَ جَـوادا

● وقال آخر[3] : [من الكامل]

أَيْقَنْـتُ أَنَّ مِـن السَّمـاحِ شَجـاعـةً وَعَلِمْـتُ أَنَّ مِـن السَّمـاحَـةِ جُـودا

● وقال أَحمد بن حَمدون النَّديم : عَمِلَت أُمُّ المستعين بِساطاً على صُورة كلِّ حيوانٍ من جميعِ الأَجناس ، وصورة كلِّ طائرٍ من ذهب ، وأَعينهم[4] يواقيت وجواهر ، أَنفقَت عليه مئة أَلف أَلف دينار وثلاثين أَلف دينار ، وسأَلَتْهُ أَن يقفَ عليه ، وينظرَ إِليه ، فكسلَ ذلك اليوم عن رُؤيته .

قال أَحمد بن حمدون : فقال لي ولأُتْرُجَّة الهاشِمي[5] : اذهبا ، فانظرا

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٥٨٤ـ٥٨٥) والعقد الفريد (١/ ٣٢٢) وأَمالي القالي (١/ ٨٦) والأغاني (١١/ ٢٤٢).

(٢) له في ربيع الأبرار (٤/ ٥٨٥) ويتيمة الدهر (٤/ ٥٤).

(٣) لأبي تمام في ربيع الأبرار (٤/ ٥٨٧) وديوانه (١/ ٤٢٣).

(٤) كذا، والوجه: وأَعينها.

(٥) هو عبد الله بن محمد بن داود الهاشمي، كان شاعراً مدح المستعين. (الوافي بالوفيات ١٧/ ٤٧٣).

إليه ؛ وكان معنا الحاجب ، فمضينا ورأيناه ، فوالله ما رأينا في الدُّنيا شيئاً أَحسنَ منه ، ولا شيئاً حسناً إلا وقد عُمِلَ فيه ، فمددتُ أنا يدي إلى غزالٍ من ذهبٍ عيناه ياقوتتان ، فوضعتُه في كُمِّي ، ثم جِئناه ، فوصَفنا له حُسن ما رأَيناه ، فقال أَتْرُجَّةُ : يا أَمير المؤمنين ، إنَّه قد سَرق منه شيئاً ؛ وغمزه على كُمِّي ، فأَريتُه الغزال ، فقال : بحياتي عليكما ارجعا ، فَخُذا ما أَحببتُما ؛ فمضينا ، فملأْنا أَكْمامَنا وأَقبيتنا وأَقبلنا نمشي كالحَبالى ، فلمّا رآنا ضحك ، فقال بقيَّة الجُلساء : ونحن فما ذَنْبُنا يا أَمير المؤمنين؟ فقال : قوموا ، فخُذوا ما شِئتم ؛ ثم قام ، فوقف على الطَّريق ينظرُ كيف يَحملون ويَضحك .

ونظر يزيدُ المهلَّبيّ سَطْلاً من ذهبٍ مَملوءاً مِسْكاً ، فأَخذه بيده وخرج ، فقال له المستعين : إلى أَين؟ فقال : إلى الحمّام يا أَمير المؤمنين ؛ فضحك من قوله ، وأَمر الفرّاشين والخَدَم أَن ينتهبوا الباقي ، فانتهبوه ؛ فوجَّهَت إليه أُمُّه تقول : سَرَّ الله أَمير المؤمنين ، لقد كنتُ أُحِبُّ أَن يراه قبل أَن يفرِّقه ، فإنَّني أَنفقتُ عليه مئة أَلفِ أَلفٍ وثلاثين أَلف دينار ؛ فقال : يُحمل إليها مثل ذلك حتَّى تُعيد مثله ؛ ففعَلَتْ ، ومضى حتَّى رآه ، وفعلَ به كفعله بالأَوَّلِ .

• ودخل[1] **طلحةُ بن عبد الله بن عوف** السُّوقَ يوماً ، فوافق فيه الفرزدقَ ، فقال : يا أَبا فراس ، اخترْ عشراً من الإِبل ؛ ففعل ، فقال : ضُمَّ إليها مثلها ، فلم يزل يقولُ مثل ذلك حتَّى بلغت مِئة ، فقال : هي لك ، فقال : [من الكامل]

يا طَلْحَ أَنْتَ أَخُو النَّدى وَعَقيدُهُ ... إِنَّ النَّدى ما ماتَ طَلْحَةُ ماتا
إِنَّ النَّدى أَلْقى إِلَيْكَ رِحالَهُ ... فَبِحَيْثُ بِتَّ مِنَ المنازِلِ باتا

• وقَدِمَ[2] زِيادٌ الأَعجمُ على **عبد الله بن الحَشْرَج** بنَيسابُور ، فأَكرمه ، وأَنعم

---

(1) ربيع الأبرار (٤/ ٥٩٣) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٢١٦) ونسب البيتان في التذكرة (٢/ ٣٠٣) والأغاني (١٩/ ١٨٩) إلى عويف القوافي.

(2) ربيع الأبرار (٤/ ٥٩٤) وديوان زياد الأعجم (٧٧).

عليه ، وبعث إليه بألف دينار ، فقال : [من الكامل]

إِنَّ السَّمَاحَةَ والمُروءَةَ والنَّدى   في قُبَّةٍ ضُرِبَتْ على ابْنِ الحَشْرَجِ

فقال : زدني ، فقال : كُلُّ شيءٍ وثَمنه .

• ووفد[1] أبو عطاء السِّنْديّ على **نَصْر بن سَيّار** بخُراسان مع رفيقين له ، فأنزله ، وأحسن إليه ، وقال : ما عندك يا أبا عطاء؟ فقال : وما عسى أن أقول ، وأنت أشعر العرب؟ غير أنّي قُلتُ بيتين ؛ قال : هات ما قلتَ ؛ فقال : [من البسيط]

يا طالبَ الجُودِ إمّا كُنْتَ تَطْلُبُهُ   فاطلُبْ على نأيِهِ نَصْرَ بنَ سَيّارِ

الواهِبُ الخَيْلَ تَعْدو في أَعِنَّتِها   مع القِيانِ وَفيها أَلْفُ دِينارِ

فأعطاه ألف دينار ، ووصائِفَ ، وكساهُ كُسوةً جميلةً ؛ فقَسَم ذلك بين رفيقيه ، ولم يأخذ منه شيئاً ، فبلغ ذلك نَصْراً ، فقال : يا لَهُ ـ قاتَلَهُ اللهُ ـ مِن سَيِّدٍ ، ما أَضْخَمَ قَدْرَه! ثم أمر له بمثله .

• وقال[2] العُتْبيّ : أَشرفَ **عَمرو بن هُبَيْرَة** يوماً من قَصره ، فإذا هو بأعرابيٍّ يُرقلُ قَلوصَه ، فقال عمرو لحاجبه : إن أرادني هذا الأعرابيُّ ، فأَوصله إليَّ ؛ فلمّا وصل الأعرابيُّ سأله الحاجبُ ، فقال : أَردتُ الأَمير ؛ فدخل به إليه ، فلمّا مثلَ بين يديه قال له : ما حاجتُك؟ فأنشد الأعرابيُّ يقول : [من المنسرح]

أَصْلَحَكَ اللهُ قَلَّ ما بِيَدي   وَلا أُطِيقُ العِيالَ إذْ كَثُروا

أَناخَ دَهْري عَلَيَّ كَلْكَلَهُ   فأَرْسَلُوني إليك وانتَظَروا

فأَخَذَتْ عُمَرَ الأَرْيَحيَّةُ ، فجعل يهتزُّ في مَجلسه ، ثم قال : أَرسلوك إليَّ

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٥٩٦) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٣١٦).

(٢) كامل المبرد (١/ ٢٤٦) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٢٧٥) والعقد الفريد (١/ ٣٠٨) والمستجاد (٢٣٦) وثمرات الأوراق (١٥١) وفي الممدوح خلاف بين معن وخالد القسري وابن هبيرة.

وانتظروا؟ إذن واللهِ لا تجلسُ حتّى ترجعَ إليهم ؛ ثم أمر له بألف دينار .

• وقيل[1] : أراد **ابنُ عامرٍ** أن يكتبَ لرجلٍ بخمسين ألف درهم ، فجرى القلم بخمسمئة ألف ، فراجَعه الخازنُ في ذلك ، فقال : أَنفِذْهُ ، فما بقيَ إلا نفاذُه ، وإنَّ خروجَ المال أَحبُّ إليَّ من الاعتذار ؛ فاستَسرفه الخازنُ فقال : إذا أراد الله بعبدٍ خيراً صَرف القلمَ عن مَجرى إرادة كاتبه إلى إرادته ، وأنا أردتُ شيئاً وأراد الجوادُ الكريمُ أن يعطيَ عبدَه عشرةَ أضعافه ، فكانت إرادةُ الله الغالبة ، وأمرُه النّافذَ .

• ووقف[2] أعرابيٌّ على ابن عامر ، فقال : يا قَمَرَ البَصرة ، وشَمْسَ الحجازِ ، ويا ابن ذروة العرب ، وابنَ بَطحاء مكَّة ، بَرَّحَت بي الحاجَةُ ، وأَكْدَت بيَ الآمالُ إلا بفنائك ، فامنَحني بقدر الطَّاقة لا بقدر المَحْتد والشَّرف والهِمَّة ؛ فأمر له بمئتي ألف درهم .

• وسمعَ[3] المأمونُ قولَ عُمارة بن عَقيل : [من الطويل]

أأَتْرُكُ إنْ قَلَّتْ دَراهِمُ خالِدٍ زِيارَتَهُ إنِّي إذاً لَلَئيمُ

فقال : أَوَقَلَّت دراهمُ خالدٍ؟ احملوا إليه مئة ألف درهمٍ ، فبعثَها **خالد بن يحيى**[4] إلى عُمارة بن عَقيل ، وقال : هذه قطرةٌ من سحابك .

• ولمّا[5] عُزل عبدُ الرَّحمن بن الضَّحّاك عن المدينة بَكى ، ثم قال : والله

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٥٩٨) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٣٥٧).
وابن عامر: هو عبد الله بن عامر بن كريز الأموي.
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٥٩٨) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٣٥٨).
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٥٩٩) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٣٥٨) و(٢/ ٣٤٤) وديوان عمارة (٧٥).
(٤) كذا في ب، ط، والخبر ساقط من أ. وفي مصادر الخبر: فعشّرها خالد لعمارة.
وخالد: هو خالد بن يزيد بن مزيد، وليس خالد بن يحيى كما ذُكر أعلاه.
(٥) عيون الأخبار (١/ ٥٦ـ٥٧).

ما بُكائي جَزَعاً من العَزْل ، ولا أَسَفاً على الوِلاية ، ولكن أَخافُ على هذه الوجوهِ أَن يَليَ أمرها مَن لا يعرفُ لها حقّاً .

• وأَراد[1] الرَّشيد أَن يخرجَ إِلى بعضِ المُتَفَرَّجات[2] ، فقال يَحيى بن خالد لِرجاء بن عبد العزيز ـ وكان على نَفَقاته ـ : ما عندَ وُكلائنا من الأَموال؟ قال : سَبعمئة أَلف درهم ؛ قال : فاقبِضْها إِليك يا رجاء .

فلمّا كان من الغد دَخل عليه رجاءُ ، فَقَبَّلَ يَدَه ، وعنده منصور بن زياد ، فلمّا خرج رجاء قال يحيى لمنصور : قد ظننتُ أَنَّ رجاءً تَوَهَّمَ أَنّا قد وَهَبْناهُ المالَ ، وإِنَّما أَمَرناه بقَبضِه من الوكلاء لِيَحْفَظَهُ علينا لحاجتنا إِليه في وَجْهنا هذا ؛ فقال منصور : أَنا أَستخبرُ لك هذا ؛ فقال يحيى : إِذن يقولُ لك : قلْ له يُقَبِّلُ يدي كما قَبَّلْتُ يدَه ، فلا تَقُلْ له شيئاً ، فقد تركتُها له .

• وقيل : إِنَّ الرَّشيدَ وَصَلَ في يومٍ واحدٍ بأَلفِ أَلفٍ وثلاثمئة أَلفٍ وخمسين أَلفاً .

• ووصلَ المنصورُ في يومٍ واحدٍ لبني هاشمٍ ، ووجوهِ قُوّادِهِ بعشرةِ آلافِ أَلفِ دينارٍ ، على ما ذُكر .

• وعن[3] الأَخفشِ الصَّغير قال : كان **أُسَيْد بن عَنقاء الفزاري** من أَكبر أَهل زمانه قَدْراً ، وأَكثرهم أَدَباً ، وأَفصحهم لِساناً ، وأَثبتهم جَناناً ، فطال عُمره ، ونَكَبَهُ دَهره ، فخرجَ عَشِيَّةً يَتَبَقَّلُ لأَهله ، فمرَّ به عُمَيْلَة الفَزاري ، فسلَّمَ عليه ، وقال : ما أَصارك يا عَمِّ إِلى ما أَرى؟ فقال : بُخْلُ مِثْلِكَ بمالِه ، وَصَوْنُ وَجْهي عن مسأَلة النّاس ؛ فقال : والله لَئِنْ بَقيتُ إِلى غدٍ لأُغَيِّرَنَّ ما أَرى من حالِك ؛ فرجعَ ابنُ عنقاء إِلى أَهله ، فأَخبرها بما قال له عُميلة ، فقالت له : لقد غَرَّكَ

---

(١) التذكرة الحمدونية (٢/ ٢٧٨) والبصائر والذخائر (٧/ ٢١)، ونثر الدر (٧/ ١٧٥).
(٢) في مصادر الخبر : إِلى القاطول.
(٣) أمالي القالي (١/ ٢٣٧) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٣٠٦)، وزهر الآداب (٩٥٧) والمستجاد (١٠٤).

كلامُ غُلامٍ في جُنْحِ اللَّيلِ؟ قال : فكأَنَّما أَلْقَمتْ فاهُ حَجَراً ، وباتَ مُتَململاً بين رَجاءٍ ويأسٍ ، فلمَّا كان وقتُ السَّحَر سمعَ رُغاءَ الإبلِ وصَهيلَ الخيل ولجبَ الأموال ، فقال : ما هذا؟ قالوا : عُميلةُ ، قد قَسم ماله شَطْرين ، وبعثَ إِليك بشَطره ؛ فأنشأَ يقولُ : [من الطويل]

رَآني على ما بي عُمَيْلَةُ فاشْتكى إِلى مالِهِ حالي فَواسى وَما هَجَرْ
وَلَمّا رَأى المَجْدَ اسْتُعيرَتْ ثِيابُهُ تَرَدَّى رِداءً سابِغَ الذَّيْلِ وٱتَّزَرْ
غُلامٌ حَباهُ اللهُ بالحُسْنِ يافِعاً لَهُ سيمياءٌ لا تَشُقُّ على البَصَرْ
كَأَنَّ الثُّرَيا عُلِّقَتْ في جَبينِهِ وَفي أَنْفِهِ الشِّعْرى وفي جِيْدِهِ القَمَرْ

● وكان[1] **عُمر بن عُبيد الله بن مَعْمَر التَّيْميّ** من الأَجواد : قيل : إِنَّه كان لرجلٍ جاريةٌ يهواها ، فاحتاجَ إِلى بَيْعها ، فابتاعَها منه ابنُ مَعْمَر بمالٍ جزيلٍ ، فلمّا قبضَ ثمنها أَنشأَت تقول : [من الطويل]

هَنيئاً لَكَ المالُ الَّذي قَدْ قَبَضْتَهُ وَلَمْ يَبْقَ في كَفَّيَّ غَيْرُ التَّحَسُّرِ
أَبوءُ بِحُزْنٍ من فِراقِكَ مُوجِعٍ أُناجي بِهِ صَدْراً طَويلَ التفكُّرِ

فَأَجابَها بقَوله : [من الطويل]

وَلولا قُعودُ الدَّهْرِ بي عَنْكِ لَمْ يَكُنْ يُفَرِّقُنا شَيْءٌ سِوى المَوْتُ فاعْذري
عَلَيْكِ سَلامٌ لا زِيارَةَ بَيْنَنا وَلا وَصْلَ إِلاَّ أَنْ يَشاءَ ابنُ مَعْمَرِ

فقال ابن مَعْمَر : قد شئتُ ، وقد وَهَبْتُكَ الجارية وثَمَنَها ، فَخُذها وانصرف .

● ووفَدَ[2] أَبو الشَّمَقْمَق إِلى جُند يسابور يريد **محمد بن عبد السَّلام** ، فلمّا

---

(١) الأغاني (١٥/ ٣٨٩) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٣٤٧) والمستجاد (١٦٠-١٦٢) وثمرات الأوراق (٢٦١).

(٢) التذكرة الحمدونية (٢/ ٣٥٢).

دخلها توجَّه إلى منزله ، فوجدَه في دار الخَراج يطالَبُ ، فدخل عليه يتوجَّع له ، فلمّا رآه محمَّد قال : [من الكامل]

وَلَقَدْ قَدِمْتَ على رِجالٍ طالَما قَدِمَ الرِّجالُ عَلَيْهِمُ فَتَمَوَّلُوا
أَخْنى الزَّمانُ عليهمُ فَكَأَنَّما كانُوا بأَرْضٍ أَقْفَرَتْ فَتَحَوَّلوا

فقال أَبو الشَّمَقْمَق[1] : [من الكامل]

الجُودُ أَفْلَسَهُمْ وأَذْهَبَ مالَهُمْ فاليَوْمَ إن رَاموا السَّماحَ تَجَمَّلوا[2]

قال : فخلَع محمَّدٌ ثوبه وخاتمه ودفعهما إليه ، فكتبَ بذلك مُستوفي الخراج إلى الخليفة ، فوقَّعَ إلى عامله بإسقاط الخراج عن محمَّد بن عبد السَّلام في تلك السَّنة ، وإسقاط ما عليه من البقايا ، وأمر له بمئة أَلف درهم مَعونة على مُروءته .

● وقال[3] أَبو العَيْناء : حَصَلَتْ لي ضِيقَةٌ شَديدةٌ ، فكتمتُها عن أَصدقائي ، فدخلت يوماً على يحيى بن أكثم القاضي ، فقال : إنَّ أَمير المؤمنين جلسَ للمظالمِ ، وأَخذ القِصص ، فهل لكَ في الحضور؟ قلت : نعم ؛ فمضيتُ معه إلى دار أَمير المؤمنين ، فلمّا دخلنا عليه أَجلسه وأَجلسني ، ثم قال : يا أَبا العَيْناء ، بالأُلْفَةِ والمحبَّةِ ، ما الَّذي جاء بكَ في هذه السَّاعة؟ فأَنشدتُهُ : [من البسيط]

لَقَدْ رَجَوْتُكَ دُونَ النَّاسِ كُلِّهِمُ وَلِلرَّجاءِ حُقوقٌ كُلُّها تَجِبُ
إنْ لَمْ يَكُنْ لِيَ أَسْبابٌ أَعيشُ بِها فَفي العُلا لَكَ أَخْلاقٌ هِيَ السَّبَبُ

فقال : يا سَلامة ، انْظر أَيَّ شيءٍ في بيت مالنا دون مال المسلمين ؛ فقال :

---

(١) ديوانه (١٤٥ ضمن شعراء عباسيون لغرونباوم) .
(٢) في ط والديوان : × . . . إن راموا السّماحة يبخلوا .
والمثبت من أ ، ب والتذكرة .
(٣) التذكرة الحمدونية (٢/ ٣٥٤) .

بقيَّةٌ من مالٍ ؛ قال : فادفعْ له منها مِئة أَلف درهم ، وابعث له بمثلها في كلِّ شَهر ؛ فلمّا كان بعد أحد عشر شهراً مات المأمون ، فبكى عليه أبو العيناء ، حتَّى تَقرَّحت أَجفانُه ؛ فدخل عليه بعض أَولاده ، فقال : يا أَبتاه ، بعد ذهاب العين ماذا ينفعُ البكاء؟ فأَنشأَ أَبو العيناء يقول[1] : [من الكامل]

شَيْئان لَوْ بَكَتِ الدِّماءَ عَلَيْهِما ... عَيْنايَ حتَّى يُؤْذَنا بِذَهابِ

لَمْ يَبْلُغا المِعْشارَ مِن حَقَّيْهِما ... فَقْدُ الشَّبابِ وَفُرْقَةُ الأَحبابِ

• وكان[2] **أَحمدُ بن طُولون** كثيرَ الصَّدقة ، وكان راتبُه منها في الشَّهر أَلفَ دينار سوى ما يَطرأ عليه من نَذْرٍ أَو صِلَةٍ ، وسوى ما يُطبخُ في دار الصَّدَقَة ؛ وكان الْمُوكَّلُ بصَدقته سُليم الخادم ، فقال له سُليم يوماً : أَيُّها الأَمير ، إِنِّي أَطوف القبائل ، وأَدقُّ الأَبوابَ لصَدقاتك ، وإِنَّ اليدَ تُمَدُّ إِليَّ ، وفيها الحِنّاءُ ، ورُبَّما كان فيها الخاتمُ الذَّهبُ والسِّوارُ الذَّهبُ أَفأُعطي أَم أَردُّ؟ قال : فأَطرق طويلاً ، ثم قال : **كُلُّ يدٍ امتدَّت إِليك فلا تردَّها** .

• وقال[3] سَلَمَة بن عيّاش في جعفر بن سُليمان : [من الطويل]

وَما شَمَّ أَنْفي رِيْحَ كَفٍّ شَمَمْتُها ... مِنَ النَّاسِ إِلا رِيْحُ كَفِّك أَطْيَبُ

فأَمر له بأَلف دينار ، ومئة مثقالِ مِسْكٍ ، ومئة مثقالِ عَنْبَرٍ .

• وكان[4] **عبدُ العزيزِ بن مروان** جواداً مضيافاً ، فتغدَّى عنده أَعرابيٌّ يوماً ، فلمّا كان من الغد مرَّ على بابه ، فرأى النَّاس في الدُّخول على هيئتهم الأمس ،

---

(١) البيتان بلا نسبة في مختصر تاريخ دمشق (٢١/ ٢٧٣).

(٢) التذكرة الحمدونية (٢/ ٣٥٤).

(٣) التذكرة الحمدونية (٢/ ٣٥٦).

(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٤٢١) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٣٥٧) وفي الأصول: عبد العزيز بن عبد الله! والمثبت من مصادره.

فقال : أَوكلَّ يوم يطعم الأمير النّاس؟ قالوا : نعم ، فأَنشأَ يقول : [من الخفيف]

كُلُّ يَوْمٍ كأَنَّهُ عِيْدُ أَضْحى عِنْدَ عَبْدِ العزيزِ أَوْ عِيْدُ فِطْرِ
وَلَهُ أَلْفُ جَفْنَةٍ مُتْرَعاتٍ كُلُّ قِدْرٍ يَمُدُّها أَلْفُ قِدْرِ

• وتَعَشَّى[1] النَّاسُ ليلةً **عند سعيد بن العاص** ، فلمّا خَرجوا بقيَ فتىً من الشّام قاعداً ، فقال له سعيدٌ : أَلَكَ حاجةٌ؟ وأَطفأَ الشَّمعةَ كراهةَ أَن يخجلَ الفتى ، فذكر أَنَّ أَباه مات ، وخَلَّفَ دَيْناً وعِيالاً ، وسأَله أَن يكتبَ له كتاباً إِلى أَهل دمشق ليقوموا ببعض إِصلاح حاله ، فدفعَ له عشرةَ آلاف دينار ، وقال له : لا أَدَعُكَ تُقاسي الذُّلَّ على أَبوابهم .

• ودخل رجلٌ على **ابنِ سُليمان** الوزير[2] ، فقال له : سأَلتُك باللهِ العظيم ونَبِيِّه الكريم إِلا ما أَجرْتَني من خَصْمي ؛ فقال : ومَن خَصْمُكَ حتَّى أُجيرَك منه؟ فقال : الفقر ؛ فأَطرق الوزيرُ ساعةً ، وقال : قد أَمرتُ لك بمئة أَلف درهم ؛ فأَخذها وانصرفَ . فبينما هو في الطَّريق إِذ أَمرَ الوزيرُ بِرَدِّهِ إِليه ، فلمَّا رجعَ قال له : سأَلتُك باللهِ العظيمِ ونبيِّه الكريم متى أَتاك خصمُك مُعَنِّفاً ، فارجعْ إِلينا مُتَظَلِّماً .

• وقال الأَعمش : كانت عِندي شاةٌ ، فمَرضت ، وفقدَت الصِّبيانُ لَبَنَها ، فكان خَيْثَمة بن عبد الرَّحمن يَعودُها بالغَداة والعَشِيِّ ، ويَسأَلني : هل اسْتَوْفَت عَلَفَها؟ وكَيْفَ صَبْرُ الصِّبيان منذ فَقدوا لَبنها؟ وكانت تَحتي لِبْدٌ أَجلسُ عليه ، فكان إِذا خرجَ يقول : خُذْ ما تحتَ اللِّبْدِ ؛ حتَّى وصلَ من عِلَّة الشَّاةِ أَكثرُ من ثلاثمئة دينار من بِرِّهِ ، حتَّى تمنَّيتُ أَنَّ الشّاةَ لم تبرأ .

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٥٩٨ـ٥٩٩) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٣٥٨) والعقد الفريد (١/ ٣٠٠) والفرج بعد الشدة (٣/ ٢٨٣).

(٢) هو عبيد الله بن سليمان بن وهب، أبو القاسم الكاتب، ولي الوزارة للمعتضد، توفي سنة ٢٨٨هـ (الوافي بالوفيات ١٩/ ٣٧٣).

• **وحكى** أَبو قُدامة القُشَيريّ ، قال : كُنّا مع **يزيد بن مَزْيَد** يوماً ، فسمعَ صائِحاً يقول : يا يَزيد بنَ مَزْيد ؛ فطلَبه فأُتي بهِ إليهم فقال : ما حَمَلَك على هذا الصِّياح؟ قال : فَقَدْتُ دابّتي ، وَنَفَدَتْ نَفَقَتي ، وسَمعتُ قول الشّاعر : [من الطويل]

إذا قيلَ مَنْ لِلْجُودِ والمَجْدِ والنَّدى ... فَنادِ بِصَوْتٍ : يا يَزيدَ بْنَ مَزْيَدِ

فأَمرَ له بِفَرَسٍ أَبْلَقَ كان مُعْجَباً به ، وبمئة دينار ، وخِلْعَةٍ سَنِيَّةٍ ؛ فأَخذها وانصرف .

• **وحُكي**[(١)] أَنَّ قوماً من العرب جاؤوا إلى قبر بعضِ أَسخيائهم[(٢)] يزورونه فباتوا عند قَبره ، فرأى رجلٌ[(٣)] منهم صاحبَ القبر في المنام وهو يقولُ له : هل لكَ أن تبيعَني بعِيرَك بنَجيبي؟ ـ وكان الميِّتُ قد خلَّفَ نَجيباً ، وكان للرَّائي بعيرٌ سَمينٌ ـ فقال : نعم ؛ وباعَه في النَّوم بعيرَه بنجيبه ، فلمّا وقعَ بينهما عَقْدُ البيعِ عمدَ صاحبُ القبرِ إلى البعيرِ ، فنحَره في النَّوم ، فانتبه الرّائي من نَومه ، فوجَد الدَّم يسيحُ من نَحر بعيره ، فقام وأَتَمَّ نَحْرَهُ ، وقطَّعَ لحمَه وطبخوه وأَكلوا ، ثم رحلوا وساروا ، فلمّا كان اليوم الثّاني وَهُم في الطَّريق سائِرون استقبلَهم رَكْبٌ ، فتقدَّم منهم شابٌّ ، فنادى : هل فيكم فلان ابن فلان؟ فقال صاحبُ البعير : نعم ، ها أَنا فلان ابن فلان ؛ فقال : هل بعتَ من فلان الميِّت شيئاً؟ قال : نعم ، بعتُه بَعيري بنجيبه في النَّوم ؛ فقال : هذا نَجيبُه ، فَخُذْهُ ، وأَنا وَلده ، وقد رأَيتُه في النّوم ، وهو يقول : إن كنتَ ولدي ، فادفع نَجيبي إلى فلان .

فانظرْ إلى هذا الرَّجل الكريم كيفَ أَكرم أَضيافه بعد موته .

• **ورُوي**[(٤)] عن الهيثم بن عَدِيٍّ ، أَنّه قال : تَمارى ثلاثةُ نَفَرٍ في الأَجواد ،

---

(١) المنتقى من مكارم الأخلاق (١٤٣) والمستجاد (٧٢) والموفقيات (٤٠٩) ومختصر تاريخ دمشق (٦/ ١٤٢) والأغاني (١٧/ ٣٧٤) وديوان حاتم (١٦٦) .

(٢) هو حاتم الطائي .

(٣) هو أبو الخيبري ، وكان مستهزئاً .

(٤) المستجاد (١٢٥) وثمرات الأوراق (١١٤) .

فقال رجلٌ : أَسخى النّاس في عَصرنا هذا عبدُ الله بن جعفر ؛ فقال الآخر : أَسخى النّاس قيسُ بن سَعد بن عُبادة ؛ فقال الآخر : بل أَسخى النّاس اليومَ عَرابةُ الأَوْسيّ ؛ فتنازعوا بِفناء الكعبة ، فقال لهم رجلٌ : لقد أَفرطتم في الكلام ، فلْيَمْضِ كلُّ واحدٍ منكم إِلى صاحبه يسأَله حتَّى ننظرَ بما يعودُ ، فنحكمَ على العيان ؛ فقامَ صاحبُ ابن جعفرٍ فوافاهُ ، وقد وضعَ رِجْلَهُ في ركابِ راحلته يريدُ ضَيعةً له ، فقال الرَّجلُ : يا ابنَ عمِّ رسول الله ﷺ ، ابنُ سبيلٍ ومُنقطعٌ به ؛ قال : فأَخرج رِجْلَهُ ، وقال : ضَعْ رِجلك واسْتَوِ على النّاقة ، وخُذْ ما في الحَقيبة ، وكان فيها مَطارف خَزٍّ وأَربعة آلاف دينار .

ومضى صاحبُ قيس ، فوجدَه نائماً فقالت له جاريةٌ لقيس : ما حاجتُك؟ فقال : ابنُ سَبيلٍ ومُنقطعٌ به ؛ فقالت له الجاريةُ : حاجتُك أَهونُ من إِيقاظه ؛ هذا كيسٌ فيه سبعمئة دينار ، ما في دار قيسٍ اليومَ غيرُها ، وامضِ إِلى مَعاطن الإِبل ، فخُذْ راحلةً من رواحله ، وما يُصْلِحُها ، وعَبْداً ، وامضِ لشَأْنك .

قيل : إِنَّ قيساً لمَّا انتبه أَخبرَتْهُ الجاريةُ بما صَنَعَتْ ، فأَعْتَقها ، ولو لم تَعلم أَنَّ ذلك يُرضيه ما جَسَرَتْ أَن تفعلَه ، فَخُلُقُ خَدَمِ الرَّجُلِ مقتبسٌ من خُلُقِهِ .

قال بعض الشُّعراء : [من الخفيف]

وإِذا ما اخْتَبَرْتَ ودَّ صَديقٍ ... فاخْتَبِرْ وُدَّهُ من الغِلْمانِ

ومضى صاحبُ عَرابة ، فوجدَه قد خرج من مَنزله يريدُ الصَّلاة ، فقال : يا عَرابة ، ابنُ سَبيلٍ ومُنقطعٌ به ؛ وكان معه عَبْدان ، فصفَّق بيده اليُمنى على اليُسرى ، وقال : أَوّاهُ أَوّاهُ ، والله ما أَصبحَ ولا أَمسىٰ اللَّيلةَ عند عَرابةَ شيءٌ ، ولا تركَتْ له الحقوقُ مالاً ، ولكن خُذْ هذين العبدين ؛ فقال الرَّجل : والله ما كنتُ بالَّذي يَسْلُبُكَ عَبْدَيْك ؛ فقال : إِنْ أَخَذْتَهُما ، وإِلا فهما حُرّان لوجهِ الله تعالى ، فإِن شئتَ [فَخُذْ وإِن شئتَ] فأَعتقْ ؛ فأَخذَ الرَّجل العبدين ومضى .

ثم اجتمعوا وذَكَروا قِصَّةَ كُلِّ واحدٍ، فحكَموا لعرابةَ، لأَنَّه أَعطى على جهدٍ.

• قيلَ إِنَّ شاعراً قصَد خالد بن يَزيد، فأَنشده شعراً يقول فيه[1] : [من الطويل]

سَأَلْتُ النَّدى والجُودَ : حُرّان أَنْتُما؟ فَقــالا : يَقيناً إِنَّنــا لَعَبيــدُ
فَقُلْـتُ : وَمَـنْ مَـولاكُما؟ فَتَطاولا إِلَـيَّ وَقـالا : خـالِـدٌ وَيَـزيـدُ

فقال : يا غلام، أَعطه مِئة أَلف درهم؛ وقل له : إِنْ زِدْتنا زِدْناك؛ فأَنشدَ يقول[2] : [من الطويل]

كَـريـمٌ كَـريـمُ الأُمَّهـاتِ مُهَـذَّبُ تَـدَفَّـقُ يُمْنـاهُ النَّـدى وَشَمـائِلُـهْ
هُـوَ البَحْـرُ مِـن أَيِّ الجِهـات أَتَيْتَـهُ فَلُجتُـهُ المَعـروفُ وَالجُـودُ ساحِلُـهْ
تَعَـوَّدَ بَسْـطَ الكَـفِّ حتَّـى لَـو أَنَّـهُ دَعـاهـا لِقَبْـضٍ لَـمْ تُجِبْـهُ أَنـامِلُـهْ

فقال : يا غُلام، أَعطه مئة أَلف درهم، وقل له : إِن زِدْتَنا زِدْناك؛ فأَنشدَ يقول[3] : [من الطويل]

تَبَرَّعْتَ لي بالجُودِ حتَّى نَعَشْتَني وأَعْطَيْتَنـي حتَّـى حَسِبْتُـكَ تَلْعَـبُ
وَأَنْبَتَّ ريشاً في الجَناحَيْنِ بَعْدَما تَساقَطَ مِنِّي الرِّيشُ أَو كادَ يَذْهَبُ
فأَنْتَ النَّدى وابنُ النَّدى وأَخو النَّدى حَليفُ النَّدى ما لِلنَّدى عَنْكَ مَذْهَبُ

فقال : يا غُلام، أَعطه مئة أَلف درهم، وقل له : إِن زِدْتنا زِدْناك؛ فقال : حسبُ الأَمير ما سَمع، وحَسبي ما أَخذتُ؛ وانصرفَ.

---

(١) البيتان لرجلٍ يمدح خالد بن يزيد بن معاوية، في مختصر تاريخ دمشق (٨/ ٣٦)، ومعجم الأدباء (٣/ ١٢٣٩) بقافية مكسورة، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٨٢).
(٢) الأبيات من الشعر المتنازع، وقد مضى تخريج بعضها قريباً.
(٣) الأول والثالث لأعرابي يمدح خالداً القسري في الفوائد والأخبار لابن دريد (ضمن نوادر الرسائل) (٢٦) ووفيات الأعيان (٢/ ٢٢٧) ومختصر تاريخ دمشق (٧/ ٣٧٩).

وأَمّا الَّذين انتهى إليهم الجُودُ في الجاهليَّة[1]

- **فهم : حاتمُ بن عبد الله الطّائي ، وهَرِمُ بن سِنان ، وخالدُ بن عُبيد الله[2] ، وكعبُ بن مامة الإِيادي .**
- وضُرب المثلُ بحاتمٍ وكعبٍ ، وحاتمُ أَشهرُهما .
- فأَمّا كعبٌ ، فجادَ بنَفسه ، وآثَرَ رفيقَه بالماء في المفازة ، ومات عطشاً ، وليس له خبرٌ مشهور .
- وأَمّا خالد بن عُبيد الله[2] ، فإنَّه جاءَ إليه بعضُ الشُّعراء ورِجْلُهُ في الرِّكاب يريدُ الغزوَ ، فقال له : إِنِّي قلتُ فيك بيتين من الشِّعر ؛ فقال : في مثل هذا الحال؟ قال : نعم ؛ فقال : هاتِهما ؛ فأَنشده يقول : [من مجزوء الكامل] .

يـا واحِـدَ العَـرَبِ الَّـذي ... مـا فـي الأَنـامِ لَـهُ نَظيْـرُ
لَـوْ كـانَ مِثْلُـكَ آخَـرٌ ... ما كـانَ فـي الـدُّنْيا فَقيـرُ

فقال : يا غُلام ، أَعْطِهِ عشرينَ أَلف دينار ؛ فأَخذهما وانصرف .

- وأَمّا حاتم ، فأَخبارُه كثيرةٌ ، وآثارُه في الجود شهيرةٌ ، ويُكنى أَبا سفّانة ، وأَبا عَدِيّ ؛ وكان يسيرُ في قومه بالمِرباع[3] ، والمِرباعُ : رُبْعُ الغَنيمة .
- وكان ولدُه عَدِيٌّ[4] يُعادي النَّبيَّ ﷺ ، فبعث النَّبي ﷺ عَلِيّاً إلى طَيِّءٍ ، فهربَ عَدِيٌّ بأَهله وَوَلده ، ولَحِقَ بالشّام ، وخلَّفَ أُخته سفّانة ، فأَسَرَتْها خيلُ رسول الله ﷺ ، فلمّا أُتيَ بها إلى النَّبيِّ ﷺ قالت[5] : يا محمَّد ، هَلَكَ الوالِدُ ،

---

(١) التذكرة الحمدونية (٢/ ٢٨٩) والعقد الفريد (١/ ٢٨٧) وثمرات الأوراق (١٤٤) .
(٢) أقحم المؤلف هذا الاسم فيما بعد ، فليس له وجود في مصادر الخبر ، ولا في نسختي أ ، ب . وأَظنه خالد بن عبد الله القسري ، فإذا كان كذلك فهو من أجواد الإسلام ، وليس هذا مكانه .
(٣) كان عديّ بن حاتم هو الذي يسير في قومه بالمرباع وليس أباه . (مختصر تاريخ دمشق ١٦/ ٢٩٥) .
(٤) انظر أخبار عدي بن حاتم في : تاريخ دمشق (٤٧/ ٦٥) ومختصره (١٦/ ٢٩٣) وكتب الصحابة .
(٥) الأغاني (١٧/ ٣٦٤) .

وغابَ الرافدُ ؛ فإن رأيتَ أَن تخلِّيَ عنِّي ، ولا تُشْمِتْ بيَ أَحياءَ العرب ، فإِنَّ أَبي كان سَيِّدَ قومه ؛ يَفُكُّ العاني ، ويَقتلُ الجاني ، ويَحفظُ الجار ، ويَحمي الذِّمار، ويُفَرِّجُ عن المكروب، ويُطعم الطَّعام، ويُفشي السَّلام، ويَحملُ الكَلَّ، ويُعين على نَوائب الدَّهر؛ وما أَتاهُ أَحدٌ في حاجةٍ فردَّهُ خائباً؛ أَنا بنتُ حاتم الطَّائيِّ؛ فقال لها النَّبيُّ ﷺ: «يا جاريةُ، هذه صِفاتُ المؤمنين حقّاً، لو كان أَبوكِ مُسْلِماً لَتَرَحَّمْنا عليه؛ خَلُّوا عنها، فإِنَّ أَباها كان يحبُّ مكارمَ الأخلاق».

وقال فيها : « ارحموا عَزيزاً ذَلَّ وغَنيّاً افتقر ، وعالِماً ضاعَ بين جهّال » . فأَطلقَها ومَنَّ عليها ، فاستأْذَنَتْهُ في الدُّعاء له ، فأَذن لها ، وقال لأَصحابه : « اسمعوا وَعُوا » فقالت : أَصاب الله بِبرِّكَ مواقِعَه ، ولا جعلَ لك إِلى لئيمٍ حاجةً ، ولا سلبَ نِعمةً عن كريمِ قومٍ إِلا وَجَعَلَكَ سَبباً في رَدِّها عليه .

فلمّا أَطلقها ﷺ رجعَت إِلى قَومها ، فأَتت أَخاها عَدِيّاً وهو بدُومة الجندلِ ، فقالت له : يا أَخي ، ائْتِ هذا الرَّجلَ قبل أَن تعلقَك حَبائلُه ، فإِنِّي قد رأَيتُ هَدْياً ورَأْياً سيغلبُ أَهل الغَلَبَةِ ، رأَيتُ خِصالاً تُعجبني ، رأَيتُه يحبُّ الفقيرَ ، ويفكُّ الأَسير ، ويَرحمُ الصَّغير ، ويعرفُ قدرَ الكبير ؛ وما رأَيتُ أَجودَ ولا أَكرمَ منه ﷺ . وإِنِّي أَرى أَن تلحقَ به ، فإِن يكُ نَبيّاً فلِلسّابق فَضْلُهُ ، وإِن يكُ مَلِكاً فلن تذل في عِزِّ اليمن .

فقدمَ عديٌّ إِلى النَّبيِّ ﷺ فأَلقى له وسادةً مَحْشُوَّةً لِيفاً ، وجلس النَّبيُّ ﷺ على الأَرض ، فأَسلمَ عَديُّ بن حاتم ، وأَسلمت أُخته سفّانة بنت حاتم المتقدِّم ذِكرها ، وكانت من أَجود نِساء العربِ ، وكان أَبوها يُعطيها الصَّريمَةَ

من إِبله ، فَتهبُها وتُعطيها النّاس ، فقال لها أَبوها : يا بُنَيَّةُ ، إِنَّ الكريمين إِذا اجتمعا في المال أَتلفاه ، فإِمَّا أَن أُعطي وتُمسكي ، وإِمَّا أَن أُمسكَ وتُعطي ، فإِنَّه لا يبقى على هذا شيءٌ ، فقالت له : منكَ تعلَّمتُ مكارم الأَخلاق .

• قال ابنُ الأَعرابيِّ[1] : كان حاتمُ الطَّائيُّ من شُعراء الجاهليَّة ، وكان جَواداً يشبهُ جُودُه شِعْرَهُ ، ويُصَدِّقُ قولُه فِعْلَه ، وكان حيثُما نَزَلَ عُرِفَ مَنزله ، وكان مُظَفَّراً ؛ إِذا قاتَلَ غَلَبَ ، وإِذا سُئِلَ وَهَبَ ، وإِذا سابقَ سَبَقَ ، وإِذا أَسَرَ أَطْلَقَ ؛ وكان إِذا أَهَلَّ رجبُ الَّذي كانت تُعَظِّمُهُ مُضَر في الجاهليَّة نَحَرَ كلَّ يومٍ عَشْراً من الإِبل وأَطعم النّاس ؛ واجتمعوا إِليه .

وكان قد تزوَّجَ ماوِيَّة بنت عَفزر ، وكانت تلومُه على إِتلاف المال ، فلا يلتفت لِقولها .

وكان لهُ ابنُ عَمٍّ يُقال له : مالك ، فقال لها يوماً : ما تَصنعين بحاتم ، فوالله لئن وَجَدَ مالاً لَيُتْلِفَنَّهُ ، وإِن لم يجدْ لَيَتكَلَّفَنَّ ، ولَئِنْ ماتَ لَيَتْرُكَنَّ أَولاداً عالةً على قومِك ؛ فقالت ماوِيَّةُ : صدقتَ ، إِنَّه كذلك .

وكانت النِّساءُ يُطَلِّقْنَ الرِّجال في الجاهليَّة ، وكان طلاقُهُنَّ أَن يَكُنَّ في بُيوتٍ من شَعَرٍ ، فإِن كان بابُ البيتِ من قِبَلِ المشرق حَوَّلَتْهُ إِلى المغربِ ، وإِن كان من قِبَلِ المغرب حَوَّلَتْهُ إِلى المشرق ، وإِن كان من قِبَلِ اليمن حَوَّلته إِلى الشّام ، وإِن كان من قِبَلِ الشّام حَوَّلَتْهُ إِلى اليمن ، فإِذا رأَى الرَّجُلُ ذلك عَلِمَ أَنَّها طَلَّقَتْهُ ، فلم يأتِها ، ثم قال لها ابنُ عمِّه : طلِّقي حاتِماً وأَنا أَتزوَّجُك ، وأَنا خيرٌ لك مِنه ، وأَكثرُ مالاً ، وأَنا أُمسكُ عليك وعلى وَلدك ؛ فلم يزلْ بها حتَّى

---

(١) انظر أخبار حاتم في: الأغاني (١٧/ ٣٦٣) وثمار القلوب (١/ ١٨٧) والموفقيات (٤٠٣) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٢٨٩) ومجمع الأمثال (١/ ١٨٢) ومختصر تاريخ دمشق (٦/ ١٣٨) وشرح ديوانه.

طلَّقَتْهُ ، فأَتاها حاتمٌ وقد حوَّلَتْ باب الخِباء ، فقال حاتم لولده : يا عَدِيُّ ، ما تَرى ما فعَلَتْ أُمُّكَ؟ فقال : قد رأَيتُ ذلك . قال : فأَخذَ ابنَه وهبَط بطنَ وادٍ ، فنزلَ فيه ، فجاءَه قومٌ ، فنزلوا على باب الخِباءِ كما كانوا يَنزلون ، وكان عدَّتُهم خَمسين فارساً ، فضاقَت بهم ماوِيَّة ذَرْعاً ، وقالت لجاريتها : اذهَبي إلى مالكٍ ، وقولي له : إنَّ أَضيافاً لحاتم قد نزلوا بنا وهم خَمسون رجلاً ، فأَرسلْ إلينا بشيءٍ نَقريهم ولَبَنٍ نَسقيهم ؛ وقالت لها : انظُري إلى جَبينه وفَمه ، فإن شافَهك بالمعروفِ فاقبَلي منه ، وإن ضربَ بلحيته على زَوْرِهِ ، ولَطَمَ رأسَه ، فاقفُلي ودَعيه ؛ فلمّا أَتته وجدَته مُتَوَسِّداً وَطْباً من لَبَنٍ ، فأَيقظَتْه وأَبلَغته الرِّسالة وقالت له : إنَّما هي اللَّيلةُ حتَّى يعلمَ النَّاسُ مكانَ حاتم ، فلطَم رأسَهُ بيده وضَرب بِلِحيته ، وقال : أَقرئيها السَّلام ، وقُولي لها : هذا الَّذي أَمرتُكِ أَن تُطلِّقي حاتماً لأجله ، وما عندي لَبَنٌ يكفي أَضيافَ حاتم .

فرجَعت الجاريةُ ، فأَخبرَتْها بما رأَت وبما قال لها ، فقالت لها : اذهبي إلى حاتم وقولي له : إنَّ أَضيافَك قد نزلوا بنا اللَّيلة ، ولم يعلَموا مَكانك ، فأَرسل إلينا بناقةٍ نَقريهم ولبنٍ نَسقيهم ؛ فأَتت الجاريةُ حاتماً ، فصاحَت به ، فقال : لَبَّيْكِ ، قَريباً دَعَوْتِ ؛ فأَخبرتْهُ بما جاءت بسببه ، فقال لها : حُبّاً وكرامةً ؛ ثم قام إلى الإبِل ، فأَطلق اثنين من عِقالهما ، وصاحَ بهما حتّى أَتيا الخِباء ، ثم ضرب عَراقيبهما ، فطفقَت ماوِيَّةُ تَصيح : هذا الَّذي طَلَّقْتُكَ بسببه ؛ نترك أَولادنا وليس لهم شيءٌ ، فقال لها : ويحَكِ يا ماوِيَّةُ ، الَّذي خلقَهم وخلقَ الخَلْقَ مُتكَفِّلٌ بأَرزاقهم .

وكان إذا اشتدَّ البَرْدُ وغَلب الشِّتاءُ ، أَمَرَ غِلْمانَهُ بنارٍ فَيُوقدونَها في يفاعٍ من الأَرض ، لينظرَ إليها مَن ضَلَّ عن الطَّريق ليلاً ، فيقصدَها ، ولم يكن حاتمٌ يُمسكُ شيئاً ما عدا فَرسه وسلاحه ، فإنَّه كان لا يجودُ بهما ، ثم جادَ بفرسه في سَنةٍ مُجدبةٍ .

● حُكي ، أَنَّ مِلحان ابنَ أَخي ماوِيَّة قال : قلتُ لها يوماً : يا عَمَّةُ ، حَدِّثيني ببعض عجائب حاتم وبعض مَكارم أَخلاقه : فقالت : يا ابنَ أَخي ، أَعجبُ ما رأَيتُ منه : أَصابتِ النّاسَ سَنَةٌ أَذهبت الخُفَّ والظِّلْفَ ، وقد أَخذني وإِيّاهُ الجوعُ وأَسْهَرَنا ، فأَخذتُ سفّانة ، وأَخَذَ عَدِيّاً ، وجَعَلْنا نُعَلِّلهما حتَّى ناما ، فأَقبلَ عليَّ يحدِّثني ويُعلِّلني بالحديث حتَّى أَنام ، فرفقتُ بِهِ لما بِهِ من الجوع ، فأَمسكتُ عن كلامِه لينامَ ، فقال لي : أَنمتِ؟ فلم أُجبه ، فسكتَ ونظرَ في فِناء الخِباء ، فإِذا شيءٌ قد أَقبل ، فرفعَ رأسَه ، فإِذا امرأَةٌ ، فقال : ما هذا؟ فقالت : يا أَبا عَدِيّ ، أَتيتُك من عِندِ صِبْيَةٍ يَتعاوَوْنَ كالكِلاب ـ أَو كالذِّئاب ـ جُوعاً ؛ فقال لها : أَحْضِري صِبيانك ، فوالله لأُشْبِعَنَّهُم ؛ فقامَت سريعةً لأَولادها ، فرفعتُ رأسي وقلتُ له : يا حاتم ، بماذا تشبعُ أَطفالها؟ فوالله ما نامَ صِبيانُك من الجوع إِلا بالتَّعليل ؛ فقال : والله لأُشْبِعَنَّكِ وأُشْبِعَنَّ صِبيانَك وصِبيانَها ؛ فلمّا جاءَت المرأَةُ نهضَ قائماً ، وأَخذَ المُدْيَةَ بيدِه وعمدَ إِلى فَرسه ، فذَبَحه ، ثم أَجَّجَ ناراً ، ودفَع إِليها شَفْرَةً ، وقال : قَطِّعي واشْوي ، وكُلي وأَطعمي صِبيانك ؛ فأَكلت المرأَةُ وأَشبعت صِبيانها ، فأَيقظتُ أَولادي وأَكلتُ وأَطعمتُهم ؛ فقال : واللهِ إِنَّ هذا لهو اللُّؤْمُ ، تأكلونَ وأَهلُ الحَيِّ حالُهم مثلُ حالِكم ؛ ثم أَتى الحيَّ بيتاً بيتاً يقولُ لهم : انهضوا بالنّارِ ؛ فاجتَمعوا حولَ الفَرس ، وتقنَّع حاتمٌ بكِسائه وجلسَ ناحيةً ، فوالله ما أَصبحوا وعلى وَجْهِ الأَرض مِنْها قليلٌ ولا كثيرٌ إِلا العظمُ والحافر ، ولا والله ما ذاقَها حاتمٌ ، وإِنَّه لأَشَدُّهم جُوعاً .

وأَخباره كثيرةٌ مَشهورة ؛ ومن شعره[1] : [من الطويل]

أَمــاوِيَّ إِنَّ المــالَ غــاد وَرائِــحُ ... وَيَبْقى من المالِ الأَحاديثُ والذِّكْرُ

---

(١) ديوانه (١٩٩ ـ ٢٠٢).

وَقَـدْ عَلِـمَ الأَقْـوامُ لَـوْ أَنَّ حـاتِمـاً　　أَرادَ ثَـراءَ المـالِ كـانَ لَـهُ وَفْـرُ

● وأَغار[1] قومٌ على طيِّءٍ ، فركبَ حاتم فرسَه ، وأَخذَ رُمحه ، ونادى في جيشه وأَهل عَشيرته ، ولقيَ القومَ ، فهزَمهم وتَبعهم ، فقال له كبيرُهم : يا حاتمُ ، هبْ لي رُمحك ؛ فرمى بهِ إِليه ؛ فقيل لحاتم : عَرَّضْتَ نفسَك للهلاك ، ولو عطفَ عليك لقتلك . فقال : قد علمتُ ذلك ، ولكن ما جوابُ من يقولُ : هَبْ لي؟ .

● ولما[2] مات عَظُمَ على طَيِّءٍ موتُه ، فادَّعى أَخوه أَنَّه يَخْلُفُه ، فقالت له أُمُّه : هيهاتَ ، شتّان والله ما بينَ خُلُقَيْكُما ؛ وَضَعْتُهُ فبقيَ والله سبعةَ أَيّامٍ لا يَرضَعُ حتَّى أَلقمتُ إِحدى ثَدْيَيَّ طِفلاً من الجيران ، وكنتَ أَنت ترضَعُ ثَدياً ويدُك على الآخر ، فأَنّى لك ذلك؟ .

● قال الشّاعر :　[من الطويل]

يَعيشُ النَّدى ما عاشَ حاتِمُ طَيِّءٍ　　وإِنْ مـاتَ قـامَـتْ لِلسَّخـاءِ مـآتِـمُ

● وكانت[3] العربُ تُسَمِّي الكلبَ :داعي الضَّمير ، ومُتَمِّمَ النِّعَم ، ومُشيدَ الذّكر ، لِما يجلبُ من الأَضياف بنُباحه ؛ والضَّميرُ : الغَريبُ ؛ وكانوا إِذا اشتدَّ البردُ وهبَّت الرِّياح ، ولم تشبَّ النِّيران ، فرَّقوا الكِلابَ حوالي الحيِّ وربطوها إِلى العُمُد لتستوحشَ فتنبَحَ ، فيهتدي الضُّلال ويأْتي الأَضيافُ على نُباحها .

والحكايات في ذِكر الأَجواد والكُرماء والأَسخياء وأَهل المعروف وما كانوا عليه من السَّخاء والكَرم أَكثرُ من أَن تُحصرَ وأَشهرُ من أَن تُذكر ؛ ففي مثل هذه المناقب فليتنافَس المتنافسون ، ولمثلها فلْيعمل العاملون ، فإِنَّ فيها عِزَّ الدُّنيا

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٥٥٧).
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٥٦٤).
(٣) التذكرة الحمدونية (٢/ ٣١٣).

وشَرَفَ الآخرة ، وحسنَ الصِّيت وخلودَ جميلِ الذِّكر ، فإنَّا لم نجد شيئاً يبقى على مرِّ الدَّهر إلا الذِّكْرُ ، حَسناً كان أو قبيحاً . وقد قال الشّاعر : [من الوافر]

وَلا شَــيْءٌ يَــدومُ فَكُــنْ حَــديثــاً جَميــلَ الــذِّكْــرِ فــالــدُّنْيــا حَــديْــثُ

فانتهزْ فُرْصَةَ العُمر ومُساعدة الدُّنيا ونفوذَ الأمر ، وقَدِّمْ لنفسكَ كما قدَّموا ، تُذكرْ بالصَّالحات كما ذُكروا ، وادَّخِرْ لنفسك في القيامة كما ٱدَّخروا .

● واعلمْ أَنَّ المأكولَ للبَدَن ، والموهوبَ للمَعاد ، والمتروكَ للعدوِّ ؛ فاخترْ أَيَّ الثَّلاث شِئْتَ .

وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحْبه وسلَّم .

* * *

الباب الرَّابع والثَّلاثون

في البُخل والشُّحِّ ، وذِكرِ البُخلاء وأخبارهم ، وما جاء عنهم

• قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء : ٤/ ٣٧] الآية .

• وقال[١] رسول الله ﷺ : « إيّاكم والشُّحَّ ، فإنَّ الشُّحَّ أَهلكَ مَن كان قَبلكم » .

• وعنه[٢] ﷺ أنَّه قال : « البُخل جامعٌ لمساوىءِ القُلوب ، وهو زِمامٌ يُقاد به إلى كُلِّ سوءٍ » .

• وقالت[٣] أُمُّ البنين أُخت عُمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنهما : أُفٍّ للبُخل ، لو كان قَميصاً ما لَبسته ، أَو كان طريقاً ما سَلكته .

• وقيل[٤] : بُخلاءُ العَرب أَربعةٌ : **الحُطيئة** ، **وحُميدٌ الأَرقطُ** ، **وأَبو الأَسودِ الدُّؤَليّ** ، **وخالدُ بن صَفوان** .

• فأَمّا **الحُطيئة**[٥] : فمرَّ به إِنسانٌ وهو على باب داره وبيده عصا ، فقال : أَنا ضيفٌ ؛ فأَشار إلى العصا وقال : لِكعابِ الضِّيفان أَعْدَدْتُها .

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٦٠٠).

(٢) لعلي في ربيع الأبرار (٤/ ٦٠٠) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٣٢٢).

(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٦٠١) وبخلاء الخطيب (٧١).

(٤) الأغاني (٢/ ١٦٣) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٣١٨).

(٥) الأغاني (٢/ ١٧١) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٣١٨).

• وأَمّا **حُمَيْد الأَرْقَط**[1] : فكان هجّاءً للضِّيفان ، فَحّاشاً عليهم ، نزل به مرَّةً أَضيافٌ ، فأَطعمهم تَمراً ، وهجاهم ، وذَكر أَنَّهم أَكلوه بِنَواه .

• وأَمّا **أَبو الأَسْوَد**[2] : فتَصَدَّقَ على سائلٍ بتمرةٍ ، فقال له : جَعَلَ اللهُ نَصيبك من الجَنَّة مثلَها .

وكان[3] يقولُ : لو أَطَعْنَا المساكينَ في أَموالنا كُنَّا أَسوأَ حالاً منهم .

• وأَمّا **خالِد بن صفوان**[4] : فكان يقولُ للدِّرهم إذا دخل عليه : يا عيَّارُ كَمْ تَعير ، وكم تطوفُ وتَطير ، لأُطيلَنَّ حَبْسَك ؛ ثم يطرحُه في الصُّندوق ويُقفل عليه .

وقيل له[5] : لم لا تُنفقُ ومالُك عريضٌ؟ فقال : الدَّهرُ أَعرضُ منه .

• وأَنشد بعضهم[6] : [من الطويل]

وَهَبْني جَمَعْتُ المالَ ثُمَّ خَزَنْتُهُ ... وَحانَتْ وَفاتي هَلْ أُزادُ بِهِ عُمْرا

إذا خَزَنَ المالَ البَخيلُ فإنَّهُ ... سَيُورِثُهُ غَمّاً وَيُعْقِبُهُ وِزْرا

• واستأذنَ[7] جَحْظَةُ على صديقٍ له بَخيلٍ ، فقيل : هو مَحمومٌ ؛ فقال : كُلوا بين يديه حتَّى يعرقَ .

• وكتبَ[8] سَهْلُ بن هارون كتاباً في مَدْحِ البُخل وأَهداه إِلى الحسن بن سَهْل ،

---

(١) عيون الأخبار (٣/ ٢٤٣) والعقد الفريد (١/ ١٨٨) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٣١٩).
(٢) التذكرة الحمدونية (٢/ ٣١٩).
(٣) عيون الأخبار (٢/ ٣١) والعقد الفريد (٦/ ١٩٥) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٣٢٠).
(٤) ربيع الأبرار (٤/ ٦٠٢) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٣٢٠).
(٥) عيون الأخبار (٢/ ٣٣) والعقد الفريد (٦/ ١٩٧) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٣٢٠).
(٦) هما لعلي بن هشام في ربيع الأبرار (٤/ ٦٠٢).
(٧) ربيع الأبرار (٤/ ٦٠٣).
(٨) ربيع الأبرار (٤/ ٦٠٤) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٣٣٠).

فَوَقَّعَ على ظَهْره : قد جَعلنا ثَوابَك عليه ما أَمرت به فيه .

• وقال ابنُ أَبي فَنَن[1] : [من الطويل]

ذَرِيْنـي وَإِتْـلافـي لِمـالـي فـإِنَّنـي أُحِـبُّ مـن الأَخـلاقِ مـا هُـوَ أَجْمَـلُ
وإِنَّ أَحَـقَّ النّـاسِ بـاللَّـوْمِ شَـاعِـرٌ يَلـومُ علـى البُخْـلِ الـرِّجـالَ وَيَبْخَـلُ

• وكان[2] **عُمر بن يزيد الأَسدي** بخيلاً جدّاً ، أَصابه القُولَنْج في بَطنه ، فَحَقَنَهُ الطَّبيبُ بِدُهْنٍ كثيرٍ ، فانحلَّ ما في بَطنه في الطَّسْتِ ، فقال لغُلامه : اجمع الدُّهن الَّذي نزل من الحُقنة وأَسْرِجْ بِه! .

• وكان **المنصورُ** شديدَ البُخل جدّاً ، مرَّ به سَلْمُ الحادي في طريقه إلى الحجِّ ، فحَدا به يوماً بقولِ الشَّاعر : [من الرجز]

أَغَـرُّ بَيْـنَ الحـاجِبَيْـنِ نُـورُهُ يَـزِيْنُـهُ حَيـاؤُهُ وَخِيْـرُهُ
وَمِسْكُـهُ يَشُـوبُـهُ كـافُـورُهُ إِذا تَغَـدَّى رُفِعَـتْ سُتُـورُهُ

فطربَ حتَّى ضربَ بِرِجْله المَحْمَلَ ، ثم قال : يا ربيعُ ، أَعْطِهِ نصفَ درهم ؛ فقال سَلْمٌ : نصفُ درهمٍ يا أَمير المؤمنين! واللهِ لقد حَدَوْتُ بهشامٍ ، فأَمر لي بثلاثين أَلف درهم . فقال : تأخذُ من بيت مال المسلمين ثلاثين أَلف درهم؟ يا ربيعُ ، وَكِّلْ بِهِ مَن يستخلصُ منه هذا المال ؛ قال الرَّبيع : فما زلتُ أَمشي بينهما وأَروضه ، حتَّى شرطَ سَلْمٌ على نَفسه أَن يحدوَ به في ذَهابه وإِيابه بغير مَؤُونة .

• وكان[3] **أَبو العتاهية ، ومروان بن أَبي حَفْصَة** بَخيلين يُضْرَبُ بِبُخْلهما المثلُ .

• قال[4] مروان : ما فَرحتُ بشيءٍ أَشدَّ ممّا فرحتُ بمئة أَلف درهمٍ وَهبها لي

---

(١) ديوانه (١٦٨ ضمن شعراء عباسيون) .
(٢) البخلاء للجاحظ (١٥١) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٣٢١) .
(٣) التذكرة الحمدونية (٢/ ٣٢٧) .
(٤) الأغاني (١٠/ ٧٨) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٣٢٧) .

المهديُّ ، فوزَنْتُها فرجَحت دِرهماً ، فاشتريتُ به لحماً .

• واشترى[1] يوماً لحماً بدرهمٍ ، فلمّا وَضعه في القِدر دعاهُ صَديقه ، فردَّ اللَّحم على القصّاب بنُقصانِ دانقين ، فجعلَ القَصّابُ يُنادي على اللَّحم ويقولُ : هذا لَحْمُ مروان .

• واجتاز[2] يوماً بأَعرابيّة ، فأَضافته ، فقال : إن وهبَ لي أَميرُ المؤمنين مئة أَلف درهمٍ وَهبتُ لكِ درهماً ؛ فوهَبه سَبعين أَلف درهم ، فوهبَها أَربعةَ دوانِقٍ .

• ومن الموصوفين بالبُخل ؛ **أَهلُ مَرْو** .

• يُقال[3] : إنَّ عادَتَهم إذا تَرافقوا في سَفَرٍ أَن يشتريَ كُلُّ واحدٍ منهم قطعةَ لحمٍ ، ويَشُكَّها في خيطٍ ، ويَجمعون اللَّحْمَ كُلَّهُ في قِدْرٍ ، ويُمسكُ كُلُّ واحدٍ منهم طَرَفَ خَيْطِهِ ، فإذا استوى جَرَّ كُلٌّ منهم خيطَهُ ، وأَكل لَحمه ، ويتقاسمون المرقَ .

• وقيل لبَخيلٍ : مَن أَشجعُ النّاس؟ قال : مَن سمعَ وَقْعَ أَضراسِ النَّاسِ على طَعامه ولم تَنْشَقَّ مَرارتُهُ! .

• وقيل[4] لبعضهم : أَما يكسُوك محمَّد بن يحيى؟ فقال : والله لو كان له بيتٌ مملوءٌ إبَراً ، وجاءَ يعقوبُ ومعه الأَنبياءُ شُفعاءَ والملائكةُ ضُمَناءَ ، يستعيرُ منه إِبْرَةً ليخيطَ بها قَميص يوسف الَّذي قُدَّ مِن دُبُرٍ ، ما أَعاره إِيّاها ، فكيفَ يَكسوني؟ .

---

(١) الأغاني (١٠/ ٧٩) وبخلاء الخطيب (٨٢) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٣٢٨).
(٢) الأغاني (١٠/ ٧٨) وبخلاء الخطيب (٨٢) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٣٢٨).
(٣) بخلاء الجاحظ (٢٣) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٣٣٢) ونثر الدر (٣/ ٢٨٦).
(٤) ثمار القلوب (١/ ١١٠) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٢٧٢) وربيع الأبرار (٤/ ٦٠٥) والقائل هو أبو الحارث جُمّين. والعقد الفريد (٦/ ١٨١).

• وقد نظمَ ذلك من قال[1] : [من الكامل]

لَو أَنَّ دارَكَ أَنْبَتَتْ لَكَ واحْتَشَت إِبَراً يَضيقُ بِها فَناءُ المَنْزِلِ
وَأَتاكَ يُوسُفُ يَسْتَعيرُكَ إِبْرَةً لِيَخيطَ قَدَّ قَميصِهِ لَمْ تَفْعَلِ

• وكان **المتنبي** بخيلاً جِدّاً ، مدحَه إنسانٌ بقَصيدة ، فقال له : كم أَمَّلْتَ مِنّا على مَدحك؟ قال : عشرةَ دنانير ؛ قال له : واللهِ لو نَدَفْتَ قُطْنَ الأَرض بقَوس السَّماء على جِباه الملائكة ما دَفعتُ لك دانِقاً .

• وقال[2] دِعبل : كُنّا عند **سَهل بن هارون** فلمْ نبرحْ حتّى كادَ يموتُ من الجوع ، فقال : ويلَك يا غُلام ، آتِنا غداءنا ؛ فأُتيَ بقصعةٍ فيها ديكٌ مَطبوخٌ ، تحتَه ثَريدٌ قليلٌ ، فتأَمَّل الدّيكَ فرآهُ بغير رأسٍ ، فقال لغلامه : وأَينَ الرَّأْسُ؟ فقال : رَمَيْتُهُ ؛ فقال : والله إِنِّي لأَكرهُ مَن يرمي بِرِجْله ، فكيفَ برأسه؟ ويحَك ، أَما عَلِمْتَ أَنَّ الرّأسَ رئيسُ الأَعضاء ، ومنه يصيحُ الدِّيك ، ولولا صَوتُه ما أُريد ، وفيه فَرْقُهُ الَّذي يُتَبَرَّكُ به ، وعَينه الَّتي يُضرب بها المثلُ ، فَيُقال : شَرابٌ كعينِ الدِّيك ؛ ودماغُه عجيبٌ لوجَع الكِلْيَةِ ، ولم نَرَ عَظْماً أَهَشَّ تحت الأَسنان من عظم رأسه ، وهَبْكَ ظننتَ أَنّي لا آكُله ، أَما قلتَ : عندَه مَن يأكلُه ؛ انظرْ في أَيِّ مكانٍ رميتَه فأْتني به ؛ فقال : والله لا أَدري أَين رميته ؛ فقال : ولكنّي أَنا أَعرفُ أَين رميتَه ، رمَيته في بَطنك ، اللهُ حَسيبك .

• وقيل[3] : من النّاس مَن يبخلُ بالطَّعام ويجودُ بالمال ، وبالعكس .

---

(١) هما لرزين العروضي في الورقة (٤١) ولزرزر الرفاء في الوافي بالوفيات (١٤/ ١٤١) وربيع الأبرار (٢/ ٤٣٥) وبلا نسبة في ثمار القلوب (١/ ١١٠) وبخلاء الخطيب (٧٧).
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٦١٢) وعيون الأخبار (٣/ ٢٥٩) والعقد الفريد (٦/ ١٨٠) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٣٨٧).
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٦١٤).

• قال بعضهم في أَبي دُلَف[1] : [من الوافر]

أَبـو دُلَـفٍ يُضَيِّـعُ أَلْـفَ أَلْـفٍ وَيَضْـرِبُ بـالحُسـامِ علـى الرَّغيـفِ
أَبـو دُلَـفٍ لِمَطْبَخِـهِ قُتـارٌ وَلكـنْ دُونَـهُ سَـلُّ السُّيـوفِ

• واشتكى[2] رجلٌ مَرْوَزِيٌّ صَدرَه من سُعالٍ ، فوصَفوا له سَويقَ اللَّوز ، فاستثقل النَّفقةَ ، ورأَى الصَّبرَ على الوَجَع أَخفَّ عليه من الدَّواءِ ، فبينما هو يُماطلُ الأَيّام ويُدافع الآلام إِذ أَتاه بعضُ أَصدقائه ، فوصفَ له ماءَ النُّخالة ، وقال : إِنَّه يَجلو الصَّدر ؛ فأَمر بالنُّخالة فطُبخت له وشَرب من مائها ، فَجلا صَدره ووجَدَه يَعْصِمُ ، فلمَّا حَضر غَداؤُه أَمر به فرُفع إِلى العشاء ، وقال لامرأَته : اطبُخي لأَهل بيتنا النُّخالة فإِنِّي وجدتُ ماءها يعصمُ ويَجلو الصُّدور ؛ فقالت : لقد جمعَ الله لك بهذه النُّخالة بين دواءٍ وغذاءٍ ، فالحمدُ لله على هذه النِّعمة .

• وعن[3] خاقان بن صُبَيْح قال : دخلتُ على رجلٍ من أَهل خُراسان ليلاً فأَتانا بمسرجَةٍ فيها فَتيلةٌ في غايةِ الرِّقَّة ، وقد عَلَّق فيها عُوداً بخيطٍ ، فقلتُ له : ما بالُ هذا العود مَربوطاً؟ قال : قد شربَ الدُّهن ، وإِذا ضاعَ ولم نحفظه احتَجنا إِلى غيره ، فلا نجدُ إِلا عُوداً عَطشاناً ، ونخشى أَن يشربَ الدُّهن ؛ قال : فبينما أَنا أَتعجَّبُ وأَسأَل الله العافية إِذ دخل علينا شيخٌ من أَهل مرو ، فنظر إِلى العود ، فقال للرَّجلِ : يا فُلان ، لقد فَررتَ من شيءٍ ووقعتَ فيما هو شَرٌّ منه ؛ أَما علمتَ أَنَّ الرِّيحَ والشَّمسَ يأخذان من سائر الأَشياءِ ويُنَشِّفان هذا العود؟ لمَ لا اتَّخذتَ مكان هذا العودِ إِبرةً من حديدٍ ، فإِنَّ الحديدَ أَملسُ ، وهو مع ذلك غيرُ نَشّافٍ ، والعودُ أَيضاً رُبَّما يتعلَّق به شَعرةٌ من قطنِ الفتيلة

---

(١) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٤/ ٦١٤) وعيون الأخبار (٣/ ٢٤٧) والمناقب والمثالب رقم (٨٠٦).
(٢) بخلاء الجاحظ (٣١) والعقد الفريد (٦/ ١٧٤).
(٣) بخلاء الجاحظ (١٩) والعقد الفريد (٦/ ١٧٤).

فينقصها . فقال له الرَّجل الخُراسَانيُّ : أَرشدك الله ، ونفعَ بك ، فلقد كنتُ في ذلك من المسرفين .

● وقال[1] الهيثم بن عَدِيّ :

نزلَ على أَبي حفصَةَ الشّاعر رجلٌ من اليمامة ، فأَخلى له المنزل ثم هرب ، مخافةَ أَن يلزمَه قِراهُ في هذه اللَّيلة ، فخرجَ الضَّيفُ واشترى ما احتاجَ إِليه ، ثم رجعَ وكتبَ إِليه[2] : [من السريع]

يـا أَيُّهـا الخـارجُ مِـن بَيْتِـهِ ... وهـارِبـاً مـن شِـدَّةِ الخَـوْفِ
ضَيْفُـكَ قَـدْ جـاءَ بِـزادٍ لَـهُ ... فـارْجِـعْ وَكُـنْ ضَيْفـاً على الضَّيْـفِ

● واشترى[3] رجلٌ من البخلاء داراً وانتقلَ إِليها ، فوقف ببابه سائلٌ فقال له : فتحَ الله عليك ؛ ثم وقف ثانٍ ، فقال له مثل ذلك ، ثم وقف ثالثٌ ، فقال له مثل ذلك ، ثم التفتَ إِلى ابنته ، فقال لها : ما أَكثر السُّؤَّالَ في هذا المكان؟ قالت : يا أَبت ما دمتَ مُستمسكاً لهم بهذه الكلمة فما تُبال كثُروا أَم قلُّوا .

● وأَلأَمُ اللِّئام وأَبخلُهم **حُميد الأَرقط** ، الَّذي يُقال له : هجَّاء الأَضياف ؛ وهو القائل في ضيفٍ له يَصفُ أَكْلَه بهذا البيت من قصيدةٍ له : [من البسيط]

ما بَيْنَ لُقْمَتِهِ الأُولى إذا انْحَدَرَتْ ... وَبَيْـنَ أُخْـرَى تَليهـا قِيْـدُ أُظْفُـورِ

● وقال فيه أَيضاً : [من الطويل]

---

(١) العقد الفريد (٦/ ١٨٥) .

(٢) البيتان لدعبل في الزهرة (٢/ ٥٦٩ و٦٢٠) وبخلاء الخطيب (١٤٢) وديوانه (١٩٢). وبلا نسبة في عيون الأخبار (٣/ ٢٤٨) والمحاسن والأَضداد (٦٤) والمحاسن والمساوىء (١/ ٤١٩) والعقد الفريد (٦/ ١٨٥) وهامش ربيع الأبرار (٤/ ٦١٣) وفي المناقب والمثالب رقم (٨١٧) لحماد عجرد.

(٣) العقد الفريد (٦/ ١٨٦ و٣٠٢).

تُجَهِّــزُ كَفّــاهُ وَيَحْــدِرُ حَلْقُــهُ		إلى الزَّوْرِ ما ضَمَّتْ عليهِ الأَنامِلُ

• وأَكل[1] أعرابيٌّ مع **أَبي الأَسود** رُطَباً فأَكثر ، ومدَّ أَبو الأَسود يدهُ إِلى رطبةٍ ليأخذَها فسبقَه الأَعرابيُّ إِليها ؛ فسقطَت منه في التُّراب ، فأَخذها أَبو الأَسود وقال : لا أَدعُها للشَّيطان يأكلُها ، فقال الأَعرابيُّ : والله ولا لجبريل وميكائيل لو نزلا من السماء ما تركتَها .

• وقال أَعرابيٌّ لِنَزيلٍ نزل به : نزلت بوادٍ غير ممطور ، ورَجُلٍ بكَ غير مسرور ، فأَقم بِعَدَمٍ أَو ارحلْ بِنَدَمٍ .

• وللحَمْدونيّ[2] : [من الوافر]

رَأَيْــتُ أَبــا زُرارَةَ قــالَ يَــوْمــاً		لِحــاجِبِــهِ وَفــي يَــدِهِ الحُســامُ
لَئِـنْ وُضِـعَ الخِـوانُ وَلاحَ شَخْـصٌ		لأَخْتَطِفَــنَّ رَأْسَــكَ والسَّــلامُ
فَقــالَ : سِـوى أَبيـكَ فَـذاكَ شَيْـخٌ		بَغيــضٌ لَيْــسَ يَــرْدَعُــهُ الكــلامُ
فقــالَ وقــامَ مِــن حَنَــقٍ إِليــهِ		بِبَيْــتٍ لَــمْ يَــزِدْ فيــه القِيــامُ :
أَبــي وابْنَــا أَبــي والكلــبُ عِنـدي		بِمَنْــزِلَــةٍ إِذا حَضَــرَ الطَّعــامُ
وَقـالَ لَـهُ : أَبِـنْ لـي يـا ابْـنَ كَلْـبٍ		عَلــى خُبْــزِي أُصــادَرُ أَو أُضــامُ
إِذا حَضَــرَ الطَّعــامُ فَــلا حُقــوقٌ		عَلَــيَّ لِــوالِــدَيَّ وَلا ذِمــامُ
فَمـا فـي الأَرْضِ أَقْبَـحُ مِـن خِـوانٍ		عليــهِ الخُبْــزُ يَحْضُــرُهُ الــزِّحــامُ

• فأَين هذا من القائل[3] : [من الطويل]

---

(١) عيون الأخبار (٢/ ٣١) والعقد الفريد (٦/ ١٨٥) وبخلاء الخطيب (١٥٠) ونثر الدر (٣/ ٢٨٩) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٣٣).

(٢) له في ربيع الأبرار (٤/ ٦٠٧).

(٣) للحجّاج بن علاط البهزي في ربيع الأبرار (٤/ ٦١٠)، والحماسة الشجرية (١/ ٤٩٠) والحماسة البصرية (٢/ ٧٨ و٢٦٦) والديباج (٧٢) والمناقب والمثالب رقم (٦٠٧).

بَخيلٌ يَرى في الجُود عاراً وإِنَّما ... يَرى المَرْءُ عـاراً أَنْ يَضَـنَّ وَيَبْخَـلا
إِذ المَـرْءُ أَثْـرى ثُـمَّ لَـمْ يَـرْجُ نَفْعَـهُ ... صَـديـقٌ فَـلاقَتْـهُ المَنِيَّـةُ أَوَّلا

● وقال آخر[1] : [من الطويل]

وآمِرَةٌ بالبُخْلِ قُلْتُ لَها : اقْصِري ... فَلَيْـسَ إِلَيْـهِ مـا حَيِيْـتِ سَبيـلُ
أَرى النّاسَ إِخوانَ الكريمِ وَما أَرى ... بَخيـلاً لَـهُ فـي العـالميـنَ خَليـلُ

● وقالوا : إِذا سأَلتَ لئيماً شيئاً فعاجِلْه ولا تَدَعْهُ يفكِّرُ ، فإِنَّه كُلَّما فكَّر ازدادَ بُعداً .

● وقال رِبْعيٌّ الهَمْدانيّ[2] : [من الطويل]

جَمَعْتُ صُنُوفَ المالِ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ ... وَمـا نِلْتُهـا إلا بِكَـفٍّ كَـريـمِ
وإِنِّـي لأَرجـو أَن أَمـوتَ وَتنقَضـي ... حيـاتـي وَمـا عِنْـدي يَـدٌ لِلئيـمِ

● وأَنشد الجاحظ لأَبي الشَّمَقْمَق[3] : [من المجتث]

مِمَّـن تَعَلَّمْـتَ هـذا ... أَن لا تَجـودَ بِشَـيِّ
أَمـا مَـرَرْتَ بِعَبْـدٍ ... لِعَبْـدِ حـاتـمِ طَـيِّ

● ومِمّا[4] **قالَتْه الشُّعراء في البُخلاء وطعامهم** : فمِن أَهجى ما قيلَ فيهم بيتُ جريرٍ في بني تَغلب[5] : [من الكامل]

---

(١) لإسحاق الموصلي في الأغاني (٥/ ٣٢٢) والحماسة البصرية (٢/ ١٩) وبخلاء الخطيب (٥٨) وتاريخ الخلفاء (٣٤٨) والمناقب والمثالب رقم (٦٢٨) .
(٢) له في ربيع الأبرار (٤/ ٦١٤) . وللخليع في المناقب والمثالب رقم (٤٨٥)، وبلا نسبة في الوحشيات (١٦٦) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٣٠٨) .
(٣) له في ثمار القلوب (١/ ١٨٨) وربيع الأبرار (٤/ ٦١٢) وبخلاء الخطيب (١٠٣) وديوانه (١٥٢) (ضمن شعراء عباسيون) وفي إحدى روايتي الخطيب أَنهما لأبي هفان، برواية مختلفة ، وليسا في ديوانه .
(٤) العقد الفريد (٦/ ١٨٧) .
(٥) ديوانه (١/ ٥٢) .

والتَّغلِبِـــيُّ إذا تَنَحْنَـــحَ لِلْقِـــرَى   حَـــكَّ اسْتَـــهُ وَتَمَثَّـــلَ الأَمْثـــالا

• وله أَيضاً فيهم(١) : [من البسيط]

قَـوْمٌ إذا أَكَلُـوا أَخْفَـوا كـلامَهُـمُ   واسْتَوْثَقوا مِن رِتاجِ البابِ والدّارِ

قَـوْمٌ إذا اسْتَنْبَـحَ الضِّيفـانُ كَلْبَهُـم   قـالُـوا لأُمِّهِـمُ : بُـولـي علـى النّـارِ

فَتَمْنَـعُ البَـوْلَ شُحّـاً أَنْ تَجـودَ بِـهِ   وَمـا تَبُـولُ لَهُـمْ إلا بِمِقْـدارِ

والخُبْـزُ كـالعَنْبَـرِ الهِنْـدِيِّ عِنْـدَهُـمُ   والقَمْـحُ خَمْسـونَ إِرْدَبّـاً بِـدِيْنـارِ

• فأين هؤلاء من الّذي قال فيه الشّاعر(٢) : [من الرجز]

أَبْلَـــجُ بَيْـــنَ حـــاجِبَيْـــهِ نُـــورُهُ   إِذا تَغَـــدّى رُفِعَـــتْ سُتُـــورُهْ

• وقال بعضهم في بخيلٍ(٣) : [من المتقارب]

أَتـــانـــا بخبـــزٍ لَـــهُ حـــامِـــضٍ   كَمِثْـــلِ الـــدَّراهِـــمِ فـــي رِقَّتِـــهْ

إذا مـــا تَنَفَّـــسَ حَـــوْلَ الخِـــوانِ   تَطـــايَـــرَ فـــي البيـــتِ مِـــن خِفَّتِـــهْ

• وقال آخر(٤) : [من الوافر]

تَـــراهـــم خَشْيَـــةَ الأَضْيـــافِ خُـــرْســـاً   يُقيمـــونَ الصَّـــلاةَ بِـــلا أَذانِ

• وقال آخر وقد باتَ عند بَخيلٍ(٥) : [من الطويل]

---

(١) لجرير في العقد الفريد (٦/ ١٨٧) وليست في ديوانه. ولدعبل في بخلاء الخطيب (٨٣) وديوانه (٤٥٢). والثاني للأخطل في ديوانه (٢/ ٦٣٦).

(٢) مضى إنشاد البيت، وانظره في العقد الفريد (٦/ ١٨٧).

(٣) لأبي نواس أو للحمدوني في بخلاء الخطيب (١٦٥)، وهما في ديوان أبي نواس (٢/ ١٥٢) (فاغنر) وجزم حمزة أنهما ليسا له. وبلا نسبة في العقد الفريد (٦/ ١٨٨) وهما للبسّامي في محاضرات الراغب (١/ ٦٦٣).

(٤) لأحمد بن عبد الصمد الرقاشي في ربيع الأبرار (٤/ ٦١٤)، وللعكوك في ديوانه (١٠٨) وبلا نسبة في عيون الأخبار (٣/ ٢٤١).

(٥) بلا نسبة في العقد الفريد (٦/ ١٩٠).

فَبِتْنا كأنّا بَيْنَهُمْ أَهْلُ مَأْتَمٍ ... على مَيِّتٍ مُسْتَوْدَعٍ بَطْنَ مَلْحَدِ
يُحَدِّثُ بَعْضاً بَعْضُنا بِمُصابِهِ ... وَيأْمُرُ بَعْضاً بَعْضنا بالتَّجَلُّدِ

• وقال آخر[1] : [من البسيط]

وَجِيرَةٍ لا تَرى في النّاس مِثْلَهُمُ ... إذا يَكونُ لَهُمْ عِيدٌ وإفْطارُ
إنْ يُوقِدوا يُوسِعُونا من دُخانِهِمُ ... وَلَيْسَ يَبْلُغُنا ما تَطْبُخُ النّارُ

• وقال آخر وأجاد[2] : [من البسيط]

فَصَدِّقَ ايمانَهُ إنْ قالَ مُجْتَهِداً : ... لا والرَّغيفِ ، فذاكَ البَرُّ مِن قَسَمِهْ
فإنْ هَمَمْتَ بِهِ فاعْبَثْ بِخُبْزَتِهِ ... فإنَّ مَوْقِعَها مِن لَحْمِهِ وَدَمِهْ
قَدْ كانَ يُعْجِبُني لو أَنَّ غَيْرَتَهُ ... على جُرادِقِهِ كانَتْ على حُرَمِهْ

• وقال آخر[3] : [من مجزوء الكامل]

ذَهَبَ الكِرامُ فَلا كِرامْ ... وَبَقِيْ العَضاريطُ اللِّئامْ
مَنْ لا يُقيلُ ولا يُنيـ ... ـلُ ولا يُشَمُّ لَهُ طَعامْ

• وقال آخر[4] : [من الطويل]

خَليليَّ مِن كَعْبٍ أَعِينا أَخاكُما ... على دَهْرِهِ إنَّ الكَريمَ مُعينُ
وَلا تَبْخَلا بُخْلَ ابْنِ قَزْعَةَ إنَّهُ ... مَخافَةَ أَنْ يُرْجَى نَداهُ حَزينُ
إذا جِئْتَهُ في حاجَةٍ سَدَّ بابَهُ ... فَلَمْ تَلْقَهُ إلا وأَنْتَ كَمينُ

• وقال آخر[5] : [من الوافر]

---

(١) بلا نسبة في عيون الأخبار (٣/ ٢٦١) ومحاضرات الراغب (١/ ٦٦١).
(٢) الأبيات لأبي تمام في ديوانه (٤/ ٤٢٤)، وهي بلا نسبة في عيون الأخبار (٣/ ٢٤٦) والعقد الفريد (٦/ ١٩٠). واقرأ بداية الأبيات خطفاً.
(٣) بلا نسبة في العقد الفريد (٦/ ١٩٠).
(٤) لبشار بن برد في بخلاء الخطيب (١١٣) وديوانه (٤/ ١٩٣).
(٥) بلا نسبة في العقد الفريد (٦/ ١٩٣).

لَـهُ يَـومـانِ يَـوْمُ نَـدىً وَيَـوْمٌ   يُسَـلُّ السَّيْـفُ فيـهِ مِـنَ القِـرابِ
فـأَمَّـا جُـودُهُ فَعلـى قِحـابٍ   وأَمَّـا سَيْفُـهُ فَعَلـى الكِـلابِ

● وقال آخر : [من الطويل]

زَفَفْتُ إلى نَبْهانَ مِن صَفْوِ فِكْرَتي   عَروساً غَداً بَطْنُ الكِتابِ لَها صَدْرا
فَقَبَّلَهـا عَشْـراً وَهـامَ بِحُبِّهـا   فَلَمّا ذَكَرْتُ المَهْرَ طَلَّقَها عَشْرا

● وقال آخر[1] : [من السريع]

لَـو عَبَـرَ البَحْـرَ بـأَمْـواجِـهِ   فـي لَيْلَـةٍ مُظْلِمَـةٍ بـارِدَهْ
وَكَفُّـهُ مَمْلُـوءَةٌ خَـرْدَلاً   مـا سَقَطَـتْ مِـن كفِّـهِ واحِـدَهْ

● وقال آخر[2] : [من السريع]

يـا قـائِمـاً فـي دارِهِ قـاعِـداً   مِـن غَيْـرِ مَعْنـىً لا وَلا فـائِـدَهْ
قَـدْ مـاتَ أَضْيـافُكَ مِـن جُـوعِهِـمْ   فـاقْـرَأْ عَلَيْهِـمْ سُـورَةَ المـائِـدَهْ

● وقال آخر[3] : [من الوافر]

نَـوالُـكَ دُونَـهُ شَـوْكُ القَتـادِ   وَخُبْـزُكَ كـالثُّـرَيّـا فـي البِعـادِ
فَلَـوْ أَبْصَـرْتَ ضَيْفـاً فـي مَنـامٍ   لَحَـرَّمْـتَ الـرُّقـادَ إِلـى المَعـادِ

● وقال آخر : [من البسيط]

لا تَعْجَبَـنَّ لِخُبْـزٍ زَلَّ مِـن يَـدِهِ   فالكَوْكَبُ النَّحْسُ يَسقي الأَرْضَ أَحْيانا

● وقال ابن أَبي حازم[4] : [من الوافر]

---

(١) لأبي الشمقمق في المناقب والمثالب رقم (٧٨٣) وليسا في ديوانه. وبلا نسبة في محاضرات الراغب (١/ ٦٠١).
(٢) لابن حجاج في بخلاء الخطيب (١٤١).
(٣) بلا نسبة في الزهرة (٢/ ٦٢١) والمحاسن والأضداد (٦٣) والمناقب والمثالب رقم (٨١٦).
(٤) له في العقد الفريد (٦/ ١٩٤).

وَقالوا : قَدْ مَدَحْتَ فَتىً كَريماً فَقُلْتَ : وَكَيفَ لي بِفَتىً كَريمِ
بَلَوْتُ وَمَرَّ بي خمسونَ حَوْلاً وَحَسْبُكَ بالمُجَرِّبِ مِن عَليمِ
فَلا أَحَدٌ يُعَدُّ لِيَوْمِ خَيْرٍ وَلا أَحَدٌ يَجُودُ على عَديمِ

ومن رُؤساء أهل البُخل :

• **محمَّد بن الجَهْم** : وهو الَّذي قال[1] : وددتُ لو أَنَّ عشرةً من الفُقهاء ، وعشرةً من الخُطباء ، وعشرةً من الشُّعراء ، وعشرةً من الأُدباء ، تَواطؤوا على ذَمِّي واستَسهلوا شَتْمي ، حتّى ينتشرَ ذلك في الآفاق ، فلا يمتدُّ إِليَّ أَملُ آمِلٍ ، ولا يُبْسَطُ نَحوي رَجاءُ راجٍ .

• وقال[1] له أَصحابُه يوماً : إِنّا نَخشى أَن نقعدَ عندك فوق مقدارِ شَهوتك ، فلو جعلتَ لنا علامةً نَعرفُ بها وقتَ استثقالك لمجالَستنا ؛ فقال : عَلامةُ ذلك أَن أَقولَ : يا غُلام ، هات الغَداء .

• وقال[2] عمرو بن ميمون : مررتُ ببعضِ طُرق الكوفة ، فإِذا أَنا برجلٍ يُخاصمُ جاراً له ، فقلت : ما بالُكما؟ فقال أَحدهما : إِنَّ صديقاً لي زارني ، فاشتهى رأساً ، فاشتريتُه وتغدَّينا ، وأَخذتُ عِظامَه فوضعتُها على باب داري أتجمَّل بها ، فجاء هذا فأَخذها ووضعَها على باب داره ، يُوهمُ النَّاس أَنَّه هو الَّذي اشترى الرَّأْسَ .

• قال[2] رجلٌ من البُخلاء لأَولاده : اشتروا لي لَحماً ؛ فاشتَروه ، فأَمر بطبخه ، فلمّا استوى أَكله جميعَه حتَّى لم يبقَ في يده إِلا عظمةٌ ، وعُيون أَولاده

---

(١) العقد الفريد (٦/ ١٧٧).

(٢) العقد الفريد (٣/ ٤٨٥) و(٦/ ١٨٣) وبخلاء الجاحظ (٢٢٢) وعيون الأخبار (٣/ ٢١٣) ومحاضرات الراغب (١/ ٦١٤).

ترمُقُهُ ؛ فقال : ما أُعطي أَحداً منكم هذهِ العظمةَ ، حتَّى يُحسنَ وَصْفَ أَكلها ؛ فقال ولده الأكبر : أُمشْمِشُها يا أَبَتِ ، وأَمَصُّها حتَّى لا أَدع للذَّرِّ فيها مَقيلاً ؛ قال : لستَ بِصاحبها ؛ فقال الأوسط : أَلُوكها يا أبتِ ، وأَلْحَسُها حتَّى لا يَدري أَحدٌ لعامٍ هي أَم لعامين ؛ قال : لستَ بصاحبها ؛ فقال الأَصغر : يا أَبتِ أَمُصُّها ثم أَدُقُّها وأَسُفُّها سَفّاً ؛ قال : أَنت صاحبها ، وهيَ لك ، زادك الله مَعرفةً وحَزْماً .

● ووقف[1] أَعرابيٌّ على باب أَبي الأَسود وهو يتغدَّى ، فسلَّم فردَّ عليه ، ثم أَقبل على الأَكل ولم يعزم عليه ، فقال له الأَعرابيُّ : أَما إِنِّي قَد مررتُ بأَهلك ، قال : كذلك كان طَريقُك ؛ قال وامرأَتُك حُبلى ؛ قال : كذلك كان عَهدي بها . قال : قد ولدَت ؛ قال : كان لا بُدَّ لها أَن تلدَ ؛ قال : ولدَت غُلامين ؛ قال : كذلك كانت أُمُّها ؛ قال : ماتَ أَحدهما ؛ قال : ما كانت تَقوى على إِرضاعِ اثنين ؛ قال : ثم ماتَ الآخر ؛ قال : ما كان لِيبقى بعد موت أَخيه ؛ وقال : ماتت الأُمُّ ؛ قال : حُزناً على ولديها ؛ قال : ما أَطيبَ طعامَك! قال : لأَجل ذلك أَكلتُه وحدي ؛ ووالله لا ذُقْتَهُ يا أَعرابيُّ .

● وقيل[2] : خرج أَعرابيٌّ قد ولاه الحجّاج بعضَ النَّواحي ، فأَقام بها مدَّةً طويلةً ، فلمّا كان في بعض الأَيّام وردَ عليه أَعرابيٌّ من حَيِّهِ ، فقدَّم إِليه الطَّعام وكان إذ ذاك جائعاً ، فسأَله عن أَهله ، وقال : ما حالُ ابني عُمير؟ قال : على ما تُحِبُّ ، قد ملأَ الأَرض والحيَّ رجالاً ونساء ؛ قال : فما فعلَت أُمُّ عُمير؟ قال : صالحةٌ أَيضاً ؛ قال : فما حال الدّار؟ قال : عامرةٌ بأَهلها ؛ قال : وكلبُنا إِيقاع؟ قال : قد ملأَ الحيَّ نَبحاً ؛ قال : فما حال جَملي زُريق؟ قال :

---

(١) بخلاء الخطيب (١٤٦) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٣٣٤) ونثر الدر (٣/ ٢٩١).
(٢) بخلاء الخطيب (١٤٦) وربيع الأبرار (٥/ ١٧١) والتذكرة الحمدونية (٩/ ٣٨٨) .

على ما يَسُرُّك ؛ قال : فالتفت إلى خادمه وقال : ارفع الطَّعام ؛ فرفعه ولم يشبع الأَعرابيُّ ، ثم أَقبل عليه يسأَله وقال : يا مُباركَ الناصيةِ ، أَعِدْ عليَّ ما ذكرت ؛ قال : سلْ عمّا بدا لك ، قال : فما حالُ كلبي إيقاع؟ قال : مات ؛ قال : وما الذي أَماته؟ قال : اختنقَ بعظمةٍ من عظام جَملك زُريقٍ فَمات ؛ قال : أَوماتَ جَملي زُريق؟ قال : نعم ؛ قال : وما الَّذي أَماته؟ قال : كثرةُ نقل الماء إلى قبر أُمِّ عُمير ؛ قال : أَو ماتت أُمُّ عُمير؟ قال : نعم ؛ قال : وما الَّذي أَماتها؟ قال : كثرةُ بكائها على عُمير ؛ قال : أَو مات عُمير؟ قال : نعم ؛ قال : وما الَّذي أَماته؟ قال : سقطَت عليه الدَّار ؛ قال : أَوسقطَت الدَّار؟ قال : نعم ؛ قال : فقام له بالعصا ضارباً ، فولَّى من بين يديه هارباً .

● وحكى[1] بعضُهم قال : كنتُ في سَفَرٍ ، فضَللتُ عن الطَّريق ، فرأَيتُ بيتاً في الفلاة فأَتيتُه ، فإذا به أَعرابيَّةٌ ، فلمَّا رأَتني قالت : مَن تكون؟ قلت : ضيفٌ ؛ قالت : أَهلاً ومرحباً بالضَّيف ، انزلْ على الرَّحب والسَّعة ؛ قال : فنزلتُ ، فقدَّمت لي طعاماً فأَكلتُ ، وماءً فشربتُ ؛ فبينما أَنا على ذلك إذ أَقبل صاحبُ البيت فقال : مَن هذا؟ فقالت : ضيفٌ ؛ فقال : لا أَهلاً ولا مرحباً ، ما لنا وللضَّيْفِ؟ فلمَّا سمعتُ كلامه ركبتُ من ساعتي وسرتُ ، فلمَّا كان من الغد رأيتُ بيتاً في الفلاةِ فقصدتُه ، فإذا فيه أَعرابيَّةٌ ، فلمَّا رأَتني قالت : مَن تكون؟ قلت : ضيفٌ ؛ قالت : لا أَهلاً ولا مرحباً بالضَّيف ، ما لنا وللضَّيف؟ فبينما هي تُكلِّمُني إذ أَقبل صاحبُ البيت ، فلمّا رآني قال : مَن هذا؟ قالت : ضيفٌ ؛ قال : مَرحباً وأَهلاً بالضَّيف ؛ ثم أَتى بطعامٍ حسنٍ فأَكلتُ وماءٍ فشربتُ ، فتذكَّرْتُ ما مرَّ بي بالأَمْس فتبسَّمْتُ ؛ فقال : ممَّ تَبسُّمُكَ؟ فقصصتُ عليه ما اتَّفق لي مع تلك الأَعرابيَّة وبَعلها ، وما سمعتُ منه ومن زَوجته ؛

---

(١) إنباه الرواة (٣/ ٣٦٦) والمنتقى من أخبار الأصمعي (١٣٧) ونثر الدر (٧/ ٤٢٥).

فقال : لا تعجبْ ، إنَّ تلك الأَعرابيَّة الَّتي رأَيتَها هي أُختي ، وإِنَّ بعلها أَخو امرأَتي هذه ، فغلبَ على كلٍّ طبعُ أَهله .

● وحكايات هؤلاء وأَمثالهم كثيرةٌ ، وأَخبارهم ونوادرهم شهيرةٌ ، وفيما ذكرتُه كفايةٌ ؛ وأَسأَل الله تعالى التَّوفيق والهداية ؛ إِنَّه على ما يشاء قدير وبالإِجابة جديرٌ ، ولا حولَ ولا قُوَّة إلا باللهِ العليِّ العظيم ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم .

* * *

الباب الخامس والثّلاثون

في الطَّعام وآدابه ، والضِّيافة ، وآداب المُضيف ، وأَخبار الأَكَلَة وما جاء عنهم ، وغير ذلك

أمّا إباحةُ الطَّيِّب من المطاعم :

• فقد قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة : ٢/ ١٧٢] .

• وقال تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾ [المائدة : ٤] .

• وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الأعراف : ٧/ ٣١] .

• وقال رسول الله ﷺ : « مُحَرِّمُ الحلال كَمُحلِّلِ الحرام » .

• وقال عليه الصَّلاة والسَّلام : « إنَّ اللهَ يحبُّ أن يَرى أَثَرَ نِعْمَتِهِ على عَبْده في مَأْكَلِهِ وَمَشْرَبِهِ » .

• وكانَ[1] الحسنُ يقول : ليسَ في اتّخاذ الطَّعام سَرَفٌ .

• وسُئل[2] الفُضيل عمّن يتركُ الطَّيِّبات من اللَّحم والخَبيص للزُّهد ؛ فقال : ما للزُّهدِ وأَكل الخَبيص؟ ليتَك تأكلُ وتتّقي الله ؛ إنَّ اللهَ لا يكرهُ أن تأكلَ الحلالَ إذا اتَّقيتَ الحرامَ ؛ انظرْ كيفَ بِرُّك بوالديك ، وصِلَتُكَ للرَّحِم؟ وكيفَ عَطْفُكَ

---

(١) العقد الفريد (٦/ ٢٩٣) وعيون الأخبار (٣/ ٢٣٤)، والحسن هو الإمام البصري .

(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٣٤٣).

على الجارِ؟ وكيفَ رَحْمَتُكَ للمُسلمين؟ وكيفَ كَظْمُكَ للغَيظ؟ وكيفَ عَفْوُكَ عمَّن ظَلَمَكَ؟ وكيف إحسانُكَ إلى مَن أَساءِ إليك؟ وكيف صَبْرك واحتمالُك للأذى؟ أَنت إلى إحكام هذا أَحوجُ مِن تَركِ الخَبيص .

وأَمَّا نُعوت الأَطعمة وما جاء فيها :

• فقد[1] نقل عن الرَّشيد أَنَّه سأَل أَبا الحارث عن الفالوذج واللَّوزينج ، أَيُّهما أَطيب؟ فقال : يا أَمير المؤمنين ، لا أَقضي على غائبٍ ؛ فأَحضَرَهما إليه ، فجعلَ يأكلُ من هذا لُقمةً ومن هذا لُقمةً ، ثم قال : يا أَمير المؤمنين ، كُلَّما أَردتُ أَن أَقضيَ لأَحدهما أَتى الآخرُ بِحُجَّتِه .

• واختلف[2] الرَّشيدُ وأُمُّ جعفر في الفالُوذج واللَّوزينج ، أَيُّهما أَطيب؟ فحضر أَبو يوسف القاضي ، فسأَله الرَّشيدُ عن ذلك فقال : يا أَمير المؤمنين ، لا يُقضى على غائبٍ ؛ فأَحضرهما ، فأكل حتَّى اكتفى ، فقال له الرَّشيد : احكمْ ؛ قال : قد اصطلح الخصمان يا أَمير المؤمنين ؛ فضَحك الرَّشيد ، وأَمر له بأَلف دينار ، فبلغ ذلك زُبيدة ، فأَمرت له بأَلف دينارٍ إلا ديناراً .

• وسمع[3] الحسنُ البَصريُّ رجلاً يعيبُ الفالوذج ، فقال : لُباب البُرِّ ، بلعابِ النَّحل ، بخالصِ السَّمن ، ما أَظنُّ عاقلاً يَعيبه .

• وقال[4] الأَصمعيُّ : أَوَّلُ مَن صنعَ الفالوذَج عبدُ الله بن جُدعان .

• وأُتيَ أَعرابيٌّ بفالوذجٍ ، فأَكل منه لُقمةً ، فقيل له : هل تعرفُ هذا؟ فقال : هذا ـ وحياتك ـ الصِّراطُ المستقيم .

---

(١) نثر الدر (٣/ ٢٥١) وأبو الحارث هو جُمَّين .

(٢) التذكرة الحمدونية (٩/ ١٢٩) وأخبار الأذكياء (٨٣) .

(٣) ثمار القلوب (٢/ ٧٣١) والتوفيق (١٦٧) وربيع الأبرار (٣/ ٣٥٢)، والعقد الفريد (٦/ ٢٩٣) . والعائب هو فرقد السّبخي كما في خاص الخاص (٥٦) .

(٤) ثمار القلوب (٢/ ٨٦٩) .

- وكان أَحبَّ الطَّعام إِلى رسول الله ﷺ اللَّحمُ .

- وعن أَبي الدَّرداء رضي الله عنه ، أَنَّ رسول الله ﷺ قال : « سَيِّدُ طعامِ أَهل الدُّنيا وأَهل الجنَّة اللَّحم » .

- وكان ﷺ يَقول : « هو سَيِّدُ الطَّعام في الدُّنيا والآخرة ، وهو يزيدُ في السَّمع ، ولو سأَلتُ رَبِّي أَن يُطعمَنيه كلَّ يومٍ لفعل » .

- وكان ﷺ يُحبُّ الدُّبّاء ويقول : « يا عائشةُ ، إذا طبختُم قِدْراً فأَكثروا فيها من الدُّبّاء ، فإِنَّها تَشُدُّ القلبَ الحزين ، وهي شجرةُ أَخي يونس » .

- وعنه ﷺ أَنَّه قال : عليكُم بالقَرعِ ، فإِنَّه يشدُّ الفُؤاد ويَزيد في الدّماغ ؛ وعليكم بالعَدَس ، فإِنَّه يرقُّ القلبَ ويغزرُ الدَّمعة » .

- وعن[1] أَبي رافع ، قال : كان أَبو هُريرة رضي الله عنه يقول : أَكْلُ التَّمرِ أَمانٌ من القُولَنْج ، وشُرْبُ العسلِ على الرِّيقِ أَمانٌ من الفالِج ، وأَكلُ السَّفرجَل يُحَسِّنُ الوَلد ، وأَكلُ الرُّمّانِ يُصلح الكَبد ، والزَّبيبُ يَشُدُّ العَصَب ويَذهب بالنَّصَب والوَصَب ، والكِرْفِسُ يُقَوِّي المعدة ويُطَيِّبُ النَّكهة ؛ وأَطيبُ اللَّحم الكتفُ .

- وكان يديمُ أَكل الهريسة ، وكان يأكلُ على سِماط معاوية ويُصلِّي خلفَ عليٍّ[2] ، ويجلسُ وحده ؛ فَسُئل عن ذلك فقال : طعامُ معاويةَ أَدسمُ ، والصَّلاةُ خلفَ عليٍّ أَفضلُ وهو أَعلم ، والجلوسُ وَحدي لي أَسلم .

- وسُمِّيت المتوكِّليَّة بالمتوكِّل ، والمأمونيَّة بالمأمون .

- وقال[3] الحسنُ بن سَهْلٍ يوماً على مائدة المأمون : الأَرُزُّ يزيدُ في العُمر ؛

---

(١) ثمار القلوب (١/ ٢٠٩-٢١٠).

(٢) انظر تعليقنا على هذه الفرية في حاشية ثمار القلوب (١/ ٢١٠).

(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٣٥٤) ومحاضرات الراغب (١/ ٦١٣).

فسأَله المأمون عن ذلك فقال : يا أَمير المؤمنين ، إِنَّ طِبَّ الهندِ صحيحٌ ، وهم يقولون : إِنَّ الأَرُزَّ يُري مَنامات حَسَنَةً ، ومَن رأَى مناماً حَسَناً كان في نهارين ؛ فاستحسن قوله ووصلَه .

• وقال[١] أَبو صَوّارة : الأَرُزُّ الأَبيضُ بالسَّمن والسُّكَّر ، ليس من طعامِ أَهل الدُّنيا .

• وقيل[٢] لأَبي الحارث : ما تقولُ في الفالوذجة؟ قال : وَددتُ لو أَنَّها ومَلَكَ الموتِ اعتلجا في صَدري ؛ والله لو أَنَّ موسى لَقي فِرعون بالفالوذَجة لآمَنَ ، ولكنَّه لقيَه بعصا .

• وكانت[٣] العربُ لا تعرفُ الأَلوان ، إِنَّما كان طعامُهم اللَّحمُ يُطبخُ بالماء والمِلح ، حتَّى كان زَمن معاوية رضي الله عنه فاتَّخَذَ الأَلوان .

• ويقال[٤] للمَرَقةِ المُسَخَّنَةِ : بنتُ نارَين ؛ وكان بعضُ المُتْرَفين يقولُ : جَنِّبوا مائِدتي بنتَ نارَين .

• وقالوا[٥] : كُلُّ طعامٍ أُعيدَ عليه التَّسخينُ مرَّتين فهو فاسدٌ .

• وقيل[٦] : إِذا أُلقيَ اللَّحمُ في العَسَلِ ، أُخرج بعد شَهْرٍ طَرِيّاً لا يتغيَّرُ .

• ويقال[٧] للسِّكباج : سَيِّدُ المَرَقِ ، وشيخُ الأَطعمة ، وزَيْنُ الموائد .

• ويُقال[٧] : إِذا طَبَخْتَ اللَّحمَ بالخَلِّ فقد أَلقيتَ عن مَعدتكَ ثُلُثَ المَؤونة .

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٣٩٩) والعقد الفريد (٦/ ٣٩٩)، وفي عيون الأخبار (٣/ ٢٠٠) وله أو لابن دَقَّه.
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٣٥٩).
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٣٧٢) والتذكرة الحمدونية (٩/ ١١٨).
(٤) ثمار القلوب (١/ ٤٣٢) وربيع الأبرار (٣/ ٣٧٣) والمرصع (٣٢٥ و ٣٣٠).
(٥) ربيع الأبرار (٣/ ٣٧٤).
(٦) ربيع الأبرار (٣/ ٤١٠).
(٧) ربيع الأبرار (٣/ ٣٩٣).

● ويقال[1] للخُبز : ابنُ حَبَّة ؛ قال بعضُهم[2] : [من المجتث]

فــي حَبَّــةِ القَلْــبِ مِنِّــي زَرَعْــتُ حُــبَّ ابْــنِ حَبَّــهْ

● وعن[3] ابن عبَّاسٍ رضي الله تعالى عنهما ، رَفَعَهُ : « أَكرِموا الخُبْزَ » قالوا : وما كرامَتُه يا رسولَ الله؟ قال : « لا يُنْتَظَرُ بهِ الإدام ، إذا وَجَدتُمُ الخبزَ فَكُلوهُ حتَّى تُؤْتَوا بغَيره » .

● وفي[4] الحديث : « مَن داومَ على اللَّحمِ أَربعين يوماً قَسا قلبُه ، ومَن تركَه أَربعين يوماً ساءَ خُلُقه » .

● وقيل[5] : المائدةُ الَّتي أُنزلَت على بني إِسرائيل ، كان عليها كُلُّ البُقول إلا الكُرّاث ، وسَمَكَةٌ عند رأسِها خَلٌّ وعند ذَنَبِها مِلْحٌ ، وسَبعةُ أَرغفةٍ ، على كُلِّ واحدٍ زَيتونٌ وحَبُّ رمانٍ .

● ودخل[6] ابنُ قُرَيْعة يوماً على عِزِّ الدَّولة ، وبين يدَيه طَبقٌ فيه مَوْزٌ ، فتأَخَّر عن استدعائه ، فقال : ما بالُ مَولانا ليس يَدعوني إلى الفوزِ بأَكل الموز؟ فقال : صِفْهُ حتَّى أُطعمكَ منه ؛ فقال : ما الَّذي أَصفُ من حُسن لَونه؟ فيه سَبائكُ ذَهَبيَّةٌ ، كأَنَّها حُشِيَتْ زُبْداً وَعَسَلاً ، أَطْيَبُ الثَّمَر ، كأَنَّه مُخُّ الشَّحْمِ ، سَهْلُ المَقْشَرِ ، لَيِّنُ المَكْسَرِ ، عَذْبُ المَطْعَمِ بينَ الطُّعوم ، سَلِسٌ في الحُلقوم ؛ ثم مدَّ يدَه وأَكل .

● وسمعَ[7] رجلاً يذمُّ الزُّبْدَ ، فقال له : ما الَّذي ذَمَمْتَ منه؟ سوادَ لونه ، أَم

---

(١) ثمار القلوب (١/ ٤١٩ و٢/ ٩٩٦) وربيع الأبرار (٣/ ٣٩٤).

(٢) البيت للثعالبي في ديوانه (١٥٤) (الحلو) وبلا نسبة في الثمار (١/ ٤٢٠) وربيع الأبرار (٣/ ٣٩٤).

(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٣٩٨).

(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٣٧٦)، والتذكرة الحمدونية (٩/ ٩٥).

(٥) ربيع الأبرار (٣/ ٤١٦).

(٦) التذكرة الحمدونية (٩/ ١١٩).

(٧) التذكرة الحمدونية (٩/ ١٢١). والقائل هو أبو الحارث جُمَّين؛ ومحاضرات الراغب (١/ ٦١٧).

بَشاعة طَعمه ، أَم صُعوبة مُدخَله ، أَم خُشونة مَلْمَسه؟ .

• وقيل[1] له : ما تَقولُ في الباذنجان؟ فقال : أَذنابُ المحاجِم ، وبُطونُ العقارب ، وبَزْرُ الزَّقُّوم ؛ قيل له : إِنَّه يُحْشَى باللَّحْم فيكونُ طَيِّباً ؛ فقال : لو حُشِيَ بالتَّقوى والمَغفرة ما أَفلحَ .

• وصنع[2] الحجّاجُ وَليمةً واحتفلَ فيها ، ثم قال لزاذان : هل عَمِلَ كِسرى مثلَها؟ فاستعفاه ، فأَقسم عليه ، فقال : أَوْلَمَ عَبْدٌ عندَ كِسرى فأَقام على رُؤوسِ النّاس أَلْفَ وَصيفةٍ ، في يدِ كُلِّ واحدٍ إِبريقٌ من ذَهَبٍ . فقال الحجّاجُ : أُفٍّ ، واللهِ ما تَرَكَتْ فارِسُ لِمَن بعدَها من المُلوك شَرَفاً .

• وأَهدى[3] رجلٌ إِلى آخرَ فالوذَجَةً زَنِخَةً ، وكتب إِليه : إِنِّي اختَرْتُ لِعَملها السُّكَّر السُّوسيَّ ، والعَسَلَ الماذيّ ، والزَّعفرانَ الأَصبهانيَّ ؛ فأَجابه : واللهِ العظيم ، ما عُمِلَتْ إِلا قبلَ أَن تُوجدَ أَصبهان ، وقبلَ أَن تُفتحَ السُّوس ، وقبلَ أَن أَوْحَى رَبُّكَ إِلى النَّحل .

• وقيل[4] : إِنَّ أَبا جَهْم بن عَطيَّة كان عَيْناً لأَبي مُسلم الخُراسانيّ على المنصور ، فأَحسَّ المنصورُ بذلك ، فطاوَلَهُ الحديثَ يوماً حتَّى عطشَ ، فاستسقَى ، فدعا له بقدحٍ من سَويقِ اللَّوزِ فيه السُّمُّ ، فناوَله إِيَّاه فشربَ منه ، فما بلغَ دارَه حتَّى ماتَ ، فقيل في ذلك[5] : [من الطويل]

تَجَنَّبْ سَويقَ اللَّوزِ لا تَقْرَبَنَّهُ فَشُرْبُ سَويقِ اللَّوْزِ أَرْدى أَبا جَهْمِ

---

(١) التذكرة الحمدونية (٩/ ١٢١). والقائل هو أبو الحارث جُمَّين؛ ومحاضرات الراغب (١/ ٦١٧).

(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٣٥١).

(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٣٦١).

(٤) ثمار القلوب (١/ ٢٦٦) وربيع الأبرار (٣/ ٣٦٧).

(٥) البيت بلا نسبة في الثمار وربيع الأبرار.

• وقال أَبو طالب المأمونيّ[1] : [من الطويل]

فَما حَمَلَتْ كَفُّ ٱمْرِىءٍ مُتَطَعِّماً   أَلَذَّ وَأَشْهى مِن أَصابِعِ زَيْنَبِ

• وأَصابعُ زَينب ضربٌ من الحَلوى يُعمل ببغداد ، يُشْبِهُ أَصابعَ النِّساء المنقوشة .

• ودخل[2] السَّائب على عليٍّ رضي الله عنه في يوم شاتٍ ، فناوَلَهُ قَدَحاً فيه عَسَلٌ وَسَمْنٌ وَلَبَنٌ ، فَأَبَاهُ ، فقال : أَما إِنَّك لو شَرِبتَهُ لَم تَزَل دَفِئاً شَبعانَ سائرَ يَومك .

• وعن[3] نافع بن أَبي نُعيم ، قال : كان أَبو طالبٍ يُعطي عَليّاً قَدَحاً من اللَّبن يَصُبُّهُ على اللاتِ ، فكان عليٌّ يَشربُ اللَّبَن ويبولُ على اللاَّت [حتَّى سَمِن ، فأَنكر ذلك أَبو طالبٍ حتى عرف القصَّةَ ، فَوَلَّى ذلك عَقيلاً] .

وأَمّا الزُّهد في المآكل :

• فقد زَهد فيه كثيرٌ من الأَخيار مع القُدرة عليه ، ومنهم من لا يقدرُ عليه .

• قالت[4] عائشةُ رضي الله عنها : والَّذي بَعَثَ محمَّداً ﷺ بالحقِّ ما كان لنا مُنخلٌ ، ولا أَكلَ رسول الله ﷺ خُبْزاً مَنْخولاً منذُ بعثَه الله تعالى إِلى أَن قُبض ؛ قيل : فكيفَ كنتم تأكلون الشَّعير؟ قالت : كُنّا نقولُ : أُفّ أُفّ .

• وعن[4] جابرٍ رضي الله عنه ، رَفَعه : « نِعْمَ الإِدامُ الخَلُّ ، وكفى بالمرءِ سَرَفاً أَن يَتَسَخَّطَ ما قُرِّبَ إِليه » .

• وقال[5] عُمر رضي الله تعالى عنه : ما اجتمعَ عند رسول الله ﷺ أَدَمان إِلا

---

(١) له في ثمار القلوب (١/ ٤٩١) ويتيمة الدهر (٤/ ١٨٥) وربيع الأبرار (٣/ ٣٧٣) .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٤٢٥) .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٤٢٥) والزيادة منه .
(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٣٦٠) .
(٥) ربيع الأبرار (٣/ ٣٦١) .

أَكل أَحدَهما وتصدَّق بالآخر .

- وقالت[1] عائشةُ رضي الله تعالى عنها : ما كانَ يجتمعُ لَونان في لُقمةٍ في فَم رسول الله ﷺ ؛ إن كان لَحْماً لم يكنْ خُبزاً ، وإِن كان خُبزاً لم يكن لَحماً .

- وعن[2] النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال : « يا عليُّ ابدأْ بالمِلح واختُم به ، فإِنَّ فيه شِفاءً من سبعين داءً » .

- ورُوي[3] أَنَّ نبيّاً من الأَنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام شَكا إِلى الله الضَّعف ، فأَمره أَن يطبخَ اللَّحمَ باللَّبن ، فإِنَّ القُوَّة فيهما .

- وسنذكرُ فَضْلَ الزُّهد في المآكلِ والمشاربِ في باب مَدح الفقر ، إِن شاءَ الله تعالى .

وأَمّا ما جاء في آداب الأكل

- فقد[4] قال رسول الله ﷺ : « مَن قال عند مَطعمه ومَشربه : بسم الله خير الأَسماء ، بسم الله رَبِّ الأَرض والسَّماء ؛ لم يَضُرَّهُ ما أَكَلَ وما شَرب » .

- وكان ﷺ إِذا وُضِع بينَ يديه الطَّعام قال : « بسم الله ، اللَّهُمَّ بارك لنا فيما رَزَقْتَنا وعليك خَلَفُه » .

- وقال ﷺ : « مَن أَكل طعاماً فقال : الحمدُ لله الَّذي أَطعمني هذا ورَزَقنيه ، من غير حَوْلٍ منِّي ولا قُوَّةٍ ؛ غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبه ؛ ومَن لبسَ ثَوباً فقال : الحمدُ لله الَّذي كساني هذا ورَزقنيه من غير حَوْلٍ منِّي ولا قُوَّةٍ ؛ غُفِرَ له ما تَقدَّم من ذَنبه » .

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٣٦١).
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٣٧٤)، ومحاضرات الراغب (١/ ٦١٣).
(٣) عيون الأخبار (٣/ ٢٠٨).
(٤) التذكرة الحمدونية (٩/ ٨٣).

• وقالت[1] عائشةُ رضي الله تعالى عنها : قال رسول الله ﷺ : « إذا أكلَ أَحدُكم فلْيذكر اسمَ الله تعالى ، فإن نَسِيَ في أَوَّلِهِ فَلْيقُل بسمِ الله أَوَّله وآخِره » .

• وفي[2] حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ، قال رسول الله ﷺ : « إذا أكل أَحدُكم فلْيأكلْ بيمينه ، وإذا شربَ فلْيشرب بيمينه ؛ فإنَّ الشَّيطانَ يأكلُ بشماله ويشرب بشماله » .

• وقال[3] ﷺ : « الأَكْلُ في السُّوق دناءَةٌ » .

• وعن أَنس رضي الله تعالى عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ زَجَرَ عن الشُّربِ قائماً ؛ قال : فسأَلناه عن الأَكل قائماً ، فقال : هو شَرٌّ من الشُّرب .

• وأَوصى[4] رجلٌ من خَدَم الملوك ابنَه ، فقال : إذا أَكلتَ فَضُمَّ شَفتيك ، ولا تلتفتنَّ يميناً ولا شِمالاً ، ولا تلقمنَّ بسكِّينٍ ، ولا تجلس فوقَ مَن هو أَشرفُ منك وأَرفعُ مَنْزِلةً ، ولا تبصقْ في الأَماكن النَّظيفة .

• ومن هذا ما رواه الزُّهريُّ، أَنَّ النَّبي ﷺ نهى عن النَّفخ في الطَّعام والشَّراب .

• وقال عليٌّ رضي الله تعالى عنه : نهى رسول الله ﷺ أَن يُؤكل الطَّعام حارّاً .

• وفي[5] الصَّحيحين ، عن أَبي هُريرة رضي الله تعالى عنه ، قال : ما عابَ النَّبيُّ ﷺ طعاماً قطُّ ، إن اشتهاه أَكَلَهُ ، وإلا تَركه .

• وقال[6] عُمر بن هُبيرة : عليكم بِمُباكَرة الغداء ، فإنَّ مُباكَرَته تُطيِّب النَّكهة ،

---

(١) التذكرة الحمدونية (٩/ ٨٣).
(٢) التذكرة الحمدونية (٩/ ٨٣) والعقد الفريد (٦/ ٢٩٧).
(٣) العقد الفريد (٦/ ٢٩٧) وعيون الأخبار (٣/ ٢١٤).
(٤) عيون الأخبار (٣/ ٢٢١).
(٥) سنن ابن ماجه (٢/ ١٠٨٥) رقم (٣٢٥٩) والتذكرة الحمدونية (٩/ ٨٢).
(٦) ربيع الأبرار (٣/ ٣٥٥) والتذكرة الحمدونية (٩/ ٨٦).

وتُعين على المروءة ؛ قيل : وما إعانَتُه على المروءة؟ قال : أَن لا تتوقَ نفسُك إلى طعامِ غيرِك .

● وعن[1] النَّبيِّ ﷺ قال : « مَن أَكل من سَقَط المائدة عاش في سَعَةٍ ، وعُوفي في وَلدِه وولدِ ولدِه من الحُمق » .

● وعنه[2] ﷺ : « مَن لَقَطَ شيئاً من الطَّعام فأَكله حرَّم الله جِلده على النَّار » .

● وكان[3] الحارث بن كَلَدَة يقول : إذا تغدَّى أَحدُكم فَلْيَنَمْ على غَدائه ، وإذا تَعَشَّى فَلْيَخْطُ أَربعين خُطوةً .

● وقيل[4] : خيرُ الغداءِ بواكرُه ، وخيرُ العشاءِ سَوافرُه .

● وعن ابن عبّاسٍ رضي الله تعالى عنهما ، قال : نَهى رسول الله ﷺ أَن يُتبع الرَّجلُ بَصَرَهُ لُقمة أَخيه .

● وقال الحجّاج لأَعرابيٍّ يوماً على سِماطه : ارفقْ بنفسِك ؛ فقال : وأَنت يا حجّاج ، اغضُضْ من بَصَرِك .

● وقال[5] معاوية لرجلٍ على مائدته : خُذْ الشَّعْرةَ من لُقمتك ؛ فقال : وإِنَّك تُراعيني مُراعاةَ مَن يرى الشَّعرة في لُقمتي؟ لا أَكلتُ لك طعاماً أَبداً .

● ووضَع[6] معاويةُ بين يدي الحسن بن عليّ رضي الله تعالى عنهما دَجاجةً ، فَفَكَّها ؛ فقال مُعاوية : هل بينَك وبين أُمِّها عداوَةٌ؟ فقال الحسنُ : فهل بينَك وبين أُمِّها قَرابةٌ؟ .

---

(١) عيون الأخبار (٣/ ٢٢٠) وربيع الأبرار (٣/ ٣٥٦) ومحاضرات الراغب (١/ ٦٤٠).
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٣٥٤).
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٣٧٦).
(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٣٧٩) ومحاضرات الراغب (١/ ٦٣١).
(٥) عيون الأخبار (٣/ ٢٢١) والتذكرة الحمدونية (٩/ ٩٧).
(٦) ربيع الأبرار (٣/ ٣٥٥).

أَرادَ مُعاوية أَن الحسن يُوَقِّرُ مَجلسَه كما تُوَقَّرُ مَجالسُ الملوك ؛ والحسنُ أَعلمُ منه بالآداب والرُّسوم المستحسنة رضي الله تعالى عنهما .

• وأُحضر[1] أَعرابيٌّ على مائدة بعض الخُلفاء ، فَقُدِّم جديٌ مَشويٌّ ، فجعلَ الأَعرابيُّ يُسرع في أَكله منه ، فقال له الخليفة : أَراك تأكلُه بِحَرَدٍ ، كأَنَّ أُمَّه نَطَحَتْكَ ؛ فقال : أَراك تُشفق عليه كأَنَّ أُمَّه أَرضعتك .

وأَمّا ما جاء في كثرة الأَكل

• فقد[2] رُوي عن حُذيفة رضي الله تعالى عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ : « مَن قَلَّ طعامُه صَحَّ بَطْنُهُ وَصَفا قَلْبُهُ ، ومَن كَثُرَ طعامُه سَقُمَ بَطنه وقَسا قلبه » .

• وعنه[2] ﷺ : « لا تُميتوا القُلوب بكثرة الطّعام والشَّراب ، فإِنَّ القلبَ كالزَّرعِ إِذا كثرَ عليه الماءُ مات » .

• وقال[3] ﷺ : « ما زَيَّنَ اللهُ رجلاً بزينةٍ أَفضلَ من عَفاف بَطنه » .

• وقال[3] عمرو بن عُبيد : ما رأَيتُ الحسن ضاحِكاً إِلا مَرَّةً واحدةً ؛ قال رجلٌ من جُلسائه : ما آذاني طعامٌ قطُّ ؛ فقال له آخرُ : أَنت لو كانت في مَعدتك الحجارةُ لَطَحَنَتْها .

• وقال[4] عليٌّ كرَّم الله وجهه : « البِطْنَة تُذهبُ الفِطْنَة » .

• وقال[5] ابنُ المقفَّع : كانت مُلوك الأَعاجم إِذا رأَت الرَّجلَ نَهِماً شَرِهاً أَخرجوه من طبقة الجدِّ إِلى باب الهزْلِ ، ومن باب التَّعظيم إِلى باب الاحتقار .

---

(١) عيون الأخبار (٣/ ٢٦٠) بين المغيرة بن عبد الله الثقفي وأعرابيّ، والعقد الفريد (٦/ ١٨٢).
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٣٤١).
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٣٤٤).
(٤) التذكرة الحمدونية (٩/ ٨٧) والعقد الفريد (٦/ ٢٩٨) ومحاضرات الراغب (٢/ ٦٣١).
(٥) التذكرة الحمدونية (٩/ ٨٧).

• وتقول[1] العربُ : أَقللْ طعاماً تَحْمَدْ مناماً .

• وكانت العربُ تُعَيِّرُ بعضَها بكثرةِ الأَكل ؛ وأَنشدوا[2] : [من الرجز]

لَسْتُ بِـأَكّـالٍ كَـأَكْـلِ العَبْـدِ وَلا بِنَـــوّامٍ كَنَـــوْمِ الفَهْـــدِ

• وأَنشدَ الأَصمعيُّ لرجلٍ من بني نَهْدٍ[3] : [من الطويل]

إذا لَـمْ أَزُرْ إلا لآكُـلَ أَكْلَـةً فَلا رَفَعَتْ كَفّي إِليَّ طَعامي

فَمـا أَكْلَـةٌ إنْ نِلْتُهـا بِغَنيمـةٍ وَلا جَـوْعَـةٌ إنْ جُعْتُهـا بِغَـرام

• وقالت[4] عائشةُ رضي الله تعالى عنها : أَراد رسول الله ﷺ أَن يشتريَ غُلاماً ، فأَلقى بين يديه تَمْراً ، فأَكل فأَكثرَ ، فقال ﷺ : «إِنَّ كثرةَ الأَكلِ شُؤْمٌ» .

• وقالوا[5] : الوحدةُ خيرٌ من الجليسِ السُّوءِ ، والجليسُ السُّوءُ خيرٌ من الأَكيل السُّوء .

• وشكا[6] أَبو العَيْناء إلى صديقٍ له سُوءَ الحال ، فقال : اُشكرْ ، فإِنَّ الله قد رزقَكَ الإِسلامَ والعافية ؛ قال : أَجل ، ولكن بينَهما جوعٌ يُقلقل الكَبِد .

• ودَعَت[7] أَبا الحارث حبيبةٌ له ، فحادَثَتْهُ ساعةً ، فجاعَ ، فطلبَ الأَكل ، فقالت له : أَما في وَجهي ما يَشْغَلُكَ عن الأَكل؟ قال : جُعِلْتُ فداءَك ، لو أَنَّ جَميلاً وبُثينَة قعدا ساعةً لا يأكلان ، لَبَصَقَ كُلٌّ منهما في وجهِ صاحبه وافترقا .

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٣٤٩).
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٣٥٨) والتذكرة الحمدونية (٩/ ٩٥) والقول لابن دريد، والبيت فيهما بلا نسبة.
(٣) عيون الأخبار (٣/ ٢٢٠) وربيع الأبرار (٣/ ٣٥٨) والتذكرة الحمدونية (٩/ ٩٥).
(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٣٥٧).
(٥) للحارثي في بخلاء الجاحظ (٦٨) والتوفيق (١٢٨) وثمار القلوب (٢/ ٧٢١) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٣٢٣) وربيع الأبرار (٣/ ٣٨٦).
(٦) التذكرة الحمدونية (٩/ ١٣٨) ونثر الدر (٢/ ٢٢٤).
(٧) ربيع الأبرار (٣/ ٣٤٦).

وأمّا أَخبار الأَكَلَة :

• فقد قيل : إنَّ وهبَ بن جَرير سأَل مَيْسَرَة التَّرّاس عن أَعجب ما أَكل ، فقال : أَكلتُ مِئة رغيفٍ بِمَكُّوكِ مِلْحٍ .

• ومرَّ[1] مَيْسرة المذكورُ يوماً بقومٍ وهو راكبٌ حماراً ، فدعَوه للضِّيافة ، فذَبحوا له حِماره وطَبخوه ، وقدَّموه له ، فأَكله كلَّه فلمّا أَصبح طلب حماره ليركبَه ، فقيل له : هو في بَطنك .

• وقال[2] المعتمر بن سُليمان : قلتُ لهلال المازِنيّ : ما أَكْلَةٌ بَلَغتني عنك؟ قال : جُعتُ مَرَّةً ومعي بعيرٌ لي ، فنحرتُه وشويتُه وأَكلتُه ، ولم أُبق منه إلا شيئاً يَسيراً حَملتُه على ظهري ، فلمَّا كان اللَّيلُ أَردت أَن أُجامع أَمَةً لي ، فلم أَقدر أَن أَصِلَ إِليها ، فقالت : كيف تَصِلُ إِليَّ وبيننا جَملٌ؟ فقلتُ له : كم تكفيك هذه الأَكلة ، فقال : أَربعة أَيّام .

• وقال[3] الأَصمعيُّ : إِن سُليمان بن عبد الملك كان شَرِهاً نَهِماً ، وكان من شَرَهِهِ أَنَّه إِذا أُتِيَ بالسُّفُّود وعليه الدَّجاج السَّمين المشويُّ لا يَصبر إِلى أَن يبردَ ، ولا أَن يُؤتى بمنديلٍ ، فيأخذُ بِكُمِّهِ ، فيأكلُ واحدةً واحدةً حتَّى يأتي عليها ؛ فقال الرَّشيد : ويحكَ يا أَصمعيُّ ، ما أَعلمك بأَخبار النّاس ، إِنِّي عُرِضَت عليَّ جِبابُ سُليمان ، فرأَيتُ فيها آثارَ الدُّهن ، فظننتُه طِيْباً حتَّى حدَّثتني ؛ ثم أَمر لي بِجُبَّةٍ منها ، فكنتُ إِذا لبستُها أَقول : هذه جُبَّةُ سُليمان بن عبد الملك .

---

(١) مثله عن أبي الحسن بن العلاّف الشاعر، في التذكرة الحمدونية (٩/ ١٠٤) ونثر الدر (٢/ ٢٤٩).

(٢) عيون الأخبار (٣/ ٢٢٦) ونثر الدر (٢/ ٢٣٧ و٢٤٧) والتذكرة الحمدونية (٩/ ١٠١) ومحاضرات الراغب (١/ ٦٣٥) والعقد الفريد (٦/ ٣٠٠).

(٣) التذكرة الحمدونية (٩/ ٩٩).

• وقال[1] الشَّمردلُ وكيلُ عَمرو بن العاص : قدِمَ سُليمانُ بن عبد الملك الطَّائفَ فدخَلَ هو وعُمر بن عبدِ العزيزِ إليَّ ، وقال : يا شَمردل ، ما عندك ما تُطعمني؟ قلتُ : عِندي جَدْيٌ كأعظم ما يكونُ سِمَناً ؛ قال : عَجِّلْ بِهِ ؛ فأَتيتُه به كأنَّه عُكَّة سَمْنٍ ، فجعلَ يأكلُ منه ولا يدعو عمر ، حتَّى إذا لم يُبقِ منه إلا فَخِذاً قال : هَلُمَّ يا أَبا جعفر ؛ فقال : إنِّي صائمٌ ؛ فأكله ؛ ثم قال : يا شَمردل ، ويْلَكَ ، أما عندك شيءٌ؟ قلت : سِتُّ دجاجات كأَنَّهُنَّ أَفخاذُ نَعامٍ ، فأَتيتُه بهنَّ فأَتى عليهنَّ ، ثم قال : يا شَمردل ، أَما عندك شيءٌ؟ قلت : سَويقٌ كأَنَّه قُراضة الذَّهب ؛ فأَتيتُه به ، فَعَبَّهُ حتَّى أَتى عليه ؛ ثم قال : يا غُلام ، أَفَرَغْتَ من غَدائنا؟ قال : نعم ؛ قال : ما هو؟ قال : نَيِّفٌ وثلاثون قِدراً ، قال : ائْتني بقِدْرٍ قِدْرٍ ؛ فأَتاه بها ومعه الرِّقاقُ ، فأَكل من كُلِّ قِدْرٍ ثُلُثَهُ ، ثم مسحَ يدَه واستلقى على فِراشه ، وأَذن للنّاس فدخلوا ، وَصُفَّ الخِوانُ ، فقَعد وأَكل مع النّاس .

• وكان[2] هلالُ بن الأَسْعَر يضعُ القِمْعَ على فيهِ ويصبُّ اللَّبن أَو النَّبيذَ ، وكان غليظاً عُتُلاًّ .

• وقال[3] أعرابيٌّ لرجلٍ رآه سَميناً : أَرى عليك قطيفةً من نَسجِ أَضراسك .

• وقال[4] أَبو المخشّ الأَعْرابيُّ : كانت لي بِنْتٌ تجلسُ على المائدة فَتُبرزُ كَفّاً كأَنَّها صَلْفَةٌ[5] ، في ذِراعٍ كأَنَّهُ جُمّارةٌ[6] ، فلا تقعُ عينُها على لُقمةٍ نَفيسةٍ إلا

---

(١) عيون الأخبار (٣/ ٢٢٧) والعقد الفريد (٦/ ٣٠١) والتذكرة الحمدونية (٩/ ٩٨) ومحاضرات الراغب (١/ ٦٣٥). وانظر مختصر تاريخ دمشق (١٠/ ١٧٧) ونزهة الأنام (٣١٥).

(٢) عيون الأخبار (٣/ ٢٢٦) والتذكرة الحمدونية (٩/ ١٠١ـ١٠٢).

(٣) عيون الأخبار (٣/ ٢٢٥).

(٤) عيون الأخبار (٣/ ٢١٩) ونسبه لأَبي نهشل، وربيع الأبرار (٣/ ٤٠٦).

(٥) الصَّلْفَةُ: خوا في قلب النخلة. (القاموس).

(٦) الجُمّارة: شحم النخلة. (القاموس).

خَصَّتْني بها، فكَبُرت وزوَّجتُها، وصرتُ أَجلس على المائدة مع ابنٍ لي، فَيُبرزُ كفّاً كأَنَّها كِرْنافَةٌ[1] ، فوالله لمْ تسبقْ عيني إلى لُقمةٍ طَيِّبَةٍ إلا سَبَقَتْ يَدُه إليها .

• وقال[2] سَلْم بن قُتيبة : عددتُ للحجّاج أَربعةً وثمانين رغيفاً ، مع كلِّ رغيفٍ سمكةٌ .

• ويُقال[3] : فُلانٌ يُحاكي حوتَ يُونس في جودةِ الالتقام ، وعَصا مُوسى في سُرعة الالتهامِ .

• وقيل[4] لأَبي مُرَّة : أَيُّ الطَّعام أَحَبُّ إِليك؟ قال : لحمٌ سَمين ، وخُبْزٌ سَميدٌ ، أَضربُ فيه ضَرْبَ وَلِيِّ السُّوءِ في مالِ اليتيمِ .

• وقال[5] صَدَقَةُ بن عُبيد المازني : أَوْلَمَ لي أَبي لمّا تزوَّجْتُ ، فعملَ عَشْرَ جِفانِ ثريدٍ من جَزورٍ ، فكان أَوَّلَ مَن جاءنا هلالُ المازنيُّ ، فقدَّمنا له جَفْنَةً مُتْرَعَةً ، فأَكلها ؛ ثم أُخرى ، فأَكلها ، حتَّى أَتى على الجميع ، ثم أُتي بِقِرْبَةٍ مملوءةٍ من النَّبيذ ، فوضَع طَرَفَها في شِدْقِهِ وفَرَغَها في جَوفه ، ثم قام فخَرج ، واستأنَفنا عملَ الطَّعام .

• وكان[6] عبيد الله بن زياد يأكلُ في كلِّ يومٍ خمسَ أَكلاتٍ ، فخرجَ يوماً يُريدُ الكوفة ، فقال له رجلٌ من بني شَيبان : الغداءَ ، أَصلحَ اللهُ الأَميرَ ؛ فنزلَ ،

---

(١) الكرنافة : أُصول الكَرَب تبقى في الجذع بعد قطع السَّعف . (القاموس) .

(٢) عيون الأخبار (٣/ ٢٢٨) ونثر الدر (٢/ ٢٤٨) والتذكرة الحمدونية (٩/ ٩٨) .

(٣) ثمار القلوب (١/ ١٢٢) والتوفيق (٥٤) والقول لأبي الخطّاب الصّابي، وبلا نسبة في ربيع الأبرار (٣/ ٤١٠) .

(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٣٨١) وعيون الأخبار (٣/ ١٩٨) والعقد الفريد (٣/ ٤٨٤ و٦/ ٢٩٩) ومحاضرات الراغب (٢/ ٦١٠) والتذكرة الحمدونية (٩/ ١٣٨) .

(٥) عيون الأخبار (٣/ ٢٢٦) والتذكرة الحمدونية (٩/ ١٠١ـ١٠٢) .

(٦) نثر الدر (٢/ ٢٤٦) وانظر عيون الأخبار (٣/ ٢٢٨) .

فذَبح له عشرين طائراً من الإِوَزِّ ، فأَكلها ، ثم قدَّم الطَّعام ، فأَكل ؛ ثم أَتى بزنبيلين ، في أَحدهما تِينٌ ، وفي الآخر بيضٌ ، فجَعل يأكلُ من هذا تينةً ، ومن هذا بيضةً ، حتَّى أَتى على ذلك جميعه ، ثم رجعَ وهو جائعٌ .

• وكان[1] مَيْسَرَة التَّرّاس يأكُل الكبشَ العظيم ومئة رغيفٍ ، فذُكر ذلك للمهديّ ، فقال : دعوتُ يوماً بالفيل ، وأَمرتُ ، فأُلقي إِليه رغيفٌ رغيفٌ ، فأَكل تسعةً وتسعين ، وأُلقي إِليه تمام المئة ، فلم يأكلْهُ .

• وحدَّثَ الشَّيخُ نبيه الدِّين الجَوهري ، أَنَّه سمعَ الشَّيخ الإمام عزَّ الدِّين ابن عبد السَّلام يقول[2] : إِنَّ مُعاوية بن أَبي سُفيان كان يأكلُ في كلِّ يومٍ مئة رطلٍ بالدِّمشقيِّ ولا يشبع .

• ونزل رجلٌ بصَومعة راهبٍ ، فقَدَّم إِليه الرَّاهبُ أَربعةَ أَرغفةٍ ، وذهبَ ليُحضرَ إِليه العدسَ ، فحملَه وجاء ، فوجدَه قد أَكل الخبزَ ، فذهَبَ فأَتى بخبزٍ فوجدَه قد أَكل العدسَ ، ففعل معه ذلك عشرَ مرّاتٍ ، فسأَله الرّاهبُ : أَين مقصدُك؟ قال : إِلى الأُردنِّ ؛ قال : لماذا؟ قال : بلَغني أَنَّ بها طبيباً حاذِقاً ، أَسأَلُه عمّا يُصلح مَعدتي ، فإِنِّي قليلُ الشَّهوة للطَّعام ؛ فقال له الرّاهب : إِنَّ لي إِليك حاجةً ؛ قال : وما هي؟ قال : إِذا ذهبتَ وأَصلحتَ معدتَك ، فلا تجعلْ رُجوعَك عليَّ .

وأَمّا المُهازلة على الطّعام

• فقد رُوي عن يحيى بن عبد الرَّحمن رضي الله تعالى عنه ، قال : قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : كان عندي رسول الله ﷺ وسَوْدَةُ ، فصنعتُ حريرةً ، فجِئتُ به ، فقلتُ لسَودة : كُلي ؛ فقالت : لا أُحِبُّه ؛ فقلت : واللهِ

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٣٥٢) ونثر الدر (٢/ ٢٤٩).
(٢) نثر الدر (٢/ ٢٤٥) والتذكرة الحمدونية (٩/ ٩٧).

لتأكلين أَو لأُلَطِّخَنَّ وجهَك ؛ فقالت : وما أَنا بذائقتِه ؛ فأَخذتُ من الصَّحفة شيئاً ، فَلَطَّختُ به وَجهها ، ورسولُ الله ﷺ جالسٌ بيني وبينها ، فتناولَتْ من الصَّحفة شيئاً ، فلَطَّخَت به وَجهي ، وجعل رسول الله ﷺ يضحكُ .

● واشترى[1] غُنْدُرُ يوماً سَمَكاً ، وقال لأَهله : أَصلحوه ؛ ونام ، فأَكل عيالُه السَّمك ولطَّخوا يَدَه ، فلمّا انتبه قال : قَدِّموا إِليَّ السَّمك ؛ قالوا : قد أَكلت ، قال : لا ؛ قالوا : شُمَّ يدَك ؛ ففعلَ ، فقال : صَدقتم ، ولكن ما شَبعتُ .

● ودخل[2] الحمدونيُّ على رجلٍ وعنده أَقوام بين أَيديهم أَطباق الحلوى ولا يمدُّون أَيديَهم ، فقال : لقد ذكَّرتُموني ضيفَ إِبراهيم وقول الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ [هود : ٧٠] ثم قال : كُلوا رَحِمَكم الله ؛ فضَحكوا ، وأَكلوا .

والحكايات في ذلك كثيرة .

وأمّا الضِّيافة وإِطعام الطَّعام :

● فقد قال الله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ [الذاريات : ٥١/٢٤] .

● وقال رسول الله ﷺ : « مَن كان يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، ولا يُؤْذِ جارَهُ » .

● وقال ﷺ : « مَن أَكَلَ وذو عَينين ينظرُ إِليه ولم يُواسِهِ ابتُليَ بداءٍ لا دَواءَ له » .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٠٠ و١٠١). وغندر هو محمد بن جعفر، أبو عبد الله الهذلي البصري، الحافظ الثبت.

(٢) في ثمار القلوب (١/ ١٠٥) وربيع الأبرار (٣/ ٤٠٩) دخل الجمل المصري. وهو شاعر اسمه الحسين بن عبد السلام.

• وقال الحسنُ : كُنّا نَسمعُ أنَّ إحدى مَواجب الرَّحمةِ إطعامُ الأَخِ المُسلمِ الجائعِ .

• وقيل[1] لإبراهيم الخليلِ عليه الصَّلاة والسَّلام : بِمَ اتَّخذَكَ الله خليلاً؟ قال : بثلاثٍ ؛ ما خُيِّرْتُ بين شيئين إلا اخترتُ الَّذي لله على غيره ، ولا اهتَممتُ بما تكَفَّلَ لي به ، ولا تَغَدَّيتُ ولا تَعَشَّيْتُ إلا مع ضَيْفٍ .

• ويقولون[2] : ما خَلا مَضيفُ الخليل عليه الصَّلاة والسَّلام إلى يومنا هذا ليلةً واحدةً من ضيفٍ .

• وكان[3] الزُّهريُّ إذا لم يأكلْ أَحدٌ من أَصحابه من طعامِه حَلَفَ لا يحدِّثُه عشرةَ أيّامٍ .

• وقالوا[4] : المائدةُ مرزوقةٌ ؛ أي مَن كان مِضيافاً وَسَّعَ الله عليه .

• وقالوا[5] : أَوَّلَ مَن سَنَّ القِرى : إبراهيمُ الخليلُ عليه الصَّلاة والسَّلام .

• وأَوَّل[6] مَن ثَرَدَ الثَّريدَ وهَشَمَه هاشمٌ .

• وأَوَّلُ مَن أَفطرَ جيرانَه على طعامه في الإسلام : عُبيد الله بن عبّاس رضي الله تعالى عنهما .

• وهو أَوَّلُ من وَضَعَ موائدَه على الطَّريق ، وكان إذا خرجَ من بيته طعامٌ لا يعودُ منه شيءٌ ، فإن لم يجدْ مَن يأكلُه تركه على الطَّريق .

• وقيل لبعض الكُرماء : كيف اكتسبتَ مَكارمَ الأَخلاق ، والتأدُّبَ مع الأَضياف؟

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٣٦٦).
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٤١٥).
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٤٢٣).
(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٤٧) لعبد الله بن جدعان أو هاشم بن عبد مناف.
(٥) ربيع الأبرار (٣/ ٣٦٣).
(٦) الأوائل (١/ ١٧).

فقال : كانت الأَسفارُ تُحْوجُني إِلى أَن أَفِدَ على النّاس ، فما استحسنتُه من أَخلاقهم اتَّبعتُه وما استقبحتُه ٱجتنبتُه .

وأَمّا آدابُ المضيف :

• فهو أَن يخدمَ أَضيافه ويُظهرَ لهم الغِنى وبَسْطَ الوَجه ، فقد قيل : البَشاشةُ في الوجهِ خيرٌ من القِرى ؛ قالوا : فكيفَ بمن يأتي بها وهو ضاحكٌ؟ .

• وقد ضمَّن الشَّيخُ شمسُ الدِّين البديري رحمه الله هذا الكلام بأَبياتٍ ، فقال : [من الطويل]

إِذا المَرْءُ وافَى مَنْزِلاً مِنْكَ قاصِداً ... قِـراكَ وَأَرْمَتْـهُ لَـدَيْـكَ المَسـالِـكُ
فَكُـنْ بـاسِمـاً فـي وَجْهِـهِ مُتَهَلِّـلاً ... وَقُـل : مَـرْحَبـاً أَهْـلاً وَيَـوْمٌ مُبـارَكُ
وَقَـدِّمْ لَـهُ مـا تَسْتطيـعُ مِـنَ القِـرى ... عَجُـولاً وَلا تَبْخَـل بِمـا هُـوَ هـالِـكُ
فَقَـدْ قِيـلَ بَيْـتٌ سـالِـفٌ مُتَقَـدِّمٌ ... تَـداوَلَـهُ زَيْـدٌ وَعَمـروٌ ومـالِـكُ
« بَشاشَةُ وَجْه المَرْءِ خَيْرٌ من القِرى ... فَكَيفَ بِمَنْ يَأْتي بِهِ وَهْوَ ضاحِكُ »

• وقالت[1] العربُ : تمامُ الضِّيافة الطَّلاقةُ عندَ أَوّل وَهْلَةٍ ، وإِطالةُ الحديث عند المؤاكلة .

• وقال حاتم الطَّائي[2] : [من الطويل]

سَلِـي الطَّـارِقَ المُعْتَـرَّ يـا أُمَّ مـالِـكٍ ... إِذا مـا أَتـانـي بَيْـنَ نـاري وَمَجْـزري
أَأَبسُــطُ وَجْهــي إِنَّــه أَولُ القِــرى ... وأَبْـذُلُ مَعْـروفـي لَـهُ دُونَ مُنْكَـري

• وقال آخر في عبد الله بن جعفر[3] : [من الرجز]

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٣٥١).
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٣٥١) وديوانه (٢٨٤) وينسبان لعروة بن الورد في ديوانه (٩٠).
(٣) للشماخ في بهجة المجالس (١/ ٢٩٨) وديوانه (٤٦٤) وبلا نسبة في ربيع الأبرار (٣/ ٣٥١).

إِنَّــك يــا ابــنَ جَعْفَــرٍ خَيْــرُ فَتــى	وَخَيْــرُهُــمْ لِطــارِقٍ إذا أَتــى

• ولله دَرُّ القائل[1] : [من الكامل]

اللهُ يَعْلَــمُ أَنَّــه مــا سَــرَّنــي	شَــيءٌ كَطــارِقَــةِ الضُّيــوفِ النُّــزَّلِ
مـا زِلْـتُ بـالتَّـرحيـبِ حتَّـى خِلْتُنـي	ضَيْفــاً لــهُ والضَّيْــفَ رَبَّ المَنْــزِلِ

• أَخذَه من قول الشّاعر : [من الكامل]

يــا ضَيْفَنــا لــو زُرْتَنــا لَــوَجَـدْتَنــا	نَحْـنُ الضُّيـوفُ وَأَنْـتَ رَبُّ المَنْـزِلِ

• وما أَحسنَ ما قال سيفُ الدولة ابن حَمْدان : [من السريع]

مَنْــزِلُنــا رَحْــبٌ لِمَــنْ زَارَهُ	نَحْــنُ سَــواءٌ فيــهِ والطَّــارِقُ
وَكُــلُّ مــا فيــهِ حَــلالٌ لَــهُ	إلاَّ الَّــذي حَــرَّمَــهُ الخــالِــقُ

• وقال[2] الأَصمعيُّ : سأَلتُ عَنبسة بن وَهب الدّارمي عن مَكارم الأَخلاق ، فقال : أَوَما سمعتَ قول عاصم بن وائل[3] : [من الطويل]

وإنَّـا لَنَقْـري الضَّيْـفَ قَبْـلَ نُـزولِـهِ	وَنُشْبِعُهُ بالبِشْرِ مِن وَجْهٍ ضاحِكِ

• وقال بعضُ الكِرام[4] : [من الطويل]

أُضـاحِـكُ ضَيْفـي قَبْـلَ إنـزالِ رَحْلِهِ	وَيُخْصِـبُ عِنْـدي والمَحَـلُّ جَـديـبُ
وما الخِصْبُ للأَضْيافِ أَنْ يَكْثُرَ القِرى	وَلكنَّمــا وَجْــهُ الكــريــمِ خَصيــبُ

• وقال آخر : [من البسيط]

---

(١) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٣/ ٣٦١) وفي محاضرات الراغب (١/ ٦٥٠) لدعبل، وهو في ديوانه (٢٢٦).
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٣٧٢) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٢٢٨).
(٣) البيت له في ربيع الأبرار والتذكرة.
(٤) هما لأبي يعقوب الخريمي في ديوانه (١٢) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٢٧٥) ونسبا لحاتم الطائي، ديوانه (٢٩٢) ولمسكين الدارمي، ديوانه (٢٤).

عَوَّدْتُ نَفْسي إِذا ما الضَّيْفُ نَبَّهَني عَقْـرَ العِشـارِ علـى عُسْـرٍ وإِيْسـارِ

● ومن آداب المُضَيِّفِ : أَن يتفقَّد دابَّة ضيفه ويُكرمَها قبلَ إِكرامِ الضَّيف .

قال الشَّاعر : [من البسيط]

مَطِيَّةُ الضَّيْفِ عِنْدي تِلْوُ صاحِبِها لَنْ يَأْمَنَ الضَّيْفُ حتَّى تُكْرِمَ الفَرَسا

● وقال[1] عليّ بن الحسين رضي الله تعالى عنهما : من تَمام المروءة خِدمةُ الرَّجل ضَيفه ، كما خدَمهم أَبونا إبراهيم الخليل صلواتُ الله وسلامه عليه بنفسه وأَهله ؛ أَما سمِعتَ قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ ﴾ [هود : ١١/ ٧١] .

● ومن آداب المُضيف : أَن يُحَدِّث أَضيافَه بما تَميلُ إِليه نُفوسهم ، ولا ينامَ قبلهم ، ولا يشكو الزَّمان بحضورهم ، ويبشَّ عند قُدومهم ، ويتألَّمَ عند وَداعهم ، وأَن لا يُحَدِّثَ بما يُرَوِّعُهم به ؛ كما حَكى بعضُهم قال :

● استدعاني إِسحاق بن إبراهيم الطَّاهري إلى أَكْلِ هَريسةٍ في بُكرةِ نَهارٍ ، فدخلتُ ، فأُحْضِرَت لنا الهريسةُ فأَكلنا ، فإِذا شعرة قد جاءت على لقمةٍ غفلَ عنها طبَّاخُه ، فاستدعى خادمَه ، فأَسَرَّ إِليه شيئاً لم نعلمْه ، فعاد الخادمُ ومعه صينيَّةٌ مُغَطَّاةٌ ، فكشفَ عن الصِّينيَّة ، فإِذا يد الطَّبَّاخ مقطوعةٌ تختلجُ ، فتكدَّر علينا عيشُنا ، وقُمنا من عنده ونحن لا نعقلُ .

● فيجبُ على المضيف أَن يُراعي خواطرَ أَضيافه كيفما أَمكن ، ولا يغضبَ على أَحد بحضورهم ، ولا ينغِّص عيشَهم بما يكرهونَه ، ولا يعبسَ بوجهه ، ولا يظهر نَكداً ، ولا ينهرَ أَحداً ، ولا يشتمَه بحضرتهم ، بل يُدخل على قلوبهم السُّرور بكلِّ ما أَمكن .

● كما حُكي عن بعض الكرام أَنَّه دعا جَماعةً من أَصحابه إِلى بُستانه ، وعَمل

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٣٧٢).

لهم سِماطاً ، وكان له ولدٌ جميلُ الطَّلعة ، فكان الولدُ في أَوَّل النَّهار يخدمُ القوم ويأنَسون به ، ففي آخر النَّهار صعدَ إلى السَّطح ، فسقطَ فمات لوقته ، فحلفَ أَبوه على أُمِّه بالطَّلاق الثلاث أَن لا تصرخَ ولا تبكي إِلى أَن تُصبح ، فلمَّا كان اللَّيل سأَله أَضيافهُ عن ولده ، فقال : هو نائمٌ ؛ فلمَّا أَصبحوا وأَرادوا الخروجَ قال لهم : إن رأيتُم أَن نُصَلِّي على وَلدي ، فإِنَّه بالأَمس سقطَ من على السَّطح ، فمات لساعَته ؛ فقالوا له : لِمَ لا أَخبرتَنا حين سأَلناك؟ فقال : ما يَنبغي لعاقلٍ أَن يُنَغِّصَ على أَضيافه في التذاذهم ، ولا يُكَدِّرَ عليهم في عَيشهم ؛ فتعجَّبوا من صَبره وتَجَلُّدِه ، ومَكارمِ أَخلاقِهِ ؛ ثم صلَّوا على الغُلام ، وحضروا دَفنه ، وبَكوا عليه ، وانصرفوا .

• وعلى المُضيف أَن يأمرَ غِلمانه بحفظِ نِعال أَضيافه ، وتفقُّدِ غِلمانهم بما يَكفيهم ، ويُسَهِّل حِجابه وقتَ الطَّعام ، ولا يمنعَ وارِداً .

• وقيل لبعض الأُمراء الكرام : لا بأسَ بالحِجاب لئلاَّ يدخلَ من لا يعرفهُ الأَمير ويحترزَ عن العدوِّ ، فقال : إِنَّ عدوّاً يأكلُ طعامنا ولا ينخدعُ ، لا يُمَكِّنه الله مِنَّا .

• الأليق بالكريم الرَّئيس أَن يمنعَ حاجبه من الوقوفِ ببابه عند حُضور الطَّعام ، فإِنَّ ذلك أَوَّلُ الشَّناعة عليه ؛ وعليه أَن يسهرَ مع أَضيافه ويُؤانسَهم بلذيذ المحادثة وغريب الحكايات ، وأَن يستميلَ قُلوبهم بالبَذْلِ لهم من غرائب الطُّرَف إن كان من أَهل ذلك ، وأَن يُريَ أَضيافه مكان الخلاءِ .

• فقد قيل عن مَلِكِ الهند أَنَّه قال[1] : إذا ضافَكَ أَحَدٌ فأَرِهِ الكَنيفَ ، فإِنِّي ابتُليت به مرَّةً ، فوضعتُه في قَلَنْسُوَتي .

• وقالوا[2] : لا بأسَ أَن يدخلَ دار أَخيه يَستطعمُ للصَّداقة الوكيدة .

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٣٧٤).
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٤١٣).

• وقد[1] قصدَ النَّبيُّ ﷺ والشَّيْخان منزلُ الهَيْثَم بن التَّيِّهان وأبي أيُّوب الأَنصاري ؛ وكذلك كانت عادة السَّلف رضي الله تعالى عنهم .

• وكان[1] لعون بن عبد الله المسعودي ثلاثُمئة وستُّون صديقاً ، فكان يدورُ عليهم في السَّنة .

• ولا[2] بأسَ أَن يدخلَ الرجلُ بيتَ صديقه ، فيأكلَ وهو غائبٌ ؛ فقد دَخَل رسول الله ﷺ دار بَريرةَ رضي الله عنها ، فأَكَلَ طعامَها وهي غائبةٌ .

• وكان[2] الحسن البصريُّ رضي الله عنه يوماً عند بقّالٍ ، فجعل يأخذُ من هذه الجُونَة تينةً ، ومن هذه فُستقةً ، فيأكلُها ، فقال له هشام : ما بَدا لك يا أَبا سعيد في الوَرَع؟ فقال له : يا لُكَعْ ، اتْلُ عليَّ آيةَ الأَكل ؛ فتلا : ﴿ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ ﴾ إلى قوله ﴿ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾ [النور : ٢٤/ ٦١] فقال : الصَّديقُ ، مَن استَرْوَحَت إليه النَّفْسُ ، واطْمَأَنَّ إليه القَلبُ .

• وعلى المضيف الكريمِ أَن لا يتأَخَّرَ عن أَضيافِهِ ، ولا يمنعَهُ عن ذلك قِلَّةُ ما في يده ، بل يُحضِر إليهم ما وَجد .

• فقد[3] جاء عن أنسٍ وغيره من الصَّحابة رضي الله تعالى عنهم ، أَنَّهم كانوا يُقَدِّمون الكِسْرَةَ اليابسَة وحَشَفَ التَّمْرِ ؛ ويقولون : ما نَدري أَيُّهما أَعظمُ وِزْراً ، الَّذي يَحتقرُ ما قُدِّمَ إليه ، أَو الَّذي يَحتقرُ ما عِنده أَن يُقَدِّمَهُ؟ .

• وعن[3] أَنسٍ رضي الله عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ قال : « مَن أَلْقَمَ أَخاهُ لُقمةً حُلوةً صَرَفَ الله عنه مَرارة الموقِفِ » .

• حُكي[3] عن الإمام الشَّافعيِّ رضي الله عنه ، أَنَّه كان نازلاً عند الزَّعفرانيِّ

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٤١٣).
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٤١٤).
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٤١٥).

ببغداد ، فكان الزَّعفرانيُّ يكتبُ في كلِّ يومٍ رُقعةً بما يُطبخُ من الأَلوان ، ويدفعُها إلى الجارية ، فأَخذها الشافعيُّ منها يوماً وأَلحقَ فيها لوناً آخر ، فعرفَ الزَّعفرانيُّ ذلك ، فأَعتقَ الجارية سُروراً بذلك .

• وكانت[1] سُنَّةُ السَّلفِ رضي الله عنهم أَن يُقدِّموا جُملةَ الأَلوان دُفعةً ، ليأكلَ كُلُّ شخصٍ ما يَشتهي .

• ومن[2] السُّنَّة أَن يُشَيِّعَ المُضيف الضَّيفَ إلى باب الدَّار ؛ وعلى المُضيف إذا قَدَّمَ الطَّعام إلى أَضيافه أَن لا ينتظرَ مَن يحضرُ من عَشيرته ؛ فقد قيل[3] : ثلاثة تُضني ، سراجٌ لا يُضيءُ ، ورسولٌ بَطيءٌ ، ومائدةٌ يُنتظرُ لها من يَجيءُ .

• ونزل[4] الشَّافعيُّ رضي الله عنه بالإمام مالك رضي الله عنه ، فصبَّ بنفسه الماءَ على يديه ، وقال له : لا يَرُعْكَ ما رأَيتَ منِّي ، فَخِدْمَةُ الضَّيف على المُضيفِ فرضٌ .

• [عن[5] يحيى بن أكثم : دخلتُ على المأمون وبين يديه طعامٌ في طَبَقٍ ، فدعاني إليه ، وإذا هو لحمٌ قليلٌ ، فقال :] [من البسيط]

أَعْرِضْ طعامَكَ وابْذُلْهُ لِمَنْ أَكَلا ... واحْلِفْ على مَنْ أَبى واشْكُرْ لِمَنْ فَعَلا
وَلا تَكُنْ سابِرِيَّ العِرْضِ مُحْتَشِماً ... مِنَ القليلِ فَلَسْتَ الدَّهْرَ مُحْتَفِلا

• ومن البلاء مَن يعزِمُ على الضَّيف ، فيعتذرُ له ، فيُمسك عنه بمجرَّدِ الاعتذارِ ، كأَنَّه تخلَّصَ من وَرْطَةٍ .

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٤١٦).
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٤١٦)، وعيون الأخبار (٣/ ٢٣٤).
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٣٧٨) وآداب المؤاكلة (٢١).
(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٤١٣).
(٥) ربيع الأبرار (٣/ ٤٣٠) ومنه استُدرك النقص.

• وقيل لبعض البُخلاء : ما الفَرَجُ بعد الشِّدَّة؟ قال : أَن يعتذرَ الضَّيف بالصَّوم .

• ومن البُخلاء مَن يُعجبه طعامُه ويَصُفُّ زَبادِيَّهُ ويشتَهي أَن تبقى على حالها ؛ ومنهم من يُحْضِرُ طعامَهُ فإذا رآه ضُيوفُه أَمرَ بأَن يُرفعَ منها أطيبُها وأَشهاها إلى النفوس ، ويَعتذرُ أَنَّ في أَصحابه مَن يَحضرُ بالغداةِ عندَه .

• وحُكي عن بعض البُخلاء أَنَّه استأذنَ عليه ضيفٌ ، وبين يديه خبزٌ وزبديَّةٌ فيها عَسَلُ نَحْلٍ ، فَرَفَعَ الخبزَ وأَراد أَن يرفعَ العسلَ ، فدخل الضَيفُ من قبلِ أَن يرفعهُ ، فظنَّ البخيلُ أَن ضيفَه لا يأكلُ العسلَ بلا خُبْزٍ ، فقال له : تَرى أَن تأكلَ عَسَلاً بلا خبزٍ؟ قال : نعم ؛ وجعل يلعقُ العسلَ لَعقةً بعد لعقةٍ ؛ فقال له البَخيلُ : مَهْلاً يا أَخي ، واللهِ إِنَّه يحرقُ القلب ؛ قال : نعم ، صدقتَ ، ولكنَّه قلبُك .

• وحُكي عن بعضهم أَنَّه قال : غَلَبَ عليَّ الجوعُ مَرَّةً ، فقلتُ : أَمضي إِلى دارِ فلان لأَتغدَّى عنده ، فجئتُ إِلى باب بيته ، فوجدتُ غلامه ، فقلتُ له : أَين سيِّدُك؟ فقال : والله لا قلتُ لك عليه إِلاَّ إِن أَعطيتني كِسرةً ؛ قال : فرجعتُ هارباً .

• ومن البُخْلِ تقديمُ الشَّيءِ اليسيرِ وتَفْخيمُه :

• وحُكي عن بعض البُخلاء أَنَّه حَلَفَ يوماً على صَديقه ، وأَحضر له خُبزاً وجُبناً ، وقال له : لا تَستقلَّ الجُبن ، فإِنَّ الرَّطلَ منه بثلاثةِ دراهم ؛ فقال له ضيفُه : أَنا أَجعلُه بدرهم ونصف ؛ قال : وكيف ذلك؟ قال : آكلُ لُقمةً بجبنٍ ولُقمةً بلا جبنٍ! .

• فأَين هؤلاء من الَّذي يقول[1] : [من السريع]

قـالَـت : أَمـا تَـرْحَـل تَبْغِـي الغِنَـى؟ ... قُلْـتُ : فَمَـنْ لِلطَّـارِقِ المُعْتِـمِ؟
قـالـت : فَهَـلْ عِنْـدَكَ شَـيْءٌ لَـهُ؟ ... قُلْـتُ : نَعَـمْ جَهْـدُ الفَتـى المُعْدَمِ
فَكَـمْ وَحَـقِّ الله مِـنْ لَيْلَـةٍ ... قَـدْ طَعِـمَ الضَّيْـفُ وَلَـمْ أَطْعَـمِ

(١) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٣/ ٣٥٠).

إنَّ الغِنــى بــالنَّفْــسِ يــا هَــذِهِ   لَيْـسَ الغِنـى بـالمـالِ والـدِّرْهَـمِ

● وقال بعضُ البُخلاء[1] :   [من الطويل]

سَرى نَحْوَنا يَبْغِي القِرى طاوِيَ الحَشا   لَقَـدْ عَمِلَـتْ فيـهِ الظُّنـونُ الكـواذِبُ

فَبـاتَ لَـهُ مِنّـا إلـى الصُبْـحِ شـاتِمٌ   يُعَـدِّدُ تَطْفيـلَ الضُّيـوفِ وَضـارِبُ

فشتَّان ما بين القائلَين .

وأمّا آدابُ الضَّيف :

● فهو أن يُبادَر إلى مُوافقة المُضيف في أُمورٍ منها : أَكلُ الطَّعامِ ، ولا يعتذرُ بشبعٍ ، بل يأكلُ كيفَ أمكن ؛ فقد حُكي أنَّه وردَ على بعض الأعراب ضيفٌ ، فدخل به إلى بيته وقدَّم له الطَّعام ، فقال الضَّيف : لستُ بجائعٍ ، وإنَّما أَحتاجُ إلى مكانٍ أَبيتُ فيه ؛ فقال الأعرابيُّ : إذا كان هذا ، فكن ضيفَ غيري ، فإنِّي لا أَرى أَن تمدَحني في البلاد وتَهجوني فيما بيني وبينَك .

● وحُكي عن بعض التُّجَّار قال : استدعاني أَبو حفص محمَّد بن القاسم الكرْخيّ لأعرضَ عليه قِماشاً من تِجارتي ، فبينما أنا بين يديه ، وإذا بأَطباقِ الفاكهة قد حضَرت ، فقمتُ من مَجلسه ، فقال : يا فلان ، ما هذا الخُلُق العامِّيُّ؟ اجلس ؛ فجلستُ وتحقَّقتُ كَرَمَهُ ، وجعلتُ آكلُ الكُمَّثْراةَ في لُقمةٍ ، والتُّفَّاحةَ في لُقمةٍ ؛ ثم قَدَّمَ الطَّعامَ وكنتُ جائعاً فأَكلتُ جَيِّداً ثم انصرفتُ ، فلم أَشعر في اليوم الثَّاني إلاَّ وقد جاءني غُلامه ببَغلته ، فاستدعاني إليه ، فقال : يا فلان ، إنِّي قليلُ الأكل ، بَطيءُ الهضم ، ولقد طابَت لي مُؤَاكلتُك بالأَمس ، فأُريدُ أَن لا تنقطعَ بعدها عنِّي ؛ قال : فكنتُ متى انقطعتُ حضَر غلامه في طَلبي ، فحصل له بقُربي منه مالٌ كثيرٌ وجاهٌ عريضٌ .

---

(١) هما لمنصور الحرَّاني في ربيع الأبرار (٣/ ٤٠٥) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٤٢) وبلا نسبة في المناقب والمثالب لريحان رقم (٤٠٤).

ومن آداب الضيف أَيضاً :

● أَن لا يسأَلَ صاحبَ المنزل عن شيءٍ من داره سوى القِبلة ، وموضِع قضاءِ الحاجة ، وأَن لا يتطلَّعَ إِلى ناحية الحريم ، وأَن لا يخالفَه إِذا أَجلسه في مكانٍ وأكرمه به ، وأَن لا يمتنعَ من غَسل يديه ؛ وإِذا رأى صاحبُ المنزلِ قد تحرَّك بحركةٍ فلا يمنعْهُ منها .

● فقد نُقل في بعض المجاميع أَنَّ بعض الكُرماء كان عِربيداً على أَضيافه ، سَيِّءَ الخُلُقِ بِهِم ، فبلغ ذلك بعضَ الأَذكياء ، فقال : الَّذي يظهرُ لي من هذا الرَّجلِ أَنَّه كريمُ الأَخلاق ، وما أَظنُّ سوءَ أَخلاقه إِلاَّ لسوءِ أَدب الأَضياف ، ولا بدَّ أَن أَتطفَّل عليه لأَرى حقيقة أَمره ؛ قال : فقصدتُه وسلَّمتُ عليه ، فقال : هل لك أَن تكون ضَيفي؟ قلتُ : نعم ؛ فسار بين يديَّ إِلى أَن جاء إِلى باب داره ، فأَذن لي ، فدخلتُ ، فأَجلسني في صدرِ مَجلسه ، فجلستُ حيث أَجلسني ، وأَعطاني مَسنداً ، فاستندتُ إِليه ، فأَخرج لي شَطرنجاً ، وقال : أَتتقن شيئاً؟ قلت : نعم . فلعبتُ معه ؛ فلمَّا حضرَ الطَّعام جعلَ يقدِّم لي ما استطابَه ، وأَنا آكُلُ ، فلمَّا فرغنا قدَّم طَسْتاً وإِبريقاً وأَراد أَن يسكبَ الماء على يديَّ ، فلم أَمنعه من ذلك ، وأَراد الخروجَ بينَ يديَّ بعد أَن قدَّم نَعليَّ ، فلم أَردَّه عن ذلك .

فلمَّا أَراد الرُّجوع قلتُ : يا سيِّدي ، أَنشدُك الله إِلاَّ فَرَّجْتَ عنِّي كُرْبَةً؟ قال : وما هي؟ فأَخبرته الخبرَ ، فقال : واللهِ ما يحُوجني لذلك إِلاَّ سوءُ أَدَبهم ، يصلُ الضَّيف إِلى داري ، فأُجلسه في الصَّدر ، فيأبى ذلك ، ثم أُقدِّمُ إِليه الطَّعام ، فلا أُتحفُه بشيءٍ مُستظرف إِلاَّ رَدَّهُ عليَّ ، ثم أُريد أَن أَصبَّ الماء على يديه عند الغسل ، فيحلفُ بالطَّلاق الثَّلاث ما تَفعل ، ثم أُريد أَن أُشَيِّعَهُ ، فلا يُمكنني من ذلك ، فأَقول في نفسي : لا يُحْكَمُ الإِنسان على نَفسه حتَّى في بيته ، فعند ذلك أَشتمه وأَلعنه وأَضربه .

● وفي معنى ذلك يقولُ بعضُهم : [من السريع]

لا يَنْبَغِـــي لِلضَّيْـــفِ أَن يَعْتَـــرِضْ إنْ كـــانَ ذا حَـــزْمٍ وَطِبْـــعٍ لَطيـــفْ
فـــالأَمْـــرُ لـــلإنســـانِ فـــي بَيْتِـــهِ إن شـــاءَ أَنْ يُنْصِـــفَ أَوْ أَنْ يَحيـــفْ

● **وممَّا يُعاب على الضَّيف** : أُمورٌ ؛ منها كثرةُ الأَكل المُفرط ، إلا أَن يكون بدويّاً ، فإنَّها عادتُه .

● ومنها أَن يتتبَّع طريقَ الشَّرِهين ، كمن يتَّخذُ معه خريطةً مُشَمَّعةً ، يَقْلِبُ فيها الزَّبادي والأَمراق والحَلوى ، وغير ذلك .

● ومنها أَن يأخذ معه ولدَه الصَّغير ويعلِّمه أَن يبكي وقت الانصراف من الطَّعام ، لِيُعْطَى على اسم ولده الصَّغير .

ومنها قُبح المؤاكلة :

● وقد عُدَّ فيها عُيوبٌ كثيرةٌ ، **فمنها** : المُتشاوفُ ، والعدَّاد ، والجرَّاف ، والـرَّشَّـاف ، والنَّفَّـاض ، والقَـرَّاض ، والبَهَّـات ، واللَّتَّـات ، والعَـوَّام ، والقَسَّـام ، والمُخَلِّـل ، والمُـزَبِّـد ، والمُـرَنِّـخ ، والمُـرَشِّـش ، والمُفَتِّـش ، والمُنَشِّـف ، والمُلَبِّـب ، والصَّبَّـاغ ، والنَّفَّـاخ ، والحـامـي ، والمُجَنِّـح ، والشَّطرنجي ، والمهندس ، والمُتَمَنِّي ، والفُضولي[١] .

فأَما المُتشاوفُ : فهو الَّذي يستحكمُ جُوعُه قبل فَراغ الطَّعام ، فلا تَراهُ إلاَّ مُتَطَلِّعاً لناحية الباب يظنُّ أَنَّ ما دخل هو الطَّعام .

وأَمَّا العدَّاد : فهو الَّذي يستغرقُ في عَدِّ الزَّبادي ويعدُّ على أَصابعه ، ويُشير إليها ، وينسى نفسَه .

والجرَّاف : هو الذي يجعلُ اللُّقَم في جانب الزُّبديَّة ، ويجرفُ بها إلى الجانب الآخر .

---

(١) انظر تفسير هذه الألفاظ في : آداب المؤاكلة ، للغزِّي ، وبعضها في بخلاء الجاحظ .

والرَّشَّاف : هو الَّذي يجعلُ اللُّقمة في فيه ويَرتَشفها ، فيسمعُ لها حين البلع حِسٌّ لا يَخفَى على جُلسائه ، وهو يلتذُّ بذلك .

والنَّفَّاض : هو الذي يجعلُ اللُّقمة في فيه وينفضُ أَصابعه في الزُّبديَّة .

والقَرَّاض : هو الَّذي يَقرضُ اللُّقمة بأطراف أَسنانه حتَّى يُهَذِّبها ويَضَعها في الطَّعام بعد ذلك .

والبهّات : هو الَّذي يَبهتُ في وُجوه الآكلين حتَّى يَبهتهم ، ويأخذَ اللَّحم من بين أَيديهم .

واللَّتَّات : هو الَّذي يَلتُّ اللُّقمة بأَطراف أَصابعه قبل وَضعها في الطَّعام .

والعوَّام : هو الَّذي يُميلُ ذراعيه يُمنةً ويَسرة لأَخذ الزَّبادي .

والقَسَّام : هو الَّذي يأكلُ نِصف اللُّقمة ويعيد باقيها في الطَّعام من فيه .

والمُخَلِّل : هو الَّذي يخلِّل أَسنانه بأَظفاره .

والمُزبِّد : هو الَّذي يحملُ معه الطَّعام .

والمُرَنِّخ : هو الَّذي يُرنِّخ اللُّقمة في الأَمراق ، فلا يبلعُ الأُولى حتى تَلين الثَّانية .

والمُرَشِّش : هو الَّذي يفسخُ الدَّجاج بغير خِبْرَةٍ فيرشُّ على مُؤاكليه .

والمُفَتِّش : هو الَّذي يُفَتِّشُ على اللَّحم بأَصابعه .

والمُنَشِّف : هو الَّذي يُنَشِّفَ يديه من الدُّهن باللُّقم ، ثم يأكلُها .

والمُلَبِّب : هو الَّذي يملأُ الطَّعامَ لُباباً .

والصَّبَّاغ : هو الَّذي ينقلُ الطَّعام من زبديَّة إِلى زبديَّة ليُبرِّدَه .

والنَّفَّاخ : هو الَّذي ينفخُ في الطَّعام .

والحامي : هو الَّذي يجعلُ اللَّحم بين يديه فيحميه من مُؤَاكليه .

والمُجَنِّح : هو الَّذي يُزاحمُ مُؤاكليه بجناحيه حتَّى يفسحَ له في المجلس ، فلا يشقُّ عليه الأَكل .

والشَّطرنجيُّ : هو الَّذي يرفعُ زُبديَّةً ويضعُ زُبديةً أُخرى مَكانها .

والمُهندس : هو الَّذي يقول لمن يَضعُ الزَّبادي : ضَع هذه هنا وهذه ههنا ، حتى يأتي قُدَّامه ما يُحِبُّ .

والمُتَمَنِّي : هو الَّذي يقول : ليتني لم يكن معي مَن يأكل .

والفُضولي : هو الذي يقول لصاحب المنزل عند فراغِ الطَّعام : إن كان قد بقيَ عندك في القُدور شيءٌ فأَطعم النَّاس ، فإِنَّ فيهم من لم يأكلْ .

• ومن الأَضياف من لا يَلَذُّ له حديثٌ إلاَّ وقتَ غسل يديه ، فيبقى الغُلام واقفاً والإِبريقُ في يَده والنَّاس ينتظرونه .

• ومنهم من يغسلُ يديه بالأُشنان مرّة واحدةً ، فإِذا اجتمع الوسخُ والزَّفرُ تسوَّك بهما .

• ومنهم من يَدخلُ الدَّار فيبتدىءُ بالهندسة أَوّلاً ، فيقول : كان ينبغي أَن يكون باب المجلس من ههنا ، والإيوانُ كان ينبغي أَن يكون من ههنا ، وينتقل من الهندسة إلى ترتيب المجلس ، فينقل الفاكهة من مَوضعها إلى موضعٍ آخر ، وإِن كان قد استحكم جُوعه استعفى من الطَّعام ، وذهل عن بقيَّة الأَضياف وشدَّة جُوعهم .

• ومنهم مَن يخرجُ فيطوفُ على أَصدقاءِ صاحبِ الدَّعوة ، فيتأَلَّم عن انقطاعهم ، ويَستوحشُ من غَيبتهم ، ويُسَلِّطُهم على عرض صاحبهم .

• ولقد حُكي عن مُغَنٍّ غير مُجيدٍ أَنَّه لم يبطلْ ولا ليلةً واحدةً ، وما ذاك إلاَّ أَنَّه

كان إذا سُئل : أين كنت؟ قال : كنتُ عند النَّاس ؛ وإذا قيل له : أين أكلتَ؟ قال : أكلتُ في بَطني ؛ وإذا قيل له : أين شربتَ؟ قال : شربتُ في فَمي .

• ومنهم مَن يَفهمُ عن صاحب الدَّعوة أنَّه يقولُ لغلامه : اشترِ كذا ، فيقول : واللهِ العظيم ، أو الطَّلاق الثَّلاث يلزمُه ، ما يشتري شيئاً فأذوقه ؛ فيعجزُ صاحبُ المنزل ويُخجله إذا لم يكن في بيته شيءٌ موجودٌ .

وليت شِعري إذا كان لا يأكلُ فلأَيِّ شيءٍ حضرَ؟ .

• ومنهم مَن يَرى صاحبَ البيت قد أَسَرَّ إلى صديقه شيئاً ، فيقول : ما الَّذي قال المولى لصاحبنا؟ وهو لا يريدُ أن يُعلمه .

• ومنهم مَن يستعجلُ صاحبَ المنزل بالأكل ويشكو الجوع ، ويظنُّ أَنَّ ذلك بَسْطاً ومَكارمَ أَخلاق ، وإنَّما ذلك يكون في بيته لا في بيوت النَّاس .

• ومنهم مَن يقولُ لصاحبِ الدَّعوة : مَن يُغَنِّي لنا؟ فيقول : فلان ؛ فيقول له : غَلطت ، لمَ لا دعوتَ فلاناً؟ .

• ومنهم مَن يسأَلُ صاحبَ البيت ، كيف قُوَّتُهُ في النِّكاح؟ فيقولُ له : أَنا رجلٌ كبير قد ضَعُفَتْ قُوَّتي وشَهوتي ؛ أو يقول : ما لي قُوَّةٌ طائلةٌ في ذلك ؛ فيقول : أَنا والله كُلَّما مرَّ عليَّ عامٌ تزايدَت شهوتي وكثر لهذا الفَنِّ تَشَوُّفي ؛ ويُعلن بذلك حتَّى تسمعَه صاحبةُ البيت .

• ومنهم من يشكو حالَه مع أَهل بَيته ، ويذكرُ نفقتَه عليهنَّ ، وكسوتَه لهنَّ ؛ وكثرةَ إنعامه وإحسانه إليهنَّ ، وما عليه زَوجته من سُوءِ الأَخلاق وكِبر النَّفس ، لتستقلَّ زوجةُ صاحب البيت ما هي فيه مع زَوجها ، وربَّما كان ذلك سبباً لفِراقها منه .

• ومنهم مَن تُعجبه نفسُه ويَستحسنُ لِباسه ، ويَستطيبُ رائِحته ، وإذا سمعَ الغناءَ تواجدَ ، وأَظهر الطَّرَبَ ، وحَرَّكَ رأَسه ، ويقومُ قائماً يتمايلُ حتَّى يَرى

أَهلُ الرَّجل أَنَّه لَطيفُ الشَّكل ، بَديعُ الحركات ، ويظنُّ في نفسه أَنَّه يُعْشَقُ ، وأَنَّ رسولَ صاحبةِ البيت لا يُبطىء عنه .

• ومنهم مَن يُقال له : العبْ الشَّطرنج ، فيأباه ويشتغلُ بالدَّندنة ، فيقعُ في الفُضول .

• ومنهم مَن يَتَأَمَّر على غِلمان صاحب البيت ويُهين أَولاده ، ويظنُّ أَنَّه يدلُّ عليهم .

• ومنهم من يقول له صاحبُ البيت : كُلْ ، فيقول : ما آكلُ إلاَّ أنا ورفيقي .

• ومنهم مَن يَسمعُ السَّائل على الباب ، فيتصدَّق عليه من مال صاحبِ البيت بغير إذنه ، أو يقولُ للسَّائل : فتَحَ الله عليك .

• ومنهم مَن يدعو النَّاس لصاحب الوليمة بغير إذنه ويُقَلِّده بذلك المِنَن ؛ وأَكثرُ النَّاس واقعٌ في ذلك .

نسأَل الله تعالى أَن يُلهِمنا رُشدنا ، وأَن يُعيذَنا من شُرور أَنفسنا بِمَنِّه وكَرمه ، إِنَّه جوادٌ كريمٌ ، رؤوفٌ رحيمٌ ، ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلاَّ بالله العَلِيِّ العظيمِ ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم .

* * *

الباب السادس والثلاثون

في العَفو ، والحِلم ، والصَّفح ، وكَظْم الغَيظ ، والاعتذار ، وقبول المعذرة ، والعِتاب ، وما أَشبه ذلك

• قد نَدَبَ الله عزَّ وجلَّ نبيَّه ﷺ إلى الصَّفح والعَفو بقوله تعالى : ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر : ١٥/ ٨٥] . قيل[١] : هو الرِّضا بلا عَتَب .

• وقال تعالى : ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف : ٧/ ١٩٩] .

• وقال تعالى : ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران : ٣/ ١٣٤] .

• وقال تعالى : ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى : ٤٢/ ٤٣] .

• وعن أَنس بن مالكٍ رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « رأَيتُ قُصوراً مُشْرِفَةً على الجَنَّة ، فقلتُ : يا جِبريل لِمن هذه؟ قال : للكاظِمين الغيظَ ، والعافين عن النّاس » .

• وقال مُعاذ بن جَبَلٍ رضي الله عنه : لمّا بَعَثَني رسول الله ﷺ إلى اليَمن قال : « ما زالَ جِبريل عليه السَّلام يُوصيني بالعَفو ، فلولا عِلْمي باللهِ لَظَنَنْتُ أَنَّه يُوصيني بتَرك الحُدود » .

• وقال[٢] الحسنُ بن أَبي الحسن : إذا كان يومُ القيامة نادى مُنادٍ : مَن كان له

---

(١) القول لعلي في سراج الملوك (١/ ٣٣٢).

(٢) التذكرة الحمدونية (٤/ ١٠٥) وبهجة المجالس (١/ ٣٧٠).

على الله أَجْرٌ فَلْيَقُمْ ، فَلا يقومُ إلا العافون عن النّاس ؛ وتلا قولَه تَعالى : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى : ٤٢/ ٤٠] .

- وقال[١] عليٌّ كَرَّم الله وَجهه : أَوْلى النّاس بالعَفو أَقْدَرُهم على العُقوبة .
- وكان[٢] المأمون رحمه الله تعالى يحبُّ العفوَ ويُؤثره ؛ ويَقولُ : لقد حُبِّبَ إليَّ العفوُ حتّى أَنّي أَخافُ أَن لا أُثابَ عليه .
- وكان[٣] يقولُ : لو عَلِمَ أَهلُ الجرائمِ لَذّتي في العَفو لارتكبوها .
- وقال[٤] : لو علمَ النّاسُ حُبِّي للعفوِ لما تَقَرَّبوا إليَّ إلا بالجِنايات .
- وقال[٥] عليٌّ كرَّم الله وَجهه : إذا قدرتَ على عَدوِّك ، فاجعلْ العَفوَ عنه شُكراً للقُدرة عليه .
- وقال[٦] رضي الله تعالى عنه : أَقيلوا ذوي المُروءات عَثَراتهم ، فما يعثُر منهم عاثرٌ إلا ويدُه بيد الله يرفعُه .
- وقال[٧] رضي الله عنه : إنَّ أَوَّلَ عِوَضِ الحليمِ عن حِلمه ، أَنَّ النَّاس أَنصارٌ له على الجاهل .
- وقال[٨] المنتصرُ : لَذَّةُ العفوِ يلحقُها حَمْدُ العاقِبة ، ولَذَّةُ التَّشَفِّي يلحقُها ذَمُّ النَّدمِ .

---

(١) التذكرة الحمدونية (٤/ ١٠٤) وبهجة المجالس (١/ ٣٧١).
(٢) التذكرة الحمدونية (٢/ ١٣١ و٤/ ١٠٦).
(٣) ربيع الأبرار (٢/ ١٥٣) وسراج الملوك (١/ ٣١٠).
(٤) ربيع الأبرار (٢/ ١٥٣) وسراج الملوك (١/ ٣٥٠).
(٥) التذكرة الحمدونية (٤/ ١٠٤) وربيع الأبرار (٢/ ١٥٩).
(٦) ربيع الأبرار (٢/ ١٥٩) وفي التذكرة الحمدونية (٤/ ١٠٤) مرفوعاً.
(٧) عيون الأخبار (١/ ٢٨٥) والتذكرة الحمدونية (٢/ ١٢٠).
(٨) التذكرة الحمدونية (٢/ ١٢١) والبصائر والذخائر (٨/ ١٥٣) ومحاضرات الراغب (١/ ٢٢٦).

• وقال[1] ابنُ المعتزِّ : لا تَشِنْ وَجْهَ العَفْوِ بالتَّقريع .

• وقيل[2] : ما عَفا عن الذَّنْبِ مَن قَرَّعَ به .

• وقال[3] رجلٌ لرجلٍ سَبَّهُ : إيّاكَ أعني ؛ فقال له : وعنكَ أُعرِضُ .

• وكان[4] الأَحنفُ رحمه الله تعالى كثيرَ العفو والحِلم ، وكان يقولُ : ما آذاني أحدٌ إلا أخذتُ في أمره بإحدى ثلاثٍ : إن كان فَوقي عرفتُ له فَضْلَه ، وإن كان مِثلي تَفَضَّلْتُ عليه ، وإن كان دُوني أكرمتُ نَفسي عنه .

• وكان[5] مَشهوراً بين النّاس بالحِلم ، وبذلك ساد عَشيرته ، وكان يقولُ : وجدتُ الاحتمالَ أَنصرَ لي من الرِّجال .

• وقيل[6] له : مِمَّن تعلَّمْتَ الحِلم؟ فقال : من قَيس بن عاصِم ، كُنَّا نَختلفُ إليه في الحِلمِ كما نَختلفُ إلى الفُقهاء في الفِقه ؛ ولقد حضرتُ عنده يوماً ، وقد أَتوه بأَخٍ له قد قتلَ ابنَه ، فجاؤوا به مَكتوفاً ، فقال : ذَعَرْتُم أَخي؟ أَطلقوه ، واحمِلوا إلى أُمِّ وَلدي دِيَتَهُ ، فإنَّها ليست من قَومنا ؛ ثم أَنشأَ يقول : [من البسيط]

أَقولُ لِلنَّفْسِ تَأْساءً وتَعْزِيَةً : إحْدى يَدَيَّ أَصابَتْني وَلَمْ تُرِدِ[7]
كِلاهُما خَلَفٌ مِن فَقْدِ صَاحِبِه هذا أَخي حينَ أَدْعوهُ وذا وَلَدي

• وقيل : مِن عادةِ الكريم إذا قدرَ غَفرَ ، وإذا رأى زَلَّةً سَتَرَ .

---

(١) التذكرة الحمدونية (٢/ ١٢١) والتمثيل والمحاضرة (٤١٢).
(٢) التذكرة الحمدونية (٢/ ١٢١) والتمثيل والمحاضرة (٤١١).
(٣) التذكرة الحمدونية (٢/ ١٢٣) وسراج الملوك (١/ ٣٤٣).
(٤) نثر الدر (٥/ ١٨) وفاضل المبرد (٩٢) والتذكرة الحمدونية (٢/ ١٢٣).
(٥) التذكرة الحمدونية (٢/ ١٢٧ـ١٢٨) ونثر الدر (٥/ ١٧).
(٦) سراج الملوك (١/ ٣٤٦) وعيون الأخبار (١/ ٢٨٦ـ٢٨٧) والتذكرة الحمدونية (٢/ ١٢٧).
(٧) في ط : . . . تصبيراً وتعزيةً× .

• وقالوا[1] : ليسَ من عادةِ الكِرام سُرعةُ الغضَب والانتقام .

• وقيل : مَن انتقَمَ فقد شَفى غَيْظَهُ ، وأَخَذَ حَقَّهُ ، فلم يجبْ شُكره ، ولم يُحْمَدْ في العالَمين ذِكْرُهُ .

• والعربُ تقولُ : لا سُؤْدَدَ مع الانتقامِ .

• والَّذي يجبُ على العاقل إذا أمكنه الله تعالى أَن لا يجعلَ العقوبةَ شِيمتَهُ ، وإِن كان ولا بُدَّ من الانتقامِ ، فلْيَرْفُقْ في انتقامِه إلاَّ أَن يكونَ حَدّاً من حُدود الله تعالى .

• وقال المنصورُ لجانٍ عجِزَ عن العُذر : ما هذا الوُجومُ ، وعَهدي بك خَطيباً لَسناً؟ فقال : يا أَمير المؤمنين ، ليسَ هذا موقفُ مُباهاةٍ ، ولكنَّه موقفُ تَوبةٍ ، والتَّوبةُ بالاستكانةِ والخُضوع ؛ فَرَقَّ له ، وعَفا عنه .

• وسُعي إِلى المنصور برجلٍ من ولدِ الأَشتر النَّخَعيّ ، ذُكر له عنه أَنَّه يميلُ إِلى بني عليٍّ والتَّعصُّبِ لهم ، فأمر بإحضارهِ ، فلمّا مَثَلَ بين يديه قال : يا أَمير المؤمنين ، ذَنْبي أَعظمُ من نِقمتك ، وعَفْوُك أَعظمُ من ذَنبي ؛ ثم قال[2] : [من الطويل]

فَهَبْني مُسيئاً ـ كالَّذي قُلْتَ ـ ظالِماً ⁂ فَعَفْواً جَميلاً كَي يَكونَ لَكَ الفَضْلُ
فإِنْ لَمْ أَكُنْ لِلْعَفْوِ مِنْكَ لِسُوءِ ما ⁂ أَتَيْتُ بِهِ أَهْلاً فأَنْتَ لَهُ أَهْلُ

فعفا عنه ، وأَمر له بِصِلَةٍ .

• وأُحضرَ إِلى المأمونِ رجلٌ قد أَذنَب ذَنْباً ، فقال له : أَنت الَّذي فعلتَ كذا وكذا؟ قال : نَعم يا أَمير المؤمنين ، أَنا ذاك الَّذي أَسرف على نَفسه واتَّكل على عَفْوِك ؛ فعفا عنه وخلَّى سبيله .

---

(١) أدب الدنيا والدين (٤١١).
(٢) بلا نسبة في بهجة المجالس (١/ ٣٧٢).

• وأُحضر إلى الهادي رجلٌ من أَصحاب عبد الله بن مالك ، فوبّخه على ذَنْبٍ ، فقال : يا أَمير المؤمنين ، إنَّ إقراري يُلزمني ذَنْباً لم أَفعلْه ، ويُلحقُ بي جُرْماً لم أَقف عليه ؛ وإِنكاري ردٌّ عليك ، ومُعارضةٌ لك ، ولكنِّي أَقول[1] : [من الطويل]

فإِنْ كُنْتَ تَبْغي بالعِقابِ تَشَفِّياً فَلا تَزْهَدَنْ عِنْدَ التَّجاوُزِ في الأَجْرِ

فقال : لله دَرُّكَ من مُعتذرٍ بحقٍّ أَو باطلٍ ، ما أَمضى لسانَك ، وأَثْبَتَ جَنانك ؛ وعَفا عنه وخَلَّى سَبيلَه .

• وركبَ[2] يوماً عَمرو بن العاص رضي الله عنه بغلةً له شَهباء ، ومرَّ على قوم ، فقال بعضُهم : مَن يقومُ للأَمير فيسأَلُه عن أُمِّه ، وله عشرةُ آلاف؟ فقال واحد منهم : أَنا ؛ فقامَ وأَخذَ بعنانِ بَغلته ، وقال : أَصلحَ اللهُ الأَمير ، أَنتَ أَكْرَمُ النّاسِ خَيْلاً ، فلمَ ركبتَ دابَّةً أَشْهابَّ وَجْهُها؟ فقال : إِنِّي لا أَمَلُّ دابَّتي حتَّى تَملَّني ، ولا أَمَلُّ رَفيقي حتَّى يَملَّني . فقال : أَصلحَ الله الأَمير ، أَمّا العاصُ فقد عَرفناهُ ، وعَلِمْنَا شَرَفَهُ ، فمَن الأُمُّ؟ قال : على الخبيرِ سقطتَ ، أُمِّي النّابغةُ بنتُ حَرْمَلة ، من عَنَزة ، سَبَتْها رماحُ العَرب ، فأُتيَ بها سوقُ عُكاظ ، فَبيعت ، فاشتراها عبد الله بن جُدعان ، ووَهبها للعاص بن وائل ، فولَدت ، وأَنجبت ، فإِنْ كان قد جُعِلَ لك جُعْلٌ فارجعْ وخُذْهُ ، وأَرْسِلْ عنانَ الدَّابَّةِ .

• وقيل : إِنَّ أُمَّهُ كانت بَغِيّاً عند عبد الله بن جُدعان ، فَوَطِئَها في طُهْرٍ واحدٍ أَبو لَهَبٍ وأُمَيَّة بن خَلَف ، وأَبو سُفيان بن حَرْبٍ ، والعاص بن وائل ، فولَدت عَمراً ، فادَّعاه كُلُّهم ، فَحُكِّمَتْ فيه أُمُّه ، فقالت : هو للعاص ، لأَنَّ العاص هو الَّذي كان يُنفقُ عليها .

---

(١) بلا نسبة في التذكرة الحمدونية (٤/ ١٠٥).

(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٢٨٧) وعيون الأخبار (١/ ٢٨٤) والتذكرة الحمدونية (٢/ ١٢٨).

وقالوا : كانَ أَشْبَهَ بأَبي سُفيان .

● وكان[1] الواثقُ يَتَشَبَّهُ بالمأمون في أَخلاق وحِلْمِهِ ، وكان يُقال له : المأمونُ الصَّغير .

نُقل عنه أَنَّه دَخلَت عليه ابنةُ مَروان بن محمّد ، فقالت : السَّلامُ عليكَ يا أَمير المؤمنين ؛ فقال : لستُ به ؛ فقالت : السَّلام عليك أَيُّها الأَمير ؛ فقال : وعَليكِ السَّلامُ ورحمةُ الله وبركاته ؛ فقالت : لِيَسَعْنا عَدْلُكُمْ ؛ فقال : إذاً لا يَبْقَى على وَجْهِ الأَرض منكم أَحَدٌ ، لأَنَّكم حارَبْتُم عليَّ بن أَبي طالبٍ رضي الله عنه وكرَّمَ وَجهه ، ومَنعتُم حقَّه ، وسَمَّمْتُم الحسنَ رضي الله عنه ، ونَقَضْتُم شَرْطَهُ ، وقَتَلْتُم الحُسين رضي الله عنه ، وسَبَيْتُم أَهله ، ولَعنتُم عليَّ بن أَبي طالبٍ رضي الله عنه على مَنابركم ، وضَربتُم عليَّ بن عبد الله ظُلماً بِسِياطِكم ، فَعَدْلُنا لا يُبقي منكم أَحداً ؛ فقالت : فَلْيَسَعْنا عَفْوُكُم ؛ قال : أَمّا هذا فنعم ؛ وأَمر بِرَدِّ أَموالها عليها ، وبالغَ في الإِحسان إِليها .

● وكان[2] معاويةُ رضي الله عنه يُعرفُ بالحِلم ، وله فيه أَخبارٌ مَشهورةٌ وآثارٌ مَذكورةٌ ؛ وكان يقولُ : إِنِّي لآنَفُ أَن يكونَ في الأَرض جَهْلٌ لا يَسَعُهُ حِلْمي ، وذَنْبٌ لا يَسَعُهُ عَفْوي ، وحاجَةٌ لا يَسَعُها جُودي .

وهذه مُروءةٌ عاليةُ المرتبة .

● وقال[3] له رجلٌ يوماً : ما أَشْبَهَ ٱستَك بِٱستِ أُمِّك ؛ فقال : ذاك الَّذي أَعْجَبَ أَبا سُفيان منها .

● وكتبَ[4] معاويةُ إِلى عَقيل بن أَبي طالبٍ رضي الله عنه يعتذرُ إِليه من شيءٍ

---

(١) التذكرة الحمدونية (٢/ ١٣٣)، وفيه أن ابنة مروان بن محمد دخلت على عبد الله بن علي.

(٢) ربيع الأبرار (٢/ ١٥٣) وعيون الأخبار (١/ ٢٨٣) والتذكرة الحمدونية (٢/ ١٤٠) وسراج الملوك (١/ ٣١٠).

(٣) التذكرة الحمدونية (٢/ ١٢٤).

(٤) ربيع الأبرار (٢/ ١٤٢).

جَرى بينهما ، يقول : من مُعاوية بن أَبي سُفيان إِلى عَقيل بن أَبي طالبٍ ؛ أَمّا بعد ، يا بَني عبد المطَّلب ، فأَنتُم ـ واللهِ ـ فُروعُ قُصَيّ ، ولُبابُ عبدِ مناف ، وصَفوةُ هاشمٍ ، فأَين أَخلاقُكم الرّاسيةُ وعُقولُكم الكاسِيةُ؟ وقد ـ واللهِ ـ ساءَ أَميرَ المؤمنين ما كانَ جَرى ، ولن يعودَ لمثله إِلى أَن يُغَيَّبَ في الثَّرى .

فكتبَ إِليه عَقيلٌ يقول : [من الوافر]

صَـدَقْـتَ وَقُلْـتَ حَقّـاً غَيْـرَ أَنِّـي ... أَرَى أَن لا أَراكَ ولا تَــراني
وَلَسْـتُ أَقـولُ سُـوءاً فـي صَـديقـي ... وَلكنِّـي أَصُـدُّ إِذا جَفـاني

فركبَ إِليه مُعاوية رضي الله عنه ، وناشَدَهُ في الصَّفح عنه ، واستعطَفه حتَّى رجعَ .

● **وحُكي**[1] عنه رضي الله عنه ، أَنَّه لمّا وَلي الخِلافة ، وانتظَمت إِليه الأُمور ، وامتلأَت منه الصُّدور ، وأَذعنَ لأَمرِه الجُمهورُ ، وساعدَه في مُراده القَدَرُ المَقدورُ ، استَحضرَ ليلةً خَواصَّ أَصحابِه ، وذاكَرهم وقائِعَ أَيّام صِفِّين ، ومَن كان يتولَّى كِبْرَ الكَريهة من المعروفين ، فانهمكوا في القَول الصَّحيحِ والمريضِ ، وآلَ حديثُهم إِلى مَن كان يَجتهدُ في إِيقاد نار الحرب عليهم بزيادة التَّحريضِ ، فقالوا : امرأَةٌ من أَهل الكوفة تُسَمَّى الزَّرقاء بنت عَديٍّ ، كانت تتعمَّدُ الوقوفَ بين الصُّفوف ، وترفعُ صوتَها صارخةً : يا أَصحابَ عليٍّ ؛ تُسمعُهم كلاماً كالصَّوارم ، مُسْتَحِثَّةً لهم بقَولٍ لو سَمعه الجبانُ لقاتَل ، والمُدْبِرُ لقابَل ، والمُسلِّم لحارَبَ ، والفارُّ لَكَرَّ ، والمُتزلزلُ لاستَقَرَّ ؛ فقال لهم مُعاوية رضي الله عنه : أَيُّكم يحفظُ كلامَها؟ فقالوا : كُلُّنا نَحفظُه ؛ قال : فما تُشيرون عليَّ فيها؟ قالوا : نُشير بقَتلها ، فإِنَّها أَهْلٌ لذلك ؛ فقال لهم مُعاوية رضي الله

---

(١) بلاغات النساء (٥٠) والعقد الفريد (٢/ ١٠٦) وتاريخ دمشق (قسم النساء) (١٠٩) ومختصره (٩/ ١٧٢)، وصبح الأعشى (١/ ٢٥٢) .

عنه : بِئسما أَشرتُم ، وقُبْحاً لِما قُلتم ؛ أَيحسنُ أَن يُشتهرَ عنِّي أَنَّني بعدَما ظفرتُ وقَدرتُ قتلتُ امرأَةً قَد وَفَت لصاحبها ، إِنّي إِذاً لَلَئيمٌ ، لا واللهِ لا فَعلتُ ذلك أبداً ؛ ثم دعا بكاتبِهِ فكتبَ كتاباً إِلى واليهِ بالكوفة : أَن أَنفذْ إِليَّ الزَّرقاء بنت عديٍّ مع نَفَرٍ من عَشيرتها وفُرسانٍ من قَومها ، ومَهِّد لها وطاءً لَيِّناً ومَركباً ذَلولاً ؛ فلمّا وردَ عليه الكتابُ ركبَ إِليها وقَرأَ عليها ، فقالت بعد قراءةِ الكتاب : ما أَنا بزائغةٍ عن الطَّاعة ؛ فحملَها في هَودجٍ ، وجعلَ غِشاءه خَزّاً مُبَطَّناً ، ثم أَحسن صُحبتها ، فلمّا قَدِمَت على مُعاوية قال لها : مَرحباً وأَهلاً ، خيرَ مَقْدَمٍ قَدِمَهُ وافدٌ ، كيفَ حالُك يا خالَة ، وكيف رأَيتِ مَسيْرَك؟ قالت : خيرَ مسيرٍ ؛ فقال : هل تَعلمين لِمَ بعثتُ إِليك؟ قالت : لا يعلمُ الغيبَ إِلاّ الله سُبحانه وتعالى ؛ قال : أَلستِ راكبةَ الجملِ الأَحمر يومَ صِفِّين ، وأَنتِ بين الصُّفوف تُوقدين نارَ الحرب ، وتُحَرِّضين على القتال؟ قالت : نعم ؛ قال : فما حَملكِ على ذلك؟ قالت : يا أَمير المؤمنين ، إِنَّه قد ماتَ الرَّأْسُ وبُتِرَ الذّنب ، والدَّهرُ ذو غِيَرٍ ، ومَن تفكَّرَ أبصرَ ، والأمرُ يَحْدُثُ بعدَه الأَمْرُ . فقال : صدقتِ ؛ فهل تَعرفين كلامَك ، وتَحفظين ما قُلتِ؟ قالت : لا واللهِ ؛ قال : للهِ أَبوك ، فلقد سمعتُك تَقولين : أَيُّها الناسُ ، إِنَّ المِصباحَ لا يُضيءُ في الشَّمس ، وإِنَّ الكواكبَ لا تُضيءُ مع القَمر ، وإِنَّ البَغلَ لا يَسبقُ الفَرس ، ولا يُقطعُ الحديدُ إِلا بالحديد ، أَلا مَن استرشَدَنا أَرشدناهُ ، ومَن سأَلَنا أَخبرناه ؛ إِنَّ الحقَّ كان يَطلبُ ضالَّةً فأَصابَها ، فَصَبْراً يا مَعشر المهاجرين والأَنصار ، فكأَنَّكم وقد التأَمَ شَمْلُ الشَّتات ، وظهرَتْ كلمةُ العَدْلِ ، وغَلَبَ الحقُّ باطلَه ، فإِنَّه لا يستوي المُحِقُّ والمُبْطِلُ ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾ [السجدة : ١٨/٣٢] فالنِّزالَ النِّزالَ ، والصَّبْرَ الصَّبْرَ ، أَلا وإِنَّ خضابَ النِّساءِ الحِنّاءُ ، وخِضابَ الرِّجالِ الدِّماءُ ، والصَّبْرُ خيرُ الأُمور عاقبةً ، ائتوا الحربَ غيرَ ناكِصين ، فهذا يومٌ له ما بَعده .

يا زرقاء ، أَليس هذا قولَك وتَحريضَك؟ قالت : لقد كان ذلك ؛ قال : لقد شاركْتِ عليّاً في كُلِّ دمٍ سَفَكه ؛ فقالت : أَحْسَنَ اللهُ بشارتَك يا أَمير المؤمنين ، وأَدام سلامتَك ؛ مِثْلُكَ مَن يُبَشِّرُ بخيرٍ وَيَسُرُّ جليسَه ؛ فقال معاوية : أَوَقد سَرَّكِ ذلك؟ قالت : نعم ، والله لقد سَرَّني قولُك ، وأَنَّى لي بتَصديقه؟ فقال لَها معاويةُ : والله لَوفاؤكم له بعد مَوته أَعجبُ إِليَّ من حُبِّكم له في حياته ، فاذكُري حَوائجك تُقْضَ ؛ فقالت : يا أَمير المؤمنين ، إِنِّي آليتُ على نَفسي أَن لا أَسأَل أَحداً بعد عليٍّ حاجةً ؛ فقال : قد أَشارَ عليَّ بعضُ مَن عرفَك بقَتلك ؛ فقالت : لُؤْمٌ من المُشير ، ولو أَطعتَه لشاركتَه ؛ فقال : كلا ، بل نَعفو عنك ونُحسن إِليك ونَرعاك ؛ فقالت : يا أَمير المؤمنين ، كَرَمٌ منك ، ومِثلُك مَن قَدرَ فَعفا ، وتجاوزَ عمَّن أَساء ، وأَعطى من غير مَسأَلةٍ .

قال : فأَعطاها كسوةً ودَراهم ، وأَقطعها ضَيعةً تغلُّ كلَّ سنةٍ عشرة آلاف درهم ، وأَعادها إِلى وطنها سالمةً ، وكتبَ إِلى والي الكُوفة بالوصيَّةِ بها وبعَشيرتها .

● وقيل[1] : كان لعبد الله بن الزُّبيرِ رضي الله عنهما أَرضٌ ، وكان له فيها عَبيدٌ يعملون فيها ، وإِلى جانبها أَرضٌ لمعاوية وفيها أَيضاً عبيدٌ يعملون فيها ، فدخلَ عبيدُ مُعاوية في أَرض عبد الله بن الزُّبير ، فكتبَ عبدُ الله كتاباً إِلى معاوية يقول له فيه : أَمّا بعدُ يا معاويةُ ، إِنَّ عَبيدك قد دخلوا في أَرضي ، فانْهَهُمْ عن ذلك ، وإِلا كان لي ولك شأنٌ ، والسَّلام .

فلمّا وقفَ معاويةُ على كِتابه ، وقرأَه ، دفَعَهُ إِلى ولده يزيد ، فلمّا قرأَه قال له مُعاوية : يا بُنَيَّ ما تَرى؟ قال : أَرى أَن تبعثَ إِليه جيشاً يكونُ أَوَّلُهُ عنده وآخرُه عندَك ، يأتونَك برأسه ؛ فقال : بل غيرُ ذلك خيرٌ منه يا بُنَيَّ ؛ ثمَّ أَخذَ ورقةً ، وكتبَ فيها جوابَ كتابِ عبد الله بن الزُّبير ، يقول فيه : أَمّا بعدُ ، فقد

---

(١) أدب الدنيا والدين (٣٩٩).

وقفتُ على كتابِ ولدِ حَواريِّ رسول الله ﷺ ، وساءَني ما ساءَه ، والدُّنيا بأَسرها هَيِّنَةٌ عندي في جنبِ رِضاه ، نَزَلْتُ عن أَرضي لكَ ، فأَضِفْها إِلى أَرضك بما فيها من العَبيد والأَموال ، والسَّلام .

فلمّا وقفَ عبدُ الله بن الزُّبير رضي الله عنهما على كتاب مُعاوية رضي الله عنه ، كتبَ إليه : قد وقفتُ على كتاب أَمير المؤمنين ، أَطال الله بقاءَه ، ولا أَعدَمه الرَّأْيَ الَّذي أَحَلَّهُ من قريشٍ هذا المَحَلَّ ، والسَّلام .

فلمّا وقفَ مُعاويةُ على كتاب عبدِ الله بن الزُّبير وقرأه ، رَمى به إِلى ابنه يزيد ؛ فلمَّا قرأَه تهلَّلَ وَجهُه ، وأَسفرَ ، فقال له أَبوه : يا بُنَيَّ مَن عفا سادَ ، ومَن حَلُمَ عَظُمَ ، ومَن تَجاوزَ استمالَ إِليه القُلوب ؛ فإِذا ابتُليت بشيءٍ من هذه الأَدواءِ ، فداوِهِ بمثل هذا الدَّواء .

• ولمّا[1] دخلَ الفيلُ دمشقَ واجتمعَ النّاسُ لِرُؤيته ، صعدَ معاويةُ في مكانٍ مرتفعٍ ينظرُ إِليه ، فبينما هو كذلك إِذ نظرَ في بعض الحُجَرِ من قَصره رَجلاً مع بَعض حُرَمِهِ ، فأَتى الحُجرةَ ودقَّ البابَ ، فلم يكن مِن فَتْحِهِ بُدٌّ ، فوقَعت عينُه على الرَّجل ، فقال له : يا هذا في قَصري ، وتحت جناحي تهتكُ حُرمتي ، وأَنت في قَبضتي؟ ما حَمَلَكَ على هذا؟ قال : فَبُهِتَ الرَّجُل ، وقال : حِلْمُكَ أَوقعني ؛ فقال له مُعاوية : فإِن عفوتُ عنك تستُرها عليَّ؟ قال : نعم . فعفا عنه وخلَّى سبيلَه .

وهذا من الحِلم الواسِع أَن يطلبَ السِّتْرَ من الجاني ؛ وهو عروض قول الشّاعر[2] : [من البسيط]

إِذا مَرِضْنا أَتَيْناكُمْ نَعودُكُمُ وَتُذْنِبُونَ فَنَأْتيكُمْ وَنَعْتَذِرُ

---

(١) سراج الملوك (١/ ٣١٢).

(٢) للمؤمل بن أُميل في التمثيل والمحاضرة (٩٠). وبلا نسبة في بهجة المجالس (١/ ٢٦٣) وسراج الملوك (١/ ٣١٣).

• وحُكي[1] عن الرَّبيع مَولى الخليفة المنصور قال : ما رأيتُ رجلاً أَرْبَطَ جَأْشاً ، وأَثبتَ جَناناً من رَجلٍ سُعي به إلى المنصور ، أَنَّ عنده ودائعَ وأَموالاً لبني أُمَيَّة ، فأَمرني بإِحضاره ، فأَحضرتُه إليه ، فقال له المنصور : قد رُفِعَ إلينا خَبَرُ الودائعِ والأَموال الَّتي عندك لبني أُمَيَّةَ ، فأَخْرِجْ لنا منها ، وأَحضِرْها ، ولا تكتمْ منها شيئاً ؛ فقال : يا أَمير المؤمنين ، وأَنت وارثُ بني أُمَيَّة؟ قال : لا ؛ قال : فَوَصِيٌّ لهم في أَموالهم ورِباعهم؟ قال : لا ، قال : فما مَسأَلَتُك عمّا في يَدي من ذلك؟ قال : فأَطرق المنصورُ ، وتفكَّرَ ساعةً ، ثم رفع رأسه وقال : إنَّ بني أُمَيَّة ظلموا المسلمين فيها ، وأَنا وكيلُ المسلمين في حُقوقهم ، وأُريد أَن آخذَ ما ظَلموا المسلمين فيه ، فأَجعلَه في بيت أَموالهم ؛ فقال : يا أَمير المؤمنين ، فيحتاجُ إلى إقامة بَيِّنَةٍ عادلةٍ أَنَّ ما في يدي لبني أُمَيَّةَ ممَّا خانُوه وظَلموه ، فإِنَّ بني أُمَيَّةَ قد كانت لهم أَموالٌ غيرُ أَموال المسلمينَ . قال : فأَطرقَ المنصورُ ساعةً ، ثم رفع رأسَهُ وقال : يا ربيعُ ، ما أَرى الشَّيخَ إلا قد صَدَقَ ، وما يجبُ عليه شيءٌ ، وما يَسعُنا إلا أَن نعفوَ عمّا قيل عنه ؛ ثم قال : هل لكَ من حاجَةٍ؟ قال : نعم يا أَمير المؤمنين ، أَن تجمعَ بيني وبينَ مَن سعى بي إليك ، فواللهِ الَّذي لا إله إلا هو ، ما في يدي لبني أُمَيَّة مالٌ ولا وديعةٌ ، ولكنَّني لمّا مثلتُ بين يديك وسأَلتني عمّا سأَلتني عنه قابلتُ بين هذا القول الَّذي ذكرتُه الآن ، وبينَ ذلك القول الَّذي ذكرته أَوّلاً ، فرأَيتُ ذلك أَقرب إلى الخلاص والنَّجاة . فقال : يا ربيعُ ، اجمع بينَه وبينَ مَن سعى به ؛ فجمعتُ بينهما ، فلمّا رآه قال : هذا غُلامي ، اختلسَ لي ثلاثة آلاف دينار من مالي ، وأَبق منِّي ، وخاف مِن طَلبي له ، فسعى بي عند أَمير المؤمنين .

قال : فشدَّد المنصورُ على الغُلام وخَوَّفه ، فأَقَرَّ بأَنَّهُ غُلامَهُ ، وأَنَّه أَخذ

---

(١) المستجاد (١٨٥) وثمرات الأوراق (٢٦٩ـ٢٧١) .

المال الَّذي ذَكرَه وسَعى به كَذِباً عليه ، وخَوفاً من أَن يقعَ في يده ، فقال له المنصور : سأَلتُك أَيُّها الشَّيخ أَن تعفوَ عنه ؛ فقال : قد عفوتُ عنه ، وأَعتقتُه ، ووهبتُه الثَّلاثة آلاف الَّتي أَخَذَها ، وثلاثةَ آلافٍ أُخرى أَدفعُها إِليه . فقال له المنصور : ما على ما فَعلتَ من مَزيدٍ؟ قال : بلى يا أَمير المؤمنين ، إِنَّ هذا كلَّه لقليلٌ في مُقابلةِ كلامِك لي وعَفوك عنِّي ؛ ثم انصرف . قال الربيعُ : فكان المنصورُ يتعجَّبُ منه ؛ وكُلَّما ذَكره يقول : ما رأَيتُ مثل هذا الشَّيخ يا ربيعُ .

• وغضبَ[1] الرَّشيدُ على حُميد الطُّوسي ، فدَعا له بالنِّطْع والسَّيف ، فبكى ، فقال له : ما يُبكيك؟ فقال : والله يا أَمير المؤمنين ، ما أَفزعُ من الموت لأَنَّه لا بُدَّ منه ، وإِنَّما بكيتُ أَسفاً على خُروجي من الدُّنيا ، وأَميرُ المؤمنين ساخطٌ عليَّ ؛ فضحكَ وعفا عنه ، وقال[2] : [من البسيط]

إِنَّ الكريمَ إِذا خادَعْتَهُ انْخَدَعا .

• وأَمر[3] زيادٌ بضربِ عُنق رجلٍ ، فقال : أَيُّها الأَمير ، إِنَّ لي بك حُرمةً ؛ قال : وما هي؟ قال : إِنَّ أَبي جارُك بالبصرة ؛ قال : ومَن أَبوك؟ قال : يا مولاي ، إِنِّي نسيتُ اسمَ نفسي ، فكيف لا أَنسى اسمَ أَبي؟ فردَّ زيادٌ كُمَّه على فَمه ، وضَحك ، وعَفا عنه .

• وأَمر[4] الحجَّاجُ بقتلِ رجلٍ ، فقال : أَسأَلُكَ بالَّذي أَنت غداً بين يديه أَذَلُّ مَوقفاً منِّي بين يديك إِلا عفوتَ عنِّي ؛ فعفا عنه .

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ١٣٦) وأسرار الحكماء (٤٥) والبصائر والذخائر (٧/ ١٢٢) وتمام المتون (٢٤١).

(٢) صدره: واستمطِروا من قريش كل منخدعٍ ×.

(٣) ربيع الأبرار (٢/ ١٣٧).

(٤) ربيع الأبرار (٢/ ١٣٨) وفي سراج الملوك (١/ ٣٥٦) بين عبد الله بن مسلم بن محارب وهارون الرشيد.

• ولمّا[1] ضربَ الحجّاجُ رقابَ أَصحاب ابن الأَشعث ، أَتى رجلٌ من بني تميم ، فقال : واللهِ يا حجّاجُ لَئِنْ كُنّا أَسَأْنا في الذَّنْبِ ما أَحسنتَ في العفوِ ؛ فقال الحجّاج : أُفٍّ لهذه الجِيَف! أَما كان فيهم مَن يُحسن الكلامَ مثل هذا؟ وعفا عنه وخَلّى سبيلَه .

• وكان[2] إبراهيم بن المهديّ يقولُ : واللهِ ما عَفا عنّي المأمونُ تَقَرُّباً إلى الله تعالى ، ولا صِلَةً للرَّحِم ، ولكن له سوقٌ في العفوِ يكرهُ أَن تكسدَ بقَتلي .

• وسُئل[3] الفُضيل عن الفُتُوَّة ، فقال : الصَّفْحُ عن عَثَرات الإخوان .

• وفي[4] بعضِ الكُتُبِ المُنْزَلَةِ : إنَّ كثرةَ العفو زيادةٌ في العُمر ؛ وأَصله قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد : ١٣/ ١٧] .

• وقال[5] يَزيد بن مَزْيَد : أَرسلَ إليَّ الرَّشيدُ ليلاً يدعوني ، فأَوجستُ منه خِيْفَةً ، فقال لي : أَنت القائلُ : أَنا ركنُ الدَّولة والثَّائرُ لها ، والضّاربُ أَعناق بُغاتها ، لا أُمَّ لك؟ أَيُّ رُكنٍ ، وأَيُّ ثائرٍ أَنت؟ قلتُ : يا أَمير المؤمنين ، ما قلتُ هذا ، إنَّما قُلْتُ : أَنا عبدُ الدَّولة ، والثّائرُ لها ؛ فأَطرق وجعل يَنْحَلُّ غَضَبُهُ عن وَجهه ، ثم ضَحك ، فقلت : أَحسنُ من هذا قولي : [من البسيط]

خِلافَةُ اللهِ في هٰرونَ ثابِتَةٌ   وَفي بَنيهِ إلى أَن يُنْفَخَ الصُّورُ

فقال : يا فضلُ ، أَعطِه مِئتي أَلف درهمٍ قبل أَن يُصبحَ .

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ١٣٨).
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ١٤٠).
(٣) ربيع الأبرار (٢/ ١٤٤).
(٤) ربيع الأبرار (٢/ ١٥١) والتذكرة الحمدونية (٢/ ١٤٠).
(٥) ربيع الأبرار (٢/ ١٥٢) والتذكرة الحمدونية (٢/ ١٤٢).

• وأَمر[1] مُصعب بن الزُّبير بقتلِ رجلٍ ، فقال : ما أَقبح بي أَن أَقومَ يوم القيامة إِلى صُورتك هذه الحسنةَ ، ووجهك هذا الَّذي يُستضاءُ به ، فأَتعلَّقَ بأَطواقك وأَقولُ : أَي رَبِّ ، سَلْ مُصعباً لِمَ قتَلَني؟ فقال : أَطلقوه ؛ فلمّا أَطلقوه قال : أَيُّها الأَميرُ ، اجعلْ ما وَهَبْتَ لي من حياتي في خَفْضِ عَيْشٍ ، قال : قد أَمرتُ لك بمئة أَلف درهم ؛ فقال : [فإِنِّي أُشهدُ الله وأُشهدُ الأَمير أَنَّ لابن الرُّقيّات نِصْفَها ؛ قال : لم؟ قال : لقوله[2] : [من الخفيف]

إِنَّمـا مُصْعَـبٌ شهـابٌ مـن اللهِ تَجَلَّـتْ عَـنْ وَجْهِـهِ الظَّلمـاءُ
مُلكُـهُ مُلْـكُ رحمـةٍ ليـس منـه جَبَـروتٌ منـهُ ولا كبـريـاءُ
يَتَّقـي الله فـي الأمـور وقـد أَفـ ـلحَ مَـن كـان دينَـهُ الاتِّقـاءُ]

• [كتبَ[3] اليزيديُّ إِلى المأمون في الاعتذارِ[4]] : [من الطويل]

أَنا المُذْنِبُ الخَطّاءُ والعَفْوُ واسِعٌ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ ذَنْبٌ لَما عُرِفَ العَفْوُ

• وتَغَيَّظَ[5] عبد الملك بن مَروان على رجلٍ ، فقال : واللهِ لَئِنْ أَمكنَني اللهُ منه لأَفعلنَّ به كذا وكذا؛ فلمّا صار بين يديه قال رجاءُ بن حَيْوَة : يا أَمير المؤمنين ، قد صنعَ الله ما أَحببتَ ، فاصنعْ ما أَحبَّ الله ؛ فعفا عنه ، وأَمر له بِصِلَةٍ .

• وقال[6] الحسنُ : إِنَّ أَفضلَ رِداءٍ تَرَدَّى به الإِنسانُ الحِلْمُ ، وهو واللهِ عليكَ أَحسنُ من بُرْدِ الحِبَرِ .

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ١٥٧) والزيادة منه .
(٢) ديوان ابن قيس الرقيات (٩١-٩٢) .
(٣) ربيع الأبرار (٢/ ١٥٥) والزيادة منه .
(٤) البيت لإبراهيم بن يحيى اليزيدي في شعر اليزيديين (١٤٣) .
(٥) ربيع الأبرار (٢/ ١٦٧) وسراج الملوك (١/ ٣٥٦) .
(٦) ربيع الأبرار (٢/ ٢٨٨) .

• وفيه قال أَبو تمّام[1] : [من الطويل]

رَقيقِ حَواشي الحِلْمِ لَوْ أَنَّ حِلْمَهُ بِكَفَّيْـكَ مـا مـارَيْـتَ فـي أَنَّـهُ بُـرْدُ

• ويُقال[2] : الحليمُ سَليمٌ ، والسَّفيهُ كَليمٌ .

• وقال[3] محمَّد بن عَجلان : ما شيءٌ أَشَدَّ على الشَّيطان من عالمٍ معه حِلْمٌ ؛ إن تكلَّمَ تكلَّم بعِلمٍ ، وإن سكتَ سَكتَ بِحِلْمٍ ، يقولُ الشَّيطانُ : سُكوتُه عليَّ أَشَدُّ من كلامه .

• شعر[4] : [من الطويل]

إذا كُنْـتَ تَبْغـي شِيْمَـةً غَيْـرَ شِيْمَـةٍ طُبِعْتَ عَليها لَمْ تُطِعْكَ الضَّرائِبُ

• وعن[5] عليِّ بن الحُسين رضي الله تعالى عنهما : أَقربُ ما يَكونُ العبدُ من غَضَبِ الله إذا غَضِبَ .

• وفي[6] التَّوراة : اذْكُرني إذا غضبتَ أَذكرْكَ إذا غضبتُ ، فلا أَمحقكَ فيما أَمحقُ ؛ وإذا ظُلمتَ فاصبرْ ، وارْضَ بنُصرتي ، فإِنَّ نُصرتي لكَ خيرٌ من نُصرتكَ لنفسِك .

• وكان[7] ابنُ عونٍ إذا غضبَ على إنسانٍ قال له : بارَكَ الله فيك ؛ وكانت له ناقةٌ كريمةٌ ، فضَربَها الغلامُ فأَنْدَرَ عَيْنَها ، فقالوا : إن غَضِبَ ابنُ عَوْنٍ فإِنَّهُ

---

(١) ديوانه (٢/ ٨٨)، ورقيق: بالكسر، صفة لموصوف مجرور في بيت سابقٍ.
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٢٨٩).
(٣) ربيع الأبرار (٢/ ٢٩١).
(٤) البيت بلا نسبة في ربيع الأبرار (٢/ ٢٩١).
(٥) ربيع الأبرار (٢/ ٢٩٤).
(٦) ربيع الأبرار (٢/ ٢٩٤) وسراج الملوك (١/ ٣٥٥) وأدب الدنيا والدين (٤٠٩).
(٧) ربيع الأبرار (٢/ ٢٩٤) وسراج الملوك (١/ ٣٤٥) والتذكرة الحمدونية (٢/ ١٤٥).

يغضبُ اليومَ ؛ فقال للغُلام : غَفَرَ اللهُ لَك .

• وقال[1] رجلٌ لرسول الله ﷺ : أَيُّ شَيءٍ أَشَدُّ؟ قال : « غَضَبُ الله » . قال : فما يُباعدني من غَضب الله؟ قال : « أَن لا تغضبَ » .

• ويُقال[2] : مَن أَطاعَ الغضبَ أَضاعَ الأَدبَ .

• وقال أَبو العتاهية[3] : [من الطويل]

وَلَمْ أَرَ في الأَعْداءِ حينَ اخْتَبَرْتُهُمْ ... عَدُوّاً لِعَقْلِ المَرْءِ أَعْدى منَ الغَضَبْ

• وقال[4] أَبو هُريرة رضي الله عنه : ليسَ الشَّديدُ بالصُّرَعَة ، إِنَّما الشَّديدُ الَّذي يملكُ نَفْسَهُ عندَ الغَضب .

• وقال[5] ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه : كَفى بالمرءِ إِثماً أَن يُقالَ له : اتَّقِ الله ؛ فيغضبُ ويقولُ : عليكَ نَفْسَكَ .

• وكتبَ[6] عُمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إِلى عاملٍ من عُمّاله : أَن لا تُعاقبْ عندَ غَضَبك ، وإِذا غضبتَ على رجلٍ فاحبِسْهُ ، فإِذا سكنَ غَضَبُك فأَخرجْه ، فعاقِبْه على قَدْرِ ذَنْبه ، ولا تجاوزْ به خمسةَ عشرَ سَوْطاً .

• وقيل[7] لابن المبارك رحمه الله تعالى : اجمعْ لنا حُسْنَ الخُلُقِ في كلمةٍ واحدةٍ . قال : تَرْكُ الغَضَب .

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٢٩٥).
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٢٩٦).
(٣) ديوانه (٣٦) وربيع الأبرار (٢/ ٢٩٦).
(٤) كذا موقوفاً في ربيع الأبرار (٢/ ٢٩٧) والمعروف رفعُه كما في عيون الأخبار (١/ ٢٨٣).
(٥) ربيع الأبرار (٢/ ٢٩٧).
(٦) ربيع الأبرار (٢/ ٣٠٠) وأسرار الحكماء (٤٠).
(٧) ربيع الأبرار (٢/ ٣٠١).

• وقال[1] المعتمر بن سُليمان : كان رجلٌ مِمَّن كان قبلَكم يغضبُ ، ويشتَدُّ غَضَبُهُ ، فكتبَ ثلاثَ صَحائفَ ، فأَعطى كُلَّ صحيفةٍ رَجُلاً ؛ وقال للأَوَّل : إذا اشتَدَّ غضَبي ، فقُم إليَّ بهذه الصَّحيفة وناولنيها ؛ وقال للثَّاني : إذا سكنَ بعضُ غَضَبي فناوِلنيها ؛ وقال للثّالث : إذا ذهب غَضَبي ، فناولنيها .

وكان في الأُولى : أَقْصِرْ ، فما أَنت وهذا الغَضَب ، إنَّك لستَ بإلهٍ ، إنَّما أَنْتَ بَشَرٌ يُوشِكُ أَن يأكلَ بعضُك بعضاً . وفي الثّانية : ارحَمْ مَن في الأَرض يرحَمْك من في السَّماء . وفي الثّالثة : احملْ عبادَ الله على كتابِ الله ، فإِنَّه لا يُصلحُهم إلا ذاك .

رُوي أَنَّه أَنو شروان .

• وكان[2] الشَّعبيُّ أُوْلَعَ شيءٍ بهذا البيت[3] : [من الرمل]

لَيْسَتِ الأَحْلامُ في حالِ الرِّضا إِنَّما الأَحْلامُ في حالِ الغَضَبْ

• وعن[4] مُعاذ بن أَنس [الجُهَنيّ] رضي الله عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ : « مَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وهو قادرٌ على أَن يُنفذَهُ ، دعاه الله على رُؤوسِ الخلائقِ يومَ القيامة حتَّى يُخَيِّرَهُ في أَيِّ الحورِ شاءَ » .

ورُوي : « مَلأَهُ الله أَمْناً وإيماناً » .

• وقال[5] ابنُ السَّمّاك : أَذْنَبَ غُلامٌ لامرأَةٍ من قُريش ، فأَخذَتِ السَّوطِ ،

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٣٠١) ومحاضرات الأدباء (١/ ٢٢٢) وأدب الدنيا والدين (٤٠٩) وهو عن أردشير في سراج الملوك (١/ ٣٤٥ و٣٥٥).
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٣٠٢) وتاريخ دمشق (٣١/ ١٩٤ و١٩٥ و٢٣٥)، ومختصره (١١/ ٢٥٦) وتاريخ الرقة (١٦٣).
(٣) هو لمسكين الدارمي، ديوانه (٢٢).
(٤) ربيع الأبرار (٢/ ٣٠٣) وفي الأصول: عن معاذ بن جبل، عن أنس. خطأ.
(٥) ربيع الأبرار (٢/ ٣٠٤) والقول لأم المؤمنين عائشة في أدب الدنيا والدين (٣٩٨).

ومَضت خَلْفَهُ حتَّى إذا قارَبَتْهُ رَمَتْ بالسَّوط وقالت : ما تَرَكْتِ التَّقوى أَحداً يَشْفي غَيْظَهُ .

● وقال[1] أبو ذَرٍّ لِغُلامه : لِمَ أَرْسَلْتَ الشَّاةَ على عَلَفِ الفَرس؟ قال : أَردتُ أَن أَغيظَك ؛ قال : لأَجمعنَّ مع الغَيظِ أَجراً ؛ أَنت حُرٌّ لوجهِ اللهِ تَعالى! .

● واستأذنَ[2] رهطٌ من اليهود على رسول الله ﷺ ، فأَذنَ لهم ، فقالوا : السّامُ عليك يا محمَّد ؛ فقالت عائشةُ رضي الله تعالى عنها : بل السّامُ عليكم ، واللَّعنة ؛ فقال : « يا عائِشةُ ، إنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفقَ في الأَمر كلِّه » . فقالت : أَلم تَسمعْ ما قالوا؟ قال : « قَدْ قُلْتُ : وعليكم » .

● ورُفع[3] إلى عبد الملك بن مروان أَعرابيٌّ يقال له حمزة ، سَرقَ وقامت عليه البَيِّنَةُ ، فَهَمَّ عبدُ الملك بقطعِ يدِه ، فكتب إليه حمزةُ من السِّجن يقولُ : [من الطويل]

يَـدي يـا أَمير المُـؤمنيـنَ أُعيـذُهـا بِعَفْـوِكَ أَنْ تَلْقَـى مَقـامـاً يَشينُهـا
فَلا خَيْرَ في الدُّنيا وكانَتْ حبيبةً إذا مـا شِمـالٌ فـارَقَتْهـا يَمينُهـا

قال : فأَبى عبدُ الملك إلا قَطْعَهُ ، فدخَلت عليه أُمُّ حَمزة وقالت : يا أَمير المؤمنين ، بُنَيَّ وكاسِبي وواحِدي ؛ فقال لها عبدُ الملك : بِئْسَ الكاسبُ لكِ ؛ هذا حَدٌّ من حدودِ الله تعالى ؛ فقالت : يا أَمير المؤمنين ، اجعلْهُ أَحَدَ ذُنوبِك الَّتي تَستغفرُ اللهَ منها ؛ فقال عبدُ الملك : ادفَعوه إليها ؛ وخلَّى سبيله .

● شعر : [من الوافر]

إذا مـا طـاشَ حِلْمُـكَ عـن عَـدُوٍّ وَهـانَ عَلَيْـكَ هِجْـرانُ الصَّـديـقِ
فَلَسْـتَ إذاً أَخـا عَفْـوٍ وَصَفْـحٍ وَلا لأَخٍ علـى عَهْـدٍ وَثيـقِ

---

(1) ربيع الأبرار (٢/ ٣٠٥).
(2) ربيع الأبرار (٢/ ٣١٢).
(3) العقد الفريد (٢/ ١٦٧) وعيون الأخبار (١/ ٩٩).

إذا زَلَّ الــرَّفيــقُ وأَنْــتَ مِمَّــنْ بِــلا رِفْــقٍ بَقِيْــتَ بِــلا رَفيــقِ
إذا أَنْــتَ اتَّخَــذْتَ أَخــاً جَــديــداً لِمــا أَنْكَــرْتَ مِــن خُلُــقٍ عَتيــقِ
فَمــا تَــدْري لَعَلَّــكَ مُسْتَجيــرٌ مِــنَ الــرَّمْضَــاءِ فَــرَّ إِلــى الحَــريــقِ
فَكَــمْ مِــن سالِــكٍ لِطَــريــقِ أَمْــنٍ أَتــاهُ مــا يُحــاذِرُ فــي الطَّــريــقِ

● وشَتَمَ[1] رجلٌ رجلاً فقال له : يا هذا لا تُغرق في شَتمنا ، ودَع للصُّلح موضِعاً ، فإني أَمَتُّ مُشاتَمةَ الرِّجال صغيراً ، فلن أُحْيِيَهَا كبيراً ، وإِنِّي لا أُكافىءُ مَن عصى الله فيَّ بأَكثرَ من أَن أُطيعَ اللهَ فيه .

● وحُكي[2] عن جعفر الصّادق رضي الله عنه : أَنَّ غُلاماً له وقفَ يصبُّ الماء على يَديهِ ، فوقعَ الإِبريقُ من يدِ الغُلام في الطَّسْتِ ، فطار الرَّشاشُ في وَجهه ، فنظر جعفر إِليه نظرَ مُغْضَبٍ ، فقال : يا مَولاي ، ﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ قال : قد كَظَمْتُ غَيظي ؛ قال : ﴿ وَٱلْعَـٰفِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ قال : قد عفوتُ عنك ؛ قال : ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران : ٣/ ١٣٤] قال : اذهبْ ، فأَنت حُرٌّ لِوجهِ الله تعالى .

● وقيل : لمَّا قَدِمَ نَصْر بن مَنيع بن يدي الخليفة ، وكان قد أَمر بضرب عُنقه ، قال : يا أَمير المؤمنين ، اسمعْ منِّي كلماتٍ أَقولها . قال : قل ؛ فأَنشأَ يقول : [من الكامل]

زَعَمُــوا بــأَنَّ الصَّقْــرَ صــادَفَ مَــرَّةً عُصْفُــورَ بَــرٍّ ســاقَــهُ التَّقْــدِيْــرُ
فَتكَلَّــمَ العُصْفُــورُ تَحْــتَ جناحِــهِ والصَّقْــرُ مُنْقَــضٌّ عَلَيْــهِ يَطيــرُ
إنِّــي لِمِثْلِــكَ لا أُتَمِّــمُ لُقْمَــةً وَلَئِــنْ شُــوِيْــتُ فــإِنَّنــي لحقيــرُ

---

(١) القول لعمر بن ذرّ في عيون الأخبار (١/ ٢٨٥).
(٢) في العقد الفريد (٥/ ١٨٧) بين المأمون وخادم. وفي التذكرة الحمدونية (٢/ ١٨٧) (للحسن) ونثر الدر (١/ ١٣٦) والفرج بعد الشدة (١/ ٣٧٤) ومحاضرات الراغب (١/ ٢٣٥).

فَتَهاوَنَ الصَّقْرُ المُدِلُّ بِصَيْدِهِ   كَرَماً وأُفْلِتَ ذلِكَ العُصْفُورُ

قال : فعفا عنه ، وخلّى سبيله .

• قال الشّاعر[1] : [من البسيط]

أَقْرِرْ بِذَنْبِكَ ثُمَّ اطْلُبْ تَجاوُزَهُمْ   عَنْهُ فإِنَّ جُحُودَ الذَّنْبِ ذَنْبانِ

• وقال بعضُهم : [من الرجز]

يَسْتَوْجِبُ العَفْوَ الفَتىٰ إِذا اعْتَرَفْ   وَتابَ عَمّا قَدْ جَناهُ واقْتَرَفْ

لِقَوْلِهِ : قُلْ لِلَّذِينَ كَفَروا   إِنْ يَنْتَهوا يُغْفَرْ لَهُمْ ما قَدْ سَلَفْ

• وقال آخر : [من البسيط]

إِذا ذَكَرْتُ أَياديكَ الَّتي سَلَفَتْ   مَعْ قُبْحِ فِعْلي وَزَلّاتي ومُجْتَرَمي

أَكادُ أَقْتُلُ نَفْسي ثُمَّ يُدْرِكُني   عِلْمي بِأَنَّكَ مَجْبُولٌ على الكَرَمِ

• ورُوِي أَنَّ عُمَرَ رضي الله تعالى عنه رأى سكرانَ ، فأَراد أَن يأخذَه ليعزِّرَهُ ، فشتَمه السَّكرانُ ، فرجع عنه ، فقيل له : يا أَمير المؤمنين ، لمّا شتَمك تركتَهُ؟ قال : إِنَّما تركتُه لأنَّه أَغضبني ، فلو عزَّرْتُهُ لكنتُ قد انتصرتُ لنفسي ، فلا أُحبُّ أَن أَضربَ مُسلماً لِحَمِيَّةِ نَفْسي .

• وغضبَ[2] المنصورُ على رجلٍ من الكُتّابِ ، فأَمَر بضربِ عُنقه ؛ فأَنشأَ يقول : [من الوافر]

وإِنّا الكاتِبونَ وإِنْ أَسَأْنا   فَهَبْنا لِلْكِرامِ الكاتِبينا

فعفا عنه ، وخلّى سبيله ، وأَكرمَه .

• وقال الرَّشيدُ لأَعرابيٍّ : بِمَ بلغَ فيكم هشام بن عُروة[3] هذه المنزلة؟ قال :

---

(١) بلا نسبة في التذكرة الحمدونية (٤/ ١٢٩) .

(٢) العقد الفريد (٤/ ١٧٩) . والخليفة في أدب الكتاب (٢٤) هو المأمون .

(٣) لم يدرك هشام بن عروة زمن الرّشيد ، فقد توفي زمن المنصور ببغداد (تاريخ بغداد ١٤/ ٣٧) .

بِحِلمه عن سَفيهنا ، وعَفوه عن مُسيئنا ، وحَمله على ضَعيفنا ؛ لا مَنّان إذا وَهب ، ولا حَقود إذا غَضب ؛ رحبُ الجنان ، سمحُ البَنان ، ماضي اللِّسان ؛ قال : فأَومأَ الرَّشيدُ إلى كلبِ صيدٍ كان بين يديه ، وقال : والله لو كانت هذه في هذا الكلبِ لاستحقَّ بها السُّؤْدَدَ .

● وقيل لمعن بن زائدة : المُؤاخذة بالذَّنْبِ من السُّؤْدَدِ؟ قال : لا ، ولكن أَحسنُ ما يَكونُ الصَّفْحُ عمَّن عَظُمَ جُرْمُهُ ، وقَلَّ شُفعاؤه ، ولم يجدْ ناصراً .

● وقال محمود الورّاق[1] : [من الطويل]

سأُلزِمُ نَفْسي الصَّفْحَ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ ... وإنْ عَظُمَتْ مِنْهُ عَلَيَّ الجَرَائِمُ

فَما النّاسُ إلا واحدٌ مِن ثَلاثَةٍ ... شَرِيفٌ وَمُشْرُوفٌ وَمِثْلٌ مُقاوِمُ

فأَمّا الَّذي فَوْقي فأَعْرِفُ قَدْرَهُ ... وأَتْبَعُ فيهِ الحَقَّ والحَقُّ لازِمُ

وأَمّا الَّذي دُوني فإنْ قالَ صُنْتُ عَنْ ... إجابَتِهِ نَفْسي وإنْ لامَ لائِمُ

وأمّا الَّذي مِثْلي فإنْ زَلَّ أَوْ هَفا ... تَفَضَّلْتُ إنَّ الحُرَّ بالفَضْلِ حاكِمُ

● وقال[2] الأَحنف بن قيس لابنه : يا بُنَيَّ ، إذا أَردتَ أَن تُؤاخيَ رجلاً فأَغضِبْهُ ، فإنْ أَنصفَك ، وإلا فاحذَرْهُ .

● قال الشّاعر : [من الطويل]

إذا كُنْتَ مُخْتَصّاً لِنَفْسِكَ صاحِباً ... فَمِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقاهُ بالوُدِّ أَغْضِبْهْ

فإنْ كانَ في حالِ القَطِيعَةِ مُنْصِفاً ... وإلا فَقَدْ جَرَّبْتَهُ فَتَجَنَّبْهْ

● ومن أَمثال العرب : اُحلَمْ تَسُدْ .

---

(١) ديوانه (٢٣٤) وسراج الملوك (١/ ٣٣٧). وتنسب للخليل الفراهيدي، ديوانه (٣٥٨) (ضمن شعراء مقلون). وبلا نسبة في العقد الفريد (٢/ ٢٨٣) وأنس المسجون (٢١٥).

(٢) سراج الملوك (١/ ٣٣٨) والقول للقمان في عيون الأخبار (١/ ٢٩٠) وربيع الأبرار (٢/ ٢٩٦).

• قال الشّاعِرُ[1] : [من البسيط]

لَنْ يَبْلُغَ المَجْدَ أَقْوَامٌ وإِنْ شَرُفُوا حتَّى يَذِلُّوا وإِنْ عَزُّوا لأَقْوامِ
وَيُشْتَمُوا فَتَرى الأَلْوانَ مُسْفِرَةً لا صَفْحَ ذُلٍّ وَلكِنْ صَفْحَ إِكْرامِ

• وقال آخر[2] : [من الطويل]

وَجَهْلٍ رَدَدْناهُ بِفَضْلِ حُلُومِنا وَلَوْ أَنَّنا شِئْنا رَدَدْناهُ بالجَهْلِ

• وقال[3] الأَحنف : إِيّاكُم ورَأْيَ الأَوغاد ؛ قالوا : وما رَأْيُ الأَوغاد؟ قال : الَّذي يرَوْنَ الصَّفحَ والعفوَ عاراً .

• وقال[4] رجلٌ لأَبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه : لأَسُبَّنَّكَ سَبّاً يدخلُ معك قَبْرَك ؛ فقال : معكَ والله يدخلُ لا معي .

• وقيل[4] : إِنَّ الأَحنفَ سَبَّهُ رَجلٌ وهو يُماشيه في الطَّريق ، فلمّا قَرُبَ من المنزلِ وقفَ الأَحنفُ وقال له : يا هذا إِن كان قد بقي معك شيءٌ فهات وقُلْهُ هٰهنا ، فإِنِّي أَخافُ أَن يسمعَكَ فِتيانُ الحيِّ فَيُؤذوك ، ونحنُ لا نحبُّ الانتصار لأَنفسنا .

• وقال[5] لُقمان لابنه : يا بُنَيَّ ، ثلاثةٌ لا يُعرفون إِلا عند ثلاثةٍ : لا يُعرفُ الحليمُ إِلا عند الغضب ، ولا الشُّجاعُ إِلا عند الحربِ ، ولا أَخوك إِلا عند الحاجةِ إِليه .

---

(١) للنّظّام في البصائر والذخائر (٩/ ٢٠٢). ولعروة بن الزبير في المناقب والمثالب رقم (٦٩). وبلا نسبة في عيون الأخبار (١/ ٢٨٧) والعقد الفريد (٢/ ٢٧٩) ومحاضرات الراغب (١/ ٢٢٢) وسراج الملوك (١/ ٣٣٩).
(٢) بلا نسبة في سراج الملوك (١/ ٣٤٠).
(٣) سراج الملوك (١/ ٣٤١).
(٤) سراج الملوك (١/ ٣٤٢).
(٥) سراج الملوك (١/ ٣٤٣).

• ومن أَشعر بيتٍ قيل في الحِلْمِ ، قولُ كَعْبِ بن زُهير[1] : [من الطويل]

إذا أَنْتَ لَمْ تُعْرِضْ عن الجَهْلِ والخَنا أَصَبْتَ حَليماً أَوْ أَصابَكَ جاهِلُ

• وقال آخر[2] : [من الكامل]

وإذا بَغى باغٍ عَلَيْكَ بِجَهْلِهِ فاقْتُلْهُ بالمَعْروفِ لا بالمنْكَرِ

• وقال آخر[3] : [من البسيط]

قُلْ ما بَدا لَكَ مِنْ صِدْقٍ وَمِنْ كَذِبٍ حِلْمي أَصَمٌّ وأُذْني غَيْرُ صَمّاءِ

• ويُروى في بعضِ الأَخبار ، أَنَّ مَلِكاً من الملوكِ أَمر أَن يُصنعَ له طعامٌ ، وأَحضر قوماً من خاصَّته ، فلمّا مُدَّ السِّماطُ أَقبل الخادمُ وعلى كَفِّهِ صَحْنٌ فيه طَعامٌ ، فلمَّا قَرُبَ من الملِكِ أَدركتْهُ الهيبةُ ، فَعَثَرَ فوقعَ من مَرَقِ الصَّحْنِ شيءٌ يَسيرٌ على طَرف ثوبِ الملِك ، فأَمر بضَرب عُنقه ؛ فلمّا رأَى الخادمُ العزيمة على ذلك عمدَ بالصَّحن فصَبَّ جميعَ ما كان فيه على رأس الملِك ؛ فقال له : ويحَك ما هذا؟ فقال : أَيُّها الملِك ، إِنَّما صنعتُ هذا شُحّاً على عِرْضِكَ ، لِئَلا يقولَ النَّاسُ إِذا سَمعوا ذَنْبي الَّذي به تَقْتُلني : قَتَلَهُ في ذَنْبٍ خفيفٍ لم يَضُرَّه ، وأَخطأَ فيه العبدُ ولم يقصدْه ، فَتُنْسَبُ إِلى الظُّلم والجور ، فصنعتُ هذا الذَّنْبَ العظيمَ لِتُعْذَرَ في قَتْلي وَتُرْفَعَ عنك الملامةُ .

قال : فأَطرق الملِكُ مَلِيّاً ، ثم رفع رأسه إِليه وقال : يا قَبيح الفِعل ، يا حَسَنَ الاعتذار ، قد وَهَبْنا قَبيحَ فِعْلِكَ وعظيمَ ذَنْبِكَ لِحُسْنِ اعتذارِك ؛ اذهبْ فأَنت حُرٌّ لوجهِ الله تعالى .

---

(١) ديوانه (٢٥٧). وهو ثابت لأبيه في ديوانه (٣٠٠).
(٢) بلا نسبة في سراج الملوك (١/ ٣١٠).
(٣) بلا نسبة في سراج الملوك (١/ ٣٤٣) وعيون الأخبار (١/ ٢٨٤) وأدب الدنيا والدين (٤٠٣).

• وحُكي[1] عن أَمير المؤمنين المأمون ـ وهو المشهودُ له بالاتِّفاق على عِلمه ، والمشهورُ في الآفاق بعفوِه وحِلمه ـ أَنَّه لمّا خرجَ عمُّه إِبراهيم بن المهديّ عليه ، وبايَعه العباسيُّون بالخلافة ببغداد وخلعوا المأمون ، وكان المأمونُ إذ ذاك بخُراسان ، فلمّا بلَغه الخبرُ قصَد العراق ، فلمّا بلغَ بغداد اختفى إِبراهيمُ بنُ المهديّ ، وعاد العباسيُّون وغيرُهم إِلى طاعة المأمون ، ولم يزل المأمونُ مُتطَلِّباً لإِبراهيمَ حتَّى أَخذه وهو مُتَنَقِّبٌ مع نِسْوَةٍ ، فحُبِسَ ثم أُحضرَ حتَّى وقفَ بين يدي المأمون ، فقال : السَّلام عليك يا أَمير المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته ؛ فقال المأمون : لا سَلَّم الله عليك ، ولا قَرَّبَ دارَك ، أَستغواكَ الشَّيطانُ حتَّى حدَّثَتْكَ نَفسُك بما تنقطعُ دونه الأوهام؟ فقال له إِبراهيمُ : مَهلاً يا أَمير المؤمنين ، فإِنَّ وَلِيَّ الثَّأْرِ مُحَكَّمٌ في القصاص ، والعفوُ أَقربُ للتَّقوى ، ولكَ من رسول الله ﷺ شَرَفُ القَرابة وعدلُ السِّياسة ، وقد جعلَك الله فوقَ كُلِّ ذي ذَنْبٍ ، كما جعلَ كُلَّ ذي ذَنْبٍ دونك ، فإِن أَخذتَ فَبِحَقِّكَ ، وإِن عفوتَ فَبِفَضلك ، والفضلُ أَولى بك يا أَمير المؤمنين ؛ ثم قال هذه الأبيات : [من المجتث]

ذَنْبِـــي إِلَيْـــكَ عَظِيـــمٌ   وأَنْـــتَ أَعْظَـــمُ مِنْـــهُ
فَخُـــذْ بِحَقِّـــكَ أَوْ لا   فَـــاصْفَـــحْ بِعَفْـــوِكَ عَنْـــهُ
إِنْ لَـــمْ أَكُـــنْ فـــي فِعَـــالي   مِـــنَ الكِـــرَامِ فَكُنْـــهُ

فلمّا سمعَ المأمونُ كلامَه وشِعره ظهَرت الدُّموع في عَينيه ، وقال : يا إِبراهيمُ ، النَّدمُ تَوبَةٌ ، وعفوُ الله تعالى أَعظمُ ممّا تُحاول ، وأَكثرُ ممّا تأمَلُ ، ولقد حُبِّبَ إِليَّ العفوُ حتَّى خِفْتُ أَن لا أُوجَرَ عَليه ، لا تَثريبَ عليك اليومَ . ثم

---

(١) أمالي يموت بن المزرع (٨٩) ووفيات الأعيان (٢/ ١٩) وفوات الوفيات (١/ ١٣٤) وتاريخ دمشق (٧/ ٣٣٨) والوافي بالوفيات (٨/ ٣٩) وتحفة ذوي الألباب للصفدي (١/ ٣٠١) والتذكرة الحمدونية (٤/ ١١٧).

أَمَرَ بِفَكِّ قُيوده ، وإدخاله الحمّام ، وإزالة شَعَثِهِ ؛ وخَلَعَ عليه ، وَرَدَّ أمواله جَميعَها إليه ؛ فقال فيه مُخاطباً : [من البسيط]

رَدَدْتُ مالي وَلَمْ تَبْخَلْ عَلَيَّ بِهِ وَقَبْلَ رَدِّكَ مالي قَدْ حَقَنْتَ دَمي
فإنْ جَحَدْتُكَ ما أَوْلَيْتَ مِن كَرَمٍ إنِّي لِباللُّؤْمِ أَوْلى مِنْكَ بالكَرَمِ

• وكتب[1] عبدُ الملك بن مروان إلى الحجّاج يأمرُه أن يبعثَ إليه برأس عبّاد ابن أَسلم البَكْريّ ، فقال له عبّادٌ : أَيُّها الأَمير ، أَنشدُك الله لا تقتلْني ، فوالله إنِّي لأَعولُ أَربعاً وعشرين امرأَةً ، ما لهنَّ كاسبٌ غيري ؛ فرقَّ لهنَّ واستحضَرهنَّ ، وإذا واحدةٌ منهن كالبدرِ ، فقال لها الحجّاج : ما أَنت منه؟ قالت : أَنا بِنته ؛ فاسمعْ يا حجّاج منِّي ما أَقول ؛ ثم قالت : [من الطويل]

أَحَجّاجُ إمّا أَنْ تَمُنَّ بِتَرْكِهِ عَلَينا وإمّا أَنْ تُقَتِّلَنا مَعا
أَحَجّاجُ لا تَفْجَعْ بِهِ إنْ قَتَلْتَهُ ثَماناً وَعَشْراً وٱثْنَتَيْنِ وأَرْبَعا
أَحَجّاجُ لا تَتْرُكْ عَلَيْهِ بَناتَهُ وَخالاتِهِ يَنْدُبْنَهُ الدَّهْرَ أَجْمَعا

فبكى الحجّاج ، ورقَّ له ، واستَوهبه من أَمير المؤمنين عبد الملك ، وأَمر له بِصِلَةٍ .

• ولمّا[2] قَدِمَ عُيينة بن حِصْنٍ على ابن أَخيه الحُرِّ بنِ قيس ـ وكان من النَّفَر الَّذي يُدنيهم عمر رضي الله عنه ، وكان القُرّاءُ أَصحابَ مَجلس عمر ومُشاورته كهولاً كانوا أَو شُبّاناً ـ فقال عُيينة لابن أَخيه : يا بن أَخي ، لك وَجْهٌ عند هذا الأَمير ، فاستأذن لي عليه ؛ فاستأذنَ فأَذنَ له عُمر ، فلمّا دخل قال : هيه يا بنَ الخطّاب ، فوالله ما تُعطينا الجَزْلَ ولا تحكمُ فينا بالعدلِ ، فغضبَ عُمر حتَّى همَّ أَن يُوقعَ به ، فقال له الحُرُّ : يا أَمير المؤمنين ، إنَّ الله سُبحانه وتعالى قال لنبيِّه

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٢٤٥) والرجل في المستجاد (٢٣٣ـ٢٣٤) هو يزيد بن قُرّة الشَّيباني .
(٢) تاريخ دمشق (جزء عمر) (٢٦٤ و٢٦٥) ومختصره (١٨/ ٣٣٥) .

عليه الصَّلاة والسَّلام ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف : ٧/١٩٩] وإِنَّ هذا من الجاهلينَ ؛ فوالله ما جاوزَها عُمر رضي الله عنه حين تلاها عليه ، وكان وقّافاً عند كتاب الله تعالى .

• وحُكي أَنَّ رجلاً زَوَّرَ ورقةً عن خَطِّ الفَضل بن الرَّبيع ، تتضمَّنُ أَنَّه أَطلقَ له أَلف دينار ، ثم جاء بها إِلى وكيل الفَضل ، فلمّا وقف الوكيل عليها لم يشكَّ أَنّها خطُّ الفَضل ، فشرع في أَن يزنَ له الأَلف دينار ، وإِذا بالفضل قد حضر ليتحدَّث مع وكيله في تلك السّاعة في أَمر مُهِمٍّ ، فلمّا جلس أَخبره الوكيلُ بأَمر الرَّجل وأَوقفه على الورقة ، فنظرَ الفضلُ فيها ثم نظرَ في وجهِ الرَّجل ، فرآه كاد يموتُ من الوَجَل والخَجل ، فأَطرق الفضل بوجهه ثم قال للوكيل : أَتدري لم أَتيتُك في هذا الوقتِ؟ قال : لا ، قال : جئتُ لأَستنهضك حتَّى تُعَجِّل لهذا الرَّجل إِعطاءَ المبلغ الَّذي في هذه الورقة ؛ فأَسرع عند ذلك الوكيلُ في وزن المال ، وناوَلَه الرَّجل فقبضه وصار مُتَحَيِّراً في أَمره ، فالتفتَ إِليه الفضلُ وقال له : طِبْ نَفْساً ، وامضِ إِلى سَبيلك آمناً على نَفسك ؛ فقَبَّل الرَّجل يدَه ، وقال له : سَتَرْتَني ، سَتَرَكَ الله في الدُّنيا والآخرة ؛ ثم أَخذ المال ومضى .

• فيجبُ على الإِنسان أَن يَتَأَسَّى بهذهِ الأَخلاقِ الجميلة والأَفعال الجليلة ، ويَقتفي سُنَّة نبيِّه عليه الصَّلاة والسَّلام ، فقد كان أَكثر النّاس حِلْماً ، وأَحسنهم خَلْقاً ، وأَكرمهم خُلُقاً ، وأَكثرهم تَجاوزاً وَصَفْحاً ، وأَبَرَّهم للمُعْتَرِّ عليه نُجْحاً .

صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أَجمعين ، والحمد لله رَبِّ العالمين .

وأَمّا ما جاء في العتاب

• فقد[1] قيل : العتابُ خيرٌ من الحِقد ، ولا يكونُ العتابُ إِلا على زَلَّةٍ .

• وقد[1] مدَحه قومٌ ، فقالوا : العتابُ حدائقُ المُتحابِّين ، ودليلٌ على بقاءِ المودَّةِ .

---

(١) التذكرة الحمدونية (٥/ ٣١) والتمثيل والمحاضرة (٤٦٤) .

• وقد قال أَبو الحسن بن مُنقذ[1] : [من البسيط]

أَسْطُو عَليهِ وَقَلْبي لَوْ تَمَكَّنَ مِن ... يَدَيَّ غَلَّهُما غَيْظاً إِلى عُنُقي
وَأَسْتَعِيرُ لَهُ مِن سَطْوَتي حَنَقاً ... وأَيْنَ ذُلُّ الهَوى مِن عِزَّةِ الحَنَقِ

• وذَمَّه[2] بعضهم ؛ قال إياسُ بن معاوية : خرجتُ في سَفَرٍ ومعي رجلٌ من الأَعراب ، فلمّا كان في بعض المناهل لقيَه ابنُ عمٍّ لهُ ، فتعانقا وتَعاتَبا ، وإلى جانبهما شيخٌ من الحيِّ ، فقال لهما : انْعَما عَيْشاً ، إنَّ المعاتَبة تبعثُ التَّجنِّي ، والتَّجنِّي يبعثُ المُخاصمةَ ، والمُخاصمةُ تبعثُ العداوةَ ، ولا خيرَ في شيءٍ ثَمَرَتُهُ العداوةُ .

• قال الشّاعر[3] : [من الوافر]

فَدَعْ ذِكْرَ العِتابِ فَرُبَّ شَرٍّ ... طَويلٍ هاجَ أَوَّلُهُ العِتابُ

• وقيل[4] : العتابُ من حركات الشَّوق ، [وهو مُستراحُ الوَجْد ، ولسانُ الإشفاق] ؛ وإنّما يكون هذا بين المتحابّين .

• قال الشّاعر[5] : [من الطويل]

عَلامَةُ ما بَيْنَ المُحِبِّينَ في الهوى ... عِتَابُهُمُ في كُلِّ حَقٍّ وَباطِلِ

• وكتبَ بعضُهم يعاتبُ صَديقَه على تَغَيُّرِ حاله معه ، يقول : [من الوافر]

عَرَضْنا أَنْفُساً عَزَّتْ عَلَيْنَا ... عَلَيْكُمْ فاسْتَخَفَّ بِها الهَوانُ

---

(١) التذكرة الحمدونية (٥/ ٣١).
(٢) عيون الأخبار (٣/ ٣٠) وربيع الأبرار (٣/ ٥١٧) والتذكرة الحمدونية (٥/ ٣١).
(٣) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٣/٥١٨) والتذكرة الحمدونية (٥/ ٣٢). وهو في التمثيل والمحاضرة (٤٦٥) برواية مختصرة سلكته في مجزوء الكامل.
(٤) التذكرة الحمدونية (٥/ ٣٢) والزيادة منه.
(٥) في ربيع الأبرار (٥/ ٢١): كتبت عثعث على زرّ قَميصها بالذهب: (البيت).

وَلَـــوْ أَنّـــا رَفَعْنـــاهـــا لَعَـــزَّتْ   وَلكـــنْ كُـــلُّ مَعـــروضٍ مُهـــانُ

• وقال آخر يعاتب صديقه[1] : [من الطويل]

وَكُنْتُ إذا ما جِئْتُ أَدْنَيْتَ مَجلسي   وَوَجْهُـكَ مـن تِلْـكَ البَشـاشَـةِ يَقْطُرُ
فَمَـنْ لـيَ بـالعَيْـنِ الَّتـي كُنْـتَ مَـرَّةً   إلـيَّ بِهـا فـي سـالِـفِ الـدَّهْـرِ تَنْظُرُ

• وقال أَبو الحسن بن مُنقذ[2] : [من الكامل]

أَخْـلاقُـكَ الغُـرُّ السَّجـايـا مـا لَهـا   حَمَلَتْ قَذى الواشينَ وَهْيَ سُلافُ
وَمِـراةُ رَأْيِـكَ فـي عُبَيْـدِكَ مـا لَهـا   صَـدِئَـتْ وأَنْـتَ الجَـوْهَـرُ الشَّفّـافُ

• وقال آخر يعاتبُ صَديقَه على كتابٍ أَرسله إِليه وفيه حَطٌّ عليه : [من الكامل]

اقْــرَأْ كِتــابَــكَ واعْتَبِــرْهُ قَــريبــاً   فَكَفـى بِنَفْسِـكَ لـي عَلَيْـكَ حَسيبـا
أَكَـذا يَكـونُ خِطـابُ إِخْـوانِ الصَّفـا   إِنْ أَرْسَلوا جَعَلوا الخِطابَ خُطوبا
مـا كـانَ عُـذْري أَنْ أَجَبْـتُ بِمِثْلِـهِ   أَوْ كُنْـتُ بـالعَتْـبِ العنيـفِ مُجيبـا
لَكِنَّنـي خِفْـتُ انْتِقـاصَ مَـوَدَّتـي   فَيُعَــدُّ إِحســانــي إِلَيــكَ ذُنــوبــا

• وقال آخر : [من الطويل]

أَراكَ إِذا مـــا قُلْـــتَ قَـــوْلاً قَبِلْتَـــهُ   وَلَيْـسَ لأَقْـوالـي لَـدَيْـكَ قَبُـولُ
وَمـــا ذاكَ إِلا أَنَّ ظَنَّـــكَ سَـــيِّءٌ   بـأَهْـلِ الـوَفـا والظَّـنُّ فيـكَ جَميـلُ
فَكُـنْ قـائِـلاً قَـوْلَ الحَمـاسيِّ تـائِهـاً   بِنَفْسِـكَ عُجْبـاً وَهْـوَ مِنْـكَ قَليـلُ
« وَتُنْكِرُ إِنْ شِئْنا على النّاسِ قَوْلَهُمْ   وَلا يُنْكِرُونَ القَوْلَ حينَ نَقُولُ »[3]

• وكان[4] لمحمَّد بن الحسن بن سَهل صديقٌ ، فنالته إِضاقةٌ ، ثم وَلي عَمَلاً

---

(١) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٣/ ٥٢١) والتذكرة الحمدونية (٤/ ١١٤).
(٢) له في التذكرة الحمدونية (٤/ ١١٤).
(٣) هو للسّموأل في ديوانه١٢ أو لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي في ديوانه (٨٩) .
(٤) التذكرة الحمدونية (٥/ ٤٥) وزهر الآداب (٨٢٨)، والبيتان لأبي الهول الحميري في الحماسة الشجرية (١/ ٢٩٠).

فأَثرى ، فقَصَده محمَّدٌ مُسَلِّماً فرأى منه تغيُّراً ، فكتبَ إِليه : [من الطويل]

لَئِنْ كانَتِ الدُّنْيا أَنالَتْكَ ثَرْوَةً فَأَصْبَحْتَ ذا يُسْرٍ وَقَدْ كُنْتَ ذا عُسْرِ
فَقَدْ كَشَفَ الإِثْراءُ مِنْكَ خَلائِقاً مِنَ اللُّؤْمِ كانَتْ تَحْتَ ثَوْبٍ مِنَ الفَقْرِ

• وقال آخر في المعنى : [من الوافر]

دَعَوْتُ اللهَ أَنْ تَسْمو وَتَعْلُو عُلُوَّ النَّجْمِ في أُفُقِ السَّماءِ
فَلَمّا أَن سَمَوْتَ بَعُدْتَ عَنِّي فَكانَ إِذاً على نَفْسي دُعائي

• وكان[١] ابنُ عَرادةَ السَّعديّ مع سَلْم بن زياد بخُراسان ، وكان له مُكْرِماً وابنُ عرادة يَتَجَنّى عليه ، ففارقَه وصاحبَ غَيره ، ثم نَدم ورجع إِليه وقال : [من الطويل]

عَتَبْتُ على سَلْمٍ فَلَمّا فَقَدْتُهُ وصاحَبْتُ أَقْواماً بَكَيْتُ على سَلْمِ
رَجَعْتُ إِليهِ بَعْدَ تَجْريبِ غَيْرِهِ فَكانَ كَبُرْءٍ بَعْدَ طُولٍ من السُّقْمِ

• وقال مُسلم بن الوليد[٢] : [من الوافر]

وَيُرْجِعُني إِليكَ إِذا نَأَتْ بي دِياري عَنْكَ تَجْرِبَةُ الرِّجالِ

• وقال أَبو الحسن النّاشىء [الأصغر][٣] : [من الطويل]

إِذا أَنا عاتَبْتُ المَلومَ فإِنَّما أَخُطُّ بأَقلامي على الماءِ أَحْرُفا
وَهَبْهُ ٱرْعَوى بَعْدَ العِتابِ أَلَمْ تَكُنْ مَوَدَّتُهُ طَبْعاً فَصارَتْ تَكَلُّفا

• وقال[٤] أَبو الدَّرداء رضي الله عنه : مُعاتبةُ الصَّديق أَهونُ من فَقْده .

---

(١) التذكرة الحمدونية (٥/ ٤٩) وزهر الآداب (١٠٦٤). والأول في مختصر تاريخ دمشق (٢٦/ ٢٢٦) لنهار بن توسعة.
(٢) ديوانه (٣٣٦) والتذكرة الحمدونية (٥/ ٤٩).
(٣) له في التذكرة الحمدونية (٥/ ٥٢) ووفيات الأعيان (٣/ ٣٦٩) ويتيمة الدهر (١/ ٢٣٢) وكنيته في اليتيمة : أبو الحسين ، خطأ .
(٤) عيون الأخبار (٣/ ٢٨) وربيع الأبرار (٣/ ٥١٦) والتمثيل والمحاضرة (٤٦٥) .



كمل الجزء الأَوَّل بتقسيم محققّه ؛

يتلوه في الجزء الثّاني :

الباب السّابع والثّلاثون

في الوفاء بالوعد ، وحفظ العهد ، ورعاية الذِّمم .

والحمد لله في البدء والختام



فهرس الأبواب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * * *

* * *

* *

*

DAR SADER Publishers
P.O.Box 10 - BEIRUT

AL-MUSTAṬRAF

FI KULLI FANNEN MUSTAẒRAF

BY

BAHĀ'AL-DĪN ABI AL-FATḤ MOḤAMAD AL-ABŠĪHĪ

EDITED BY

IBRAHĪM SĀLIḤ

Vol. I

DAR SADER

BEIRUT

